الفكر المسيحي بين الأمس واليوم

٢٨



دنتسنغر - هونرمان

الجزء الثاني

ترجمة

المطران يوحنا منصور

الأب حنا الفاخوري

الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها

الجزء الثاني

الصفحات ٦٣٥ ـ ١٢٦٨

طبعة أولى ٢٠٠١

*

*

منشورات المكتبة البولسية
جونيه شارع القدّيس بولس - ص ب ١٢٥
هاتف ٩١١٥٦١-٠٩/٩٣٣٠٥٢ - فاكس: ٠٩/٩١٨٤٤٧
بيروت - شارع لبنان - هاتف ٠١/٤٤٨٨٠٦
زحلة - الحمراء بلازا - هاتف ٠٨/٨١٢٨٠٧

سلسلة
الفكر المسيحي بين الأمس واليوم
٢٨

الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها

دنتسنغر - هونرمان

الجزء الثاني

قام بترجمة نصوص الوثائق
المطران يوحنا منصور، النائب البطريركي للروم الكاثوليك
والأب حنا الفاخوري

وضع التمهيد والمقدمات الفردية
وحقق الترجمة
الأب عادل تيودور خوري
بروفسور علوم الأديان في كلية اللاهوت الكاثوليكي
بجامعة مونستر - ألمانيا

منشورات المكتبة البولسية

لقد اعتمدنا في هذا الكتاب مجموعة الوثائق التي نشرها دنتسنغر بلغاتها الأصليّة تحت عنوان:

Heinrich Denzinger, Enchiridion Symbolorum, Definitionum et Declarationum de rebus fidei et morum.

وقد نقّحها وزاد عليها ونقلها إلى اللغة الألمانيّة البروفسّور الدكتور بيتر هونرمان (Peter Hünermann)، أستاذ اللاّهوت العقائديّ في كليّة اللاهوت الكاثوليكي بجامعة توبنغن / ألمانيا.

ونُشرت في الطبعة السابعة والثلاثين سنة ١٩٩١ في دار هردر بالمانيا

وقد زدنا في آخر الكتاب بعض الوثائق الحديثة التي لم تظهر في الطبعة الألمانيّة.

المجمع الفاتيكاني الأوّل (المسكوني العشرون)،

من ٨ كانون الأوّل ١٨٦٩ إلى ٢٠ تشرين الأوّل ١٨٧٠

٣٠٠٠ – ٣٠٤٥ – الجلسة الثالثة، ٢٤ نيسان ١٨٧٠: الدستور العقائديّ «Dei Filius» في الإيمان الكاثوليكيّ

تمهيد

٣٠٠٠ – ... ولكننا الآن، في حين يجتمع معنا أساقفة العالم أجمع ملتئمين بسلطاننا في الروح القدس، في هذا المجمع المسكونيّ المقدّس، ونحن مستندون إلى كلام الله المكتوب والمنقول إلينا بالتقليد، كما تسلمناه من الكنيسة الكاثوليكيّة محفوظًا بقداسة ومعروضًا بأمانة، قد عزمنا، من على منبر بطرس هذا، على أن نعترف ونصرح في وجه الجميع بعقيدة المسيح الخلاصيّة نابذين ودائنين، باسم السلطان الذي أودعنا الله إياه، الأضاليل المضادة.

الفصل ١: الله الخالق كل شيء

[٣٠٠١: الله الواحد الكامل، المتميز من العالم. – ٣٠٠٢: فعل الخلق: كماله، غايته ومفعوله. – ٣٠٠٣: العناية الإلٰهيّة].

٣٠٠١ – إن الكنيسة المقدّسة الكاثوليكيّة الرسوليّة تؤمن وتعترف بأن الله واحد حقيقي حيّ، خالق وربّ للسماء والأرض، قادر، أزلي، غير محدود، ولا يمكن إدراكه، ليس له نهاية في العقل والإرادة وفي كل كمال. وبما أنه جوهر روحي واحد فريد كليّ البساطة وغير متحول، فلا بدّ من أن يقال عنه إنه متميز من العالم في الحقيقة والجوهر، وإنه كليّ السعادة في ذاته وبذاته، وإنه أسمى بما يفوق الوصف من كل ما عداه مما هو كائن أو يمكن أن يتصوّر [ق ١ – ٤].

٣٠٠٢ – إن هذا الإلٰه الحقيقيّ وحده، بصلاحه «وبقوته الكلية الاقتدار» وليس لزيادة سعادته أو الحصول على ملء كماله، ولكن لإظهاره بالخيرات التي يمنحها

لخلائقه، وبمشورة كلية الحرية، «قد خلق معًا، منذ بدء الزمان، من العدم، كلا من الخلائق الروحية والجسدية، أيّ الملائكية والعالمية، وبعدها الخليقة البشرية الجامعة بينهما المركبة من روح وجسد [المجمع اللاتراني الرابع: الرقم ٨٠٠، في ما بعد ق ٢ و٥].

٣٠٠٣ – إن الله يحفظ ويسوس بعنايته جميع ما خلقه «بالغًا من غاية إلى غاية بالقوّة ومدبرًا كل شيء بالرفق» [حك ٨: ١]. إذ «كل شيء عار مكشوف لعينيه» [عب ٤: ١٣] وكذلك ما سيصدر عن فعل الخلائق الحرّ.

الفصل ٢: الوحي

[٣٠٠٤: واقع الوحي الفائق الطبيع. – ٣٠٠٥: ضرورته. – ٣٠٠٦: مصادرة. – ٣٠٠٧: تأويله: الكنيسة].

٣٠٠٤ – إن الكنيسة المقدّسة ذاتها، أمنا، تعتقد وتعلم أن الله، مبدأ وغاية كل شيء، يمكن أن يُعرَف معرفة أكيدة بنور العقل البشريّ الطبيعيّ من المخلوقات، لأن «صفاته غير المنظورة... تبصر منذ خلق العالم، مدركة بمبروءاته» [رو ١: ٢٠]. غير أن حكمته وصلاحه قد ارتضيا بأن يظهر للجنس البشريّ، نفسه وأحكام إرادته الأزلية، بطريقة أخرى هي فائقة الطبيعة: «إن الله، بعد إذ كلم الآباء قديمًا بالأنبياء، مرارًا عديدة وبشتى الطرق، كلمنا نحن، في هذه الأيام الأخيرة، بالابن» [عب ١: ١؛ ق ١].

٣٠٠٥ – فبفضل هذا الوحي الإلٰهيّ، يستطيع الجميع في حالة الجنس البشريّ الراهنة، أن يعرفوا بسهولة، وبيقين ثابت لا يشوبه ضلال، ما ليس ممتنعًا بحدّ ذاته على العقل البشريّ، في الأمور الإلٰهيّة. ولكن ليس هذا هو السبب لوجوب القول بأن الوحي ضروري على الإطلاق، وإنما لأن الله، بصلاحه غير محدود، قد أعد الإنسان لغاية تفوق الطبيعة، أيّ المشاركة في الخيرات الإلٰهيّة التي تفوق كليًّا ما يمكن العقل البشريّ إدراكه. إذ «إن ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه [١ كو ٢: ٩؛ ق ٢ و٣].

٣٠٠٦ – إن هذا الوحي الفائق الطبيعة تحويه، بحسب إيمان الكنيسة الجامعة، الذي أعلنه المجمع التريدنتيني المقدّس، «الأسفار المكتوبة، والتقاليد غير المكتوبة، التي تقبلها الرسل من فم المسيح نفسه، أو نقلها الرسل أنفسهم، كما من يد إلى يد،

بفعل الروح القدس، فوصلت إلينا» [رقم ١٥٠١]. وأسفار العهدين القديم والجديد هذه، كما عددت في مرسوم ذلك المجمع، وكما توجد في الطبعة المنتشرة اللاتينية القديمة (فولغاتا)، يجب تقبلها مقدّسة وقانونية بكاملها وبكل أجزائها. والكنيسة تعدها كذلك لا لأنها صنعت بعمل الإنسان وحده ثم ثبتتها هي بسلطتها، ولا لأنها تحوي الوحي بدون ضلال فقط، وإنما لأنها كتبت بإلهام الروح القدس، ولأن واضعها هو الله ونقلت هكذا إلى الكنيسة [ق ٤].

٣٠٠٧ – وبما أن البعض عرضوا على وجه سيء المرسوم الذي أصدره المجمع التريدنتيني المقدّس، عن تفسير الكتاب المقدّس لإصلاح العقول الوقحة، فإننا نعلن، ونحن نجدد هذا المرسوم، أن نيته هي، في مواضيع الإيمان والأخلاق المتعلّقة بتكوين العقيدة الإلٰهيّة، وجوب اعتماد المعنى الذي اعتمدته وتعتمده أمُّنا الكنيسة المقدّسة كمعنى صحيح، إذ الحكم لها في المعنى والتفسير الصحيح للأسفار المقدّسة. ولذلك لا يحل لأحد تفسير هذا الكتاب المقدّس خلافًا لذلك المعنى، أو خلافًا لرضى الآباء الإجماعيّ.

الفصل ٣: الإيمان

[٣٠٠٨: ماهية الإيمان. – ٣٠١٢: ضرورة الإيمان. – ٣٠١٣...: أعوان الإيمان من الخارج ومن الداخل].

٣٠٠٨ – بما أن الإنسان هو كليًّا في يد الله بكونه خالقه وربه، وأن العقل المخلوق يخضع كليًّا للحقيقة غير المخلوقة، فعلينا أن نقدم بالإيمان لله الذي يتجلّى ملء خضوع عقلنا وإرادتنا [ق ١]. وهذا الإيمان الذي هو بداية خلاص الإنسان [ر ١٥٣٢]، تعترف به الكنيسة الكاثوليكيّة فضيلة فائقة الطبيعة، بها نعتقد، بعون سابق من الله ومؤازرة النعمة، صحة الأمور التي أوحى لنا بها، لا لسبب صحتها بذاتها المدركة بنور العقل الطبيعي، وإنما بسبب سلطة الله نفسه الذي يوحي، والذي لا يمكن أن يُخدع أو يخدعنا [ر ٢٧٧٨؛ ق ٢]. لأن الإيمان، كما يشهد الرسول هو قوام المرجوات وبرهان غير الرئيات» [عب ١١: ١].

٣٠٠٩ – ومع ذلك، فلكي يكون الإيمان على مقتضى العقل [رو ٢: ١] أراد الله أن تصحب إعانات الروح القدس من الداخل براهين من الخارج على وحيه، أيّ وقائع إلٰهيّة، وخصوصًا المعجزات والنبوءات، التي تظهر على وجه مؤثر قدرة الله

الكاملة وعلمه اللامتناهي، وتكون هكذا دلالات أكيدة على الوحي الإلٰهيّ تتواءم وجميع العقول [ق ٣، ٤]. كذلك صنع موسى والأنبياء، وخصوصًا المسيح ربنا، معجزات كثيرة باهرة وتنبأوا. ونقرأ عن الرسل: «أنهم خرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يؤازرهم ويؤيد الكلمة بالآيات التي تصحبها» [مر ١٦: ٢٠]. وكتب أيضًا: «تأكد لنا بوجه أقوى كلام الأنبياء الذي تحسنون [الصنع] إذا تمسكتم به كما بمصباح يضيء في مكان مظلم» [٢ بط ١: ١٩].

٣٠١٠ – وعلى كون قبول الإيمان ليس حركة عمياء من العقل، إلاّ أنه ليس من إنسان يستطيع الخضوع للكرازة الإنجيلية بالوجه المطلوب للخلاص «دون إنارة ووحي من الروح القدس الذي يمنح الجميع ختمه عندما يخضعون للحقيقة ويؤمنون بها» [مجمع أورانج الثاني: ٣٧٧]. لذلك فالإيمان بحد ذاته، وإن لم يفعل بالمحبّة، هو عطية من الله. وفعل الإيمان عمل خلاصيّ، به يقدم الإنسان للربّ نفسه طاعته الحرة بالقبول والتعاون مع نعمته التي يستطيع مقاومتها [ر ١٥٢٥ ٠٠٠؛ ق ٥].

٣٠١١ – بالإضافة إلى ذلك يجب الإيمان، بإيمان إلٰهيّ وكاثوليكي، بكل ما يحويه كلام الله، المكتوب والمنقول بالتقليد، والذي تعرضه الكنيسة بحكم علني أو بسلطانها التعليميّ العادي والشامل.

٣٠١٢ – ولأنه «بدون إيمان يستحيل إرضاء الله» [عب ١١: ٦]، وبلوغ المشاركة في حالة أبنائه، فما من أحد يبرر بدونه، وما من أحد «ما لم يثبت إلى المنتهى» [مت ١٠: ٢٠؛ ٢٤: ١٣] ينال الحياة الأبديّة، ولكن، لكي نستطيع القيام بواجب اعتناق الإيمان الحقيقي، والاستمرار دومًا فيه، أسس الله، بابنه الوحيد، الكنيسة، ووفر لها أدلة واضحة على تأسيسه، حتّى يتمكّن الجميع من معرفتها كحارسة ومعلّمة لكلام الله الموحى به. فللكنيسة الكاثوليكيّة وحدها تعود تلك الأدلة كلها الكثيرة والعجيبة، التي هيأها الله لجعل مصداقية الإيمان المسيحي واضحة، وما هو أكثر من ذلك أن الكنيسة بانتشارها العجيب، وقداستها السامية، وخصبها الذي لا ينقص بكل خير، وبسبب وحدتها الكاثوليكيّة وثباتها الذي لا يقهر، هي بذاتها مدعاة للإيمان وشهادة لا تنقض لرسالتها الإلٰهيّة.

٣٠١٤ – وينتج من ذلك أن الكنيسة بذاتها، كراية مرفوعة بين الأمم [أش ١١: ١٢] تدعو إليها من لم يؤمنوا بعد، وتزيد في أبنائها اليقين بأن الإيمان الذي يعترفون به

يقوم على أساس متين جدًا. وإلى هذه الشهادة ينضاف عون النعمة العلوية الفعّال. فالربّ الجزيل الرحمة يثير ويعين بنعمته من هم في الضلال حتّى «يبلغوا إلى معرفة الحقّ» [١ تي ٢ : ٤]، ويثبت بنعمته من دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب [ر ١ بط ٢ : ٩؛ كو ١ : ١٣] حتّى يستمروا في ذلك النور فلا يهمل إلاّ من أهمل نفسه [ر ١٥٣٧].

لذلك فحالة من اعتنقوا الحقيقة الكاثوليكية بفضل عطية الإيمان السماوية، لا تشبه في شيء حالة من استدلوا بالآراء البشريّة، فاتبعوا ديانة غير حقيقيّة. فالذين تقبلوا الإيمان بتعليم الكنيسة لا يمكن أبدًا أن يكون لهم سبب حق لتغيير الإيمان أو لوضعه موضع الشكّ [ق ٦]. وبما أن الأمور هكذا «فلنشكر الله الآب الذي أهلنا للشركة في ميراث القديسين في النور» [كو ١ : ١٢] ولا نهملن خلاصًا عظيمًا كهذا [ر عب ٢ : ٣]، ولكن «إذ نحن شاخصون بأبصارنا إلى مبدئ الإيمان ومكمله» [عب ١٢ : ٢]، فلنتمسك باعتراف الرجاء على غير انحراف» [عب ١٠ : ٢٣].

الفصل ٤ : الإيمان والعقل

[٣٠١٥ : نظامان للمعرفة. – ٣٠١٦ : نصيب العقل في إعداد الحقيقة الفائقة الطبيعة. – ٣٠١٧... : لا تناقض بين الإيمان والعقل. – ٣٠١٩ : العون المتبادل بين الإيمان والعقل. – ٣٠٢٠ : معنى التقدم في علم اللاهوت].

٣٠١٥ – لقد تمسكت الكنيسة، وما زالت أيضًا، بأن هناك نظامين للمعرفة، متميزين ليس فقط بمبدئها وإنما أيضًا بموضوعها: بمبدئها إذ نعرف في الواحد بالعقل البشريّ، وفي الآخر بالإيمان الإلهيّ. وبموضوعها إذ تعرض علينا للإيمان، علاوة على الحقائق البشريّة التي يمكن العقل البشريّ أن يدركها، أسرارًا خفية في الله لا تمكن معرفتها إلاّ إذا أوحى بها الله [ق ١].

لذلك يعلن الرسول، الذي يشهد أن الله قد عرفته الأمم «بمبروءاته» [رو ١ : ٢٠]، عندما يتكلّم على النعمة وعلى الحقيقة اللتين تأتيان من يسوع المسيح [ر ١ : ١٧]: «أن ما ننطق به إنما هو حكمة الله التي في السر، المكتوبة، التي سبق فحددها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعرفها أحد من رؤساء الدهر... وقد أعلنه لنا الله بروحه،

لأن الروح يفحص كل شيء حتّى أعماق الله» [١ كو ٢ : ٧ – ٨ و١٠]. والابن الوحيد هو نفسه يشكر للآب أنه أخفى هذه الأشياء عن الحكماء وأصحاب الدهاء وكشفها للأطفال [ر مت ١١ : ٢٥].

٣٠١٦ – إن العقل عندما يسعى، بعناية وتقوى واعتدال، ينيره الإيمان، يهبه الله أن يدرك الأسرار إدراكًا كثير الثمر، إمّا بالتماثل مع الأشياء التي يعرفها طبيعيًا، وإمّا بالروابط التي تصل الأسرار بعضها ببعض وبغاية الإنسان الأخيرة. ولكنه لا يستطيع أبدًا أن يسبر أغوارها كما يفعل بالنسبة إلى الحقائق التي هي موضوعه الخاصّ. فالأسرار الإلهيّة بطبيعتها ذاتها تفوق جدًا العقل المخلوق، بحيث تبقى، حتّى عندما ينقلها الوحي ويتقبلها الإيمان، مغشاة أيضًا بحجاب الإيمان، وكأنما يكتنفها بعض الظلام، ما دمنا، في هذه الحياة الزائلة، نسير بعيدًا عن الربّ. لأننا نسلك بالإيمان لا بالعيان [٢ كو ٥ : ٦ – ٧].

٣٠١٧ – ولكن، على كون الإيمان يسمو على العقل، لا يمكن أبدًا أن يحصل خلاف بين الإيمان والعقل، إذ إن الإله ذاته هو الذي يوحي بالأسرار ويكاشف بالإيمان، وهو الذي ينزل على الروح البشري نور العقل، والله لا يستطيع أن ينكر نفسه، ولا الحق أن يناقض أبدًا الحق، وهذا المظهر الباطل للتناقض يتأتى خصوصًا من أن عقائد الإيمان لم تفهم ولم تعرض بحسب روح الكنيسة، أو عندما تحسب آراء خاطئة كأنها استنتاجات عقلية. «لذلك نحدد أن كل مقولة مناقضة لحقيقة الإيمان المستنير هي خاطئة تمامًا» [المجمع اللاترانيّ الخامس: ١٤٤١].

٣٠١٨ – وعلاوة على ذلك، إن الكنيسة التي تسلّمت مع مهمة التعليم الرسولية، وصية حفظ وديعة الإيمان، لها من الله الحق وعليها الواجب أن ترذل «العلم» الكاذب [ر ١ تي ٦ : ٢٠] حتّى لا يخدع أحد بغرور الفلسفة الباطل [ر كو ٢ : ٨؛ ق ٢].

لذلك على المسيحيين المؤمنين جميعهم، ليس فقط أن يمتنعوا عن الدفاع عن مثل هذه الآراء المعروفة بأنها تناقض عقيدة الإيمان، خصوصًا إذا كانت الكنيسة قد رذلتها، كأنها نتائج علمية صحيحة، بل بالحري أن يعدوها تمامًا بمثابة أضاليل تتلبس مظهرًا خادعًا للحقيقة.

٣٠١٩ – إن الإيمان والعقل ليس فقط لا يمكنها أبدًا أن يكونا على خلاف، بل هما

أيضًا على تعاون متبادل [ر ٢٧٧٦؛ ٢٨١١]. فالعقل السوي يبرهن على أسس الإيمان وينكب في ضوئه على علم الأمور الإلٰهيّة. أمّا الإيمان فهو يحرر العقل ويصونه من الأضاليل، ويوفر له الكثير من المعارف.

لذلك ليس واردًا عند الكنيسة أن تقاوم الانكباب على العلوم الإنسانيّة والفنون الحرة. وهي بالعكس، تساعدها وتعمل على تقدمها بأساليب شتى. وهي لا تجهل ولا تزدري الفوائد التي تعود منها على حياة البشر، بل تعترف بأنها هي التي تأتي من الله، رب العلوم [ر ١ صموئيل (١ ملوك) ٢ :٣] تستطيع أن تقود إلى الله، بمؤازرة نعمته إذا استعين بها كما يجب.

إنها لا تمنع أن يستعمل كل من العلوم في مجاله مبادئ وطريقة خاصّة به. ولكنها، وهي تعترف بتلك الحرية المشروعة، تبقى حريصة على ألاّ تتقبل تلك العلوم أضاليل تناقض العقيدة الإلٰهيّة، أو تتجاوز حدودها فتقتحم وتبلبل مجال الإيمان.

٣٠٢٠ – وعقيدة الإيمان التي أوحى بها الربّ لم تعرض كاكتشاف فلسفيّ يتقدّم بالتفكير البشريّ، ولكن كوديعة إلٰهيّة وكلها الله إلى عروس المسيح لتحفظها بأمانة وتقدمها بدون غلط، وبالتالي فمعنى العقائد المقدّسة الذي يجب حفظه على الدوام هو ما قدمته أمُّنا الكنيسة المقدّسة مرّة واحدة، ولا يجوز أبدًا الانحراف عنه بحجة أو باسم إدراك أكثر تعمقًا [ق ٣].

«فليزدد وليتقدم باتساع وعمق، بالنسبة إلى كل واحد وإلى الجميع، إلى الإنسان الفرد كما إلى الكنيسة جمعاء، بحسب الدرجة الخاصّة بكل سن وبكل عصر، الذهن، والعلوم، والحكمة، ولكن على مستواها فقط، في المعتقد ذاته، والمعنى ذاته، والفكر ذاته».

قوانين: ١ – الله خالق كل شيء

[ق ١ : ضد كل الأضاليل في شأن وجود الله الخالق. – ق ٢ : ضد المادية. – ق ٣ – ٤ : ضد وحدة الوجود بأشكالها المختلفة. – ق ٥ : ضد القائلين بوحدة الوجود والماديين – ضد الغونتريين – ضد الغونتريين والهرمزيين].

٣٠٢١ – ١ – من ينكر الإلٰه الواحد الحقيقيّ خالق ورب ما يرى وما لا يرى، فليكن مبسلا [ر ٣٠٠١].

٣٠٢٢ – ٢ – من لا يخجل من القول إنه لا يوجد شيء عدا المادة، فليكن مبسلا [ر ٣٠٠٢].

٣٠٢٣ – ٣ – من يقول إن الجوهر أو الماهية في الله وفي جميع الكائنات هو واحد بذاته، فليكن مبسلا [ر ٣٠٠١].

٣٠٢٤ – ٤ – من يقول إن الأشياء المحدودة، الجسدية والروحية، أو الروحية على الأقل، هي فيض من جوهر الله.
أو إن الماهية الإلٰهيّة تصير كل شيء بظهورها أو بتطورها،
أو أخيرًا إن الله هو الكائن الكليّ أو غير المحدود، الذي عندما يحدد نفسه يكون مجموع الأشياء، المتميزة بالجنس والنوع والأفراد، فليكن مبسلا.

٣٠٢٥ – ٥ – من لا يعترف بأن العالم وكل الموجودات التي يحويها، الروحية والمادية، قد خلقها الله من العدم بجوهرها كله،
أو يقول إن الله لم يخلق بإرادة حرّة من كل ضرورة، بل بضرورة كالتي يحبّ بها نفسه،
أو ينكر أن العالم قد خلق لمجد الله، فليكن مبسلا.

٢ – الوحي

[ق ١: ضد ناكري اللاهوت الطبيعي. – ق ٢: ضد مذهب التأليه الطبيعي. – ق ٣: ضد مذهب العقلانية بلا حدود. – ق ٤: ضد نقد العقلانيين للكتاب المقدّس.]

٣٠٢٦ – ١ – من يقول إن الله الواحد والحقيقي، خالقنا وربنا، لا تمكن معرفته معرفة اليقين بأعماله اعتمادًا على النور الطبيعي للعقل البشري، فليكن مبسلا [ر ٣٠٠٤].

٢ – من يقول إنه من المستحيل أو غير المجدي أن يتعلم الإنسان من الوحي الإلٰهيّ ما يخص الله والعبادة الواجب له، فليكن مبسلا.

٣ – من يقول إنه لا يمكن أن يرفع الله الإنسان إلى معرفة وكمال يتجاوزان ما هو من طبيعته، بل هو يستطيع وعليه أن يصل بنفسه أخيرًا إلى امتلاك الحق والخير بتقدم متواصل، فليكن مبسلا.

٤ – من لا يقبل أسفار الكتاب المقدّس على أنها مقدّسة وقانونية، بكاملها وبكل أجزائها، كما عددها المجمع التريدنتيني المقدس [ر ١٥٠١ – ١٥٠٨]، أو ينكر أنها من وحي الله، فليكن مبسلا [ر ٣٠٠٦].

٣ – الإيمان

[ق ١ – ٢: ضد استقلالية العقل. – ق ٢: ضد المذهب الإيماني. – ق ٤: ضد المذهب اللاعرفاني. – ق ٥ – ٦: ضد الهرمزيين].

٣٠٣١ – ١ – من يقول إن العقل البشري له من الاستقلالية ما يجعل الله غير قادر على أن يقتضي منه الإيمان، فليكن مبسلا [ر ٣٠٠٨].

٣٠٣٢ – ٢ – من يقول إن الإيمان الإلٰهيّ لا يتميز من المعرفة الطبيعية لله وللشرائع الأخلاقية، وبالتالي إن الإيمان الإلٰهيّ لا يقتضي الاعتقاد بالحقيقة الموحى بها بسبب سلطة الله الذي يوحي، فليكن مبسلا.

٣٠٣٣ – ٣ – من يقول إن الوحي الإلٰهيّ لا يمكن اعتقاده بدلالات خارجية، وإن الناس بالتالي عليهم أن يدفعوا إلى الإيمان باختيارهم الداخليّ الشخصيّ فقط أو بوحي خاصّ، فليكن مبسلا [ر ٣٠٠٩].

٣٠٣٤ – ٤ – من يقول إن المعجزات مستحيلة، وبالتالي إن كل ما يروى عنها، حتّى ما ورد منه في الكتاب المقدّس، يجب أن يرذل بكونه خرافيًا وأسطوريًا، أو إنه لا يمكن أبدًا معرفة المعجزات معرفة أكيدة، ولا اعتمادها للدلالة بفاعلية على أصل الديانة المسيحيّة، فليكن مبسلا.

٣٠٣٥ – ٥ – من يقول إن تصديق الإيمان المسيحي ليس حرًّا، ولكنه بالضرورة نتيجة براهين العقل البشريّ، أو إن نعمة الله هي ضرورية فقط للإيمان الحي العامل بالمحبّة [ر غلا ٥: ٦]، فليكن مبسلا.

٣٠٣٦ – ٦ – من يقول إن حالة المؤمنين هي شبيهة بحالة من لم يبلغوا بعد إلى الإيمان الحقيقي الوحيد، بحيث يستطيع الكاثوليكيون لسبب صوابي، وبتعليق تصديقهم، أن يضعوا موضع الشك الإيمان الذي أخذوه عن تعليم الكنيسة، إلى أن ينتهوا من البرهان العلمي على مصداقية الإيمان وحقيقته، فليكن مبسلا [ر ٣٠١٠٤].

٤ – الإيمان والعقل

٣٠٤١ – ١ – من يقول إن الوحي الإلٰهيّ لا يتضمن أي سر حقيقي بالمعنى الصحيح، ولكن عقائد الإيمان كلها يمكن فهمها والبرهان عليها بالعقل، ذي الثقافة الوافية، اعتمادًا على المبادئ الطبيعية، فليكن مبسلا.

٣٠٤٢ – ٢ – من يقول إنه من الواجب معالجة فروع العلوم البشرية بحرية يستطيع الإنسان معها، حتّى عندما تكون أقوالها مناقضة للعقيدة الموحى بها، أن يعدها حقيقة، ولا يمكن الكنيسة أن تمنعها، فليكن مبسلا [ر ٣٠١٧].

٣٠٤٣ – ٣ – من يقول إنه من الممكن أن يعطى لعقائد الكنيسة أحيانًا، بسبب تقدم العلم، معنى يخالف ما أدركته وتدركه الكنيسة أيضًا، فليكن مبسلا [ر ٣٠٢٠].

٣٠٤٤ – لذلك، فاضطلاعًا بمهمتنا الرعائية، نناشد بأحشاء يسوع المسيح جميع المؤمنين بالمسيح، ولا سيّما من يمارسون سلطة أو يقومون بمهمة تعليم الآخرين، ونأمرهم، لأجل محبّة يسوع المسيح، وبسلطة إلٰهنا ومخلصنا، أن يبذلوا الجهد والسعي لإقصاء هذه الأضاليل عن الكنيسة المقدّسة ونزعها، وإشاعة نور الإيمان الأطهر.

٣٠٤٥ – ولكن بما أنه لا يكفي تجنب خبث الهرطقة إذا لم يعن أيضًا بالهرب من الأضاليل القريبة منها كثيرًا أو قليلاً، ننبه الجميع إلى واجب حفظ الدساتير والمراسيم أيضًا، التي ينبذ بها الكرسيّ المقدّس ويمنع الآراء الخبيثة التي لم تذكر بوضوح في الوثيقة الحاضرة.

٣٠٥٠ – ٣٠٧٥ – الجلسة الرابعة، ١٨ تموز ١٨٧٠: الدستور العقيدي الأول «Pastor aeternus» في كنيسة المسيح

تمهيد في شأن الكنيسة وتأسيسها

٣٠٥٠ – إن راعي نفوسنا ورقيبها [ر ١ بط ٢ : ٢٥]، قد قرر، في سبيل إدامة عمل الفداء الخلاصيّ، أن يؤسس الكنيسة، التي يجتمع فيها كل المؤمنين، كما في بيت

الله الحي، برباط الإيمان الواحد والمحبّة الواحدة. لذلك، صلّى إلى أبيه، قبل تمجيده، لا لأجل الرسل فقط، ولكن لأجل من يؤمنون به عن كلامهم أيضًا، لكي يكونوا بأجمعهم واحدًا، كما أن الابن والآب هما واحد [ر يو ١٧ : ٢٠ – ٢١]. وكما أرسل الرسل الذين اختارهم من العالم [يو ١٥ : ١٩] مثلما أرسله الآب [ر يو ٢٠ : ٢١] كذلك أراد أن يكون في كنيسته رعاة وملافنة «حتّى آخر العالم» [مت ٢٨ : ٢٠].

٣٠٥١ – لكي تبقى الأسقفية واحدة وغير منقسمة، ولكي يبقى جمهور المؤمنين كلهم، بفضل وحدة الأحبار الوثيقة والمتبادلة في وحدة الإيمان والشركة، وضع القديس بطرس فوق الرسل الآخرين، وجعل في شخصه المبدأ الثابت والأساس المنظور لهذه الوحدة المزدوجة، وعلى متانتها يشاد الهيكل الأبدي، وعلى ثبات هذا الإيمان ترتفع الكنيسة التي يجب أن تنال عظمتها السماء.

٣٠٥٢ – لأن أبواب الجحيم تنتصب من كل جهة، لتهدم الكنيسة، لو أمكن، ببغضة تزداد يومًا عن يوم لهذا الأساس الذي وضعه الله، نرى من الضروري، لحفظ القطيع الكاثوليكيّ وصيانته ونموه، أن نبسط، بموافقة المجمع المقدّس، لجميع المؤمنين، العقيدة التي يجب عليهم الإيمان والتمسك بها، بحسب إيمان الكنيسة القديم والثابت في ما يتعلّق بإنشاء وديمومة وطبيعة الأولية الرسولية المقدّسة، التي فيها قوّة الكنيسة كلها ومناعتها. وأن ننبذ وندين الأضاليل المناقضة المسيئة جدًا لقطيع الربّ.

الفصل ١ : إنشاء الأولية الرسولية في القديس بطرس

٣٠٥٣ – نعلّم إذن ونعلن، بحسب شهادات الإنجيل، أن أولية الولاية على كنيسة الله جمعاء قد وعد بها المسيح ربنا الرسول القديس بطرس وأعطاها له فورًا ومباشرة. فلسمعان وحده، الذي قال له سابقًا: «ستدعى كيفا» [يو ١ : ٤٢]، بعد أن اعترف به قائلاً: «أنت المسيح ابن الله الحي»، قال الربّ هذه الكلمات الجليلة: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، فإنه ليس اللحم والدم أعلنا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات. وأنا أقول لك أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي،

وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات» [مت ١٦:١٦ – ١٩]. ولسمعان بطرس وحده منح يسوع، بعد قيامته، ولاية الراعي والدليل الأعظم بالنسبة إلى قطعيه قائلاً: «إرع خرافي، إرع نعاجي» [يو ٢١، ١٥–١٧].

٣٠٥٤ – ٥ – إن هذه العقيدة الواضحة جدًا في الكتب المقدسة، كما فهمتها دائمًا الكنيسة الكاثوليكيّة، تقاومها علنا آراء خاطئة لأولئك الذين يفسدون صيغة الحكم التي أنشاها المسيح ربنا. فينكرون أن يكون بطرس وحده قد فضل على الرسل الآخرين، إفراديًا أو جماعيًا، فمنحه المسيح أولية ولاية حقيقية وبالمعنى الصحيح، أو لأولئك الذين يقولون إن تلك الأولية لم تمنح مباشرة وفورًا للقديس بطرس، ولكن للكنيسة، وبها إلى بطرس بصفة كونه خادمها.

[قانون] فمن يقول إن القديس بطرس الرسول لم يقمه المسيح ربنا رئيسًا على جميع الرسل ورأسًا منظورًا للكنيسة المجاهدة جمعاء؛ أو إن هذا الرسول عينه لم يتسلم مباشرة وفورًا من المسيح سوى أولية شرفية، لا أولية ولاية حقيقية وبالمعنى الصحيح، فليكن مبسلا.

الفصل ٢: ديمومة أولية بطرس

٣٠٥٦ – إن ما أنشأه المسيح ربنا، رئيس الرعاة والراعي الأعظم للخراف، في الرسول القديس، لخلاص الكنيسة الأبدي وخيرها الدائم، لا بد أن يتتابع بفضل المنشئ نفسه، بالضرورة ودون انقطاع، في الكنيسة، التي أسست على الصخر، فتستمر صامدة إلى منتهى الدهور. «لا أحد يشكّ وجميع الأجيال تعلم أن القديس بطرس المغبوط، رئيس الرسل وهامتهم، قد تسلّم مفاتيح الملكوت من ربنا يسوع المسيح، مخلص جنس البشر وفاديه: إلى الآن ودائمًا، يحيا ويرئس ويمارس سلطة الحكم في شخص خلفائه، أحبار كرسي روما المقدّس الذي أسسه هو وقدسه بدمه»[1].

(١) خطاب الموفد البابويّ فيليب، في الجلسة الثالثة لمجمع أفسس، في ١١ تموز ٤٣١.

٣٠٥٧ – فمن ثم كل من يخلف بطرس في ذلك المنبر، يتسلّم، بفريضة المسيح نفسه، أولية بطرس على الكنيسة جمعاء. «هكذا يبقى ما أمرت به الحقيقة، والقديس بطرس، الذي يحفظ دومًا صلابة الصخر تلك التي تسلمها، لا يتخلّى عن دفة السفينة»[٢]. لهذا السبب «كان دائمًا من الضروري لكل كنيسة، أيّ للمؤمنين الآتين من كل صوب، أن تتجه إلى الكنيسة الرومانيّة، لأوليتها المتفوقة» حتّى يكونوا واحدًا في هذا الكرسيّ الذي منه تتفرع نحو الجميع «حقوق الشركة الجليلة»[٣]، مثل أعضاء متحدين بالرأس في هيكلية جسم.

٣٠٥٨ [قانون] فمن يقول إذن إنه ليس من فريضة المسيح الربّ نفسه أو من حقّ إلٰهيّ أن يكون لبطرس المغبوط خلفاء دائمون في الأولية، فليكن مبسلا.

الفصل ٣: سلطان أولية الحبر الرومانيّة وطبيعتها

[٣٠٥٩: وصف الأولية. – ٣٠٦٠: ولاية البابا العامّة. – ٣٠٦١: ولاية الأساقفة على القطيع الخاص الموكل إليهم. – ٣٠٦٢: حرية البابا في العلاقات بجميع المؤمنين. – ٣٠٦٣: البابا الحاكم الأعلى. – ٣٠٦٤: العقوبات].

٣٠٥٩ – لذلك، فاعتمادًا على شهادات الكتب المقدّسة الواضحة، وانسجامًا مع المراسيم التي حددها بصراحة سلفاؤنا، الأحبار الرومانيون، والمجامع العامّة، نجدد تحديد مجمع فلورنسا المسكوني، الذي فرض على المؤمنين أن يؤمنو «بأن الكرسيّ الرسوليّ المقدس، والحبر الروماني، لهما الأولية على المسكونة كلها، وان الحبر الروماني نفسه هو خليفة بطرس المغبوط، رئيس الرسل ونائب المسيح الحقيقي، رأس الكنيسة جمعاء، أبو جميع المسيحيّين ومعلمهم. وأن ربنا يسوع المسيح قد منحه، في شخص بطرس المغبوط، السلطان الكامل لرعاية وإدارة وسياسة الكنيسة الجامعة، كما ورد في أعمال المجامع المسكونية وفي القوانين المقدّسة» [١٣٠٧].

(٢) لاون الكبير.

(٣) ايرينوس أسقف ليون

٣٠٦٠ – وهكذا إذن نعلّم ونعلن أن الكنيسة الرومانية لها، بتدبير الربّ، على (الكنائس) الأخرى جميعها، أولية سلطان عادي، وأن سلطان الحبر الروماني هذا، الذي هو أسقفي حقًا، هو مباشر. فعلى جميع الرعاة، من كل الطقوس وكل المراتب، وعلى المؤمنين، إفراديًا أو جماعيًا، واجب الخضوع التراتبيّ والطاعة الحقيقية، لا في المسائل المتعلّقة بالإيمان والأخلاق فحسب، ولكن أيضا في تلك المرتبطة بالنظام وسياسة الكنيسة المنتشرة في العالم كله. بحيث تكون الكنيسة وهي تحافظ على وحدة الشركة و إعلان الإيمان مع الحبر الروماني، رعية واحدة لراعٍ واحدٍ [يو ١٠ : ١٦]. هذه هي عقيدة الحقيقة الكاثوليكية، التي لا يستطيع أحد أن يزيغ عنها دون خطر على الإيمان والخلاص.

٣٠٦١ – ولكن حاشا أن يكون سلطان الحبر الأعظم هذا حاجزًا لسلطان الولاية الأسقفية العادي والمباشر الذي به يرعى الأساقفة الذين أقامهم الروح القدس [ر. أع. ٢٠، ٢٨] خلفاء للرسل، ويسوسون كرعاة حقيقين، كل واحد الرعية التي وكلت إليه وبالعكس، إن الراعي الأعظم والعامّ يؤكد ويثبت هذا السلطان ويحامي عنه، كما يقول القديس غريغوريوس الكبير: «شرفي هو شرف الكنيسة جمعاء. شرفي في القوّة الصلبة لأخوتي. فأنا مكرَّم حقًا عندما يعطى كل واحد الإكرام الواجب له».

٣٠٦٢ – وعلاوة على ذلك، ينتج من هذا السلطان الأعظم الذي للحبر الروماني، أن يسوس الكنيسة جمعاء، الحق له أن يتصل بحرية، في ممارسة مهمته، بالرعاة والرعايا في الكنيسة جمعاء، حتّى يتمكّن من تعليمهم وسياستهم في طريق الخلاص. لذلك ندين ونرذل آراء من يقولون إنه يجوز شرعيًا الحؤول دون اتصال الرئيس الأعلى هذا بالرعاة والرعايا، أو يخضعونه للسلطة المدنية، بحجة أن ما يقرره الكرسيّ الرسوليّ، أو يقرر بسلطانه لسياسة الكنيسة، ليس له قوّة ولا قيمة ما لم تثبته موافقة السلطة المدنية.

٣٠٦٤ – [قانون] فمن يقول إذن إن للحبر الروماني مهمة المراقبة والتوجيه فقط، لا سلطانًا كاملاً أعظم للولاية على الكنيسة جمعاء، لا في ما يتعلّق بالإيمان والأخلاق فقط، ولكن أيضًا في ما يتعلّق بالنظام وسياسة الكنيسة المنتشرة في العالم كله، أو

إن له الجزء الأهم لا كمال هذا السلطان الأعظم كله، أو إن هذا السلطان ليس عاديًا ومباشرًا على جميع الكنائس وعلى كل واحد منها، كما على جميع الرعاة والمؤمنين وعلى كل واحد منهم فليكن مبسلا.

الفصل ٤: السلطان التعليمي للحبر الروماني

[٣٠٦٥ – ٣٠٦٨: شهادات المجامع المسكونية. – ٣٠٦٩: السلطان التعليميّ اعترف به معصومًا في الواقع....: طبيعة عصمة البابا، وموضوعها، وغايتها. ٣٠٧٢ – ٣٠٧٤: تحديدها. – ٣٠٧٥: العقوبات].

٣٠٦٥ – إن احتواء الأولية الرسولية التي تسلّمها الحبر الروماني بكونه خليفة بطرس، زعيم الرسل، على الكنيسة جمعاء، لسلطان التعليم الأعلى أيضًا، أمر تمسك به الكرسيّ الرسوليّ المقدّس دائمًا، وثبتته ممارسة الكنائس المستمرة، وما أعلنته المجامع المسكونية، ولا سيّما تلك التي تلاقى فيها الشرق والغرب في وحدة الإيمان والمحبّة.

٣٠٦٦ – فآباء مجمع القسطنطينية السادس، قد أصدروا، على أثر الأقدمين، هذا الإعلان الإيماني الجليل: إن الشرط الأول للخلاص هو الحفاظ على قاعدة الإيمان القويم [...]. ولأنه يستحيل إهمال كلام ربنا يسوع المسيح القائل: «أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي» [مت ١٦ :١٨]، برهنت الوقائع، على ما قيل، فالديانة الكاثوليكيّة قد حفظت بلا شائبة عند الكرسيّ الرسوليّ، والعقيدة احتفي بها بقداسة. ولأننا لا نبغي إذن الانفصال عن هذا الإيمان وهذه العقيدة [...] فرجاؤنا أن نستحق ونكون في الشركة الواحدة التي ينادي بها الكرسيّ الرسوليّ، والتي فيها قوّة الديانة المسيحيّة سالمة وحقيقية» [٣٦٣ – ٣٦٥].

٣٠٦٧ – وقد اعترف الشرقيون، بموافقة مجمع ليون الثاني، أن «الكنيسة الرومانية المقدّسة لها الأولية والسلطة العليا والكاملة على الكنيسة الكاثوليكيّة. وهي تعترف بصدق وتواضع أنها تسلمتها مع كمال السلطان من الربّ نفسه، في شخص بطرس

المغبوط، رئيس وهامة الرسل، الذي خليفته هو الحبر الروماني. وبما أن عليها قبل الآخرين أن تدافع عن حقيقة الإيمان، فالمسائل التي تثار عن الإيمان يجب أن يحددها حكمها» [٨٦١].

٣٠٦٨ – أخيرًا حدد مجمع فلورنسا أن «الحبر الروماني هو نائب المسيح الحقيقي، ورأس الكنيسة كلها، وأبو جميع المسيحيين ومعلمهم. وأن ربنا يسوع المسيح أعطاه في شخص بطرس المغبوط السلطان الكامل لرعاية الكنيسة جمعاء وإدارتها وسياستها» [١٣٠٧].

٣٠٦٩ – وقد عمل أسلافنا دون تعب، اضطلاعًا بمهمتهم الرعائية، على نشر عقيدة المسيح الخلاصية بين شعوب الأرض كلها، وسهروا بعناية مماثلة على حفظها أصيلة نقية حيث اقتبلت. لذلك أبلغ أساقفة العالم كله، إفراديًا أحيانًا وأحيانًا مجتمعين في سينودس، على حساب عادة الكنائس المديدة وصيغ القاعدة القديمة، الكرسيّ الرسوليّ الأخطار الخاصّة التي كانت تبرز في موضوع الإيمان، حتّى يُرَدَّ الأذى الذي لحق بالإيمان حيث لا يمكن هذا أن يضعف.

ولقد حدد الأحبار الرومانيون، بحسب ما تقتضيه ظروف الزمان والأحداث، أحيانًا بالدعوة إلى مجامع مسكونية أو باستطلاع رأي الكنيسة المنتشرة في الأرض، وأحيانًا بسينودسات خاصّة، وأحيانًا بوسائل أخرى توفرها لهم العناية، ما يجب التمسّك به مما عرفوا، بعون الله، أنه منسجم مع الكتب المقدّسة والتقاليد الرسوليّة.

٣٠٧٠ – فالروح القدس لم يوعد به خلفاء بطرس لكي يعرفوا بوحيه عقيدة جديدة، بل لكي يجعلهم بعونه يحفظون بقداسة ويبسطون بأمانة، الوحي عن الرسل، أيّ وديعة الإيمان. وعقيدتهم الرسوليّة تقبلها جميع الآباء الأجلاء، واتبعها الملافنة القديسون القويمو الإيمان. إنهم كانوا يعلمون جيدًا أن كرسيّ بطرس هذا، سيبقى نقيًا من كل ضلال، بحسب ما وعد به ربّنا ومخلّصنا زعيم الرسل: «لقد صليت لأجلك، لكي لا يزول إيمانك. وأنت متّى عدت فثبت إخوتك» [لو ٢٢ : ٣٢].

٣٠٧١ – إن موهبة الحقيقة والإيمان الذي لا يزيغ إلى الأبد قد منحها الله لبطرس

وخلفائه على هذا المنبر، ليتموا مهمتهم الساميّة لخلاص الجميع، حتّى يغذى قطيع المسيح العامّ، بعيدًا عن أطعمة الضلال السامة، بالعقيدة الإلٰهيّة وتحفظ الكنيسة بكاملها في الوحدة، بإقصاء كل سبب انشقاق، وتقوم على أساسها ثابتة تقاوم أبواب الجحيم.

٣٠٧٢ – ولكن بما أن هذا الزمان، الذي يقتضي جدًا فاعلية خلاصية للمهمة الرسولية، لا يخلو من أناس ينازعون في سلطانها، فنحن نرى من الضرورة المطلقة أن نؤكد علنًا الامتياز الذي تنازل ابن الله الوحيد وربطه بالوظيفة الرعائية السميا.

٣٠٧٣ – لذلك نتمسك بأمانة بالتقليد الوارد منذ بدء الإيمان المسيحيّ لمجد الله مخلصنا، ورفع شأن الديانة الكاثوليكيّة وخلاص الشعب المسيحيّ، ونعلم بموافقة المجمع المقدّس. كعقيدة أوحى بها الله:

٣٠٧٤ – أن الحبر الروماني، عندما يتكلّم رسميًا (من على المنبر)، أي عندما يحدد، وهو يقوم بمهمته كراع ومعلّم لجميع المسيحيّين، بسلطانه الرسوليّ الأسمى، أنه من واجب الكنيسة جمعاء التمسك بعقيدة في موضوع الإيمان أو الأخلاق، فهو يتمتع، بفعل العون الإلٰهيّ، الذي وعد به في شخص القديس بطرس، بتلك العصمة التي أراد الفادي الإلٰهيّ أن تكون للكنيسة عندما تحدد عقيدة في الإيمان والأخلاق. وبالتالي، تكون تحديدات الحبر الروماني هذه غير قابلة للإصلاح بذاتها وليس بفعل موافقة الكنيسة.

٣٠٧٥ – [قانون] من يتجاسر، لا سمح الله، على مناقضة تحديدنا، فليكن مبسلا.

٣١٠٠ – ٣١٠٢ – جواب المجمع المقدّس للنائب الأسقفي في أوقيانيا الوسطى، ١٨ كانون الأوّل ١٨٧٢

الإيمان ونيّة خادم السرّ

٣١٠٠ – أسئلة: ١ – هل تكون المعموديّة التي منحها أولئك الهراطقة [الميثوديون] موضوع شكّ بسبب نقص نيّة فعل ما أراده المسيح، إذا قال الخادم بصراحة، قبل التعميد، إن المعمودية لا مفعول لها في النفس؟

٣١٠١ – ٢ – هل تكون المعموديّة التي منحت على هذا الوجه موضوع شكّ إذا لم يتم ذلك الإعلان صراحة وفورًا قبل منح المعموديّة، ولكن ردده الخادم مرارًا، وكانت هذه العقيدة معلنة بصراحة في هذه البدعة؟

٣١٠٢ – جواب: لقد عولج هذا الشكّ في الزمن الماضي، وكان الجواب لمصلحة صحّة المعمودية، كما يمكنك أن ترى ذلك عند بندكتوس الرابع عشر De synodis dioecesanis VII, 6, n. 9 حيث يقول: ليحترز الأسقف من أن يعد صحّة معموديّة غير أكيدة ومشكوك فيها، لسبب واحد هو أن الخادم الهرطوقي الذي منحها، بما أنه لا يؤمن أن الخطايا تنزع بغسل الولادة الجديدة، فهو لم يمنحها لمغفرة الخطايا، ولم يكن إذن ينوي لإتمامها على حساب ما وضعها المسيح الربّ...» والسبب في ذلك قد أوضحه الكردينال بيلرمان في De Sacramentis in genere I. 27, n. 13 بعد عرضه ضلال من... يقولون إنه في القانون ١١ من الجلسة ١٧ حدد المجمع التريدنتيني [١٦١١] أن السرّ لا يكون صحيحًا إلاّ إذا نوى الخادم لا منح السرّ فقط وإنما غايته أيضًا، أيّ إذا كانت نيّته فعل ما جعل السرّ لأجله، يضيف ما يلي: «... في القانون ١١ كله لا يذكر المجمع غاية السرّ، ولا يقول إنه من الواجب أن ينوي الخادم فعل ما هو نيّة الكنيسة ولكن ما تفعله الكنيسة. وما تفعله الكنيسة. لا يعني الغاية وإنما الفعل...».

لذلك يؤكد إنوشنتيوس الرابع في De baptismo, 2, n. 9 أن المعموديّة تكون صحيحة إذا منحها مسلم يعرف عنه أنه يعتقد بأن التغطيس يبلل فقط، ما دام ينوي فعل ما يفعله الآخرون الذين يعمدون.

٣١٠٣ – نتيجة الجواب: عن ١: كلا، لأنه رغم الضلال في شأن مفاعيل المعموديّة لم تقص نيّة فعل ما تفعله الكنيسة

٣١٠٤ – عن ٢: الجواب في ١.

٣١٠٥ – ٣١٠٩ – تعليم مجمع نشر الإيمان المقدّس في ١٨٧٣

كسب من قرض

نتيجة [مأخوذة من جميع الحلول المذكورة في التعليم]

٣١٠٥ – ١ – يجب القول، على وجه العموم، في شأن الكسب المحرز من قرض، إنه لا يمكن أخذ أيّ شيء بقوّة القرض، أيّ على وجه مباشر وبسببه فقط.

٣١٠٦ – ٢ – إحراز شيء علاوة على رأس المال حلال، إذا أضيف ذلك إلى القرض بناء على مستند خارجيّ ليس مرتبطًا على العموم بالقرض، ولا داخلاً فيه بطبيعته.

٣١٠٧ – ٣ – إذا لم يكن هناك مستند آخر من مثل كسب ينقطع، خسارة تحصل، خطر خسارة رأس المال، أو جهود تبذل لتحصيل رأس المال، فبالإمكان أيضًا حسبان الشريعة المدنية مستندًا كافيًا عمليًا، من قبل المؤمنين ومعرفيهم، الذين لا يسوغ لهم إذن إقلاق التائبين في هذا الشأن، ما دامت هذه المسألة قيد الحكم، والكرسيّ المقدّس لم يحددها بوضوح.

٣١٠٨ – ٤ – التسامح في هذه الممارسة لا يمكن أن يتطاول حتّى يجعل الربا صالحًا، مهما كان صغيرًا، بالنسبة إلى الفقراء، أو ربا بالغًا يتخطّى حدود الانصاف الطبيعيّ.

٣١٠٩ – ٥ – أخيرًا يستحيل أن يحدد بوجه عامّ مبلغ الربا الذي يجب أن يعد بالغًا ومُغاليًا، والذي يجب أن يعد عادلاً ومعتدلاً، إذ ينبغي أن يقدر ذلك في كل حالة خاصّة، مع النظر إلى ظروف الأمكنة والأشخاص والزمان.

٣١١٢ – ٣١١٧ – جواب عن منشور لبسمارك في شأن تأويل دستور «Pastor aeternus» الصادر عن المجمع الفاتيكاني الأول، كانون الثاني – آذار ١٨٧٥

ولاية البابا والأساقفة

أ) – تصريح مشترك لأساقفة ألمانيا، كانون الثاني – شباط ١٨٧٥

٣١١٢ – [عقيدة خاطئة] يزعم المنشور، في شأن مقررات المجمع الفاتيكاني:
«أن البابا هو قادر، من الآن فصاعدًا، بهذه المقررات، على أن يأخذ لنفسه في

كل أبرشية، حقوق الأسقف، ويقيم السلطان الحبري مكان سلطان الأساقفة المحليين».

«الولاية البابوية تبتلع الولاية الأسقفية»

«أن البابا لا يمارس، كما في الماضي، بعض الحقوق المحفوظة، المحددة، بل أصبح السلطان الأسقفي بملئه وكماله بين يديه». «إن البابا يقوم مبدئيًا مقام كل أسقف بمفرده، وللبابا وحده أن يضع نفسه عمليًا وفي كل وقت موضع الأسقف إزاء الحكومات».

«لم يعد الأساقفة سوى أدواته وموظفيه دون مسؤولية خاصة».

«أصبحوا، إزاء الحكومات، موظفي رئيس غريب، وفي الحقيقة، رئيس هو، بفعل عصمته، رئيس مطلق الصلاحية تمامًا، أكثر من أيّ حاكم فرد مطلق الصلاحية في العالم».

جميع هذه الاطروحات هي بلا أساس، وهي تناقض بلا ريب نص مقررات المجمع الفاتيكاني ومعناها، ذلك النص وذلك المعنى اللذين نشرهما وأعلنها البابا، والأساقفة، وممثلو العالم الكاثوليكيّ.

٣١١٣ - [عقيدة صحيحة] لا ريب أن مقررات المجمع تقول إن سلطان ولاية البابا الكنسية هو: سلطان أسمى، عادي ومباشر، سلطة حكم سميا، أولاها يسوع المسيح ابن الله للبابا في شخص القديس بطرس، تمتد مباشرة إلى الكنيسة جمعاء، وبالتالي إلى كل أبرشية وإلى جميع المؤمنين، للحفاظ على وحدة الإيمان والنظام والسياسة في الكنيسة، وليس مجرد منحة تقوم على بعض الحقوق المحفوظة. ولكن ليس هناك عقيدة جديدة، إنها حقيقة معترف بها في الإيمان الكاثوليكيّ... أوضحها وثبّتها حديثًا المجمع الفاتيكاني... ضد أضاليل الغاليكانيين، والجانسينيين، والفبرونيين. والبابا، بموجب عقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة هذه، هو أسقف روما، وليس أسقفًا لأبرشية أخرى أو مدينة أخرى، فليس هو أسقف برسلو، أو أسقف كولن... وبصفة كونه أسقفًا لروما هو بابا، أيّ راعيًا ورئيسًا أعلى للكنيسة جمعاء، رئيسًا لجميع الأساقفة والمؤمنين، ومن الواجب الاحترام

والإصغاء لسلطانه البابويّ في كل مكان وعلى الدوام، وليس فقط في حالات خاصّة واستثنائية. لا بد للبابا، في هذا المنصب، من السهر على أن يقوم كل أسقف بواجبه على ما تقتضيه مهمته. وإذا منع أسقف من ذلك، أو إذا بدت حاجة لذلك، فللبابا الحق وعليه الواجب، لا بصفة كونه أسقفًا للأبرشية، وإنما بابا، أن يوعز بكل ما هو ضروريّ لإدارة الإبرشيّة.

٣١١٤ – إن مقررات المجمع لا تعطي أيّ حجة للزعم أن البابا قد أصبح بموجبها رئيسًا مطلق الصلاحية، وبموجب عصمته، رئيسًا مطلق الصلاحية تمامًا أكثر من أيّ حاكم فرد مطلق الصلاحية في العالم...

فأوّلاً إن نطاق سلطة البابا الكنسية يختلف في جوهره عن ذاك الذي لسلطة الحكام الزمنية. ولذلك فالكاثوليكيون لا ينكرون على الإطلاق رئاسة رؤسائهم في المجال المدنيّ. وبغض النظر عن ذلك كله، لا يمكن أيضًا أن يوصف البابا بأنه حاكم بأمره مطلق في النطاق الكنسيّ، لأنه هو أيضًا خاضع للحق الإلهيّ، ومقيد بما رسمه يسوع المسيح للكنيسة. فليس في استطاعته تغيير الدستور الذي وضعه للكنيسة مؤسسها الإلهيّ، كما يستطيع المشترع الزمنيّ أن يغير دستور الدولة. فدستور الكنيسة مؤسس في كل نقاطه الجوهريّة على ما رسمه الله، ويبقى بعيدًا عن متناول التحكم البشريّ.

٣١١٥ – إن الأسقفية قد أقيمت بقوّة الفريضة الإلهيّة نفسها التي تقوم عليها البابوية، فلها هي أيضًا حقوق وعليها واجبات بموجب هذه الفريضة التي فرضها الله نفسه، والتي لا يحق للبابا وليس في استطاعته أن يغيرها. فمن الضلال العامّ الاعتقاد بأن «ولاية البابا تمتص الولاية الأسقفية»، وأن البابا «يقوم مقام كل أسقف بمفرده»، وأن الأساقفة لم يعودوا سوى «أدوات للبابا وموظفيه بدون أيّ مسؤولية خاصّة»... وهذا القول الأخير... لا يسعنا إلاّ أن ننكره بحزم. فليس في الكنيسة الكاثوليكيّة قبول للمبدإ غير الأخلاقيّ والتعسفي بأن أمر الرئيس يعفي بدون إستثناء من المسؤولية الشخصيّة.

٣١١٦ – أخيرًا، القول بأن البابا قد صار «بقوة عصمته، رئيسًا مطلق الصلاحية تمامًا»

يرتكز على فكرة مخطئة تمامًا عن عقيدة العصمة البابوية. فالعصمة، كما أعلنها المجمع الفاتيكاني بكلام واضح وصريح، وكما ينتج ذلك من طبيعة الشيء نفسها، لا تعود إلاّ إلى صفة لسلطان الحبر الأعظم التعليمي. وسلطانه هذا هو في نطاق سلطة تعليم الكنيسة المعصوم نفسه، وهو مرتبط بمضمون الكتاب المقدّس والتقليد كما بالمقررات العقيدية الصادرة سابقًا في تعليم الكنيسة. في ممارسة السلطان البابويّ لم يتغيّر شيء على الإطلاق.

ب) – الرسالة الرسوليّة «Mirabilis illa constantia» إلى أساقفة ألمانيا، ٤ آذار ١٨٧٥

٣١١٧ – ... لقد حافظتم من جديد، أيها الأخوة الأحباء، على مجد الكنيسة هذا، عندما رحتم تبسطون المعنى الحقيقي لمراسيم المجمع الفاتيكاني، التي شوهت على وجه مصطنع، في منشور صدر علنًا، وحلتم هكذا دون أن يتكوّن لدى المؤمنين مفاهيم خاطئة، وأن يتسبب تزوير مقيت في عرقلة حرية انتخاب حبر جديد. إن تصريحكم الجماعيّ يتميّز جدًا بوضوحه وصحته بحيث لا يفوته شيء، فكان لنا سبب فرح كبير ولم يعد هناك حاجة أن نزيد عليه شيئًا. ولكن الأقوال الكاذبة في بعض الأوراق الدورية تقتضي منا شهادة رسمية أكثر على موافقتنا، فهي تتجرأ، في سبيل الحفاظ على ما ورد في المنشور المذكور وقد نقضتموه، على رفض تصديق شروحاتكم، بحجة أن تأويلكم لمراسيم المجمع لم يكن سوى تأويل ملطف وأنه لا يتواءم ونوايا هذا الكرسيّ الرسوليّ.

فنحن إذن نستنكر بكل وضوح ذلك الافتراض الماكر والمفتئت، فتصريحكم يبسط العقيدة الكاثوليكيّة الصافية، وبالتالي تلك التي لهذا الكرسيّ الرسوليّ، المثبتة تمامًا والموضحة ببينات جلية لا ترد، بحيث تدل كل إنسان سليم الطوية على أنه ليس في المراسيم المتهمّة أيّ شيء جديد على الإطلاق، أو شيء يحدث أيّ تغيير في العلائق القائمة حتّى الآن، أو يوفّر حجة للتشديد أيضًا في مضايقة الكنيسة...

٣١٢١ – ٣١٢٤ – مرسوم المجمع المقدّس، ٧ تموز ١٨٧٥

عقيدة التحوّل الجوهريّ في الإفخارستيّا

٣١٢١ – سؤال: هل يمكن التغاضي عن شرح التحوّل الجوهريّ في الإفخارستيّا الجزيلة القداسة، المختصر في المقولات التالية:

١ – كما أنّ العلّة الصورية للأقنوم (الشخص) هي الكينونة بالذات، أو القيام بالذات، كذلك العلّة الصورية للجوهر هي الكينونة في الذات، وأن لا يكون قائمًا بالفعل في آخر كما في ذات أولى. فلا بدّ من التمييز بوضوح بين الاثنين: الكينونة بالذات، (التي هي العلّة الصورية للأقنوم)، والكينونة في الذات (التي هي العلّة الصورية للجوهر).

٣١٢٢ – ٢ – لذلك، كما أن الطبيعة البشرية في المسيح ليست أقنومًا، إذ لا تقوم بذاتها ولكن الأقنوم الأسمى الإلٰهيّ قد أتخذها، كذلك الجوهر المحدود – الخبز مثلا – لا يبقى جوهرًا من بعد، لعلّة واحدة، وبدون تحوّل آخر فيه، أنه قائم، على وجه فائق الطبيعة، في آخر، بحيث لم يعد في ذاته ولكن في آخر كما في ذات أولى.

٣١٢٣ – ٣ – لذلك فإن التحوّل الجوهري، أو تحوّل جوهر الخبز كله إلى جوهر جسد ربّنا يسوع المسيح، يمكن شرحه بهذا المعنى أن جسد المسيح، عندما يكون حاضرًا بجوهره في الإفخارستيّا، يسند طبيعة الخبز فلا تبقى جوهرًا من بعد لعلّة واحدة، وبدون تحوّل آخر فيها، أنها ليست في ذاتها، ولكن في آخر يسندها. وبالتالي تبقى طبيعة الخبز، ولكن العلّة الصورية للجوهر تزول فيها. لذلك ليس هناك جوهران وإنما واحد: أيّ جوهر جسد المسيح.

٣١٢٤ – ينتج من ذلك أن المادّة والصورة لعناصر الخبز تبقيان في الإفخارستيّا، ولكنها ببقائها في آخر على وجه فائق الطبيعة، لا تبقى لها علّة الجوهر، بل علّة عرض فائق الطبيعة، لا كما لو كانتا مرتبطتين بجسد المسيح مثل أعراض طبيعية، ولكن لأنها قائمتان فقط بجسد المسيح على الوجه المذكور.

الجواب: لا يمكن التغاضي عنها كما وردت هنا.

٣١٢٦ – تعليم المجمع المقدس إلى أسقف نسكالّي، ٢٤ كانون الثاني ١٨٧٧

إيمان خادم السر ونيته

٣١٢٦ – ... تعلم عظمتكم أن من قواعد الإيمان أن المعمودية التي يمنحها إنسان، أكان منشقًا أم هرطوقيًا أم حتى غير مؤمن، يجب أن تعد صحيحة، إذا ما تواءمت في إقامتها العناصر المختلفة التي بها يتم السر، أي المادة المطلوبة، والصيغة المفروضة، وشخص الخادم مع نية عمل ما تعمل الكنيسة. وينتج من ذلك أن أضاليل خاصة يقول بها من يمنحونها في العلن أو في السر، لا تستطيع أن تسيء إلى صحة المعمودية أو أي سر آخر.. وأكثر من ذلك... إن أضاليل خاصة بمن يمنحونها لا تزيل بذاتها وبطبيعتها الخاصة هذه النية التي يجب أن تكون للخادم، أي عمل ما تعمله الكنيسة [يذكر بجواب المجمع المقدس، في ١٨ كانون الأول ١٨٧٢، راجع ٣١٠٠ – ٣١٠٢].

ترى عظمتكم بالتالي ... أن الأضاليل التي يقول بها الهراطقة ... ليست حائلاً دون وجود هذه النية التي يجب أن تكون لخادم الأسرار في شأن ضرورة هذه الأسرار، أي عمل ما تعمله الكنيسة، أو عمل ما أراد المسيح أن يعمل. وهذه الأضاليل لا تستطيع أن تؤدي بحد ذاتها إلى قرينة عامة ضد صحة الأسرار عمومًا والمعمودية خصوصاً، بحيث يمكن الاستناد إلى مجرد هذا الواقع لوضع مبدإ عملي ينطبق على جميع الحالات، ويعتمد عليه قَبْلِيًّا بوجه من الوجوه، كما يقولون، للإلزام بمنح المعمودية من جديد.

لاون الثالث عشر: ٢٠ شباط ١٨٧٨ – ٢٠ تموز ١٩٠٣

٣١٢٨ – مرسوم المجمع المقدس، ٢٠ تشرين الثاني ١٨٧٨

منح المعمودية بشرط أو بدون شرط

٣١٢٨ – سؤال: هل يجب منح المعمودية بشرط لهراطقة يهتدون إلى الديانة الكاثوليكية، مهما كان المكان الذي يأتون منه، والبدعة التي ينتمون إليها؟

جواب: كلا. يجب بالعكس، عند اهتداء هراطقة، مهما كان المكان الذي يأتون منه والبدعة التي ينتمون إليها، التقصي عن صحة المعمودية التي منحت لهم في الهرطقة. وإذا تبين بعد الفحص حالة بحالة، أنهم لم يعمدوا، أوكانت معموديتهم باطلة، يجب أن يعمدوا دون شرط. أما إذا لم يوجد شيء، بعد التقصي، لأسباب تتعلق بالزمان والمكان، لإثبات صحة المعمودية أو عدمها، أو إذا بقي ريب محتمل في صحة المعمودية، فلا بد عندئذ من أن يعمدوا بالخفاء بشرط. وإذا تبين أخيرًا أن المعمودية صحيحة، فيطلب منهم الكفر بالضلال أو الاعتراف بالإيمان.

٣١٣٠ – ٣١٣٣ – الرسالة العامة "Quod apostolici muneris"، ٢٨ كانون الأوّل ١٨٧٨

حقوق الإنسان في المجتمع

٣١٣٠ – تقوم المساواة بين البشر، بحسب تعاليم الإنجيل، على هذا: أنهم بكونهم نالوا طبيعة واحدة، فهم مدعوون إلى الكرامة السميا الواحدة بأن يكونوا أبناء الله، وبما أن هناك، في الوقت ذاته، نفس الغاية الواحدة الأخيرة للجميع، فيجب أن يدان كل واحد بحسب شريعة واحدة، والحصول على العقاب أو المكافأة بحسب استحقاقه.

٣١٣١ – إلا أن التفاوت في الحق والسلطان يتأتى من خالق الطبيعة ذاته: «الذي منه تنبثق كل أبوة في السماوات وعلى الأرض» [أف ٣: ١٥]. ولكن قلوب الرؤساء والمرؤوسين لها، بحسب العقيدة والفرائض الكاثوليكية، من الارتباط الوثيق بالواجبات والحقوق، ما يردّ جماح شهوة السلطة من جهة ويجعل الطاعة من جهة أخرى سهلة ثابتة وأكثر نبلا.

٣١٣٢ – أما إذا حدث أن يمارس الرؤساء السلطة بتهور متخطين القياس، فالعقيدة الكاثوليكية لا تجيز القيام عليهم من تلقاء الذات، خشية أن تزداد بلبلة النظام، ويلحق ذلك بالمجتمع أذى أكبر. وعندما تصل الأمور إلى حد لا يبدو عنده أي أمل آخر في الخلاص، فهي تعلم أن العلاج يجب أن ينضج بفضل الصبر

المسيحي والإلحاح بالصلاة إلى الله. ولكن إذا أقرت أوامر المشترعين والرؤساء أشياء تناقض الشريعة الإلهية والطبيعة، أوعزت بها، فكرامة الاسم المسيحي وواجبه، ووصية الرسول كذلك، تعلم وجوب الطاعة لله أكثر مما للناس [أع ٥: ٢٩]...

٣١٣٣ - أما الاستقرار العام والداخلي فقد عالجته بفطنة الحكمة الكاثوليكية المستندة إلى وصايا الشريعة الإلهية والطبيعية، بما تتمسك به وتعلمه عن حق الملكية، وتوزيع الخيرات المعدة لضرورة الحياة ومنفعتها. إذ، بينما يبدي الاشتراكيون عن خطإ حق الملكية كأنه اختراع بشري تأباه المساواة الطبيعية بين الناس، ويفكرون، وهم يدعون إلى الملكية المشتركة، بأنه من الواجب ألا يحتمل الفقر بنفس رضية، وأنه من الممكن التعدي ببراءة على أملاك مَن هم أغنى وعلى حقوقهم، ترى الكنيسة، على وجه أكثر جدوى وحكمة أن التفاوت بين الناس، المختلفين بطبيعتهم بقواهم الجسدية والعقلية، موجود أيضاً في امتلاك الخيرات، وتوعز بأن يبقى لكل واحد حق الملكية والتملك المتأتي من الطبيعة نفسه، سالمًا غير منتهك. فهي تعلم أن السرقة والاختلاس قد دانها الله، خالق كل حق وحافظه، بحيث لا يحل حتى إلقاء النظر [اشتهاء] على مال الغير، ويقصى السارقون واللصوص، مثل الزناة وعبدة الأوثان، من ملكوت السماوات [ر ١ كو ٦: ٩ - ١٠].

٣١٣٥ - ٣١٤٠ - الرسالة العامة "Aeterni Patris"، ٤ آب ١٨٧٩

أهمية الفلسفة لترسيخ الإيمان

٣١٣٥ - من الأكيد أننا لا ننسب إلى الفلسفة البشرية من القوة والسلطة ما يجعلنا نحسبها قادرة على مقاومة جميع الأضاليل أو القضاء عليها. فكما... أنه بنور الإيمان العجيب المنتشر «لا بكلام بليغ من حكمة بشرية» «بل ببيان الروح والقدرة» [١ كو ٢: ٤] قد أعيد العالم إلى كرامته الأولى، كذلك أيضاً الآن، علينا أن نترقب، قبل كل شيء، من قدرة الله وعونه... أن تعود عقول البشر إلى الحكمة.

ولكن ليس علينا أن نزدري أو نهمل المساعدات الطبيعية التي وضعت في تصرف

البشر، بنعمة من الحكمة الإلهية... وإجادة استعمال الفلسفة هي، من بين كل هذه المساعدات،واحدة ممتازة بلا ريب. فالله لم يزرع عبثا في روح الإنسان نور العقل، وحاشا لنور الإيمان المضاف أن يطفئ أو يضعف قدرة الذهن. وهو بالعكس، ينمي قدراته ويمكنه من أشياء أكبر أيضاً...

٣١٣٦ – وبدءًا تستطيع الفلسفة، عندما يستعملها الحكماء كما ينبغي، أن تمهد وترسخ السبيل إلى الإيمان الحقيقي، وأن تهيء عقول طلابها لتقبل الوحي.

وفي الواقع إن الله، بصلاحه اللامتناهي، لم يظهر في الشؤون الإلهية، بنور الإيمان فحسب، الحقائق التي لا يستطيع الذهن البشري إدراكها بذاته، بل أظهر بعضاً منها أيضاً، مما لا يعجز العقل تمامًا عن إدراكه، حتى يتمكن الجميع من معرفتها على الفور ومن غير أن يشوبها ضلال، إذ قد ثبتت بسلطان إلهي.

من هنا يحصل أن بعض الحقائق التي يعرضها الله للإيمان، أو التي تتصل بعقيدة الإيمان برباط وثيق جدًا، قد عرفها وبرهن عليها ودافع عنها كما ينبغي، حكماء من الأمم الوثنية، ينيرهم العقل الطبيعي فقط.

وهذه الحقائق التي عرفها حكماء الأمم الوثنية، من الموافق جدًا أن نحولها إلى فائدة العقيدة الموحى بها ومنفعتها، حتى نري بجلاء أن الحكمة البشرية هي أيضاً، وحتى شهادة الخصوم، تساندان الإيمان المسيحي...

٣١٣٧ – وعندما توضع هذه الأساسات هكذا وترسخ [بالفلسفة] يبقى استعمال الفلسفة الدائم والمتعدد مطلوبا حتى ينال اللاهوت المقدس ويتخذ طبيعة علم حقيقي وشكله وخاصيته. ففي هذه المادة، التي هي الأشرف من الكل، من الضروري جدًا أن تجمع أجزاء العقائد الإلهية الكثيرة والمتنوعة، في جسم واحد، وأن تتصل بعضها ببعض برباط ملائم، بعد تنسيقها في نظام، ووضع كل منها في مكانه، واستنتاجها من المبادئ الخاصة بها، وأخيرًا أن توثق جميعها وكل واحد منها ببراهين خاصة لا ترد.

ولا يمكن الصمت والازدراء حيال هذه المعرفة الأصح والأغنى للحقائق الإيمانية، وهذا الإدراك الأوضح قليلاً – على قدر المستطاع – لأسرار الإيمان نفسها، الذي

أثنى عليه القديس أغسطينوس وآباء آخرون، وسعوا إلى بلوغه، والذي أعلن عنه المجمع الفاتيكاني نفسه [الدستور عن الإيمان الكاثوليكي، الفصل ٤ رقم ٣٠١٦] أنه كثير الخصب...

٣١٣٨ – أخيرًا يعود أيضاً إلى النظم الفلسفية أن تحفظ بتقوى الحقائق الموحى بها إلهيًا، وأن تحارب من يتجاسرون على مهاجمتها. وفي هذا الشأن، إنه لمديح جزيل للفلسفة أن تعد كحصن للإيمان، وسور منيع للديانة. «صحيح، كما يشهد اكليمنضوس الإسكندري، أن عقيدة المخلص كاملة، وليست بحاجة إلى شيء، بما أنها قوة الله وحكمته، فإذا أضيفت إليها الفلسفة اليونانية، فهي لا تجعل الحقيقة أقوى، ولكن بما أنها تجعل هجوم السفسطة عاجزًا، وتمنع المساعي والمكايد التي هي ضد الحقيقة، فبحق تصور كأنها سياج الكرم وحائطه»...

تفوّق الطريقة المدرسية والسلطة العائدة للقديس توما الأكويني

٣١٣٩ – بين الملافنة المدرسيين يسمو، ومن عل، أميرهم ومعلمهم جميعًا، توما الأكويني، هو الذي كما يلاحظ كاجتان «بإكرامه إلى اقصى حد الملافنة القديسين، قد حاز بوجه من الوجوه فطنة الجميع». فقد أخذ توما وجمع عقائدهم كأعضاء جسم مشتتة، ونسقها في نظام عجيب جدًا، وأنماها على وجه جعله يعد بحق مدافعًا خاصاً عن الكنيسة وفخرًا لها...

٣١٤٠ – إننا، ونحن نعلن وجوب القبول برضى وشكر، لكل ما قيل بحكمة، وكلما ابتدع وفكر به للنفع، نحرضكم جميعًا... بإلحاح، دفاعًا عن الإيمان الكاثوليكي وكرامته، ولخير المجتمع، ولتنمية جميع العلوم، أن تعيدوا وتنشروا بأقصى ما يمكن حكمة القديس توما الذهبية. نقول حكمة القديس توما: لأنه إذا كان هناك ما يطلبه الملافنة المدرسيون برهافة كبيرة جدًا، أو علموه عن غير معرفة، أو كان شيء مخالفًا للعقائد المختبرة في الأزمنة السابقة، أو اخيرًا إذا لم يكن له أي نوع من الاحتمال، فنحن لا نريد أبدًا أن يعرض ذلك على عصرنا.

٣١٤٢ – ٣١٤٦ – الرسالة العامة "Arcanum divinae sapientiae"، ١٠ شباط ١٨٨٠

طبيعة الزواج المسيحي

٣١٤٢ – [يعلِّم التقليد كله] أن الرب يسوع قد رفع الزواج إلى كرامة سرّ، وجعل الزوجين، في الوقت عينه، يصلان إلى القداسة في الزواج، تكتنفهما وتشدّدهما نعمة السماء المتأتية من استحقاقاته، وأنه في الزواج، الذي مثّله، تمثيلاً عجيبًا، باتحاده السرّي بالكنيسة، جعل كاملاً الحب الذي في طبيعتنا، وجَمَع على وجه أوثق، برباط المحبّة الإلهية، أسرة الرجل والمرأة، غير القابلة للانفصام بطبيعتها.

٣١٤٣ – ولكن لم يُعط الكمال المسيحي وتمامه في ما ذُكر فحسب، لأن الأسرة الزوجية، أولاً، قد عُرض عليها أمر أسمى وأشرف مما كان سابقًا، إذ الغاية التي وضعت لها لم تكن فقط نشر الجنس البشري، وإنما إنجاب نسل للكنيسة، من «مواطني القديسين وأهل بيت الله» [أف ٢ : ١٩]...

وثانيًا إن واجبات كل من الزوجين محدّدة وحقوقهما موصوفة تمامًا، فعليهما أن يتذكرا دومًا أن لكل منهما على الآخر واجب الحب الأعظم، والأمانة الدائمة، والمساعدة المبتدِعَة والدؤوبة. إن الرجل رئيس الأسرة ورأس المرأة. ولكن هذه، بما انها لحم من لحمه، وعظم من عظامه، عليها أن تخضع للرجل وتطيعه لا كخادمة وإنما كرفيقة، بحيث تكون الطاعة له لا تخلو من الكرامة والشرف. ولكن بين الذي يرئس والتي تطيع، بما أنهما صورة، واحد للمسيح، والأخرى للكنيسة، فلا بدّ من أن تكون المحبة الإلهية دائمًا قاعدة الواجب...

سلطة الكنيسة على الزواج المسيحي

٣١٤٤ – إذن بعد أن جدّد المسيح الزواج هكذا، ورفعه إلى كمال سام، وضع بين يدي الكنيسة واستودعها نظامه كلّه، وقد مارست الكنيسة هذه السلطة على زواج المسيحيين في كل زمان ومكان، وفعلت ذلك مبيّنة أن هذا السلطان هو خاص بها، وغير صادر عن تنازل من البشر، ولكنه منحة إلهية من إرادة مؤسّسها...

كذلك وُضع حقٌّ زواج متساوٍ وواحد للجميع، بإلغاء التمييز القديم بين عبيد وأناس أحرار. حقوق المرأة والرجل متساوية، لأنه، كما يقول إيرونيموس: «عندنا ما لا يحلّ للنساء لا يحلّ للرجال، والعبودية هي نفسها في الحالة نفسها». وهذه الحقوق ذاتها ثُبّتت ورُسّخت لأن المحاسنة تُمنح مقابل الواجبات المتبادلة وبسببها. فكرامة المرأة مثبتة ومعترف بها. وممنوع على الرجل أن يعاقب المرأة الزانية بالقتل، وأن يحنث في قسم الأمانة منقادًا للشهوة والفسق.

وهذا أيضاً أمر خطير أن الكنيسة قد حدّدت كما ينبغي سلطة الأب في الأسرة، حتى لا تنقص الحرّية الصحيحة للبنين والبنات الذين يريدون الزواج، وأنها رسمت أن لا يتم زواج بين أقارب وأنسباء في بعض الدرجات، حتى ينتشر حب الزوجين الفائق الطبيعة في مجال أرحب. وأنها سعت لتقصي عن الزواج، قدر الاستطاعة، الخطأ، والعنف، والغش، وأنها أرادات أن يبقى سالمًا الخفرُ المقدس للمضجع الزوجي، وأمن الأشخاص، وشرف الزواج، والأمانة للأقسام. وأخيرًا أنها رسخت هذه المؤسسة الإلهية بقوة كبيرة واستباق للأمور في شرائعها، بحيث لا يكون قاضيًا عادلاً مَن لا يعترف بأن الكنيسة، لهذا السبب أيضاً، هي في شأن الزواج أفضل الحرّاس وأفضل الحُماة للجنس البشري.

٣١٤٥ – وليس لأحد أيضاً أن يتأثّر بهذا التميز الذي يعلنه بشدة أصحاب التشريع الملكي، بين العقد والسرّ، لكي يحفظوا للكنيسة ما هو من السرّ ويسلّموا العقد لصلاحية السلطات المدنية وإدارتها.

مثل هذا التمييز، أو بالحري هذا الفصل، لا يمكن قبوله، إذ من المعترف به أن العقد، في الزواج المسيحي، لا يمكن فصله عن السرّ، وبالتالي لا يمكن أن يوجد عقد صحيح وشرعي لا يكون بالفعل ذاته سرًّا، لأن المسيح الرب قد رفع الزواج إلى كرامة السرّ. والزواج هو العقد نفسه إذا ما تم بحسب الحق.

٣١٤٦ – يضاف إلى ذلك أن السبب الذي لأجله يكون الزواج سرًّا، هو أنه علامة مقدسة تنتج النعمة وتمثل العرس السري للمسيح والكنيسة. والتعبير عن شكل هذا العرس وصورته هو وثاق الاتحاد المتين جدًا الذي يصل بالتبادل الرجل

بالمرأة، وما هو سوى الزواج نفسه. وينتج من ذلك أن كل زواج شرعي بين مسيحيين هو في ذاته وبذاته سرّ. وما من شيء ينأى عن الحقيقة أكثر من سرّ يكون زينة مضافة، أو خاصيّة من الخارج يمكن فرزهما أو فصلهما عن العقد بإرادة البشر.

٣١٤٨ – جواب دائرة التوبة المقدسة، ١٦ حزيران ١٨٨٠

حفظ الأوقات غير الخصبة

٣١٤٨ – سؤال: هل يجوز أن تقتصر ممارسة الزواج على الأيام التي يكون فيها الحمل أصعب؟

جواب: يجب أن لا يقلق زوجان يمارسان الزواج بالطريقة المذكورة آنفًا، ولكن يستطيع المعرّف بحذر أن يدعو إلى ذلك الأمر زوجين حاول عبثًا أن يبعدهما بطريقة أخرى عن جرم الأونانية الكريه.

٣١٥٠ – ٣١٥٢ – الرسالة العامة "Diuturnum illud"، ٢٩ حزيران ١٨٨١

السلطة في المجتمع المدني

٣١٥٠ – حتى وإن كان الإنسان قد حاول مرارًا أن ينبذ مكابح السلطة، بفعل الكبرياء وروح التمرّد، لكنه لم يبلغ أبدًا إلى أن يكون غير طائع لأحد. فالضرورة نفسها تضطرّ كل جماعة أو طائفة إلى أن يكون البعض منها على رأسها...

ومن المهم الانتباه هنا إلى أن من يجب أن يكونوا على رأس الشأن العام يمكن، في بعض الأحيان، أن ينتخبوا بإرادة وحُكم العدد الأكبر، من غير أن تعارض العقيدة الكاثوليكية ذلك أو تتأبّاه. ولكن بهذا الانتخاب يُعيّن الرئيس ولكن لا يعطى حقوق الرئاسة. لا تُعطى السلطة بل يُقرَّر مَن يمارسها.

كذلك لا تُطرح مسألة الأنظمة السياسية، إذ ليس هناك من سبب لكي لا توافق الكنيسة على حكم فرد أو جماعة، ما دام عادلاً يقصد المنفعة العامّة. لذلك، إذا

تحققت العدالة فلا شيء يمنع الشعوب من أن تتخذ لنفسها النظام السياسي الذي هو أكثر ملائمة إما لذهنيتها الخاصة، وإما لأخلاق آبائها ومؤسّساتهم.

٣١٥١ – وفي ما سوى ذلك، فالكنيسة تعلّم بحق في شأن السلطة السياسيّة أنها تأتي من الله...

ومن يزعمون إن المجتمع المدني يولد من اتفاق حرّ بين الناس، جاعلين هذا المصدر أصلاً للسلطة نفسها، يقولون إنّ كل واحد تخلّى عن بعض حقّه، والأفراد اخضعوا أنفسهم طوعًا لسلطة مَن انتقلت إليه جميع الحقوق. لكن ذلك ضلال كبير أن لا يُرى ماهو جليّ، أي أن البشر لا يؤلفون جنسًا من أفراد متوحّدين، وأنهم قبل تعبيرهم عن إرادتهم الحرّة، قد وجدوا ليكونوا جماعة طبيعية. وعلاوة على ذلك، إن العهد الذي يُستند إليه هو اختراع بيّن ووهم، وليس في استطاعته أن يمنح السلطة السياسية من القوة والكرامة والثبات ما تقتضيه حماية الشأن العام، وخير المواطنين المشترك. فلن يكون للسلطان هذا الوهج وهذه الحماية الشاملة إلا إذا أدركنا أنه يصدر من الله كما من ينبوعه السامي والجزيل القداسة...

٣١٥٢ – ليس للبشر سوى سبب واحد للعصيان: أن يُطلب منهم أو يتعارض بوضوح والشريعة الإلهية أو الطبيعية. ففي شأن كل ما يتعدّى الشريعة الطبيعية أو الإلهية الظلم واحد في الأمر به وفي صنعه. لذلك، إذا كان لإنسان أن يختار الواحد أو الآخر، أي أن يهمل أوامر الله أو أوامر الحكام، فعليه ان يطيع يسوع المسيح الذي يطلب «أن يعطى لقيصر ما لقيصر، وما لله لله» [مت ٢٢ : ٢١]، وأن يجيب مثل الرسل: «إن الله أحق من الناس بالطاعة» [أع ٥ : ٢٩]...

٣١٥٤ – ٣١٥٥ – مرسوم مجمع تحريم الكتب، ٥ (١٠) كانون الأول ١٨٨١

حرّية مهاجمة كتب سحبت من الإجراء من قبل مجمع تحريم الكتب

٣١٥٤ – سؤال: ١ – هل يجب أن تُحسب كتب وشي بها إلى مجمع الأندكس المقدس، وسحبها هذا من الإجراء، أو لم تُحرم، كأنها خالية من الأخطاء في ما يتعلّق بالإيمان والأخلاق؟

٢ – إذا كان الجواب بالإيجاب، فهل تمكن مهاجمة الكتب التي سحبها مجمع الأندكس المقدس، أو لم تحرم، على صعيد الفلسفة أو اللاهوت، من غير ملامة على التهوّر؟

جواب ثبته الحبر الأعظم في ٢٨ كانون الأول: عن ١: كلاّ – عن ٢: أجل.

٣١٥٦ – ٣١٥٨ – الرسالة العامة "Humanum genus"، ٢٠ نيسان ١٨٨٤

الماسونيون الأحرار

٣١٥٦ – إن المداجاة والبقاء في الظلمة، وتقييد أشخاص بالذات كعبيد، بأوثق الربُط، ومن غير سبب كاف مُعلن، واستعمالهم لكل نوع من أنواع الشرور بتسليمهم إلى إدارة غريبة هي... ممارسة شنيعة لا تحلها طبيعة الأشياء. لذلك يُظهر العقل والحقّ نفسه أن الجماعة التي نتكلم عليها تناهض اللعدالة والصلاح الطبيعي... إن الدلائل الأكيدة جدًّا التي أوردناها سابقًا تُظهر ما هو الهدف الأخير لما يقصدون، أي أن يهدموا من الأساس كل هذا التنظيم، في الديانة والشأن العام، الذي أنشأته المؤسسات المسيحية، وإقامة آخر بحسب رأيهم، يستعيرون أُسُسه وشرائعه من جوهر المذهب الطبيعي.

٣١٥٧ – كل ما نقوله الآن وما نعزم على قوله يجب أن يعني البدعة الماسونية في مجملها، وبكونها تضمّ الجمعيات القريبة منها أو المتحدة بها، ولكن لا أعضاءها إفراديًّا. فيمكن أن يكون بينهم، حتى بعدد كبير، من لا يشاركون بأنفسهم بتلك النشاطات المضرّة ويجهلون الهدف الأخير الذي تجتهد في البلوغ إليه، وإن كانوا لا يخلون من الذنب لانخراطهم في مثل تلك الجمعيات. كذلك يمكن أن يكون بعض هذه الجمعيات نفسها لا يوافق على بعض النتائج القصوى، التي بما أنها تتأتّى بالضرورة من المبادئ المشتركة فلا بدّ من أن تُقبل، على وجه طبيعي، لو لم تكن قباحتها بحدّ ذاتها مدعاة للارتياع بسبب طبيعتها الباعثة على الاشمئزاز.

٣١٥٨ – يجب ألا يفكّر أحد بأنه يحلّ له، لأي سبب من الأسباب، الانخراط في

البدعة الماسونية، إذا كان اعترافه بالإيمان الكاثوليكي، وخلاصه، لها عنده القيمة التي يجب أن تكون.

٣١٥٩ – ٣١٦٠ – تعليم المجمع المقدس "Ad gravissima avertenda"، ١٠ أيّار ١٨٨٤

الماسونيون الأحرار

٣١٥٩ – ٣ – ولكن حتى لا يكون هناك مكان للخطإ، عندما يجب أن نحكم بشأن تلك البدع الموبقة ونميز بين التي تقع تحت الرقابة وتلك التي هي موضوع تحريم فقط، فمن الأكيد أولاً أن الحكم بالحرم الذي صدر من قبل يقع على البدع الماسونية وغيرها المماثل لها، التي تتآمر على الكنيسة والسلطات الشرعية، سواء أفي السرّ فعلت ذلك أو في العلن، أطلبت من أتباعها القسم على حفظ السرّ أم لم تطلب ذلك.

٣١٦٠ – ٤ – وعلاوة على تلك البدع، هناك أخرى غيرها ممنوعة أيضاً، ومن الواجب تجنّبها تحت طائلة الخطيئة الثقيلة، وبينها يجب أن نحصي تلك التي تطلب من أتباعها بقسم ألاّ يكشفوا لأحد السرّ، وأن يطيعوا في كل شيء لرؤسائهم الخفيين. وعلاوة على ذلك، يجب الانتباه إلى أن هناك بعض الجمعيات التي، وإن لم يكن بالإمكان تأكيد أو نفي علاقتها العضوية بتلك التي ذكرت، فهي مع ذلك تدعو إلى الريبة وتحفل بالخطر، بسبب عقائد تأخذ بها، كما بسبب طريقة التصرف التي يتبعها من اجتمعوا تحت قيادتها وكانوا يسترشدون بها...

٣١٦٢ – جواب المجمع المقدّس لأسقف بواتيه، (٢٨) ٣١ أيّار ١٨٨٤

حضور الطبيب أو الكاهن في المبارزة

٣١٦٢ – سؤال: ١ – هل يستطيع طبيب حضور مبارزة عن طلب من المتبارزين، بغية الإسراع في إنهاء المعركة، أو فقط لتضميد الجراح ومعالجة الكلوم، من غير أن يقع عليه الحرم المحفوظ للحبر الأعظم؟

٢ – هل يستطيع ، من غير أن يحضر المبارزة ، أن يكون في بيت مجاور أو مكان لا يـبعد كثيرًا ، فيكون قريبًا جدًا ومستعدًا لممارسة مهمّته إذا طلب منه المتبارزون ذلك؟

٣ – وما هي حال المعرّف في الظروف عينها؟

جواب : عن ١ : لا يستطيع ذلك ويستوجب الحرم.

عن ٢ و ٣ : إذا جرى اتفاق على ذلك لا يستطيعه ويستوجب الحرم.

٣١٦٥ – ٣١٧٩ – الرسالة العامة "Immortale Dei"، ١ تشرين الثاني ١٨٨٥

غاية السلطة المدنية وسلطتها

٣١٦٥ – وُلد الإنسان ليعيش في مجتمع مدني، فبما أنه لا يستطيع أن يحصّل وحده ما هو ضروري ونافع لحياته، أو كمال روحه ونفسه، هيأ الله أن يولد في قِران وفي مجتمع بشري، بيتي ومدني، قادر وحده أن ينيل الكفاية الكاملة للحياة. ولكن بما أنه ليس من مجتمع يستطيع القيام من غير واحد يكون رئيسًا للجميع ، ويولي كل فرد دفعًا فعّالاً وثابتًا نحو غاية مشتركة، فنتيجة ذلك أنه من الضروري للناس العائشين في مجتمع وجود سلطة تسودهم، سلطة تأتي، كالمجتمع المدني، من الطبيعة، وبالتالي يكون الله خالقها.

ويتأتى من ذلك أن السلطة العامة لا توجد بنفسها ولكنها تأتي من الله [ر رو ١٣ : ١] ولكن حق ممارسة السلطة، مع ذلك، غير مرتبط حتمًا وبحد ذاته بصيغة محدّدة للنظام السياسي: فمن الممكن بحق اختيار هذه أو تلك، ما دامت تؤدي حقيقة إلى المنفعة والخير العام.

الكنيسة مجتمع كامل

٣١٦٦ – كما أن المسيح جاء إلى الأرض حتى تكون للناس «الحياة وتكون لهم بوفرة» [يو ١٠ : ١٠]، كذلك تتوخى الكنيسة غاية لها خلاص النفوس الأبدي، ولذلك

هي بطبيعتها تسعى إلى احتواء الجنس البشري بأجمعه، من غير أن يحدها زمان أو مكان...

٣١٦٧ – وهذا المجتمع، مع كونه مؤلفًا من بشر، مثل الجماعة المدنية، فهو مع ذلك فائق للطبيعة، وروحيّ بسبب الغاية التي وضعت له والوسائل التي يسعى بها إليها. ولذلك فهو يتميّز من المجتمع البشري ويختلف معه. علاوة على ذلك – وهذا أمر خطير جدًا – هو مجتمع كامل في نوعه وفي الحق، لأنه، بإرادة مؤسّسه وفضله، يمتلك بذاته وفي ذاته، كل الوسائل الضرورية لوجوده ولعمله، فكما أن الغاية التي تسعى إليها الكنيسة هي الأعظم شرفًا من الكل، كذلك سلطانها هو الأسمى من الكل، ولا يمكن أن تُحسب أدنى من السلطة المدنية، أو خاضعة لها بأي وجه من الوجوه.

العلاقة بين السلطة الكنسية والسلطة المدنية

٣١٦٨ – لذلك وزع الله العناية بالجنس البشري على سلطتين: السلطة الكنسية والسلطة المدنية، إحداهما تهيمن على الأمور الإلهية والأخرى على الأمور المدنية. وكل منها هو الأسمى في نوعه. وكل منها له حدود معيّنة ينحصر فيها، تضعها طبيعة كل منها وموضوعه المباشر. ولذلك فكل منها موصوف كدائرة يمارس فيها كل واحد عمله بحسب حقّه الخاص. ولكن بما أن سلطة كلّ واحد تمتدّ إلى الأشخاص عينهم، ويحصل أن ذات الأمر الواحد، يتعلّق، وإن كان واحدًا، ولكن بوجه مختلف، بولاية الاثنين وحكمها، فلا بدّ أن يكون الله الذي أوجد السلطتين، قد رسم لهما بعناية السبل العادلة والمنظَّمة...

٣١٦٩ – أما أن يكون من الواجب أن تخضع الكنيسة أيضاً للسلطذة المدنية في ممارسة وظيفتها فذلك مخالفة كبيرة للعدالة وتهوّر شديد. وفي مثل هذه الحالة يتبلبل النظام، إذ يتفوّق ما هو طبيعي على ما هو فوق الطبيعة، وتلغى أو في كل حال تنقص كثيرًا وفرة الخيرات التي بها تغمر الكنيسة الحياة المشتركة، إذا لم يمنعها مانع. بالإضافة إلى ذلك يُشرع السبيل إلى عداوات ومعارك بيّنت اختبارات كثيرة جدًّا طبيعتها السيّئة بالنسبة إلى كل من المجتمعين.

الخطوط الكبرى للعقيدة المسيحية في شأن دستور الدولة

٣١٧٠ – لا بدّ من فهم هذا: أن أصل السلطة العامة يجب أن ينسب إلى الله ذاته لا إلى الجماعة، وإجازة الثورة يأباها العقل. وحسبان واجبات الديانة كلا شيء، والتعامل بطريقة واحدة مع الأديان المختلفة هو نفاق بالنسبة إلى الأشخاص وإلى الدولة. والإمكانية غير المحدودة، في التفكير والتعبير العلني عن الأفكار، لا يدخل في نطاق حقوق المواطنين، ويجب ألاّ يُعدّ بأي وجه من الوجوه من الأمور التي تُعزّز أو تصان.

٣١٧١ – كذلك يجب قبول أن الكنيسة هي، وليس بدرجة أقل من الدولة، مجتمع كامل في نوعه وفي الحق. كذلك يجب ألاّ يصل أصحاب السلطة العظمى إلى حد إكراه الكنيسة على خدمتهم، أو الخضوع لهم، ولا إلى التغاضي عن أن يكون لها من الحرّية ما هو أقل مما يقتضيه إتمام ما هو خاصّ بها، أو انتزاع أي من حقوقها الأخرى التي أولاها إياها يسوع المسيح.

٣١٧٢ – أما في مسائل الحق المختلط فمن الملائم تمامًا للطبيعة، وكذلك لمقاصد الله، أن لا تُفصل سلطة عن أخرى، وبأولى حجّة أن لا يحصل بينها نزاع، بل بالأحرى أن يكون ذلك الوفاق المتلائم مع الأسباب القريبة التي أنتجت هذين المجتمعين.

هذا هو بالتالي ما تعلّمه الكنيسة الكاثوليكية في شأن دستور الدول وحكومتها.

حرية المواطنين

٣١٧٣ – إن هذه المبادئ والمراسيم، إذا أريد الحكم فيها بسداد، لا تنبذ بحدّ ذاتها أيًا من أشكال الحكم، إذ ليس لها ما تأباه العقيدة الكاثوليكية، وهي إن طُبّقت بحكمة وعدل تستطيع كلها توفير الازدهار للبلد.

٣١٧٤ – وأكثر من ذلك، لا يُنبذ مبدئيًا أن يكون للشعب نصيب كبير أو قليل في الشأن العام. وفي بعض الأحيان، وتحت بعض الشرائع، يمكن أن يكون ذلك جزءًا ليس فقط مما هو لمصلحة المواطنين، وإنما أيضاً مِمَّا يتعلّق بواجبهم.

٣١٧٥ – وعلاوة على ذلك ليس هناك من سبب حقيقي لاتهام الكنيسة بأنها، بداعي

الرحمة والتسامح، منقبضة أكثر مما ينبغي، أو معادية لهذه الحرّيّة الصحيحة والشرعية.

٣١٧٦ – فإذا رأت الكنيسة أنه من غير الجائز أن تتساوى أنواع الديانات المختلفة بالحقوق مع الديانة الصحيحة، فهي مع ذلك لا تقضي على حكومات الدول التي تتسامح، لبلوغ خير، أو لدفع شرّ، نظرًا إلى الأخلاق والعادات، بأن يكون لكل واحدة مكانها في البلد.

٣١٧٧ – ومن جهة أخرى، تلك هي عادة الكنيسة أن تسهر بكل عناية على أن لا يُكرَه أحد على اعتناق الإيمان الكاثوليكي رغمًا عنه، إذ، كما يقول بحكمة أغسطينوس: «لا يستطيع الإنسان أن يؤمن إذا لم يُرد ذلك».

٣١٧٨ – للسبب عينه لا تستطيع الكنيسة قبول حرّية تولِّد مَقْتَ أقدس شرائع الله، وترفض الخضوع الواجب للسلطة الشرعية. هذه إباحية أكثر ممّا هي حريّة، والقديس أغسطينوس يُصيب جدًّا بتسميتها «حريّة الهلاك»، والرسول بطرس «ستارًا للخبث» [١ بط ٢: ١٦]. وأكثر من ذلك، بما أنها مناقضة للعقل فهي العبودية الحقة لأن «كلّ من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة» [يو ٨: ٣٤]. وبالعكس فإن الحريّة الأصلية والمرغوب فيها هي تلك التي، في المجال الخاص، لا تدع الإنسان يكون عبدًا لأضاليله وأهوائه وهي أسوء ما يتسلط عليه، وفي المجال العام، تأمر على الناس بحكمة، وتسهل كثيرًا نموّ الرفاهية، وتعصم الشأن العام من مزاجية الآخرين.

٣١٧٩ – هذه الحريّة الشريفة والجديرة بالإنسان تقبلها الكنيسة أكثر من أي غيرها، وهي لم تكفّ قط عن السعي والاجتهاد للمحافظة عليها ثابتة سليمة بين الشعوب.

٣١٨٥ – ٣١٨٧ – جواب مجمع التوبة المقدس، ١٠ آذار ١٨٨٦

الممارسة الأونانية للزواج

عرض: من الثابت استنادًا إلى جواب أعطاه مجمع التوبة المقدس، في ١٤ كانون الأول

١٨٧٦، لمدير رعية في أبرشية أنجه، أنه لا يجوز تعزيز ضلال التائبين الذي يدعوه كثيرون أنه عن حسن نيّة، ولا بعث مثل هذه النية الحسنة.
ومن الثابت أيضاً أن المعرّفين لا يقومون بوظيفتهم، عندما يُقرّ المعترف فقط بالأونانية، فيتمسكون بصمت شريف، وبعد نهاية الإقرار بالخطايا، يحرضونه بكلمات عامة، وإذا أكد كرهه لكل خطيئة مميتة يمنحونه الحلّ المقدس.
ومن الثابت أيضاً أنه لا لوم يقع على المعرّفين الذين (في حدود [الحشمة]... في شأن الأسئلة...) لا يهملون الملامة، كما هي الحال بالنسبة إلى كل خطيئة ثقيلة، لكل تائب أقر بالأونانية طوعًا أو بعد السؤال بفطنة... والذين لا يحلّونه إذا لم يُبد دلائل كافية على تحسّره على ما جرى، وعلى قصده الانقطاع عن الممارسة الأونانية [مع ذلك تبقى الرّيب التالية:].
أسئلة: ١ – عندما يكون هناك ارتياب يقوم على أساس بأن تائبًا يصمت صمتًا كاملاً عن الأونانية، يرتكب هذا الجُرم، هل يجوز للكاهن أن يمتنع عن السؤال بفطنة وترفق، لأنه يعلم من قبل أنه لا بدّ من إخراج كثيرين من حسن نيتهم، وأن كثيرين سيهجرون الأسرار؟
– أو بالعكس يجب على المعرّف أن يسأل بفطنة وترفّق؟

٣١٨٧ – ٢ – هل على المعرّف الذي يلاحظ، إما انطلاقًا من اعتراف طوعي أو من سؤال فَطِن، أن التائب أوناني، أن يوبخه على جسامة هذه الخطيئة كما في شأن الخطايا المميتة الأخرى... وأن لا يمنحه الحلّ إلا إذا ثبت بدلائل كافية أنه يتحسّر على ما جرى وأنه يقصد الانقطاع عن الممارسة الأونانية؟
جواب: عن ١: عمومًا أجل، بالنسبة إلى الجزء الأول، وكلاً بالنسبة إلى الثاني.
عن ٢: أجل، بحسب تعليم المؤلفين المختبرين.

٣١٨٨ – مرسوم المجمع المقدس، ١٩ أيار ١٨٨٦

إحراق الأجساد

٣١٨٨ – سؤال: ١: هل يجوز الانتساب إلى جمعيات غايتها تعزيز استعمال إحراق أجساد البشر؟

٢ : هل يجوز أن يو عِز أحد بإحرق جسده أو أجساد آخرين؟

جواب : (ثبته الحبر الأعظم]: عن ١ : كلا و إذا تعلّق الأمر بجماعات منضمّة إلى البدعة الماسونية فتوقع العقوبات المقرّرة لها.

عن ٢ : كلاّ.

٣١٩٠ – ٣١٩٣ – مرسوم المجمع المقدس، ٢٧ أيار ١٨٨٦

الطلاق المدني

٣١٩٠ – عرض: لقد طرح عدد من أساقفة فرنسا على مجمع التفتيش المقدس الروماني العام الرِيَب التالية: في رسالة وجهها مجمع التفتيش الروماني العام إلى جميع الرؤساء الكنسيين الفرنسيين، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٨٨٥، في شأن قانون الطلاق المدني أُعلن ما يلي: «نظرًا إلى الظروف الخطيرة جدًّا للأحداث والأزمنة والأمكنة، يمكن التغاضي عن قيام المضطلعين بوظائف قضائية، والمحامين، في فرنسا، بمعالجة الدعاوى الزواجية دون الاستقالة من وظائفهم». وأضيفت فيها شروط، هذا هو الثاني منها: «شرط أن يكونوا مستعدين، ضميريًا، بالنسبة إلى صحة الزواج أو بطلانه، كما إلى الهجر، تلك الأمور التي فُرض عليهم الحكم فيها، أن لا يصدروا حكمًا مناقضاً للحق الإلهي أو الكنسي، أو يدافعوا عنه، أو يطالبوا به أو يساندوه».

٣١٩١ – سؤال: ١ – هل هو صحيح التأويل المنتشر في فرنسا بل المطبوع، الذي بموجبه يتمّم الشرط المذكور آنفًا القاضي الذي، أمام زواج صحيح كنسيًا، يغفل تمامًا هذا الزواج الحقيقي والثابت، ويحكم بالطلاق، تطبيقًا للقانون المدني، ما دام ينوي داخليًا أن لا يفسخ سوى المفاعيل المدنية، والعقد المدني وحده، وأن هذه وحدها مقصودة بنص الحكم؟

وبتعبير آخر: هل يمكن أن يُعدَّ حكمٌ صدر في هذه الظروف غير مخالف للحق الكنسي؟

٢ – هل يمكن المعتَمدَ (المدني)، بعد أن يكون القاضي قد حكم بالطلاق، أن يعلن الطلاق غير قاصد هو أيضاً سوى المفاعيل المدنية والعقد المدني، وإن كان الزواج صحيحًا أمام الكنيسة؟

٣ – بعد إعلان الطلاق، هل يستطيع المعتمَد نفسه، أن يقرن بآخر الزوج الذي يسعى إلى قران جديد، وذلك على كون الزواج السابق المعقود أمام الكنيسة صحيحًا والزوج الآخر على قيد الحياة؟

جواب (ثبته الحبر الأعظم): كلاّ عن ١ و٢ و٣.

٣١٩٥ – ٣١٩٦ – مرسوم المجمع المقدس، ١٥ كانون الأول ١٨٨٦

إحراق الأجساد

٣١٩٥ – كلما تعلق الأمر بأشخاص ستحرق أجسادهم لا بإرادتهم الخاصة وإنما بإرادة الغير، يكون من الممكن القيام بالعبادات والصلوات الكنسيّة في البيت كما في الكنيسة، ولكن دون الوصول إلى مكان الإحراق، بعد تجنب كل معثرة. ومن الممكن تجنب هذه المعثرة أيضاً، إذا كان معلومًا ان الإحراق لم يختره المتوفى بإرادته الخاصة.

٣١٩٦ – أما عندما يتعلق الأمر بمن اختاروا الإحراق بإرادتهم الخاصة، واستمرّوا على تلك الإرادة على وجه أكيد ومعلوم حتى وفاتهم، فبالاستناد إلى المرسوم الصادر في ١٩ أيار ١٨٨٦ [٣١٨٨]، يجب القيام، في شأنهم، بما يرسمه كتاب الصلوات الرومانية، بعنوان: «لمن يجوز الدفن الكنسيّ». ومع ذلك، يجب استشارة الرئيس الكنسي في الحالات الخاصّة التي فيها ارتياب أو صعوبة.

٣١٩٨ – جواب المجمع المقدس لأسقف كَركاسون، ٨ أيار ١٨٨٧

خمر القداس

٣١٩٨ – سؤال: [لاستباق خطر فساد الخمر، هل تحلّ الأدوية التالية، وما هو الذي يجب تفضيله بينها؟]

١ – يضاف إلى الخمر الطبيعي كمية صغيرة من «الكحول». – ٢ : يُحمّى الخمر إلى خمس وستين درجة.

جواب : يجب تفضيل الخمر كما جاء في ٢.

٣٢٠١ – ٣٢٤١ – مرسوم المجمع المقدس "Post obitum"، ١٤ كانون الأول ١٨٨٧

أضاليل أنطونيو روزميني – سِرباتي

٣٢٠١ – ١ – في نظام الأشياء المخلوقة يبدو فورًا للذهن البشري شيء هو في حدّ ذاته إلهي، كما يخص الطبيعة الإلهية.

٣٢٠٢ – ٢ – عندما نتكلم على الإلهي في الطبيعة، هذه الكلمة «إلهي» لا نأخذها لنعني بها مفعولاً غير إلهي لسبب إلهي، ولا ننوي الكلام على شيء يكون إلهيًا بالمشاركة.

٣٢٠٣ – ٣ – في طبيعة الكون، أي في العقول الموجودة فيه، هناك شيء تناسبه تسمية «إلهي» لا بالمعنى المجازي، ولكن بالمعنى الحقيقي، إنها حقيقة غير متميزة من باقي الحقيقة الإلهية.

٣٢٠٤ – ٤ – إن الكائن اللامُعَيَّن، الذي تعرفه بلا ريب كل العقول، هو ذلك الإَهي الذي يبدو للإنسان في الطبيعة.

٣٢٠٥ – ٥ – الوجود، موضوع الحدس البشري، هو حتمًا شيء من الوجود الضروري والأزلي، من السبب الخالق، المحدِّد، والغائي لكل الموجودات غير الواجبة، وذاك هو الله.

٣٢٠٦ – ٦ – في الوجود بغض النظر عن المخلوقات والله، أي الوجود اللامعيّن، وفي الله، أي الوجود المعيّن ولكن المطلق، الجوهر هو واحد.

٣٢٠٧ – ٧ – إن وجود الحدس اللامعيّن، الوجود الأوّلي، هو شيء من الكلمة، يميزه عقل الآب من الكلمة لا بالحقيقة وإنما ذهنيًا.

٣٢٠٨ – ٨ – إن الموجودات المتناهية، التي يتألف منها العالم، تنتج من عنصرين، أي من الحدّ الحقيقي المتناهي، ومن الوجود الأولي الذي يمنح هذا الحدّ شكل الوجود.

٣٢٠٩ – ٩ – إن الوجود، موضوع الحَدْس، هو الفعل الأوّلي لكل الموجودات، الوجود الأوّلي هو بداية لكل ما هو معلوم ولكل ما هو قائم. كذلك هو البداية لله، كما نفهمه نحن، وللمخلوقات.

٣٢١٠ – ١٠ – الوجود بالقوّة غير المحدود هو أول وأبسط كل الكيانات، بحيث إن كل كيان آخر هو مركّب، وإن الوجود بالقوّة هو دائمًا وحتمًا مما يتألف منه، (الوجود الأول) هو الجزء الأساسيّ لكل الكيانات بدون استثناء، مهما كانت طريقة تقسيمها بالفكر.

٣٢١١ – ١١ – إن ماهية (ما هو الشيء) الوجود المتناهي لا تتكون من الإيجاب الذي يتضمّنه، ولكن من حدوده. وماهية الوجود غير المتناهي تتكون من الكيان وهي إيجابية. إلا أن ماهية الوجود المتناهي تتكون من حدود الكيان وهي سلبيّة.

٣٢١٢ – ١٢ – الحقيقة المتناهية غير موجودة ولكن الله يجعلها موجودة بإضافته التحديد إلى الحقيقة غير المتناهية. – الوجود الأوّلي يصير جوهر كل وجود حقيقي. – الوجود الذي يصيّر الطبائع المتناهية كائنة بالفعل، عندما يضاف إليها، يؤخذ من الله.

٣٢١٣ – ١٣ – الفرق بين الوجود المطلق والوجود النسبي ليس ذلك الذي بين جوهر وآخر، وإنما هو فرق أكبر بكثير: فالواحد وجود مطلق والآخر عدم وجود مطلق. ولكن هذا الآخر هو وجود نسبيًا. وعندما يوضع وجود نسبي لا يتعدّد الوجود المطلق. لذلك فالوجود النسبي ليسا جوهرًا واحدًا، وإنما وجود واحد. وبهذا المعنى ليس هناك تنوّع وجود وإنما وحدة وجود.

٣٢١٤ – ١٤ – بالتجرد الإلهي يصير الوجود الأول، العنصر الأوّلي للموجودات المتناهية. ولكن بالمخيلة الإلهية يصير الواقع المتناهي، أو كل الحقائق التي يتكون منها العالم.

٣٢١٥ – ١٥ – إن العملية الثالثة للوجود المطلق الخالق العالم هي التركيب الإلهي، أي

الجمع بين عنصرين هما الوجود الأوّلي، البداية المشتركة لكل الموجودات المتناهية، والحقيقي المتناهي، أو بوجه أفضل: مختلف الحقائق الواقعية المتناهية، الحدود المختلفة للوجود الأول ذاته. فبهذا الاتحاد تخلق الموجودات المتناهية.

٣٢١٦ – ١٦ – إن الوجود الأول، إذا ما جعله الذهن بالتركيب الإلهي، لا كمفهوم وإنما كماهية محض، على علاقة بالحدود المتناهية الحقيقية، يصيّر الموجودات المتناهية موجودة ذاتيًا وحقيقيًا.

٣٢١٧ – ١٧ – كل ما يفعله الله عندما يخلق أنه يضع فعل وجود المخلوقات كله. وهذا الفعل إذن لا يفعل بالمعنى الصحيح وإنما يوضع.

٣٢١٨ – ١٨ – إن الحب الذي به يحبّ الله ذاته أيضاً في المخلوقات، والذي هو العلّة التي يحتّم بها على ذاته الخلق، يكوّن ضرورة معنوية، تُنتج دائمًا مفعولها في الوجود الأكمل: ففي أكثر الموجودات غير الكاملة فقط يترك هذا النوع من الضرورة الحريّة الكاملة من الجهتين.

٣٢١٩ – ١٩ – إن الكلمة هو تلك المادة غير المنظورة التي منها، على حسب ما يقول سفر الحكمة ١١:١٨، خُلقت جميع أشياء الكون.

٣٢٢٠ – ٢٠ – ليس مما يؤبى أن تتكاثر النفس بالولادة، بحيث تُدرَك كأنها تتقدم من النقص، أي من الدرجة الحسيّة، إلى الكمال، أي إلى الدرجة الذهنية.

٣٢٢١ – ٢١ – عندما يصير الموجود موضوع حَدْس للمبدإ الحسّي، بمجرد هذا الاتصال، وهذه الوحدة، يُرفع هذا المبدأ، الذي كان أولاً يُحسّ فقط، والذي الآن يُدرك، إلى حالة أشرف، وتتغيّر طبيعته ويصبح مدركًا، قائمًا، بذاته، وخالدًا.

٣٢٢٢ – ٢٢ – ليس من المستحيل أن نتصور إمكان حصول انفصال النفس المدركة عن الجسد الذي تحييه، بقدرة إلهية، وأن يستمرّ هذا حيوانيًا. إذ يستمرّ فيه، كأساس حيواني محض، المبدأ الحيواني الذي كان فيه سابقًا كشيء إضافي.

٣٢٢٣ – ٢٣ – في الحالة الطبيعية تكون نفس المتوفّى كما لو أنها غير موجودة، إذ إنها

لا تستطيع ممارسة التفكير في ذاتها، ولا وعي ذاتها. ويمكن القول إن حالتها تشبه حالة الظلمات الدائمة والنوم الأبدي.

٣٢٢٤ – ٢٤ – إن الصورة الجوهرية للجسد هي بالأحرى مفعول النفس والحدّ الداخلي لعملها: لذلك فالصورة الجوهرية للجسد ليست النفس ذاتها – إن اتحاد النفس والجسد يقوم بالمعنى الصحيح على الإدراك المباشر الذي يُؤكّد به من له حدْس فكرة المحسوس، بعد أن كان له فيه حدْس الجوهر.

٣٢٢٥ – ٢٥ – حصول الوحي بسرّ الثالوث يمكن إثبات وجوده بحجج نظرية محض، هي أجل سلبية وغير مباشرة، ولكن لها من القوّة ما يمكّنها من إعادة هذه الحقيقة إلى الإطار الفلسفي، فتصير مقولة علمية مثل غيرها: إذ بنكرانها تصبح عقيدة العقل المحض ليست ناقصة فقط، وإنما تكون معدومة بالغموض الذي ينبعث من كل جانب.

٣٢٢٦ – ٢٦ – إن صُوَر الوجود الثلاث العليا، أي الذاتية والموضوعية والقداسة، أو الوجودية والمثالية والأخلاقية، إذا نُقلت إلى الوجود المطلق لا يمكن أن تُدرك إلا كأشخاص قائمة بذاتها وحيّة. – إن الكلمة، من حيث هو موضوع محبوب، لا من حيث هو كلمة، أي موضوع قائم في ذاته، معلوم بذاته، هو أقنوم الروح القدس.

٣٢٢٧ – ٢٧ – في ناسوت المسيح أُخذت المشيئة البشرية من قبل الروح القدس إلى الالتصاق بالوجود الموضوعي، أي الكلمة إلى حدّ أنها تخلّت له تمامًا عن قيادة الإنسان، واتخذ الكلمةُ الإنسانَ على وجه شخصي باتحاده هكذا مع الطبيعة البشرية. بذلك كفّت المشيئة البشرية عن أن تكون شخصيّة في الإنسان، وبينما هي شخص عند البشر الآخرين، فهي تبقى طبيعة في المسيح.

٣٢٢٨ – ٢٨ – إن الكلمة، وسم الله ووجهه، هو، بحسب العقيدة المسيحية، مطبوع في نفس من يتقبّلون معمودية المسيح بإيمان. – إن الكلمة أي الوسم المطبوع في النفس، هو بحسب العقيدة المسيحية الوجود الحقيقي (غير المتناهي) الظاهر بذاته، والذي نعترف من بعد بأنه الأقنوم الثاني من الثالوث الجزيل القداسة.

٣٢٢٩ – ٢٩ – لا نرى أن هناك افتراضاً غريبًا عن العقيدة الكاثوليكية، التي هي

وحدها حقيقة، بقولنا: إن جوهر الخبز والخمر، في سرّ الافخارستيّا، يصير جسد المسيح الحقيقي ودمه الحقيقي عندما يجعل منه المسيح حدّ مبدئه الحسّي، ويحييه بحياته، تقريبًا كما يتحوّل الخبز والخمر جوهريًا إلى جسدنا ودمنا، إذ يصبحان حدّ مبدئنا الحسّي.

٣٢٣٠ – ٣٠ – بعد انتهاء التحوّل الجوهري، يمكن التفكير في أنه قد ضُمّ إلى جسد المسيح الممجَّد جزء اتحد به، وهو غير منفصل عنه وممجّد مثله.

٣٢٣١ – ٣١ – في سرّ الافخارستيّا، يحضر بفعل الكلمات جسد المسيح ودمه فقط بالقدر الذي يتناسب مع جوهر الخبز والخمر المتحوّل: وباقي جسد المسيح يكون حاضرًا بالمساوقة.

٣٢٣٢ – ٣٢ – لأن كل من «لا يأكل جسد ابن البشر ولا يشرب دمه لا حياة له في ذاته» [يو ٦: ٥٤]، وأن الذين يموتون مع معمودية الماء أو الدم أو الشوق يحصلون بوجه أكيد على الحياة الأبدية، يجب القول إن هذا الطعام السماوي يُعطى في الحياة الآتية، في ساعة الموت نفسها، لمن لم يأكلوا جسد المسيح في هذه الحياة. – لذلك استطاع المسيح أيضاً، عندما نزل إلى الجحيم، أن يعطي نفسه، تحت شكلي الخبز والخمر، لقديسي العهد القديم، ليجعلهم أهلاً لمعاينة الله.

٣٢٣٣ – ٣٣ – عندما ملك الشياطين الثمرة، ظنّوا أنهم سيدخلون في الإنسان إذا أكلوا منها. فبما أن الغذاء يتحوّل إلى جسد حَيّ للإنسان، فهم يستطيعون الدخول بحريّة في الحيوانية أي في الحياة الذاتية لهذا الوجود، ويستطيعون هكذا التصرّف به كما قصدوا.

٣٢٣٤ – ٣٤ – لصون مريم العذراء المغبوطة من الخطيئة الأصلية، كان يكفي أن يبقى جزء صغير من زرع الإنسان غير فاسد، وقد أهمله ربما الشيطان، وأن هذا الزرع غير الفاسد، المنقول من جيل إلى جيل، يُخرج في حينه العذراءَ مريم.

٣٢٣٥ – ٣٥ – كلما ازداد الانتباه إلى نظام التبرير في الإنسان، ازدادت صحة كلام الكتاب الذي به يستر الله أو لا يحسب بعض الخطايا. – فهناك بحسب صاحب المزامير [مز ٣٢: ١] فرق بين المعاصي التي تُغفر، والخطايا التي تُستر: تلك هي

مآثم حالية وحرّة، أما هذه فهي الخطايا غير الحرّة لمن هم من شعب الله، فلا يحصل لهم من جراء ذلك أي ضرر.

٣٢٣٦ – ٣٦ – إن النظام الفائق الطبيعة يتكون من تجلي الوجود في كمال صورته الحقيقية. ومفعول إعطائه أو تجليه هو الشعور الإلهي الصورة، الذي بابتدائه في هذه الحياة يكوّن نور الإيمان والنعمة، والذي بانتهائه في الحياة الأخرى يكوّن نور المجد.

٣٢٣٧ – ٣٧ –النور الأول الذي يجعل النفس مدركة هو الوجود المثالي، وثاني أول نور هو أيضاً الوجود، لا المثالي فقط، وإنما القائم والحي. ذاك يخفي شخصيته ويظهر موضوعيته فقط. ولكن الذي يرى الثاني (الذي هو الكلمة) وإن كان لك كما في مرآة وفي لغز، يرى الله.

٣٢٣٨ – ٣٨ – الله هو موضوع الرؤية السعيدة، بكونه صاحب الأعمال في الخارج.

٣٢٣٩ – ٣٩ – إن آثار الحكمة والصلاح التي تتلألأ في المخلوقات هي ضرورية لأصحاب المشاهدة (في السماء) فبتجمعها في المثال الأبدي تكون ذلك الجزء منه الذي يمكن أن يروه، وتوفّر موضوع التسابيح التي ينشدها المغبوطون لله إلى الأبد.

٣٢٤٠ – ٤٠ – بما أن الله لا يستطيع حتى بنور المجد أن يمنح ذاته للموجودات المتناهية، فهو لم يستطع إظهار جوهره ومنحه تمامًا لأصحاب المشاهدة (في السماء) إلا بحسب الطريقة التي تليق بالأذهان الفانية: أي أن الله يُظهر ذاته لهم بكونه على علاقة بهم كخالقهم، والمعتني بهم، وفاديهم، ومقدّسهم.

٣٢٤١ – ٤١ – [حكم المراقبة الذي ثبته الحبر الأعظم: إن المجمع المقدس] قد حكم بأن المقولات... يجب أن تُحرَّم وتُنبذ، بمعنى صاحبها، وهو بهذا المرسوم العام ينبذها ويحكم عليها ويحرّمها.

٣٢٤٥ – ٣٢٥٥ – الرسالة العامة "Libertas praestantissimum"، ٢٠ حزيران ١٨٨٨

كرامة الإنسان من جرّاء حريّته

٣٢٤٥ – إن الحرّية، التي هي خير الطبيعة الأسمى، والتي هي امتياز خاص بالكائنات

المدركة العاقلة، تمنح الإنسان كرامة بها يوضع بين يدي رأيه، وينال القدرة على أفعاله.

ولكن ما هو الأخطر بالنسبة إلى هذه الكرامة هو طريقة ممارستها... أجل في مقدور الإنسان أن يطيع العقل، ويتمسك بالخير الأخلاقي، ويسعى باستقامة إلى غايته القصوى. ولكنه يستطيع أيضاً الانحراف والتوجّه إلى جميع الأمور الأخرى، ويستطيع باقتفائه صورًا خادعة للخير، أن يبلبل النظام الشرعي ويسارع إلى خسارة طوعية...

٣٢٤٦ – لا أحد يدعو إلى الحرّية بصوت أعلى، ويؤكدها بثبات أكثر من الكنيسة الكاثوليكية التي... تصون [ذلك] كعقيدة. وأكثر من ذلك: أمام الهراطقة الذين يؤكدون العكس... [ذُكِر المانويّون، وخصوم المجمع التريدنتيني، والجانسانيّون، والجَبريون] دافعت الكنيسة عن خير الإنسان هذا الكبير جدًّا، وصانته من الضياع.

الشريعة الطبيعية

٣٢٤٧ – لماذا الشريعة ضرورية للإنسان، هذا يجب البحث عن علته الأولى، وما هو كأصله في إرادته، أي في هذا الواقع أنه يجب على اراداتنا ألاّ تحيد عن العقل القويم...

تلك هي الشريعة الطبيعية، الأسمى من الكل، المكتوبة والمحفورة في نفس كل إنسان، إذ إن العقل البشري ذاته يأمر بصنع الخير ويمنع عن الإثم. ولكن فريضة العقل البشري هذه لا تستطيع أن تتمتّع بقوة الشريعة إلاّ لأنها صوت وترجمان عقل أسمى يجب أن تخضع له روحنا وحرّيتنا. ولكن بما أن قوة الشريعة هي في فرض واجبات وتثبيت حقوق، فهي تقوم كلها على السلطة، أي: على قدرة حقيقة على وضع واجبات وتحديد حقوق، وكذلك على المجازاة عمّا يؤمَر به بعقوبات ومكافآت – وكلها أمور من الواضح أنها لا يمكن أن توجد في الإنسان إذا كان يضع لنفسه، كمشترع أعلى، المعيار لأعماله. وينتج من ذلك أن الشريعة الطبيعية هي الشريعة الأبدية ذاتها، المكتوبة في مَن يستعملون العقل، والتي تميل

نحو العمل والغاية المناسبين. وهي عقل الخالق الأزلي ذاته، الله الذي يسود العالم كله.

الشريعة البشرية

٣٢٤٨ – إن ما تفعله الشريعة الطبيعية في كل إنسان تفعله بين الناس العائشين في مجتمع الشريعة البشرية الصادرة لأجل الخير العام للمواطنين.

وبين الشرائع البشرية ما يتناول ما هو خير أو شرّ بالطبيعة. ولكن مثل هذه المراسيم ليس لها أصل في المجتمع البشري... وإنما تسبق بالحري مجتمع البشر نفسه، ويجب أن تتفرّع من الشريعة الطبيعية، وبالتالي من الشريعة الأبدية...

إلاّ أن هناك مراسيم أخرى من السلطة المدنية لا تصدر عن الحق الطبيعي مباشرة وفورًا، وإنما على وجه أبعد وغير مباشر، وتقيم حقائق متنوّعة يكون ما حدّدته الطبيعة لها هو عام وشامل فقط... فمن هذه القواعد الحياتية الخاصة، التي يُوجدها عقل فَطِن وتوعز بها سلطة شرعية، تتكوّن الشريعة البشرية بالمعنى الصحيح للكلام... ومن هنا نرى أن معيار الحرّية وقاعدتها موجودان تمامًا في شريعة الله الأبدية، ليس فقط للناس أفرادًا، وإنما أيضاً للجماعة والتجمعات البشرية.

٢٣٤٩ – لا تقوم الحرّية إذن بالمعنى الصحيح، في المجتمع البشري، على عمل ما يروق... وإنما على إمكان العيش بيُسر أكبر، استنادًا إلى الشرائع المدنية، بموجب فرائض الشريعة الأبدية. أما الحاكمون، فحريّتهم ليست في القدرة على الأمر اعتباطيًا وبحسب مرضاتهم... وإنما من الواجب أن تقوم قوّة الشرائع المدنية على إدراك أنها تتفرّع من الشريعة الأبدية، وأنها لا تحدّ شيئًا لا تتضمّنه هذه كما في مبدإ كل حق.

حريّة الضمير والتسامح

٣٢٥٠ – تُمدح أيضاً كثيرًا [الحريّة] التي تُسمّى حريّة الضمير: فإذا فُهمت بمعنى أنه من الجائز لكل واحد، كما يرى، أن يقدّم لله عبادة أَوْ لاَ يقدّم، فذلك ما تدحضه كفاية البراهين التي أبديت سابقًا.

ولكن بالإمكان أن يفهم أيضاً بمعنى أنه يجوز للإنسان، في الدولة، أن يتبع إرادة الله بحسب وعيه لواجبه، ويتمّم فرائضه، دون أن يمنعه مانع. هذه الحرية الحقيقة الجديرة بأبناء الله، والصائنة على أشرف وجه كرامة الشخص، هي أكبر من كل عنف وكل ظلم. والكنيسة كانت ترغب فيها دائمًا، وهي عزيزة دائمًا عندها بنوع خاص، تلك هي الحرّية التي طالب بها الرسل لأنفسهم باستمرار..

٣٢٥١ – إن [الكنيسة] لا تعترف بحق إلاّ لما هو صحيح وصالح، ولكنها لا تحكم على السلطة المدنية التي تأذن بأمر غريب عن الحقيقة والعدالة، إمّا لتجنّب شرّ أكبر، وإما للحصول أو الحفاظ على خير. فالله ذاته، في عنايته، وعلى كونه لامتناهيَ الصلاح وقادرًا على كل شيء، يأذن مع ذلك بوجود شرور في العالم، إما لكي لا يحول دون خيور أكبر، وإما لكي لا تحصل شرور أكبر. فينبغي إذن في سياسة الدول الاقتداء بمن يسوس العالم: فبما أن السلطة البشرية لا تستطيع منع وقوع شرور خاصة، عليها «أن تأذن بترك أمور كثيرة دون عقاب، وإن كانت العناية الإلهية تقضي عليها بحق».

الخطوط الكبرى للعقيدة في شأن الحرّية المدنية

٣٢٥٢ – ينتج إذن ممّا قيل أنه لا يجوز على الإطلاق طلب حريّة التفكير والكتابة والتعليم، أو الدفاع عنها أو منحها، وكذلك حريّة الديانة، بلا تمييز، كأنها حقوق انالتها الطبيعة للإنسان، لأنه لو كانت الطبيعة قد أولتها في الحقيقة، لَحقَّ التملُّص من سلطان الله، ولما استطاعت أي شريعة أن تحجز الحرّية البشرية.

وينتج كذلك مما سبق أنه من الممكن التسامح بأنماط الحرية المتنوعة، إذا كان هناك أسباب كافية، ولكن ضمن حدود معيّنة، حتى لا تؤول إلى الانفلات وإطلاق العِنان...

٣٢٥٣ – حيثما تكون السلطة ثقيلة وضاغطة إلى درجة وضع البلد تحت وطأة عنف ظالم، أو إرغام الكنيسة على أن تُحرَم من الحرّية الواجبة لها، يجوز السعي إلى تنظيم آخر للشأن العام، يمكن فيه التصرّف بحرّية. في هذه الحالة لا يتمّ السعي إلى تلك

الحرّية الفالتة وغير الأخلاقية، وإنما يُبغى بعض التخفيف لأجل خير الجميع، ويكون القصد فقط أن لا تُمنع القدرة على صنع الخير حيث يؤذن بالشرّ.

٣٢٥٤ – وعلاوة على ذلك، إن إيثار دولة سياسية تسِمُها الديموقراطية بالاعتدال، ليس في حدّ ذاته مناقضاً لما يجب، بشرط الحفاظ على العقيدة الكاثوليكية في شأن أصل السلطة العامة وممارستها.

فالكنيسة لا تنبذ أيًّا من صِيغ الحكم ما دامت قادرة بحدّ ذاتها على توفير خير المواطنين. ولكنها تبغي، والطبيعة تقتضي مثل ذلك، أن تكون كل واحدة من تلك الصِيغ بعيدة عن تجاوز حق أي شخص، وأن تحترم على الخصوص حقّ الكنيسة.

٣٢٥٥ – والكنيسة لا تدين أيضاً من يريدون أن لا يكونوا مستعبدين لغريب أو لسيد، ما دام بالإمكان أن يتمّ ذلك دون تجاوز العدالة. وهي أخيرًا لا تلقي أيضاً اللوم على من يريدون الوصول إلى أن تعيش البلدان بحسب شرائعها، وأن يرى المواطنون أنهم يُعطون إمكانية إنماء رفاهيتهم.

٣٢٥٨ – جواب المجمع المقدس لرئيس أساقفة كامبري، ١٤ (١٩) آب ١٨٨٩

كسر الجمجمة

٣٢٥٨ – في المدارس الكاثوليكية لا يمكن التعليم على وجه أكيد أن الجراحة المسمّاة «كسر الجمجمة» هي جائزة، كما أُعلن في ٢٨ أيار ١٨٨٤، وكذلك كل جراحة أخرى يكون فيها مباشرًا قتل الجنين أو الأم الحامل.

٣٢٦٠ – ٣٢٦٣ – الرسالة العامة "Quamquam plures"، ١٥ آب ١٨٨٩

منزلة القديس يوسف في التدبير الخلاصي

٣٢٦٠ – إن الأسباب والدواعي الخاصة التي لأجلها يُعدّ القديس يوسف المغبوط عمومًا شفيعًا للكنيسة، والتي تجعل الكنيسة من جهتها تترقب الكثير من حمايته،

هي أنه كان زوج مريم وأبًا ليسوع المسيح بالشهرة، ومن ذلك تتفرع كل كرامته ونعمته وقداسته وشرفه. أجل إن كرامة أم الله هي من الرفعة بحيث لا يمكن أن يكون ما هو أسمى منها، ولكن بما أنه كان بين يوسف والعذراء المغبوطة وثاق زواج، فلا ريب أنه قد اقترب أكثر من أي آخر من تلك الكرامة الفائقة السموّ التي تتفوّق بها أم الله تفوقًا عظيمًا على كل الطبائع المخلوقة. فالزواج هو الاتحاد والعلاقة الأشد حميمة من الكل، وهو بحسب طبيعته يتضمّن المشاركة المتبادلة في الخير. لذلك فعندما أعطى الله يوسف زوجًا للعذراء، لم يعطها بلا ريب رفيقًا لحياتها فحسب، وشاهدًا لبتوليتها، وحارسًا لشرفها، بل أيضاً، بقوة العهد الزوجي ذاته، مشاركًا في كرامتها السامية.

كذلك هو يسمو على الجميع بكرامته العالية جدًّا، إذ إنه كان بمشيئة الله حارسًا لابن الله، يعدّه الناس كأبيه. وبالتالي كان كلمة الله خاضعًا ليوسف بتواضع، طائعًا لكلامه، يكرمه الإكرام الذي على الأولاد أن يؤدوه لوالديهم.

٣٢٦١ – ولكن من هذه الكرامة المزدوجة تتأتّى تلقائيًا المهامُّ التي تفرضها الطبيعة على آباء الأُسر، بحيث كان القديس يوسف، في الوقت عينه، حارس البيت الإلهي الذي يرئسه، ومديره والمدافع الشرعي والطبيعي عنه. فهذه المهامّ والوظائف قد اضطلع بها بلا ريب مدى حياته الفانية كلها...

٣٢٦٢ – وهذا البيت الإلهي الذي ساسه يوسف كما بسلطة الأب، كان يحوي بواكير الكنيسة الناشئة. فكما أن العذراء الجزيلة القداسة هي التي ولدت يسوع المسيح، كذلك هي أم لجميع المسيحيين، إذ إنها ولدتهم على جبل الجلجلة وسط عذابات الفادي القصوى. كذلك يسوع المسيح هو كالبكر بين المسيحيين الذين هم إخوته بالتبنّي والفداء.

٣٢٦٣ – تلك هي الأسباب التي لأجلها يشعر الأب المغبوط بأنه عُهد إليه بنوع خاص بجماعة المسيحيين التي تتألف منهم الكنيسة، أي تلك الأسرة الكبيرة جدًّا المنتشرة في الأرض كلها، التي له عليها مثل سلطة أبوية، لأنه زوج مريم وأب ليسوع المسيح. فمن الطبيعي جدًّا بيوسف المغبوط أن يحمي ويحفظ الآن كنيسة المسيح برعايته السماوية، كما كان قديمًا يسدّ حاجات أسرة الناصرة ويكتنفها بحمايته.

٣٢٦٤ – جواب المجمع المقدس لأسقف مرسيليا، ٣٠ تموز ١٨٩٠

خمر القداس

٣٢٦٤ – في كثير من مناطق فرنسا، خصوصاً في الجنوبية منها، الخمر الأبيض المستعمل للذبيحة غير الدموية هو ضعيف جدًّا وبلا قوّة، بحيث لا يمكن أن يحفظ طويلاً ما لم تُمزج به كمية من الكحول.

أسئلة: ١ – هل يجوز هذا المزج؟

٢ – وإذا جاز فأي كمية من هذه المادّة الخارجية يمكن إضافتها؟

٣ – وإذا كان الجواب إيجابيًا، فهل يجب أن يكون الكحول مستخرجًا من الخمر الصافي أو من ثمر الكرمة؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٣١ تموز) إذا كان الكحول مستخرجًا من انتاج الكرمة، وكانت كمية الكحول، مضافةً إلى التي يحتويها طبيعيًا الخمر المذكور، لا تزيد على نسبة اثنتي عشرة بالمئة، وجرى المزج إذ الخمر لا يزال جديدًا، فلا مانع يحول دون استعمال هذا الخمر في ذبيحة القداس.

٣٢٦٥ – ٣٢٧١ – الرسالة العامة "Rerum novarum"، ١٥ أيار ١٨٩١

الحق في الملكية الخاصة واستعماله

٣٢٦٥ – إن المِلكية الخاصة والشخصية هي حق طبيعي للإنسان... وليس من داع للّجوء إلى رعاية الدولة، لأن الإنسان سابق للدولة. ولذلك كان لا بدّ من أن يكون قد حصل على حق المحافظة على حياته وجسده قبل أن تتكوّن الدولة...

لا شك في أن الأرض توفّر بغزارة ما هو ضروريّ لحفظ الحياة بل أكثر من ذلك أيضاً لاستكمالها. ولكنها لا تستطيع أن توفّر ذلك بنفسها ما لم يزرعها الإنسان ويعتني بها. ولكن بما أن الإنسان يستعمل كل طاقاته الروحية وقواه الجسدية للحصول على الخيرات الطبيعية فهو يختص بذاته هكذا الجزء الذي يعتني به من

الطبيعة المادّية والذي ترك فيه، بوجه من الوجوه، أثرًا من شخصيته... فيجب إذن، كما تقتضي العدالة الكاملة، أن يمتلك لنفسه هذا الجزء، ولا يجوز لأحد أن يغتصب حقه بأي طريقة كانت...

٣٢٦٦ – ولكننا ندرك أن هذه الحقوق الملازمة لكل إنسان، تكون أيضاً أقوى عندما يُنظر إليها في علاقتها وارتباطها بواجبات الناس في الحياة المنزلية...
إن ما أبرزناه، أي الحق في الملكية الذي أولته الطبيعة لكل إنسان، يجب أن ينقل إلى الإنسان بكونه ربَّ أسرة. وأكثر من ذلك، إن الحق تزداد قوّته بمقدار ما يزداد العدد الذي على الشخص البشري أن يعنى به في المجتمع المنزلي.
إنها لشريعة مقدّسة جدًّا في الطبيعة، أن يهتم أبو الأسرة بالطعام وبكامل إعالة الذين ولدهم هو. فالطبيعة نفسها تقوده إلى الرغبة في أن يقتني ويوفّر لأولاده – الذين يعكسون شخص الأب، وهم نوع من الامتداد له – ما يمكّنهم من صون أنفسهم بكرامة من الفقر في مجرى الحياة المتقلّب، ولكنه لا يستطيع أن يحقّق ذلك دون امتلاك أموال منتجة يورّثها للأولاد...

٣٢٦٧ – إن التملك الشرعي للأموال يتميّز عن التصرّف الشرعي بها. فالملكية الخاصة، كما رأينا، هي للإنسان حق طبيعي، وممارسة هذا الحق، خصوصاً في الحياة الاجتماعية، ليست أمرًا جائزًا فحسب، بل ضروريّ حقًّا. ولكن إذا سئل عن كيفيّة التصرّف الواجب بالأموال، فالكنيسة تجيب بلا تردّد: «في هذا المجال على الإنسان أن لا يمتلك هذه الأموال كما لو انها كانت خاصة به، ولكن كأنها للجميع، بمعنى أن واجبه يقضي بتقاسمها مع المعوزين. هكذا كتب بولس: «أوص أغنياء الدهر.. أن يرتاحوا إلى التوزيع وإشراك الغير» [١ تي ٦ :١٧ – ١٨].
أجل لا يطلب من أحد أن يساعد الآخرين بما هو ضروري له ولذويه، ولا أن يعطي للآخرين ما هو ضروري للحفاظ على ما ينبغي للشخص وما هو لائق... ولكن متى أمّن ما هو ضروري وما هو لائق، فمن واجبه أن يعطي ممّا يبقى للذين هم في حاجة. «تصدَّقوا بالباقي» [لو ١١ : ٤١]. ذلك ليس واجبًا بالعدل، ما عدا الحالة القصوى، وإنما بالمحبة المسيحية فلا يمكن فرض تحقيقه بطريق العدالة.

ولكن فوق شرائع البشر ومحاكمهم هناك شريعة المسيح ومحكمته والله الذي يدعو بطرق كثيرة إلى الجود... والذي يحكم في ما أُعطي وما رُفض [مت ٢٥ : ٣٤].

الحقوق الناتجة من العمل

٣٢٦٨ – إن العمل عند الإنسان له سمتان تتصلان بطبيعته، أي إنه شخصي، لأن القوّة الفاعلة ملتصقة بالشخص، وتخصّ الذي يمارسها، وغايتها منفعته. ثم إنه ضروري لأن الإنسان بحاجة إلى ثمرة عمله لإعالة حياته. وإعالة الحياة تفرضها طبيعة الأشياء نفسها التي يجب أن تطاع إلى أبعد حدّ.

٣٢٦٩ – فإذا نُظر إليه فقط من حيث إنه شخصي، فلا شك أنه بإمكان العامل أن يقلّص الأجر المتفق عليه: فكما أنه يقدم عمله بإرادته، كذلك يستطيع أيضاً الاكتفاء بإرادته بحدّ أدنى من الأجر أو العمل بدون أجر.

٣٢٧٠ – ولكن يجب أن يكون الحكم في ذلك مغايرًا إذا أضفنا إلى سمة الشخصيّة سمة الضرورة التي يمكن، أجَل، أن تفصل عنها بالفكر لا في الحقيقة. في الحقيقة هناك واجب مشترك بين الجميع أن يؤمّنوا حاجات الحياة، والتفلّت منه جريمة. وينتج من ذلك حتمًا الحق في الحصول على ما يؤمن العيش. ومن تعوزه الوسائل ليس له القدرة على ذلك إلا بالأجر الذي يحصل عليه بالعمل. ومن ثَمَّ فحتّى إن توصّل العامل وربّ العمل باتفاق حرّ إلى نفس المعاهدة، ولاسيّما بالنسبة إلى مبلغ الأجر، فهناك دائمًا أمر موجود ضمنًا يستند إلى العدالة الطبيعية، وهو أكبر وأقدم من إدارة المتعاقدين الحرّة، مفاده أنه من الواجب أن لا يكون الأجر أقلّ مّما يكفي العامل للعيش باعتدال وكرامة.. أما إذا قبل العامل، بدافع الضرورة أو الخوف من شرّ أكبر، وضعًا أشد قساوة، يضطرّ إلى قبوله وإن لم يُرد ذلك، لأن ربّ العمل أو من يُنيل العمل يفرضه عليه، فذلك عنف يقاسيه يتنافى والعدالة...

٣٢٧١ – إذا حصل العامل على أجر كاف ليؤمن بسهولة حاجات امرأته وأولاده، فإنه سيجتهد بطيبة خاطر، إذا كان حكيمًا، في الاقتصاد، ويسعى، على ما تدعو إليه الطبيعة كما يبدو، إلى أن يبقى له، بعد اقتطاع الضروري للإعالة، شيء يمكنه من اقتناء ملكية متواضعة...

ولكن لا يمكن إدراك هذه الفوائد إلاّ إذا كان المقتنى الخاص لا تستنفده مبالغة في الضرائب والرسوم. وبما أن حق تملّك أموال خاصّة توليه الطبيعة لا الشريعة، فالسلطة العامة لا تستطيع إلغاءه وإنما تنظيم ممارسته فقط، وجعله منسجمًا مع الخير العام. فهي تعمل إذن بطريقة ظالمة وغير إنسانية إذا اقتطعت من الأموال الخاصة ما يجافي الإنصاف.

٣٢٧٢ – ٣٢٧٣ – الرسالة "Pastoralis officii" إلى أساقفة ألمانيا والنمسا، ١٢ أيلول ١٨٩١

المبارزة

٣٢٧٢ – ... إن الشريعتين الإلهيتين، تلك التي أعلنها نور العقل الطبيعي كما التي أعلنتها الكتب المقدسة المؤلفة بوحي إلهي، تمنع بوضوح، أن يَجرح أو يَقتل أحدٌ، خارجًا عن نطاق قضية عامة، إلا إذا اضطرته إلى ذلك ضرورة الدفاع عن نفسه. ولكن الذين يدعون إلى معركة خاصة أو يقبلونها إذا ما عُرضت لهم، يفعلون ذلك، بقصد انتزاع الحياة من خصمهم أو جَرْحه على الاقل، ومجتهدين في ذلك، من غير ضرورة.

إن الشريعتين الإلهيتين تمنعان، علاوة على ذلك، أن يُعرّض الإنسان حياته متهورًا لخطر كبير جلّي، عندما لا يدعوه أي داع من واجب أو محبة شهمة، وهذا التهور الأعمى في احتقار الحياة هو بوضوح في طبيعة المبارزة.

لذلك لا يمكن أن يكتنف الغموض أو الشك أيَّ إنسان في أن الذين يلتزمون بوجه خاص بمعركة فردية، إنما يرتكبون جريمة دم الآخرين، ويعرّضون طوعًا حياتهم الخاصة.

أخيرًا ليس من آفة تعاكس قانون الحياة الاجتماعية، وتقوّض النظام العام، أكثر من الترخيص للمواطنين في أن يجعل كل واحد من نفسه، بسلطته الخاصة ويده الخاصة، المدافع عن حقه، والمثّر لشرفه الذي يراه مُهانًا.

٣٢٧٣ – ليس الخوف بالنسبة إلى الذين يقبلون المعركة التي تُعرض عليهم، عذرًا كافيًا،

عندما يخشون أن يحسبهم الناس جبناء إذا رفضوا المعركة. لأنه لو كان من الواجب قياس واجبات البشر بآراء الغوغاء الكاذبة، لا بالقاعدة الأبدية لما هو قويم وصحيح، لما كان هناك اختلاف طبيعي وحقيقي بين الأعمال الصالحة والوقائع المخزية. فالحكماء الوثنيون أنفسهم قد عرفوا وعلّموا أن الإنسان القوي والشجاع عليه أن يزدري أحكام الغوغاء الخادعة. وبالعكس إنه خوف صحيح ومقدس ذاك الذي يصرف الإنسان عن القتل الجائر، ويجعله يهتم بحياته الخاصة وحياة إخوانه. وعلاوة على ذلك، إن الذي يزدري أحكام الغوغاء الباطلة، ويفضّل احتمال وقع الإهانات على أن يكون يومًا خائنًا لواجبه، هو الذي يتمتّع بنفس أكبر وأسمى من الآخر الذي يسرع إلى السلاح تحدوه الإهانة. بل أكثر من ذلك، إنه وحده، بموجب الحكم الصحيح، مَن تسطع فيه الشجاعة الراسخة، أي تلك الشجاعة، المسمّاة بحق فضيلة، والتي يُرافقها مجد غير خادع ولا كاذب. فالفضيلة تقوم على الخير بالانسجام مع العقل، وكل مجد لا أساس له في الله هو غباوة.

٣٢٧٤ – ٣٢٧٥ – الرسالة العامة "Octobri mense"، ٢٢ ايلول ١٨٩١

مريم وسيطة النعم

٣٢٧٤ – عندما أراد ابن الله الأزلي، أن يتخذ طبيعة بشرية، لأجل فداء الإنسان وشرفه، وأن يحقق في سبيل ذلك اتحادًا سرّيًا بالجنس البشري كله، لم يفعل ذلك قبل أن تبدي الأم المصطفاة إرادتها الحرّة. وكانت تقوم بوجه ما مقام الجنس البشري نفسه، بحسب رأي الأكويني المشهور والصحيح جدًّا: «كان من المرتَقب، عبر البشارة، أن توافق العذراء باسم الطبيعة البشرية كلها».

لذلك يجوز التأكيد، بما لا يقلّ من الحق والصواب، أنه لا شيء على الإطلاق من هذا الكنز غير المحدود، كنزِ كل نعمة، الذي جاء به الرب – إذ «إن النعمة والحقيقة بيسوع المسيح قد حصلا [يو ١ :١٧] – لا شيء وُزِّع علينا، بمشيئة الله إلا بمريم، بحيث إنه كما لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الآب إلا بالابن، كذلك يمكن القول إنه لا يستطيع أحد أن يصل إلى المسيح إلاّ بالأم...

٣٢٧٥ – هكذا أعطانا الله إياها، باختيارها أمّا لابنه، كأنها تلك التي أوحى لها بعواطف أمومة حقيقية ليست سوى حبّ ومسامحة. وهكذا أراها لنا يسوع المسيح بفعله، عندما أراد بحرّية أن يكون خاضعًا لمريم وطائعًا لها كما الابن للأم. هكذا أعلنها من على صليب، عندما وكل الجنس البشري كله إلى عنايتها وحمايتها، بشخص التلميذ يوحنا [يو ١٩ :٢٦ – ٢٧]. هكذا أخيرًا قدمت ذاتها، عندما قبلت بقلب كبير، إرث العمل العظيم جدًّا الذي خلفه ابنها وهو يموت، وبدأت على الفور إتمام مهمّتها الوالدية تجاه الجميع.

٣٢٧٦ – ٣٢٧٩ – جواب المجمع المقدس لرئيس أساقفة فريبورغ، ٢٧ تموز ١٨٩٢

إحراق الأجساد

٣٢٧٦ – أسئلة: ١ – هل يجوز منح الأسرار الأخيرة لمؤمنين ليسوا من البدعة الماسونية، ولا يسيرون بحسب مبادئها، ولكنهم، لأسباب أخرى، قد أوعزوا أن تحرق أجسادهم بعد الوفاة، إذا أبوا التراجع عن ذلك؟

٣٢٧٧ – ٢ – هل يجوز تقديم ذبيحة القداس علنًا، أو على وجه خاص، لأجل مؤمنين أحرقوا من غير أن يكون لهم ذنب، وكذلك قبول أوقاف لهذه الغاية؟

٣٢٧٨ – ٣ – هل يجوز المساهمة في إحراق الأجساد، إما بالإيعاز أو بالنصيحة، وإمّا بالمعاونة كما هي حال الأطباء أو الموظفين أو العمال الذين يقومون بخدمتهم في محرقة؟

٤ – هل يجوز منح الأسرار للذين يعاونون هكذا، إذا أبوا الامتناع عن تلك المشاركة، أو أكدوا عجزهم عن ذلك؟

٣٢٧٩ – أجوبة: عن ١ – إذا رفضوا بعد التنبيه: كلاّ. ولمعرفة هل من الضروري التنبيه أولاً، تجب المحافظة على القواعد التي نقلها المؤلفون المختبرون، مع السهر خصوصاً على تجنّب المعثرة.

عن ٢ – في شأن تقديم القداس العلني: كلاّ. وفي شأن التقديم الخاص: نعم.

عن ٣ – لا يجوز أبدًا المعاونة بالإيعاز أو بالنصيحة، ويمكن التغاضي أحيانًا عن التعاون المادي

إذا: ١) لم يكن الإحراق محسوبًا كعلامة تعبّر عن البدعة الماسونية.

٢) ولم يكن فيها ما يعبّر بحدّ ذاته بطريقة مباشرة ووحيدة عن رذل العقيدة الكاثوليكية والرضى بالبدعة.

٣) ولم يثبت أن الموظفين والعمّال الكاثوليكيين مرغمون على هذا العمل أو مدعوون إليه قصد ازدراء الديانة الكاثوليكية، وفي هذه الحالة، حتى وإن كان من الواجب إبقاؤهم في صدق طويتهم، فلا بدّ من تحريضهم دائمًا على أن لا يسعوا إلى المعاونة على الإحراق.

عن ٤ – الجواب أُوضِح في ما سبق. ويعطى مرسوم ١٥ كانون الأول ١٨٨٦ [٣١٩٥ – ٣١٩٦].

٣٢٨٠ – ٣٢٩٤ – الرسالة العامة "Providentissimus Deus"، ١٨ تشرين الثاني ١٨٨٦

السلطات التي تفسّر الكتاب المقدس

٣٢٨٠ – [على المعلم في تعليمه] أن يرجع إلى ترجمة الطبعة المنتشرة (فولغاتا)، التي رسم في شأنها المجمع التيدنتيني أنه من الواجب «في الدروس العلنية، والمجادلات، والوعظ والشروحات» أن يُتمسّك بها «كأصيلة» [ر ١٥٠٦].

وتدعمها أيضاً ممارسة الكنيسة اليومية. على أن يُعتدّ أيضاً كما ينبغي بالترجمات الأخرى التي اعترفت بها المسيحية الأولى واستعملتها، ولا سيّما المخطوطات الأولى. وإن كانت الطريقة التي تعبّر بها الفولغاتا، تؤدي جيّدًا المعنى العبري واليوناني، في ما يتعلق بالمُعطى الأعظم، فمن المفيد أنه عندما يكون فيها التعبير عن أمر ما ملتبسًا أو أقلّ دقة «أن يُنظر في اللغات السابقة» كما ينصح أوغسطينوس...

٣٢٨١ – ... لقد أعاد المجمع الفاتيكاني عقيدة الآباء، عندما جدّد مرسوم المجمع

التريدنتيني في شأن تفسير الكلام الإلهي المكتوب، وأعلن إرادته «أنه من الواجب، في الشؤون الإيمانية والأخلاقية التي تتعلّق بإعداد العقيدة المسيحية، أن يُعدَّ حقيقيًا معنى الكتاب المقدس الذي تأخذ به أمّنا الكنيسة المقدسة، التي لها أن تُحكُم في المعنى والتفسير الحقيقيين للكتب المقدسة. ولذلك لا يجوز لأحد أن يُفسّر هذا الكتاب المقدس خلافًا لذلك المعنى، ولا خلافًا لما أجمع عليه الآباء» [١٥٠٧؛ ٣٠٠٧].

٣٢٨٢ – بهذه القاعدة الحكيمة جدًّا لا توقف الكنيسة ولا تعارض في أي شيء البحث في العلم الكتابي. وبالعكس فهي تقيه من الضلال، وتساهم كثيرًا في تقدمه الصحيح. فكل ملفان خاص يرى مجالاً واسعًا مشرعًا أمامه، يستطيع فيه، وهو يسير في الاتجاه الآمن، أن يناضل في سعيه التفسيري، بتميّز وفائدة للكنيسة. ففي فقرات الكتاب المقدس التي ما زالت تترقّب تفسيرًا أكيدًا ومحدَّدًا جيّدًا، قد يحصل، بقصد عطوف من العناية الإلهيّة، أن يبلغ حكم الكنيسة النُّضج بدراسة إعدادية. أما بالنسبة إلى الفقرات التي تم تحديدها، فيستطيع الملفان أن يقوم بدور مفيد أيضاً، إما بتفسيرها بوضوح أكبر لعامة المؤمنين، أو بحذاقة أكثر، للناس المثقفين، وإما بالدفاع عنها دفاعًا أشدّ في وجه الخصوم...

٣٢٨٣ – في المسائل الأخرى يُتّبع قياس الإيمان، وتُتّخذ العقيدة الكاثوليكية، كما تقول بها الكنيسة، معيارًا نهائيًا...

٣٢٨٤ – على [المفسِّر] أن لا يفكِّر بسبب ذلك أن الطريق قد سُدّ أمامه، وأنه لا يستطيع، إذا كان هناك سبب كاف، أن يمضي إلى ما هو أبعد في أبحاثه وشروحاته، إذا اتّبع بتقوى النصيحة الحكيمة التي أعطاها أوغسطينوس، بأن لا يبتعد في شيء عن المعنى الحرفي والذي هو كبديهي، إلا إذا كان هناك سبب يمنعه من التمسّك به أو يحتّم التخلّي عنه...

٣٢٨٥ – أجل إن سلطة المفسّرين الكاثوليكيين الآخرين هي أدنى. ولكن بما أن دراسة الكتاب المقدس قد أحرزت تقدّمًا متواصلاً في الكنيسة، فلا بدّ من أن يُؤدّى لتفاسيرهم التقدير الواجب، إذ بالإمكان استخراج الكثير من الأدلّة الملائمة لدحض الاعتراضات وجلاء الأمور الصعبة...

العلوم المساعدة على تفسير الكتاب المقدس

٣٢٨٦ – من الضروري لمعلمي الكتاب المقدس، واللائق باللاهوتيين، أن يعرفوا اللغات التي كَتب بها أولاً الكتّابُ القديسون الأسفار القانونيّة... وعلى هؤلاء المعلّمين أنفسهم أن يكونوا، للسبب عينه، متضلّعين جدًّا من الطريقة النقدية الصحيحة ومتمرّسين بها جدًّا، فقد أدخلوا، بغير حق وبما يلحق الأذى بالكنيسة، طريقة زينوها باسم «نقد عالٍ»، وبموجبها لا بدّ من الحكم على أصل كل كتاب وسلامته، وقَدْره، بأسباب داخلية فقط، كما يقولون. ومن الواضح، بالعكس، في المسائل التاريخيّة، من مثل أصل الكتب وحفظها، أن الشهادات التاريخية تتفوّق على الأخرى، ولا بدّ من البحث عنها ومناقشتها بعناية كبرى، أما الأسباب الداخلية، ففي أغلب الأحيان لا يكون لها من الأهمية ما يحمل على الاستعانة بها، إلاّ لنوع من أنواع الإثبات...

٣٢٨٧ – إن معرفة العلوم الطبيعية تكون ذات عون كبير لمعلّم الكتاب المقدس، تيسّر له أكثر اكتشاف ودحض السفسطات المناقضة للأسفار المقدسة. لن يكون هناك خلاف حقيقي بين اللاهوتي والعالم، ما دام كلٌّ منهما باقيًا ضمن حدوده، ساهرًا، كما ينبه القديس أوغسطينوس، على «أن لا يؤكد شيئًا من غير تفكير، وأن لا يؤكد المجهول كأنه معلوم». وإذا حصل، مع ذلك، بينهما خلاف، فالمؤلف نفسه يعطي باختصار القاعدة لموقف اللاهوتي: «في كل ما يستطيعون أن يبرهنوا عليه عن طبيعة الأشياء ببرهان حقيقي، فلنظهر أن ذلك لا يناقض كتبنا المقدسة. وفي كلّ ما يستخرجونه من كتبهم مما يخالف كتبنا، أي الإيمان الكاثوليكي، فلنظهر، قدر المستطاع، أو فلنؤمن بلا ريب، أن ذلك خاطئ تمامًا».

٣٢٨٨ – لإدراك صحة هذه القاعدة، علينا أن نلاحظ أولاً أن الكتّاب القديسين، أو بكلام أصحّ «الروح القدس الذي تكلم بلسانهم، لم يشأ تعليم الناس هذه الأشياء [التكوين الداخلي للموجودات المنظورة) غير النافعة لخلاصهم». وأنّهم، لهذا السبب، بدل متابعة البحث المنظم في الطبيعة، كانوا يصفون ويعالجون هذه الأشياء عَرَضاً، إما بطريقة هي نوع من الرمز، وإما بأسلوب الكلام الدارج في أيامهم، والذي هو الآن أيضاً دارج في الاستعمال، بالنسبة إلى كثير من

الموجودات، حتى عند الأكثر علمًا. ولكن بما أن لغة الشعب تعبّر أولاً بالكلمة الصحيحة التي تؤثر في الحواس، فالكاتب القديس لم يفعل غير ذلك وكما يقول الملفان الملائكي [توما الأكويني] «لقد تعلّق بما يظهَر للحواس»، أو بما عبر عنه الله نفسه، عندما كان يتكلم مع الناس، بطريقة بشرية حتى يستطيعوا فهمه.

٣٢٨٩ – ولكن لا ينتج من ضرورة الدفاع الشديد عن الكتاب المقدس أنه لا بدّ من المحافظة كذلك على كل المفاهيم التي عبّر عنها لتفسيره كلُّ واحد من الآباء أو المفسّرون من بعدهم، فلعلّهم بالنظر إلى آراء عصرهم، لم يكن دائمًا حكمهم بحسب الحقيقة، عندما فسّروا فقرات تتناول ما يتعلّق بعلوم الطبيعة، فأكّدوا أمورًا لا يقوم عليها الآن برهان.

لذلك يجب التمييز بعناية في تفاسيرهم بين ما يعلّمونه حقًا مما يتعلّق بالإيمان أو ما هو وثيق الصلة به، وما يعلمونه بالإجماع. «ففي ما لا يتعلق بالإيمان بالضرورة كان جائزًا للقديسين أن يكون لهم آراء مختلفة»، كما يقول القديس توما. وفي موضع آخر، يلاحظ بحكمة كبيرة: «في شأن الآراء التي قال بها الفلاسفة عمومًا، والتي لا تخالف الإيمان، يبدو لي أنه من الآمن أن لا نؤكدها كعقائد إيمانية، حتى وإن درجت باسم الفلاسفة، وأن لا نرذلها كذلك بكونها مخالفة للإيمان، حتى لا نفسح في المجال لحكماء هذا الدهر لكي يزدروا عقيدة الإيمان».

وإن كان من الواجب على المفسّر أن يبيّن أن ما عدّه الذين يدرسون الطبيعة أكيدًا، ببراهين أكيدة، لا يناقض بأي وجه من الوجوه، الكتب المقدسة التي فسِّرت تفسيرًا صحيحًا، فعليه أن لا ينسى، بسبب ذلك، أنه قد حدث أحيانًا أن أمورًا عدّوها أكيدة صارت في ما بعد موضع شك ورُذلت.

٣٢٩٠ – يحسن من بعد تطبيق ذلك على العلوم الملازمة ولاسيّما التاريخ.

الإلهام والعصمة من الضلال في الكتاب المقدس

٣٢٩١ – من الواضح إمكان وقوع أخطاء في بعض الفقرات، على يد مَن ينسخون المخطوطات، ولا بدّ من فحص ذلك بإمعان، وعدم قبوله بسهولة، إلا في

الفقرات حيث يتبين ذلك بالبرهان. ومن الممكن أيضاً أن المعنى الصحيح لفقرة يبقى ملتبسًا. ولتوضيحه تفيد جدًّا قواعد التفسير الفضلى. ولكن يكون من السيىء جدًّا حصر الإلهام في بعض أجزاء الكتاب المقدس فقط، أو قبول الغلط عند الكاتب. فليس بالإمكان قبول مفهوم مَن يتخلصون من هذه الصعوبات بقولهم، دون تردّد، إن الوحي الإلهي يتناول مسائل الإيمان والأخلاق، لا ما هو ابعد من ذلك. فهم يرون عن خطإ أنه عندما يُنظر إلى حقيقة التعابير، يجب ألا نبحث عمّا قاله الله أكثر من الفحص عن السبب في قوله هذا.

٣٢٩٢ – فجميع الأسفار التي قبلتها الكنيسة على انها مقدسة وقانونية، قد كُتبت كاملة بإملاء الروح القدس. وحاشا أن يخالط أي ضلال الوحي الإلهي، فهذا لا يُقصي فقط بحدّ ذاته كل ضلال، ولكنه يقصيه ويأباه بفعل الضرورة ذاتها التي تجعل الله، الحقيقة السُميا، غير قادر على أن يكون صانع ضلال.

٣٢٩٣ – ذلك هو إيمان الكنيسة القديم والثابت، الذي حُدّد بإعلان احتفالي في مجمع فلورنسا [ر ١٣٣٤] والمجمع التريدنتيني [ر ١٥٠١ – ١٥٠٨]، والذي، من بعد، ثُبّت وشُرح بوضوح أكثر في المجمع الفاتيكاني، الذي أعلن بدون تحفظ: «إن اسفار العهدين القديم والجديد... صانعها هو الله» [٣٠٠٦]. لذلك لا يهمّ على الإطلاق أن يكون الروح القدس قد استعمل بشرًا كأدوات للكتابة، كما لو أنه كان من الممكن أن يقع أي ضلال لا على يد المؤلف الأساسي وإنما على يد الكتاب الملهمين. فهو، بقوته الفائقة الطبيعة، قد أحياهم وحركهم للكتابة وساعدهم عندما كتبوا، بحيث كانوا يتصوّرون تصورًا صحيحًا، ويبغون الكتابة بأمانة، ويعبّرون بدقة وبحقيقة معصومة، في شأن كل ما كان يأمرهم بكتابته، وما يأمرهم بكتابته فقط. وإلاّ لما كان هو نفسه واضع الأسفار المقدسة بكاملها...

ولقد أيقن جميع الآباء وجميع الملافنة أن الأسفار المقدسة، كما وضعها الكتَّاب القديسون، هي خالية من كل ضلال، وسعوا بحذق لا يقل عن حسّهم الديني إلى الملاءمة والموافقة بين الفقرات الكثيرة التي يبدو أن فيها شيئًا من التناقض أو الاختلاف... وقد أجمعوا على الاعتقاد بأن هذه الأسفار بكاملها وبأجزائها، هي بالتساوي من إلهام إلهي، وأن الله نفسه الذي تكلم بالكتّاب القديسن لم يستطع أن يقول شيئًا يخالف الطبيعة.

إن الكلام الذي كتبه أوغسطينوس نفسه لايرونيموس له قيمة عامّة: «إذا لقيتُ في الأسفار المقدسة فقرة تبدو مناقضة للحقيقة لن أتردّد في التفكير أن الذنب على المخطوط، أو أن المفسر لم يتّبع ما قيل، أو أني أنا لم أفهم على الإطلاق»...

٣٢٩٤ – ... منذ زمن بعيد أبديت اعتراضات كثيرة متأتية من كل المذاهب، على الكتاب المقدس، وقد طواها الآن النسيان لأنها لم تكن ذات قيمة. كذلك، عُرض في الماضي عدد كبير من الشروحات لبعض فقرات الكتاب المقدس (لا تتصل، بالمعنى الدقيق، بالإيمان والأخلاق)، مكّنت أبحاث معمّقة في شأنها البلوغ إلى روية أصح. لأن الزمن يقضي على الآراء الخاطئة، ولكن «الحقيقة تبقى وتتشدّد إلى الأبد».

٣٢٩٦ – جواب المجمع المقدس لأسقف سريناغار (الهند)، ١٨ تموز ١٨٩٤

معمودية أولاد لوالدين غير مؤمنين

٣٢٩٦ – أسئلة (٢٨ آب ١٨٨٦)

١ – هل يمكن تعميد أولاد غير المؤمنين إذا كانوا في خطر (الموت)، ولكن لا في نزاع الموت؟

٢ – هل يمكن تعميد هؤلاء الأولاد على الأقل إذا لم يكن هناك أمل في معاودة رؤيتهم من جديد؟

٣ – ماذا يكون الأمر، إذا استطعنا الافتراض بفطنة أنهم لن يعيشوا بعد المرض الذي يحلّ بهم الآن، وأنهم سيموتون قبل سن التمييز؟

٤ – هل يمكن تعميد أولاد غير المؤمنين الذين في خطر (الموت) أو في نزاع الموت، إذا كان هناك ريب أنهم بلغوا سنّ التميز، ولم يكن من سبيل لتعليمهم حقائق الإيمان؟

جواب: عن ١ – ٣: أجل. عن ٤: ليجهد المرسلون في تعليمهم بأفضل طريقة ممكنة، وإلا فيجب تعميدهم من غير شرط.

٣٢٩٨ – جواب المجمع المقدس لرئيس أساقفة كمبري، ٢٤ تموز ١٨٩٥

الإجهاض

٣٢٩٨ – عرض: عندما دُعي الطبيب تيتيوس إلى عند امرأة حبلى في حالة خطرة، لاحظ أن المرض الذي جعل المرأة في خطر الموت لم يكن له علة سوى الحَمْل ذاته، أي وجود الجنين في الرحم، فظهر له على الفور سبيل إلى إنقاذ الأم من موت محتّم، أي بالعمل على إحداث إجهاض، أي خروج الجنين. هذا هو السبيل الذي كان يتبعه عادة، ولكن باستعمال وسائل ومعالجات لا ترمي بحدّ ذاتها ومباشرة إلى قتل الجنين في حشا أمه، وإنما فقط إلى ان يخرج الجنين حيًا إلى النور، إن أمكن، وإن كان سيموت على الفور، إذ إنه لا يزال أيضاً غير ناضج.

ولكن، بعد قراءة، جواب الكرسي الرسولي في ١٩ آب ١٨٨٩ لرئيس أساقفة كمبري، أي «إنه لا يمكن التعليم تعليمًا أكيدًا» أن معالجة تقتل الجنين مباشرة هي جائزة، وإن كان ذلك ضروريًا لإنقاذ الأم، وقع تيتيوس في الريب بالنسبة إلى جواز المعالجات الجراحية التي بها تسبب هو أحيانًا بإجهاض ينقذ به نساء حوامل في حالة مرض خطر.

سؤال: يسأل تيتيوس: هل يستطيع أن يتابع من جديد، وبوجه أكيد، تلك المعالجات المذكورة إذا تكررت الظروف السابقة؟

جواب (ثبته الحبر الأعظم في ٢٥ تموز): كلاّ بحسب مراسيم أخرى، أي تلك التي صدرت في ٢٨ أيار ١٨٨٤ و١٩ آب ١٨٨٩.

٣٣٠٠ – ٣٣١٠ – الرسالة العامة "Satis cognitum"، ٢٩ حزيران ١٨٩٦

وحدة الكنيسة كونها جسد المسيح السرّي

٣٣٠٠ أجل إن الكنيسة، إذا نظرنا إلى الغاية التي تقصدها والأسباب المباشرة التي تفعل القداسة، فهي بلا ريب روحية. ولكن إذا نظرنا إلى الذين تتألف منهم، والحقائق التي تقود إلى المواهب الروحية، فهي خارجية وبالضرورة منظورة...

لهذه الأسباب تدعو الأسفار المقدسة الكنيسة مرارًا «جسدًا» وأيضاً «جسد المسيح»: «فأنتم جسد المسيح» [١ كو ١٢: ٢٧]. ولأن الكنيسة جسد فهي منظورة للعيان. ولأنها جسد المسيح، فهي جسد حيّ، نشيط، مليء بالنُّسغ، لأن المسيح يحفظها ويساندها... ولكن كما أن مبدأ الحياة في الكائنات الحيّة هو خفيّ ومحجوب عن الأنظار، وإن كانت تدلّ عليه وتظهره حركة الأعضاء وفعلها، كذلك مبدأ الحياة الفائقة الطبيعة في الكنيسة يبدو بوضوح في ما تفعله هي.

٣٣٠١ – وبالتالي فإن الذين يصوّرون الكنيسة وفق هواهم، وينظرون إليها كأنها، بوجه من الوجوه، خفيّة وغير منظورة البتّة، هم في ضلال كبير. كذلك الذين لا يرونها سوى مؤسسة بشرية، لها نظام وطقوس خارجية، من غير دفق دائم لمواهب النعمة الإلهية، ومن غير تلك الحقائق التي تؤكد، بظهور يومي وواضح، الحياة الفائقة الطبيعة المستمدّة من الله. القول إن كنيسة المسيح يمكن أن تكون واحدًا من الأمرين فقط هو من الغباء بقدر القول إن الإنسان مصنوع من جسد فقط أو من روح. فالرباط والاتحاد بين هذين العنصرين هو ضروري على الإطلاق لحقيقة الكنيسة، كما هو، على وجه التقريب، في الطبيعة البشرية، الاتحاد الوثيق بين النفس والجسد.

ليست الكنيسة جسدًا ميتًا، بل هي جسد المسيح الحائز على حياة فائقة الطبيعة. وكما أن المسيح الرأس والمثال ليس كاملاً عندما تقتصر نظرتنا إليه إما على الطبيعة البشرية المنظورة فحسب، ... وإما على الطبيعة الإلهية غير المنظُورة فحسب، بل عندما نراه واحدًا انطلاقًا من الطبيعتين وفيهما، المنظورة كما الغير المنظورة، كذلك جسده السّري ليس الكنيسة الحقيقية إلا لأن أجزاءه المنظورة تستمد قوتها وحياتها من المواهب الفائقة الطبيعة، والحقائق الأخرى التي منها تتفتّح الحقيقة والطبيعة الخاصة بها...

٣٣٠٢ – ولكن عندما يتعلّق الأمر بتمييز طبيعة الوحدة وإقامتها، كثيرون هم الذين يضيّعهم الضلال خارج الطريق. إذ إن تكوين الكنيسة كله وليس فقط أصلها هما من الأشياء المتأتية من إرادة حرّة: لذلك فكل حكم يجب أن يُرجع إلى ما حصل

فعلاً، ولا لزوم للبحث في أي طريقة يمكن أن تكون الكنيسة بها واحدة، ولكن في أي طريقة اراد مَن أسسها أن تكون واحدة...

٣٣٠٣ - فعندما ننظر إلى ما جرى، لم يتصوّر المسيح ولم يصنع كنيسة تضمّ جماعات متعدّدة، متشابهة بنوعها ولكنها متميّزة، لا تربطها تلك الوشائج التي تجعل الكنيسة غير منظورة وواحدة، بحسب الطريقة التي بها نعلن في قانون الإيمان «أومن بكنيسة... واحدة»...

فيسوع المسيح عندما يتكلّم على هذا البناء السّري، لا يذكر سوى كنيسة واحدة يدعوها كنيسته: «سأبني كنيستي» [مت ١٦ :١٨]. وكل كنيسة أخرى نريد أن نتصوّرها غير هذه، لا يمكن أن تكون كنيسة المسيح الحقيقية، لأن يسوع المسيح لم يؤسّسها...

فلا بدّ إذن من أن تَنشر الكنيسة بين جميع البشر، وتبسط على جميع الأجيال، الخلاص الذي حازه يسوع المسيح، مع الخيرات التي تتأتّى منه في الوقت عينه. لذلك لا بدّ لها بإرادة صانعها، من أن تكون واحدة للأرض كلها، ولمدى الأزمنة كلها...

٣٣٠٤ - يجب أن نضيف أن ابن الله قد رسم أن تكون الكنيسة جسدَه السرّي الذي يتحد به هو ليكون رأسه، على مثال الجسد البشري الذي اتخذه... فكما أنه اتخذ هو نفسه جسدًا فانيًا واحدًا قدّمه للعذاب وللموت ليؤدي الدية في سبيل تحرير البشر، كذلك له جسد سرّي واحد فيه وبه يجعل البشر يشتركون في القداسة والخلاص الأبدي: «هو (المسيح) قد أقامه (الله) رأسًا للكنيسة، التي هي جسده» [أف ١ :٢٢ - ٢٣]. إن الأعضاء المشتّتة والمنفصلة لا يمكنها أن تجتمع لرأس واحد بذاته، لتكوّن في الوقت عينه جسدًا واحدًا. فبولس يقول: «فكما أن جميع أعضاء الجسد، مع كونها كثيرة، هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً» [١ كو ١٢ :١٢]. لذلك يقول: إن هذا الجسد السرّي «منسّق وموحّد»، «الرأس هو المسيح: الذي منه ينال الجسد كله التنسيق والوحدة، وبتعاون جميع المفاصل على حسب العمل المناسب لكل عضو» [أف ٤ :١٥ - ١٦]. لذلك فعندما

تذهب أعضاء منفصلة عن أعضاء أخرى إلى هنا وهناك، فلا يمكن أن تكون لذات الرأس الوحيد...

فكنيسة المسيح إذن هي وحيدة ودائمة: وجميع من يسيرون في طريقهم الخاص يبتعدون عن إرادة المسيح الرب وما رسمه، وهم بتركهم طريق الخلاص يمضون إلى هلاكهم.

أساس وحدة الكنيسة

٣٣٠٥ – ولكن الذي أسّسها وحيدة أسّسها كذلك واحدة: أي إن الذين يجب أن يكونوا فيها يكونون مرتبطين بربُط مجتمع وثيق جدًّا يفضي إلى تكوين شعب واحد، مملكة واحدة، جسد واحد: «جسد واحد وروح واحد...» [أف ٤: ٤]... ولكن الأساس الضروري لمثل هذا الوفاق الكبير والمطلق جدًّا بين الناس إنما هو التفاهم واتحاد العقول...

[لهذه الغاية] أسّس يسوع المسيح في الكنيسة سلطة تعليمية حيّة، حقيقية وفي الوقت عينه دائمة، أغناها بسلطته الخاصة، وألبسها روح الحقيقة، وثبتها بالمعجزات، وأراد بكل حق أن تُقبل رسومها العقيدية كأنها رسومه الخاصة وأمر بذلك.

فكل مرّة إذن يُعلنُ بكلام هذه السلطة أن هذا أو ذاك هو من ضمن ما يُنقل من قبل الله، على كل واحد، أن يؤمن بيقين أن ذلك حق: فلو كان بالإمكان، بوجه من الوجوه، أن يكون ذلك غير حقيقي لنتج ما هو من الحمق: أي أن الله يكون صانع الضلال في الإنسان: «يا رب، لو أن هذا ضلال، فلقد خدعتنا أنت...» [عن ريشار دي سان فكتور].

٣٣٠٦ – كما أن وحدة الكنيسة، بكونها جماعة المؤمنين، تقتضي بالضرورة وحدة الإيمان، كذلك وحدتها، بكونها من إنشاء الرب، تقتضي بحق إلهي، وحدة الحكم التي تحقّق وحدة المشاركة...

٣٣٠٧ – إذا كان لبطرس وخلفائه سلطة كاملة وعليا [وهذا ما عُرض بتفصيل] فلا

داعي للتفكير بسبب ذلك أنه الوحيد. إذ إن ذاك نفسه الذي جعل بطرس أساسًا للكنيسة اختار «اثني عشر.. وسماهم رُسلاً» [لو ٦: ١٣]. وكما أن سلطة بطرس يجب أن تبقى دائمة في الحبر الروماني، كذلك الأساقفة، بكونهم خلفاء الرسل، ينالون بالإرث سلطة هؤلاء العادية، فتكون منظومة الأساقفة بالضرورة جزءًا من تكوين الكنيسة الداخلي. ومع أن السلطة التي يحوزونها ليست كاملة ولا شاملة ولا عليا، فمن الواجب أن لا يُعدّوا لذلك نوابًا للحبر الروماني، إذ لهم سلطة خاصة بهم، وهم مدعوّون، بحق، رؤساء للشعوب التي يسودونها.

٣٣٠٨ – ولكن منظومة الأساقفة تُعدّ متحدة ببطرس كما ينبغي، بحسب ما أمر المسيح، إذا ما خضعت لبطرس وأطاعته. وإلا فستتشتّت حتمًا إلى جمهور مختلط بلا نظام. ولحفظ وحدة الإيمان والشركة لا تكفي أوّلية الشرف ولا تحمُّل الهمّ، بل يجب حتمًا سلطة حقيقية وفي الوقت عينه عليا تخضع لها كل الجماعة...

من هنا تعابير القدامى في شأن بطرس المغبوط، التي تظهره بجلاء كأنه موضوع في أعلى درجة من الكرامة والسلطة. فيدعونه «رئيس جماعة التلاميذ»، «رئيس الرسل القديسين»، «رئيس هذه الجوقة»، «فم جميع الرسل»، «رئيس هذه الأسرة»، «الذي يسود العالم كله»، «الأول بين الرسل»، «عمود الكنيسة»...

٣٣٠٩ – ولكن سيكون هناك ابتعاد عن الحقيقة، ومناقضة صريحة لدستور الكنيسة، في القول إن على الأساقفة الخضوع للحبر الروماني كلّ بمفرده وليس جميعهم معًا. فذلك هو سبب وجود الأساس وغايته أن يوفّر الثبات للبناء كله أكثر ممّا لكل واحد من أجزائه...

وهذه السلطة إزاء مجموعة الأساقفة التي نتكلم عليها... ما برحت الكنيسة تعترف بها وتشهد لها. [راجع من بين غيرهما الرقمين ٦٤١ و٤٤٥]...

وفي الواقع تشهد الأسفار المقدسة أن مفاتيح ملكوت السماوات قد أودعت بطرس وحده، وأن سلطة الحلّ والربط قد أودعت الرسل مع بطرس. ولكن ليس هناك في أي موضع شهادة تظهر من أين نال الرسل السلطة العليا من دون بطرس وضد بطرس...

أن يكون الأشخاص نفسهم خاضعين لسلطة مزدوجة لا يستتبع أي اختلاط في الإدارة. مثل هذا الظن ممنوع عنا أولاً بحكمة الله الذي وضعت مشورته توزيع الحكم هذا. وعلاوة على ذلك تجب ملاحظة أن ما يشوّش نظام الأشياء والعلاقات المتبادَلة، إنما هو وجود سلطتين من الدرجة ذاتها في مجتمع، لا تخضع إحداهما للأخرى. ولكن سلطة الحبر الأعظم هي عليا، شاملة، وبقوة الحق: «لا ينبغي أن يقام اثنان بالتساوي على نفس القطيع. أما أن يقام اثنان، أحدهما فوق الآخر، على القطيع نفسه، فليس مما لا ينبغي، وبهذه الطريقة يوجد الخوري كما الأسقف والبابا مباشرة فوق القطيع نفسه» [من توما الأكويني].

٣٣١٠ – إن الأحبار الرومانيين يعرفون جيّدًا مهمّتهم، فيريدون أن يُحفظ ما وضعه الله في الكنيسة. ولهذا فكما هم يدافعون عن سلطتهم الخاصة بالعناية واليقظة اللائقة، كذلك جهدوا دومًا في أن تحفظ للأساقفة سلطتهم. بل أكثر من ذلك، يحسبون أنهم ينالون هم كل شرف وطاعة ينالها الأساقفة.

٣٣١٢ – جواب المجمع المقدس لأسقف برازيلي، ٥ آب ١٨٩٦

خمر القداس

٣٣١٢ – عَرْض: ... إن العنب في هذه البقعة على درجة من الضعف وكثرة الماء ما يُلزم، للحصول على خمر مقبول، بمزج العصير بقليل من السكر المستخرج من نبتة تدعى بلغة البلد قصب السُّكَّر.

فبعد أن علمنا... بجواب مجمع التفتيش المقدس الروماني والعام، في ٢٥ حزيران ١٨٩١، ظهرت بعض الشكوك:

سؤال: هل يمكن استعمال الخمر الذي صُنع على هذا الوجه، بلا ارتياب، لذبيحة القداس المقدّسة؟

جواب (ثبته الحبر الأعظم، في ٧ آب): يجب بالأحرى إضافة كحول، عوضاً عن السكّر المستخرج من قصب السُّكَّر، بهذا الشرط فقط أن يكون مستخرجًا من

نبتة الكرمة، وأن الكمية مضافةً إلى تلك التي يحتويها الخمر المذكور طبيعيًا لا تتعدّى نسبة اثنتي عشرة بالمئة. ولكن يجب أن يُصنع هذا المزيج عندما يكون ما يسمى بالتخمير الصاخب قد بدأ يهدأ.

٣٣١٣ – جواب المجمع المقدس لرئيس أساقفة تراغونا، ٥ آب ١٨٩٦

خمر القداس

٣٣١٣ – أسئلة: ١ – هل يمكن... إضافة روح الخمر أو الكحول إلى الخمور [المعدّة للتصدير] ولا سيّما الخمور الحلوة، للمحافظة عليها، وذلك بأن تبلغ حوالى ١٧ أو ١٨ درجة من الكحول، وتبقى مادة صالحة لذبيحة القداس المقدّسة؟

٢ – هل يجوز، للقيام بذبيحة القداس المقدسة، استعمال خمر استُخرج من العصير الذي كُثّف، قبل تخمير الخمر، بالتبخر فوق النار؟

جواب (ثبته الحبر الروماني في ٧ آب): عن ١: ما دام روح الخمر قد استخرج من نبتة الكرامة، وكمية الكحول التي تزاد، مضافة إلى تلك التي يحويها الخمر المذكور طبيعيًّا، لا تتعدّى نسبة سبع عشرة أو ثماني عشرة بالمئة، وصنع المزيج عندما يكون ما يُسمّى بالتخمير الصاخب قد بدأ يهدأ، لا يحول شيء دون استعمال هذا الخمر في ذبيحة القداس.

عن ٢: يجوز ذلك ما دام العَصْر لا يمنع التخمير الكحولي، وأن التخمير ذاته يمكن الحصول عليه بطريقة طبيعية، وهكذا يجري.

٣٣١٥ – ٣٣١٩ – رسالة "Apostolicae curae et caritatis"، ١٣ أيلول ١٨٩٦

الرسامات الانكليكانية

٣٣١٥ – في طقس صُنْعِ ومَنْحِ كل سرّ، يُميّز بحق بين الجزء المتعلّق بالصلوات والجزء الجوهري، اللذين جرت العادة بتسميتها المادّة والصورة. وكل واحد يعلم أن أسرار الشريعة الجديدة، بكونها علامات حسيّة وفاعلة بالنسبة إلى نعمة غير منظورة،

يجب أن تعني النعمة التي تفعلها، وأن تفعل النعمة التي تعنيها [ر ١٣١٠، ١٦٠٦]. حتى وإن كان من الواجب أن يوجد هذا المعنى في كل الطقس الجوهري، أي في المادّة والصورة، فهو على الخصوص للصورة، إذ إن المادّة هي جزئيًا غير محدّدة بذاتها، وإن الصورة هي التي تحدّدها. وذلك يظهر بجلاء أكبر أيضاً في سرّ الكهنوت حيث المادّة، عندما يُمنح، كما يظهر للعيان في هذا المكان، هي وضع الأيدي. ومن الأكيد أن هذا لا يعني بحدّ ذاته شيئًا محددًا، ويُستعمل لبعض الرسامات كما للتثبيت.

٣٣١٦ – والكلمات التي يستعملها الانكليكانيون إلى يومنا هذا كصورة خاصة بالرسامة الكهنوتية، أي «إقبل الروح القدس» هي بعيدة عن أن تعني بدقة الرسامة الكهنوتية أو نعمتها، والسلطة التي هي أولاً سلطة «تقديس وتقدمة جسد الرب الحقيقي ودمه الحقيقي» [١٧٧١] في هذه الذبيحة التي ليست «مجرد تذكير بالذبيحة التي تمّت على الصليب» [١٧٣٥]. أجل، أضيفت في ما بعد إلى هذه الصورة الكلمات «لأجل وظيفة ومهمّة كاهن» ولكن هذا يدعو بالحري إلى التفكير بأن الأنكليكانيين أنفسهم قد رأوا أن تلك الصورة الأولى فاسدة وغير موافقة للشيء. ولكن هذه الإضافة نفسها، على افتراض أنها تعطي للصورة المعنى المطلوب، قد أدخلت متأخرة جدًّا، إذ كان قد انقضى قرن على تبنّي "Ordinale Eduardianum" (نظام الرسامات لإدوارد السادس). فلم يبق سلطة رسامة بعد انطفاء التسلسل الرئاسي الكنسي...

٣٣١٧ – كذلك الأمر بالنسبة إلى الرسامة الأسقفية. فالصورة «إقبل الروح القدس» ليس فقط قد أكملت بعد تأخير طويل بالكلمات «لوظيفة ومهمّة أسقف» ولكن هذه الكلمات، سنقول ذلك قريبًا، يجب أن تفهم أيضاً بغير معنى الطقس الكاثوليكي. ولا فائدة من اللجوء إلى صلاة المقدمة «الله القدير» بما أنه جرى حذف الكلمات التي تدلّ على الكهنوت الأعلى.

أجل، ليس هنا المجال للبحث في هل الأسقفية هي تكملة للكهنوت أم درجة متميّزة منه، أو هل له إذا مُنح طَفْرًا، أي لرجل ليس كاهنًا، مفعول أو لا. ولكن لا ريب في أن [الأسقفية] كما يتبين من تأسيس المسيح نفسه لها، هي جزء حقيقي

من سرّ الكهنوت، وأنها الكهنوت بدرجة ممتازة. فهي تدعى في كلام الآباء القديسين، كما في استعمالنا الليتورجي، كهنوتًا أسمى، قمة الخدمة المقدسة.

ينتج من ذلك: أنه نظرا إلى أن سرّ الكهنوت وكهنوت المسيح الحقيقي قد أقصيا تمامًا عن الطقس الانكليكاني، وأن الكهنوت في الرسامة الأسقفية لهذا الطقس لا يُمنح البتة، كذلك لا يمكن أيضاً ولا بأي وجه من الوجوه، أن يكون منح الأسقفية حقيقيًا وشرعيًّا، ولا سيّما أن بين وظائف الأسقفية الأولى وظيفة رسم خدّام الافخارستيا والذبيحة.

٣٣١٧ – أ – لتقويم كتاب الرسامات الانكليكانية (Ordinal) تقويمًا صحيحًا وكاملاً، لا شيء أهم، علاوة على نَقْد بعض فقراته، من النظر كما ينبغي إلى الظروف التي أُلّف فيها وصار نافذًا علنًا. يطول بنا الكلام جدًّا لاستعراضها، وليس ذلك ضروريًّا: إن تاريخ الحقبة يبيّن بجلاء ذهنيّة واضعي كتاب الرسامات، بالنسبة إلى الكنيسة الكاثوليكيّة، وما التمسوه من مساندة عند البدع غير القويمة، والغاية التي كانوا يسعون إليها.

وعلى معرفتهم الجيّدة جدًّا للصلة القائمة بين الإيمان والعبادة، وقانون الإيمان وقانون الصلاة، فقد شوّهوا بأساليب عديدة تنظيم الليتورجيا في اتجاه أضاليل المجدّدين، وذلك تحت غطاء إعادة الصيغة الأولى. لذلك ففي كتاب الرسامات، ليس فقط إغفال لذكر صريح للذبيحة، والتكريس والكهنوت، وسلطة التكريس وتقديم الذبيحة، بل إن الآثار الضئيلة لهذه الحقائق، التي كانت لا تزال موجودة في صلوات الطقس الكاثوليكيّ التي لم تنبذ تمامًا، قد أُلغيت وطُمست عمدًا، وهذا ما ذكرناه آنفًا.

٣٣١٧ – ب – فخصائص كتاب الرسامات الأصلية وروحيّته، كما يقولون، بادية من تلقاء ذاتها. ولكن بما أنه كان يتضمّن هذا العيب منذ البدء، ولا يمكن أن يكون صالحًا للرسامة، فهو لا يستطيع أيضًا أن يكون صالحًا في الأزمنة اللاحقة لأنه بقي كما هو. وعبثًا عمل مَن اجتهدوا، منذ عهد شارل الأول، في إدخال شيء من الذبيحة والكهنوت، وأضافوا زيادة إلى الكتاب. وكذلك يسعى عبثًا عدد قليل

من الانكليكانيين الذين اجتمعوا حديثًا، ورأوا أن هذا الكتاب نفسه يمكن أن يُفهم بمعنى صحيح وأن يُعاد إليه بقول إن تلك الجهود كانت وما زالت عبثية، وذلك لهذا السبب الآخر أيضًا، وهو أنه، إذا كان في كتاب الرسامات الانكليكاني، كما هو الآن، بعض عبارات لها معنيان، ففي كل حال، لا يمكن أن يكون لها المعنى الذي في الطقس الكاثوليكيّ. فعندما يُتّخذ طقس نُفي فيه أو شُوّه، كما رأينا، سر الكهنوت، وأُقصي كل ذكر للتكريس وللذبيحة، تكون العبارة «إقبل الروح القدس» أيّ الروح الذي يُفاض في النفس مع النعمة، بلا مضمون. وكذلك لا يبقى مضمون للتعابير «لأجل وظيفة ومهمّة كاهن» أو «أسقف»، أو غيرها مما يشبهها، وتبقى كأنها كلمات من غير الحقيقة التي أوجدها المسيح...

٣٣١٨ – يرتبط بهذا العيب في الصورة عيب في تلك النيّة المطلوبة هي أيضًا بالضرورة ليكون هناك سرّ. إن الكنيسة تحكم في الفكر أو النيّة، إذ الأمر يتعلّق بشأن هو في حدّ ذاته داخليّ. ولكن عليها أن تحكم فيهما بمقدار ما يظهران. فإذن عندما يستعمل أحد، لمنح السرّ أو إعطائه، على وجه جدّي ومنتظم، المادّة والصورة المطلوبتين، يُعَدّ بالفعل ذاته، أنه أراد بوضوح أن يفعل ما تفعله الكنيسة. وعلى هذا المبدأ تعتمد العقيدة التي تقول بأن السرّ يكون حقيقيًا حتّى عندما يمنحه خادم هرطوقيّ أو غير مُعمَّد، ما دام قد جرى بحسب الطقس الكاثوليكيّ.

وبالعكس، عندما يُغيَّر الطقس بقصد فاسد لإدخال طقس آخر لا تقبله الكنيسة، ولنبذ ما تعمله الكنيسة بإرادة المسيح، وهو جزء من طبيعة السرّ، فمن الواضح عندئذ ليس فقط أن النيّة الضروريّة للسرّ غير موجودة، بل أكثر من ذلك هناك نيّة مخالفة ومناقضة للسرّ.

٣٣١٩ – ... [مستشارو المجمع المقدس] قد أجمعوا على الاعتراف بأن القضية المعروضة قد دُرست تمامًا من وقت طويل وقضى فيها الكرسيّ الرسوليّ... [ولكن حسن عندنا] أن نعلن ذلك من جديد بقوّة ما لنا من سلطان...

لذلك إذ نثبّت ونجدّد [مراسيم الأحبار أسلافنا] نقول ونعلن، بسلطاننا الخاصّ، وبدافع ذاتي، وبعلم أكيد، أن الرسامات الممنوحة بحسب الطقس الانكليكاني كانت وهي على الإطلاق باطلة ولاغية تمامًا.

٢٣٢٠ – ٣٣٢١ – الرسالة العامّة «Fidentem piumque»، ٢٠ أيلول ١٨٩٦

مريم وسيطة النعم

٣٣٢٠ – من الأكيد جدًّا أن اسم ووظيفة المُصالح الكامل لا تليق بأحد غير المسيح، لأنه وحده، الإنسان والإله معًا، قد أعاد الجنس البشريّ إلى النعمة عند الآب العليّ: «الوسيط بين الله والناس واحد، الإنسان المسيح يسوع...» [١ تي ٢:٥ – ٦]. ولكن، إذا «لم يكن مانع، كما يعلّم الملفان الملائكيّ [توما الأكويني]، من أن يُدعى آخرون، بوجه ما، وسطاء بين الله والناس، بكونهم يعاونون، بطريقة إعداديّة وتابعة، على ضمّ الناس إلى الله»، وبينهم الملائكة والقديسون في السماء، والأنبياء، وكهنة العهدين، فعندئذ ترجع زينة هذا المجد، في الحقيقة، وبطريقة أسمى أيضًا، إلى العذراء السامية جدًّا.

٣٣٢١ – فمن المستحيل تصوّر أحد استطاع أو يستطيع تحقيق ما يُشبه ما فعلته مريم لمصالحة البشر مع الله. فهي التي أعطت المخلّص للبشر الذين كانوا يسرعون إلى الهلاك الأبديّ، أيّ عندما قبلت، بموافقتها العجيبة، «باسم الطبيعة البشرية كلها» البشارة بسرّ السلام الذي جاء به الملاك إلى الأرض، هي «التي منها وُلد يسوع» [مت ١:١٦]، وأمّه في الحقيقة، ولهذا السبب، الوسيطة الجليلة المقبولة جدًّا عند الوسيط.

٣٣٢٣ – جواب المجمع المقدّس، ١٧ آذار ١٨٩٧

الإخصاب الاصطناعيّ

٣٣٢٢ – سؤال: هل يمكن إجراء إخصاب اصطناعيّ للمرأة؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٢٠ آذار) ذلك غير مُباح

٣٣٢٥ – ٣٣٣١ – الرسالة العامّة «Divinum illud munus»، ٩ أيار ١٨٩٧

الثالوث

٣٣٢٥ – إن خطر [الضلال في شأن الثالوث]... يأتي من أنه في الإيمان أو العبادة يُخلط بين الأقانيم الإلهيّة، أو تُقسَم الطبيعة التي هي واحدة فيهم... لذلك

انوشنتيوس الثاني عشر سلفنا، رفض رفضًا باتًّا، للذين كانوا يلتمسون ذلك، احتفالات خاصّة لإكرام الآب. فإذا كانت الأسرار الخاصّة بالكلمة المتجّسد يُحتفل بها في أيّام أعياد محدّدة، فليس هناك أيّ عيد خاصّ بالاحتفال بالكلمة بحسب طبيعته الإلٰهيّة وحدها. واحتفالات عيد العنصرة لم تُقَم هي أيضًا، في الأيام القديمة، لتكريم الروح القدس وحده في ذاته، ولكن للتذكير بمجيئه، أيّ برسالته الخارجيّة. ذلك كلّه أُقرّ حتّى لا ينقاد أحد بتمييز الأقانيم إلى التمييز في الجوهر الإلٰهيّ. بل الأكثر من ذلك أن الكنيسة، لتبقي أولادها في سلامة الإيمان، قد أنشأت عيدًا للثالوث الأقدس، جعله البابا يوحنا الثاني والعشرون إلزاميًا في ما بعد، في كل مكان [سنة ١٣٣١]... وأمور كثيرة تثبت ذلك. لأن إكرام القديسين الذين في السماء، والملائكة، والعذراء أم الله، والمسيح، ينعكس أخيرًا على الثالوث ذاته وينتهي عنده...

٣٣٢٦ – إن الكنيسة تنسب عادة، بوجه ملائم جدًّا، إلى الآب، الأعمال الإلٰهيّة التي تسطع فيها القدرة، وإلى الابن تلك التي تشرق فيها الحكمة، وإلى الروح القدس تلك التي يسودها الحبّ. وهذا لا يعني أن الأقانيم الإلٰهيّة لا تشترك في كل الكمالات وكل الأعمال الخارجيّة، «فأعمال الثالوث غير منقسمة، كما هو جوهر الثالوث ذاته». إذ إن الأقانيم الثلاثة الإلٰهيّة، كما هي «غير منفصلة، كذلك هي تعمل بغير انفصال». ولكن استنادًا إلى بعض الشبه، وبوجه من القول، إلى تجانس قائم بين الأعمال نفسها وخصائص الأقانيم، تُنسب، أوكما يقال، تخصّص بواحد أكثر ممّا بالآخرين: «كما أننا نلجأ إلى التمثيل المكتشف في المخلوقات بالأثر والصورة، لإظهار الأقانيم الإلٰهيّة، كذلك نلجأ إلى الخصائص الجوهرية. وإظهار الأقانيم هكذا بالخصائص الجوهرية هو ما يُسمّى الاختصاص». **(appropriation)**.

وهكذا، يكون الآب الذي هو «مبدأ اللاهوت كله»، في الوقت عينه، علّة خلق جميع الموجودات، وتجسّد الكلمة، وتقديس النفوس، منه كل الأشياء: منه لأنه الآب. والابن، كلمة الله وصورته، هو، في الوقت عينه، العلّة المثالية التي تعكسها كل الأشياء بشكلها وجمالها، ونظامها وانسجامها. إنه لنا الطريق والحق

والحياة، الذي يصالح الإنسان مع الله، وبه كان كل شيء: به لأنه هو الابن. والروح القدس هو في الوقت عينه العلّة الغائية لكل الأشياء، لأنه، كما أن الإرادة، وكل شيء على العموم، يجد راحته في غايته، كذلك الروح القدس، الذي هو الصلاح الإلٰهيّ وحب الآب والابن، يكمل ويُنهي... هذه الأفعال الخفيّة، لأجل خلاص الإنسان؛ فيه كل الأشياء: لأنه الروح القدس.

علاقة الروح القدس بالكلمة المتجسّد

٣٣٢٧ - إن الأكثر بروزًا بين أعمال الله الخارجيّة هو سرّ الكلمة المتجسّد، حيث يسطع بهاء الكمالات الإلٰهيّة بنور يستحيل تصوّر ما هو أعظم منه... وهذا العمل العظيم جدًّا، وإن كان للثالوث كله، يُنسب، مع ذلك، خصوصًا للروح القدس، فتورد الأناجيل في شأن العذراء: «أنها وُجدت حبلى من الروح القدس»، و«الذي حُبل به فيها إنما هو من الروح القدس» [مت ١ :١٨، ٢٠]...

وفعل الروح القدس لم يصنع فقط الحبل بالمسيح، وإنما أيضًا تقديس روحه المسمّى «مسحة» في الكتب المقدّسة [أع ١٠ :١٨]. وهكذا كل عمل «أُتمّ في حضور الروح»، وخصوصًا تضحيته بذاته: «بروح أزلي قرّب نفسه بلا عيب لله» [عب ٩ : ١٤].

الروح القدس في الكنيسة

٣٣٢٨ - إن الكنيسة، التي حُبل بها من قبل، كانت مستخرجَة من ضلع آدم الثاني نفسه، عندما نام على الصليب، وظهرت للمرّة الأولى لنور البشر، بوجه ساطع، يوم العنصرة اللامع جدًّا. وفي هذا النهار عينه بدأ الروح القدس يفيض إحساناته في جسد المسيح السرّي.

هكذا تحقّق وعد المسيح الأخير لرسله، في شأن إرسال الروح القدس، الذي كان عليه أن يتمّم هو نفسه بوحيه التعليم المنقول، وأن يقوم بنوع من ختم الوديعة: «ولكن متى جاء روح الحق فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلّها» [يو ١٦، ١٢ - ١٣]...

وهذه الحقيقة يمنحها هو ويعطيها للكنيسة، ويسهر، بحضوره الدائم، على أن لا تقع أبدًا في الضلال، وأن تتمكّن من زيادة إنماء بذور العقيدة الإلٰهيّة يومًا بعد يوم، وأن تجعلها تثمر لخلاص الشعوب. ولأن خلاص الشعوب، الذي لأجله وُلدت الكنيسة، يقتضي أن تتابَع هذه المهمّة إلى آخر الأزمنة، يمنح الروح القدس حياة دائمة وقوة للحفاظ على الكنيسة وإنمائها [ذُكر هنا يو ١٦ : ١٦ – ١٧]. فبه نفسه ينشأ الأساقفة الذين يلدون لا فقط أبناء، وإنما كذلك آباء، أيّ كهنة، لكي يرشدوها ويغذّوها... فهؤلاء وأولئك، الأساقفة والكهنة، لهم السلطة، بهبة من الروح القدس، أن يمحوا الخطايا [ذُكر هنا يو ٢٠، ٢٢ – ٢٣].

وكون الكنيسة، علاوة على ذلك، عملاً إلٰهيًّا تمامًا، لا يقوم عليه برهان أوضح من المواهب التي تزيّنها في كل مكان ببهاء ومجد، والتي صاحبها ومُعطيها هو الروح القدس. ويكفي القول إنه إذا كان المسيح هو رأس الكنيسة، فالروح القدس هو روحها: «إن الروح القدس هو في جسد المسيح الذي هو الكنيسة ما هي النفس في جسدنا».

سكنى الروح القدس في البار

٣٣٢٩ – لا ريب في أن الروح القدس قد سكن أيضًا بالنعمة في الأبرار الذين عاشوا قبل المسيح، كما كتب ذلك عن الأنبياء، عن زكريا ويوحنا المعمدان، وسمعان وحنة. فالروح القدس قد استفاض في يوم العنصرة «لا كأنه بدأ عندئذ فقط يسكن في القديسين، وإنما ليستفيض أكثر، «راكمًا مواهبه غير بادئ، وغير فاعل عملاً جديدًا لكونه كان غنيًّا بالإحسان» [عن البابا لاون الأول الكبير]. ولكن، إذا كان هؤلاء الناس قد عُدّوا بين أبناء الله، فقد بقوا مع ذلك مشابهين بحالتهم للعبيد، لأن الابن أيضًا «لا فرق بينه وبين العبد» ما دام «تحت أيدي الأوصياء والوكلاء» [غل ٤ : ١ – ٢]. وعلاوة على أنه لم تكن عندهم البرارة، إلاّ ما كان منها متأتيًا من استحقاقات المسيح في المستقبل، فاستفاضة الروح القدس بعد المسيح هي أثرى جدًّا، وبوجه ما، هي كالمبلغ المتفق عليه الذي يفوق العربون بالقيمة، وكالحقيقة التي تفوق كثيرًا الصورة.

٣٣٣٠ – إن الولادة الجديدة والتجدّد يبدآن بالنسبة إلى الإنسان في المعمودية. ففي هذا

السرّ.. يدخل الروح القدس [في النفس] لأول مرّة، ويجعلها شبيهة به: «المولود من الروح القدس إنما هو روح» [يو ٣: ٦]. والروح عينه يستفيض بوفرة أكبر أيضًا في التثبيت المقدّس، في سبيل توطيد الحياة المسيحيّة ودعمها. فهو لا يمنحنا المواهب الإلٰهيّة فقط، ولكنه هو الذي يضعها، وهو ذاته الهبة السُّميا، وبما أنه يصدر من الحب المتبادل بين الآب والابن، فهو يُعدّ ويدعى بحق «موهبة الله العليّ».

ولإلقاء مزيد من الضوء على طبيعة هذه الموهبة ومعناها، من المهمّ التذكير بما قاله الملافنة القديسون في شرحهم الأسفار المقدّسة، أيّ أن الله موجود في كل شيء، وأنه فيها «بقدرته لأن كل شيء مكشوف، وكأنه عار، أمام عينيه. إنه في كل شيء بجوهره، لأنه حاضر في كل الأشياء كعِلّة وجودها العامّة». [عن توما الأكويني]. ولكن الله موجود في الإنسان لا كما هو موجود في الأشياء فقط، بل وجوده يزداد بازدياد معرفتهم ومحبّتهم له. لأننا بالطبيعة نحبّ الخير تلقائيًا، ونشتهيه، ونسعى إليه. وعلاوة على ذلك، إن الله بالنعمة يسكن في النفس البارّة كما في هيكل، على وجه حميم وخاصّ جدًّا، وتنتج من ذلك ضرورة الحبّ الذي به تتحد النفس بالله اتحادًا وثيقًا جدًا، أكثر ممّا يستطيع الصديق مع صديق مُحسن جدًّا، ومُحب جدًّا وتتمتّع به بعذوبة كاملة.

٣٣٣١ – ومع أن ذلك الاتحاد المسمّى السكنى، وغير المختلف إلاّ بوضعه وحالته مع ذلك الاتحاد الذي يكتنف به الله سكان السماء ويُسعدهم، يوجده بوجه حقيقي جدًّا حضور لاهوت الثالوث بكامله – «إليه نأتي وعنده نجعل مقامنا» [يو ١٤: ٢٣] – فهو مع ذلك منسوب بوجه خاصّ إلى الروح القدس. فآثار القدرة والحكمة الإلٰهيّتين تظهر حتّى عند الإنسان الفاسد. ولكن لا أحد سوى البار له نصيب في الحبّ الذي هو، بوجه ما، الخاصّة المميّزة للروح القدس.

٣٣٣٣ – ٣٣٣٥ – جواب المجمع المقدّس، ٣٠ آذار ١٨٩٨

الإيمان والنيّة المطلوبة للمعموديّة

٣٣٣٣ – سؤال: هل يستطيع مرسل أن يمنح المعمودية، في حال الإشراف على الموت، لمحمّديّ راشد يُفترض أنه حسن النيّة في أضاليله؟

١ – إذا كان لا يزال كامل الوعي، فحرِّضه فقط على التأسف (على خطاياه)، وعلى الثقة، من غير أن يتكلّم أبدًا على أسرارنا خشيّة أن لا يؤمن بها.

٣٣٣٤ – ٢ – إذا لم يقل له شيئًا، مهما كانت قدرته على الوعي، بافتراض أنه لا يخلو من الندامة وأو أنه ليس من الفطنة التكلّم معه على أسرارنا.

٣٣٣٥ – ٣ – إذا كان قد أضاع الوعي فلم يقل له شيئًا.

جواب: (ثبته الحبر الروماني في أول نيسان): عن ١ و٢: كلاّ، أيّ لا يجوز منح المعموديّة لمثل هؤلاء المحمّديين... لا دون شرط ولا بشرط. وتُعطى مراسيم المجمع المقدّس لأسقف كيبيك في ٢٥ كانون الثاني، وفي ١٨ أيار، ١٧٠٣ [٢٣٨٠ – ٢٣٨٢]، وتعليم المجمع المقدّس للنائب الأسقفي في تشي –كيانغ، في أول آب ١٨٦٠ [٢٨٣٥ – ٢٨٣٩].

عن ٣: في شأن المحمّديين المشرفين على الموت، وقد فقدوا الوعي، يجب الجواب بحسب مرسوم المجمع المقدّس في ١٨ أيلول ١٨٥٠ لأسقف بيرث، أيّ: «إذا كانوا في ما سبق قد أعطوا دلائل على أنهم يريدون المعموديّة، أوكانوا في حالتهم الحاضرة قد أظهروا هذا الاستعداد عينه، بإشارة أو بطريقة أخرى، فبالإمكان تعميدهم بلا شرط، ما دام المرسل قد حكم بذلك هكذا آخذًا بالحسبان كلّ الظروف».

٣٣٣٦ – ٣٣٣٨ – جواب المجمع المقدّس لأسقف سينالُوا (المكسيك)، ٤ أيار ١٨٩٨

طرائق مختلفة لإخراج الجنين

٣٣٣٦ – أسئلة: ١ – هل يجوز تسريع الولادة عندما يبدو خروج الجنين مستحيلاً بسبب ضيق (حوض) المرأة؟

٣٣٣٧ – ٢ – وعندما يؤدي ضيق حوض المرأة إلى حسبان الولادة قبل الأوان غير ممكنة هي أيضًا، هل يجوز إحداث إجهاض، أو اللجوء إلى جراحة قيصرية في الوقت المناسب؟

٣٣٣٨ – ٣ – هل تجوز جراحة فتح البطن في حال حَمْل خارج الرحم، أو جنين في غير موضعه؟

جواب [ثبّته البابا في ٦ أيار] عن ١: تسريع الولادة جائز في حدّ ذاته، بشرط أن يُلجأ إليه فقط لأسباب كافية، وفي الوقت وبالطريقة اللذين يحافظان على حياة الأمّ والولد بحسب السياق الطبيعيّ.

عن ٢: بالنسبة إلى القسم الأول: كلا انسجامًا مع المرسوم الصادر في ٢٤ تموز ١٨٩٥، في شأن عدم جواز الإجهاض. – أمّا بالنسبة إلى القسم الثاني، فلا مانع يحول دون خضوع المرأة، في الوقت المناسب، لجراحة قيصرية.

عن ٣: عندما تقتضي الضرورة، تجوز جراحة فتح البطن لاستخراج أجنّة في غير موضعها من الأمّ، فقط بشرط السهر بالجدّ المناسب، قدر المستطاع، على حياة الجنين كما على حياة الأمّ.

٣٣٣٩ – الرسالة العامّة «Caritatis studium» إلى أساقفة اسكوتلندا، ٢٥ تموز ١٨٩٨

ذبيحة الصليب هي ذات ذبيحة القدّاس

٣٣٣٩ – إن طبيعة الديانة نفسها تتضمّن ضرورة الذبيحة... وإذا أقصينا الذبيحة فما من ديانة تستطيع أن توجد أو تُتصوّر. وشريعة الإنجيل ليست أدنى من الشريعة القديمة. وبالعكس، هي أيضًا أسمى منها جدًا، إذ إنها تتمّم بطريقة أسمى ما بدأت به تلك. ولكنّ الذبائح التي كانت موجودة في العهد القديم، إنما كانت دلالة سابقة على الذبيحة التي تمّت على الصليب، قبل أن يولد المسيح بزمن طويل. وبعد صعوده إلى السماء، تُواصِل ذبيحة الإفخارستيّا تلك الذبيحة عينها. لذلك، إن من يرذلونها يُخطئون خطأً جسيمًا، كما لو أنهم يُنقصون حقيقة وقوّة الذبيحة التي أتمّها المسيح المسمَّر على الصليب «مقرّبًا نفسه مرّة لا غير ليرفع خطايا الكثيرين» [عب ٩: ٢٨].

هذا التفكير عن البشر كان كاملاً ومُطلقًا، وما تتضمّنه الذبيحةُ الإفخارستيّة ليس غيره بل هو ذاته. فبما أن الذبيحة يجب أن ترتبط دومًا بالديانة، كان قصدُ المخلّص

الأكثر ألوهية، أن الذبيحة، التي أُتمّت مرّة لا غير على الصليب، تصير مؤبّدة ودائمة. إلاّ أن عِلّة خاصّة الديمومة هذه ملازمة للإفخارستيّا الجزيلة القداسة، التي لا تبدي مشابهةً لا طائل فيها أو مجرّدَ تذكير بالحقيقة، وإنما الحقيقة ذاتها، وإن بنوع مختلف. ولذلك ففاعلية هذه الذبيحة كلها، إمّا للحصول أو للتكفير، تتأتّى بكمالها من موت السيح.

٣٣٤٠ – ٣٣٤٦ – رسالة «Testem benevolentiae» إلى رئيس أساقفة بلتمور، ٢٢ كانون الثاني ١٨٩٩

خطأ ملاءمة عقيدة الإيمان للمفهوم العصريّ

٣٣٤٠ – إن مبدأ الآراء الجديدة التي تكلّمنا عليها يبدو كالتالي على وجه التقريب: لا بدّ للكنيسة، في سبيل قيادة من لهم تفكير مُغاير، بطريقة أسهل، إلى الحكمة الكاثوليكيّة، من أن تدنو أكثر من إنسانية عصرها صار راشدًا، فتتراخى في قسوتها القديمة، وتنظر برضى إلى ما تعبّر عنه الشعوب من رغائب ومفاهيم. وبحسب رأي الكثيرين، يجب أن يعني ذلك لا طرائق العيش فحسب، ولكن أيضًا العقائد التي تتضمّن وديعة الإيمان. فهم يقولون إنه من المفيد، في سبيل كسب إرادة المخالفين، إهمال بعض فصول العقيدة، التي ليس لها أهميّة كبيرة، أو تخفيفها إلى الحدّ الذي لا يبقى لها معه المعنى نفسه الذي تمسّكت به الكنيسة دائمًا.

لا حاجة إلى كلام طويل... لإظهار أيّ قصد مَدين كان لأجله ذلك التصوّر. يكفي التذكير بطبيعة وأصل العقيدة التي تنقلها الكنيسة. يقول المجمع الفاتيكاني في هذا الشأن: «عقيدة الإيمان... فهم أعمق» [٣٠٢٠].

٣٣٤١ – إن تاريخ الأزمنة الماضيّة كلها يشهد أن الكرسيّ الرسوليّ الذي استودع لا سلطة التعليم فحسب بل سياسة الكنيسة كلها أيضًا، قد تمسّك بثبات «بالعقيدة ذاتها بالمعنى ذاته، والفكر ذاته» [٣٠٢٠]، وأنه، من جهة أخرى، قد اعتاد دومًا تنسيق نظام الحياة، بحيث يبقى سليمًا ما هو من حق إلٰهيّ، ولا تهمل أبدًا أخلاق

وعوائد الشعوب التي يسودها. فمن يستطيع الشكّ بأنه لن يفعل ذلك الآن أيضًا، إذا اقتضاه خلاص النفوس.

ولكن الحكم في ذلك ليس متروكًا لرأي كل واحد يكاد يخدعه دومًا مظهر الخير. وإنما يعود للكنيسة أن تصدر الحكم...

٣٣٤٢ - إن مَن يريدون أن يجتهدوا في الحصول على الكمال المسيحيّ يرذلون كلَّ سلطة تعليمية خارجيّة كأنها غير لازمة بل قليلة الجدوى، ويقولون: إن الروح القدس يفيض اليوم في نفوس المؤمنين مواهب أكثر وأوفر ممّا في الأزمنة الماضيّة، وهو يعلمهم ويقودهم بلا واسطة، بنوع من الغريزة السرّيّة...

ازدراء الفضائل الفائقة الطبيعة والفضائل المنفعلة

٣٣٤٣ - إن عون الروح القدس هو على الإطلاق ضروريّ خصوصًا لإنماء الفضائل. ولكن الذين يحبّون التمسّك بالأشياء الطريفة يبالغون في مدح الفضائل الطبيعيّة، كأنها أكثر ملاءمة للأخلاق والحاجات الحاضرة، وكما لو كان من الأفضل امتلاكها لأنها تجعل الإنسان أكثر قدرة على العمل وأكثر غيرة.

ليس من السهل أن نفهم كيف يستطيع من عندهم الحكمة المسيحيّة أن يؤثِروا الفضائلَ الطبيعية على الفضائل الفائقة الطبيعة، وأن ينسبوا لها فاعلية وخصبًا أكبر.

٣٣٤٤ - ويتعلّق بهذا التصوّر للفضائل الطبيعيّة تصوّر آخر يقسم إلى قسمين مجموع الفضائل: الفضائل المنفعلة كما يقولون، والفضائل الفاعلة. ويضيفون أن الأولى كانت ملائمة أكثر للأزمنة الماضية، أمّا الثانية فتلائم أكثر الأزمنة الحاضرة...

أن تكون بعض الفضائل المسيحيّة ملائمة أكثر من غيرها لعصرنا، زعم لا يصدر إلاّ عمّن لا يذكر كلام الرسول: «أن الذين سبق فعرفهم، سبق فحدّد أن يكونوا مشابهين لصورة ابنه» [رو ٨: ٢٩].

إن مثال كل قداسة ومعلّمها هو المسيح. ولا بدّ للذين يبغون مكانًا لهم بين الطوباويين أن يأتّموا به. والمسيح لا يتغيّر مع مجرى العصور، ولكنّه «هو هو أمس

واليوم وإلى الدهور» [عب ١٣ :٨]. إذن فللناس في كل الأزمنة يَصح هذا الكلام: «تعلّموا منّي، فإني وديع ومتواضع القلب» [مت ٢ :٢٩]. وليس هناك من زمن لا يبدو فيه المسيح لنا «كمن صار طائعًا حتّى الموت» [في ٢ :٨]. وقول الرسول يصحّ أيضًا في كل الأزمنة: «إن الذين هم للمسيح صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» [غلا ٥ :٢٤]...

٣٣٤٥ – وانطلاقًا من هذا النوع من الازدراء للفضائل الإنجيليّة المسمّاة خطأً منفعلة، استطاعوا الوصول بسهولة أيضًا إلى أن يجتاح النفوسَ رويدًا رويدًا ازدراء الحياة الدينية. ونستنتج أن ذلك مشترك بين أتباع الآراء الجديدة من أقوالهم في شأن النذور في المنظمات الرهبانية. فهم يقولون إن تلك النذور بعيدة جدًّا عن ذهنية عصرنا هذا، بمقدار ما تضيّق مجال الحرّية البشرية. وإنها للنفوس الضعيفة أكثر ملاءمة منها للنفوس القويّة، وإنها لا تساهم في التقدّم المسيحيّ وفي خير المجتمع البشريّ، بل بالعكس هي معثرة له وحاجز...

٣٣٤٦ – يبدو جليًا إذن من كل ما أسلفنا حتّى الآن... أننا لا نستطيع قبول هذه الآراء التي يدعوها كثيرون مجتمعة باسم «الأميريكانية».

٣٣٥٠ – ٣٣٥٣ – الرسالة العامّة «Annum sacrum»، ٢٥ أيار ١٨٩٩

سلطان المسيح الملكيّ

٣٣٥٠ – إن شهادة الخضوع والحب هذه، الأرحب والأعظم [أيّ فعل تكريس البشريّة لقلب يسوع] تليق تمامًا بيسوع المسيح، لأنه هو الملك والسيّد الأعظم. ومن الواضح أن سلطانه لا يمتدّ فقط إلى الأمم التي تدعى باسم مسيحيّة، أو إلى أولئك فقط، الذين عُمّدوا فصاروا من الكنيسة بالوجه الشرعيّ، وإن كانت آراؤهم الضالة تزيغهم بعيدًا عنها، أو الخلاف يفصلهم عن المحبّة، ولكنه يسود أيضًا جميع مَن يُعدّون خارج الإيمان المسيحيّ، بحيث يكون الجنس البشريّ بكامله، في الحقيقة بمعناها الحصريّ، خاضعًا لسلطان المسيح.

لأن الذي هو الابن الوحيد لله الآب، والذي له ذات جوهره، «ضياء مجده

وصورة جوهره» [عب ١ :٣] هذا له بالضرورة كل ما هو للآب، وبالتالي أيضًا سلطانه الأعلى على كل شيء. لذلك يقول ابن الله عن نفسه في النبيّ: «إني مُسحت ملكًا على صهيون، جبل قدسه. – قال لي الربّ انت ابني، أنا اليوم ولدتك. سَلني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وأقاصي الأرض ملكًا لك» [مز ٢، ٦ – ٨]. بذلك يعلن أنه نال سلطانًا إلٰهيًّا على الكنيسة جمعاء، ممثلة بجبل صهيون، كما على سائر الأرض حتّى أقصى حدودها. أمّا أساس هذا السلطان فقد أعطي كفاية بهذه الكلمات: «أنت ابني».

فاستنادًا إلى هذا الواقع نفسه، أنه ابن لسيّد جميع الموجودات، هو وريث للسلطان العامّ. من هنا هذه الكلمات: «أعطيك الأمم ميراثًا». وهذا ما تشبهه كلمات الرسول بولس: «جعله وارثًا لكل شيء» [عب ١ :٢].

٣٣٥١ – ولكن يجب النظر خصوصًا إلى ما قاله يسوع عن سلطته... بفمه. فقد أجاب دون تردّد الوالي الرومانيّ الذي يسأله: «أنت إذن ملك؟» بقوله: «أنت قلت، إني ملك» [يو ١٨ :٣٧]. وتثبت أيضًا بوضوح عظمة هذا السلطان وشمول هذا المُلك كلماته للرسل: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» [مت ٢٨ :١٨] فإذا كان كل سلطان إذن قد دُفع إلى المسيح، فيستتبع ذلك حتمًا أن سلطانه هو أعظم، مطلق، غير خاضع لإرادة أحد، فلا شيء يساويه أو يكون له شبيهًا. وبما أنه على السماء والأرض، فيجب أن تخضع له السماء والأرض.

هذا الحق الذي لا شبيه له هو خاصّته وحده، وقد مارسه عندما أمر الرسل بنشر العقيدة، وجَمْع البشر كلهم في كنيسة واحدة بغسل المعموديّة، وأخيرًا بفرض شرائع لا يستطيع أن يتجاهلها أحد دون تعريض خلاصه الأبديّ للخطر.

٣٣٥٢ – ولكن ليس هذا هو أساس كل شيء. فالمسيح لا يمارس سلطانه بقوّة حقّ المولد، لأنه الابن الوحيد الله، ولكن أيضًا بقوّة حق مكتسَب. فهو ذاته «قد انتزعنا من سلطان الظلمة» [كو ١ :٣]. وكذلك «بذل نفسه فداءً عن الجميع» [١ تي ٢ :٦]، فكان له «شعبًا مقتنى» لا الكاثوليكيون وجميع الذين نالوا شرعيًا المعموديّة المسيحيّة فحسب، بل جميع البشر أفرادًا وكلهم معًا...

أمّا العلّة والسبب الذي لأجله يخضع غير المؤمنين أنفسهم لسلطان يسوع المسيح، فيشرحه القديس توما بوضوح. فبعد فحصه عن سلطانه القضائيّ: هل يمتد إلى جميع البشر، وقوله: «إن السلطان القضائيّ يتأتى من الكرامة الملكيّة» يستنتج بصراحة: «أن كل الموجودات خاضعة للمسيح بسبب سلطانه، حتّى وإن لم يخضع له كل شيء حتّى الآن في ما يتعلّق بتحقيق هذا السلطان». سلطان المسيح هذا وقدرته يمارسان بالحقيقة، والعدالة، خصوصًا بالمحبّة.

قلب يسوع موضوع تكريم

٣٣٥٣ – بما أنه في قلب يسوع الأقدس الرمز والصورة الصريحة لمحبّة يسوع المسيح اللامحدودة، التي تدفعنا إلى أن نحب بعضنا بعضًا، فمن الطبيعيّ التكرُّس لقلبه العظيم. وما هذا سوى إعطاء الذات للمسيح والارتباط به، إذ كل مجد، وكل إكرام، وكل عاطفة تقوى موجهة إلى القلب الإلهيّ إنما هي موجهة في الحقيقة إلى المسيح ذاته.

٣٣٥٦ – جواب المجمع المقدّس لرئيس أساقفة أوترخت، ٢١ آب ١٩٠١

مادّة المعموديّة

٣٣٥٦ – عَرض: كثير من الأطبّاء قد اعتادوا في المشافي أو غيرها، أن يعمّدوا، في حالة الضرورة، الأولاد الصغار خصوصًا في رحم الأمّ، بماء مختلط بكلوريد الرصاص. هذا الماء مركب تقريبًا بنسبة جزء من كلوريد الرصاص إلى ألف جزء من الماء، وامتصاص هذا المحلول سامّ. أمّا السبب في استعمالهم هذا المزيج فهو الحؤول دون إصابة رحم المرأة بمرض.

أسئلة: ١ – هل المعموديّة الممنوحة بهذا الماء صحيحة بوجه أكيد أو فيها ريب؟

٢ – هل يجوز، للحؤول دون أيّ خطر مرض، منح المعموديّة بمثل هذا الماء؟

٣ – هل يجوز استعمال هذا الماء أيضًا عندما يمكن استعمال ماء نقيّ دون أيّ خطر مرض؟

جواب (ثبته الحبر الأعظم في ٢٣ آب) عن ١: يعالج في ٢

عن ٢: ذلك يحلّ عندما يكون هناك خطر مرض حقيقي

عن ٣: كلا.

٣٣٥٨ – جواب المجمع المقدّس لكليّة اللاهوت في جامعة مونريال، ٥ آذار ١٩٠٢

الطرائق المختلفة لاستخراج الجنين

٣٣٥٨ – سؤال: هل يجوز أحيانًا استخراج أجنة في غير موضعها من رحم الأمّ، قبل انتهاء الشهر السادس بعد الحبل؟

جواب: كلا، بحسب المرسوم الصادر في ٤ أيار ١٨٩٨ [٣٣٣٦ – ٣٣٣٨]، الذي بموجبه يلزم، قدر المستطاع، جدّيًا وبوجه ملائم، الحفاظ على الجنين والأمّ. أمّا بالنسبة إلى الوقت، فليتذكر السائل أنه لا يجوز أيّ تسريع للولادة إن لم يتمّ ذلك في الوقت وبالطريقة اللذين يحافظان على حياة الأمّ والولد، بحسب المجرى العاديّ.

٣٣٦٠ – ٣٣٦٤ – الرسالة العامّة «Mirae caritatis»، ٢٨ أيار ١٩٠٢

المسيح الإفخارستيّا حياة الإنسان

٣٣٦٠ – من جهة أخرى كل من ينظر إلى... الإحسانات النابعة من الإفخارستيّا يدرك أن ذلك هو الأميز والأسمى: أيّ إن منها انتشار هذه الحياة بين البشر، التي هي الحياة الحقيقيّة: «الخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي لأجل الحياة العالم» [يو ٦: ٥١].

والمسيح هو الحياة ليس بوجه واحد... إذ يعلّم الجميع أنه أول ما ظهر على الأرض «لطف الله مخلصنا ومحبته للبشر» انبعثت قوّة، خالقة لنظام جديد للأشياء،

وانتشرت في كل عروق المجتمع المدنيّ والمنزلي... ولكن الأهمَّ أن القلوب والعقول أعيدت إلى حقيقة الديانة، ونقاوة الأخلاق، وهكذا فُتحت للإنسان حياة كلها سماويّة وإلٰهيّة.

ولكن بما أن هذه الحياة التي نتكلّم عليها تشبه كثيرًا حياة الإنسان الطبيعيّ، فمن الضروريّ، كما أن هذه تُعال وتُقوّى بالغذاء، أن تقات تلك وتنمى بالغذاء الخاصّ بها. ويحسن هنا ان نذكّر بالوقت والطريقة اللذين بهما حرّك المسيح قلب البشر وقادهم إلى نيل... الخبز الحيّ الذي أراد أن يعطيه... «إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد...» [يو ٦، ٥].

ويؤكّد هو نفسه أهميّة الوصيّة: «الحق الحقّ، أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن البشر، وتشربوا دمه فلا حياة لكم في ذاتكم» [يو ٦ :٥٣].

٣٣٦١ – حاشا إذن أن نقع في ذلك الضلال المنتشر جدًّا والمسيء جدًّا الذي يرى أصحابه أن استعمال الإفخارستيّا يجب أن يحفظ حصرًا على وجه التقريب لأولئك الذين تحرّروا من الهموم، وملأت قلبهم الخشيّة، فاستقرّوا في العزم على ممارسة حياة أكثر تقى. لأن هذا الأمر، الذي بالمقارنة لا يدانيه شيء في السموّ وتوفير الخلاص، يتعلّق بالجميع، مهما كانت حالة كل واحد ومرتبته، ما دام له إرادة (وما من أحد لا يجب عليه أن يريد ذلك) للمحافظة على النعمة الإلٰهيّة في داخله، ومآلها الحصول على الحياة السعيدة مع الله.

الصلة بين الإفخارستيّا والكنيسة وشركة القديسين

٣٣٦٢ – ... حتّى العلامات التي يقوم بها هذا السرّ هي تشجيع ملائم جدًّا للاتحاد. يقول القديس كبريانوس في هذا الشأن: «عندما يدعو الربّ جسده الخبز الذي يتكوّن من اجتماع عدد كبير من الحبّات، فهو يبرزُ وحدة شعبنا التي كان يحملها. وعندما يدعو دمَه خمرًا معصورًا من عدد كبير من العناقيد والحبّات، ومكوِّنًا شرابًا واحدًا، فهو يبيّن أن قطيعنا يتألّف من كثرة تُعاد إلى الوحدة».

كذلك يقول الملفان الملائكيّ [توما الأكويني]، وهو يعيد قولاً لأوغسطينوس: «لقد قدّم ربّنا جسده ودمه في هذه العناصر التي تصير من كثرة وحدة، لأن

الواحد، الخبز، هو كتلة واحدة من حبات كثيرة، والآخر، الخمر، هو العصير الواحد من عناقيد كثيرة. ولذلك يقول في مكان آخر: يا سرّ الرحمة، يا علامة الوحدة، يا رباط المحبّة».

ذلك كلّه أكّده إعلان المجمع التريدنتيني قائلاً إن المسيح قد ترك للكنيسة الإفخارستيّا «كرمز لتلك الوحدة وتلك المحبّة اللتين أراد بها أن يكون جميع المسيحيين متحدين ومرتبطين بعضهم ببعض... كرمز لذلك الجسد الواحد الذي هو نفسه رأسه»... [١٦٣٥، ١٦٣٨]. وهذا أيضًا ما كان القديس بولس قد علّمه: «فبما أن الخبز واحد، فنحن الكثيرين جسد واحد، لأنّا جميعًا نشترك في الخبز الواحد» [١ كو، ١٠: ١٧]...

٣٣٦٣ – وأكثر من ذلك، إن نعمة المحبّة المتبادلة بين الأحياء، التي تنال من سرّ الإفخارستيّا الكثير من القوّة والنموّ، تفيض على الخصوص بالذبيحة على جميع من هم معدودون في شركة القديسين.

وشركة القديسين ليست سوى... مشاركة متبادلة في المساعدة، والتكفير، والصلوات، والخيرات، بين مؤمنين يكونون قد حازوا الوطن السماويّ، أو لا يزالون يعانون من نار التكفير، أو أخيرًا لا يزالون في غربة على هذه الأرض، وينمون معًا ليؤلّفوا مدينة واحدة رأسها المسيح وشكلها المحبّة. وهذا يقوم على الإيمان: فنحن، وإن لم يَجُز تقديم الذبيحة الجليلة إلاّ لله وحده، فمن الممكن مع ذلك أن تقام لإكرام القديسين الذين يملكون في السماء مع الله الذي توّجهم، حتّى ننال شفاعتهم، وأيضًا، كما علّم الرسل، لمحو خطايا إخوة، قد ماتوا في الربّ، ولم يتمّوا تكفيرهم...

٣٣٦٤ – أخيرًا [إن سرّ الإفخارستيّا] هو بمثابة روح للكنيسة. فإليه يرجع كمال النعمة الكهنوتيّة بمختلف درجات الرسامة. بل منه تستقي الكنيسة وتحوز كل قوّتها ومجدها، وجميع كنوز النعم الإلٰهيّة وجميع الخيرات. لذلك تخصّص أعظم الجهد بتهيئة قلوب المؤمنين وقيادتها إلى اتحاد حميم بالمسيح بفعل سرّ جسده ودمه.

بيوس العاشر: ٤ آب ١٩٠٣ – ٢٠ آب ١٩١٤

٣٣٧٠ – الرسالة العامّة «Ad diem illum»، شباط ١٩٠٤

مريم وسيطة النّعم

٣٣٧٠ – بسبب هذه الشركة في الآلام والإرادة بين مريم والمسيح، «استحقّت أن تصير بأجلّ وجه مُرمّمة العالم الهالك»، ولهذا السبب موزّعة كل الخيور التي هيّأها لنا يسوع بموته ودمه.

أجل، لا ننفي أن يكون توزيع هذه الخيور هو حق المسيح الخاصّ به، إذ هي حصرًا ثمرة موته، وهو، بسبب ماله من سلطان، الوسيط بين الله والناس. ومع ذلك، فبسبب هذه الشركة في الآلام والضيق بين مريم والابن، التي تكلّمنا عليها، أُعطي لتلك المرأة الجليلة «أن تكون عند ابنها الوحيد، الوسيطة القديرة جدًّا والمحامية عن العالم كلّه». فالينبوع إذن هو المسيح «الذي من امتلائه نحن كلّنا أخذنا» [يو ١ :١٦]، «الذي منه ينال الجسد كلّه التنسيق والوحدة، وبتعاون جميع المفاصل،... ينشئ لنفسه نموًّا، ويُبنى في المحبّة» [أف ٤ :١٦]. ولكن مريم هي «القناة»، أو أيضًا العنق الذي يصل الجسم بالرأس...

من الواضح إذن أننا بعيدون عن أن ننسب إلى والدة الإله السلطان على صنع النعمة الفائقة، ذلك (السلطان) الذي خاصّ بالله وحده. ومع ذلك، بما أنها تتفوّق على الجميع بالقداسة وباتحادها بالمسيح، وبما أنها أُشركت في عمل خلاص البشر، فقد استحقت لنا عن موافقة كما يقولون، ما استحقه هو لنا عن حقّ، وهي الخادمة الأولى لتوزيع النِّعم.

٣٣٧٢ – جواب لجنة الكتاب المقدّس، ١٣ شباط ١٩٠٥

«الاستشهادات الضمنيّة» في الكتاب المقدّس

٣٣٧٢ – سؤال: في سبيل إيجاد حلول للصعوبات القائمة في بعض نصوص الكتاب المقدّس، التي تبدو كأنها تورد وقائع تاريخيّة، هل يجوز للمفسّر الكاثوليكيّ القول

بأن الأمر يتعلّق في هذه الفقرات، باستشهاد خفيّ أو ضمنيّ من وثيقة كتبها مؤلّف لم يوحَ إليه، وأن المؤلّف الذي أوحي إليه لا يقصد أبدًا أن يثبت أو يأخذ على عاتقه كل مقولاتها. وبالتالي لا يمكن القول بأن هذه معصومة من الضلال؟

جواب (ثبته الحبر الأعظم في ١٣ شباط): كلاّ، إلاّ عندما يثبت ببراهين قوية، وبعد احترام رأي الكنيسة وحكمها:

١ – أن الكاتب المقدّس يورد حقيقة كلمات أو وثائق لغيرها؛

و٢ – أنه لا يثبتها ولا يأخذها على عاتقه، بحيث يُعدّ حقًّا أنه لا يتكلّم باسمه الشخصيّ.

٣٣٧٣ – جواب لجنة الكتاب المقدّس، ٢٣ حزيران ١٩٠٥

أجزاء الكتاب المقدّس التي هي في الظاهر فقط تاريخيّة

٣٣٧٣ – سؤال: هل يمكن أن يُقبل كمبدإ لتفسير جيّد الرأي القائل بأن أسفار الكتاب المقدّس التي تحسب تاريخيّة بكاملها أو بجزء منها، لا تروي أحيانًا التاريخ بالمعنى الصحيح أو الحقيقيّ موضوعيًّا، وإنما تظهر فقط بمظهر التاريخ، لتعني شيئًا غريبًا عن المعنى الحرفي أو التاريخيّ الصحيح للكلمات.

جواب (ثبته الحبر الأعظم): كلاّ، ما عدا الحالة، التي يجب أن لا تُقبل بسهولة وخِفّة، حيث يُثبَت ببراهين قوية، دون ممانعة من الكنيسة، ومع الحفاظ على حكمها، أن الكاتب المقدّس، لم يُرد إعطاء تاريخ حقيقي بالمعنى الصحيح ولكنه أراد أن يبدي، في مظهر التاريخ وشكله، مثلاً أو مَجازًا أو معنى آخر مختلفًا عن المعنى الحرفيّ أو التاريخيّ الصحيح للكلمات.

٣٣٧٥ – ٣٣٨٣ – مرسوم «Sacra Tridentina Synodus»، ١٦ (٢٠) كانون الأوّل ١٩٠٥

تناول الإفخارستيّا اليوميّ

٣٣٧٥ – ... إن رغبة يسوع المسيح والكنيسة في أن يقترب المؤمنون جميعهم كل يوم من الوليمة المقدّسة تقصد على الخصوص أن يتّحدوا بالله بواسطة السرّ، فينالوا منه

القوّة لكبح جماح أهوائهم، ويتنقوا به من الزلاّت الخفيفة التي يمكن أن تقع كل يوم، ويستطيعوا تجنب الخطايا الثقيلة التي يتعرّض لها الضعف البشريّ. فليس إذن القصد الأول تمجيد الله، وليس هو نوعًا من الإنعام أو المكافأة على فضائل من يتقرّب منه. ولذا فالمجمع التريدنتيني يسمّي الإفخارستيّا «الترياق المحرِّر من الزلاّت اليومية، والحافظ لنا من الخطايا المميتة» [١٦٣٨]...

٣٣٧٦ – ولكن عندما ضعفت النفوس، وبعد ذلك خصوصًا انتشر سمّ الجانسينيّة في كل مكان، بدأ النقاش في الاستعدادات الواجب توفّرها للتقرّب من المناولة المتواترة واليومية. وكانت المزايدة في اشتراط ما هو منها بالضرورة أعظم وأصعب. ونتج من ذلك أن عددًا قليلاً جدًّا من الناس حُسبوا جديرين بنيل الإفخارستيّا كل يوم، واستخراج مفاعيل أوفر من هذا السرّ الخلاصيّ. وكان على الباقين أن يكتفوا بالتناول مرّة في السنة، مرّة كل شهر، أو على الأكثر مرّة في الأسبوع. وبلغ الأمر حدًّا من القسوّة جعلهم يقصون عن المائدة المقدّسة فئات كاملة من الناس، كالتجّار أو المتزوّجين.

٣٣٧٧ – وغيرهم تهافتوا على الرأي المعاكس، وحكموا بأن التناول اليوميّ هو فريضة إلٰهيّة، ولكي لا يمرّ يوم من دون قبول المناولة المقدّسة، رأوا، بين أشياء أخرى مخالفة لعادة الكنيسة، أنه من الضروريّ تناول الإفخارستيّا المقدّسة حتّى في يوم الجمعة المقدّسة، وراحوا يوزعونها في ذلك اليوم.

٣٣٧٨ – إن الكرسيّ الرسوليّ لم يخلّ بواجبه في هذا الأمر [٢٠٩٠ – ٢٠٩٥؛ ٣٣٢٣]... ولكن سُمّ الجانسينيّة الذي دخل حتّى في الصالحين، بحجة ما يجب للإفخارستيّا من توقير وإجلال، لم يختفِ تمامًا. فبقيت المناقشات في الاستعدادات اللازمة لحسن قبول المناولة المقدّسة بتواتر، حتّى بعدما أعلنه الكرسيّ الرسوليّ. وجرى أن بعض اللاهوتيين، حتّى من ذوي الصيت الحسن، فكّروا أنه من الواجب أن لا يؤذن بالتناول المتواتر إلاّ نادرًا وبشروط كثيرة.

٣٣٧٩ – لقد رسمت دائرة المجمع وقرّرت ما يلي:

١ – يجب أن يجعل التناول المتواتر اليوميّ... في متناول جميع المؤمنين مهما

كانت طبقتهم، ومهما كانت حالتهم، بحيث لا يُقصى عن المائدة المقدّسة أحد إذا كان في حالة النعمة، وتقدّم إليها صادق النيّة.

٣٣٨٠ – ٢ – وصدق النيّة يقوم على التقدّم إلى المائدة المقدّسة، لا عن عادة أو زهو، أو لأسباب بشرية، وإنما لمرضاة مشيئة الله ولاتحاد أوثق به بالمحبّة، ولمحاربة العيوب والعِلَل بهذا الدواء الإلهيّ.

٣٣٨١ – ٣ – وإن كان من المرغوب فيه جدًّا، أن يكون الذين يتناولون بتواتر ويوميًّا خالين من الخطايا العرضية، على الأقلّ تلك التي ليست عن كامل قصد، وغير محمولين عليها، يكفي مع ذلك، أن لا يكونوا في خطإ مميت، وعازمين عزمًا ثابتًا على أن لا يخطأوا في المستقبل...

٣٣٨٢ – ٤ – يجب السهر على جعل التهيئة النشيطة تسبق التناول المقدّس، وعلى أن يعقبه الشكر اللائق، بحسب قوى كل واحد، وحالته وواجباته.

٣٣٨٣ – ٥ – ... من المهمّ طلب النصيحة من المعرّف، ولكن على المعرّفين أن يحترزوا من حرمان إنسان من التناول المتواتر واليوميّ إذا كان في حالة النعمة وتقدّم إليه بنيّة صادقة.

٣٣٨٥ – ٣٣٨٨ – مرسوم «Provida sapientique cura»، ١٨ كانون الثاني ١٩٠٦

التشريع التريدنتيني المتعلّق بإتمام الزواج على وجه غير علنيّ

٣٣٨٥ – ١ – وإن كان فَصل، Tametsi من المجمع التريدنتيني [ر ١٨١٣ – ١٨١٦] لم يُنشر بعد ولم يُدخل في أماكن عدّة، إمّا بنشر صريح وإمّا بمحافظة شرعيّة، فلا بدّ من أن يُطبَّق على جميع الكاثوليكيّين في الإمبراطورية الألمانيّة جمعاء ابتداءً من يوم عيد الفصح (أي ١٥ نيسان)، وبضمنهم أولئك الذين حتّى ذلك الوقت، ليسوا ملزمين بالصيغة التريدنتينية، بحيث لن يستطيعوا القيام بزواج صحيح إلاّ أمام الخوري وشاهدين أو ثلاثة [٣٤٦٨ – ٣٤٧٤].

٣٣٨٦ – ٢ – إن الزواجات المختلطة المعقودة بين كاثوليكيين وهراطقة أو منشقين ممنوعة بشدّة ولا تزال كذلك، إلاّ إذا كان هناك سبب صحيح وخطير، وأعطى

الفريقان الضمانات المفروضة، بلا شروط، وبالصيغة المطلوبة، وحصل الفريق الكاثوليكـيّ عندئذ على تفسيح شرعي من مانع اختلاف المذهب. مع ذلك، حتّى إذا مُنح التفسيح، لا بدّ في كل الأحوال من أن يُحتفل بهذه الزواجات أمام الكنيسة، في حضور الخوري وشاهدين أو ثلاثة، بحيث يرتكب ذنبًا ثقيلاً أولئك الذين يعقدون الزواج أمام خادم غير كاثوليكيّ أو أمام القاضي المدنيّ وحده، أو بطريقةَ سرّية. وأكثر من ذلك، إذا طلب كاثوليكيون تدخّل خادم غير كاثوليكـي للقيام بمثل هذه الزواجات، أو قبلوا ذلك، فهم يرتكبون ذنبًا آخر ويستحقون العقوبات القانونية.

٣٣٨٧ – ومع ذلك، نريد أيضًا، في كل الولايات، وكل الأماكن من الإمبراطورية الألمانية، وبضمنها تلك التي كانت حتّى الآن خاضعة بلا ريب لمفعول فصل Tametsi، الذي يجعل الزواج غير صحيح، أن تُعدّ الزواجات المختلطة، التي عُقدت دون المحافظة على الصيغة التريدنتينية، أو التي (لا سمح الله) ستعقد منذ الآن فصاعدًا، صحيحة تمامًا، ما دام لا يحول دون ذلك أيّ مانع قانوني آخر، وأن لا يكون قد صدر، قبل يوم عيد الفصح من هذه السنة، حكم بطلان بسبب مانع السرّية وأن يكون رضى الزوجين قد استمرّ حتّى اليوم المذكور ونحن نعلن ذلك، ونحدّده ونرسمه بصراحة.

٣٣٨٨ – ٣ – ولكن، في سبيل أن يكون للقضاة الكنسيين قانون أكيد يعتمدونه، نعلن، ونحدّد، ونرسم الأمر ذاته، بالشروط ذاتها، مع القيود ذاتها، في شأن زواجات غير الكاثوليكيين، أهراطقة كانوا أم منشقين، التي عُقدت حتّى الآن، أو ستُعقد من الآن فصاعدًا، بينهم، في المناطق ذاتها، دون المحافظة على الصيغة التريدنتينية، وبالتالي إذا جاء أحد الزوجين غير الكاثوليكيين أو كلاهما إلى الإيمان الكاثوليكـي، أو أحضر أمام المحكمة الكنسية نزاع في شأن زواج اثنين من غير الكاثوليكـيين، مرتبط بصحّة زواج عُقد أو سيُعقد مع كاثوليكـيّ، فهذه الزواجات، إذا تساوت كل الأمور، يجب أن تُعدَّ كذلك صحيحة دون قيود.

٣٣٩١ – مرسوم المجمع المقدّس، ٢٥ نيسان ١٩٠٦

الصيغة الضرورية لمسحة المرضى

٣٣٩١ – بما أنه طُلب تحديد صيغة وحيدة مختصرة لمنح المسحة الأخيرة، في حال الإشراف على الموت... فقد قرر [المفتشون]: أن هذه الصيغة تكفي في حال الضرورة الحقيقيّة: «فليغفر لك الربّ بهذه المسحة المقدّسة جميع ما اقترفت. آمين»

٣٣٩٤ – ٣٣٩٧ – جواب لجنة الكتاب المقدّس، ٢٧ تموز ١٩٠٦

الأصالة الموسوية للتوراة

٣٣٩٤ – سؤال: ١ – هل البراهين التي جمّعها النقّاد لمحاربة الأصالة الموسوية للأسفار المقدّسة، التي يطلق عليها اسم التوراة، لها من الوزن، – على ما هناك من شهادات كثيرة مأخوذة في مجموعها من العهدين، ومن اليقين الثابت للشعب اليهوديّ، والتقليد الكنسيّ غير المنقطع، وعلى البراهين الداخلية المستخرجة من النصّ ذاته – ما يجعلنا نقول إن واضع تلك الأسفار ليس موسى، وإنما أُلّفت من عناصر هي، في قسمها الأكبر، متأخرة عنه؟

جواب: كلاّ

٣٣٩٥ – سؤال: ٢ – هل تقتضي الأصالة الموسوية للتوراة، بالضرورة، أن الكتاب بكامله قد وُضع بحيث يجب أن نكون على يقين بأن موسى قد كتب بيده أو أملى إلى أمناء سرّ كل الكتاب وكل جزء منه؟

أو هل يمكن أيضًا قبول افتراض مَن يرون أن موسى، بعد أن تصوّر بذاته كتابه بوحي من الروح القدس، فوّض التحرير إلى واحد أو أكثر من أمناء السرّ، الذين، في كل حال، نقلوا فكره بأمانة، ولم يكتبوا شيئًا يخالف إرادته ولم يهملوا شيئًا. أو أخيرًا أن الكتاب المؤلّف هكذا، والذي حاز موافقة موسى، الكاتب الأول الذي أوحى إليه، قد نُشر باسمه؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسم الأول – أجل، بالنسبة إلى القسم الثاني.

٣٣٩٦ – سؤال: ٣ – هل يمكن، دون المساس بالأصالة الموسوية للتوراة، قبول أن موسى قد استعان، لتأليف كتابه، بمصادر ووثائق مكتوبة أو تقاليد شفهية، اقتبس منها بعض الأمور، بحسب الغاية التي كان يقصدها وبوحي إلٰهيّ، متخذًا أحيانًا الكلمات نفسها، وأحيانًا المعنى، مختصرًا أو مستفيضًا، وأدخلها في كتابه؟

جواب: أجل.

٣٣٩٧ – سؤال: ٤ – هل يمكن، مع الحفاظ على أصالة التوراة الموسوية وسلامتها بالنسبة إلى الجوهر، قبول أن هذا الكتاب، قد جرى عليه، مدى تلك القرون الطويلة، بعض التغيير، مثلاً: إضافات لكاتب أوحي إليه زيدت بعد موسى، وتعليقات، وشروحات أدرجت في النصّ. أو كلمات وتعابير عتيقة نقلت إلى لغة عصرية أكثر حداثة، وأخيرًا قراءات خاطئة من جراء أخطاء الناسخين، ويعود إلى النقد فحصها وتمييزها بحسب مبادئه؟

جواب: أجل مع الحفاظ على حكم الكنيسة.

٣٣٩٨ – ٣٤٠٠ – جواب لجنة الكتاب المقدّس، ٢٩ أيار ١٩٠٧

كاتب الإنجيل الرابع وصحّته التاريخيّة

٣٣٩٨ – سؤال: ١ – هل التقليد الثابت والعامّ والرسمي في الكنيسة، منذ القرن الثاني، كما يبرز من:

أ) شهادات وتلميحات الآباء القديسين، والكتّاب الكنسيين حتّى الهراطقة: تلك الشهادات والتلميحات، التي لا يمكن أن تتأتّى إلاّ من التلاميذ أو من خلفاء الرسل الأوائل، فهي على صلة حتمية بأصل الكتاب،

ب) قبول اسم كاتب الإنجيل الرابع، في كل زمان وكل مكان، في قانون الكتب المقدّسة وقائمتها،

ج) أقدم المخطوطات لهذه الكتب عينها، وأقدم ترجماتها إلى لغات متنوّعة.

د) الاستعمال الليترجي العلنيّ ذي الانتشار العامّ منذ أول الكنيسة،

هل هذا التقليد بصرف النظر عن البرهان اللاهوتي، يكوّن حُجّة تاريخيّة على أن الرسول يوحنا لا غيره، هو مَن يجب أن يُعدّ كاتب الإنجيل الرابع، ويكون لهذه الحجة من القوّة، ما يجعل الأسباب التي يوردها النقاد غير قادرة على دحضها؟

جواب: أجل.

٣٣٩٩ – سؤال: ٢ – هل يجب النظر إلى الأسباب الداخلية، المستخرجة من نصّ الإنجيل الرابع، منفصلاً عن شهادة الكاتب، وإلى التقارب البادي بين هذا الإنجيل ورسالة الرسول يوحنا الأولى، كتأكيد لا ريب فيه للتقليد الذي ينسب الإنجيل الرابع إلى هذا الرسول؟

جواب: أجل.

٣٤٠٠ – سؤال: ٣ – على كون الممارسة القائمة دومًا في الكنيسة جمعاء، منذ الأزمنة الأولى، تعتمد على الإنجيل الرابع كأنه وثيقة تاريخيّة بالمعنى الصحيح، ومع ذلك، استنادًا إلى الطبيعة الخاصّة بهذا الإنجيل، والنيّة الجليّة للكاتب أن يبيّن ألوهيّة المسيح ويدافع عنها بأفعال الربّ ذاتها وأقواله، ألاّ نستطيع القول إن الوقائع الموردة في الإنجيل الرابع هي مبتدعة، كليًّا أو جزئيًّا، بكونها مَجازات ورموز عقيدية، فلا تكون أقوال الربّ هي للربّ نفسه خاصّة وحقيقة، وإنما تأليف لاهوتيّ للكاتب وإن وُضعت على لسان الربّ؟

جواب: كلاّ.

٣٤٠١ – ٣٤٦٦ – مرسوم المجمع المقدّس «Lamentabili»، ٣ تموز ١٩٠٧

أضاليل أصحاب المذهب العصريّ

تحرّر التفسير من سلطان الكنيسة التعليميّ

٣٤٠١ – ١ – إن القانون الذي يفرض خضوع الكتب التي تعالج الأسفار المقدّسة للرقابة السابقة لا يلزم الباحثين الذين يتعاطون النقد أو التفسير العلميّ لأسفار العهدين القديم والجديد.

٣٤٠٢ – ٢ – إن تفسير الكنيسة للكتب المقدّسة يجب في الحقيقة أن لا يزدرى، ولكنه خاضع لحكم المفسرّين الأصحّ وتصحيحهم.

٣٤٠٣ – ٣ – إن ما يُجرى من أحكام ورقابة كنسيّة ضدّ التفسير الحرّ والعلميّ يمكّن من معرفة أن الإيمان الذي تعرضه الكنيسة يناقض التاريخ، وأن العقائد الكاثوليكيّة لا يمكن في الحقيقة أن تنسجم مع الأصول الأكثر صحّة للديانة الكاثوليكيّة.

٣٤٠٤ – ٤ – إن سلطان الكنيسة التعليميّ لا يستطيع الفصل في المعنى الصحيح للكتاب المقدّس، حتّى بتحديدات عقيدية.

٣٤٠٥ – ٥ – بما أن وديعة الإيمان لا تحوي سوى الحقائق المنزلة، فليس للكنيسة على الإطلاق أن تحكم في مضمون العلوم الإنسانيّة.

٣٤٠٦ – ٦ – في تحديد الحقائق، تتعاون الكنيسة المتعلّمة والكنيسة المعلّمة بحيث لا يبقى للكنيسة المعلّمة سوى تثبيت المفاهيم المشتركة للكنيسة المتعلّمة.

٣٤٠٧ – ٧ – لا تستطيع الكنيسة، عندما تقضي على أضاليل، أن تطلب من المؤمنين أيّ قبول يجعلهم يتبنّون الحكم الذي أصدرته.

٣٤٠٨ – ٨ – يجب أن يُعدّ بلا ذنب مَن لا يبالون بالأحكام الصادرة عن مجمع التحريم المقدّس، أو مجامع رومانية مقدّسة أخرى.

الوحي والعصمة من الخطإ في الكتاب المقدّس

٣٤٠٩ – ٩ – من يعتقدون أن الله هو حقًّا صانع الكتاب المقدّس يُظهرون بساطة وجهلاً مُفرطين.

٣٤١٠ – ١٠ – إن الوحي في أسفار العهد القديم يقوم على أن كتّاب إسرائيل نقلوا عقائد كانت، من وجهة نظر، معروفة قليلاً أو غير معروفة عند الوثنيين.

٣٤١١ – ١١ – إن الوحي الإلٰهيّ لا يمتّد إلى الكتاب المقدّس بكامله، بحيث يحوّل دون أي خطإ في جميع أجزائه وفي كلّ منها.

٣٤١٢ – ١٢ – إذا أراد المفسّر أن يَنْكبَّ بجدوى على الدراسات الكتابية فلا بدّ له أن ينحّي جانبًا كل رأي سابق في أصل الكتاب الفائق الطبيعة، وأن لا يُفسّره بأسلوب آخر يختلف فيه عن الوثائق الأخرى الإنسانيّة المحضّ.

٣٤١٣ – ١٣ – لقد نسّق الإنجيليون أنفسهم الأمثال الإنجيليّة بفن، ومسيحيو الجيلين الثاني والثالث، الذين استطاعوا هكذا أن ينقلوا النتيجة الضئيلة لكرازة المسيح عند اليهود.

٣٤١٤ – ١٤ – في روايات عدّة لم يقصد الإنجيليون إيراد ما هو صحيح ولكن ما حسبوه أكثر فائدة لقرّائهم وإن كان خاطئًا.

٣٤١٥ – ١٥ – لقد اغتنت الأناجيل بإضافات وتصحيحات لم تنقطع، إلى أن كُوّن القانون نهائيًّا. فلم يبق فيه من ثم سوى أثر ضئيل وغير أكيد من عقيدة المسيح.

٣٤١٦ – ١٦ – ليست روايات يوحنا، بالمعنى الصحيح، من التاريخ، وإنما هي تأمّل صوفي في الإنجيل. والخطب الموجودة في هذا الإنجيل هي تأمّلات لاهوتية في سرّ الخلاص، تعوزها الحقيقة التاريخيّة.

٣٤١٧ – ١٧ – لقد ضَخّمَ الإنجيل الرابع المعجزات، لا لكي تظهر خارقة العادة، فحسب، ولكن أيضًا لكي تصير أقوى دلالة على عمل الكلمة المتجسّد ومجده.

٣٤١٨ – ١٨ – يدّعي يوحنا لنفسه أنه كان شاهدًا للمسيح. وفي الحقيقة ليس هو سوى شاهد رائع للحياة المسيحية، أو لحياة المسيح في الكنيسة، في نهاية القرن الأول.

٣٤١٩ – ١٩ – لقد عبّر مفسّرون غير قويميّ العقيدة، عن المعنى الصحيح للأسفار المقدّسة، بأمانة أكثر ممّا فعل مفسّرون كاثوليكيّون.

مفهوم الوحي والعقيدة

٣٤٢٠ – ٢٠ – لم يكن الوحي سوى الوعي الذي أحرزه الإنسان لعلاقته بالله.

٣٤٢١ – ٢١ – إن الوحي الذي هو موضوع الإيمان الكاثوليكيّ لم ينته بالرسل.

٣٤٢٢ – ٢٢ – ليست العقائد التي تقول الكنيسة إنها منزلة حقائق نزلت من السماء، ولكنها تفسير لوقائع دينية أوجده الذهن البشريّ لنفسه بسعي وجهد.

٣٤٢٣ – ٢٣ – يمكن أن يوجد، وقد وُجد فعلاً، تعارض بين الوقائع المرويّة في الكتاب المقدّس وعقائد الكنيسة المستندة إليها. ولذا يستطيع النقد أن يرذل وقائع تعتقد الكنيسة أنها أكيدة جدًّا، على أنها غير صحيحة.

٣٤٢٤ – ٢٤ – يجب أن لا يُلام المفسّر الذي يضع مقدّمات ينتج منها أن هناك عقائد هي تاريخيًّا غير صحيحة ومشكوك فيها، ما دام لا يُنكر مباشرة العقائد نفسها.

٣٤٢٥ – ٢٥ – قبول الإيمان يرتكز أخيرًا على مجموعة احتمالات.

٣٤٢٦ – ٢٦ – يجب المحافظة على عقائد الإيمان بحسب مدلولها العمليّ فقط، أيّ كقاعدة موضوعة للفعل، وليس كقاعدة للمعتقد.

المسيح

٣٤٢٧ – ٢٧ – ليس من برهان على ألوهية المسيح استنادًا إلى الأناجيل، ولكنها عقيدة استنتجها الوعي المسيحيّ من مفهوم المسيح.

٣٤٢٨ – ٢٨ – عندما كان يسوع يمارس خدمته لم يكن يتكلّم بنيّة تعليم أنه المسيح، ولم تكن معجزاته تقصد البرهان على ذلك.

٣٤٢٩ – ٢٩ – يمكن أن نَعُدّ المسيح الذي يُريه التاريخ أدنى كثيرًا من المسيح الذي هو موضوع الإيمان.

٣٤٣٠ – ٣٠ – في كل النصوص الإنجيليّة يساوي لفظ «ابن الله» فقط لفظ «المسيح»، ولكنه لا يعني أبدًا أن المسيح هو حقيقة وبالطبيعة ابن الله.

٣٤٣١ – ٣١ – إن العقيدة في شأن المسيح التي ينقلها بولس ويوحنا ومجامع نيقية، وأفسس، وخلقيدونية، ليست تلك التي علّمها المسيح، ولكنها تلك التي هي في الوعي المسيحي عن يسوع.

٣٤٣٢ – ٣٢ – لا يمكن ملاءمة المعنى الطبيعي للنصوص الإنجيلية مع ما يعلّمه لاهوتيّوناً عن وعي يسوع المسيح وعلمه المعصوم.

٣٤٣٣ – ٣٣ – من الجلّي لكل من لا تقوده آراء مسبّقة، إمّا أن يسوع قد أخطأ في شأن مجيء المسيح القريب، وإمّا أن القسم الأكبر من عقيدته الموجودة في الأناجيل الإزائية تعوزه الأصالة.

٣٤٣٤ – ٣٤ – لا يستطيع النقد أن ينسب إلى المسيح علمًا غير محدود على الإطلاق، ما لم يُفترَض ما هو صعب التصوّر تاريخيًّا ومخالف للحسّ الأخلاقيّ، أن المسيح كإنسان قد حاز علم الله، وأنه، مع ذلك، لم يشأ أن يُبلِّغ معرفة تلك الأشياء الكثيرة لتلاميذه ولمن بعدهم.

٣٤٣٥ – ٣٥ – إن المسيح لم يَعِ دومًا كرامته المسيحانية.

٣٤٣٦ – ٣٦ – ليست قيامة المسيح، بالمعنى الصحيح، واقعًا تاريخيًّا، ولكنها واقع هو فائق الطبيعة محضًا، لم يُبرهن عليه ولا يمكن البرهان، استنتجه الوعي المسيحي رويدًا رويدًا من معطيات أخرى.

٣٤٣٧ – ٣٧ – إن الإيمان بقيامة المسيح قد قام في البدء على حياة المسيح الخالدة عند الله أكثر ممّا على واقع القيامة في ذاته.

٣٤٣٨ – ٣٨ – إن عقيدة موت المسيح التكفيري ليست من الإنجيل ولكنها من بولس فحسب.

الأسرار

٣٤٣٩ – ٣٩ – إن المفاهيم في شأن الأسرار التي كان آباء المجمع التريدنتيني مشبعين بها والتي كان لها بلا ريب، تأثير في قوانينهم العقيدية، هي بعيدة جدًّا عمّا يقول به بحق أولئك الذين ينكبّون على البحث التاريخيّ في المسيحيّة.

٣٤٤٠ – ٤٠ – كان أصل الأسرار في أن الرسل وخلفاءهم قد فسّروا فكرة ونيّة للمسيح مسوقين ومدفوعين بالظروف والأحداث.

٣٤٤١ – ٤١ – لا ترمي الأسرار إلى سوى تذكير الناس بحضور الخالق الدائم الإحسان.

٣٤٤٢ – ٤٢ – أدخلت الجماعة المسيحية ضرورة المعمودية، بتبنّيها كطقس ضروريّ، وبإضافة واجبات الاعتراف بالإيمان المسيحيّ.

٣٤٤٣ – ٤٣ – عادة منح المعمودية للأطفال تطور في النظام، وذلك سبب من أسباب انقسام السرّ إلى قسمين: المعمودية والتوبة.

٣٤٤٤ – ٤٤ – لا شيء يبرهن على أن طقس سرّ التثبيت قد استعمله الرسل: إن التمييز الفعلي بين السرّين ليس على الإطلاق من تاريخ المسيحية الأولى.

٣٤٤٥ – ٤٥ – في ما ينقله بولس عن تأسيس الإفخارستيّا [١ كو ١١، ٢٣ – ٢٥] يجب أن لا يُفهم كل شيء كأنه من التاريخ.

٣٤٤٦ – ٤٦ – لم يوجد في الكنيسة الأولى مفهوم الخاطئ المُصالَح بسلطة الكنيسة. ولكن الكنيسة لم تعتد هذا المفهوم إلاّ رويدًا. وأكثر من ذلك، حتّى بعد أن اعترف بالتوبة كمؤسّسة كنسيّة، لم تُدع باسم سرّ، لأنه كان من الواجب أن يُعدَّ سِرًا مُذلاً.

٣٤٤٧ – ٤٧ – إن كلمات الربّ: «من غفرتم خطاياهم، غُفرت لهم، ومن أمسكتم خطاياهم أُمسكت» [يو ٢٠: ٢٢ – ٢٣]، لا يتعلّق إطلاقًا بسرّ التوبة، رغم ما حُسن لآباء المجمع التريدنتيني أن يؤكّدوا.

٣٤٤٨ – ٤٨ – ليس في نيّة يعقوب، في رسالته [يع ٥: ١٤ – ١٥] أن يرسم سرًّا من المسيح، وإنما أن يوصي بعادة تقوية، وإذا اتفق أنه يرى في هذه العادة وسيلة للنعمة فهو لا يعني ذلك بالدقة التي عند اللاهوتيين الذين حدّدوا مفهوم الأسرار وعددها.

٣٤٤٩ – ٤٩ – إن العشاء السرّي المسيحيّ، لما أخذ رويدًا رويدًا هيئة عمل ليتورجي، اكتسب الذين اعتادوا أن يرئسوه الصفة الكهنوتيّة.

٣٤٥٠ – ٥٠ – إن الشيوخ، الذين كان لهم وظيفة السهر على الجماعات المسيحيّة،

جعلهم الرسل كهنة وأساقفة لتوفير النظام الذي جعله نموّ الجماعات ضروريًّا، ولم يكن ذلك، بالمعنى الصحيح، لكي يُديموا رسالة الرسل وسلطتهم.

٣٤٥١ - ٥١ - لم يتمكّن الزواج من أن يصير سرًّا من الشريعة الجديدة إلاّ في زمن متأخّر. إذ كان من الضروريّ، لكي يُعدّ الزواجُ سرًّا، أن يسبق ذلك نموُّ عقيدة النعمة والأسرار.

تكوين الكنيسة

٣٤٥٢ - ٥٢ - لم يكن في فكر المسيح أن يقيم الكنيسة كمجتمع مُعّد للدوام، على مدى تعاقب دهور طويلة، وأكثر من ذلك، كان في فكر المسيح أن ملكوت السماوات سيأتي قريبًا في وقت واحد مع نهاية العالم.

٣٤٥٣ - ٥٣ - تكوين الكنيسة العضويّ ليس غير قابل للتغيير، ولكن المجتمع المسيحي خاضع لتطوّر مستمرّ، تمامًا كالمجتمع البشريّ.

٣٤٥٤ - ٥٤ - ليست العقائد، والأسرار، وتسلسل الرتب الكنسية في ما يتعلّق بمفهومها كما بحقيقتها، سوى تفسيرات وتنميات للفكر المسيحيّ، أنمت وأكملت بذرة صغيرة مخبوءة في الإنجيل.

٣٤٥٥ - ٥٥ - إن سمعان بطرس لم يخطر بباله قطّ أن الأوّلية في الكنيسة قد جعلت في يده.

٣٤٥٦ - ٥٦ - لم تصر الكنيسة الرومانية رأسًا لكل الكنائس بتدبير من العناية الإلٰهيّة، وإنما لظروف سياسية محضّ.

٣٤٥٧ - ٥٧ - إن الكنيسة تبدي العداء لتقدّم العلوم الطبيعية واللاّهوتية.

ثبات الحقائق الدينيّة

٣٤٥٨ - ٥٨ - ليست الحقيقة ثابتة أكثر من الإنسان نفسه، إذ إنها تنمو معه، وفيه، وبه.

٣٤٥٩ - ٥٩ - لم يعلّم المسيح عقيدة متناسقة محدّدة تنطبق على كل الأزمنة وكل

الناس، وإنما بالحري بدأ حركة دينـية مناسبة، أو يجب جعلها مناسبة، لأزمنة مختلفة وأمكنة مختلفة.

٣٤٦٠ – ٦٠ – إن العقيدة المسيحـيّة كانت في بداياتها يهودية، ولكنها صارت بتطورات متلاحقة أوّلاً بولُسية، ثم يوحناوية، وأخيرًا يونانية، ثم عامّة.

٣٤٦١ – ٦١ – يمكن القول دون مفارقة إن الكتاب المقدّس ليس فيه أيّ فصل، منذ فصل التكوين الأول، إلى فصل الرؤيا الأخير، يحوي عقيدة مماثلة حقًّا لتلك التي تقدّمها الكَنيسة عن ذات الموضوع، ولذلك ليس من فصل في الكتاب المقدّس له المعنى ذاته عند الناقد وعند اللاهوتي.

٣٤٦٢ – ٦٢ – لم يكن لبنود قانون الرسل الأساسية عند المسيحيين في الأزمنة الأولى، من المعنى، ما لها عند مسيحيّي هذا العصر.

٣٤٦٣ – ٦٣ – تبدو الكنيسة عاجزة عن الدفاع الفعّال عن الأخلاق الإنجيلية، لأنها متمسكة بعناد بعقائد ثابتة لا يمكنها أن تتلاءم مع التقدّم العصريّ.

٣٤٦٤ – ٦٤ – إن تقدّم العلوم يقضي بإصلاح مفاهيم العقيدة المسيحية في شأن الله، والخَلْق، والوحي وأقنوم الكلمة المتجسّد والفداء.

٣٤٦٥ – ٦٥ – لا تستطيع الكاثوليكـية الراهنة التلاؤم مع العلم الحقيقيّ، ما لم تتحوّل إلى مسيحيّة غير عقيدية، أيّ إلى بروتستانتية واسعة وحرّة.

٣٤٦٦ – ٦٦ – حكم رقابة الحبر الأعظم: «لقد وافق صاحب القداسة على مراسيم الآباء السامين وثبّتها، وأوعز بأن تُعدّ جميع المقولات المذكورة آنفًا وكل واحدة منها، مرذولة ومرفوضة من قبل الجميع».

٣٤٦٨ – ٣٤٧٤ – مرسوم دائرة المجمع المقدّس «Ne temere»، ٢ آب ١٩٠٧

الخطبة والزواج

٣٤٦٨ – الخطبة: ١ – لا تُعدُّ صحيحة وذات مفعول قانوني سوى الخطبة وحدها التي عُقدت بموجب وثيقة خطية وقّعها الفريقان وإمّا الخوري أو الرئيس المحلي، وإمّا شاهدان على الأقلّ.

٣٤٦٩ – الزواج: ٣ – إن الزواجات المعقودة أمام الخوري أو الرئيس المحلّي، أو كاهن مفوّض من أيّ منها، وأمام شاهدين على الأقلّ هي وحدها صحيحة.

٣٤٧٠ – ٧ – عندما يكون خطر موت، ويستحيل حضور الخوري أو الرئيس المحلّي، أو كاهن مفوّض من أيّ منها، لطمأنة الضمير، أو إذا دعت الضرورة، لجعل الأولاد شرعيين، يمكن أن يُعقد الزواج صحيحًا وجائزًا أمام أيّ كاهن وشاهدين.

٣٤٧١ – ٨ – إذا كان من المتعذّر في إحدى المناطق إيجاد الخوري أو الرئيس المحلّي أو كاهن مفوّض من قبلها يمكن إجراء الزواج أمامهم، وأذا كانت تلك الحالة تدوم منذ شهر، فبالإمكان أن يعقد الزواج صحيحًا وجائزًا، إذا أبدي الرضى بصيغة واضحة أمام شاهدين.

٣٤٧٢ – ١١ – ١) القوانين السابقة تلزم جميع المعَمدين في الكنيسة الكاثوليكية، والذين جاءوا إليها من الهراطقة أو الانشقاق (حتّى و إن كان هؤلاء وأولئك تركوها في ما بعد) كلّ مرّة يعقدون بينهم خطبة أو زواجًا.

٣٤٧٣ – ٢) وهي قائمة أيضًا بالنسبة إلى الكاثوليكـيين أنفسهم المذكورين آنفًا إذا عقدوا خطبة أو زواجًا مع غير كاثوليكيين، معَمدين أو غير معَمدين، حتّى بعد الحصول على التفسيح من مانع اختلاف المذهب أو اختلاف الدين. إلاّ إذا رسم الكرسيّ الرسوليّ غير ذلك لمكان أو منطقة خاصّة.

٣٤٧٤ – ٣) إذا تم العقد بين غير كاثوليكـيين معَمدين أو غير معَمدين، فهم غير ملزمين في أيّ مكان بالحفاظ على الصيغة الكاثوليكية للخطبة أو الزواج.

٣٤٧٥ – ٣٥٠٠ – الرسالة العامّة «Pascendi dominici gregis»، ٨ أيلول ١٩٠٧

أضاليل المستحدثين في شأن المبادئ الفلسفية

٣٤٧٥ – إن المستحدثين يضعون في أساس فلسفتهم الدينية العقيدة المسمّاة عامّة باللاأدريّة. وهي تقول بأن العقل البشري، المحصور بشدّة في الظواهر، أيّ في الأشياء التي تظهر، وبالتدقيق كما تظهر، ليس له القدرة على تجاوز الحدود ولا الحق

في ذلك. لذلك فهو عاجز عن الارتفاع نحو الله، أو معرفة وجوده، بأيّ وجه من الوجوه انطلاقًا من الذي يُرى. وبالتالي فلا يمكن على الإطلاق أن يكون الله موضوعًا مباشرًا للمعرفة. وبالنسبة إلى التاريخ، فيجب أن لا يُحسب الله على الإطلاق، موضوعًا تاريخيًا.

وبالاستناد إلى ذلك يدرك كل واحد بسهولة ما يحلّ بعلم اللاهوت الطبيعي، وبالبواعث على المصداقية والوحي الخارجي. فالمستحدثون يلغونها تمامًا ويعيدونها إلى المذهب العقلي...

٣٤٧٦ – [من اللاأدرية يُفرّعون] أن العلم تمامًا كالتاريخ يجب أن يكون ملحدًا. فضمن حدودهما لا مكان إلاّ للظواهر، ويُقصى الله تمامًا وكلُّ ما هو إلٰهيّ...

٣٤٧٧ – ويجب أن لا تُعدّ هذه اللاأدرية، مع ذلك في عقيدة المستحدثين، سوى الجزء السلبي منها. أمّا الجزء الإيجابي فيقوم، كما يقولون، على الكمون الحيوي. وللانتقال من جزء إلى آخر سبيلهم هو الآتي:

إن الديانة، أطبيعية كانت أم فائقة الطبيعة، عليها أن تتقبّل شرحًا، قبل كل حقيقة وجودية. فبعد هدم علم اللاهوت الطبيعي، وإغلاق باب الوصول إلى الوحي بإقصاء البراهين على المصداقية، وأكثر من ذلك، بعد نقض كل وحي خارجي نقضًا كاملاً، من العبث البحث عن هذا الشرح خارجًا عن الإنسان نفسه. فيجب إذن البحث عنها في الإنسان نفسه. ولأن الديانة هي وجه من وجوه الحياة، فهي موجودة بكمالها في حياة الإنسان. لهذا السبب يؤكّد مبدأ الكمون الدينيّ.

ففي كل مبدإ حيوي – وقد أسلفنا القول إن الديانة هي كذلك – تتعلّق الحركة الأولى، بوجه من الوجوه، بحاجة أو اندفاع. أمّا البدايات، إذا شئنا الكلام بدقة أكبر على الحياة، فهي تكون في حركة للقلب تسمّى عاطفة. لهذا السبب، بما أن الله هو موضوع الديانة، يجب الاستنتاج من ذلك أن الإيمان، الذي هو بداية كل ديانة وأساسها، يجب أن يكون في عاطفة داخلية ناتجة من حاجة إلى ما هو إلٰهيّ. وبما أن الشعور بهذه الحاجة إلى ما هو إلٰهيّ لا يتمّ إلاّ في بعض الظروف المعيّنة

والمناسبة، فلا يمكن أن تقع الحاجة بذاتها في نطاق الوعي. مكانها أوّلاً فوق الوعي، أو كما يقولون بكلمة مستعارة من الفلسفة المستحدثة، في ما هو تحت الشعور...

٣٤٧٨ – في هذه العاطفة يجد المستحدثون لا الإيمان فقط، بل يؤكّدون أنه مع الإيمان وفي الإيمان، كما يفهمونه، نجد أيضًا مكان الوحي... وبما أن الله هو موضوع الإيمان وسببه معًا، فهذا الوحي هو عن الله وبالله معًا، أيّ إن الله به هو مَن يوحِي ومن يوحَى به معًا. وينطلق من ذلك عندئذ، أيُّها الأخوة الأجلاّء، تأكيد المستحدثين المُحال هذا، أنه يجب القول بأن كل ديانة، وفق وجهة النظر، هي طبيعية وفائقة الطبيعة. ومن هنا المساواة بين الوعي والوحي. ومن هنا القانون الذي يقدّم الوعي الدينيّ كأنه القاعدة العامّة، التي تساوي الوحي، والتي يجب أن يخضع لها كل شيء، حتّى السلطة العليّا في الكنيسة، سواء أعلّمت أم وضعت أحكامًا في موضوع النظام المقدّس...

٣٤٧٩ – إن غير المعروف الذي يتكلّمون عليه لا يبدو كشيء عار أو مفرد. إنه بالعكس متحد اتحادًا وثيقًا بظاهرة، تفوق بوجه ما، نطاق العلم أو التاريخ وإن كانت جزءًا منه... ولكن الإيمان عندئذ، وقد اجتذبه الغير المعروف المتصل بالظاهرة، يكتنف الظاهرة نفسها كاملة، ويلج فيها بوجه ما بحياته الخاصّة.

وتنتج من ذلك نتيجتان: أوّلاً نوع من تجلّي الظاهرة، أيّ بارتفاع فوق ظروفها الحقيقة، فتصبح مادّة أكثر قابليّة لتلبس الشكل الإلٰهيّ الذي يريد الإيمان إدخاله. ثم تشويه لتلك الظاهرة، إذ صحّ القول، يعود إلى أن الإيمان، يسحبها من ظروف المكان والزمان، وينسب إليها ما لا تملكه في الحقيقة. وهذا يجري على الخصوص عندما يتعلّق الأمر بظواهر من الماضي، ويزداد كلما أوغلت في القدم. ويستخرج المستحدثون من هذين الوجهين مجدَّدًا قاعدتين تكوِّنان، مع أخرى متأتية من اللاأدرية، أساس النقد التاريخيّ.

٣٤٨٠ – ويوضح ذلك مثل يمكن أن نتخذه من شخص المسيح. في شخص المسيح، كما يقولون، لا يجد العلم والتاريخ شيئًا آخر سوى إنسان. لذلك، فبالاستناد إلى

القانون الأول المستخرج من اللاأدرية، يجب أن يمحى من تاريخه كل ما له خصائص إلٰهيّة. وبالاستناد إلى القاعدة الثانية عمل الإيمان على تجلّي شخص المسيح التاريخيّ.

فلا بدّ إذن أن يُنزع منه كل ما يسمو به فوق الظروف التاريخيّة. وأخيرًا، بالاستناد إلى القاعدة الثالثة، إن شخص المسيح قد شوهه الإيمان: فلا بدّ إذن من أن تنزع منه الأقوال، والأفعال، وبمختصر الكلام، كل ما لا يتلاءم مع طبعه، وحالته، وتنشئته، والمكان والزمان اللذين عاش فيهما...

٣٤٨١ – إن العاطفة الدينيّة التي تنبع بالكمون الحيوي من أعماق ما تحت الشعور، هي أصل كل ديانة، والعلّة، في الوقت عينه، لكل ما كان وسيكون في أيّ ديانة...

إن الله، في هذه العاطفة التي ذكرناها مرارًا، إذ الأمر يتعلّق بعاطفة وليس بمعرفة، يقدّم ذاته للإنسان، ولكن على وجه له من الالتباس والاختلاط ما يجعله يكاد لا يتميّز، أو لا يتميّز إطلاقًا، من الشخص المؤمن.

فمن الضروريّ إذن أن تُضاء هذه العاطفة ذاتها بنور، حتّى يبرز الله منها تمامًا ويُميَّز. وهذه مهمّة العقل الذي له أن يفكّر ويحلّل. به يترجم الإنسان، أوّلاً بتصوراتٍ ظواهرَ الحياة التي تنبعث فيه، ثم يدلّ عليها بكلمات. من هنا القول الذي أصبح عامًا عند المستحدثين: على الإنسان المؤمن أن يفكّر في إيمانه...

٣٤٨٢ – وفي هذا الأمر يعمل الذهن بطريقتين: أوّلاً يترجم الشيء بفعل طبيعي وتلقائي إلى منطوق بسيط وعامّ. ولكن، بعد ذلك، يعبّر بتبصُّر وجهد، أو كما يقولون، بالعمل على الفكر، عمّا فكّر فيه، بمنطوقات ثانوية، متأتية من الأوّل البسيط، ولكنها أعمق وأكثر تميّزًا. والمنطوقات الثانوية، بعد أن تختارها الكنيسة، تكوّن العقيدة المحدّدة.

٣٤٨٣ – نبلغ هكذا إلى نقطة أساسية في عقيدة المستحدثين، أيّ إلى أصل العقيدة وطبيعتها ذاتها. أجل يجعلون أصل العقيدة في تلك الصيغ الأولية البسيطة التي هي بوجه من الوجوه ضروريّة للإيمان. إذ لا بُدّ للوحي، ليكون حقيقيًا، أن يُعرف بوضوح ظاهر في الوعي. ولكن العقيدة نفسها، كما يبدو أنهم يقولون، تتضمّنها بالمعنى الصحيح الصيغ الثانوية...

وليس لهذه الصيغ غاية غير إعطاء المؤمن وسيلة تمكّنه من أن يعلّل لنفسه إيمانه. لذلك فهي في الوسط بين المؤمن وإيمانه. في شأن الإيمان هي إشارات غير مطابقة لموضوعها، تسمّى عمومًا قوانين، وفي شأن المؤمن هي محض وسائل.

... موضوع العاطفة الدينيّة، بما أنها المطلق، له وجوه لا تُحدّ يمكن أن يظهر منها تارة هذا وتارة ذاك. كذلك الإنسان المؤمن يمكن أن يوجد في ظروف متنوّعة. لذلك على الصيغ التي نسميها العقيدة المحدّدة، أن تكون خاضعة للتحوّلات، وتكون لذلك خاضعة للتغيير. ومن هنا يشرع السبيل لتطوّر داخليّ للعقيدة.

أضاليل المستحدثين في شأن فهم الإيمان

٣٤٨٤ – من الثابت والأكيد للمؤمن المستحدث أن حقيقة ما هو إلٰهيّ موجودة في ذاتها، وأنها لا ترتبط كليًا بالمؤمن. وإذا طُرح السؤال عمّا يَستند إليه قول المؤمن هذا، فجوابهم: إلى اختبار خاصّ بكل إنسان...: وأنه يجب الاعتراف بأن في الحسّ الدينـيّ حدسًا من القلب يـبلغ به الإنسان، دون واسطة، حقيقة الله نفسها، ومنه يستقي يقينًا بوجود الله، وبعمل الله، في داخل الإنسان وخارجه، يفوق كثيرًا أيّ يقين يمكن الحصول عليه من العلم. فهم يؤكّدون إذن اختبارًا حقيقيًا، يفوق كل اختبار عقليّ...

٣٤٨٥ – إن الإيمان... يُعنى فقط بما يرى العلم أنه غير قادر على معرفته. لذلك... يُعنى العلم بالظواهر التي ليس فيها مكان للإيمان. أمّا الإيمان فيُعنى بالحقائق الإلٰهيّة التي يجهلها العلم تمامًا. من هنا فقط استحالة وجود نزاع بين العلم والإيمان...

وإذا جرى اعتراض بأنه يحدث أيضًا في الطبيعة المنظورة بعض الأمور التي تعود أيضًا إلى الإيمان، كمثل حياة المسيح البشرية، فهم ينكرون ذلك. إذ حتّى ولو كانت هذه معدودة بين الظواهر، فهي بمقدار ما ملأتها حياة الإيمان، وجعلها الإيمان تتجلّى أو تتشوّه، كما ما قلنا آنفًا، [ر ٣٤٧٩ – ٣٤٨٠]، فقد انتُزعت بذلك من العالم الحسيّ ونُقلت إلى المادّة الإلٰهيّة.

وإذا أوغل في السؤال عن المسيح: هل أجرى معجزات حقيقية، وتنبأ حقيقة بأمور آتية، وهل عاد حيًّا، وهل صعد إلى السماء، فالعلم اللاأدري يُنكر ذلك والإيمان يؤكّده. ولكن لا ينتج من ذلك نزاع بين الاثنين. فالواحد ينكره كفيلسوف يخاطب الفلاسفة، وهو ينظر إلى المسيح فقط بحسب الحقيقية التاريخيّة، والآخر يؤكّد كمؤمن يخاطب مؤمنين، وهو ينظر إلى حياة المسيح كما يحياها من جديد بالإيمان وفي الإيمان.

٣٤٨٦ – يكون الخطأ كبيرًا، إذا حُسب انطلاقًا من ذلك، أنه من الممكن الاعتقاد بعدم وجود أيّ تراتبية بين العلم والإيمان. يكون الاعتقاد بذلك صحيحًا وحقيقيًا بالنسبة إلى العلم. ولكن الأمر يختلف بالنسبة إلى الإيمان، الذي يجب القول عنه إنه خاضع للعلم اعتمادًا لا على مستند واحد وإنما على ثلاثة مستندات.

فأوّلاً يجب الانتباه في الحادث الدينيّ إلى أنه إذا أُهملت الحقيقة الموجودة الإلٰهيّة وما عند المؤمن من اختبار لها، فكل الحقائق الباقية، ولا سيّما الصِّيغ الدينيّة لا تتعدّى نطاق الظواهر، وتقع بالتالي في نطاق العلم...

وعلاوة على ذلك، حتّى إذا قيل إن الله هو موضوع الإيمان وحده، فيجب قبول ذلك بالنسبة إلى الوجود الإلٰهيّ لا إلى الفكرة عن الله. فهذه خاضعة للعلم. فما دام هذا يفكّر فلسفيًا في المجال المنطقي، كما يقولون، فهو يبلغ حتّى كل ما هو مطلق ومثالي. لذلك، فبالنسبة إلى الفكرة عن الله، يحق للفلسفة أو علم المعرفة أن يوجهها في نموِّها، وأن يُصلحها إذا فاجأ شيء غريب. من هنا قول المستحدثين: يجب جعل النقد الدينيّ متلائمًا مع النموّ الأخلاقيّ والذهنيّ، أي كما يعلّم واحد ممّن ينبعونه كمعلّم، أن يخضع له.

يضاف إلى ذلك أن الإنسان لا يعاني في ذاته من ثنائية: لذلك فالمؤمن تدفعه ضرورة داخلية إلى ملاءمة الإيمان والعلم، بحيث يبتعد عن الفكرة العامّة التي يبديها العلم عن العالم بمجمله. فينتج إذن من ذلك أن العلم مستقلّ عن الإيمان تمامًا، وأن الإيمان، بإعلانه حقيقة غريبة عن العلم، هو خاضع له.

أضاليل المستحدثين في شأن المنطوقات اللاهوتية

٣٤٨٦ – ... إن اللاهوتي المستحدث يستعمل المبادئ نفسها التي نرى الفيلسوف يستعملها، ويجعلها ملائمة للمؤمن: نتكلّم على مبدإ الكمون والرمزية. وهذا ما يقوله بأبسط السبُل:

يعلِّم الفيلسوف أن مبدأ الإيمان كامن. ويضيف المؤمن أن هذا المبدأ هو الله. فيستنتج هو ذاته: أن الله بالتالي هو كامن في الإنسان. من هنا الكمون اللاهوتي.

كذلك: بالنسبة إلى الفيلسوف، من الأكيد أن تصوّرات موضوع الإيمان هي رمزية فقط. وبالنسبة إلى المؤمن، من الأكيد أيضًا أن موضوع الإيمان هو الله نفسه. فيستنتج اللاهوتي أن الحقيقة الوجودية لله هي رمزية. من هنا الرمزية اللاهوتية...

٣٤٨٨ – ولكن بما أن هناك أولادًا كثيرين للإيمان، خصوصًا الكنيسة، والعقيدة، وعبادة الديانة، والكتب التي نسمّيها مقدّسة، علينا أن نفحص أيضًا ما يعلّمه المستحدثون في شأنها.

إذا بدأنا بالعقيدة، فقد أشرنا إلى أصلها وطبيعتها [ر ٣٤٨٢]. فهي متأتّية من حافز أو من ضرورة بها بجهد المؤمن أن يعمل، في تفكيره، على أن يكون وعيه ووعي الآخرين أيضًا أكثر استنارة. وهذا الجهد يقوم على ولوج وشرح الصيغة الأصلية للذهن، لا في ذاته، وفق شرح منطقي، ولكن بحسب الظروف، أو، كما يقولون، بطريقة تُفهم أقلّ، بطريقة حيوية. وينتج من ذلك نشوء صيغ ثانوية حولها بالتدرّج كما ألمحنا إلى ذلك [ر ٣٤٨٢].

وعندما تُجمع هذه من بعد في جسم واحد، أو في بناء عقيدي واحد، وتثبّتها السلطة التعليمية العامّة كأنها تتناسب والوعي العامّ، تُدعى عقيدة محدّدة. ويجب أن نميزها بدّقة من تفكّرات اللاهوتيين.

٣٤٨٩ – ما كان هناك الكثير ممّا يقال عن العبادة المقدّسة لولا احتواء هذه الكلمة على الأسرار التي للمستحدثين في شأنها أضاليل كبيرة جدًّا. فالعبادة بالنسبة إليهم، تتأتى من حافز مزدوج، أو من ضرورة مزدوجة...

الأولى توفير عنصر حسيّ للديانة، والثانية جعلها معروفة، وهذا لا يمكن أن يحصل أبدًا دون وجه حسّي، وأفعال مقدّسة نسمّيها أسرارًا. ولكن الأسرار هي بالنسبة للمستحدثين، محض رموز أو علامات، وإن لم تخل من مفعول. ولكي يَصِفوا ذلك المفعول، يتمثّلون بكلمات يقال عنها في اللغة الجارية، إنها قد أَثْرت، لأنها قادرة على نشر أفكار كبيرة قوية تصدم الأذهان. إن ما تؤديه الكلمات بالنسبة إلى الأفكار هو ما تؤديه الأسرار بالنسبة إلى الحسّ الدينيّ لا أكثر. ولكان المستحدثون تكلّموا بوضوح أكثر لو أكدوا أن الأسرار قد أنشئت فقط لتغذية الإيمان. ولكن ذلك قضى عليه المجمع التريدنتيني: «من يقول إن الأسرار لم تنشأ إلاّ لتغذية الإيمان، فليكن مبسلاً» [١٦٠٥].

٣٤٩٠ – يمكن تحديد [الكتب المقدّسة]، بحسب مبادئ المستحدثين، كمجموعة اختبارات لا تحصل لكل واحد، وإنما هي خارقة وعظيمة وتجري في أيّ ديانة من الديانات...

وإن كان الاختبار يرتبط بالزمن الراهن، فمن الممكن أن يستقي مادّته من الماضي ومن المستقبل، بحسب ما يحيا المؤمن من جديد بالتذكر في حال الحاضر ما هو ماضٍ كأنه حاضر، أو يحيا الأشياء الآتية بالاستباق. وهذا ما يشرح حينئذ كيف يمكن أيضًا النظر إلى القصص والرؤى في الكتب المقدّسة.

فالله إذن هو حقًّا من يتكلّم في تلك الكتب بالمؤمن، ولكن فقط كما يشرح ذلك لاهوت المستحدثين، بسبيل الكمون والدوام الحيويين.

٣٤٩١ – وسنسأل: ما الأمر بالنسبة إلى الوحي؟ وجوابهم أنه لا يتميّز بأيّ وجه، إلاّ ربّما بالشدّة، من الدفع الذي يُحمَل به المؤمن على إبلاغ إيمانه بالكلام والكتابة. ولنا ما يشبه ذلك في الوحي الشعريّ. لذلك يقول أحدهم: «إن فينا إلٰهًا، ولأنه يحرّكنا فنحن نحترق». بهذه الطريقة يجب أن يُدعى الله أصلاً لوحي الكتب المقدّسة.

٣٤٩٢ – إنهم يؤكّدون أوّلاً [في تصوّراتهم للكنيسة] أنها تولد من حاجة مزدوجة: من جهة الحاجة عند كل مؤمن إلى إبلاغ الإيمان إلى آخرين، ولا سيّما مَن كان له في ذلك اختبار أصلي وفريد، ومن جهة أخرى، بعد أن يكون الإيمان قد صار مشتركًا

بين كثيرين، الحاجة إلى الجماعة إلى الانضمام في إطار مجتمع في منظومة، وتقاسم الخير المشترك، وتنميته ونشره. فما هي عندئذ الكنيسة؟ إنها ثمرة الوعي المشترك، أو تجمّع وعي الأفراد الذي بفعل الدوام الحيوي يتعلّق بمؤمن أوّل، أيّ بالنسبة إلى الكاثوليكيين، بالمسيح.

٣٤٩٣ – المبدأ العامّ [لشرح الإيمان على طريقة المستحدثين] هو الآتي: في الديانة ليس من شيء لا يتغيّر، يجب إذن أن تتغيّر. ومن هنا يخطون خطوة نحو ما هو في عقيدتهم نقطة أساسية: أيّ نحو التطوّر.

وهكذا فالكنيسة والعبادة، والكتب التي نجلّها على أنها مقدّسة، حتّى الإيمان نفسه، هي خاضعة لقوانين التطوّر، إلاّ إذا شئنا أن يموت ذلك كلّه.

أضاليل المستحدثين في شأن مبادئ العلم التاريخيّ والنقدي

٣٤٩٤ – بعض الذين يتعاطون التاريخ يبدون اهتمامًا كبيرًا بأن لا يُحسبوا فلاسفة... أيّ بأن لا يفكّر أحد بأنهم مشبعون من آراء فلسفيّة سابقة، وأنهم إذن ليسوا بالتالي، كما يقولون، موضوعيّين تمامًا. والحقيقة أن تاريخهم، أو نقدهم، يمكن أن يسمّى محض فلسفة، وأن ما يقولونه يُستنتج باستدلال صحيح من مبادئهم الفلسفية...

إن القواعد الأساسية الثلاث لهؤلاء المؤرخين أو النقّاد هي، كما قلنا، تلك المبادئ نفسها التي استخرجناها من الفلاسفة، أيّ اللاأدرية، ونظرية تجلّي الأشياء بالإيمان، وكذلك نظرية أخرى قلنا عنها إنه بالإمكان تسمّيتها بالتسويه. فلنلاحظ الآن نتائج كل واحد منها.

٣٤٩٥ – انطلاقًا من اللاأدرية لا يتناول التاريخ كما العلم سوى الظواهر. لذلك، فالله وكل تدخّل إلٰهيّ في الموجودات البشرية يجب أن يرجعا إلى الإيمان، كأنها من اختصاصه. لذلك إذا بدا شيء مكوّن من عنصر مزدوج، إلٰهيّ وإنساني، كالمسيح، والكنيسة، فينسب إلى التاريخ ما هو بشريّ، وإلى الإيمان ما هو إلٰهيّ. من هنا التمييز المنتشر عند المستحدثين بين المسيح التاريخيّ ومسيح الإيمان، كنيسة التاريخ وكنيسة الإيمان، أسرار التاريخ وأسرار الإيمان، وأشياء أخرى مماثلة.

٣٤٩٦ – يجب القول من بعد أن ذلك العنصر البشريّ الذي نرى المؤرخ يجعله من نصيبه، كما يبدو من الوثائق، قد رفعه الإيمان، بالتجلّي، فوق الحالات التاريخيّة. فيجب إذن أن تُنزع من جديد الإضافات التي من فعل الإيمان، وتعاد إلى الإيمان ذاته وإلى تاريخ الإيمان: كذلك هو الأمر، بالنسبة إلى المسيح، في شأن كل ما يتجاوز الحالة البشرية، سواء أكانت الحالة الطبيعية كما يشرحها علم النفس أم تلك المرتبطة بمكان حياته وزمانها.

٣٤٩٧ – أخيرًا، بالاستناد إلى المبدإ الفلسفيّ الثالث، إنهم يُجرون نوعًا من الغربلة للأشياء ذاتها التي تتجاوز نطاق التاريخ، ويعيدون إلى الإيمان أيضًا ما يرون أنه، كما يقولون، ليس من منطق الوقائع، أو لا يستوي والأشخاص. وهكذا يقولون إن المسيح لم يقل شيئًا يبدو فوق إدراك الجمع الذي كان يسمعه...

٣٤٩٨ – فكما يتقبّل التاريخ نتائجه من الفلسفة، كذلك النقدّ يتقبّلها من التاريخ. لأن الناقد... يقسم الوثائق إلى قسمين. وكل ما يبقى بعد التشويه المثلّث، يجعله في التاريخ الحقيقيّ. أمّا الباقي فيعيده إلى تاريخ الإيمان، أو التاريخ الداخليّ. فهو يميّز بعناية هذين التاريخين. وهو يجعل تاريخ الإيمان – وهذا ما يجب ملاحظته – معارضًا للتاريخ الحقيقيّ بكونه حقيقيًا. من هنا، كما أسلفنا، المسيح المزدوج: الواحد حقيقيّ والآخر الذي لم يكن قط حقيقيًا، ولكنه يخصّ الإيمان...

وبتقسيم الوثائق إلى قسمين، كما أسلفنا، يحضر الفيلسوف من جديد مع مبدئه الكمون الحيوي. ويؤكّد أنه لا بدّ من شرح كل ما هو في تاريخ الكنائس بالفيض الحيوي.

أضاليل المستحدثين في شأن طريقة الدفاع (عن الإيمان المسيحيّ)

٣٤٩٩ – إن [المدافع] عند المستحدثين يتعلّق هو نفسه بالفيلسوف بطريقة مزدوجة. أوّلاً بطريقة غير مباشرة إذ يتخّذ كموضوع له التاريخ الذي كتب، كما رأينا، بحسب ما يرسمه الفيلسوف. وثانيًا بطريقة مباشرة باستعارته منه مبادئه وأحكامه. من هنا هذه القاعدة المنتشرة في مدرسة المستحدثين، أن الدفاع الجديد عليه أن يحسم الجدل في شأن الديانة بأبحاث تاريخيّة ونفسيّة...

٣٥٠٠ – والغاية التي قصد بلوغها هي الآتية: العمل على أن يصل الإنسان، الذي كان حتّى خاليًا من الإيمان، إلى ذلك الاختبار للديانة الكاثوليكيّة الذي هو، بحسب عقيدة المستحدثين، الأساس الوحيد للإيمان...

لأجل ذلك لا بدّ من إظهار أن الديانة الكاثوليكيّة، كما هي الآن، هي تمامًا تلك التي أسّسها المسيح، أو أنها لا شيء سوى التطوّر المتنامي لتلك البذرة التي وضعها المسيح.

فلا بدّ إذن أوّلاً من تحديد تلك البذرة، ويُعنون عندئذ بشرحها وفق الصيغة الآتية: لقد أعلن المسيح مجيء الملكوت الذي كان يجب أن يقوم في زمن قصير، ويكون هو فيه المسيح، أيّ صاحبه ومنظّمه، الذي أعطاه الله.

وبعد ذلك لا بدّ من إظهار كيف أن تلك البذرة الكامنة والحاضرة دائمًا في الديانة الكاثوليكيّة قد نمت تدريجيًا، وفي نطاق التاريخ، والتأمت مع الظروف المتعاقبة، واجتذبت منها لنفسها، بطريقة حيوية، كل ما هو نافع لها في مجال العقيدة، والعبادة، والصيغ الكنسيّة.

وبعد إظهار كل هذه الأمور، العوائق، والخصوم، والاضطهادات، والمعارك، وإظهار أن حياة الكنيسة أيضًا وخصبها، كانا من القوّة بحيث إن قوانين التطوّر، ولو بدت واضحة في تاريخ هذه الكنيسة، لا تستطيع مع ذلك أن تشرح تمامًا ذلك التاريخ، عندئذ تحضرُ الحقيقة غير المعروفة وتقدِّم ذاتها.

هذا هو قصدهم. ولكنهم، في هذا الاستدلال كله لا ينتبهون لأمر هو أن هذا التحديد للبذرة الأصلية هو ناتج فقط من الفكر القَبْليّ للفيلسوف اللاأدري والتطوريّ، وأن تلك البذرة نفسها قد حدّدوها هم بطريقة تحكّمية لتتلاءم مع قضيتهم.

٣٥٠٣ – الإرادة الرسوليّة «Praestantia Scripturae»، ١٨ تشرين الثاني ١٩٠٧

سلطة مقرّرات لجنة الكتاب المقدّسة

٣٥٠٣ – [هناك بعض مِمّن] لم يقبلوا أو لا يقبلون تلك المقرّرات بالطاعة الواجبة لها، وإن كان الحبر الأعظم قد ثبتها.

لذلك نرى أنه من الواجب أن نصرّح ونأمر، كما نصرّح ونأمر بكلام واضح، أن على الجميع بلا استثناء، إلزام ضميري بالخضوع لمقرّرات لجنة الكتاب المقدّس الحبرية، تلك التي صدرت والتي ستصدر، خضوعهم لمقرّرات المجامع المقدّسة في شأن العقيدة، والتي ثبّتها الحبر الأعظم. وأن جميع الذين يهاجمون تلك المقرّرات، بالكلام أو بالكتابة، لا يستطيعون أن يتجنّبوا سمة العصيان أو المغامرة، ويضعون على ضميرهم خطيئة ثقيلة، دون الكلام على ما يسببونه من معثرة، وعلى مسؤوليات أخرى قد يتحملونها أمام الله، من أجل أقوالهم المخالفة، والمغامرة، والضّالة، كما هي الحال مرارًا في هذه الأمور.

٣٥٠٥ – ٣٥٠٩ – جواب لجنة الكتاب المقدّس، ٢٩ حزيران ١٩٠٨

طبيعة كتاب أشعيا وواضعه

٣٥٠٥ – سؤال ١: هل يمكن تعليم أن النبوءات التي تُقرأ في سفر أشعيا – وفي فقرات متنوّعة من الكتب المقدّسة، ليست نبوءات بالمعنى الصحيح، وإنما هي روايات وُضعت بعد الحدَث، أو أن النبيّ، إذا كان لا بدّ من الاعتراف بأن بعض الوقائع قد أعلنت قبل الحدَث، لم يتنبّأ بهذه الوقائع استنادًا إلى وحي فائق الطبيعة من الله، الذي يعرف المستقبل، وإنما بافتراض يستند إلى الأحداث الماضية، بفعل حصافة ناجحة وفطنة ذهنية طبيعية.

جواب: كلا

سؤال ٢: هل تمكن ملائمة الرأي القائل بأن أشعيا والأنبياء الآخرين لم يعلنوا سوى أحداث وشيكة أو قريبة مع النبوءات – خصوصًا النبوءات المتعلّقة بالمسيح والآخرة – التي نطق بها، مدة طويلة من قبل بلا ريب، أولئك الأنبياء أنفسهم، ومع الرأي العامّ للآباء القدّيسين القائلين معًا إن الأنبياء قد أنبأوا بوقائع لن تتمّ إلاّ بعد قرون طويلة؟

جواب: كلا

سؤال ٣: هل يمكن قبول أن الأنبياء كان عليهم، ليس فقط عندما كانوا يوبّخون

على الفساد البشريّ ويعلنون كلام الله لأجل سامعيهم، ولكن حتّى عندما كانوا يعلنون أحداثًا آتية، أن يتوجّهوا لا إلى مستمعين في المستقبل وإنما إلى مستمعين حاضرين، وفي حالة تشبه حالتهم، بحيث يجعلون هؤلاء يفهمونهم تمامًا، وبالتالي أن القسم الثاني من أشعيا [فصل ٤٠ – ٦٦] الذي يتوجّه فيه النبيّ بالتعزية إلى اليهود كأنه يعيش بينهم، لا إلى أولئك الذين هم في حالة أشعيا نفسه، بل إلى اليهود الذين يتأوّهون في جلاء بابل، لا يمكن أن يكون لأشعيا نفسه، الذي مات من زمن طويل، وإنما يجب أن يُنسَب إلى نبيّ مجهول يقاسم المنفيين عيشهم؟

جواب: كلا

سؤال ٤: هل يمكن الحكم بأن البرهان اللغوي المستند إلى اللغة والأسلوب، والمعتَمد للطعن في هويّة واضع سفر أشعيا، هو من القوّة بحيث يُلزم إنسانًا رزينًا، طويل باع في الطريقة النقدية واللغة العبريّة، أن يسلّم بتعدّد الواضعين لهذا السفر عينه؟

جواب: كلا

سؤال ٥: هل هناك براهين قويّة تستطيع، ولو مجتمعة، إثبات أنه لا لزوم لنسبة سفر أشعيا إلى أشعيا وحده، وإنما إلى اثنين أو إلى بضعة واضعين؟

جواب: كلا

٣٥١٢ – ٣٥١٩ – جواب لجنة الكتاب المقدّس، ٣٠ حزيران ١٩٠٩

الطبيعة التاريخيّة للفصول الأولى من سفر التكوين

٣٥١٢ – سؤال ١: هل ترتكز على أساس قويّ المذاهبُ التفسيرية المختلفة التي أوجدت لنفي المعنى التاريخيّ الحرفي، عن الفصول الثلاثة الأولى من سفر التكوين، والتي دوفع عنها بظاهر العلم؟

جواب: كلا

٣٥١٣ – سؤال ٢: هل من الممكن – رغم طبيعة سفر التكوين ووجهه التاريخيّ،

والصلة الخاصّة الموجودة بين الفصول الثلاثة الأولى، وبين هذه والفصول اللاحقة، والشهادات الكثيرة في الكتب المقدّسة، في العهد القديم كما في العهد الجديد، ورأي الآباء القديسين الذي يكاد يكون إجماعيًا، والرأي التقليدي، الذي نقله أيضًا الشعب الإسرائيليّ، وتمسكت به الكنيسة على الدوام – تعليم أن الفصول الثلاثة الأولى المذكورة آنفًا من التكوين، لا تحوي رواية أمور جرت حقًا، أيّ ذات صلة بالحقيقة الموضوعية والحقيقة التاريخيّة، ولكنها خرافات مستعارة من أساطير الشعوب القديمة وقصة نشوء الكون عندهم، فجعلها الكاتب المقدّس ملائمة للعقيدة التوحيدية، بعد تنقيتها من كل ضلال تعدّد الآلهة، أو هي مَجازات ورموز لا أصل لها في الحقيقة الموضوعية، وعُرضت بمظهر تاريخيّ لتلقين حقائق دينيّة وفلسفية، أو هي أخيرًا أساطير بعضها تاريخيّ وبعضها مختلف أُلّفت بحريّة لتعليم النفوس وتنشئتها؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥١٤ – سؤال ٣: هل يمكن على الخصوص أن يوضع موضع الشكّ المعنى الحرفيّ التاريخيّ، عندما يتعلّق الأمر بوقائع رُويت في تلك الفصول عينها التي تتصل بأساس الديانة المسيحيّة، كما هي الحال بين أمور أخرى، بالنسبة إلى خلق الله كل شيء في بدء الزمان، والخلق الخاص بإنسان، وتكوين المرأة الأولى من الرجل الأول، ووحدة الجنس البشريّ، وسعادة الوالدين الأولين الأصلية في حالة البرارة والسلامة وعدم الموت، ووصية الله للإنسان لامتحان طاعته، وتجاوز الوصية الإلٰهيّة بإغراء إبليس، وسقوط الوالدين الأولين من حالة البراءة تلك، وكذلك الوعد بالمخلص الذي سيأتي؟

جواب: كلا

٣٥١٥ – سؤال ٤: هل يجوز، في تفسيرات فقرات هذه الفصول التي فهمها الآباء والملافنة فهمًا مختلفًا، دون أن ينقلوا شيئًا أكيدًا ومحدّدًا، وبعد المحافظة على حكم الكنيسة والتماثل الإيماني، اتباع الرأي الذي يراه كل واحد بفطنة صحيحًا، والدفاع عنه؟

جواب: أجل

٣٥١٦ - سؤال ٥: هل يجب أن تُفهم جميع الأشياء وكل واحد منها، أيّ الكلمات والعبارات، الموجودة في الأسفار المذكورة آنفًا، دائمًا وبالضرورة، بالمعنى الحرفي، بحيث لا يجوز أبدًا الابتعاد عنه، حتّى عندما يظهر أن أساليب الكلام قد استعملت لا بطريقة حقيقية، بل مجازية أو تماثلية، أو أن العقل يمنع من التمسّك بالمعنى الحقيقيّ، أو أن الضرورة تلزم بالتخلّي عنه؟

جواب: كلا

٣٥١٧ - سؤال ٦: هل من الممكن، بعد افتراض المعنى الحرفي والتاريخيّ، الاستناد بوجه حكيم ومفيد، إلى تفسير مجازي ونبوي لبعض فقرات هذه الفصول عينها، بحسب المثل النيّر عند الآباء القديسين والكنيسة نفسها؟

جواب: أجل

٣٥١٨ - سؤال ٧: وإن لم يكن الكاتب المقدّس ينوي، عند تأليف الفصل الأول من التكوين، أن يعلّم بأسلوب علميّ التكوين الداخليّ للموجودات المنظورة، والنظام الكامل للخلق، بل أن ينقل لشعبه معرفة شعبية كما كانت تتيحها اللغة العامّة في عهده، الملائمة مدارك البشر وإمكاناتهم، فهل يجب، في تفسير هذه الأمور، البحث بدقّة واستمرار عن الطبيعة الخاصّة بالخطاب العلميّ؟

جواب: كلا

٣٥١٩ - سؤال ٨: هل يمكن، في تحديد وتمييز الأيام الستة الوارد ذكرها في الفصل الأول من التكوين، أن تُفهم لفظة يوم بمعنى حقيقيّ كيوم طبيعيّ، وبمعنى غير حقيقيّ، كمدّة من الزمن، وهل يجوز أن يناقش المفسّرون في ما بينهم هذه المسألة؟

جواب: أجل

٣٥٢١ - ٣٥٢٨ - جواب لجنة الكتاب المقدّس، ١ أيار ١٩١٠

واضع المزامير وتاريخ إنشائها

٣٥٢١ - سؤال ١: هل التسميات «مزمور داود»، «أناشيد داود»، «سفر مزامير داود»، «سفر المزامير الداودي» التي استعملت في المجموعات القديمة، والمجامع

الأولى، للإشارة إلى سفر المئة والخمسين مزمورًا في العهد القديم، وأيضًا رأي عدّة آباء وملافنة قالوا إن كل مزامير الكتاب يجب أن تنسب إلى داود وحده، لها من الأهمية ما يجعلنا نَعُدّ داود المؤلف الوحيد لكل سفر المزامير؟

جواب: كلا

٣٥٢٢ – سؤال ٢: هل يُجيز الاتفاق بين النصّ العبري والنصّ اليوناني الإسكندري وغيرهما من النصوص القديمة القول بحق إن عناوين المزامير التي تسبق النصّ العبري هي أقدم من الترجمة المسمّاة سبعينية، وبالتالي إنها تأتي إن لم يكن من واضعي المزامير أنفسهم مباشرة، فعلى الأقلّ من تقليد يهوديّ قديم؟

جواب: أجل

٣٥٢٣ – سؤال ٣: هل يمكن منطقيًا أن توضع موضع الشكّ عناوين المزامير المذكورة آنفًا، الشاهدة للتقليد اليهوديّ، عندما لا يكون سبب خطير لإنكار أصالتها؟

جواب: كلا

٣٥٢٤ – سؤال ٤: إذا نظرنا إلى شهادات الكتاب المقدّس غير النادرة، في شأن ما كان لداود من الحذق الطبيعي، الذي تنيره موهبة الروح القدس المجانية، لتأليف الأغاني الدينـية، وما اتخذ هو من تدابير لغناء المزامير الليترجي، وواقع نسبة المزامير إليه في العهد القديم كما في العهد الجديد، والعناوين التي وُضعت منذ وقت طويل قبل المزامير، وتوافق اليهود، والآباء، وملافنة الكنيسة، هل يجوز ويُعقل إنكار كون داود هو الواضع الرئيسيّ لأغاني المزامير، أو بالعكس، تأكيد وجوب نسبة عدد قليل فقط من الأغاني إلى هذا المرنّم الملكيّ؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٢٥ – سؤال ٥: هل يمكن خصوصًا إنكار الأصل الداودي لتلك المزامير الواردة صراحة في العهد القديم كما في الجديد، باسم داود، وبينها لا بدّ من ذكر المزمور ٢ خصوصًا: «لماذا ارتجت الأمم؟»، والمزمور ١٦: «اللهمّ احفظني»، والمزمور ١٧: «أحبك يا ربّ قوّتي»، والمزمور ٣١: «طوبى لمن غُفرت معصيته» والمزمور ٦٩: «اللهم أسرع إلى إنقاذي»، والمزمور ١٠٩: «قال الربّ لربّي»؟

جواب: كلا

٣٥٢٦ – سؤال ٦: هل يمكن قبول رأي أولئك الذين يقولون إن البعض من بين مزامير الكتاب هي من وضع داود أو سواه، وبعضها الآخر قد قُسم أقسامًا أو جُمع في واحد لأسباب ليترجية أو موسيقية، من جرّاء تعب الكتبة أو لأسباب أخرى أيضًا؟ وكذلك القول بأن مزامير أخرى، مثل «ارحمني يا الله»، قد أعيد تأليفها أو غُيرت قليلاً، بحذف أو إضافة آية أو أخرى، لتتلاءم، على وجه أفضل، مع الظروف التاريخيّة أو أعياد الشعب اليهوديّ، مع الحفاظ على كون النصّ المقدّس موحى به بكامله؟

جواب: أجل للقسمين.

٣٥٢٧ – سؤال ٧: هل يمكن القول إنه من المحتمل رأي المؤلّفين الحديثين، الذين لا يعتمدون سوى دلائل داخليّة، أو يفسّرون النصّ المقدّس تفسيرًا أقلّ صحة، فسعوا إلى البرهان على أن عددًا لا يستهان به من المزامير وُضع بعد زمن عزرا ونحميا، أو حتّى في زمن المكابيين؟

جواب: كلا

٣٥٢٨ – سؤال ٨: هل يجب، اعتمادًا على الشهادات الكثيرة في أسفار العهد الجديد المقدّسة، وتوافق الآباء الإجماعي، أو أيضًا ما يقوله مؤلّفون من الشعب اليهودي، الاعتراف بأن عدّة مزامير نبوية ومسيحانية، أنبأت بمجيء المحرّر الآتي، وملكوته، وكهنوته، وآلامه، وموته، وقيامته، ويجب، لهذا السبب، أن يرذل تمامًا رأي من يشكّون في طبيعة المزامير النبويّة والمسيحانيّة، ويقصرون هذه التنبؤات المتصلة بالمسيح على التنبؤ فقط بمصير الشعب المختار الآتي؟

جواب: أجل بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٣٠ – ٣٥٣٦ – مرسوم مجمع الأسرار المقدّس «Quam singulari»، ٨ آب ١٩١٠

التناول ومسحة المرضى عند الأطفال

٣٥٣٠ – ١ – إن سن الرشد للاعتراف كما للتناول هي السنّ التي يبدأ فيها الولد استعمال العقل، أيّ نحو السنة السابعة بل قبلها. منذئذ يبدأ الإلزام بحفظ فريضتي الاعتراف والتناول [ر ٨١٢].

٣٥٣١ – ٢ – ليس من الضروري، للاعتراف الأول والمناولة الأولى، وجود معرفة تامّة وكاملة للعقيدة المسيحيّة. ولكن على الولد أن يتابع في ما بعد تلقّن التعليم المسيحيّ الكامل، بحسب إمكاناته الذهنية.

٣٥٣٢ – ٣ – إن معرفة الديانة المطلوبة من الولد، لكي يتهيّأ كما ينبغي للتناول الأول، هي إدراكه، بحسب إمكاناته، لأسرار الإيمان الضروريّة التي هي وسائل، وأن يميّز الخبز الإفخارستي من الخبز العاديّ والجسدي، حتّى يدنو من الإفخارستيّا الجزيلة القداسة بالعبادة التي يدركها بحسب سنّه.

٣٥٣٣ – ٤ – إن واجب فريضة الاعتراف والتناول الذي على الولد، يقع خصوصًا على من هم مسؤولون عنه أيّ الوالدين، والمعرِّف، والمعلمين، والخوري. ولكن للأب أو لمن يقومون مقامه، وللمعرّف أن يقبلوا، بحسب التعليم المسيحيّ الرومانيّ، الولد للتناول الأول.

٣٥٣٤ – ٥ – على من هم مسؤولون عن الأولاد أن يُعنوا جهدهم بجعلهم يدنون من المائدة المقدسة بعد تناولهم الأول، وكلّ يوم إذا أمكن ذلك، بحسب رغبة يسوع المسيح وأمنا الكنيسة [ر ٣٣٧٥ – ٣٣٨٣]، وأن يفعلوا ذلك بالعبادة التي تفهمها سنُّهم.

٣٥٣٥ – ٦ – يجب أن تُرذَل تمامًا عادة عدم القبول للاعتراف، أو عدم منح الحلّ على الإطلاق، للأولاد الذين بلغوا سن الرشد.

٣٥٣٦ – ٧ – إنه لَسوءُ تصرّف مقيت جدًّا أن لا يُمنح الزاد الأخير ومسحة المرضى للأولاد البالغين سن الرشد، وأن يُدفنوا بحسب الطقس الذي للأطفال الصغار.

٣٥٣٧ – ٣٥٥٠ – الإرادة الرسولية "Sacrorum antistitum"، ١ ايلول ١٩١٠

قسم ضد المذهب المستحدث

٣٥٣٧ – أنا فلان... اعتنق وأقبل بقوة جميع الحقائق، وكل واحد منها، التي حدّدتها وأكّدتها وأعلنتها سلطة الكنيسة التعليمية، ولا سيّما فصول العقيدة التي تعارض مباشرة أضاليل هذا الزمن.

٣٥٣٨ – وأولاً، أعترف بأن الله، مبدأ كل الاشياء وغايتها، يمكن بلا ريب أن يعرف، وبالتالي أيضاً أن يبرهن عليه في ضوء العقل الطبيعي، «بمصنوعاته» [رو ١ : ٢٠] أي بأعمال الخلق المنظورة، كما السبب بالنتائج.

٣٥٣٩ – ثانيًا، أرضى وأعترف ببراهين الوحي الخارجية، أي الوقائع الإلهية، وخصوصاً المعجزات والنبوءات، كدلائل أكيدة جدًّا على أصل الديانة المسيحية الإلهي. وأتمسّك بأنها ملائمة تمامًا للأذهان في جميع الأزمنة ولجميع الناس، حتى من هم في يومنا.

٣٥٤٠ – ثالثًا، أو من أيضاً بقوة أن الكنيسة، حافظة كلام الوحي ومعلمته، قد أسّسها، مباشرة وبلا واسطة، المسيح الحقيقي والتاريخي بذاته، عندما كان يعيش بيننا، وأنها شُيّدت على بطرس، رئيس التراتبية الرسولية، وعلى خلفائه إلى الدهور.

٣٥٤١ – رابعًا، أقبل بصدقٍ عقيدةَ الإيمان المنقولة من الرسل إلينا، دائمًا في الاتجاه ذاته، وبتفسير الآباء القويمي الرأي ذاته. ولهذا السبب أرذل تمامًا الاختراع الهرطوقي لتطوّر العقائد (المحددة) التي تجوز من معنى إلى آخر، غير ما أعلنته الكنيسة أولاً، وأدين أيضاً كل ضلال يُبدّل وديعة الوحي الإلهيّ، التي استودِعتها عروس المسيح لتحفظها بأمانة، باختراع فلسفيّ أو بابتداع من الوعي البشري يكوِّنه رويدًا رويدًا الجهد البشري ويكمله آتيًا تقدّم غير محدود في المستقبل.

٣٥٤٢ – خامسًا، أتمسّك بكل تأكيد وأعترف بصراحة بأن الإيمان ليس عاطفة بشرية عمياء تبرز من ظلمات ما تحت الوعي بحافز من القلب، وميل الإرادة العالمة أخلاقيًا، وإنما هو تصديق حقيقي من الذهن للحقيقة المعطاة من الخارج، من السماع الذي به نؤمن اعتمادًا على سلطة الله، الصادق الأعظم، بما قيل، وشُهد له، وأوحي به من قبل الله الشخصي، خالقنا وربّنا.

٣٥٤٣ – وأخضع أيضاً بالإجلال المطلوب للأحكام والتصريحات والرسوم الموجودة في الرسالة العامة Pascendi [٣٤٧٥ – ٣٥٠٠] وفي المرسوم Lamentabili [٣٤٠١ – ٣٤٦٦] وأتمسّك بها بكل قلبي خصوصاً ما يُسمّى بتاريخ العقائد (المحدّدة)

٣٥٤٤ – كذلك أرذل ضلال القائلين ان الإيمان الذي تعرضه الكنيسة يمكن أن يناقض التاريخ، وإن العقائد الكاثوليكية، في معناها المفهوم اليوم، لا يمكن أن تتوافق مع معرفة لأصول الديانة المسيحية أقرب إلى الحقيقة.

٣٥٤٥ – أدين وأرذل أيضاً رأي القائلين إن المسيحي العالم يتلبس بشخصيّة مزدوجة: شخصية المؤمن وشخصية المؤرّخ، كما لو كان من الجائز للمؤرخ أن يتمسّك بما يناقض إيمان المؤمن، أو أن يضع مقدّمات تستتبع أن العقائد مخطئة ومشكوك فيها، بشرط أن لا تُنكر تلك العقائد مباشرة.

٣٥٤٦ – أرذل أيضاً طريقة الحكم والتفسير، في الكتاب المقدس، التي تزدري تقليد الكنيسة، وتماثُل الإيمان، وقواعدَ الكرسي الرسولي، وتتمسّك باختراعات العقلانيين، وتتخذ نقد النصوص كقاعدة وحيدة وعظمى، بقدر من الانفلات يتساوى والمغامرة.

٣٥٤٧ – وعلاوة على ذلك أرذل رأي القائلين إن على معلّم الموّاد التاريخية اللاهوتية، أو المؤلف الذي يكتب في هذه المسائل أن يضعا جانبًا أولاً كل رأي سابق في شأن الأصل الفائق الطبيعة للتقليد الكاثوليكي، أو العون الذي وعد به الله لحفظ كل من الحقائق الموحى بها إلى الأبد، ثم إن كتب كل واحد من الآباء يجب أن تفسّر فقط بالمبادئ العلمية، والاستقلال عن أي سلطة مقدسة، وبالحريّة النقدية المعمول بها في درس أي وثيقة دنيوية.

٣٥٤٨ – أخيرًا، أعترف، على وجه العموم، بأني لا صلة لي بضلال المستحدثين القائلين إنه لا شيء إلهي في التقليد المقدس، أو ما هو شرّ من ذلك، بالذين يقبلون الإلهي بمعنى وحدة الوجود، فلا يبقى سوى واقع خالص بسيط، يوضع على المستوى نفسه الذي للوقائع التاريخية: الناس الذين بجهودهم، ومهارتهم، ونبوغهم يواصلون، عبر الأجيال، التعليم الذي بدأه المسيح والرسل.

٣٥٤٩ – أخيرًا، إنني أحفظ بثبات شديد، وسأحفظ حتى رمقي الأخير، إيمان الآباء في شأن موهبة الحقيقة الأكيدة التي هي، وكانت، وستكون دومًا «في الخلافة الأسقفية منذ الرسل»، لا للتمسك بما يبدو الأفضل والأكثر ملاءمة لثقافة كل

جيل إمكان التمسّك به، وإنما لكي «لا يُعتقَد شيء آخر، ولا تُفهم بوجه آخر» الحقيقة المطلقة الثابتة التي علمها الرسل منذ البدء.

٣٥٥٠ – أعد بان أعمل تمامًا بأمانة وصدق بكل هذه الأمور، وأن أحفظها مصونة، ولا أحيد عنها أبدًا لا في التعليم، ولا بأي وجه من الوجوه في الكلام أو في الكتابة. أقسم على ذلك وأحلف، وهكذا فليكن الله لي عونًا وأناجيله المقدسة.

٣٥٥٣ – ٣٥٥٦ – الرسالة "Ex quo. nono" إلى القصّاد الرسوليين، لبيزنطية، واليونان، ومصر، وما بين النهرين، ...، ٢٦ كانون الأوّل ١٩١٠

أضاليل الشرقيين

٣٥٥٣ – مّما لا يَقلُّ فيه التهور عن الخطإ إشراع الباب أمام الرأي القائل إن عقيدة انبثاق الروح القدس من الابن لا تتأتّى من كلام الإنجيل نفسه، وإن الآباء القديسين لا يثبتونها.

٣٥٥٤ – كذلك يضعون موضع الشك، بوجه عديم الفطنة جدًّا، أن العقائد المقدسة، في شأن المطهر، والحبل الطاهر بمريم العذراء، قد عرفها الرجال القديسون من الأجيال السالفة.

٣٥٥٥ – ... في شأن دستور الكنيسة... يجدّدون اولاً الضلال الذي دانه منذ زمن طويل سلفنا انوشنتيوس العاشر [ر ١٩٩٩] والقائل إنه من الواجب أن يُعدّ القديس بولس كأخ مساو في كل شيء للقديس بطرس: – ثم يُبدون، بمثل ذلك الخطإ، اليقين بأن الكنيسة الكاثوليكية في القرون الأولى، لم تكن سلطتها لواحد، أي ملكيّة، أوأن أوّلية الكنيسة الرومانية لا تستند إلى براهين صحيحة.

٣٥٥٦ – ولكن... العقيدة الكاثوليكية، في شأن سرّ الافخارستيا الجزيل القداسة، لم تسلم هي أيضاً، عندما يعلّمون صراحة إمكان قبول مفهوم اليونانيين القاضي بأن كلمات التقديس ليس لها مفعول ما لم تُلفظ تلك الصلاة التي يسمونها استدعاء الروح القدس، فيما نعلّم أن الكنيسة ليس لها الحق، على الإطلاق، في

استحداث أيّ شيء في ما يتعلّق بجوهر الأسرار. وليس بأقلّ خدش للآذان أن يُعدّ صحيحًا التثبيت الذي يمنحه أيُّ كاهن [ر ٢٥٢٢].

[حكم الرقابة: مرذولة] كأضاليل خطيرة.

٣٥٦١ - ٣٥٦٧ - جواب لجنة الكتاب المقدس، ١٩ حزيران ١٩١١

واضع إنجيل متى، وتاريخ وضعه، وحقيقته التاريخية

٣٥٦١ - سؤال ١: استنادًا إلى التوافق العام والدائم في الكنيسة منذ القرون الأولى، الذي تظهره بوضوح شهادات الآباء القديسين الصريحة، وعناوين مخطوطات الأناجيل وأقدم ترجمات الكتب المقدسة، والجداول التي نقلها الآباء، والكتبة الكنسيّون، والأحبار الأعظمون، والمجامع، وأخيرًا الاستعمال الليترجي في الكنيستين الشرقية والغربية، هل يمكن وهل يجب تأكيد أن متى، رسول المسح، هو واضع الإنجيل الذي نُشر باسمه؟

جواب: أجل.

٣٥٦٢ - سؤال ٢: هل يجب أن نعدّ ذا أساس مكين كفاية، بصوت التقليد، ذلك الرأي القائل إن متى قد سبق في كتابته الإنجيليين الآخرين، وإنه وضع الإنجيل الأول باللغة الأصلية الدارجة عندئذ، عند يهود فلسطين، الذين كان الكتاب موجهًا إليهم؟

جواب: أجل بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٦٣ - سؤال ٣: هل يمكن تأجيل تاريخ وضع ذلك النصّ الأصلي إلى ما بعد زمن خراب أورشليم، بحيث تكون النبوءات التي تُقرأ فيه، في شأن ذلك الخراب، قد كُتبت بعد الحدَث. أو يجب أن تكون شهادة إيريناوس التي يُستند إليها عادة، والتي تفسيرها غير أكيد وموضوع خلاف، لها من الوزن ما يُلزم برذل رأي مَن يحسبون أنه مِمّا ينسجم أكثر مع التقليد أن يكون هذا التحرير قد تمّ حتى قبل مجيء بولس إلى المدينة.

جواب: كلا عن القسمين.

٣٥٦٤ – سؤال ٤: هل من الممكن أن نَعُدّ محتملاً رأي بعض المستحدثين الذين ينكرون أن متى وضع، بالمعنى الصحيح والحصري للكلمة، الإنجيل كما نُقل إلينا، ولكنه وضع فقط مجموعة من أقوال المسيح وكلماته، استعملها كمصادر مؤلِّفٌ آخر غُفْل يجعلونه محرّرًا للإنجيل نفسه؟
جواب: كلا.

٣٥٦٥ – سؤال ٥: بما أن جميع الآباء والكتاب الكنسيين، والكنيسة نفسها منذ بداياتها، قد استعملوا فقط النصّ اليوناني للإنجيل المعروف باسم متى كنصّ قانوني – لا يُستثنى حتى أولئك الذين نقلوا صراحة أن متى كتب بلغته الطبيعية – هل يمكن البرهان بيقين على أن الإنجيل اليوناني، في جوهره، هو ذلك الإنجيل نفسه الذي وضعه الرسول ذاته بلغته الأم؟
جواب: أجل.

٣٥٦٦ – سؤال ٦: بما أن واضع الإنجيل الأول يسعى إلى مقصد لاهوتي ودفاعي خصوصاً، أي يرمي إلى أن يُري اليهود أن يسوع هو المسيح الذي أخبر به الأنبياء، ووُلد من نسل داود، وأنه، علاوة على ذلك، هو لا يتبع دومًا التسلسل الزمني في طريقة تنسيق الوقائع والأقوال التي يرويها وينقلها، فهل يمكن الاستنتاج من ذلك أنه ليس من الواجب الأخذ بها على أنها حقيقية؟ أو يمكن القول ايضاً إن رواية افعال يسوع وأقواله، التي نقرأُها في الإنجيل أصابها تغيير أو ملاءمة بتأثير نبوءات العهد القديم، وتطوّر حالة الكنيسة، وإنها إذن لا تتوافق مع الحقيقة التاريخية؟
جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٦٧ – سؤال ٧: هل من الواجب خصوصاً أن تُحسب دون أساس متين آراءُ من يضعون موضع الشك الأصالة التاريخية للفصلين الأولين، اللذين فيهما رواية نَسَب المسيح وطفولته، وكذلك أقوال خطيرة جدًّا في الشأن العقيدي، كتلك المتعلّقة بأوّلية بطرس [متى ١٦: ١٧ – ١٩]، وبصيغة المعمودية التي نقلت إلى الرسل مع الرسالة العامة بالتبشير [متى ٢٨: ١٩ – ٢٠] وإعلان إيمان الرسل بلاهوت المسيح [مت ١٤: ٣٣]، وغيرها مثلها، ممّا يبدو واردًا خصوصاً عند متى.
جواب: أجل.

٣٥٦٨ – ٣٥٧٨ – جواب لجنة الكتاب المقدس، ٢٦ حزيران ١٩١٢

١ – واضع الإنجيلين بحسب مرقص ولوقا، وتاريخ وضعها، وحقيقتها التاريخية

٣٥٦٨ – سؤال ١: اعتمادًا على صوت التقليد الواضح، الذي فيه إجماع رائع منذ بدايات الكنيسة، والذي أثبتته براهين كثيرة، أي الشهادات الصريحة من الآباء والكتّاب الكنسيين، والاستشهادات والتلميحات التي في كتاباتهم، واستعمال الهراطقة القدماء، وترجمات أسفار العهد الجديد، وأقدم المخطوطات جميعها على وجه التقريب، وكذلك أيضاً الأسباب الداخلية المستخرَجة من نصّ الأسفار المقدسة ذاتها، هل يمكن القول بيقين إن مرقص، تلميذ بطرس وترجمانه، والطبيب لوقا، مساعد بولس ورفيقه، هما حقًّا اللذان وضعا الإنجيلين المنسوبين كلّ واحد إلى واحد منهما؟

جواب: أجل.

٣٥٦٩ – سؤال ٢: هل تُمكّن البراهين التي يعتمد عليها بعض النقّاد، في سعيهم إلى الدلالة على أن الآيات الاثنتي عشرة الأخيرة من مرقص [مر ١٦: ٩ – ٢٠] لم يحرّرها مرقص، ولكن أضافتها يد أخرى، من القول إنه ليس من الواجب الاعتراف بها كأنها من الوحي والقانون. أو على الأقل أنها تبرهن على أن مرقص ليس هو واضع هذه الآيات؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٧٠ – سؤال ٣: هل يجوز الشك كذلك بأن روايات لوقا لطفولة المسيح [لو ١٦: ٩ – ٢٠]، أو ظهور الملاك الذي شدّد يسوع، وعرق الدم [لو ٢٢: ٤٣...] هي من الوحي والقانون، أو يمكن على الأقل الدلالة ببراهين قوية – وهذا ما كان يرضي الهراطقة القدماء ويرضي كذلك نقادًا أقرب إلى الحداثة – على إن تلك الروايات ليست جزءًا من إنجيل لوقا الأصلي؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٧١ – سؤال ٤: الوثائق النادرة جدًّا والمعزولة تمامًا التي لم يُنسب فيها نشيد التعظيم

[لو ١ :٤٦ – ٥٥] إلى العذراء المغبوطة مريم وإنما إلى اليصابات، هل يمكنها أو هل عليها التغلب بوجه ما على التوافق في شهادة جميع المخطوطات تقريبًا للنصّ الأصلي اليوناني كما للترجمات، وعلى التفسير الذي تقتضيه القرائن وشعور العذراء نفسها وتقليد الكنيسة الثابت؟

جواب: كلا.

٣٥٧٢ – سؤال ٥: هل يجوز، في شأن تسلسل الأناجيل الزمني، الابتعاد عن الرأي الذي تسانده شهادة التقليد القديمة والثابتة جدًّا، والقائلة إنه بعد متى، الذي كان الأول بين الجميع في وضع إنجيله باللغة الأم، وكتب مرقص الثاني، ولوقا الثالث، أو يجب، من جهة أخرى، أن نَعُدَّ مخالفًا لهذا المفهوم، الرأي القائل إن الإنجيل الثاني والإنجيل الثالث قد وُضعا قبل الترجمة اليونانية للإنجيل الأول؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٧٣ – سؤال ٦: هل يمكن تأجيل تاريخ وضع إنجيلي مرقص ولوقا إلى خراب أورشليم، أو هل بالإمكان، لأن نبوءة الرب في لوقا عن خراب تلك المدينة تبدو أدق، القول إن إنجيله على الأقل قد وُضع بعد أن بدأ الحصار؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٧٤ – سؤال ٧: هل يجب القول إن إنجيل لوقا قد سبق كتاب أعمال الرسل، وإن هذا الكتاب الذي وضعه لوقا نفسه [أع ١ :١] بما أنه كان قد أُتم في نهاية أسر الرسول في روما [أع ٢٨ : ٣٠ – ٣١] فلا يكون إنجيله قد وُضع بعد هذا التاريخ؟

جواب: أجل.

٣٥٧٥ – سؤال ٨: إذا نظرنا إلى شهادات التقليد والبراهين الداخلية في شأن المصادر التي استعملها كلٌّ من الإنجيليين لوضع الإنجيل، هل من المعقول أن يوضع موضع الشك المفهومُ القائل إن مرقص قد كتب بحسب كرازة بطرس، ولوقا بحسب كرازة بولس، والقائل أيضاً إن هذين الإنجيليين كان لديها مصادر أخرى موثوقة، شفهية أو أيضاً وضعت بالكتابة؟

جواب: كلا.

٣٥٧٦ - سؤال ٩: الأقوال والأفعال التي رواها مرقص بتدقيق، ولنقل حرفيًا، بحسب كرازة بطرس، وتلك التي قدّمها بأصدق وجه لوقا، الذي منذ الانطلاق استعلم بعناية كلَّ شيء شهودًا موثوقين جدًّا، إذ إنهم كانوا شهود عيان منذ البدء وصاروا خدّامًا للكلمة [لو ١: ٢ - ٣]، هل تقتضي لنفسها بحق الإيمانَ التاريخيَّ الذي أضفته عليها دائمًا الكنيسة. أو بالعكس، هذه الأفعال عينها، وهذه الأقوال عينها، يجب أن يُنظر إليها كأنها خالية، جزئيًا على الاقل، من الحقيقة التاريخية، إما لأن الكتَّاب لم يكونوا شهود عيان، وإما لأنه ليس من النادر أن نرى عند الإنجيليين عدم تنسيق، وخلافًا في تسلسل الوقائع، وإما لأنها، بسبب تأخرهما في الكتابة، قد اضطرا حتمًا إلى إيراد مفاهيم كانت غريبة عن أفكار المسيح والرسل، أو وقائع كانت قد شوّهتها قليلاً أو كثيرًا مخيّلة الشعب، أو أخيرًا لأن كل واحد قد انقاد، بحسب قصده، لأفكار عقيدية سابقة؟

جواب: أجل بالنسبة إلى القسم الأول. كلا بالنسبة إلى الثاني.

٢ - المسألة الإزائية، أو العلاقات المتبادلة بين الأناجيل الثلاثة الأولى

٣٥٧٧ - سؤال ١: والآن باستثناء ما يجب أن يبقى سالمًا، بحسب ما أُقرّ سابقًا - خصوصاً ما يتعلق بأصالة وسلامة الأناجيل الثلاثة لمتى ومرقص ولوقا، والهوّية الجوهرية الواحدة لإنجيل متى اليوناني وأصله الأول، وبالتسلسل الزمني لكتابتها - وبأخذنا بالحسبان مفاهيم المؤلفين الكثيرة جدًّا المختلفة والمتعارضة، هل يمكن المفسّرين أن يتناقشوا بحرّية، لشرح ما بين الأناجيل من تشابهات واختلافات، وأن يلجأوا إلى افتراضات التقليد المكتوب أو الشفهي، أو أيضاً علاقة الواحد بالذي أو باللذين سبقا؟

جواب: أجل.

٣٥٧٨ - سؤال ٢: هل من الممكن، باستثناء ما أُقرّ سابقًا، أن يأخذ بلا تردّد، أولئك الذين لا يستندون إلى أي شهادة في التقليد وأي برهان تاريخيّ، بالفرضية المسمّاة فرضيّة «المصدرين»، التي تحاول شرح تأليف إنجيل متى اليوناني، وإنجيل لوقا،

انطلاقًا، على الخصوص، من ارتباطها بإنجيل مرقص، ومجموعة تسمّى مجموعة أقوال الرب، ويستطيعوا إذن أن الدفاع عنها بحريّة؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٨١ – ٣٥٩٠ – جواب لجنة الكتاب المقدس، ١٢ حزيران ١٩١٣

واضع أعمال الرسل وتاريخ وضعه وحقيقته التاريخية

٣٥٨١ – سؤال ١: استنادًا على الخصوص إلى تقليد الكنيسة العام الذي يرجع إلى الكتبة الكنسيين الأولين، مع الأخذ بالحسبان صفات داخلية لكتاب الأعمال، بالنظر إليه في ذاته أو في علاقته بالإنجيل الثالث، خصوصاً في الصلة والارتباط المتبادلين بين المقدمتين [لو ١:١ – ٤؛ أع ١:١ – ٢] هل من الواجب أن نوقن بأن الكتاب الذي عنوانه أعمال الرسل، وضعه الإنجيلي لوقا؟

جواب: أجل.

٣٥٨٢ – سؤال ٢: هل يمكن ببراهين نقدية، توحي بها أيضاً اللغة والأسلوب وصيغة الرواية، وكذلك وحدة القصد والعقيدة، الدلالة على أن كتاب الأعمال يجب أن لا يُنسب إلا إلى مؤلف واحد، وبالتالي على أنه لا أساس لرأي نقاد محدثين ينكر أن يكون لوقا المؤلف الوحيد لهذا الكتاب، ويوجب الاعتراف بأن لهذا الكتاب عدّة مؤلفين متميّزين؟

جواب: أجل بالنسبة إلى القسمين.

٣٥٨٣ – سؤال ٣: هل المقاطع الأساسية خصوصاً من الأعمال، التي تتخلى عن الكلام بصيغة الغائب، ويصير الكلام فيها بصيغة جمع المتكلم، تُبطل وحدة التأليف وأصالة الأعمال؟ أو يجب بالأحرى القول إنها تثبتها إذا نظرنا إليها من الوجهة التاريخية واللغوية؟

جواب: كلا بالنسبة إلى النقطة الأولى. أجل بالنسبة إلى الثانية.

٣٥٨٤ – سؤال ٤: هل يمكن الاستنتاج من كون الكتاب نفسه، بعد ذكر سريع

للسنتين الأوليين من أسر بولس الأول في روما، ينتهي فجأة، أن واضعه قد كتب كتابًا آخر هو اليوم ضائع، أو أنه كان يقصد كتابته، وهكذا يمكن إرجاع تاريخ وضع كتاب الاعمال إلى زمن طويل بعد ذلك الأسر، أو يجب بالأحرى أن يستنتج شرعيًا وبحق، من ذلك، أن الرسول لوقا قد أنهى كتابه في الأيام الأخيرة من أسر بولس في روما؟

جواب: كلا بالنسبة إلى النقطة الأولى. أجل بالنسبة إلى الثانية.

٣٥٨٥ – سؤال ٥: إذا نظرنا إلى كل الأمور معًا: العلاقات المتواترة والسهلة التي كانت بلا ريب للوقا مع مؤسّسي كنيسة فلسطين الأولين والرئيسيين، وأيضاً مع بولس رسول الأمم، الذي كان مساعدًا له في الكرازة بالإنجيل ورفيقًا في السفر، وحذاقته العادية، وحرصه على البحث عن شهود، وعلى مشاهدة الأشياء بالعيان، وأخيرًا التوافق المتواتر جدًا، والواضح والعجيب بين كتاب الأعمال ورسائل بولس، وأكثر الآثار التاريخية صدقًا، هل يكون من الواجب الاعتقاد يقينًا بأنه كان بين يدي لوقا مصادر جديرة بالثقة تمامًا، وأنه استعملها بحرص وصدق وأمانة، وأنه لذلك يستطيع المطالبة بحق بسلطة تاريخية كاملة؟

جواب: أجل.

٣٥٨٦ – أما الصعوبات التي جرت العادة على أن تُثار من هنا وهناك، من جراء المعجزات التي رواها لوقا، أو بعض الخطب التي نُقلت بصيغة مختصرة فحُسبت مصنّعة وملائمة للظروف، أو بعض الفقرات التي تبدو على الأقل مخالفة للتاريخ المدني أو الكتابي، أو أخيرًا بعض الراويات التي تبدو على تناقض مع مؤلف الأعمال نفسه أو مع كتَّاب آخرين كتابين، فهل هي جديرة بأن تلقي الشك في السلطة التاريخية للأعمال أو بإضعافها على الأقل بوجه من الوجوه؟

جواب: كلا.

كاتب رسائل بولس الرعائية، وسلامتها، وتاريخ وضعها

٣٥٨٧ – سؤال ١: إذا نظرنا إلى التقليد الكنسي الثابت منذ البدء وبقوّة، كما تشهد بذلك بوجوه كثيرة آثار كنسيّة قديمة، فهل من الواجب أن نوقن بأن الرسائل

المسمّاة الرعائية، أي الاثنتين إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس، قد كتبها القديس بولس نفسه، وأدرجت دائمًا في الرسائل الاصلية والقانونية، رغم جسارة بعض الهراطقة الذين وجدوها مخالفة لتعاليمهم فحذفوها، من غير أن يعطوا أي سبب، من عداد الرسائل البولسية؟

جواب: أجل.

٣٥٨٨ – سؤال ٢: الفرضية المسمّاة فرضية الأجزاء التي أدخلها وعرضها بصيغ مختلفة بعض النقّاد المعاصرين، الذين يقولون، وفي الواقع دون أي سبب مقبول بل متناقضين أحيانًا، إن الرسائل الرعائية قد صاغها في وقت لاحق، كتبة مجهولون، من أجزاء من رسائل، أو من رسائل بولسية ضائعة ومَزيدة كثيرًا، هل يمكنها أن تدحض قليلاً شهادات التقليد الدقيقة والثابتة جدًّا؟

جواب: كلا.

٣٥٨٩ – سؤال ٣: الصعوبات التي جرت العادة على إثارتها بطرق شتّى، إما بسبب أسلوب الكاتب ولغته، وإما بسبب الأضاليل، خصوصاً الغنوصية، التي وُصِفَتْ منذئذ بأنها حَيّات تتسلّل، وإما بسبب حالة التراتبية الكنسيّة المفترضة أنها قد نمت، واعتراضات أخرى من هذا النوع، هل تدحض بوجه من الوجوه الدعوى التي تَعُدّ أصالة الرسائل الرعائية ثابتة وأكيدة؟

جواب: كلا.

٣٥٩٠ – سؤال ٤: بما أن حججًا تاريخية، والتقليد الكنسي المتلائم مع شهادات آباء الشرق والغرب، وكذلك براهين مستخرجة بسهولة إما من خاتمة كتاب الأعمال المفاجئة، وإما من الرسائل البولسية المكتوبة في روما، ولاسيّما الثانية إلى تيموثاوس، توجب أن يُعدّ أكيدًا أسرُ بولس المزدوج في روما، فهل يمكن القول يقينًا إن الرسائل الرعائية قد كتبت بين نهاية الأسر الأول ووفاة الرسول؟

جواب: أجل.

٣٥٩١ – ٣٥٩٣ – جواب لجنة الكتاب المقدس، ٢٤ حزيران ١٩١٤

كاتب الرسالة إلى العبرانيين وتاريخ وضعها

٣٥٩١ – سؤال ١: هل يجب أن نولي قوّة كبيرة للشكوك، التي منذ القرون الأولى، خصوصاً بسبب تجاوزات الهراطقة، قد سكنت عقول البعض في الغرب، في شأن الوحي الإلهي والأصل البولسي للرسالة إلى العبرانيين، بحيث يجوز، مع الأخذ بالحسبان تأكيد الآباء الشرقيين المتواصل والإجماعي والثابت، الذي انضم إليه، بعد القرن الرابع، التصديق الكامل للكنيسة الغربية جمعاء، وبعد النظر أيضاً إلى أعمال الأحبار العظام والمجامع المقدسة، خصوصاً المجمع التريدنتيني، واستعمال الكنائس الدائم، هل يمكن الشك لا فقط في إدراجها في عداد الرسائل القانونية – وهذا ما حُدّد من الإيمان – بل ايضاً أن تُعدّ بلا ريب بين رسائل الرسول بولس الأصلية؟

جواب: كلا.

٣٥٩٢ – سؤال ٢: إن الحجج التي درجت العادة على اتخاذها من الغياب العادي لاسم بولس، وإهمال المطلع والتحية العاديين في الرسالة إلى العبرانيين، أو من صفاء لغتها اليونانية، وجمال وكمال التعبير والأسلوب، أو من طريقة الاستشهاد بالعهد القديم، والحجاج انطلاقًا منه، أو من بعض الاختلافات التي يُزعم أنها قائمة بين عقيدة هذه الرسالة وعقيدة رسائل بولس الأخرى، هل هي قادرة على دحض مصدرها البولسي بوجه من الوجوه؟ أو بالعكس يبيّن ويثبت بدقة مصدرها البولسي ما يلاحَظ بينها وبين كتابات رسول الأمم الأخرى من اتفاق تام في العقيدة والفكر، وتشابه في التنبيهات والتحريضات، واتفاق أساليب الكلام والألفاظ نفسها، الذي أشاد به أيضاً بعض من غير الكاثوليكيين؟

جواب: كلا بالنسبة إلى القسم الأول. أجل بالنسبة إلى الثاني.

٣٥٩٣ – سؤال ٣: هل يجب أن نرى في بولس الرسول الواضع لهذه الرسالة، بمعنى

وجوب القول بالضرورة إنه ليس فقط من تصوّرها وأنضجها كلها بوحي الروح القدس، بل مَن أعطاها الصيغة التي بدت فيها؟

جواب: كلا، مع التحفّظ بالنسبة إلى حكم لاحق من الكنيسة.

٣٦٠١ – ٣٦٢٤ – مجمع الدروس المقدس، ٢٧ تموز ١٩١٤

قضايا مثبتة من الفلسفة التوماوية

٣٦٠١ – ١ – القوّة والفعل يقسمان الوجود، بحيث إن كل موجود هو إما فعل محض أو مركّب حتمًا من قوّة وفعل كما من مبدأين أوّلين وذاتيين.

٣٦٠٢ – ٢ – الفعل، بكونه كمالاً، لا تحدّه سوى القوّة التي هي الأهلية للكمال. وبالتالي فالفعل، بكونه محضاً، لا يوجَد إلا غير محدود ووحيدًا. ولكن عندما يكون محدودًا ومتعدّدًا فهو يدخل في تركيب حقيقي مع القوّة.

٣٦٠٣ – ٣ – لذلك فالله، بالعلّة المطلقة لكيانه ذاته، هو واحد، والواحد الأبسط. وكل الموجودات الأخرى التي تشارك بالوجود نفسه لها طبيعة بها الوجود محدود، وهي مركبة من ماهية ووجود كما من مبدأين متميّزين حقًّا.

٣٦٠٤ – ٤ – الكيان الذي يسمّى انطلاقًا من الوجود لا يُنسب إلى الله وإلى المخلوقات بوجه متواطِئ، ولا أيضاً بوجه مشكّكٍ تمامًا، ولكن بوجه متماثِل، حينًا بحسب التماثل الحَمْلي، وحينًا التماثل النِّسبي.

٣٦٠٥ – ٥ – وعلاوة على ذلك، في كل خليقة تركيب حقيقي بين الموضوع القائم وأشكال مضافة بطريقة ثانوية، أي أعراض: وهذه لا يمكن أن تفهم لو لم يكن الوجود مقبولاً حقيقة في ماهية متميّزة.

٣٦٠٦ – ٦ – علاوة على الأعراض المطلقة هناك أيضاً عَرَض نسبي، أي ينسب إلى شيء ما. وإن كان «يُنسب إلى شيء ما» لا يعني أن شيئًا يلازم شيئًا آخر بحسب علّته الذاتية، فمع ذلك غالبًا ما يكون سببه في الأشياء، ولذلك فله كيان حقيقي متميّز عن الموضوع.

٣٦٠٧ – ٧ – الخليقة الروحية هي في ماهيتها بسيطة تمامًا. ولكن يبقى فيها تركيب مزدوج من ماهية ووجود، وجوهر وأعراض.

٣٦٠٨ – ٨ – الخليقة الجسدية هي، في الماهية ذاتها، مركبة من فعل وقوّة. تلك القوة وذلك الفعل، في الماهية، يسمّيان مادّة وصورة.

٣٦٠٩ – ٩ – لا يملك أي من هذين القسمين الوجود بذاته، ولا يستطيع أن يعمل ذاته أو يهدمها بنفسه، ولا أن يكون محمولاً إلا كمبدإ جوهري.

٣٦١٠ – ١٠ – وإن كان الامتداد ناتجًا من الطبيعة الجسدية في أجزائها الكاملة، فمع ذلك ليس الأمر واحدًا للجسد أن يكون جوهرًا وأن يكون ممتدًّا. فالجوهر بحدّ ذاته غير قابل للانقسام لا على طريقة النقطة، بل على طريقته هو التي ليست من نوع البُعد. فالكمية التي تعطي الامتداد للجوهر هي متميّزة في الحقيقة من الجوهر، وهي بكل حق عَرَض.

٣٦١١ – ١١ – إن المادّة، إذا نظرنا إليها من ناحية الكمية، هي مبدأ التفرّد أي التميّز العددي لفرد من آخر هو من نوعه، وهذه لا يمكن أن تكون حالة المخلوقات الروحية المحض.

٣٦١٢ – ١٢ – ينتج من محمول الكمية ذاته أن الجسد محدود في مكان، وأنه في مكان واحد فقط، وهكذا بأي قوّة كانت.

٣٦١٣ – ١٣ – هناك نوعان من الأجساد: الأجساد الحية والأجساد التي بلا حراك. بما أنه يوجد في الأجساد الحيّة، في الموضوع ذاته، القسم المحرِّك والقسم المحرَّك، الصورة الجوهرية المسمّاة بالنفس تقتضي تهيئة عضوية، أي أجزاء متميّزة.

٣٦١٤ – ١٤ – إن النفوس في المجال النباتي والمجال الحسّي لا تقوم بذاتها، ولا تكون ذاتها، ولكنها توجد فقط بحسب المبدإ الذي به يوجد الحيّ ويحيا. وبما أنها متعلّقة تمامًا بالمادة فعندما يفنى المُركَّب تفنى هي بذلك بالعرَض.

٣٦١٥ – ١٥ – النفس البشرية بالعكس تقوم بذاتها. يخلقها الله لتتّحد بموضوع مهيأ كفاية، وبطبيعتها هي غير فانية وخالدة.

٣٦١٦ – ١٦ – تتحدّ تلك النفس العاقلة بالجسد، بحيث تكوّن الصورة الجوهرية الوحيدة له، وبها يوجد الإنسان كإنسان، وكحيوان، وكحيّ، وكجوهر، وككائن. تعطي النفس للإنسان كل كماله الأساسي. وعلاوة على ذلك تمنح الجسد فعل الوجود الذي تحيا هي ذاتها به.

٣٦١٧ – ١٧ – فئتان من المَلَكات تأتيان من النفس البشرية بطبيعتها، الأولى المتعلقة بالحواس، وموضوعها المركّب، والثانية النفس وحدها. والعقل هو مَلَكه مستقلة ذاتيًا عن عضو.

٣٦١٨ – ١٨ – العقل يتبع حتمًا ما هو غير مادّي، بحيث إن درجة العقلانية تتناسب ودرجة البعد عن المادّة. الموضوع المطابق للعقل هو على العموم الوجود ذاته. وخاصة العقل البشري، في حالة الاتحاد الحاضرة، هي محدودة في تجريد الماهيات من ظروفها المادّية.

٣٦١٩ – ١٩ – نستخرج المعرفة من الأشياء الحسيّة. ولكن بما أن الحسيّ ليس معقولاً بالفعل، يجب علاوة على الذهن الذي يصل إلى المعقولات، قبول وجود في النفس لملَكة فاعلة تجرّد الصور المعقولة من الصور المادية.

٣٦٢٠ – ٢٠ – بهذه الصور المعقولة نعرف مباشرة الصور العامّة. ونصل إلى الموجودات الفردية بالحواس وبالذهن الذي يرجع إلى الصور (المادية). وبالتماثل نصل إلى معرفة الحقائق الروحية.

٣٦٢١ – ٢١ – الإرادة تتبع العقل ولا تسبقه. الإرادة ترغب حتمًا في ما يقدَّم لها على أنه الخير الذي يرضي شهوتها بكل الوجوه. ولكنها بين خيور متعدّدة تُقدّم لها كمرغوبة تختار بحريّة، بحكم قابل للاستعادة. وهكذا يتبع الاختيار آخر حكم عملي. أخيرًا الإرادة تنفّذ.

٣٦٢٢ – ٢٢ – لا نبلغ بحدس مباشر وجود الله، ولا نستطيع أن نبرهن عليه قَبْليًّا، ولكن بَعْديًّا، «انطلاقًا من المخلوقات» [رو ١ : ٢٠] باستنتاج يمضي من المعلولات إلى العلّة، أي الأشياء التي تتحرّك ولا تستطيع أن تملك في ذاتها المبدأ المطابق لحركتها إلى المحرِّك الأول غير المحرَّك. من مجرى اشياء العالم الخاضعة بعضها لبعض إلى السبب الأول غير المسبَّب. من الأشياء الفاسدة التي يمكن أن لا تكون أو

تكون، إلى الكائن الضروري على الإطلاق. من الأشياء التي، بين الكمالات المحدودة للوجود، وللحياة، وللذهن، لها أكثر أو أقلُ الوجود والحياة والإدراك، إلى من هو في أقصى درجات الإدراك والحياة والوجود. أخيرًا من نظام الكون إلىعقل منفصل ينظِّم، ويدبّر، ويوجّه كل شيء إلى غايته.

٣٦٢٣ – ٢٣ – الجوهر الإلهي، بما أن وجوده واحد مع الفعل الممارَس، أي أنه الوجود عينه القائم بذاته، فهو أيضاً يقوم أمامنا كالعلّة الماورائية للخير، وبذلك فهو يكشف لنا علّة كماله اللامحدود.

٣٦٢٤ – ٢٤ – والله، بسبب صفاء وجوده، هو منفصل عن الأشياء المحدودة، وينتج من هذا أولاً أن العالم لا يمكن أن يصدر عن الله إلاّ بالخَلق. ثم أن طاقة الخلق التي بها يتكوّن الوجود أولاً في ذاته كوجود لا يمكن أن تعطى حتى بمعجزة لطبيعة محدودة. وأخيرًا أن أي فاعل مخلوق لا يستطيع أن يفعل في أي وجود آخر إلا بحركة ينالها من العلّة الأولى.

بندكتوس الخامس عشر: ٣ أيلول ١٩١٤ – ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢

٣٦٢٥ – ٣٦٢٦ – الرسالة العامة "Ad beatissimi Apostolorum"، ١ تشرين الثاني ١٩١٤

مجال المناقشة اللاهوتية الحرّة

٣٦٢٥ – عندما ترسم السلطة الشرعية أمرًا على وجه أكيد، فلا يجوز لأحد أن يهمل الفريضة لأنه لا يرضى بها. وعلى كل واحد، بالعكس، أن يُخضعُ وجهة نظره للسلطة التي هو خاضع لها، وليطعها وهو واع لواجبه. كذلك فليمتنع أي فرد، إذا كان يصدر كتبًا أو جرائد، أو يلقي خطبًا علنية، عن أن يجعل من نفسه سلطة تعليمية. فالجميع يعرفون من أودعه الله سلطة التعليم الكنسي: فيجب إذن أن تُترك لها الحريّة الكاملة للكلام متى وكيف رأت ذلك مناسبًا. وواجب الآخرين هو الخضوع الديني لمن يتكلم والإصغاء إلى ما يقول.

أما إذا تعلّق الأمر بمسائل يمكن في شأنها مناقشة ما لها وما عليها، دون إلحاق ضرر بالإيمان والنظام، – لأنه لم يصدر فيها حكم من الكرسي الرسولي – فلا مانع من أن يقول كلٌّ واحد ما يفكّر به ويدافع عنه. ولكن يجب الامتناع، في هذه المناقشات، عن كل تجاوز في الكلام يمكن أن يسيء كثيرًا إلى المحبة. فليدعم كل واحد آراءه بحريّة ولكن بوداعة. ولا يحسبنَّ لنفسه الحق في توجيه اللوم على إيمان مشكوك فيه، أو مخالفة للقانون، إلى أصحاب رأي مناقض، لهذا السبب وحده...

إن تكوين الإيمان الكاثوليكي وطبيعته لا يجعلها قابلين لزيادة أو نقصان. أو يؤمن به الإنسان كاملاً أو يرذله كاملاً.

التقدّم في العلم والممارسة المسيحية

٣٦٢٦ – وإننا لنرغب في أن لا يمقت الكاثوليكيون الأضاليل فقط، وإنما أيضاً ذهنية أو روحية المستحدثين كما يقال: فمن ينساق وراء هذه الروحية يرذل ويمجّ ما يشتم منه القِدَم، ويسعى بوضوح في كل مكان وراء ما هو جديد: في أسلوب الكلام على الأمور الإلهية، وفي الاحتفال بالعبادة المقدسة، وفي المؤسّسات الكاثوليكية، حتى في ممارسة التقوى الخاصة. لذلك نريد أن تُحفظ شريعة الأولين: «أن لا يزاد شيء إلا ما نُقِل» [١١٠]. وإذا كان لا بدّ من المحافظة على هذه الشريعة وصيانتها في أمور الإيمان، فإلى هذه القاعدة أيضاً يجب أن تُسند أيضاً الأمور الممكن أن تتغيّر، وإن صحّت لها أيضاً في أغلب الأحيان، هذه القاعدة: «لا أمور جديدة، ولكن بأسلوب جديد».

٣٦٢٨ – ٣٦٣٠ – جواب لجنة الكتاب المقدس، ١٨ حزيران ١٩١٥

مجيء المسيح الثاني في الرسائل البولسيّة

٣٦٢٨ – سؤال ١: هل يجوز للمفسّر الكاثوليكي، في سبيل حلّ ما يُلقى من صعوبات في رسائل القديس بولس، والرسل الآخرين، حيث ترد «الباروسيّا» كما يقال، أو المجيء الثاني لربنا يسوع المسيح، أن يؤكّد أن الرسل، وإن لم يعلّموا أي ضلال

بوحي من الروح القدس، فهم يعبرون مع ذلك عن عواطف بشرية شخصيّة حيث يمكن أن يدخل الضلال والوهم؟
جواب: كلا.

٣٦٢٩ – سؤال ٢: اعتمادًا على المفهوم الصحيح للمهمّة الرسولية، وأمانة القديس بولس التي لا شك فيها لعقيدة المعلّم، والعقيدة الكاثوليكية عن الوحي والعصمة من الخطأ في الكتب المقدسة، التي تقتضي لزوم أن يُعَدَّ كل ما يؤكده ويعلنه ويقوله الكاتب المقدس، يؤكده ويعلنه ويقوله الروح القدس، وبعد الإمعان في دراسة مباشرة لنصوص رسائل الرسول التي تبيّنت تمامًا ملاءمتها لأسلوب كلام الرب نفسه، هل يجب تأكيد أن الرسول بولس لم يقل شيئًا في كتاباته لا يتّفق تمامًا وجهل زمن «الباروسيّا» الذي أعلن المسيح أنه خاص بالبشر؟
جواب: أجل.

٣٦٣٠ – سؤال ٣: إذا أُمعن النظر في العبارة اليونانية التي تعني: «نحن الأحياء الباقين»، وإذا أُخذت بالحسبان أيضاً شروحات للآباء، ولاسيّما يوحنا فم الذهب المتبحّر جدًّا في معرفة لغته الأم ورسائل القديس بولس، هل يجوز أن يُرذل التفسير التقليدي في المدارس الكاثوليكية، كأنه آت من بعيد جدًّا وخالٍ من أساس متين، (وقد تمسّك به أيضاً المجدِّدون أنفسهم في القرن الرابع عشر)، وهو يشرح كلمات القديس بولس في الفصل الرابع من الرسالة الأولى إلى التسالونيكيين، الآيتان ١٥ – ١٧، دون أن يدرج فيها تأكيد «باروسيّا» هي من القرب بحيث يضع الرسول نفسه وقراءه في عداد الباقين على قيد الحياة والذين سيمضون إلى ملاقاة الرب؟
جواب: كلا.

٣٦٣٢ – مرسوم المجمع المقدس، ٢٩ آذار (٨ نيسان) ١٩١٦

رذل الصور التي تمثّل مريم بثياب كهنوتية

٣٦٣٢ – بما أنه قد شُرع، في هذه الأوقات الأخيرة خصوصاً، بتصوير ونشر صُوَر تمثل العذراء مريم الجزيلة الغبطة لابسة ثيابًا كهنوتية... فقد قرّر الكرادلة... في ١٥ كانون الأول ١٩١٣ ان صور العذراء مريم لابسة ثيابًا كهنوتية يجب أن تُرذل.

٣٦٣٤ – جواب من مجمع التوبة المقدس، ٣ نيسان ١٩١٦

الممارسة الأونانية للزواج

٣٦٣٤ – سؤال: هل تستطيع امرأة المشاركة في عمل الزوج الذي يريد، لأجل تعاطي اللذة، أن يرتكب جريمة أونان والسادوميين، والذي يهدّدها بعقوبة الموت أو بإساءات كبيرة إذا لم تُذعن؟

جواب: أ – إذا أراد الزوج ارتكاب جريمة أونان في الزواج، بقذفه الزرع خارج الإناء بعد بدء الجماع، وهدّد المرأة بالموت أو بإساءات كبيرة إذا لم تُذعن لإرادته الشريرة، فهي تستطيع، في هذه الحالة، بحسب رأي لاهوتيين مختبرين، أن تجامع زوجها هكذا، لأنها، في ما يتعلّق بها، تتعاطى أمرًا وفعلاً جائزين، ولكنها تبيح خطيئة الزوج لسبب خطير يعذرها. لأن المحبة التي ترغمها على منعه لا تُلزم إذ هي مرتبطة بمثل هذا الضرر.

ب – ولكن إذا أراد الزوج أن يرتكب معها جريمة السادوميين، فبما أن هذا الجماع السادومي هو فعل مناف للطبيعة من جهة كلٍّ من الزوجين المجامعين هكذا، وأنه عمل شديد السوء بحسب حكم جميع الملافنة، فالمرأة لا تستطيع في هذا الأمر الإذعان على وجه جائز، لزوجها الفاسق، لأي سبب، حتى لتجنّب الموت.

٣٦٣٥ – ٣٦٣٦ – جواب المجمع المقدس لرؤساء محليين مختلفين، ١٧ أيار ١٩١٦

الاسرار الأخيرة للمنشقين

٣٦٣٥ – سؤال ١: هل يمكن منح الأسرار لمنشقين مادّيًا موجودين في خطر الموت، ويطلبون بنية سليمة إما الحلّ وإما مسحة المرضى، دون أن يجحدوا أضاليلهم؟

جواب: كلا. مطلوب بالعكس أن يرذلوا الأضاليل بأحسن وجه ممكن، وأن يقوموا باعتراف بالإيمان.

٣٦٣٦ – سؤال ٢: هل يمكن منح الحلّ ومسحة المرضى لمنشقين في خطر الموت، وقد فقدوا حواسّهم؟

جواب: أجل. بشرط، خصوصاً إذا أمكنت الظروف من الظن بأنهم قد رذلوا، ضمنًا على الأقل، اضاليلهم، ولكن مع إقصاء فعلي لكل معثرة، أي بإعلام الحاضرين أن الكنيسة تفترض أنهم في اللحظة الأخيرة قد عادوا إلى الوحدة.

٣٦٣٨ - ٣٦٤٠ - جواب مجمع التوبة المقدس، ٩ حزيران ١٩١٦

الممارسة الأونانية للزواج بوسائل اصطناعية

٣٦٣٨ - سؤال ١: إذا ما أراد الزوج استعمال وسيلة لممارسة الأونانية، هل على المرأة أن تقاوم إيجابيًا؟

٢ - إذا كان الجواب بالنفي: هل تكفي لتبرير المقاومة السلبية من جهة المرأة، أسباب لها من الوزن ما للأونانية الطبيعية (دون وسيلة)، أو لا بدّ من أسباب أثقل وزنًا؟

٣: لكي تُشرح هذه المادّة وتُعلّم على الوجه الأضمن، هل يجب حقًّا تمثيل الرجل الذي يستعمل هذه الوسائل بمغتصب، على المرأة أن تواجهه بمثل مقاومة العذراء للدخيل؟

جواب: أجل بالنسبة للثلاثة.

٣٦٤٢ - جواب المجمع المقدس، ٢٤ نيسان ١٩١٧

استحضار الأرواح

٣٦٤٢ - سؤال: هل يجوز حضور أحاديث وظهورات روحانية، على يد وسيط، كما يقولون، بتنويم مغناطيسي أو بدونه، حتى عندما تبدي هذه الجلسات مظاهر صلاح وتقوى، مع سؤال النفوس والأرواح، وسماع جوابها، أو مع النظر فقط بل مع الاحتجاج الضمني أو الصريح برفض أي علاقة بالأرواح الخبيثة؟

جواب: كلا بالنسبة إلى الكل.

٣٦٤٥ – ٣٦٤٧ – مرسوم المجمع المقدس، حزيران ١٩١٨

علم نفس المسيح

٣٦٤٥ – سؤال: هل يمكن تعليم المقولات الآتية بكل أمان؟

١– ليس من الأكيد أنه كان لنفس المسيح، مدى حياته بين الناس، ذلك العِلم الذي للطوباويين في الرؤية (السعيدة)

٣٦٤٦ – ٢ – لا يمكن تأكيد الرأي القائل إن نفس المسيح لم تكن تجهل شيئًا، ولكنها، منذ البداية، قد عرفت، في الكلمة، كل الأشياء الماضية والحاضرة والآتية، أي كل ما يعرفه الله بالرؤية.

٣٦٤٧ – ٣ – إن عقيدة بعض العصرين عن العلم المحدود في نفس المسيح ليست أقل قبولاً في المدارس الكاثوليكية من رأي القدماء عن معرفته الشاملة.

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٦ حزيران): كلاّ

٣٦٤٨ – جواب المجمع المقدس، في ١٦ (١٨) تموز ١٩١٩

العقائد التيوسوفية (الحكمة الإلهية)

٣٦٤٨ – سؤال: هل يمكن إيجاد توافق بين العقائد المسماة اليوم تيوسوفية والعقيدة الكاثوليكية، وهل يجوز بالتالي الاندماج في الجمعيات التيوسوفية، وحضور لقاءاتهم، وقراءة كتبهم، ومجّلاتهم، وصحفُهم، وكتاباتهم،

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ١٧ تموز): كلا بالنسبة إلى كل النقاط.

٣٦٥٠ – ٣٦٥٤ – الرسالة العامة «Spiritus Paraclitus»، ١٥ أيلول ١٩٢٠

وحي الكتاب المقدّس

٣٦٥٠ – لن نجد في الواقع في كتابات الملفان الكبير جدًّا (إيروينموس) أي صفحة، لا يتبيّن منها أنه تمسّك بقوة واستمرار، مع الكنيسة الكاثوليكية، بأن الأسفار

المكتوبة بوحي الروح القدس واضعُها هو الله، وأنها نُقلت هكذا إلى الكنيسة نفسها [ر ٣٠٠٦]. فهو يؤكد أن أسفار الكتاب المقدّس قد وُضعت بوحي، أو بإيعاز أو حتّى بإملاء من الروح القدس، بل أكثر من ذلك أنه هو حرّرها وأصدرها. وهو لا يشك على الإطلاق، من جهة أخرى، أن واضعيها المختلفين، قد قدّموا بحرّية مساعدتهم للوحي الإلهي، كلّ بحسب طبعه وقريحته.

وهكذا فهو لا يؤكد بوجه عام فقط ما هو مشترك بين الكتاب المقدسين، أي أنهم تبعوا في كتابتهم روح الله، بحيث صار من الواجب أن يُعدّ العلّة الأولى لكل فكر ولكل أقوال الكتاب، بل هو يميّز أيضًا ما يخصّ كل واحد...

هذه المشاركة في العمل بين الله والإنسان لتحقيق عمل واحد بذاته، يجلوها إيرونيموس بتشبيهها بالعامل الذي يستعمل، لصنع شيء، آلة أو أداة...

٣٦٥٠ – إذا فحصنا كيف يجب أن نفهم تأثير الله وفعله، كعلّة أولى، في الكاتب المقدس، نستطيع أن نرى عدم وجود أي خلاف بين كلام إيرونيموس والعقيدة الكاثوليكية العامة، إذ إنه يؤكد أن الله، بموهبة النعمة، ينير عقل الكاتب في شأن الحقيقة التي تُعرَض على الناس، «باسم الله»، ثم يحرّك الإرادة ويحملها على الكتابة، وأخيرًا يساعدها بطريقة خاصّة ومستمرّة حتى الانتهاء من الكتاب.

عصمة الكتاب من الخطأ

٣٦٥٢ – ... إننا نؤيد قصد أولئك الراغبين، لأنفسهم أو لغيرهم، في إزالة صعوبات النصّ المقدّس، فيستعينون بكل معطيات العلم والنقد، بحثًا عن طرق جديدة ووسائل جديدة لإيجاد الحلول. ولكنهم، يضلّون، وهذا مدعاة للأسف، إذا تخطّوا بعض الحدود والتخوم التي وضعها الآباء [ر. أم ٢٢ :٢٨].

لا يدخل في إطار هذه المراسيم وهذه الحدود رأي هؤلاء الكتاب المحدثين، الذين يقيمون تمييزًا بين عنصر أولي أو ديني وعنصر ثانوي أو دنيوي في الكتاب، ويدركون جيّدًا أن الوحي نفسه يمتد إلى كل أقوال بل كل كلمات الأسفار الكتابية، ولكنهم يحصرون ويحدّدون مفاعيله، وأولا العصمة من الضلال، والحقيقة المطلقة، في العنصر الأولي أو الديني. فالله بحسب رأيهم، يقصد ويعلّم في

الكتاب ما له علاقة بالدين فقط. أما الباقي المرتبط بالأمور الدنيوية، والذي يأتي كأنه نوع من الغشاء الخارجي للحقيقة الإلهية، فقد أُبيح فقط وتُرك لضعف الكاتب...

ويؤكد البعض أن هذه الاختراعات لا تناقض في شيء مراسيم سلفنا، إذ إن هذا قد أكّد، في مجال الظواهر الطبيعية، أن الكاتب المقدّس يتكلّم بحسب المظهر الخارجي إذن الخادع [ر ٣٢٨٨]. وفي الواقع يبدو تهوّر وخطأ هذه الأقوال جليًّا، انطلاقًا من كلام البابا نفسه. فالمظهر الخارجي للأشياء... لا يلطّخ الأسفار المقدّسة بأي نجاسة ضلال، إذ بحسب مبدإ الفلسفة الصحيحة، لا تُخدع الحواس في إدراكها المباشر للأشياء التي هي موضوع معرفتها الخاصّة.

وعلاوة على ذلك، فإن سلفنا، بعد أن أزاح كل تمييز بين ما يُسمى عنصرًا أوليًّا وعنصرًا ثانويًّا، وألغى كل التباس، قد أظهر بوضوح كم هو بعيدٌ عن الحقيقة، رأي أولئك الذين يحسبون «أنه عندما يتعلّق الأمر بحقيقة المنطوق، يجب أن لا نُعنى بالبحث عمّا قال الربّ أكثر من الفحص عن العلة التي لأجلها قال ذلك» [٣٢٩١]. وهو نفسه يُعلّم أن الوحي الإلهي يمتدّ إلى جميع أجزاء الأسفار الكتابية، دون استثناء ولا تمييز، وأنه لا يمكن أن يكون أي ضلال قد ولج إلى النصوص المقدّسة: «يكون مسيئًا على الإطلاق، إما حصر الوحي في بعض أجزاء الكتاب المقدّس فقط، وإما قبول أن الكاتب قد أخطأ» [٣٢٩١].

٣٦٥٣ – وليس بأقل ابتعاد عن عقيدة الكنيسة... أولئك الذين يرون أن الأجزاء التاريخية من الكتب تستند لا إلى حقيقة مطلقة للوقائع، وإنما فقط إلى حقيقة نسبية لها، كما يقولون، وإلى طريقة التفكير الشعبية العامّة. ولا يخشون استنتاج ذلك من كلام البابا لاون نفسه، لأنه قال إن المبادئ القائمة في شأن الوقائع الطبيعية يمكن نقلها إلى المجال التاريخي [ر ٣٢٩٠]. فيؤكدون إذن أنه كما تكلّم الكتاب المقدسون في المجال الطبيعي بحسب ما كان يتراءى لهم، كذلك نقلوا أحداثًا لم يكونوا يعرفونها كما كان يعتمدها الرأي الشعبي العام، أو شهادات خاطئة، ولكن دون الإشارة إلى مصادر معلوماتهم، ولا أخذ روايات الآخرين على عاتقهم...

٣٦٥٤ – [وآخرون] يغالون في اللجوء بسهولة إلى ما يسمّونه الاستشهادات الضمنيّة، أو إلى الروايات التي ليست تاريخيّة إلاّ في الظاهر، أو يؤكدون أن في الأسفار المقدّسة أنواعًا أدبية لا تتوافق مع سلامة الكلام الإلهي وحقيقته الكاملة. أو عندهم، في شأن الكتاب المقدّس، أفكار تزعزع أو حتى تهدم سلطته.

بيوس الحادي عشر: ٦ شباط ١٩٢٢ – ١٠ شباط ١٩٣٩

٣٦٦٠ – ٣٦٦٢ – مرسوم المجمع المقدس، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٢

القيام بعمل جنسي غير مكتمل

٣٦٦٠ – أسئلة: ١ – هل يمكن التسامح في أمر معرّفين يعلّمون من تلقاء ذواتهم ممارسة العمل الجنسي غير المكتمل، وينصحون به دون تمييز جميع التائبين الذين يخشون أن يولد لهم أولاد كثيرون جدًّا؟

٣٦٦١ – ٢ – هل يجب لوم المعرّف الذي، بعد سعيه عبثًا بكل العلاجات إلى أن يقصي عن هذا الشر تائبًا يسيء استعمال الزواج، يعلمه ممارسة العمل الجنسي غير المكتمل، لكي يتحاشى كل خطيئة مميتة؟

٣ – هل يجب لوم المعرّف الذي، في الظروف الموصوفة في ٢، ينصح التائب بالعمل الجنسي غير المكتمل الذي لا يجهله، أو الذي يجيب ببساطة التائب الذي يسأله عن جواز هذه الممارسة أنها مباحة، دون أي تحديد أو شرط؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٢٣ تشرين الثاني): عن ١: كلا – عن ٢ و٣: أجل.

٣٦٦٥ – ٣٦٦٧ – الرسالة العامة «Studiorum ducem»، ٢٩ حزيران ١٩٢٣

ما لتعليم توما الأكويني من سلطة

٣٦٦٥ – أما نحن فنأمر بأن تكون مراسيم سلفائنا، خصوصًا لاون الثالث عشر وبيوس العاشر، وكذلك التوجيهات التي أعطيناها في السنة الماضية، موضوع إمعان في

التأمل، وتدقيق في الحفاظ عليها، خصوصًا من قبل جميع الذين يشغلون المنابر الأهم في المدارس الإكليريكية.

وليوقنوا مع ذلك بأنهم يضطلعون بمهمّتهم، ويستجيبون لما نترقّبه، إذا ما تتلمذوا بحرارة للملفان القديس، مواظبين على دراسة كتاباته ومتعمقين فيها، ومن بعد، بلغوا تلامذتهم حرارة هذه المحبة في شرحهم لهذا الملفان، وجعلوهم قادرين على إثارة مثل هذه الغيرة عند آخرين.

٣٦٦٦ – فنحن نرغب أن يكون عند مَن يُجلّون القديس توما – كما يجب أن يفعل جميع أبناء الكنيسة الذين ينصرفون إلى أفضل الدروس – ذلك التنافس الشريف المحترم الحرّية الصحيحة المفيدة لتقدّم العلم، ولكن لا الانتقاد الذي لا يُفيد الحقيقة ولا ينتهي إلاّ إلى قطع ربط المحبة. فليتمّسك إذن كل واحد بأمانة بما رُسم في مجموعة الحق القانوني [ر ١٣٦٦، ٢] أي «على الأساتذة، في دراسة الفلسفة العقلية واللاهوت، كما في تعليم هذه العلوم للطلاّب، أن يتبعوا تمامًا طريقة الملفان الملائكي، وعقيدته، ومبادئه، ويلتزمون بواجب ضميري التقيد بها». وليحفظ الجميع هذه القاعدة بحيث يستطيعون أن يدعوه بكل صدق معلّمهم.

٣٦٦٧ – ولكن لا يطلُبَنّ البعض من البعض الآخر أكثر ممّا تطلبه الكنيسة أم الجميع ومعلّمتهم. وفي المسائل التي اعتاد أفضل المؤلفين في المدارس الكاثوليكية أن يناقشوها بآراء مختلفة، يجب أن لا يُمنع أحد من اتباع الرأي الذي يبدو له أقرب إلى الحقيقة.

٣٦٧٠ – الرسالة العامة «Infinita Dei misericordia»، ٢٩ تموز ١٩٢٤

استعادة الاستحقاقات والمواهب

٣٦٧٠ – كان اليهود يستعيدون في أثناء السنة السبتية الأموال التي نُقلت إلى الغير، ويرجعون «إلى ملكهم». ويُعتق العبيد و«يعود كل واحد إلى عشيرته» [أح ٢٥ : ١٠]. والمديونون يكون لهم فكاك من دَيْنهم. وهذا كله يتم ويحصل عندنا على وجه أغزر في سنة المسامحة. فكل مَن يتّبع بقلب نادم، في أثناء اليوبيل، رسوم

الكرسي الرسولي يسترجع جميع الاستحقاقات والنعم التي خسّرته إياها الخطيئة. ويُخلّص من طغيان الشيطان القاسي لينعم من جديد بالحرية «التي حرّرنا بها المسيح» [غل ٤ :٣١]. وأخيرًا يُعفى تمامًا، بتطبيق استحقاقات يسوع المسيح، والعذراء مريم المغبوطة، والقديسين، من كل العقوبات التي استوجبها بخطاياه ومخالفاته.

٣٦٧٢ – مرسوم دائرة المجمع المقدسة، ١٣ حزيران ١٩٢٥

مبارزات الطلاب

٣٦٧٢ – سؤال: تصريحات دائرة المجمع المقدسة سنة ١٨٩٠ [٩ آب] وسنة ١٩٢٣ [١٠ شباط] التي تُنزل عقوبات كنسية بمبارزات الطلاّب التي تجري في الجامعات الألمانية والمسماة Bestimmungs–Mensuren هل تعني فقط، بحسب رأي بعض الكتاب المحدثين، المبارزات التي تصير المعركة فيها مع خطر جرح بليغ جدًّا، أو تتضمّن أيضًا تلك التي تجري دون خطر جرح بليغ؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٢٠ حزيران): كلاّ بالنسبة إلى النقطة الأولى، أجل بالنسبة إلى الثانية.

٣٦٧٥ – ٣٦٧٩ – الرسالة العامة «Quas primas»، ١١ كانون الأول ١٩٢٥

جلالة المسيح الإنسان الملكية وقدرته

٣٦٧٥ – أن يدعى المسيح «ملكًا» بالمعنى المجازي، بسبب علوّ درجة سموه الذي يميّزه من كل المخلوقات ويجعله فوقها، عُرْف كان دائمًا موجودًا وهو عام. ويقال هكذا إنه يملك على أرواح البشر.. وكذلك على إرادات البشر.. وأخيرًا يُعترف بالمسيح كملك على القلوب.

مع ذلك، ولكي نلج عمق الموضوع، ليس من إنسان لا يرى أن اسم ملك وسلطانه بالمعنى الصحيح للكلمة، يجب أن يطلقا على المسيح في ناسوته. فبكونه إنسانًا فقط، يمكن أن يقال عنه إنه نال من الآب السلطان والمجد [ر دا ٧ :١٣ –

١٤] لأن كلمة الله، بكونه من ذات جوهر الآب، لا يمكنه أن لا يكون له كل شيء هو للآب، وبالتالي السلطان الأعلى والمطلق على كل المخلوقات.

[يبيّن بعد ذلك انطلاقًا من الكتب المقدسة أن المسيح ملك. والمراجع تعود على الخصوص إلى عد ٢٤: ١٩ – مز ٢؛ ٤٥(٤٤): ٧؛ ٧٢(٧١)٧ – ٨؛ أش ٩، ٦ – ٧؛ إر ٢٣: ٥؛ دا ٢: ٤٤؛ ٧، ١٣ – ١٤؛ زك ٩: ٩؛ لو ١: ٣٢ – ٣٣؛ مت ٢٨: ١٨؛ رؤيا ١: ٥؛ ١٩، ١٦؛ عب ١، ٢].

٣٦٧٦ – أمّا أساس هذه الجلالة وهذا السلطان فقد دلّ عليه دلالة موفّقة كيرلس الإسكندري: «لنقولَ ذلك بكلمة، إن السلطان الذي له على كل المخلوقات، ليس له بالقوّة، ولم ينله من يدٍ غريبة، ولكنه كان له بجوهره وطبيعته». فسموّه يرتكز على ذلك الاتحاد العجيب المسمّى الأقنومي. وينتج منه أن على الملائكة والبشر لا أن يعبدوا فقط المسيح بكونه إلهًا، ولكن أيضًا أن على الملائكة والبشر الطاعة لسلطته، والخضوع له بكونه إنسانًا، إذ إن المسيح، بفعل الاتحاد الأقنومي وحده، له السلطان على كل المخلوقات.

ولكن هل هناك ما هو أمتع وألذ لفكرنا من هذا: أن المسيح يملك علينا لا بحق الولادة فقط، ولكن أيضًا بحق مكتسب، أي لأنه افتدانا [ر ٣٣٥٢]؟ فعسى أن يتذكر جميع الناس الشديدو النسيان ما افتدانا به المخلص من ثمن كبير: «فلم تُفتدوا... بالذهب والفضة الفاسدين... بل بدم المسيح الكريم ذاك الحمل الذي لا عيب فيه ولا دنس» [١ بط ١: ١٨ – ١٩] فلسنا من بعد لأنفسنا، لأن المسيح قد افتدانا «بثمن كريم» [١ كو ٦: ٢٠]. «وأجسادنا ذاتها هي أعضاء المسيح» [١ كو ٦: ١٥].

٣٦٧٧ – ولكن، لكي نشرح باختصار معنى وطبيعة هذا الملك، لا يفيد، على وجه التقريب، القول إنه يقوم على سلطان مثلث بدونه يكون من الصعب تصوّر المُلك... يجب الاعتقاد بإيمان كاثوليكي أن المسيح أعطي للبشر كمخلص له عليهم الإيمان به، وفي الوقت عينه كمشترع له عليهم الطاعة [المجمع التريدنتيني، الجلسة ٦، ق ٢١، ١٥٧١]. ولكن الأناجيل لا تظهره كثيرًا كأنه سنّ شرائع بل تبديه بالأحرى كالمشترع...

أمّا في شأن سلطان القضاء الذي ناله من الآب، فالمسيح نفسه يؤكد لليهود الذين يتهمونه بنقض راحة السبت بشفائه المُعجز رجلاً مريضًا: «أن الآب لا يدين أحدًا بل فوّض إلى الابن كل دينونة» [يو ٥: ٢٢]. وبهذا يُفهم أيضًا - لأنه لا يمكن فصله عن الحكم - أن المسيح كامل الحق أن يوزّع المكافآت والعقوبات على البشر، حتى في حياتهم.

ومن جهة أخرى يجب أن ينسب إلى المسيح أيضًا ذلك السلطان المسمّى بالتنفيذي، إذ لا بدّ من أن يخضع الجميع لسلطانه، مع العقوبات التي يقال عنها إنها تُنزل بالعصاة، ولا يستطيع أحد النجاة منها.

٣٦٧٨ - ولكن هذا المُلك هو بالأخص روحيّ ويمتدّ إلى الحقائق الروحية، كما تُظهر ذلك كلمات الكتب المقدسة التي أوردناها آنفًا، وكما يظهره أيضًا المسيح الرب في طريقة تصرّفه. فليس في ظرف واحد فقط، عندما فكر اليهود والرسل أنفسهم بأن المسيح يقود الشعب إلى الحرّية، ويعيد الملك إلى إسرائيل، أزال هو نفسه ودمر هذا الوهم وهذا الرجاء. وقد رفض، عندما كان جمع المعجبين المحيطين به سيعلنونه ملكًا، اللقب والمجد، فابتعد وتخبّأ. وأعلن أيضًا أمام الحاكم الروماني أن مملكته ليست من «هذا العالم» [يو ١٨: ٣٦].

وهذه المملكة ترينا إياها الأناجيل كمملكة يتهيّأ الناس لدخولها بالتوبة، ولا يستطيع أحد الدخول إلاّ بالإيمان والمعموديّة، التي، وإن كانت طقسًا خارجيًا، تمثّل وتحقّق الولادة الجديدة الداخلية. وهو لا يقاوم إلاّ مملكة الشيطان وسلطان الظلمة، ويطلب من أتباعه ليس فقط أن يجرّدوا قلوبهم من الثروات والأموال الأرضية، وأن يمارسوا الوداعة، ويجوعوا ويعطشوا إلى البرّ، وإنما أيضًا أن يتخلّوا عن أنفسهم ويحملوا صليبهم. ولكن بما أن المسيح، بكونه فاديًا، قد حاز الكنيسة بدمه، وبكونه كاهنًا، يُقدِّم ذاته دائمًا ضحية عن الخطايا، فمن لا يرى أن المهمّة الملكية نفسها ترتدي طبيعة هاتين المهمتين وتشارك فيهما؟

٣٦٧٩ - من جهة أخرى يكون هناك ضلال مزرٍ في إنكار كل سلطان للمسيح الإنسان على المجتمعات المدنية، إذ إن له من الآب الحق المطلق على المخلوقات، جاعلاً له الحكم في كل شيء، ومع ذلك فإنه تجنب تمامًا، مدى حياته على الأرض،

ممارسة هذا السلطان. وكما أنه ازدرى حينئذ تملّك الأموال البشرية والاهتمام بها، كذلك أجازها ويجيزها اليوم لمن يملكها. ولقد قيل ذلك قولاً جميلاً جدًّا بهذا الكلام: «إنه لا يسلب الممالك الفانية ذاك الذي يعطي الممالك الأبدية».

لذلك يشمل سلطان فادينا جميع البشر. وفي هذا الشأن نرى بطيبة خاطر رأي سلفنا الخالد الذكر: «الواضح أن سلطانه لا يمتد فقط إلى الأمم التي تحمل اسم كاثوليكية، أو إلى أولئك فقط الذين عُمّدوا فكانوا من الكنيسة بالنظر إلى القانون، وإن شرّدهم ضلال آرائهم بعيدًا عنها، أو فصلهم عن المحبّة الشقاق، وإنما يشمل أيضًا جميع مَن يُحسبون خارج الإيمان المسيحي، بحيث إن جنس البشر بأجمعه، في الحقيقة الحقة، يخضع لسلطان يسوع المسيح» [٣٣٥٠].

وفي هذا الشأن لا مجال لأي تمييز بين مختلف الجماعات المنزلية أو المدنية، لأن الناس الملتئمين في مجتمع ليسوا بأقل خضوعًا لسلطان المسيح من الأفراد. فهو ذاته مصدر الخلاص الفردي والجماعي: «وما من خلاص بأحد غيره، إذ ليس تحت السماء اسم آخر أعطي للناس، به ينبغي أن نخلص» [أع ٤ : ٢١].

٣٦٨٠ – تعليم المجمع المقدس، ١٩ حزيران ١٩٢٦

إحراق الأجساد

٣٦٨٠ – بما أن كثيرين، حتى بين الكاثوليكيين، لا يتردّدون في الإشادة بهذه العادة البربرية التي تأباها لا التقوى المسيحية فحسب وإنما أيضًا البِرّ الطبيعي بأجساد الموتى، وقد حظرتها الكنيسة، دائمًا منذ البدء، ويعدّونها من الحسنات الجديرة بالمديح الناتجة من التقدم المدني الحاصل اليوم، كما يقولون، والمعارف المتعلّقة بحماية الصحة... [فمن الواجب تنبيه المؤمنين] إلى أن إحراق الجثث هذا لا يشيد به وينشره أعداء الاسم المسيحي إلاّ لغاية واحدة هي جعل العقول تقلع عن التأمل في الموت، وانتزاع رجاء قيامة الموتى منها، وإعداد السبيل هكذا للمادّية.

إذن، وإن لم يكن إحراق الجثث بحد ذاته شرًّا مطلقًا، وكان من الممكن، في بعض الظروف غير العادية، ولأسباب خطيرة أكيدة تتعلّق بالخير العام، أن يؤذن

بها، وقد أُذن بها في الواقع، فيبقى أنه من الواضح، أن ممارستها العامّة والتي تكاد تكون منظّمة، وكذلك الترويج لها، أفعال كفريّة ومعثّرة وهي لا تحلّ، وبوجه خطير.

٣٦٨١ – ٣٦٨٢ – تصريح المجمع المقدس، حزيران ١٩٢٧

«نصّ القديس يوحنا»

٣٦٨١ – سؤال: هل يمكن أن تنفى أو، على الأقلّ، أن توضع موضع الشك، بوجه أكيد، أصالة نصّ القديس يوحنا القائل في الرسالة الأولى، الفصل ٥، الآية ٧، : «الشهود إذن في السماء ثلاثة، الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد»؟

كان المجمع المقدّس قد أجاب بالنفي عن السؤال، في ١٣ كانون الثاني ١٨٩٧، ثمّ عاد إليها في هذا التصريح:

٣٦٨٢ – إن هذا القرار أعطي للحدّ من جسارة ملافنة خاصين يدّعون لأنفسهم الحق إمّا في رفض أصالة المقطع اليوحناوي بكامله، وإمّا على الأقل في الشك فيه بحكمهم النهائي. ولكنه لم يقصد قط منع الكتّاب الكاثوليكيين من دراسة المسألة بمزيد من العمق، وبعد أن يزنوا الحجج بالرزانة والرصانة اللتين تقتضيهما خطورة الأمر، من الميل إلى مفهوم يخالف الأصالة، إذا عرفوا في أنفسهم على الأقل، الاستعداد للخضوع لحكم الكنيسة التي نالت من المسيح التفويض لا لتفسير الكتاب المقدس فحسب، بل أيضًا للحفاظ عليه بأمانة.

٣٦٨٣ – الرسالة العامة «Mortalium animos»، ٦ كانون الثاني ١٩٢٨

مهمّة السلطة التعليمية الكنسية ومداها

٣٦٨٣ – في شأن الحقائق التي يجب الإيمان بها، لا يجوز أبدًا استعمال ذلك التمييز الذي استُحسِن إدخاله بين ما يسمّى فصول إيمان أساسية وغير أساسية، كما لو أن بعضها يجب أن يقبله الجميع، والبعض الآخر يمكن أن تترك فيه الحرّية للمؤمنين بالقبول. ففضيلة الإيمان الفائقة الطبيعة عِلّتها الصورية في سلطة الله الذي يوحي، وهذا لا يحتمل أي تمييز من هذا النوع...

وهذه الحقائق، وإن كانت الكنيسة قد احتفلت بتثبيتها وتحديدها بمرسوم، في أوقات مختلفة، حتّى حديثة جدًّا، ليست أقل يقينًا وأقل ضرورة للاعتقاد، أفليس الله هو مَن أوحى بها كلها؟

فعلى كون السلطة التعليمية الكنيسة – التي جُعلت في الأرض، بحسب قصد الله، حتى تُحفظ العقائد الموحى بها سليمة إلى الأبد ومنقولة إلى معرفة الناس بسهولة دون ريب – تمارس يوميًا على يدي الحبر الروماني والأساقفة الذين في شركة معه، فمهمّتها تتضمّن أيضًا، إذا اقتضى الأمر، مقاومة أضاليل وهجومات الهراطقة بفاعلية أكبر، أو طبع مسائل من العقيدة المقدسة في أذهان المؤمنين بشرح أوضح وأدق، فتعمل بالطريقة المناسبة على تحديدها بطقوس ومراسيم احتفالية.

إلاّ أن عمل السلطة التعليمية هذا غير العادي لا يُدخل أيّ أمر مُخترع، ولا يُضاف به أيّ أمر جديد إلى مجموع الحقائق التي تحويها ضمنًا على الأقل، وديعة الإيمان التي سلَّمها الله للكنيسة. ولكنه إمّا أن يوضح ما كان يبدو ربّما حتّى حينه غامضًا للكثيرين، أو يحدّد كموضوع إيمان ما كان في السابق للبعض موضوع نقاش.

٣٦٨٤ – مرسوم المجمع المقدس، ٢٤ تموز (٢ آب) ١٩٢٩

الأستمناء المباشر

٣٦٨٤ – سؤال: هل يحلّ الاستمناء المباشر للحصول على زرع يمكّن هكذا من اكتشاف المرض المعدي المسمّى «سيل القيح» وشفائه قدر المستطاع؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٢٦ تموز): كلا

٣٦٨٥ – ٣٦٩٨ – الرسالة العامة «Divini illius magistri»، ٣١ كانون الأول ١٩٢٩

واجب التربية ومهمّتها على العموم

٣٦٨٥ – إن مهمّة التربية لا تعود إلى أفراد وإنمّا إلى المجتمع بالضرورة. وهناك ثلاثة مجتمعات لا بدّ منها، تتميّز في ما بينها، ولكنها بحسب مشيئة الله منسجمة،

وينضوي فيها الإنسان منذ يرى النور. اثنان منها، أي المجتمع المنزلي والمجتمع المدني هما من النظام الطبيعي، والثالث، أي الكنيسة هو فائق الطبيعة.

المكان الأول هو للحياة المشتركة في الأسرة. فبما أنّ الله نفسه قد أنشأها وهيأها لهذه الغاية، أي ولادة الأولاد وتربيتهم، لهذا السبب لها بطبيعتها، وبالتالي بحقوقها الخاصة أيضًا، الأوّلية على المجتمع المدني.

إن الأسرة مع ذلك هي مجتمع غير كامل، إذ ليس لها كل ما يمكّنها من بلوغ غايتها الشريفة جدًّا. أمّا المجتمع المدني، الذي له كل ما هو ضروري لغايته، أيّ الخير العام للحياة الأرضية، فهو مجتمع تام وكامل في كل ما يهمّه. ولهذا السبب هو أرفع من المجتمع المنزلي الذي، بالتدقيق، لا يستطيع بلوغ غايته بوجه أكيد ومناسب إلاّ في المجتمع المدني.

والمجتمع الثالث أخيرًا الذي يدخل الناس ضمنه في النعمة الإلهية، بغسل المعمودية، هو الكنيسة، ذلك المجتمع الفائق الطبيعة الذي يشمل الجنس البشري بأجمعه، والذي هو كامل بذاته إذ له كل ما هو ضروري لغايته، أيّ الخلاص الأبدي للبشر، والذي هو، لهذا السبب، الأعلى في مرتبته.

وبالنتيجة فالتربية التي تعني الإنسان بكامله، كإنسان فرد، وكعضو في المجتمع البشري، قائم في نظام الطبيعة كما في نظام النعمة، إنمّا تخصّ بالتناسب، بحسب النظام الحاضر الذي وضعه الله، تلك المجتمعات الثلاثة، وفق الغاية الخاصة بكل واحد منها.

حق الكنيسة في التربية

٣٦٨٦ – وهي أوّلاً للكنيسة بوجه سام، أي اعتمادًا على سند مزدوج من النظام الفائق الطبيعة الذي منحه الله لها وحدها،

والذي هو بذلك أسمى على الإطلاق وأقوى أساسًا من أي سند طبيعي.

وعلة هذا الحق الأولى موجودة في السلطة والمهمة التعليمية العليا التي نقلها مؤسّس الكنيسة الإلهي لها [مت ٢٨ : ٨١ – ٢٠]...

والعلّة الثانية للحق هي في مهمّة الأمومة الفائقة الطبيعة تلك، التي بها تمنح الكنيسة، عروسُ المسيح الجزيلة الطهارة، حياة النعمة الإلهية للناس، وتغذّيهم بأسرارها، ووصاياها، وترفعهم. فبحق يقول القديس أغسطينوس: «من لا يريد أن تكون له الكنيسة أمًا، لن يكون له الله أبًا»...

٣٦٨٧ – فالكنيسة إذن تدعم الآداب، والعلوم، والفنون، بمقدار ما هي ضرورية أو مفيدة للتربية المسيحية، وكل نشاط في سبيل خلاص النفوس، بتأسيس ومساندة مدارسها ومؤسّساتها لكي تعَلَّم فيها كل الموادّ، ويُبلغ فيها إلى كل درجات التنشئة. وما يسمّى بالتربية البدنية يجب أن لا يُعدّ هو أيضًا غريبًا عن سلطتها التعليمية كأم، إذ بإمكانها هي أيضًا أن تفيد أو تضرّ التنشئة الكاثوليكية...

٣٦٨٨ – وعلاوة على ذلك فللكنيسة حقّ لا يمكنها التخلّي عنه، وواجب لا يمكنها تركه، أن تسهر على التربية كلها المعطاة لأبنائها، أي للمؤمنين، في المؤسّسات الرسمية والخاصّة، لا في شأن التعليم الديني هناك فقط، ولكن أيضًا في شأن كل مادّة أخرى أو تنظيم للأشياء بمقدار ما يكون بينها وبين الديانة والفرائض الأخلاقية من ارتباط.

٣٦٨٩ – تنسجم تمامًا مع هذا الحق السامي للكنيسة... حقوق الأسرة والدولة، بل أيضًا تلك الخاصة بكل مواطن، في شأن حرّية العلم والمناهج العلمية الصحيحة، والثقافة المدنية على العموم. ولكي نبيّن فورًا علة هذا الانسجام وأصله نقول: إن النظام الفائق الطبيعة الذي عليه تقوم حقوق الكنيسة، عوضًا من أن يهدم ويقلصّ النظام الطبيعي الذي تتعلّق به كل الحقوق المذكورة، يرفعه بالعكس ويتمّمه. فكل واحد من هذين النظامين يساعد الآخر ويوفّر له مثل تكملة، بنسبة ما يرجع لطبيعتها وكرامة كلّ منها، لأن الاثنين صادران عن الله الذي لا يمكنه أن يكون غير أمين لذاته.

حق الأسرة في التربية

٣٦٩٠ – أولاً إن مهمّة الأسرة تنسجم بوجه عجيب مع مهمّة الكنيسة، إذ تصدر الاثنتان صدورًا متماثلاً من الله.

ففي النظام الطبيعي، يمنح الله فورًا مع الأسرة الخِصْب، مبدأ الحياة والتربية على الحياة، وفي الوقت عينه، السلطة التي هي مبدأ النظام...

لقد نالت الأسرة من الخالق مباشرة المهمّة وبالتالي الحق في تربية الأولاد. وهذا الحق غير قابل للتصرف به فقط، إذ هو مرتبط بذاك الواجب الخطير جدًّا، بل هو أيضًا سابق لأي حق للمجتمع المدني في الدولة، ولذلك لا يجوز لأي سلطان على الأرض أن يحدّده.

[يقاوم هذا الحقَّ جميعُ] من يتجاسرون على القول إن النسل هو للمجتمع المدني قبل أن يكون للأسرة، وإن للدولة حقًّا مطلقًا على التربية... [وهؤلاء دحضهم كلام لاون الثالث عشر]: «إن الأولاد هم شيء من الأب ونوع من التضخيم للشخص الأبوي، ولكي نتكلّم بكل تدقيق: إنهم لا يدخلون بأنفسهم وفورًا المجتمع المدني، ولكنهم بالمجتمع المنزلي الذي وُلدوا فيه يدخلون المجتمع المدني ويشتركون فيه».

لذلك «فإن السلطة الأبويّة لها من الكينونة ما يمنع إلغاءها وابتلاعها من قبل المجموعة، لأن لها المبدأ المشترك نفسه الذي لحياة البشر نفسها»...

ولكن ذلك لا يستتبع أن يكون حق التربية الذي للوالدين مطلقًا وتحكميًّا، لأنه خاضع خضوعًا وثيقًا جدًّا للغاية القصوى التي هي الشريعة الطبيعية والإلهية...

حق المجتمع المدني في الشأن التربوي

٣٦٩١ – من هذه المهمّة التربوية التي هي أولاً للكنيسة وللأسرة، لا ينتج فقط، كما رأينا، أعظم الحسنات للمجتمع بكامله، ولكن أيضًا لا يمكن أن ينتج منها أيّ اعتداء على حقوق الدولة الصحيحة والخاصة، في ما يتصل بتربية المواطنين، بحسب النظام الذي وضعه الله. وهذه الحقوق ضمها للسلطة المدنية صانعُ الطبيعة نفسه، لا بمستند الأبوة كما للكنيسة وللأسرة، ولكن بعلّة السلطة الملازمة لها لتعزيز الخير العام على الأرض، وتلك هي غايتها الخاصّة.

٣٦٩٢ – وينتج من ذلك أن التربية لا تعود إلى السلطة المدنية كما تعود إلى الأسرة، بل هناك طريقة أخرى مختلفة جدًّا تتناسب وغايتها الخاصة. وهذه الغاية، أي الخير

العام في النظام المدني، قوامها السلام والأمان اللذان تتمتّع بها الأُسَر والمواطنون في ممارسة حقوقهم، وفي الوقت عينه الوفرة الأكثر غزارةً ممكنة، في هذه الحياة الفانية، من الخيور الروحية والمادّية الواجب اقتناؤها بالعمل والوفاق بين الجميع.

إن مهمّة السلطة المدنية الموجودة في المجموعة هي إذن مزدوجة: أي أن تحمي وتعزّز الأسرة وكل مواطن، وليست على الإطلاق أن تعاملها بنوع من الابتلاع وتقوم مقامها.

٣٦٩٣ – لذلك، ففي شأن التربية، إنه حق الدولة، أو بكلام أفضل، واجبها أن تحمي بشرائعها حق الأسرة السابق، المذكور آنفًا، في تربية الأولاد تربية مسيحية، وبالتالي احترام حق الكنيسة الفائق الطبيعة في تلك التربية المسيحية.

كذلك للدولة أن تحمي هذا الحق عند الولد نفسه حين يُعوز ما يتعلّق بالوالدين مادّيًا أو معنويًا بسبب جمودهم، وعدم أهليّتهم ولباقتهم. فكما قيل آنفًا، إن حقّهم في التربية ليس مطلقًا ولا تحكّميًا، ولكنه يتعلّق بالشريعة الطبيعية والإلهية، ولذلك فهو ليس خاضعًا فقط لسلطة الكنيسة وحكمها، ولكن أيضًا لعناية الدولة ووصايتها في سبيل الخير العام، فالأسرة ليست مجتمعًا كاملاً له في ذاته كل ما هو ضروري لكي يكتفي تمامًا...

٣٦٩٤ – وللدولة على الخصوص، كما يقتضي الخير العام، أن تعزّز بمختلف الوسائل تلك التربية وتلك التنشئة للصغار. أولاً ومبدئيًا، بمساعدة ومساندة ما تقوم به الكنيسة والأسر، ممّا يدل التاريخ والخبرة على فاعليّته. ثم بإكمال هذه المؤسسات إذا لم تكن موجودة أو كافية، وبضمن ذلك تأسيس مدارس ومؤسسات خاصة بها. فالدولة عندها أكثر من غيرها وسائل بين يديها لاحتياجات الجميع. ومن العادل واللائق أن تستعملها لمصلحة مَن نالتها منهم. ومن جهة أخرى فالدولة تستطيع أن تأمر. وبالتالي أن تجعل المواطنين يعرفون جيّدًا الحقوق الوطنية والقومية، وأن تكون لهم فعل المعرفة المناسبة والتي يقتضيها فعلاً الخير العام في عصرنا، في مادة العلم والأخلاق والتربية البدنية.

ولكن من الواضح جدًّا أن واجب الدولة، في كل هذه الميادين لتعزيز التربية والتعليم الرسمي والخاص، لا أن تحترم فقط الحقوق العائدة إلى الكنيسة والأسرة،

ولكن أيضًا أن تحترم العدالة التي تعطي لكل واحد ماله. لذلك لا يجوز للدولة أن تأخذ لنفسها كل ما يتعلّق بالتربية والتعليم، بحيث ترى الأسرة نفسها مكرهة ماديًا أو معنويًا، خلافًا لما يستوجب الضمير المسيحي، أو ما تفضّله شرعيًا، على إرسال الأولاد إلى مدرسة الدولة نفسها.

٣٦٩٥ - وهذا لا يمنع، في سبيل حسن الإدارة للشأن العام، أو للحفاظ على السلام الداخل والخارج،... أن تقيم الدولة مدارس تسمّى إعدادية لبعض مصالحها، وخصوصًا للجيش، على أن لا تعتدي على حقوق الكنيسة والأسر في ما يمسُّها.

ولسنا نلحّ من جديد على ذلك بلا سبب، إذ إنه في أيامنا - حيث بدأ ينتشر نوع من القومية فعال ومخادع تمامًا، عدوّ للسلام والازدهار - جرت العادة أن تُتجاوز كل الحدود بتنظيم عسكري لتربية الشباب المدنية (وأحيانًا الشابات، وذلك يتعارض وطبيعة الحقائق البشرية نفسها)...

لا نريد هنا ملامة إقامة النظام القويم، ولا شجاعة القلب الصحيحة، ولكن فقط كل ما فيه مغالاة، كروح العنف الذي يختلف تمامًا عن شجاعة النفس والشعور النبيل للشجاعة العسكرية في الدفاع عن الوطن والنظام العام...

٣٦٩٦ - وعلاوة على ذلك، يعود إلى المجتمع المدني والدولة، لا بالنسبة إلى الشبيبة فقط ولكن أيضًا إلى كل الأعمار وكل الفئات ما يمكن تسميته بالتربية المدنية. وهي في ما يتعلّق بقسمها الإيجابي، تقوم على أن تُقدّم علنًا للناس أعضاء هذا المجتمع، أمور تحمل الإرادات على ما هو صالح وتقودهم إلى ذلك بنوع من الضرورة المعنوية، بما تملأ به الروح من معارف وتصوّرات، وباعتمادها على الحواس. وهي في قسمها السلبي، تقوم على إقصاء ومنع ما يتعارض معها.

التربية الجنسيّة

٣٦٩٧ - ... كثيرون يؤيدون ويعزّزون بلا وعي وبخطورة صيغة التربية المسمّاة تسمية نابية «بالجنسيّة» إذ يفكرون عن خطأ أنه باستطاعتهم حماية المراهقين من الشهوة والفجور، بوسائل طبيعية محض، مقصين أيّ عون من الديانة والتقوى، أي في إدخالهم جميعًا، دون تمييز في الجنس، بل علنا، في عقائد مخزية، وتعليمهم إياها.

وما هو أسوأ جدًّا، بتعريضهم قبل الأوان لأسباب (خطيئة) حتى يتعوّد قلبهم هذه الأمور كما يقولون، ويقسى عودهم في مجابهة أخطار سنّ البلوغ. إنهم في ذلك لعلى ضلال كبير، إذ لا يعترفون بما في الطبيعة البشرية من سرعة عطب، وبتلك الشريعة الملازمة لأعضائنا، التي بحسب كلام الرسول بولس تحارب شريعة الروح [ر رو ٧: ٢٣]، ولأنهم أيضًا يتجاهلون بخفّة ما يعلّمنا الاختبار كل يوم، أي أن الشباب أكثر من غيرهم، يقعون مرارًا في الفسق، لا بسبب الجهل ولكن بسبب ضعف الإرادة عندما تتعرّض لأسباب (خطيئة)، ولا يكون لها عون من النعمة.

أمّا إذا كان لا بدّ، في مسألة دقيقة مثل هذه، وبعد مراعاة الظروف، من أن يتعلّم المراهق في الوقت الملائم، على يد من أودعهم الله مهمّة تعليم الأولاد مع النعم المناسبة التي تضاف إليها، فمن الواجب الأكيد اعتماد ذلك الحرص وتلك الوسائل التي لا يجهلها المربّون المسيحيون...

٣٦٩٨ – فالجنسان... قد أعدّتها حكمة الله ليتكاملا الواحد بالآخر في الأسرة وفي المجتمع، وليتحدا، بسبب ذلك الاختلاف في الجسد والروح الذي يميّزهما. فيجب بالتالي الإبقاء عليه، بل تعزيزه في التنشئة والتربية، بتمييز وفصل مناسب للسن والظروف. يجب تطبيق هذه المبادئ بحسب ظروف الزمان والمكان، وما تفرضه الفطنة المسيحية، ليس فقط في كل المدارس، خصوصًا في أثناء سنوات المراهقة المضطربة التي يتعلّق بها مصير الحياة المستقبلية كله على وجه التقريب، ولكن أيضًا في الألعاب والتمارين الرياضية...

٣٧٠٠ – ٣٧٢٤ – الرسالة العامة «Casti connubii»، ٣١ كانون الأول ١٩٣٠

الوضع الإلهي للزواج

٣٧٠٠ – لا بدّ أولاً من أن يبقى أساس غير متزعزع وسليم: أن الزواج لم يضعه البشر ولم يجدّدوه، بل الله. وليس على يد البشر، ولكن على يد صانع الطبيعة نفسه ومجدّد الطبيعة، المسيح الرب، جُعلت للزواج شرائعه، وثُبّت ورُفع. وبالتالي لا يمكن أن يكون لهذه الشرائع أي تعلّق بالإرادات البشرية، ولا أيّ تعاهد مخالف، حتى من

الزوجين نفسيهما [ر تك ١ :٢٧ – ٢٨ ؛ ٢ :٢٢ – ٣٢؛ مت ١٩ :٣ – ٩؛ أف ٥ :٢٥ – ٣٣؛ المجمع التريدنتيني ١٧٩٧ – ١٨١٦].

٣٧٠١ – إلاّ أن تلك الحرّية تعمل في أمر واحد فقط أي: إذا كان المتعاهدان يريدان فعلاً ولوج الزواج، وإذا كانا يريدان ذلك مع شخص معيّن. أمّا طبيعة الزواج فليست على الإطلاق خاضعة لحرّية الإنسان، بحيث إن كل من عقده مرّة يكون بالفعل نفسه خاضعًا لشرائعه الإلهية، ومقتضياته الجوهرية. فالملفان الملائكي (توما الأكويني)، في آرائه بشأن الأمانة الزوجية وولادة البنين، يلاحظ أن «هذه الأمور في الزواج يتضمّنها الرضى الزوجي ذاته، وبالتالي فإذا وُضع في الرضى الذي يصنع الزواج أي فكرة تُخالفها لا يحصل زواج حقيقي»...

٣٧٠٢ – فيتبين من ذلك إذن أن السلطة الشرعية لها الحق، بل عليها الواجب، أن تحظر وتمنع وتعاقب الزواجات المخزية التي يأباها العقل والطبيعة. ولكن بما أن الأمر يتعلّق بشيء ناتج من الطبيعة البشرية ذاتها، فهو لا يقلّ رسوخًا... «إنه لا ريب، في اختيار حالة للحياة، أن لكل واحد الحرّية التامة والكاملة في اتباع نصيحة يسوع المسيح في شأن البتولية، أو في الارتباط بوثاق الزواج. وليس من شريعة بشرية تستطيع أن تحرم الإنسان من حقه الطبيعي والأولي في الزواج. أو أن تحدّ بأي وجه من الوجوه ما هو الغاية الأساسية من الاتحاد الزوجي، الذي جُعل منذ البدء بسلطان الله: «أنموا واكثروا» [تك ١ :٢٨].

خيور الزواج

٣٧٠٣ – في حين نستعدّ لعَرض ماهية الزواج الحقيقي التي أعطاها الله، وعظمتها... نتذكر كلام ألمع ملافنة الكنيسة (أوغسطينوس)...: «هذه هي كل الخيور... التي تجعل الزواج صالحًا: الأولاد، والأمانة الزوجية، والسر» وكما يقال بحق عن هذه الأمور الثلاثة إنها تحوي بامتياز كل العقيدة عن الزواج المسيحي، فالملفان القديس يبيّن ذلك بوضوح كبير بقوله: «بالأمانة الزوجية يُقصد ذلك الواجب الذي يلزم الزوجين بالامتناع عن كل فعل جنسي خارج الوثاق الزوجي. وبالبنين يُقصد واجب الزوجين أن يستقبلوهم بمحبة، ويغذّوهم بعناية وينشئوهم بتقوى.

وبالسرّ أخيرًا يُقصد الواجب الذي يلزم الزوجين بأن لا يفسخا الحياة المشتركة، ونهي الذي أو التي تنفصل عن الدخول في زواج آخر، حتى بسبب الأولاد. تلك هي شريعة الزواج حيث خصب الطبيعة يجد مجده، وعدم التعفّف ما يكبحه».

٣٧٠٤ – (١ – الخير الذي يوفّره الأولاد) بين خيور الزواج للأولاد المكان الأول. فبلا أي ريب إن خالق الجنس البشري نفسه، الذي أراد بصلاحه الاستعانة بعمل البشر لنشر الحياة، قد أعطانا هذا التعليم، عندما قال، وهو يؤسس الزواج في الفردوس، لأبوينا الأولين، وفي الوقت عينه لجميع الأزواج الآتين: «أنموا واكثروا واملأوا الأرض» [تك ١ : ٢٨]...

٣٧٠٥ – وعلى الوالدين المسيحيين أن يدركوا، علاوة على ذلك، أنهم ليسوا مدعوّين فقط إلى نشر وحفظ الجنس البشري على الأرض، بل ليسوا مُعَدِّين فقط حتى لتنشئة أي عبّاد عاديين لله الحقيقي، بل أن يعطوا أبناء للكنيسة، أن يلدوا «مواطني القديسين وأهل بيت الله» [أف ٢ : ١٩] حتى ينمو يومًا بعد يوم الشعب المتمسّك بعبادة الله ومخلصِنا. لا ريب في إن الأزواج المسيحيين، وإن تقدسوا هم أنفسهم، لا يستطيعون أن يورثّوا قداستهم لأولادهم، والولادة الطبيعية للحياة قد صارت حتى سبيلاً للموت، به تصل الخطيئة الأصلية إلى الأولاد. ولكنهم مع ذلك يحتفظون بشيء من الحالة التي كانت لأوّل زوجين. فلهم أن يقدّموا أبناءهم للكنيسة، تلك الأمّ الكثيرة الخصب بأبناء الله، حتى تجدّد ولادتهم بماء المعمودية المطهِّر، للبرارة الفائقة الطبيعة، وتجعل منهم أعضاء حيّة للمسيح، مشاركين في الحياة الأبدية، وأخيرًا ورثة للمجد الأبدي الذي نتوق إليه جميعنا من أعماق القلب...

والخير الذي بالولد لا ينتهي حقًا بحسنة الإنجاب. ولا بدّ أن ينضاف إليها شيء آخر تحويه التربية الجيّدة للولد...

٣٧٠٦ – [٢ – الخير الذي توفّره الأمانة الزوجية] الخير الثاني للزواج الذي أبرزناه بعد القديس أوغسطينوس هو خير الأمانة الزوجية، أي أمانة الزوجين المتبادلة للحفاظ على عقد الزواج، والتي بموجبها ما يعود فقط لأحد الزوجين، استنادًا إلى العقد

الذي حدّده الله، لا يُمنع عنه ولا يُعطى لآخَر. ولا يُعطى للزوج نفسه ما لا يمكن إعطاؤه أبدًا، لأنه مخالف للشرائع والحقوق الإلهية، ولا يمكن على الإطلاق أن يتلاءم مع الأمانة الزوجية.

لذلك تقتضي هذه الأمانة أولاً الوحدة الزوجية المطلقة، التي كوّن الخالق نفسه مثالها الأول في زواج أبوينا الأولين، عندما شاء أن لا يكون هذا الزواج إلاّ بين رجل واحد وامرأة واحدة. وإن كان المشترع الإلهي الأعظم قد أرخى بعد ذلك، نسبيًّا، من شدّة هذه الشريعة الأولى، فمن الأكيد تمامًا أن الشريعة الإنجيلية قد أعادت سلامة تلك الوحدة الأولى، وأبطلت كل إعفاء منها، كما يبيّن ذلك بوضوح كلام المسيح، وتعليم الكنيسة الثابت وسلوكها المستمّر.

٣٧٠٧ - إن هذه «الأمانة للعفّة»، كما يسميها القديس أوغسطينوس بكثير من الحق، ستتفتح بسهولة أكبر ومزيد من الجاذبية والجمال المعنوي، في إشعاع تأثير آخر من الأكثر سموًّا: تأثير المحبة الزوجية التي تدخل في كل واجبات الحياة الزوجية، والتي لها، في الزواج المسيحي، نوع من أوّلية الشرف... نتكلّم إذن على محبة لا تقوم على أساس ميل جسدي محض، يتبدّد سريعًا، ولا تنحصر في كلمات ودّية، ولكن تقيم في عواطف القلب الداخلية، والتي تُختَبر أيضًا بالعمل الخارجي - «لأن الدليل على الحبّ هو في ظهور الأعمال». وهذا العمل في المجتمع المنزلي، يتضمّن لا المساندة المتبادلة فقط، بل عليه أن يقصد ما هو أسمى - ويجب أن يكون ذلك هدفه الأساسي - أن يقصد تعاون الزوجين المتبادل، لكي يكوّنا ويكمّلا فيهما، كل يوم أكثر من يوم، الإنسان الداخلي: وعلاقاتها اليومية تساعدهما على التقدّم، يومًا بعد يوم، في ممارسة الفضائل، وعلى النمو خصوصًا في المحبة الحقيقية لله وللقريب، تلك المحبة التي تختصر فيها أخيرًا «الشريعة كلها والأنبياء» [مت ٢٢: ٤٠]...

في هذه التنشئة الداخلية المتبادلة بين الزوجين، وباجتهادهما المتواصل في العمل على كمالها المتبادل، يمكن أن نرى، بكل صدق، كما يعلّم كتاب التعليم المسيحي الروماني، السبب والعلّة الأولى للزواج، عندما لا يُنظر بدقة في الزواج إلى المؤسّسة المعدّة لولادة البنين وتربيتهم، ولكن، بمعنى أوسع، إلى تقاسم للحياة كلها، وحميميّة عادية وشركة...

٣٧٠٨ – أخيرًا، بعد أن يتثبّت المجتمع المنزلي برباط المحبة، لا بدّ أن يُزهر فيه ما يسّميه القديس أوغسطينوس نظام الحب. هذا النظام ينطوي على أوّلية الرجل على المرأة والأبناء، ومسارعة المرأة للخضوع وطاعتها التلقائية، وهذا ما يوصي به الرسول بقوله: «لتخضع النساء لرجالهن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح هو رأس الكنيسة» [أف ٥ : ٢٢ – ٢٣].

٣٧٠٩ – على أن هذا الخضوع لا ينفي ولا يبطل الحرّية التي تعود بكل حق إلى المرأة، إمّا بسبب امتيازاتها كشخص بشري، وإمّا بسبب وظائفها الشريفة كزوجة، وأم، ورفيقة. وهو لا يأمرها بالانقياد لكل رغائب زوجها مهما كانت، حتى تلك التي قد لا تتلائم والعقل أو كرامة الزوجة.

وهو لا يعلِّم أنه من الواجب تشبيه المرأة بالأشخاص الذين يُسمّون بلغة القانون «قاصرين» والذين يمنعون عادة من أن يمارسوا حقوقهم بحرّية، بسبب حكمهم غير الناضج بكفاية، أو عدم براعتهم في الأمور البشرية. ولكنه يمنع ذلك التراخي المُفرط الذي يُهمل خير الأسرة، ملحقًا الضرر الكبير بالجسم كله، ومعرّضًا إياه لخطر الخراب القريب. فإذا كان الزوج هو الرأس، فالمرأة هي القلب، وكما أن الأول يحوز أوّلية الحكم، تستطيع المرأة بل عليها أن تطالب لها بأولية الحب.

وبالإضافة إلى ذلك يمكن أن يختلف خضوع المرأة من حيث درجاته وكيفيته وفقًا لاختلاف أحوال الأشخاص والأمكنة، وأكثر من ذلك، إذا لم يفِ الرجل بواجبه، فعلى المرأة أن تقوم مقامه في إدارة الأسرة. أمّا في ما يتعلّق بنظام الأسرة نفسه، وقاعدتها الأساسية التي وضعها الله وأقرّها، فلا يجوز أبدًا ولا في أي مكان أن يُبلبلا أو يُمسّا [ذُكر هنا كلام البابا لاون الثالث عشر: «الرجل هو رأس الأسرة... يجب أن تكون المحبة الإلهية دائمًا هي التي تنظم الواجب» (٣١٤٣)]...

٣٧١٠ – [٣ – الخير الذي يوفّره السرّ] ولكن مجموع هذه الخيرات الكثيرة يتمّمه ويتوّجه بوجه ما، خير الزواج المسيحي هذا الذي سمّيناه سرًّا مستشهدين بالقديس أوغسطينوس، وبه يشار إلى لا انفصام الوثاق الزوجي، وإلى رفع المسيح العقد، بتقديسه هكذا، إلى مرتبة علامة فاعلة للنعمة.

وأولاً، في ما يتعلّق بلا انفصام الوثاق الزوجي، فالمسيح نفسه يلح عليه عندما يقول: «ما جمعه الله فلا يفرقه إنسان» [مت ١٩، ٦]

و«كل من طلّق امرأته وتزوج أخرى فقد زنى، ومن تزوّج امرأة طلّقها رجلها فقد زنى» [لو ١٦، ١٨]

بهذا اللاانفصام يضع القديس أوغسطينوس بكلام واضح ما يسميّه خير السرّ: «في السرّ يقصد هذا: أن الاتحاد الزوجي لا يمكن أن يفصل، وأن الطلاق لا يمكّن أيّا من الزوجين من زواج آخر حتّى لكي يحصل على أولاد».

٣٧١١ - وإن لم يوجد هذا الثبات المنيع بالمقدار ذاته وبالكمال الأوفى في كل الأحوال، فهو مع ذلك من خصائص كل الزواجات، لأن كلام الربّ: «ما جمعه الله لا يفرّقه إنسان» قيل عن زواج أبوينا الأولين، أي المثال لكل زواج آت، وينطبق بالتالي على كل الزواجات الصحيحة.

٣٧١٢ - ... وأن يبدو لهذا اللاانفصام شواذ، وهو نادر جدًّا، كما هي الحال في بعض الزواجات الطبيعية فقط المعقودة بين غير المؤمنين أو في بعض زواجات عُقدت بين المسيحيين ولكنها لم تكتمل، فهذا الشواذ غير منوط بإرادة البشر أو بأي سلطان بشري محض. ولكن ليس هناك قطعًا إمكانية من هذا النوع، تستطيع ولأي سبب، أن تنطبق على زواج مسيحي معقود ومكتمل. ففي زواج كهذا نال العهد الزوجي نهايته التامة، وبذلك، يتجلّى فيه بمشيئة الله، أعظم الثبات، وأعظم اللاانفصام، ولا يستطيع أي سلطان بشري أن يمسّه.

ولكن إذا أردنا أن نتفحّص باحترام عن صميم العلّة لهذه المشيئة الإلهية، فنجده بسهولة... في المعنى الصوفي للزواج المسيحي، الذي يتحقق تمامًا وبالكمال في الزواج المكتمل بين مؤمنين. فزواج المسيحيين، بشهادة الرسول، هو صورة كاملة جدًّا لاتحاد المسيح بالكنيسة: «إن هذا السرّ لعظيم. أقول هذا بالنسبة إلى المسيح وإلى الكنيسة» [أف ٥: ٣٢]. فما دام المسيح حيًّا والكنيسة حيّة به لا يمكن أبدًا أن يُفصم الزواج المكتمل بأي انفصال...

٣٧١٣ - ... ولكن، علاوة على ذلك اللاانفصام الثابت، يوفّر هذا السرّ فوائد أسمى

بكثير تدلّ عليها تمامًا لفظة «سرّ». فليس هنا، بالنسبة إلى المسيحي، كلام فارغ من المعنى: فالرب، «الذي أسّس الأسرار الجليلة وأوصلها إلى كمالها» [المجمع التريدنتيني، الجلسة ٢٤، ١٧٩٩] برفعه زواج مؤمنيه إلى كرامة سرّ صحيح وحقيقي، قد جعل فعلاً من الزواج علامة وينبوع تلك النعمة الداخلية الخاصة، المعدَّة إلى «إيصال ذلك الحبّ المتبادل إلى كماله، وإثبات تلك الوحدة التي لا تُفصم، وتقديس الزوجين» [المرجع نفسه].

ولأن المسيح قد اختار علامةً لهذه النعمة الرضى الزوجي بعينه الذي يجري تبادله بوجه صحيح بين المؤمنين، فالسرّ متحد بوجه وثيق جدًّا بالزواج المسيحي بحيث لا يمكن أن يوجد زواج حقيقي بين معمَّدين «دون أن يكون بالفعل عينه سرًّا»...

٣٧١٤ – فهذا السرّ، في الذين لا يقيمون أمامه عائق، لا ينمي فقط النعمة المقدسة، التي هي المصدر الدائم للحياة الروحية، ولكن يضيف إليها مواهب خاصة، وحركات صالحة، وبذورَ نعم. فيرفع هكذا ويكمّل القوى الطبيعية، حتى يستطيع الأزواج لا أن يدركوا بالعقل فقط بل أن يذوقوا في الداخل، ويعتنقوا بثبات، ويريدوا بفاعلية، ويتمّموا في الواقع، ما يتعلّق بالحالة الزوجية، وغاياتها وواجباتها. وهو يعطيهم أخيرًا الحق في عون النعمة الراهن، كل مرّة يحتاجون إليه للقيام بواجبات هذه الحالة.

سوء استعمال الزواج

٣٧١٥ – ... إن العلة الأساسية [للشرور] هي في الرأي القائل بأن الزواج لم يؤسّسه خالق الطبيعة، ولم يرفعه المسيح الرب إلى كرامة سرّ حقيقي، ولكنه من اختراع البشر.. [النتائج] فبما أن الشرائع، والمؤسّسات والأخلاق التي يجب أن تراعى فيه، هي من صنع البشر وحدهم، فهي هكذا لا تخضع إلاّ لتلك الإرادة وحدها، وبالإمكان، لا بل من الواجب، أن تصدر وتتغيّر وتلغى بحسب رغبة البشر والتحوّلات البشرية، وطاقة الإنجاب، بما أنها مؤسّسة على الطبيعة نفسها تكون أقدس من الزواج وتمضي إلى ما هو أبعد منه...

وبالاستناد إلى هذه المبادئ، بلغ الأمر ببعضهم إلى تصوّر أنواع جديدة من

الزواج: الزواج المؤقت، وزواج الاختبار، وزواج الصداقة، الذي يطالب لنفسه بالحرية التامة وبكل حقوق الزواج، ولكن بعد أن يحذف منها الوثاق غير المنفصم، ويقصي الأولاد على الأقل إلى الوقت الذي يغيّر فيه الفريقان جماعتها وحياتها الحميمة إلى زواج قانوني حقًا...

٣٧١٦ - لا بد من الكلام على الأولاد الذين يجسر كثيرون على تسميتهم عبئًا شاقًا في الحياة الزوجية. وفي رأيهم أن الزوجين عليهما أن يعفيا نفسيهما من هذا العبء، لا بفضيلة التعفّف، (وهو جائز في الزواج أيضًا، عندما يرضى به الزوجان)، ولكن بإفساد الفعل الطبيعي. ويطالب البعض بالحق في هذا الانفلات المجرم، لأنهم، إذ لا يتحمّلون الأولاد، يرغبون في إرضاء ملذاتهم فقط دون تحمل عبء. وغيرهم لأنهم لا يستطيعون، كما يقولون، لا التعفّف ولا قبول الأولاد بسبب صعوباتهم الشخصيّة أو صعوبات الأم، أو صعوبات حالتهم العائلية.

ولكن ليس هناك من سبب، مهما كان خطيرًا، يستطيع أن يجعل ما يخالف الطبيعة بذاته ملائمًا للطبيعة وصالحًا. وبما أن فعل الزواج هو، بطبيعته ذاتها، مُعَدٌّ لولادة البنين، فكل من يتعمدّون عند إتمامه أن ينزعوا منه قوّته وفاعليّته، يعملون ما يضاد الطبيعة، يعملون شيئًا شائنًا وسيئًا بحد ذاته.

فلا عجب أن تشهد الكتب المقدّسة أن الجلالة السماوية تمقت إلى أقصى حدّ هذا الجرم الرجس، وأنها عاقبته أحيانًا بالموت، كما يذكّر بذلك القديس أوغسطينوس: «إن العمل الجنسي يصير غير جائز وشائنًا، حتّى مع المرأة الشرعية، إذا تمّ فيه التخلّي عن الحبل بالولد. هذا ما كان يفعله أونان بن يهوذا، والذي لأجله أماته الله [ر تك ٣٨: ٨ - ١٨].

٣٧١٧ - وبالتالي بما أن البعض، قد ابتعدوا صريحًا عن العقيدة المسيحية، كما نُقلت منذ البدء وحُفظت دومًا بأمانة، فارتضوا حديثًا أن يعلنوا بصخب عن هذه الممارسات، عقيدة أخرى، فالكنيسة الكاثوليكية، التي أولاها الله نفسه رسالة تعليم الأخلاق السليمة والحسنة والدفاع عنها، منتصبة وسط الأطلال الأخلاقية، ترفع الصوت عاليًا جدًّا بفمنا، علامة على رسالتها الإلهية، للحفاظ على طهارة الوثاق الزوجي، من هذه الوصمة، وتعلن من جديد أن كل استعمال للزواج، مهما

كان، يحرم الفعل، في ممارسته، بتدخل البشر، من قدرته على إعطاء الحياة، إنما هو تعدٍّ على شريعة الله وعلى الشريعة الطبيعية، وأن الذين يقترفون مثل ذلك يتنجّسون بخطإٍ ثقيل.

لذلك، بقوة سلطتنا العليا، والمهمّة التي لنا بالنسبة إلى جميع النفوس، ننبّه الكهنة القائمين بخدمة سرّ الاعتراف، وكل الذين يخدمون النفوس، أن لا يدعوا المؤمنين الموكولين إليهم في الضلال، بشأن شريعة الله هذه الخطيرة جدًّا، وأكثر من ذلك أيضًا، أن يصونوا أنفسهم من مثل هذه الآراء الضالة، وأن لا يتواطأوا معهم بأي وجه من الوجوه.

٣٧١٨ - ... تعلم أيضًا الكنيسة جيّدًا: أنه ليس من النادر أن أحد الزوجين يتحمّل الخطيئة أكثر ممّا يفعلها، عندما يغضي عن حصول فساد لا يريده في النظام الصحيح. فهو بالتالي بريء منه، بشرط أن يتذكّر أيضًا شريعة المحبة، ولا يتهامل في ردع قرينه وإقصائه عن الخطيئة. كذلك يجب أن لا يُتَّهم بأفعال تضاد الطبيعة أولئك الأزواج الذين يستعملون حقّهم بحسب العقل السليم والطبيعي، إذا لم يمكن أن تخرج منه حياة جديدة لأسباب طبيعية مرتبطة بظروف وقتية، أو اختلالات طبيعية.

ففي الزواج نفسه، كما في استعمال الحق الزواجي، غايات ثانوية، - كما هو التعاون، والحب المتبادل الذي يجب صيانته، وإشباع الشهوة - ولا مانع على الإطلاق أن يقصدها الزوجان، ما دامت الطبيعة الداخلية للفعل محفوظة، وما دام خاضعًا للغاية الأولى...

ولكن لا بدّ من السهر على أن لا يوفّر سوءُ أحوال الأشياء المادّية المناخ لضلال أكثر إساءة أيضًا. فما من صعوبة خارجية تقدر أن تطرأ لتستتبع مخالفة ما تفرضه وصايا الله التي تنهى عن الأعمال السيئة بذاتها، بطبيعتها عينها. وفي كل هذه الأحوال يستطيع الزوجان، بقوة نعمة الله، القيام بواجبها بأمانة، وصيانة عفتها الزوجية من تلك الوصمة الشائنة [المرجع: المجمع التريدنتيني، الجلسة ٦، الفصل ٢ (١٥٣٦) والمقولة الأولى المدينة لجانسانيوس (٢٠٠١)].

التعدي على حياة الجنين

٣٧١٩ – يجب أيضًا... أن نذكر جريمة أخرى جسيمة جدًّا بالتعدي على حياة الجنين المختبئ في أحشاء أمه. يريد البعض أن يكون ذلك جائزًا، ومتروكًا لرضى الأم والأب. وغيرهم يعترفون أنه محرّم، ما لم تكن هناك أسباب خطيرة جدًّا يطلقون عليها أسم «دلالة» طبية، أو اجتماعية أو لتحسين النسل.

في ما يتعلّق بقوانين الدولة الجزائية، التي تنهى عن قتل الجنين الذي لم يولد، يقتضي الجميع أن تعترف الدولة «بالدلالة» التي يؤيدها كل منهم، تلك الدلالة المختلفة على كل حال باختلاف المدافعين عنها. إنهم يطالبون أن لا تنالها أي عقوبة. بل هناك من يلجأون، في هذه الأعمال القاتلة، إلى تعاون القضاة المباشر...

٣٧٢٠ – أمّا الدلالة الطبية أو العلاجية، بحسب كلامهم، فقد قلنا في شأنها من قبل، أيها الأخوة الاجلاء، كم نشعر بالشفقة على الأم التي يعرّضها تتميمهم الواجب الطبيعي لأخطاء صحية كبيرة، بل وعلى حياتها. ولكن أيّ سبب على الإطلاق يمكن أن يكون كافيًا ليعذر، بوجه من الوجوه، على قتل بريء؟

وهذا هو الأمر هنا. إن قَتل الأم كقَتْل الولد يخالف وصية الله وصوت الطبيعة: «لا تَقتُلْ» فحياة هذا مقدسة كحياة تلك. ولا يحق لأحد، حتّى للسلطات الرسمية، أن تتعدّى عليهما.

وليس هناك أيّ ظلّ لسبب يجعل ذلك يتفرّع، ضدّ أبرياء، من حق المعاقبة بالموت، الذي لا يقوم إلاّ بالنسبة إلى المجرمين.

وأيضًا من الباطل جدًّا أن يُعتدّ هنا بحق الدفاع عن النفس حتّى الدم تجاه معتدٍ جائر (إذ من يستطيع أن يسمّي طفلاً بريئًا معتديًا جائرًا؟). ولا يوجد أيضًا هنا ما يسمّى «بحق الضرورة القصوى» الذي يمكن أن يصل إلى قتل بريء مباشرة.

وبالتالي يبذل الأطباء الصالحون جهودًا جديرة بالثناء لحماية كل من الحياتين والحفاظ عليها. أمّا أولئك الذين يقومون بعمليات قتّالة، تحت ستار المعالجات، أو بدافع شفقة كاذبة، فيظهرون أنهم غير جديرين إلى حدّ بعيد بمهنتهم الشريفة...

٣٧٢١ – أمّا الملاحظات التي يبدونها في شأن الدلالة الاجتماعية، أو التي لتحسين

النسل، فمن الممكن ومن الواجب الاعتداد بوسائل جائزة وشريفة، وفي الحدود المطلوبة. أمّا ادعاء تأمين الاحتياجات التي ترتكز عليها لقتل بريء، فهو أمر غير معقول ومخالف للوصية الإلهية، الصادرة بهذا الكلام: يجب أن لا يُفعل الشر ليحصل الخير [ر ٣: ٨].

الحق في الزواج والتعقيم

٣٧٢٢ – وهناك من تهمهم جدًّا غايات تحسين النسل، فلا يكتفون بإعطاء نصائح مفيدة لتوفير الحياو والقوة للطفل على وجه آمن – وهذا في الحقيقة لا يخالف العقل القويم – بل يضعون غاية تحسين النسل فوق كل الغايات الأخرى، وإن كانت من مرتبة أعلى، ويريدون أن يروا السلطات العامّة تمنع من الزواج جميع من يبدون لهم، بحسب قواعد وتخمينات علمهم، وبسبب الوراثة، أنهم سيلدون أولادًا بهم عيوب، وإن كانوا هم بأنفسهم أهلاً للزواج. وأكثر من ذلك، يريدون أن يفرض القانون في مثل هذه الحال، بالرضى أو بالإكراه، التعقيم بعملية طبية، وذلك ليس بمثابة عقوبة من السلطة عن زلة ارتكبت، أو لتدارك جرائم مستقبلية لأشخاص هم مذنبون من قبل، ولكن بإعطاء القضاة المدنيين، خلافًا لكل قانون وعدالة، سلطة لم تكن أبدًا لهم، ولا يمكن أن يجوزوها شرعيًا.

٣٧٢٣ – وعلاوة على ذلك، فإن الأفراد أنفسهم ليس لهم على أعضاء جسدهم سلطة غير تلك التي ترتبط بغاياتهم الطبيعية. فلا يستطيعون تدميرها، أو تشويهها، أو أن يجعلوا أنفسهم بوسائل أخرى غير أهل لوظائفها الطبيعية، إلاّ إذا استحال توفير خير الجسم كله بطريقة أخرى. هذا هو تعليم العقيدة المسيحية الثابت، وذلك هو اليقين الذي يمنحه نور العقل.

الطلاق

٣٧٢٤ – إن مؤيّدي الوثنية الجديدة، الذين لم تعلّمهم الخبرة السيئة، يتابعون مناهضتهم الحادّة الدائمة التجدّد للاّانفصام المقدس في الزواج، وللشرائع التي تعزّزه. ويلحّون على نيل الإذن الشرعي بالطلاق، حتّى تقوم شريعة أكثر إنسانية، مقام الشرائع القديمة الساقطة...

ولكن تقوم في مواجهة كل تلك الحماقات... شريعة من الله لا يمكن دفعها، استفاض المسيح في تثبيتها، شريعة لا يستطيع أي مرسوم بشري، وأي استفتاء، وأي إرادة مشترعين، أن يضعفها: «ما جمعه الله فلا يفرقه إنسان» [مت ١٩:٦].

وإذ عصى الإنسان وأجرى هذا الفصل فعمله لا مفعول له... وقد قال ذلك المسيح نفسه: «كل من طلق امرأته وتزوج أخرى فقد زنى، ومن تزوج امرأة طلقها رجلها فقد زنى» [مت ١٦:١٨] كلمات المسيح هذه تنطبق على كل زواج، وإن كان طبيعيًا وشرعيًا فقط، لأن هذا اللاانفصام يوافق كل زواج حقيقي، فبه يمتنع فسخ الوثاق على رضى الفريقين وعلى كل سلطة دنيويّة.

٣٧٢٥ – ٣٧٤٤ – الرسالة العامة «Quadragesimo anno»، ١٥ أيار ١٩٣١

سلطة الكنيسة في المجالين الاجتماعي والاقتصادي

٣٧٢٥ – [قبل أن تُبسط عقيدة الكنيسة الاجتماعية]، يجب التذكير أوّلاً... بأن لنا الحق وعلينا الواجب أن نبدي رأينا، بسلطتنا العظمى، في هذه المشاكل الاجتماعية والاقتصادية. أجل، إن المهمّة الموكلة إلى الكنيسة ليست قيادة الناس إلى سعادة عابرة فقط وسريعة العطب، وإنّما إلى السعادة الأبدية. بل «إن الكنيسة لا تقرّ لنفسها الحق في التدخل دون سبب في الأمور الزمنية»، ولكنها لا تستطيع بأي وجه من الوجوه التخلّي عن المهمة التي أوكلها الله إليها، أن تربط سلطتها لا بالمجال التقني الذي ليس عندها فيه الوسائل المناسبة ولا الاختصاص، ولكن بكل ما يتعلّق بالشريعة الأخلاقية...

حتّى وإن صحّ أن الاقتصاد ومادّة الأخلاق يستعملان في مجالها مبادئ خاصّة بها، فمن الخطأ القول إن مجال الاقتصاد ومجال الأخلاق بعيدان وغريبان وأحدهما عن الآخر بُعدًا يجعل الأول لا يتعلّق بالثاني بأي وجه من الوجوه.

حق التملّك والتصرّف

٣٧٢٦ – (الوجه الفردي الاجتماعي). لا بدّ أولاً أن نَعُدَّ ثابتًا وأكيدًا أن لاون (الثالث عشر) واللاهوتيين الذين علّموا، بقيادة الكنيسة وتوجيهها، لم ينكروا قط أو

يضعوا موضع الشكّ وجه الملكية المزدوج، المسمّى بالفرديّ والاجتماعيّ، بحسب ما يكون متعلّقاً بالأفراد أو يعود إلى الخير العام. ولكنهم قالوا دائمًا بالإجماع إن البشر نالوا حق الملكية الخاصّة من الطبيعة، وبالتالي من الخالق ذاته، لكي يستطيع كل واحد أن يوفر المعيشة له ولعياله، ولكي تفيد الخيرات الذي أعدها الله لكل الأسرة البشرية، بفضل هذه المؤسسة، في بلوغ تلك الغاية. ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلاّ بالمحافظة على نظام أكيد ذي تنسيق جيّد.

فيجب إذن الاحتراز من عائق مزدوج قد نلتقيه، فكما أن إنكار أو إضعاف الوجه الاجتماعي والعام للحق في الملكية يؤدي إلى «الفردية»، أو يقرّب منها، كذلك رفض أو إنقاص الوجه الخاص والفردي يؤدي بالضرورة إلى «الجماعيّة» أو إلى ما يقارب مواقفها...

٣٧٢٧ – (واجبات ملازمة للملكية)... يجب أن نضع أولاً نوعًا من مبدإ أساسي ما وضعه لاون الثالث عشر، أي أن الحق في الملكية يختلف عن استعماله [٣٢٦٧]. فالحفاظ على سلامة توزيع الملكية، وعدم تجاوز حدود الملكية الخاصة للتعدي على حق الغير، هذا ما تأمر به تلك العدالة المسمّاة بالتبادليّة. وبالمقابل، إن استعمال المالكين لملكهم بنزاهة فقط لا يرتبط بهذه العدالة، ولكن بفضائل أخرى «لا حقّ في الإلزام بواجباتها بالطريقة القانونية»... [المرجع السابق].

فالبعض إذن هم على خطإٍ عندما يزعمون أن الملكية وحسن استعمالها محصوران ضمن الحدود عينها. ويبعد أكثر جدًّا عن الحقيقة من يقول إن سوء التصرّف أو عدم الاستعمال يسقطان حق الملكية أو يُفقدانه.

٣٧٢٨ – [ما تستطيعه السلطة العامّة]. إن ضرورة اعتداد الناس، في هذا الموضوع، لا بمصلحتهم الشخصية فقط ولكن بالخير العام، تنتج من الوجه ذاته الفردي والجماعي للملكية، الذي تكلّمنا عليه. أمّا تحديد هذه الواجبات بالتفصيل، عندما تقتضي الضرورة، ولا تكون الشريعة الطبيعية ذاتها قد فعلت ذلك، إنّما يعود إلى من يحكمون المجتمع. لذلك، فبإمكان السلطة العامة، وهي تستضيء دائمًا بنور الشريعة الإلهية والطبيعية، أن تحدد بدقة أكثر الاستعمال الذي يجوز أو

لا يجوز للمالكين اعتماده بالنسبة إلى الخيور التي يملكونها، آخذين بالحسبان ضرورة الخير العام الحقيقية.

وكان لاون الثالث عشر قد علم بحكمة: «أن الله قد ترك تحديد الممتلكات الفردية لبراعة البشر ولمؤسسات الشعوب»...

ومن الواضح مع ذلك أن السلطة العامة لا يحق لها القيام بوظيفتها على هواها. فمن الواجب دائما أن يبقى التملك الطبيعي ذاته لخيور خاصة، وحق نقلها بالتوريث سليمين ومصونين، ولا تستطيع السلطة العامة إلغاءهما، «فالإنسان أقدم من الدولة» [٣٢٦٥]، وكذلك «الجماعة المنزلية لها على المجتمع المدني أسبقية منطقية وحقيقية»...

٣٧٢٩ - [واجبات تتعلّق بالمداخيل المتوفرة] كذلك لا يستطيع الإنسان أن يستعمل على هواه بالمطلق، مداخيله المتوفرة، أي تلك التي لا يحتاج إليها لعيشة مُناسبة ولائقة. وبالعكس، على الأغنياء فريضة ثقيلة جدًا أن يمارسوا الإحسان، وعمل الخير، والكرم، كما تعلم الكتب المقدسة وآباء الكنيسة القديسون.

فوقف مداخيل أوفر على إيجاد إمكانات أكبر لعمل ذي مردود، ما دام هذا العمل ينتج خيورًا مفيدة حقًا، أمر يجب أن ينظر إليه كأنه من فضيلة الكرم البارزة خصوصا والمناسبة لاحتياجات عصرنا، كما يستنتج ذلك من مبادئ الملفان الملائكي (توما الأكويني).

٣٧٣٠ - (مستند اكتساب الملكية) إن مستند الملكية الأصلي يتأتى إمّا من احتلال خير ليس لأحد، وإمّا من العمل، وإمّا من التخصيص، كما يشهد بذلك بوضوح التقليد العام وسلفنا لاون. وبخلاف ما يروي البعض لا مظلمة على أحد عندما يشغل ملك سائب لا يخصّ أحداً.

إن العمل الذي يقوم به الإنسان باسمه، والذي به يكتسب شيء شكلاً جديدًا أو ينال مزيدًا من القيمة هو وحده الذي يعطي ثماره لمن يعمل.

الرأسمال والعمل

٣٧٣١ - إن العمل الذي يستأجره آخر وينطبق على ما هو للغير، تختلف طبيعته تماما.

فله على الخصوص يصلح قول لاون الثالث إنه «لا نزاع فيه» وإن «ثروات البلد لا تأتي إلاّ من تعب العمال»...

وينتج من ذلك أنه عندما لا يعمل إنسان في ما يخصه، يجب أن يشترك عمل الواحد مع ما هو للغير. وفي الواقع لا يستطيع أي منها شيئًا بدون الآخر...

٣٧٣٢ – (المبدأ الموجه للتخصيص)... على الاثنتين (الطبقتين الاجتماعيتين) أن تقبلا كلام التحريض الحكيم جدًا الصادر عن سلفنا: «إن الأرض، وإن كانت مقسومة بين أشخاص خاصين فهي لا تكف عن أن تكون في خدمة منفعة الجميع»... لذلك، فالثروات التي تزداد باستمرار بالنمو الاقتصادي والاجتماعي يجب أن توزع على مختلف الأشخاص وعلى طبقات الناس بحيث تتوفر منفعة الجميع العامة هذه، التي أثنى عليها لاون الثالث عشر، أو بكلام آخر، يحفظ كاملا الخير العام الذي للمجتمع كله. بشريعة العدالة الاجتماعية هذه ينهى عن منع طبقةٍ طبقةً أخرى من المشاركة في الأرباح.

إن طبقة الأغنياء تخالف هذه الشريعة، عندما ترى عادلاً، وقد خلت بالثروة من أي همّ، النظام الذي فيه يعود كل شيء لها ولا شيء للعمّال، مثلما تخالف طبقةُ العمّال عندما يغضبها ما أصاب العدالة من جراح، فتندفع بطريقة سيئة إلى المطالبة بحقّها فقط الذي تعيه، وتطلب كل شيء لها لأنه من صنع يديها، ولذلك تسعى إلى محاربة وإلغاء الملكيّة، والمداخيل أو الأرباح التي ليست ثمرة عملها، مهما كان نوعها ووظيفتها في المجتمع البشري، لسبب واحد هو أن هذه هي خاصّتها. ولا يمكن أيضًا الصمت، في هذا الشأن، عن أن البعض يرجعون باطلاً وبدون أساس إلى الرسول القائل: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل» [٢ تس ٣: ٨ – ١٠]. فهذا الحكم يقضي به الرسول على من يمتنعون عن العمل وإن كان ذلك في استطاعتهم ومن واجبهم، وينبّه إلى الاستفادة بعناية من الوقت ومن قوى الجسم وقوى العقل، فلا يكون الإنسان عالة على الآخرين، عندما نكون قادرين على سدّ حاجاتنا بأنفسنا. أمّا أن يكون العمل المستند الوحيد للحصول على المعيشة أو المدخول فذلك ما لم يعلّمه الرسول بأي وجه من الوجوه [ر ٢ تس ٣: ٨ – ١٠].

الأجر العادل للعمل

٣٧٣٣ – (عقد الأجر ليس في حد ذاته غير عادل) أوّلا القول بأن عقد الإيجار وأجر العمل هما غير عادلين بطبيعتها، وأنه من الواجب استبدالهما بعقد مشاركة، هو قول أحمق، وفيه افتئات على سلفنا الذي لا يكتفي في رسالته العامة بقبول «عقد الأجر» ولكنه يطيل الكلام على تنظيمه بحسب قواعد العدالة.

ومع ذلك فنحن نرى، اعتمادًا على ظروف الجماعة البشرية اليوم، أنه من الأوفق، عندما يكون الأمر ممكنًا، أن يلطَّف عقد العمل بقدر من عقد المشاركة.

... وهكذا يكون العمّال والمستخدمون مشاركين في الملكية أو الإدارة، أو يكون لهم بوجه ما نصيب من الأرباح الحاصلة.

٣٧٣٤ – وهذا النصيب العادل من الأجر يجب أن لا يقدر بالاستناد إلى وجهة نظر واحدة، ولكن إلى أكثر. وكان لاون الثالث عشر قد قال ذلك بهذا الكلام المناسب: «لتحديد الأجر بإنصاف يجب اعتماد أسباب عدة»...

(خاصة العمل الفردية والاجتماعية)... ندرك بسهولة أن العمل ـ كما الملكية ـ خصوصًا ذاك المؤجر للغير، يستدعي أن ينظر فيه، علاوة على خاصته الشخصية والفردية، إلى وجهه الاجتماعي أيضًا. وفي الواقع إذا لم يكن هناك جسم اجتماعي وعضوي حقيقي، وإذا لم يقم نظام اجتماعي وقانوني يحامي عن ممارسة العمل، وإذا لم تتوافق وتتكامل معًا المهن المختلفة المتعلّق بعضها ببعض، وإذا ـ وهذا أخطر ـ لم يتشارك ولم يجتمع في نوع من الوحدة، الروح والملكية والعمل، فلا يستطيع نشاط البشر أن يؤتي ثماره. ولا يمكنه إذن أن يقدر تقديرًا عادلاً، ولا أن يؤجر بإنصاف، إذا أهملت طبيعته الاجتماعية والفردية. (يجب النظر إلى ثلاثة أمور) ومن هذه الخاصة المزدوجة التي وسمت بها الطبيعة عمل الإنسان تحصل نتائج خطيرة جدًا عليها أن تتحكّم في الأجر وتحدده...

٣٧٣٥ – (أ – معيشة العامل وأجره) بادئ ذي بدء يجب إعطاء العامل أجرًا يكفي لمعيشته ومعيشة أسرته. من الأكيد أن العدالة تقضي بأن يساهم أيضًا باقي أسرته، بحسب الاستطاعة، في إعالة الجميع المشتركة، كما يُرى ذلك في أُسَر المزارعين،

وكذلك في عدد كبير من أُسَر الصُنَّاع وصغار التجّار. ولكن هناك ما يخالف العدالة في إساءة استعمال سن الأولاد وضعف النساء.

وينبغي أن تؤدّي أمّهات الأسر عملهنّ في المنزل قبل كل شيء، أو في جوار المنزل، متفرّغات للشؤون المنزلية. فذلك إذن سوء تصرّف مضرّ جدًّا، يجب بذل كل الجهد لإزالته، أن تضطر أمّهات الأسر، بسبب ضآلة أجر الأب، إلى ممارسة نشاط مأجور خارجًا عن المنزل، مُهمِلات المهمات والواجبات الخاصّة بهن، وعلى الخصوص تربية الأولاد.

٣٧٣٦ – (ب – حالة المؤسّسة) في تحديد مبلغ الأجر، لا بدّ أيضًا من الأخذ بالحسبان المؤسّسة ومن يتولّاها: فمن غير العادل طلب أجور مفرطة لا تستطيع المؤسّسة أن تتحمّلها دون أن تنهار، وأن تجرّ بذلك كارثة على العمّال. ولكن، إذا حقّقت ربحًا أقلّ، بسبب التواني، أو عدم الالتزام، أو إهمال التقدّم الاقتصادي والتقني، فلا تستطيع أن تحسب ذلك سببًا كافيًا لإنقاص أجر العمّال.

أمّا إذا كانت المؤسّسة لا تحصل على مال كاف لتعطي العمّال أجرًا عادلاً، إمّا لأنها تقع تحت عبء تكاليف غير عادلة، وإمّا لأنها مضطرة لبيع إنتاجها بثمن أقل من الثمن العادل، فالذين يلحّون عليها يرتكبون إثمًا كبيرًا، إذ يحرمون العمّال من أجرهم العادل، إذ إنهم بدافع الحاجة يُضطرّون إلى الرضى بأجر ينقص عمّا هو عادل.

٣٧٣٧ – (ج – مطاليب الخير العام) أخيرًا يجب أن يُحدّد مبلغ الأجر بعد أخذ الخير الاقتصادي العام بالحسبان. لقد عرضنا آنفًا كم يؤدي إلى الخير العام ادّخارُ العمّالِ والمستخدمين النصيبَ الباقي من أجرهم، بعد صرف ما لا بدّ منه، على الإعالة، وبلوغهم رويدًا رويدًا إلى ثروة متواضعة. ولكن هناك شيئًا آخر أيضًا، لا يقل خطورة، يجب أن لا يُصمت عنه، وهو ضروري على الخصوص في أيامنا: أي أن تعطى للذين يستطيعون ويريدون العمل إمكانية أن يعملوا...

فممّا يتعارض والعدالة الاجتماعية إذن، المغالاة في تقليل أو تكثير أجر العمّال، لتوفير المصلحة الخاصة، وجعل الخير العام في المنزلة الثانية. وتقضي تلك العدالة

بالمقابل بأن يكون هناك، قدر المستطاع، تجميع للقرارات والإرادات، وأن تحدّد الأجور بحيث يستطيع العدد الأكبر الممكن تأجير قدرته على العمل، والحصول على ثمار تمكّن من توفير ما تقوم به الحياة.

النظام الاجتماعي العادل

٣٧٣٨ – وإن صحّ... أن الكثير من الأشياء لا يمكن تحقيقها، بسبب تطوّر الأحوال، إلاّ بشركات كبيرة، بينما كانت ممكنة أيضًا، في الأزمنة السابقة، بشركات صغيرة، فهناك مبدأ ذو وزن كبير ما زال على ثباته في الفلسفة الأخلاقيّة: كما أن ما يمكن أناسًا أفرادًا القيام به، بمبادرتهم الخاصة ووسائلهم الخاصة، يجب أن لا يُنزع منهم ويُنقل إلى الجماعة، كذلك يكون مخالفًا للعدالة وضررًا كبيرًا في الوقت عينه، وبلبلة لنظام الأشياء الصحيح، أن يُعهد إلى مجموعة أكبر وأعلى بما يمكن أن تعمله وتتمّه مجموعات أصغر وأدنى. فكل نشاط اجتماعي، بماهيته وطبيعته، يجب أن يأتي بالعون لأعضاء الجسم الاجتماعي، وعليه أن لا يهدمه أو يبتلعه أبدًا...

لذلك يجب أن يوقن الحكّام بهذا: أنه كلّما كان النظام التسلسلي بين مختلف الجماعات مضمونًا على وجه كامل، باحترام مبدأ الوظيفة «الثانوية» هذا، قويت السلطة والفاعلية الاجتماعية، وازدادت حالة الشؤون العامة نجاحًا وازدهارًا.

٣٧٣٩ – تعاون «المنظومات» [بعد تجاوز التعارض بين «الطبقات» المتخاصمة]... فمن الضروري إذن أن تعكف السياسة الاجتماعية على تكوين «المنظومات» من جديد... ولن يكون شفاء كامل إلاّ إذا كُوّن في الجسم الاجتماعي أعضاء متناسقون جيدًا، بعد إقصاء هذه المخاصمة: أي «منظومات» يدخل فيها الناس لا بحسب موقع الشخص في سوق العمل، إنما بحسب المهام الاجتماعية التي يقوم بها. فبحسب ما تقود إليه الطبيعة يحصل... أن مَن يمارسون الحرفة نفسها بل المهنة نفسها – سواء أاقتصادية كانت أم غير ذلك – يؤلّفون تجمعات أو منظومات، بحيث ينظر الكثيرون إلى هذه التكتلات التي لها قانونها الخاص، كأنها طبيعية على الأقل في المجتمع المدني إن لم تكن أساسية.

٣٧٤٠ – (حرية التجمّع) فكما أن سكّان مدينة يعتادون أن يؤسّسو، لغايات كثيرة التنوّع، تجمّعات يُتاح لكل واحد أن ينضم إليها أو لا، كذلك من يمارسون المهنة عينها يؤلّفون أيضًا بعضهم مع بعض تجمّعات حرّة، لغايات ترتبط بوجه أو بآخر بالمهنة التي يمارسونها...

نكتفي بإبراز ما يلي: للإنسان الإمكانية والحرّية لا لتأسيس تجمّعات من حق ونظام خاص فقط، ولكن أيضًا «لأن يختار بحرّية النظام الأساسي والقواعد التي يُرى أنها تؤدي بأفضل سبيل إلى الغاية المتوخاة». ويجب تأكيد الحرّية ذاتها لإقامة تجمّعات تتجاوز حدود المهن المختلفة».

٣٧٤١ – (إدخال مبدإ توجيهي للاقتصاد) يجب الاهتمام بشيء آخر أيضًا وثيق الصلة بما سبق. فكما أن وحدة المجتمع البشري لا يمكن أن تؤسّس على اختلاف «الطبقات»، كذلك نظام الاقتصاد العادل لا يمكن أن يُسلِّم إلى تنافس القِوى. وإن كان التنافس الحرّ، المحصور ضمن حدود العدالة، أمرًا شرعيًا ومفيدًا بلا ريب، فهو لا يستطيع أن يوجّه كليًا الاقتصاد. وهذا ما برهنت عليه الوقائع بوفرة، منذ تطبيق مبادئ روح فردية خادعة...

وتتضاءل قدرة السلطان الاقتصادي على ممارسة دور [المبدإ الموجِّه] بقدر ما هو قوّة غاشمة وعنيفة... لا يسعها أن توجه نفسها. فلا بدّ إذن من مبادئ أسمى وأشرف، تحكم هذا السلطان بشدّة وتجرّد: أي العدالة الاجتماعية والمحبة الاجتماعية.

الاشتراكية

٣٧٤٢ – نعلن هذا: لا يمكن الاشتراكية، إن نُظر إليها كعقيدة، أو كواقعة تاريخية، أو كفعل، إذا بقيت حقًا اشتراكية، حتّى بعد أن نكون قد تركنا للحقيقة والعدالة ما قلناه، أن تتلاءم مع عقائد الكنيسة الكاثوليكية. فهي تعتنق مفهومًا للمجتمع غريبًا إلى أقصى حدّ عن الحقيقة المسيحية.

٣٧٤٣ – (إنها تعتنق مفاهيم للمجتمع ولخاصة الإنسان الاجتماعية غريبة كل الغرابة عن الحقيقة المسيحية) فبحسب العقيدة الكاثوليكية، إن الإنسان ذي الطبيعة الاجتماعية قد جُعل على هذه الأرض ليحيا حياته في مجتمع، وتحت سلطة أقامها

الله [ر رو١٣ : ١]، لكي يحرث وينمّي تمامًا كل مَلَكاته لمدح خالقه ومجده، ولكي يؤمن سعادته الزمنية والأبدية، بتتميم واجبات مهنته أو دعوته، مهما كانت. ولكن الاشتراكية، تتناسى تمامًا هذه الغاية السامية للإنسان وللمجتمع، وتهملها، فتؤكّد أن الجماعة البشرية لم تُجعل إلاّ لأجل رغد العيش فقط

٣٧٤٤ – (الكاثوليكي والاشتراكي متناقضان) حتّى إذا كانت الاشتراكية، مثل كل الضالات، تحوي نصيبًا من الحقيقة (وهذا ما لم ينكره قط الأحبار العظام)، فهي مع ذلك ترتكز على عقيدة في شأن المجتمع، خاصة بها، لا تتلاءم مع المسيحية الأصيلة، فالاشتراكية الدينية، والاشتراكية المسيحية كلمات متناقضة: وليس في وسع أحد أن يكون في آن واحد كاثوليكيًا أصيلاً واشتراكيًا بالمعنى الصحيح للكلمة.

٣٧٤٨ – جواب مجمع التوبة المقدّس، ٢٠ تموز ١٩٣٢

اللجوء الحصري إلى أوقات عدم الخصب

٣٧٤٨ – سؤال: هل تحل ممارسة الزوجين، في حد ذاتها، عندما يفضلان، لأسباب صحيحة وخطيرة، أن يقصيا النسل بطريقة صالحة، فيمتنعا برضى متبادل، ولأسباب صالحة، عن ممارسة الزواج، إلاّ في الأيام التي يستحيل فيها الحبل لأسباب طبيعية، بحسب نظريات بعض العلماء المحدثين [أوجينو – كناوس]؟

جواب: عولج هذا الموضوع في جواب مجمع التوبة المقدّس، في ١٦ حزيران ١٨٨٠ [٣١٤٨].

٣٧٥٠ – ٣٧٥١ – جواب لجنة الكتاب المقدّس، ١ تموز ١٩٣٣

تفسير خاطئ للمزمور ١٦ (١٥): ١٠؛ مت ١٦: ٢٦ ولو ٩: ٢٥

٣٧٥٠ – سؤال: هل يجوز للكاثوليكي، خصوصًا بعد التفسير الأصيل الذي أعطاه زعيم الرسل [أع ٢: ٢٤؛ ٣٣: ٣٥ – ٣٧] أن يفسّر كلام المزمور ١٦: ١٠ – ١١:

«إنك لا تترك نفسي في الجحيم ولا تدع قدوسك يرى فسادًا. قد عرفتني سبل الحياة» كأن الكاتب لم يرد الكلام على قيامة ربنا يسوع المسيح؟
جواب: كلاّ

٣٧٥١ – سؤال ٢: هل يجوز القول إن كلام يسوع الذي يقرأ في القديس متّى ١٦: ٢٦: «ماذا ينفع الإنسان أن يربح العالم كله، إذا خسر نفسه؟ أم ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه»، وكذلك الكلام الآتي الذي يقرأ في القديس لوقا: «ماذا ينفع الإنسان أن يربح العالم كله، ويهلك هو نفسه أو يخسر نفسه؟»، لا يعنيان، بالمعنى الحرفي، الخلاص الأبدي، وإنّما حياة الإنسان الزمنية فقط، على رغم منطوق الكلمات ذاتها وقرينتها والتفسير الكاثوليكي الإجماعي؟جواب: كلاّ

٣٧٥٥ – ٣٧٥٨ – الرسالة العامّة «Ad catholici sacerdotii»، ٢٠ كانون الأول ١٩٣٥

مفاعيل الرسامة

٣٧٥٥ – الكاهن خادم المسيح: فهو إذن كأداة للفادي الإلهي، لكي يستطيع أن يتابع عبر الزمن عمله العجيب، الذي أعاد، بالفاعلية العلوية، كل الجماعة البشرية، وقادها إلى عبادة أكمل. وهو، كما نقدر أن نسميه بحق وأمام الملإ، «مسيح آخر» لأنه يمثل شخصه بحسب هذا الكلام: «كما أرسلني الآب كذلك أنا أرسلكم» [يو ٢٠: ٢١]...

٣٧٥٦ – ... بما أن هذه السلطات الممنوحة للكاهن بسر خاص، لها أصل في سمة لا تمحى مطبوعة في نفسه، بها يصبح، على مثال من يشارك في كهنوته، «كاهنًا إلى الأبد» [مز ١١٠: ٤] فهي غير عابرة ووقتية، بل ثابتة ودائمة. حتّى وإن وجد، بفعل الضعف البشري، في ضلال، أو سقط في حياة غير صالحة، فهو لا يستطيع أبدًا محو تلك السمة الكهنوتية من نفسه.

وأكثر من ذلك... فقط أعطيت له نعمة جديدة وخاصة، وعون خاص، يمكنانه

– إذا ما ساعد بأمانة، متعاوناً بفعله الحر، قوة المواهب السماوية ذات الفاعلية الإلهية – من القيام فعلياً بكرامة وقلب شجاع بما للخدمة التي قبلها من مهام صعبة...

الصلوات الليتورجية

٣٧٥٧ – ... والكاهن أخيرًا – متابعًا في ذلك أيضًا خدمة يسوع المسيح الذي «كان يمضي الليل في الصلاة إلى الله» [لو ٦: ١٢]، والذي يحيا دائمًا ليشفع فينا [عب ٧: ٢٥] – هو بوظيفته الشفيع العام عند الله لأجلنا. ورسالته أن يقدم للإله السماوي، باسم الكنيسة، لا ذبيحة المذبح الخاصة والحقيقيّة فحسب، ولكن أيضًا «ذبيحة التسبيح» [مز ٥٠: ١٤] والصلوات المشتركة. فهو يقدّم كل يوم لله، بالمزامير والصلوات، والأناشيد، المستقاة بمعظمها من الكتاب المقدّس، ويجدد دائمًا، خدمة العبادة الواجبة له، ويتممّ لأجل البشر مهمّة الشفاعة الضرورية...

٣٧٥٨ – فإذا كان للتوسل الخاص من الوعود العلنية والجميلة مثل تلك التي أعطاها يسوع المسيح [رمت ٧: ٧ – ١١؛ مر ١١: ٢٤، لو ١١، ٩ – ١٣] فالصلوات المقامة وظيفيا باسم الكنيسة، عروس الفادي المحبوبة، لها بلا ريب قوة ومقدرة أعظم أيضًا.

٣٧٦٠ – ٣٧٦٥ – جواب المجمع المقدّس، في ١١ آب ١٩٣٦

التعقيم

٣٧٦٠ – عرض: ... إن الجراحة التي تؤدي إلى تعقيم ليست «عملاً سيئًا بذاته بالنسبة إلى جوهر الفعل»، ويمكن بالتالي أن تكون جائزة إذا كانت ضرورية لتوفير صحة جيدة. أمّا إذا أجريت للحيلولة دون ولادة الأولاد فهي «عمل سيئ بذاته بسبب فقدان الحق عند الفاعل»، إذ لا الإنسان الخاص، ولا السلطة العامة لها سلطان مباشر على تصرّف بأعضاء الجسد يصل إلى هذا الحد.

٣٧٦١ – إن هذه العقيدة، التي أعلنها الحبر الأعظم بصراحة، يجب أن تطبق تمامًا على

قانون التعقيم الذي نحن بصدده. وكون هذا القانون المعد للحيلولة دون نسل مُعاق، تمليه أسباب جودة النسل فحسب، أو بالحري، تدارك أضرار اقتصادية أو غيرها من هذا النوع، لا يغير شيئًا في الموضوع ولا يعوض من فقدان الحق عند الفاعل. ولذلك فإن جراحة التعقيم يجب أن تحسب غير عادلة بذاتها، وهي كذلك.

٣٧٦٢ – وبالتالي: حتّى إذا كانت غاية القانون، التي هي العناية بصحة وقوة النسل، ومنع النسل المعاق، ليست مرذولة، يجب مع ذلك رذل موضوع القانون تمامًا، أيّ الوسيلة المفروضة لبلوغ تلك الغاية. [بنتيجة ذلك أعطى المجمع المقدّس هذا الجواب في ١٥ تموز ١٩٣٦:].

٣٧٦٣ – ١ – التعقيم الذي يجرى لهذه الغاية أي للحيلولة دون نسل، هو عمل سيئ بذاته لفقدان الحق عند الفاعل. ولذلك فالشريعة الطبيعية ذاتها تمنعه هي، أأجري بقوة سلطة خاصّة أو بقوة سلطة عامّة.

٣٧٦٤ – ٢ –... «إن القانون الذي يقصد منع النسل المصاب بمرض وراثي»، بمقدار ما يفرض إمّا طلب التعقيم وإمّا إجراءه، هو مناقض للخير العام الحقيقي، وغير عادل، ولا يمكنه أن يلزم إلزامًا ضميريًا.

٣٧٦٥ – ٣ – الموافقة على هذا القانون، والتوصية به، وتطبيقه بحكم قضائي على حالات خاصة لكي يجري التعقيم، وكذلك الموافقة على التعقيم ذاته لمنع النسل... تعني الموافقة على شيء سيئ بذاته... ولذلك فهي فاسدة أخلاقيًّا وغير جائزة.

٣٧٧١ – ٣٧٧٤ – الرسالة العامّة «Divini Redemptoris»، ١٩ آذار ١٩٣٧

حقوق الشخص البشري والدولة

٣٧٧١ – [للإنسان] نفس روحية وخالدة. وبما أنه شخص منحه الخالق العلي مواهب عجيبة في الجسد والنفس، فبالإمكان تسميّته فعلاً، بحسب مفهوم الكتّاب

القدامى، «عالمًا صغيرًا»، إذ إنه يتجاوز، ومن بعيد، مجموعة الأشياء الجامدة التي لا استقصاء لها. إن الله وحده هو الغاية القصوى ليس فقط في هذه الحياة الفانية ولكن أيضًا في تلك الباقية إلى الأبد. ولأن الإنسان قد رفع إلى كرامة ابن الله، بالنعمة التي تمنح القداسة، فهو متحد بالملكوت الإلهي في جسد يسوع المسيح السري.

لذلك أعطته الألوهة السماوية مواهب كثيرة ومتنوعة، كالحق في سلامة الحياة والجسد. وكذلك الحقوق في قبول الأشياء الضروريّة، والسعي بالطريقة المناسبة إلى الغاية القصوى التي يعرضها الله عليه، وأخيرًا حقوق التجمّع، وتملّك أموال خاصّة والتمتع باستعمالها.

وعلاوة على ذلك: إن الاقتران الزواجي كممارسته الطبيعية أيضًا هما من تدبير إلهي. وكذلك ليس لتكوين الجماعة المنزلية ومهماتها الأساسية أصل في إرادة بشرية أو علّة اقتصادية، ولكن في الخالق العظيم لكل الأشياء بذاته...

٣٧٧٢ – ولكن الله شاء بالطريقة عينها أن يولد الإنسان ويُنشّأ ليعيش في المجتمع المدني، كما تقتضي ذلك من جهة أخرى الطبيعة ذاتها. فالمجتمع، بحسب قصد الخالق الإلهي، هو عون طبيعي يستطيع كل إنسان وعليه أن يستخدمه لبلوغ الغاية التي جعلت له: فالمدينة وجدت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل المدينة.

ولكن يجب أن لا يفهم ذلك بالمعنى الذي يقصده من يسمون بالأحرار في عقيدتهم الفردية. فهؤلاء يطلبون أن تخدم الجماعة مصالح الأفراد المفرطة. ولكن تفهم بالحري بهذا المعنى، أن الجميع، باتحادهم بالمجتمع في نظام منسق، وبتضافر نشاطاتهم يستطيعون أن يحصلوا على الازدهار الأرضي، بالمعنى الصحيح للكلمة. وبهذا المعنى أيضًا، أن حياة الناس المشتركة تؤدي إلى ازدهار ونمو تلك المواهب الخاصة والعامة للنفس، التي جعلتها الطبيعة في الإنسان، والتي تسمو على المصالح الزمنية والخاصة، وتعكس في المجتمع المدني كمال الله. وهذا لا يمكن على الإطلاق أن يحصل عند الإنسان الفرد. وهذا يخدم الإنسان أيضًا بمقدار ما يطلع على تلك الصورة للكمال الإلهي، ويرجع ما ناله إلى الخالق...

٣٧٧٣ – وكما أن الإنسان لا يستطيع التملص من تلك الواجبات التي تلزمه، بإرادة الله ، تجاه المجتمع المدني، لذلك يحق لمن يديرون الحياة المدنية أن يرغموه على تتميم واجبه، عندما يرفض الخضوع دون سبب شرعي ، كذلك المجتمع لا يستطيع تجريد المواطن من الحقوق التي أولاه إياها الله الخالق، والتي أبرزنا آنفًا باختصار أهمّها، ولا جعل ممارستها مستحيلة بطريقة تحكمية. لذلك إنه لمبدأ ناتج من تفكيرنا العقلي، وينسجم معه، أن جميع الكائنات الأرضية وجدت لاستعمال الإنسان ونشاطه، وأنها لهذا السبب يجب أن ترجع بسبيله إلى الخالق...

فبينما العقائد الشيوعية تفقر إذن الشخص البشري إلى حد قلب العلاقات بين المواطنين والمجتمع تمامًا، يرفعه العقل البشري والوحي الإلهي إلى هذه الأعالي.

لقد عرض سلفنا السعيد الذكر لاون الثالث عشر توجيهات ذات فاعلية في شأن الحقائق الاقتصادية والاجتماعية، وفي شأن مسألة العمّال... ونحن أنفسنا... قد جعلناها تتلاءم وظروف عصرنا واحتياجاته. وفي الرسالة... بما أن الكلام على الطبيعة المتميزة للملكية الخاصة، وما هو من شأن الأفراد والمجتمع ، فقد حددنا بوضوح ودقة حقوق وكرامة العمل البشري، وعلاقات العون والمساندة المتبادلة بين من يضعون رأس المال ومن يقومون بالعمل، وأخيرًا الأجر الواجب للعمّال بما تقتضيه العدالة، والذي هو ضروريّ لهم ولأسرهم.

العدالة الاجتماعية

٣٧٧٤ – يجب النظر علاوة على عدالة المعاوضة إلى العدالة الاجتماعية أيضًا، التي تفرض هي نفسها واجبات لا يسع العمّال ولا أرباب العمل التملص منها. ويعود إلى العدالة الاجتماعية أن تطلب من كل واحد كل ما هو ضروري للخير العام.

ولكن، كما هي الحال في كل بنية حية، لا خير يتوفر للكل إذا لم يعط لكل عضو ما يحتاج إليه للقيام بوظائفه. كذلك، بالنسبة إلى تكوين وصحة تنظيم الجماعة، لا يمكن توفير خير المجتمع كله إن لم يعطِ الأعضاء على تنوعهم – أي الناس الذين لهم كرامة الأشخاص – كل ما هو ضروري لهم لكي يقوم لك واحد بوظيفته الاجتماعية.

لذلك، إذا توفرت العدالة الاجتماعية، تنتج من الاقتصاد ثمار وفيرة لنشاط شديد، تنضج في النظام والاطمئنان، وتظهر قوة المدينة وصلابتها، مثلما تبين صحة الجسم البشري بنشاطه المتناغم الكامل المثمر.

كذلك لن تأخذ العدالة الاجتماعية حقها كفاية، إذا لم يتمكّن العمّال من توفير معيشتهم ومعيشة أسرتهم بطريقة أكيدة، بالأجر الذي ينالونه والمناسب موضوعيًا. وإذا لم توفر لهم إمكانية الحصول على مال متواضع يجنبهم قرحة الفقر تلك المنتشرة كثيرًا. وإذا أخيرًا لم توضع مخططات ملائمة، تعد لمصلحتهم، يستطيعون بالاستناد إليها، وبالاعتماد على التأمين الخاص أو العام، أن يتخذوا إجراءات لأجل شيخوختهم والمرض والبطالة.

٣٧٧٥ – ٣٧٧٦ – الرسالة العامّة «Firmissimam constantiam» إلى أساقفة الولايات المتحدة المكسيكيّة، ٢٨ آذار ١٩٣٧

مقاومة تعسف سلطة الدولة

٣٧٧٥ – لقد علمتم أن الكنيسة تحبذ السلام والنظام، وإن كلّفها ذلك مضايقات شديدة، وأنها تدين كل عصيان غير عادل أو كل عنف ضد السلطات القائمة. ومن جهة أخرى قيل أيضًا عندكم إنه إذا حصل أن السلطات ذاتها قاومت صراحة العدالة والحقيقة بحيث تهدم حتّى أساسات السلطة، لا نرى لماذا يجب الحكم على المواطنين الذين يتحدون ليحافظوا على أنفسهم، ويحاموا عن الأمة، عندما يستعينون بوسائل جائزة ومقبولة لمقاومة من يسيئون استعمال السلطة ويجرون الحياة العامة إلى الخراب.

٣٧٧٦ – وإن كان حل هذه المسائل يتعلّق بالظروف الواقعية، لا بدّ من إيضاح بعض المبادئ:

١ – إن أفعال المقاومة من هذا النوع لها خاصة الوسيلة، أو الغاية النسبية، لا الغاية القصوى المطلقة.

٢ – بكونها وسائل، يجب أن تكون أفعالاً جائزة لا سيئة بحدّ ذاتها.

٣ – وبما أنه من الضروري أن تكون صالحة ومناسبة للغاية، فيجب أن لا تستعمل إلاّ بمقدار ما تؤدي تمامًا أو جزئيًا إلى الغاية المنشودة، ولكن بحيث لا تجر على الجماعة والعدالة أضراراً تفوق الأضرار المطلوب التعويض منها.

٤ – إلاّ أن استعمال هذه الوسائل، والممارسة الكاملة للحقوق المدنية والسياسية، بما أنها يتضمنان أيضًا ما يعود إلى النظام الزمني والتقني المحض، أو الدفاع بالقوة، فهما لا يعنيان مباشرة مهمة العمل الكاثوليكي، حتّى وإن كان من واجبه تعليم الناس الكاثوليكيين ممارسة حقوقهم الخاصة بعدالة، والدفاع عنها بوسائل عادلة، بحسب مقتضيات الخير العام.

٥ – بما أن من واجب الاكليروس والعمل الكاثوليكي، بفعل رسالة السلام والمحبة التي أودعاها، أن يجمعا كل الناس «في رباط السلام» [أف ٤ :٣]. فعليهما المساهمة إلى أقصى حد في ازدهار الأمة، بتعزيز كبير لاتحاد المواطنين والطبقات، وبمساندة كل المبادرات الاجتماعية التي لا تتعارض مع عقيدة المسيح والشريعة الطبيعية.

بيوس الثاني عشر: ٢ آذار ١٩٣٩ – ٩ تشرين الأول ١٩٥٨

٣٧٨٠ – ٣٧٨٦ – الرسالة العامة «summi pontificatus»، ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٩

الشريعة الطبيعية

٣٧٨٠ – يعلم الجميع أن الأصل العميق والأخير للشرور اللاحقة بالمجتمع اليوم هو في إنكار ورذل قاعدة عامة للأخلاق الصالحة، في حياة الفرد كما في حياة المجتمع نفسها، وفي العلاقات المتبادلة القائمة بين الشعوب والأمم، أي إن الشريعة الطبيعية نفسها قد غشيها الجهل والنسيان.

٣٧٨١ – هذه الشريعة الطبيعية تجد أساسها في الله، خالق كل شيء، وأبي الجميع،

والمشترع الأعظم المطلق، العالم بكل شيء، والمنتقم العادل لأفعال البشر. وعندما تنكر الألوهية الأبدية بخفة، يتزعزع بالفعل ذاته كل أساس للأخلاق، ويُرى الانطفاء أو على الأقل الضعف الكبير لصوت الطبيعة، الذي يعلم الجهّال، وكذلك الذين لم يبلغوا استعمال الثقافة المدنية، ما هو خير وما هو شر، ما هو جائز وما هو حرام، وما يذكرهم بأن عليهم في ذات يوم أن يؤدوا حسابًا عن أفعالهم الصالحة والسيئة أمام الديان الأعظم.

الحق الطبيعي وحق الشعوب

٣٧٨٢ — ... إن إهمال السلطة الإلهية وسلطان الشريعة ينتج منه حتمًا أن السلطة المدنية تستلب حقًا مطلقًا لا يخضع لأحد، هو للخالق الأعظم، وتضع نفسها مكان الخالق، وترفع الدولة أو جماعة المواطنين إلى كرامة غاية قصوى لكل حياة بشرية، وأعلى قاعدة يمكن أن توجد بين الشرائع والأخلاق. وتمنع بذلك كل لجوء إلى مبادئ العقل الطبيعي والضمير المسيحي.

... وبالتالي فإن وظيفة الدولة النبيلة جدًا هي أن تراقب وتساعد وتنظم النشاطات الخاصة والفردية في الحياة الوطنية، لكي تجعلها تتلاقى بانسجام في الخير العام، وهذا لا يمكن أن يحدده تحكم أحد، أو أن يجد غايته الأولية في الازدهار المادي للمجتمع. بل يجب أن يحدد بصواب استنادًا إلى تقدم الإنسان وكماله الطبيعي، الذي أرصد له الخالق الأعظم المجتمع كله، كوسيلة وعون...

٣٧٨٣ — ... إن هذا المفهوم، أيها الأخوة الأجلاء، الذي يولي الدولة سلطة تكاد تكون بلا حدود، يبدو ليس فقط كضلال يسيء إلى حياة الأمم الداخلية وازدياد نمو ازدهارها، بل يلحق أيضًا الأذى بالعلاقات بين الشعوب، فهو يحطم تلك الوحدة التي بها يجب أن تتماسك الشعوب معًا، وينزع من حق الشعوب أساسه وقيمته. ويصعّب التفاهم والحياة المشتركة في السلام، مشرعًا الباب أمام التعدي على حقوق الغير.

٣٧٨٤ — فعلى كون المجتمع البشري، بحكم النظام الطبيعي الذي وضعه الله، ينقسم إلى فئات اجتماعية، وأمم ودول، لا يتعلّق بعضها ببعض في شأن طريقة تنظيم

وإدارة أمورها الداخلية، فهو مع ذلك موحد بصلات متبادلة قانونية وأخلاقية، وينمو في جماعة كبيرة شاملة للشعوب، معدة للحصول على خير جميع الشعوب، تتولاها قواعد خاصة تحمي وحدتها، وتؤدي يومًا بعد يوم إلى ازدهار أعظم.

٣٧٨٥ – ولكن ما من أحد لا يرى أن حقوق الدولة هذه، التي يقال عنها إنها مطلقة لا تخضع لأحد، تعارض علنًا تلك الشريعة الطبيعية الكامنة، وترفضها من أساسها. ومن الواضح كذلك أن تلك الحقوق تسلّم إلى الحكومات أن تجري على هواها في شأن تلك العلاقات القائمة شرعيًا، والتي تربط الأمم بعضها ببعض، وتحول دون تحقيق وحدة حقيقية بين جميع القلوب، وتآزر متبادل يكون عونًا للجميع...

٣٧٨٦ – ولكن فصل حق الشعوب عن الحق الطبيعي، بحيث يقوم ويرتكز تمامًا على تحكم الحكّام، ما هو إلاّ إسقاط له من عرشه وانتزاع نبله وقوته منه، وتسليمه إلى ما في المصلحة العامة والخاصة، التي لا ترمي إلاّ إلى إقامة حقوقها وتجاهل حقوق الآخرين، من غيرة مفرطة ومسيئة.

٣٧٨٨ – مرسوم المجمع المقدّس، ٢١ (٢٤) شباط ١٩٤٠

التعقيم

٣٧٨٨ – سؤال: هل يجوز التعقيم المباشر الدائم أو المؤقت، للرجل أو المرأة؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٢٢ شباط): كلا. فالحق الطبيعي يمنعه. أمّا التعقيم لتحسين النسل، فقد رُذِل في المرسوم الصادر في ٢١، آذار ١٩٣١.

٣٧٩٠ – مرسوم المجمع المقدّس، ٢٧ تشرين الثاني (٢ كانون الأول) ١٩٤٠

قتل أبرياء بأمر السلطة العامة

٣٧٩٠ – سؤال: هل يجوز القتل المباشر، بأمر من السلطة العامة، لمن لم يرتكبوا أي جريمة تستحق الموت، ولكنهم لم يعودوا في حالة تمكنهم من إفادة الأمة، بسبب

عيوب نفسية أو طبيعية، ويحسبون بالعكس كعبء عليها، وكحاجز لقدرتها وقوتها؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ١ كانون الأول): كلا، لأن ذلك يعارض الحق الطبيعي والحق الإلهي الوضعي.

٣٧٩٢ - ٣٧٩٦ - رسالة لجنة الكتاب المقدّس إلى أساقفة إيطاليا، ٢٠ آب ١٩٤١

معنى الكتاب المقدّس الحرفي ومعناه الروحي

٣٧٩٢ - ١ - إن الكاتب الغفل يحبذ في الواقع تفسيرًا ذاتيًا ومجازيًا بكامله، وإن كان يقول شكليًا إن المعنى الحرفي هو «أساس التفسير الكتابي»... أجل، إنه من منطوق الإيمان، ومن مبدإ أساسي يجب التمسك به، أن الكتاب المقدّس يحوي، علاوة على المعنى الحرفيّ، معنى روحيًا أو مثاليًا، كما تعلّمنا الطريقة التي استعملها ربنا والرسل. ومع ذلك فليس لكل آية أو كل رواية كتابية معنى مثالي، وقد اشتطت كثيرًا مدرسة الإسكندرية في ابتغائها إيجاد معنى رمزي في كل مكان، وإن كان ذلك على حساب المعنى الحرفي والتاريخي.

٣٧٩٣ - إن الكاتب الغفل، بالعكس، لا يجري أيًّا من هذه التمييزات الأولية، ويريد فرض تخيلاته كمعنى للكتاب، «كالشركة الحقيقية في حكمة الرب»، ويتجاهل الأهمية الأساسية للمعنى الحرفي، متهمًا زورًا المفسرين الكاثوليكيين بالاعتداد «فقط بالمعنى الحرفي»، والاعتداد به «بطريقة بشرية، آخذين به ماديًا فقط بما تعني الكلمات»...

فهو يرذل هكذا القاعدة الذهبية لملافنة الكنيسة، التي صاغها بوضوح كبير توما الأكويني: «كل المعاني ترتكز على المعنى الحرفي الوحيد، ولا يمكن الحجاج إلاّ انطلاقًا منه وحده». وقد وافق الأحبار العظام على هذه القاعدة وكرسوها عندما رسموا، قبل كل شيء، البحث بكل عناية ممكنة عن المعنى الحرفي: هكذا قال مثلاً لاون الثالث عشر...: «لذلك يجب وزن قيمة الكلمات نفسها بعناية، ومعنى القرينة، وتماثل الفقرات وأشياء أخرى مشابهة، وإشراك الإيضاحات الخارجية أيضًا بعلم مناسب»... [ذكرت أيضًا وصية أوغسطينوس، ٣٢٨٤].

كذلك أيضًا بندكتوس الخامس عشر: «نريد أن نلحظ بفحص متنبه كلمات الكتاب نفسها، لكي يتأكّد لنا، بلا أي ريب ممكن، ما كتبه الكاتب المقدّس». وهو... يوصي المفسرين «بأن يرتفعوا باعتدال ورصانة إلى تفسيرات أسمى».

أخيرًا يلح البابوان... بكلمات القديس إيرونيموس عينها على واجب المفسر: «إن واجب المفسر أن يعرض لا أفكارًا ومقاصد شخصيّة، بل فكر ومراد الكاتب الذي يفسّره».

معنى مرسوم المجمع التريدنتيني في شأن الطبعة المنتشرة (الفولغاتا)

٣٧٩٤ – ٢ – لقد أراد المجمع التريدنتيني أن يثبت الاستعمال العام في كنيسة الغرب للترجمة اللاتينية ضد الالتباس الذي سببته الترجمات الجديدة التي كانت منتشرة حينئذ باللغة اللاتينية واللغات الدارجة، مؤيدًا ذلك باستعمال الكنيسة لها مدى قرون. ولكنه لم يشأ بذلك إضعاف سلطة الترجمات القديمة المستعملة في الكنائس الشرقية، ولا سيّما السبعينية التي استعملها الرسل أنفسهم، وبأولى حجة سلطة النصوص الأصلية. لقد قاوم بعض الآباء الذين كانوا يريدون الاستعمال محصورًا بالفولغاتا كنص له سلطة.

ويرى الكاتب الغفل، بالعكس، استنادًا إلى مرسوم المجتمع التريدنتيني، أن لنا في الترجمة اللاتينية نصًّا أُعلن أنه يسمو على كل ما سواه. وهو يلوم المفسّرين على أنهم يريدون تفسير الفولغاتا مستعينين بالنصوص الأصلية والترجمات الأخرى القديمة. وهو يرى أن المرسوم «يعطي الثقة بالنص المقدّس»، بحيث لا تحتاج الكنيسة «للبحث عن رسالة الله الأصلية»، ولكن لا في شأن الإيمان والأخلاق فحسب، بل في كل المسائل (وبضمنها الأدبية والجغرافية والتاريخية الخ)...

٣٧٩٥ – ولكن مثل هذا الزعم لا يخالف الحس المشترك فقط الذي لن يقبل أبدًا أن تكون ترجمة أعظم من النص الأصلي، ولكنه يخالف فكر آباء المجمع كما تبدو في الأعمال الرسمية. بل إن المجمع تيقن من ضرورة إجراء مراجعة وتصحيح للفولغاتا نفسها، ووكل التنفيذ إلى الأحبار العظام الذين أجروه، كما أجروا، وفقًا لأكفإ

معاوني المجمع نفسه، طبعة منقحة للسبعينية... ثم نسقوا طبعة النص العبراني للعهد القديم والنص اليوناني للعهد الجديد...

وهو يخالف صراحة ما رسمته الرسالة العامة Providentissimus: «لا نريد أن نقول مع ذلك أنه لا لزوم لأن تؤخذ بالحسبان الترجمات الأخرى التي استعملها ومدحها المسيحيون في الأجيال الأولى، وخصوصًا النصوص الأصلية».

٣٧٩٦ – ومجمل القول أن المجمع التريدنتيني أعلن الفولغاتا «أصلية» بالمعنى القانوني أي بالنسبة إلى كل ما يتعلّق بقوة البرهان في موضوع الإيمان والأخلاق. ولكنه لا يستبعد إمكان وجود اختلافات مع النص الأصلي والترجمات القديمة...

٣٨٠٠ – ٣٨٢٢ – الرسالة العامة «Mystici corporis»، ٢٩ حزيران ١٩٤٣

أعضاء الكنيسة

٣٨٠٠ – كما أن الجسد، بحسب طبيعة الأشياء، لا يتكوّن من أي تجمّع لأعضاء، بل يجب أن يكون له أعضاء متناسقة، أي أعضاء لها النشاط عينه، وتكون معدّة بنظام ملائم، كذلك الكنيسة اتّخذت اسم الجسد لهذه العلّة، خصوصًا أنها تتكوّن من أجزاء منتظمة جيدًا، ومتحدّة عادة بعضها مع بعض، ولها أعضاء مختلفة ومنسجمة بعضها مع بعض.

[يتبع وصف الكنيسة في رو ١٢: ٤ – ٥].

٣٨٠١ – ولكن يجب أن لا نتصوّر أن هذه الهيكلّية المنتظمة جيدًا، أو كما يقال، «العضوية»، لجسد الكنيسة تنتهي وتنحصر في درجات التراتبية (الكنسيّة) وحدها، أو كما يريد ذلك رأي مخالف، أن تتكوّن فقط من أصحاب المواهب، هؤلاء الذين لهم مواهب عجيبة، والذين لن تخلو منهم الكنيسة أبدًا...

٣٨٠٢ – ولكن هؤلاء فقط هم من أعضاء الكنيسة حقًا، الذين نالوا معمودية الولادة الجديدة، ويعترفون بالإيمان الصحيح، والذين، من جهة أخرى ليسوا لسوء حظّهم منفصلين عن مجمل الجسد، أو لم تفصلهم عنه بسبب خطايا ثقيلة جدًّا

السلطة الشرعية. «فإنا جميعًا، يقول الرسول، قد اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد، يهودًا كنا أم يونانيين، عبيدًا أم أحرارًا» [١ كو ١٢ : ١٣].

وبالتالي، كما أنه في جماعة المؤمنين الحقيقيّة ليس هناك سوى جسد واحد، وروح واحد، ورب واحد، ومعمودية واحدة، هكذا لا يمكن أن يكون سوى إيمان واحد [ر أف ٤ : ٥]. ومن رفض السماع للكنيسة يجب أن نحسبه «كوثني وعشّار» [مت ١٨ : ١٧]. والمنفصلون لأسباب من الإيمان أو الإدارة لا يستطيعون أن يعيشوا في هذا الجسد عينه، ولا بالتالي، بهذا الروح الإلهي عينه.

٣٨٠٣ - ولا نتصوّرنّ كذلك أن جسد الكنيسة، الذي له شرف حمل اسم المسيح، لا يتألّف، منذ زمن حجّه على الأرض، إلاّ من أعضاء متسامين بالقداسة، أو لا يضمّ سوى فئة الذين سبق الله وأعدهم للسعادة الأبدية [ر ١٢٠١، ١٠٢٣، ١٢٠٥... ١٢٢١، ٢٤٠٨، ٢٤٦٣، ٤٢٧٢، ٢٤٧٨]...

فكل زلّة، حتّى الخطيئة الثقيلة، ليست عاقبتها، بحد ذاتها، كالانشقاق، أو الهرطقة، أو الجحود، فصل الإنسان عن جسد الكنيسة. فلا تزول الحياة كلها عن الذين أضاعوا بالخطيئة المحبة والنعمة الإلهية [ر ١٥٤٤، ١٥٧٨، ١٩٦٣...] وأصبحوا بالتالي عاجزين عن أيّ استحقاق فائق الطبيعة، إنهم يحفظون مع ذلك الإيمان والرجاء، ويُحفزون في ضوء النعمة الإلهية، وبوحي داخلي ودفع من الروح القدس، إلى خشية خلاصيّة، ويحملهم الله على الصلاة والندامة على خطاياهم.

وظيفة الأساقفة في الجسم السرّي

٣٨٠٤ - [إن الجماعات الخاصة في الكنيسة، أي الكنائس الخاصة، كالكنيسة بأجمعها] يحكمها يسوع المسيح، بصوت وسلطان كل أسقف. لذلك يجب أن لا يُنظر إلى الأساقفة فقط كأعضاء هم الأكثر رفعة في الكنيسة الجامعة، يتصلون بالرأس الإلهي لكل الجسم برباط خاص جدًّا، ويسمّون بالتالي «أعضاء الرب الأولين»، ولكن كل واحد، في شأن كنيسته الخاصة، هو كراع حقيقي، يرعى ويسوس، باسم المسيح، القطيع الذي خُصّص به [ر ٣٠٦١]. مع ذلك ليس لهم في سياستهم الاستقلال الكامل، بل يخضعون لسلطة الحبر الرومان الشرعية، على

تمّتعهم بسلطة الولاية العادية، التي يمنحها لهم مباشرة الحبر الروماني. فيجب أن يكرمهم الشعب كخلفاء للرسل بتدبير إلهي.

تعاون أعضاء الجسد السرّي مع الرأس

٣٨٠٥ – ولكن يجب أن لا نفكر أن المسيح، بما أنه الرأس وله مرتبة عالية جدًا، لا يتطلّب مساعدة جسده. إذ لا بدّ من أن نقول، في شأن الجسد السرّي، ما قاله بولس في شأن الجسد البشري: «لا تستطيع العين أن تقول لليد: «لا حاجة لي إليك» [١ كو ١٢ : ٢١]. فمن الواضح جدًّا أن المؤمنين بحاجة مطلقة إلى مساعدة الفادي الإلهي، إذ يقول هو نفسه: «بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا» [يو ١٥ : ٥]، ولأن... كل نموّ هذا الجسد السرّي لبنيانه يتفرع من الرأس، المسيح [ر أف ٤ : ١٦؛ كو ٢ : ١٩].

مع ذلك، لا بدّ من التمسّك بأن المسيح وإن بدا ذلك مدعاة للعجب، يتطلّب مساعدة أعضائه. أولاً لأن الحبر الروماني الذي يقوم مقام يسوع المسيح، عليه، لئلا ينوء بمهمّة واجبه الرعائي، أن يدعو عددًا كبيرًا من المؤمنين إلى أخذ نصيب من همومه، ويستند كل يوم على عون صلاة الكنيسة جمعاء.

وعلاوة على ذلك، بما أن الرب يقود هو بذاته كنيسته بطريقة غير منظورة، فهو يريد أن يقبل المساعدة من أعضاء جسده السرّي ليتمّم عمل الفداء، على أن ذلك لا يتأتّى من عوَزه وضعفه، ولكن بالحريّ من أنه هو اتخذ ذلك التدبير لأجل الشرف الأسمى لعروسه النقية. فبينما أعطى كنيسته، وهو يموت على الصليب، بدون أي مساهمة من قبلها، كنز فدائه اللامحدود، فهو، في أمر توزيع ذلك الكنز، لا يقاسم فقط عروسه النقية عمل تقديس النفوس، ولكنه يريد أيضًا أن تولد هذه نوعًا ما من عملها.

كيف يحيا المسيح في الكنيسة

٣٨٠٦ – ... يجب أن لا يُشرح تعبير جسد المسيح فقط بأن المسيح يجب أن يسمّى رأسًا لجسده السرّي، ولكن أيضًا بأنه يساعد الكنيسة، ويحيا في الكنيسة، بحيث تكون هذه كأنها شخص آخر للمسيح...

ولكن يجب أن لا تُفهم هذه التسمية النبيلة كما لو أن الصلة التي تفوق الوصف، والتي جعلت ابن الله يأخذ طبيعة بشرية حسيّة، تمتدّ إلى الكنيسة جمعاء [ر ٣٨١٦]، بل بهذا المعنى أن مخلصنا يعطي كنيسته خيرات تخصّه تمامًا، لكي تمثّل في كل نمط حياتها، الظاهر والخفي، بأقصى ما يمكن من الكمال، صورة المسيح.

فبفعل هذه الرسالة القانونية التي بها أرسل الفادي الإلهي الرسل في العالم، كما أرسله هو ذاته أبوه [ر يو ١٧ :١٨؛ ٢٠ :٢١]، هو الذي بالكنيسة يعمِّد، ويعلِّم، ويسوس، ويربط، ويحلّ، ويقدّم، ويضحّي. وبهذه العطية الأسمى، الداخلية والرفيعة تمامًا... يحيي المسيح ربُّنا الكنيسة بقوّته الفائقة الطبيعة، ويلج هذا الجسد كلّه بقوّته الإلهية، ويغذّي ويعول كل عضو بحسب المكانة التي له في الجسد، مثلما تغذّي الكرمة، على وجه التقريب، الأغصان الملتصقة بها وتجعلها خصبة.

الروح القدس في الكنيسة

٣٨٠٧ – إذا نظرنا بانتباه إلى مبدأ الحياة والقوّة الإلهي هذا، الذي منحه المسيح بكونه الينبوع ذاته لكل موهبة ولكل نعمة مخلوقة، ندرك بسهولة أنه ليس سوى الروح القدس، الذي ينبثق من الآب والابن، والذي نسميه خصوصًا «روح المسيح» أو «روح الابن» [رو ٨ :٩؛ ٢ كو ٣ :١٧؛ غلا ٤ :٦]...

بينما المسيح نال هو وحده هذا الروح بلا قياس [يو ٣ :٣]، فهو لم يُمنح لأعضاء الجسد السرّي بالمشاركة في ملء المسيح، إلاّ على مقدار موهبة المسيح [أف ١ :٨؛ ٤ :٧]. والآن، وقد مُجِّد المسيح على الصليب، أفيض روحه على الكنيسة، حتّى تصير هي وكل واحد من أعضائها أكثر شبهًا بمخلصنا.

فالروح هو الذي صيّرنا أبناء الله بالتبنّي [ر رو ٨ :١٤ – ١٧؛ غلا ٤ :٦...]. حتّى، في ذات يوم، «نعكس جميعنا، والوجه سافر، كما في مرآة، مجدَ الربّ، فنتحوّل إلى تلك الصورة بعينها، المتزايدة في البهاء» [٢ كو ٣ :١٨].

٣٨٠٨ – فإلى الروح المسيح هذا، يجب أن ننسب، كما إلى مبدإ غير منظور، ارتباط كل أجزاء الجسد في ما بينها، وبرأسها النبيل، إذ هو يقيم كاملاً في الرأس، وكاملاً في

الجسد، وكاملاً في كل عضو. وهو يغيّر طريقة حضوره فيها ومدِّها بالمساعدة بحسب تنوّع وظائفها وواجباتها، وبحسب زيادة أو نقصان كمال درجة عافيتها الروحية.

إنه هو مَن يجب النظر إليه، إذ ينفخ الحياة الفائقة الطبيعة في أجزاء الجسم كلّها، كأنه مبدأ كل فعل حيوي وخلاصيّ حقًّا. إنه هو من يعمل في الأعضاء الدنيا بوساطة الأعضاء العليا، وإن كان حاضرًا شخصيًا في كل الأعضاء، وممارسًا فيها عمله الإلهي. إنه هو أخيرًا من يعطي كنيسته كل يوم، بنفحة النعمة، نماءات جديدة، ولكنه يرفض السكنى مع نعمته المقدسة في الأعضاء المنقطعين تمامًا عن الجسد.

يعبّر لاون الثالث عشر.. في رسالته العامة «Divinum illud» عن هذا الحضور، وفعل روح يسوع المسيح هذا، بهذه الكلمات المختصرة المصيبة: «لِيَكفِ القول: إذا كان المسيح رأس الكنيسة، فالروح القدس هو روحها».

طبيعة الجسد السرّي

٣٨٠٩ – ... نريد الآن... أن نشرح أن جسد المسيح الذي هو الكنيسة يجب أن يسمّى سرّيًا... هناك أكثر من سبب يحملنا على استعمال هذه الكلمة، إذ بها، يمكن تمييز الجسد الاجتماعي الذي هو الكنيسة، التي المسيح رأسها ورئيسها، من جسده الطبيعي الذي وُلد من العذراء مريم، وهو جالس الآن عن يمين الآب، ومختبئ تحت الحُجب الافخارستية. ويمكن كذلك أن يميّز من أي جسد طبيعي حسّي أو معنوي، وهذا عظيم الأهمية بسبب الأضاليل الراهنة.

٣٨١٠ – وعلاوة على ذلك، إذا نظرنا إلى العلاقة المتبادلة بين الكل والأعضاء فرديًّا، في أي جسد طبيعي حيّ، فكل عضو، في النهاية، مُعَدٌّ فقط لخير المجموع. وبالعكس، إن كل مجتمع بشري، إذا ما أعرنا غاية فائدته الأخيرة شيئًا من الانتباه، مُعَدٌّ في النهاية لفائدة الجميع وكل عضو، إذا إنهم أشخاص...

٣٨١١ – واذا قارنا الجسد السرّي بما يُسمّى الجسد المعنوي، يجب عندئذ أن نلاحظ أن الخلاف كبير بل ذو أهمية وخطورة قصوى. في الجسد المعنوي ليس من مبدأ وحدة سوى الغاية المشتركة، وبوساطة السلطة الاجتماعية، السعي المشترك إلى تلك الغاية

عينها، أمّا في الجسد السرّي الذي نتكلّم عليه، فبالعكس، يُضاف إلى هذا السعي المشترك مبدأ آخر داخلي، يوجد حقيقة في كل الجسد كما في كل الأجزاء، ويمارس فيها نشاطه، وهو من السموّ بحيث يتفوّق بذاته بلا قياس على كل صِلات الوحدة التي تجعل الجسد الطبيعي أو الاجتماعي يتلاحم.

هذا المبدأ... ليس من النظام الطبيعي بل الفائق الطبيعة، بل ما هو أفضل من ذلك، إنه في ذاته شيء لا متناهي على الإطلاق وغير مخلوق، أي روح الله، الذي هو، بحسب القديس توما «واحد ووحيد، يملأ الكنيسة كلها ويصنع وحدتها».

علم نفس المسيح

٣٨١٢ - ... إن مثل تلك المعرفة المحبّة جدًّا، التي تابعنا بها المخلصُ الإلهي منذ اللحظة الأولى لتأنسه، تفوق أشدّ جهد لكل ذهن بشري: فهو، بالرؤية السعيدة التي كان يتمتّع بها منذ بداية الحبل به في حشا أمّه الإلهية، يجعل جميع أعضاء جسده السرّي حاضرين دومًا وباستمرار، ويشملهم بحبّه الفادي...

الكنيسة ملء المسيح

٣٨١٣ - [المسيح هو فينا] بروحه التي ينيلنا إياه، والذي به يعمل فينا، بحيث إن كل ما يعمله الروح القدس فينا ممّا هو إلهيّ، يجب القول إن المسيح أيضًا يعمله فينا...

فبإنالة روح المسيح هذه عينها تصير الكنيسة كأنها ملء الفادي وتكملته... ولكن المسيح، من كل الوجوه، يكتمل بشكل من الأشكال في الكنيسة. وبهذه الكلمات نبلغ إلى العلّة التي لأجلها... الرأس السرّي الذي هو المسيح، والكنيسة التي هي على الأرض كمسيح آخر وتقوم مقامه، يكوّنان إنسانًا جديدًا وحيدًا تتّحد فيه السماء والأرض، ليُديما عمل الصليب الخلاصي: أي المسيح، الرأس والجسد، المسيح بكامله...

سكنى الروح القدس في النفوس

٣٨١٤ – مع ذلك، ها كم مبدأ يفرض نفسه على الجميع ويجب أن يبقى ثابتًا، إذا لم يريدوا الشرود بعيدًا عن العقيدة الأصلية، وتعليم المسيح الصحيح: إنه ضرورة نبذ كل نمط اتحاد سرّي يتجاوز به المؤمنون، بأي وجه من الوجوه، نظام المخلوقات، ويدّعون لأنفسهم الشأن الإلهي، بحيث يمكن أن تُنسب إليهم خاصة ولو واحدة من صفات الله الأبدي، وليحفظوا بثبات، علاوة على ذلك، مبدأ آخر أكيدًا وهو أنه، في هذا الموضوع، يجب أن يُعدّ كل شيء مشتركًا بين أقانيم الثالوث الأقدس، ممّا له علاقة بالله كعلّة فاعلة.

٣٨١٥ – من المهمّ أيضًا ملاحظة أن الأمر هنا يتعلّق بسرّ خفيّ هو، في منى هذه الأرض، مغطّى بحجاب، فلا يمكن أن يدركه ويشرحه تمامًا كلام بشري. يقال عن الأقانيم الإلهية إنها تسكن فينا إذ إنها بحضورها غير مدرك في المخلوقات الحيّة العاقلة، تجعلها متصلة بها بالمعرفة والحبّ، ولكن بطريقة تفوق كل الطبيعة، وهي حميمة وفريدة تمامًا.

إذا أردنا أن نحاول تكوين فكرة عنها، على الأقل، علينا أن لا نهمل تلك الطريقة التي ينصح بها المجمع الفاتيكاني [الجلسة ٣، دستور في الإيمان الكاثوليكي، الفصل ٤؛ ٣٠١٥]: لكي نجهد في إيجاد النور الذي يمكّن من التمييز ولو قليلاً لأسرار الله، تجب مقارنة الأسرار بعضها ببعض، وبالغاية القصوى التي أُعدّت لها.

لاون الثالث عشر... مُحق إذن في كلامه على الموضوع عينه في شأن اتحادنا بالمسيح وسكنى الروح القدس فينا، إذ يدير لحاظنا نحو تلك الرؤية السعيدة حيث سيجد ذلك الاتحاد السرّي، في السماء، تتمّته ونهايته قائلاً: «إن ذلك الاتحاد العجيب المسمّى بالسكنى، لا يختلف وذلك الاتحاد الذي يكتنف ويُسعد به الله سكّان السماء إلاّ بالوضع أو الحالة». ففي تلك الرؤية نُعطى، بما يفوق التعبير، أن نشاهد الآب والابن والروح الإلهي بعيون روحنا، يقوّيها نور إلهي، وأن نحضر نحن أنفسنا عن كثب، مدى الأبدية، انبثاقات الأقانيم الإلهية، ونُغمر بفرح يشبه كثيرًا ذاك الذي يُسعد الثالوث الجزيل القداسة وغير المنفصل.

ميول خاطئة في الحياة الروحية

٣٨١٦ - ... نجد من لا يلاحظون كفاية أن القديس بولس لا يستعمل هنا الكلام إلاّ بالمعنى المجازي، ولا يميّزون، كما لا بدّ من ذلك على الإطلاق، المعاني الخاصة والحقيقية للجسد الطبيعي، والمعنوي، والسرّي، فيُدخلون مفهومًا خاطئًا للوحدة، عندما يجمعون ويخلطون، في شخص طبيعي، الفادي الإلهي وأعضاء الكنيسة. وبينما يولون البشر صفات إلهية، يُخضعون المسيح ربّنا لأخطاء الطبيعة البشرية وميلها إلى الشر.

إن هذه العقيدة الخاطئة يرذلها على الإطلاق لا إيمان الآباء وعقيدتهم فحسب، ولكن أيضًا فكر رسول الأمم وتعليمه، فهو، وإن جمع برباط عجيب المسيح وجسده السرّي، يجعلهما متقابلين مثل الزوج والزوجة [ر أف ٥ : ٢٢ - ٢٣].

٣٨١٧ - وليس بأقل بعدًا عن الحقيقة ذلك الضلال الخطر الذي يسعى إلى استخلاص سكينية وخيمة من اتحاد المسيح السرّي بنا، ناسبًا كل حياة المسيحيين الروحية، وتقدّمهم في الفضيلة، فقط إلى فعل الروح القدس، مقصيًا ومهملاً التعاون الذي يجب أن نبديه نحن. لا أحد في الحقيقة يستطيع إنكار أن روح يسوع المسيح هو الينبوع الوحيد الذي منه تجري كل قوة إلهية في الكنيسة وفي أعضائها...

غير أن مثابرة الناس باستمرار على الأعمال الصالحة وتقدمهم بفرح في النعمة والفضيلة، وأخيرًا، لا سيرهم الشجاع نحو قمة الكمال المسيحي فقط، ولكن أيضًا حثهم الآخرين على السعي إليها قدر المستطاع، كلها أمور لا يريد الروح الإلهي أن يفعلها دون مساهمة الناس فيها بجهدهم اليومي. «إن انعامات الله، يقول أمبروسيوس، ليست لمن ينامون ولكن لمن يعملون».

فإذا كانت أعضاؤنا، في جسدنا المائت، تتقوّى وتتشدّد بالممارسة الدائمة، يصحّ ذلك أكثر بكثير في جسد يسوع المسيح الاجتماعي، حيث يتمتع كل عضو بحريته الخاصة، ومسؤوليته، ونشاطه. فمن قال: «لست أنا حيًّا بعد، بل هو المسيح يحيا فيَّ» [غلا ٢ : ٢٠]، لم يخش أن يقول في الوقت عينه: «نعمة الله فيَّ لم تكن

باطلة، لا بل تعبت أكثر من جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» [١ كو ١٥ : ١٠] فمن الجليّ إذن أن السرّ الذي نتكلّم عليه، لا يؤدي، بهذه العقائد الخادعة، إلى تقدم المؤمنين، بل، ويا للأسف، إلى خرابهم.

٣٨١٨ – وهذا ما ينتج أيضًا من العقيدة الخاطئة التي تقول إنه يجب ألاّ يُعتدّ كثيرًا بالاعتراف المتواتر بالخطايا العرضية، إذ إنه أقل قيمة من ذلك الاعتراف العام الذي تقوم به عروس المسيح كل يوم، مع من هم متحدّون بها بالرب من أبنائها، على لسان كهنتها قبل صعودهم إلى المذبح.

أجل هناك أساليب متعدّدة كلها جديرة بالثناء... لمحو هذه الخطايا. ولكن للتقدم بحماسة تزداد نموًّا في طريق الفضيلة، نلحّ في التوصية بشدّة بهذه العادة التقوية، التي دخلت الكنيسة بحافز من الروح القدس، الاعتراف المتواتر، الذي ينمّي معرفة الذات، ويعزّز التواضع المسيحي، ويسعى إلى استئصال العوائد السيئة، ويحارب الإهمال الروحي والفتور، ويطهّر الضمير، ويقوي الإرادة، ويستنيم إلى الإرشاد الروحي، ويزيد النعمة بمفعول السرّ الخاص...

٣٨١٩ – [يردُّ أيضًا على أولئك] الذين ينكرون أن يكون لصلواتنا أي قيمة مطلبية بالمعنى الحصري، أو الذين يحاولون نشر هذا الرأي أن الصلوات الخاصة ليس لها قيمة كبيرة، والتي لها قيمة هي بالأحرى الصلوات العامة المقدمة باسم الكنيسة، إذ إنها تنطلق من جسد يسوع المسيح السرّي ذاته...

٣٨٢٠ – أخيرًا يزعم البعض أن صلواتنا يجب أن لا توجَّه إلى شخص يسوع المسيح ذاته، بل بالحري إلى الله، أو الآب الأزلي بالمسيح، لأن المسيح، بكونه رأسًا لجسده السرّي، يجب أن ننظر إليه كأنه «وسيط بين الله والناس» [١ تي ٢ : ٥].

ولكن وجهة النظر هذه تخالف لا روح الكنيسة وعادة المسيحيين فحسب، بل الحقيقة ذاتها أيضًا. فالمسيح، إذا شئنا الكلام بصحة ودقة، هو رأس الكنيسة جمعاء بحسب طبيعته الإلهية وطبيعته البشرية. ومن جهة أخرى، إنه هو الذي صرح علنًا: «إذا سألتموني شيئًا باسمي، فأنا أفعله» [يو ١٤ : ١٤]، وعلى كون الصلوات خصوصًا في ذبيحة الافخارستيا – حيث المسيح الكاهن والقربان يقوم خصوصًا

بمهمة المُصلح – تتوجّه أغلب الأحيان إلى الآب الأزلي بابنه، فليس من النادر مع ذلك... أن تتوجّه إلى المخلص الإلهي.

خلاص البشر خارجًا عن الكنيسة المنظورة

٣٨٢١ – [يُدعى مَن] ليسوا مِن جسم الكنيسة المنظور: ... إلى بذل الجهد للخروج من حالة لا يكون فيها أحد متيقّنًا من خلاصه الأبدي. فحتّى إذا كانوا، بشيء من التوق والتمني اللاواعي مُعدّين لجسد الفادي السرّي، فهم محرومون من الكثير والكبير من مساعدات الله وإنعاماته السماوية، التي لا يمكن التمتّع بها إلاّ في الكنيسة الكاثوليكية. وعليهم إذن الدخول في الوحدة الكاثوليكية، وباتحادهم بنا في الجسم الوحيد لجسد يسوع المسيح يقبلون جميعهم إلى الرأس الوحيد في مجتمع محبة مجيد جدًّا...

٣٨٢٢ – ولكن إذا شئنا أن يرتفع إلى الله سؤال الجسد السرّي كله، حتّى تأتي الأغنام الضالّة بأسرع وقت حظيرة يسوع المسيح الوحيدة، نعلن مع ذلك أنه من الضروري على الإطلاق أن يجري ذلك بحرّية ورضى تام، إذ لا يؤمن أحد بدون أن يريد ذلك. فإذا كان هناك مَن هم في الحقيقة مُكرَهون على الدخول في بنية الكنيسة، بدون إيمان، وعلى الاقتراب من المذبح وقبول الأسرار، فهؤلاء بلا ريب لا يصيرون مسيحيين حقيقيين، لأن الإيمان «الذي بدونه يستحيل إرضاء الله» [عب ١١:٦] يجب أن يكون «تكريمًا حرًّا من العقل والإرادة» [٣٠٠٨].

فإذا جرى إذن أحيانًا، أن يُحمل أحدٌ مكرهًا على اعتناق الإيمان الكاثوليكي، خلافًا لعقيدة الكرسي الرسولي الثابتة [ر ٣١٧٦]، لا يسعنا ونحن واعون لواجبنا، الامتناع عن رذل مثل هذه الطريقة...

٣٨٢٥ – ٣٨٣١ – الرسالة العامة «Divino afflante Spiritu»، ٣٠ أيلول ١٩٤٣

أصالة الفولغاتا (النصّ المتداول للكتاب المقدّس)

٣٨٢٥ – إذا أراد المجمع التريدنتيني أن تكون الفولغاتا النصّ اللاتيني «الذي على الجميع أن يستعملوه كنصّ أصيل»، فذلك، كما يعلم الجميع، لا يخص سوى

الكنيسة اللاتينية، واستعمالها العلني للأسفار المقدسة، ولكنه لا ينقص بأي وجه من الوجوه – ولا ريب في ذلك – لا سلطة ولا قيمة النصوص الأصلية. وعلاوة على ذلك، لم يكن الأمر حينئذ يتعلّق بالنصوص الأصلية، ولكن بالترجمات اللاتينية المنتشرة في ذلك العهد: تلك الترجمات التي أوعز المجمع بحق أن تكون المفضّلة بينها، تلك التي «باستعمال طويل مدى أجيال كثيرة كانت مقبولة في الكنيسة».

تلك السلطة السامية للفولغاتا، أو، كما يقال، أصالتها، لم يقرّرها المجمع إذن خصوصًا لأسباب من النقد، ولكن بالحريّ بسبب استعمالها الشرعي في الكنائس مدى أجيال كثيرة. وهذا الاستعمال، يدل، في الحقيقة، كما فهمت الكنيسة ذلك وتفهمه، أن هذه الفولغاتا هي خالية على الإطلاق من أي خطأ في ما يتعلّق بالإيمان والأخلاق. بحيث كما تشهد بذلك الكنيسة وتثبته، يمكن الاستشهاد بها بكل طمأنينة، وبدون خطر الضلال، في المناقشات، وفي التعليم، وفي الوعظ. ولذلك يجب أن لا تنعت أصالة من هذا النوع خصوصًا بأنها نقدية بل بالحري بأنها قانونية.

لذلك فسلطة الفولغاتا في موضوع العقيدة لا تحول أبدًا – واليوم هي بالحري تقتضي ذلك – دون أن تسندها وتثبتها النصوص الأصلية نفسها، وأن يُلجأ دائمًا إلى تلك النصوص للاستعانة بها، لكي يُستخرج ويُشرح دائمًا على وجه أفضل، المعنى الصحيح للأسفار المقدسة...

ومرسوم المجمع التريدنتيني لا يمنع، في سبيل استعمال المؤمنين وخيرهم، وتيسير فهم كلام الله لهم، حتّى وضع ترجمات باللغة الدارجة، وعن النصوص الأصلية، كما نعلم أن ذلك قد جرى بطريقة تستحق الثناء في بلدان عدّة، بموافقة السلطة الكنسيّة.

المعنى الحرفي والمعنى الروحي للكتاب

٣٨٢٦ – يضطلع المفسّر الكاثوليكي بالمهمّة الأكثر خطورة في ما عليه القيام به، أي اكتشاف وعَرْض المعنى الحقيقي للكتب المقدسة، بعد أن يكون قد تضلّع من معرفة

اللغات القديمة، وتوفرت له وسائل النقد. وعلى المفسّرين أن يضعوا دومًا أمام عيونهم، في إتمام عملهم، أن من الواجب قبل كل شيء العكوف على تمييز معنى الكلمات الكتابية والتدقيق فيه، وهذا ما يسمّى بالمعنى الحرفي. عليهم أن يعنوا كل العناية باكتشاف هذا المعنى الحرفي للكلمات مستعينين بمعرفة اللغات، وبالقرينة والمقارنة مع فقرات مماثلة. وهي كلها أساليب درجت العادة على استعمالها أيضًا في تفسير النصوص غير الدينية لإبراز فكر المؤلف بوضوح أكبر.

وعلى مفسّري الكتب المقدّسة، وهم يتذكّرون أن الأمر يتعلّق هنا بكلام الوحي الإلهي، الذي أودع الله نفسه الكنيسة المحافظة عليه وتفسيره، أن لا يعنوا أقل بالاعتداد بتفسيرات وتصريحات السلطة التعليمية الكنسية، وبالشروحات التي أعطاها الآباء، وفي الوقت عينه، «بالتماثل الإيماني» كما يشير إلى ذلك بكثير من الحكمة لاون الثالث عشر في الرسالة العامة Providentissimus Deus [٣٢٨٣].

وعليهم أن لا يكتفوا... بعَرض ما يتعلّق بالتاريخ، وعلم الآثار، والألسُنّية، والعلوم الأخرى المشابهة، بل عليهم، وهم يستندون بالوجه المناسب إلى هذه المُعطيات، على قدر ما تستطيع مساعدة التفسير، أن يعرُضوا خصوصًا ما هي العقيدة اللاهوتية لكل واحد من الأسفار أو النصوص، في مجال الإيمان والأخلاق، بحيث تكون شروحاتهم، ليس فقط مسعفة لأساتذة اللاهوت في عَرض عقائد الإيمان والبرهان عليها، بل مفيدة أيضًا للكهنة لشرح العقيدة المسيحية للشعب، ومفيدة أخيرًا لجميع المؤمنين ليحيوا حياة مقدسة جديرة بالمسيحي.

٣٨٢٧ – عندما يعطي المفسّرون الكاثوليكيون مثل هذا التفسير، اللاهوتي قبل كل شيء كما قلنا، يُسكتون نهائيًا مَن يقولون إنهم لا يجدون في شروحات الكتاب المقدس ما يسمو بالفكر نحو الله، ويغذّي النفس، ويحفز الحياة الداخلية، فيزعمون بالتالي أنه من الضروري اللجوء إلى تفسير روحي، أو كما يقولون، صوفي [٣٧٩٠ – ٣٧٩٢]...

٣٨٢٨ – هذا لا يعني إقصاء كل معنى روحي للكتاب المقدس. فكلام العهد القديم وأحداثه قد نسقها الله وهيأها على وجه عجيب، بحيث يكون الماضي تصويرًا

سابقًا، بطريقة روحية، لما سيجري في عهد النعمة الجديد. لذلك على المفسّر، كما أن من واجبه، البحث عن المعنى الحرفي للكلمات، كما أراده الكاتب المقدس وعبّر عنه، أن يعرُض أيضًا المعنى الروحي، على أن يكون من المُثبت والأكيد أن الله أراده. فالله وحده كان باستطاعته معرفة هذا المعنى الروحي وكشفه لنا. وهذا المعنى يدلنا عليه ويعلمنا إياه المخلص الإلهي نفسه في الأناجيل المقدسة. وهو أيضًا ما يشير إليه الرسل بوضوح، على مثال المعلّم، في أقوالهم وكتاباتهم. وهو ما يبيّنه التقليد الكنسيّ الثابت. وهو أخيرًا ما يُعبر عنه الاستعمال الليتورجي القديم كل مرّة يحق لنا أن نطبّق القول المأثور المعروف: «قاعدة الصلاة هي قاعدة الإيمان» [ر ٤٤٦: قاعدة الإيمان...].

هذا المعنى الروحي إذن، الذي أراده الله نفسه، على المفسّرين الكاثوليكيين أن يبـيّنوه ويعرضوه بالعناية التي يقتضيها جلال الكلام الإلهي. ولكن عليهم السهر بكل تقوى على أن لا يعرضوا المعاني المجازيّة للأشياء كأنها المعنى الحقيقي للكتاب المقدس.

٣٨٢٩ — ... فعلى المفسّر إذن أن يجهد بعناية قصوى، دون إهمال أي إضاءة توفّرها الأبحاث العصرية، في معرفة ما كانت عليه خصائص الكاتب المقدس، وأحواله الحياتيّة، والزمن الذي عاش فيه، والمصادر المكتوبة والشفهية التي استعان بها، وأخيرًا أسلوب كتابته. فيمكنه هكذا أن يعرف على وجه أفضل من كان الكاتب المقدس، وما أراد التعبير عنه في كتابته.

٣٨٣٠ — في أقوال وكتابات الكتاب الشرقيين القدماء، لا يظهر غالبًا المعنى الحرفي بالوضوح الذي عند كتاب عصرنا... فالشرقيون القدماء لم يستعملوا دومًا، للتعبير عن أفكارهم، صيغ الكلام وأساليبه التي نستعملها اليوم، بل بالأحرى، تلك التي درج استعمالها عند الناس في زمانهم وبلدهم. والمفسّر لا يستطيع أن يحدّد من قبل ما كانت عليه: ولا يمكنه ذلك إلاّ بدرس متنبّه لآداب الشرق القديمة...

وقد برهن هذا الدرس بوضوح على أن الشعب الإسرائيلي، قد تميّز بتفوّقه على الأمم القديمة الأخرى في الشرق بطريقة كتابته الصحيحة للتاريخ، من جهة قِدَم

الأحدث كما من جهة أمانة النقل. وهذا يعود، بلا ريب، إلى موهبة الوحي الإلهي، والغاية الخاصة، ذات المنحى الديني، لتاريخ الكتاب المقدس.

مع ذلك، لا يعجب أحد، ممَّن لهم مفهوم صحيح للوحي الكتابي، أن يجد عند الكتّاب المقدّسين، كما عند القدامى جميعًا، بعض أساليب التعبير والرواية، وبعض المصطلحات الخاصة باللغات السامية، التي تدعى مقاربات، وبعض أساليب المغالاة في الكلام، بل المفارقات المعدّة لتطبع الأشياء في الذهن بقوة أكبر. فبين أساليب الكلام التي بها درجت اللغة البشرية على استعمالها للتعبير عن الفكر عند الشعوب القديمة، ولا سيّما الشرقيّة، ليس هناك واحد يقصى عن الأسفار المقدسة، ما دام الفن المستعمل لا تتأبّاه في شيء قداسة الله وحقيقته. وهذا ما لاحظه من قبل الملفان الملائكي في حذاقته عندما قال: «في الكتاب المقدس نُقلت إلينا الأمور الإلهية بحسب الأسلوب الذي اعتاد الناس أن يستعملوه».

عندما يريد البعض الاعتراض بأن الكتّاب المقدّسين قد حادوا عن الحقيقة التاريخية، أو نقلوا شيئًا بغير دقة، ليس من النادر أن نرى أن الأمر يعود فقط إلى أساليب من الكلام أو الرواية اعتادها الأقدمون، ودرج الناس على استعمالها في العلاقات المتبادلة، وكانت شائعة في الاستعمال الجائز.

الحرّية في البحث الكتابي العلمي

٣٨٣١ – فالذين إذن من بيننا يتعاطون الدروس الكتابية، عليهم التنبّة بعناية إلى هذه الأمور، وأن لا يهملوا شيئًا ممّا استحدثه علم الآثار، وتاريخ الماضي القديم، وعلم الآداب القديمة، وله قدرة على جعلنا نعرف معرفة أفضل ذهنية الكتّاب الأقدمين، وطريقة تفكيرهم، ورواياتهم، وكتاباتهم، وفنهم (الأدبي)، وتقنيتهم...

فكل معرفة بشرية، حتّى غير الدينية، لها كرامة وسموّ يلازمانها، بكونها مشاركة في معرفة الله غير المحدود. ولكنها تكتسب كرامة جديدة أعظم، بل قداسة، عندما تعمل على جعل الأمور الإلهية أشد وضوحًا...

على المفسّر الكاثوليكي الذي يدفعه حبّ ناشط وشجاع للعلم، والمخلص بصدق

لأمنا الكنيسة، أن لا يمتنع عن العكوف بلا انقطاع على المسائل الصعبة التي لم تحلّ حتّى الآن... لكي يوجد انسجامًا تامًا مع النتائج الأكيدة للعلوم غير الدينية.

إن جهود هؤلاء العمّال البُسلاء في كرم الرب تستحقّ ليس فقط حكمًا منصفًا وعادلاً، ولكن أيضًا محبة كاملة. وليتذكر ذلك أبناء الكنيسة الآخرون جميعهم. وهؤلاء عليهم أن لا يقدِّروا تلك الغيرة غير الفَطِنة، التي تظنّ من واجبها محاربة كل جديد أو اتهامه. وعليهم أن لا ينسوا أولاً، أن الأمر يتعلّق، في قوانين الكنيسة والشرائع التي ترسمها، بالعقيدة المرتبطة بالإيمان والأخلاق، فيما هناك في المادّة الواسعة جدًّا التي تحويها الكتب المقدسة، في الأسفار التاريخية والحكَمية والنبويّة، مقاطع قليلة جدًّا حدّدت السلطة الكنسية معناها، وليس هناك عدد أكبر عليه إجماع من الآباء.

فيبقى إذن، مواضيع كثيرة، وغير واحد منها خطير جدًّا، تستطيع حذاقة ومهارة المفسّرين الكاثوليكيين، بل من واجبها أن تمارسا فيها بحرّية، لكي يساهم كل واحد بنصيبه وبوسائله في المنفعة العامة، وفي اطراد تقدّم العقيدة المقدسة، وفي الدفاع عن الكنيسة، وفي تعزيزها.

٣٨٣٢ - ٣٨٣٧ - تعليم مجمع التوبة المقدّس، ٢٥ آذار ١٩٤٤

الحلّ العام

٣٨٣٢ - [لجلاء الريب في شأن الأهلية] لمنح الحلّ السرّي، في بعض الظروف، بصيغة جماعية، أي حلّ سرّي جماعي، بدون أن يسبق ذلك اعتراف بالخطايا من قبل كل مؤمن، [يعلن] مجمع التوبة:

٣٨٣٣ - ١ - أن الكهنة، وإن يكونوا قد حصلوا على الموافقة لسماع الاعترافات السرّية، لهم الأهلية لمنح حلّ جماعي، معًا وفي وقت واحد:

أ) للجنود الذين في معركة، أو على وشك الدخول فيها، بكونهم في خطر الموت،

عندما يستحيل الاستماع إليهم فردًا فردًا، إمّا لكثرة عدد الجنود وإمّا لضيق الوقت. وإذا بدا أن هناك استحالة معنوية، أو صعوبة قصوى، بسبب الظروف القائمة، لحلّ الجنود في حال المعركة، أو حين توشك أن تقع، يجوز عندئذ إعطاؤهم الحلّ حالما يُرى ذلك ضوروريًّا.

ب) للمدنيين والجنود حين يكون إشراف على خطر الموت في حين اجتياح الأعداء.

٣٨٣٤ – ٢ – خارجًا عن الحالات التي فيها خطر الموت، لا يجوز منح الحلّ السرّي لعدّة مؤمنين معًا وفي وقت واحد، ولا لأفراد من المؤمنين، بسبب كثرة عدد التائبين فقط، كما يمكن أن يحدث ذلك مثلاً في يوم عيد كبير أو كسب غفران، إذا لم يقوموا باعتراف كامل (ر – المقولة ٥٩ من بين تلك التي دانها البابا انوشنتايوس الحادي عشر، في ٢ آذار ١٦٧٩ [٢٩١٩]. ويجوز ذلك إذا انضافت ضرورة أخرى خطيرة جدّاً وملحّة، تتناسب وخطورة الوصية الإلهية بالاعتراف الكامل، مثلاً إذا أدى الأمر بالتائبين، وهم غير مذنبين، إلى أن يحرموا طويلاً من نعمة السرّ والتناول المقدس...

٣٨٣٥ – ٤ – [من بين أشياء أخرى يجب تنبيه التائبين] إلى ضرورة أن يُقرّ الذين حُلُّوا جماعيًا، بحسب القوانين، ومنذ الاعتراف الأول الذي يقومون به، بكل خطيئة ثقيلة ارتكبوها، ولم يُقِرّوا بها من قبل.

٣٨٣٦ – ٥ – ليعلّم الكهنة المؤمنين بوضوح، أنهم ممنوعون منعًا شديدًا، عندما يعون وعيًا كاملاً أنهم ارتكبوا خطيئة مميتة لم يُقِرّوا بها كما يجب ولم تُغفر لهم في الاعتراف، من التفلّت بقصد من الواجب الذي تفرضه الشريعة الإلهية والكنيسة، بالإقرار في الاعتراف بجميع الخطايا المميتة المرتكبة وبكل واحدة منها، منتظرين الظرف الذي فيه يُمنح الحلّ السرّي لجماعة.

٣٨٣٧ – ٧ – إذا توفّر الوقت، يجب أن يعطى الحل باستعمال الصيغة العادية الكاملة بالجمع، وإلاّ فيمكن استعمال الصيغة الأقصر الآتية: «إني أحلّكم من جميع العقوبات، ومن كل الخطايا باسم الآب والابن والروح القدس».

٣٨٣٨ – مرسوم المجمع المقدس، ٢٩ آذار (١ نيسان) ١٩٤٤

غايات الزواج

٣٨٣٨ – عَرض: [قيل في بعض الكتابات] إن الغاية الأوّلية للزواج ليست ولادة الأولاد، أو إن الغايات الثانوية ليست تابعة للغاية الأوّلية ولكنها مستقلة عنها.

في هذه التصوّرات يعيِّن مؤلفون مختلفون الغاية الأولية على وجه مختلف، مثلاً إتمام الزوجين وكمالها الشخصي، بشراكة تامة في الحياة وفي الفعل، تعزيز الحب المتبادل بين الزوجين، وإكماله بعطاء الذات النفسي والجسدي، وأشياء أخرى مشابهة.

وفي تلك الكتابات نفسها تُعطى أحيانًا الكلمات الواردة في الوثائق الكنسية (كالغاية الأولية أو الثانوية) معنى لا يتوافق والمعنى الذي لتلك المفاهيم بحسب الاستعمال العام عند اللاهوتيين.

سؤال: هل يجوز قبول رأي بعض المحدثين الذين إمّا ينكرون أن الغاية الأولية للزواج هي ولادة الأولاد وتنشئتهم، وإمّا يعلّمون أن الغايات الثانوية ليست في الأساس، تابعة للغاية الأولية، بل هي أيضًا أساسية ومستقلة؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٣٠ آذار) كلاّ.

٣٨٣٩ – مرسوم المجمع المقدس، ١٩ (٢١) تمّوز ١٩٤٤

المذهب الألفي

٣٨٣٩ – سؤال: ماذا يجب أن نفكر في شأن المذهب الألفي المخفَّف الذي يُعلّم أن المسيح ربنا سيأتي على وجه مرئي إلى أرضنا ليملك عليها، وذلك قبل الدينونة الأخيرة، المسبوقة أو غير المسبوقة بقيامة عدد من الصديقين؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٢٠ تموز) إن المذهب الألفي المخفَّف لا يمكن أن تُضفى عليه صفة التعليم الموثوق.

٣٨٤٠ – ٣٨٥٥ – الرسالة العامة Mediator Dei، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٧

العناصر الأساسية التي تتألف منها الليتورجيا

٣٨٤٠ – في كل عمل ليترجي، يكون حاضرًا مع الكنيسة، في الوقت عينه، مؤسّسها الإلهي: فالمسيح حاضر في ذبيحة المذبح المقدس، في شخص خادمه، وخصوصًا في شكلي الافخارستيا. وهو أيضًا حاضر في الأسرار بالقوة التي يضعها فيها حتّى تصير وسائل فعّالة للقداسة. وهو أخيرًا حاضر في الصلوات والتسابيح المرفوعة إلى الله، بحسب كلام المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فأنا أكون هناك في وسطهم» [مت ١٨ : ٢٠].

٣٨٤١ – فالليترجيا المقدسة إذن هي العبادة العلنية التي يؤدّيها فادينا، رأس الكنيسة لأبيه. وهي أيضًا العبادة التي يؤديها مجتمع المؤمنين لمن أسّسه، وبه للآب الأزلي. إنها، بكلمة، العبادة العلنية الكاملة لجسد يسوع المسيح السرّي، أي الرأس وأعضائه...

٣٨٤٢ – إن العبادة التي تؤديها الكنيسة لله يجب أن تكون بمجملها داخلية وخارجية معًا، لأن ذلك ما تقتضيه طبيعة الإنسان المكوّن من نفس وجسد... وليس الأفراد وحدهم، ولكن أيضًا المجموعة البشرية، هم بحاجة إلى تأدية عبادتهم لله. ولذلك فمن الواجب أن تكون اجتماعية، وهذا ما يستحيل ما لم يكن في المجال الديني أيضًا صِلات خارجية ومظاهر خارجية، وهذا يظهر أخيرًا بوجه خاص وحدة جسد المسيح السرّي...

٣٨٤٣ – ... إنهم يبتعدون كل البعد عن الفهم والإدراك الصحيح والحقيقي للّيتورجيا اؤلئك الذين يرونها كمجرّد جزء خارجي وحسيّ من العبادة الإلهية، أو جهاز حفلات تزيينية، وليس أقل خطأ النظر إليها فقط كأنها مجموع الشرائع والفرائض التي بها تنظّم الرئاسة الكنسية الكاثوليكية التنفيذ القانوني لطقوسها المقدسة.

فاعلية الأعمال الليترجية في مجال النعمة

٣٨٤٤ – عندما يتعلّق الأمر بذبيحة الافخارستيا وبالأسرار، تأتي الفاعلية خصوصًا، وقبل كل شيء، من الفعل ذاته المتمّم (ex opere operato). وإذا نظرنا بعد

ذلك إلى النشاط الخاص بعروس المسيح النقية، التي بصلواتها واحتفالاتها تزيد في رفعة الذبيحة الافخارستية والأسرار، أو إذا تعلّق الأمر «بأشباه الأسرار»، والطقوس الأخرى التي أنشأتها الرئاسة الكنسية، فالفاعلية عندئذ تأتي خصوصًا من عمل الكنيسة التي تقوم به، بكونها مقدسة، ووثيقة الصلة برأسها في نشاطها.

٣٨٤٥ – وفي هذا المجال نودّ، أيها الأخوة الأجلاء، أن تتنبهوا إلى الأساليب الجديدة في التفكير والحكم، في شأن التقوى المسيحية المسمّاة «بالتقوى الموضوعية». فهي، سعيًا منها إلى إبراز سرّ جسد المسيح السرّي، وفعل التقديس الحقيقي الذي تقوم به النعمة وأعمال الأسرار الإلهية والذبيحة الافخارستية، تبدو وكأنها تريد أن تقلِّص أو تُغفل ما يسمّى «بالتقوى الذاتية» أو الشخصية.

... إن المسيح [بالأسرار وبذبيحته] يخلّص بلا انقطاع الجنس البشري ويكرّسه لله. فلها إذن تلك القيمة «الموضوعية» التي تجعل نفوسنا تشارك حقيقة في حياة يسوع المسيح الإلهية. وليس إذن بفعلنا وإنما بالفعل الإلهي أنّ لها تلك القوّة الفاعلة التي تقرن عبادة الأعضاء بعبادة الرأس، وتجعل منها بوجه ما فعل الجماعة كلها.

يستنتج البعض من هذه الحجج القويّة أنَّ التقوى المسيحية كلها يجب أن تقوم على سرّ جسد المسيح السرّي، دون أيّ اعتبار «شخصي» أو «ذاتي». فيرون إذن من الواجب إهمال الممارسات الدينية الأخرى التي لا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالليترجيا المقدسة والتي تتمّ خارج العبادة العلنية.

إن المبادئ التي عُرضت سابقًا، على كونها ممتازة، يرى الجميع مع ذلك أن تلك النتائج في شأن وجهي التقوى هي خدّاعة، ماكرة، ومؤذية جدًّا.

أجل، إن للأسرار ولذبيحة المذبح في ذاتها قوّة ذاتية، بما أنها أفعال المسيح نفسه... ولكن لا بدّ لها، لتحرز الفاعلية المطلوبة، من أن تنضاف إليها استعدادات نفوسنا الصالحة...

٣٨٤٦ – ... فمن غير الممكن إذن أن يحصل في الحياة الروحية أي تعارض أو تناقض بين ذلك الفعل الإلهي الذي يُجري النعمة في النفوس لمواصلة الفداء، وفعل

الإنسان العامل، المرتبط به، والذي عليه أن لا يجعل نعمة الله باطلة [ر ٢ كو ٦: ١]؛ ولا بين فاعلية طقس الأسرار الخارجي المتأتية من الفعل ذاته الذي أُتمّ (opere operato) والفعل ذي الاستحقاق الذي يقوم به من يمنحها أو يقبلها، والذي نسميه فعلَ الفاعل (opus operantis)؛ ولا أيضًا بين الصلوات العامة والصلوات الخاصة، بين طريقة الفعل الصحيحة ومعاينة الحقائق العلوية، بين الحياة الترويضـية والتقوى الليتورجية. ولا أخيرًا بين الولاية وسلطان التعليم الشرعي الذي للرئاسة الكنسية وذلك السلطان الكهنوتي بالمعنى الذي يُمارس في الخدمة المقدسة...

إن الصلاة الليتورجية، بفعل تضرّع عروس يسوع المسيح العام، لها بلا ريب كرامة أعظم من الصلاة الخاصة. ولكن هذا السموّ الأعظم لا يعني على الإطلاق أن بين هذين النوعين من الصلوات، تناقضًا أو تعارضًا، فهما بفعل وحي الروح الواحد ذاته يتلاقيان ويتحدان معًا بحسب هذا «المسيح الذي هو كل شيء وفي الجميع» [كو ٣: ١١]، ويسعيان إلى الغاية نفسها إلى أن يتصوّر المسيح فينا [ر غل ٤: ١٩].

جوهر الذبيحة الافخارستية

٣٨٤٧ – ... إن الأوج، وما يشبه المركز للديانة المسيح، إنما هو سر الافخارستيا الجزيلة القداسة، الذي أسّسه قديمًا المسيح، الكاهن الأعظم، والذي يريده أن يتجدّد باستمرار في الكنيسة على يد خدامه... فذبيحة القداس ليست مجرّد ذكرى بسيطة لآلام يسوع المسيح وموته، بل هي ذبيحة حقيقية، بالمعنى الصحيح، بها يفعل الكاهن الأعظم بذبيحة غير دموية، ما فعل على الصليب، بتقديم ذاته للآب الأزلي ذبيحة مرضية جدًّا...

٣٨٤٨ – إلاّ أن الطريقة التي يُقدَّم بها المسيح هي مختلفة. فعلى الصليب قدّم إلى الله ذاته كلها وآلامه، ولكن ذبح الضحيّة تمّ بالموت بسفك الدم الذي عاناه بحريّة، أمّا على المذبح، فبالعكس «لا يسود عليه الموت من بعد» [رو ٦: ٩]، من جرّاء حالة طبيعته البشرية الممجّدة، وبالتالي، لم يعد سفك الدم ممكنًا. ولكن ذبيحة

فادينا، بحسب تدبير الحكمة الإلهية، تُظهَر بوجه عجيب بعلامات خارجية تدلّ على الموت. ففي «التحوّل الجوهري» للخبز إلى جسد، والخمر إلى دم المسيح، يكون جسده ودمه هكذا حاضرين حقًا، وشكلا الافخارستيا اللذان يحضر بها يمثلان فصل الجسد عن الدم لذلك فالاستحضار التذكاري لموته الذي جرى بحق على الجلجلة، يتجدّد في ذبائح المذبح المختلفة، عندما يُعنى المسيح ويُظهَر في حالة ضحية، بعلامات واضحة.

كهنوت المؤمنين

٣٨٤٩ – ينبغي... أن يحسَب المؤمنون كواجب أساسي وشرف أعظم المشاركة في ذبيحة الافخارستيا... ولكن هذا لا يستتبع أنهم يتمتّعون أيضًا كذلك بالسلطة الكهنوتية...

٣٨٥٠ – [مفهوم خاطئ لكهنوت المؤمنين:] هناك أناس، أيها الأخوة الأجلاء،... يعلّمون [ر ١٧٦٧] أن كلمة «الكهنوت» في العهد الجديد تشير فقط إلى ما ينطبق على جميع الذين طُهّروا بماء المعمودية المقدسة. وكذلك الوصية التي أعطاها يسوع المسيح لرسله، في حين العشاء الأخير، أن يفعلوا ما فعله هو، تقصد كنيسة المؤمنين بالمسيح بأجمعها، وإذن لم نصل إلاّ بعد زمن متأخر إلى الكهنوت التراتبي.

لذلك فهم يزعمون أن الشعب يتمتّع بسلطان كهنوتي حقيقي، وأن الكاهن يعمل فقط بموجب وظيفة أوكلتها إليه الجماعة. ولهذا السبب يحسبون أن الذبيحة الافخارستية، بالمعنى الصحيح، هي «احتفال مشترك»، ويرون أنه ينبغي أن «يشارك الكهنة في الاحتفال» مع الشعب الحاضر وذلك أحرى من أن يقدّموا الذبيحة بوجه خاص في غياب الشعب.

[وخلافًا لذلك] نرى من واجبنا التذكير [بهذا]، أي أن الكاهن يقوم مقام الشعب في عمله فقط، لأنه يمثّل شخص ربنا يسوع المسيح، بكون هذا هو رأس جميع الأعضاء، يقدّم ذاته عنهم، وبالتالي فالكاهن يقترب من المذبح، بكونه خادمًا للمسيح، أدنى منه ولكنه أعلى من الشعب.

أمّا الشعب فلا يمثّل أبدًا شخص الفادي الإلهي، وبما أنه ليس مُصلِحًا بين الله والبشر، فهو لا يستطيع أبدًا التمتّع بالحق الكهنوتي.

هذه الحقائق هي من الإيمان الأكيد. ومع ذلك يجب القول إن المؤمنين يقدّمون هم أيضًا الذبيحة الإلهية ولكن بطريقة أخرى.

٣٨٥١ – [الفهم الصحيح لكهنوت المؤمنين] «ليس... الكهنة وحدهم من يقدّمون، ولكن أيضًا جميع المؤمنين، لأن كل ما يتمّ على وجه خاص بخدمة الكهنة، يتم على وجه عام بتمنّي المؤمنين». ويقول [روبير بيلارمان] تقدّم الذبيحة أساسيًّا في شخص المسيح. لذلك التقدمة التي تأتي بعد التقديس تشهد، بوجه ما، أن الكنيسة بأجمعها توافق على التقدمة التي عملها المسيح وتقدّم هي معه».

وطقوس الذبيحة الافخارستية وصلواتها ليست بأقل وضوح في التعبير عن أن تقدمة الذبيحة يقوم بها الكاهن والشعب في الوقت عينه، وفي إظهار ذلك...

وليس بعجب أن يُرفع المؤمنون المسيحيون إلى هذه الكرامة. فالمسيحيون بغسل المعمودية يصيرون بصفة مشتركة أعضاء في الجسد السرّي للمسيح الكاهن، و«بالسِّمة» التي كأنها محفورة في نفسهم، هم مُنتدبون للعبادة الإلهية. فلهم إذن نصيب، بحسب حالتهم، في كهنوت المسيح نفسه.

٣٨٥٢ – ولكن هناك سببًا عميقًا للقول إن جميع المسيحيين، يقدّمون، ولا سيّما الحاضرين عند المذبح.

ولكي لا ينشأ في هذا الموضوع الخطير جدًّا خطأ مسيء، لا بدّ من يُحدّد بدقة معنى كلمة «قدّم». فهذا الذبح غير الدموي الذي يُجعل به المسيح حاضرًا على المذبح بحالة ضحية، بعد كلام التقديس، يتمّه الكاهن وحده بكونه يمثل شخص المسيح، لا بكونه يمثل أشخاص المؤمنين.

ولكن الكاهن بوضعه الضحية الإلهية على الهيكل، فهو يقدمها لله الآب، كتقدمة لمجد الثالوث الأقدس وخير الكنيسة جمعاء.

وهذه التقدمة بالمعنى الحصري، يشارك فيها المؤمنون بطريقتهم الخاصة وعلى وجهين: ليس فقط لأنهم يقدّمون الذبيحة بيدي الكاهن، ولكن أيضًا لأنهم

يقدّمونها بوجه ما معه. وهذه المشاركة تجعل تقدمة الشعب أيضًا من العبادة الليتورجية نفسها.

٣٨٥٣ - [تُنقض عندئذ «كمغالاة وإفراط» مفاهيم الذين] يرذلون تمامًا الذبائح المقدمة على وجه خاص وبدون حضور الشعب... [وكذلك تلك التي تُقدّم في الوقت عينه على مذابح متعدّدة].

ويلجأ خطأً في هذا الموضوع إلى الصفة الاجتماعية للذبيحة الافخارستية. فكل مرّة يجدّد الكاهن ما تمّمه الفادي الإلهي في العشاء الأخير، تتمّ حقيقةً الذبيحة، وهذه الذبيحة، في كل مكان وعلى الدوام، لها فعل عام واجتماعي، إذ إن الذي يذبحها يعمل باسم المسيح والمسيحيين الذين رأسهم الفادي الإلهي، ويقدّمها لله لأجل الكنيسة المقدسة والجامعة، ولأجل الأحياء والأموات.

التناول كجزء مكمّل للذبيحة الافخارستية

٣٨٥٤ - ... تنتهي ذبيحة المذبح الشريفة بالتناول من المأدبة الإلهية. ولكن، كما يعلم الجميع، لا يطلب، لكمال الذبيحة إلاّ أن يتغذّى الكاهن بالطعام الإلهي، لا أن يتقدّم الشعب أيضًا ويتناول، وإن كان ذلك مرغوب فيه جدًّا.

[ذكرت الأضاليل التي رُذلت في هذا الشأن، ونُبذ بعد ذلك من يقولون]... إن الأمر هنا ليس أمر ذبيحة فحسب، ولكنها ذبيحة ومأدبة جماعة إخوة، يجعلون التناول الذي يتمّ جماعيًّا كأنه الأوج في كل احتفال. يجب أن يلاحظ دومًا ودومًا أن الذبيحة الافخارستية هي بطبيعتها ذبح غير دموي للضحية الإلهية، يشار إليه سرّيًا بفصل الشكلين المقدسين، وبتقدمتها للآب الأزلي. والمأدبة المقدسة جزء مكمّل غايته الحمل على المشاركة فيها بتناول السرّ العظيم. ولكن بينما هو ضرورة مطلقة بالنسبة إلى خادم الذبيحة، هو فقط بالنسبة إلى المؤمنين موصى به بقوّة.

حضور المسيح في أسرار الكنيسة

٣٨٥٥ - ... ليست السنة الليتورجية... تمثيلاً باردًا بلا حياة، لأحداث جرت في الأزمنة الماضية، أو مجرّد تذكير بسيط بأشياء من عهد فائت. إنها بالحري المسيح نفسه المستمرّ في كنيسته والذي يواصل مسيرة رحمته غير المحدودة، تلك التي بدأها

في حياته الفانية، عندما مرّ وهو يعمل الخير [رأع ١٠ :٣٨] بقصد خفي أن يجعل البشر على صلة بأسراره، ويوفّر لهم بها الحياة. ولكن هذه الأسرار لا تبقى دائمًا حاضرة وعاملة بالطريقة المريبة والغامضة التي يتخيّلها بعض الكتاب المحدثين، وإنما بالطريقة التي تعلّمنا إياها العقيدة الكاثوليكية. فالأسرار، بحسب ملافنة الكنيسة، هي أنماط سامية للكمال المسيحي، كما هي أيضًا ينبوع النعمة الإلهية، بسبب استحقاقات المسيح وصلواته، وهي تمتدّ فينا بمفاعيلها، فتبقى، على طريقتها، علة خلاصنا بحسب ما لكل منها من طبيعة خاصة.

٣٨٥٧ – ٣٨٦١ – الدستور الرسولي Sacramentum Ordinis، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧

مادّة سرّ الكهنوت وصورته

٣٨٥٧ – ١ – إن سرّ الكهنوت، الذي أنشأه المسيح ربّنا، والذي به يُنقل السلطان الروحي، وتُمنح النعمة للقيام بطريقة نظامية بالمهام الكنسيّة، تعترف الكنيسة الكاثوليكية بأنه واحد وأنه هو نفسه للكنيسة جمعاء...

والكنيسة، على مدى العصور لم تستبدل تلك الأسرار التي أنشأها المسيح ربّنا بأسرار أخرى، ولم تستطع فعل ذلك، إذ، بحسب تعليم المجمع التريدنتيني (ر ١٦٠١، ١٧٢٨) إن أسرار الشريعة الجديدة السبعة، أنشأها المسيح ربّنا، والكنيسة لا سلطان لها على «جوهر الأسرار»، أي على ما رسم المسيح نفسه، بشهادة مصادر الوحي الإلهي، أن يحفظ في العلامة السرّيّة...

٣٨٥٨ – – لقد أُثبت للجميع أن أسرار الشريعة الجديدة، بما أنها علامات منظورة وفاعلة للنعمة غير المنظورة، عليها أن تعني النعمة التي تصنعها، وتصنع النعمة التي تعنيها.

والمفاعيل التي على الرسامة المقدسة، للشماسية، والكهنوت، والأسقفية، أن تنتجها، وبالتالي أن تعنيها أيضًا، أي السلطان والنعمة، يعنيها كفايةً، في كل الطقوس المستعملة في الكنيسة الجامعة، في العهود المختلفة وفي جميع البلدان، وضعُ الأيدي والكلام الذي يحدّده.

وعلاوة على ذلك لا أحد يجهل أن الكنيسة الرومانية قد اعترفت دومًا بصحة الرسامة الممنوحة في الطقس اليوناني بدون تسليم الأدوات، بحيث لم تُفرض على اليونانيين، في مجمع فلورنسا الذي تمت فيه وحدة اليونانيين والكنيسة الرومانية، أن يغيّروا طقس الرسامة، ولا أن يدخلوا فيها تسليم الأدوات. وما هو أكثر من ذلك، أن الكنيسة أرادت، حتّى في روما، أن يُرسَم اليونانيّون بحسب طقسهم الخاص. وينتج من ذلك، بحسب فكرة مجمع فلورنسا ذاته [ر ١٣٢٦]، أن تسليم الأدوات لا تقتضيها مشيئة ربنا يسوع المسيح لجوهر هذا السرّ وصحّته. حتّى إذا كانت، في زمن ما ضرورية للصحّة بإرادة الكنيسة ورسمها، فالجميع يعلمون أن ما وضعته الكنيسة تستطيع أيضًا أن تغيّره أو تلغيه.

٣٨٥٩ – ٤ – لذلك فبعد أن دعونا نور الرب، نعلن بقوة سلطاننا الرسولي الأعظم، ونحن على معرفة تامة بالأمر، ونُقرّ ونرسم، بحسب ما تقتضي الحاجة، أن المادّة، وهي الوحيدة، للرسامات المقدسة، الشماسية، والكهنوتية، والأسقفية هي وضع الأيدي. وكذلك أن الصورة، وهي الوحيدة، هي الكلام الذي يحدّد تطبيق هذه المادّة: كلام يعني، بمعنى واحد، المفاعيل الأسرارية: أي سلطان الرسامة ونعمة الروح القدس، والتي تقبلها الكنيسة كما هي وتستعملها.

ويستتبع ذلك أننا نعلن، كما نفعل بقوة سلطاننا الرسولي، لإزالة كل جدل، وتوقي كل مضايقات الضمير، ونقضي إذا ما كانت السلطة الصالحة قد اتخذت في الماضي قرارًا آخر، أن تسليم الأدوات، في المستقبل على الأقل، ليس ضروريًا لصحّة الرسامات الشماسية والكهنوتية والأسقفية...

٣٨٦٠ – ٥ – في شأن المادّة والصورة حين مَنْح كل واحدة من هذه الرسامات، نقضي ونرسم، بقوّة السلطان الرسولي الأعظم نفسه، ما يلي:

في الرسامة الشماسية المادّة هي وضع يدي الأسقف الذي يتمّ مرّة في الطقس. والصورة هي كلمات «المقدمة»، وما هو جوهري فيها، وبالتالي مقتضى لصحة الرسامة هو ما يلي: «نسألك أيها السيد، أرسل إليه، الروح القدس حتّى يتقوّى بمواهب نعمتك المسبّعة الأشكال ليتمّ بأمانة خدمتك».

وفي الرسامة الكهنوتية، المادّة هي الوضع الأول ليدي الأسقف الذي يتمّ في صمت، لا مواصلة هذا الوضع بمدّ اليد اليمنى، ولا كذلك بالوضع الأخير ترافقه هذه الكلمات: «خذ الروح القدس: من غفرت خطاهم...». أمّا الصورة فهي بكلمات «المقدمة»، وما هو جوهري فيه، وبالتالي ضروري لصحة الرسامة هو: «نسألك أيها الآب القدير، إمنح لعبدك الحاضر هنا كرامة الكهنوت. جدّد في قلبه روح القداسة حتّى يحفظ خدمة الرسامة الثانية التي نالها منك، ويعزّز بمثل سلوكه الأخلاق الحسنة».

وأخيرًا، المادّة في الرسامة أو التكريس الأسقفي، هي وضع يدي الأسقف المكرِّس. والصورة هي كلمات «المقدمة» والجوهري فيها، وبالتالي المُقتضى لصحة الرسامة هو التالي: «أتمّ في عبدك كمال خدمتك، وقدّس الذي تزين بحلل الشرف الأسمى بندى المسْحة السماويّة»...

٣٨٦١ – ٦ – ولتوقي كل سبب ريب، نأمر بأن يتمّ وضع اليدين، عندما تُمنح رسامة، بملامسة حسيّة لرأس المزمع أن يُرسم، وإن كانت الملامسة المعنوية تكفي أيضًا لمنح السرّ بوجه صحيح...

إن إجراءات الدستور الراهن لا مفعول رجعي لها.

٣٨٦٢ – ٣٨٦٤ – رسالة أمين سرّ لجنة الكتاب المقدّس إلى رئيس أساقفة باريس الكردينال سوهار، ١٦ كانون الثاني ١٩٤٨

مسائل دقيقة في التوراة

٣٨٦٢ – إن لجنة الكتاب المقدس الحبرية... ترغب في التجاوب و[شعور الثقة البنوية] بجهد صادق في تعزيز الدروس الكتابية بتوفير الحرّية الأكمل لها، في حدود تعليم الكنيسة التقليدي، وقد أكدّت هذه الحرية بتعبير واضح الرسالة العامة [للبابا بيوس الثاني عشر]... «Divino afflante spiritu» بهذا الكلام: «إن المُفسِّر الكاثوليكيّ...] [ذكر هنا بالفرنسية النص ٣٨٣١].

فلتُفهم جيدًا وتُفسَّر، في ضوء توصية الحبر الأعظم هذه، الإجابات الثلاث الرسمية التي صدرت من قبل عن اللجنة الكتابية للمسائل المذكورة آنفًا، أي في ٢٣ حزيران ١٩٠٥، في شأن الروايات التاريخية في الكتاب المقدس والتي ليس لها من التاريخ سوى المظهر[٣٣٧٣]، وفي ٢٧ حزيران ١٩٠٦، في شأن صحة نسبة التوراة الموسوية [٣٣٩٤ – ٣٣٩٧]، وفي ٣٠ حزيران ١٩٠٩، في شأن الصفة التاريخية للفصول الأولى الثلاثة من التكوين (٣٥١٢ – ٣٥١٩)، ويُسلّم بأنها لا تتعارض إطلاقًا مع فحص لاحق علْمي حقًا لهذه المسائل، بحسب النتائج التي أحرزت في الأربعين سنة الأخيرة. وبالتالي، لا ترى اللجنة الكتابية حاجة، على الأقل في الوقت الراهن، لإصدار مراسيم جديدة في شأن هذه المسائل.

٣٨٦٣ – ففي شأن تأليف التوراة، كانت اللجنة الكتابية تعترف، في المرسوم المذكور آنفًا، الصادر في ٢٧ حزيران ١٩٠٦، أنه بالإمكان القول إن موسى «استعان لتأليف كتابه، بوثائق مكتوبة أو بتقاليد شفهية» والأخذ أيضًا بحصول تغييرات وإضافات لاحقًا» [٣٣٩٦...]. فما ن أحد اليوم يشك بوجود هذه المصادر، أو يرفض نموًّا تدريجيًا للشرائع الموسوية، بسبب الأحوال الاجتماعية والدينية في الأزمنة اللاحقة، نموًّا يظهر أيضًا في الروايات التاريخية.

مع ذلك، هناك حتمًا بين المُفسِّرين الكاثوليكيين، آراء متباينة جدًّا يؤخذ بها اليوم في شأن طبيعة هذه الوثائق وعددها وتسميتها وتاريخها. بل لا يخلو الأمر من كتّاب، في بلدان مختلفة، يرذلون بحَزم لأسباب محض نقدية وتاريخية، بدون أي نيّة دفاعية، النظريات الأكثر انتشارًا حتّى الآن، ويبحثون عن شرح بعض الخصائص التحريرية في التوراة، لا في تنوّع الوثائق المزعومة أكثر ممّا في النفسيّة الخاصة، والطرائق الخاصة المعروفة اليوم أكثر، وتفكير الشرقيين القدماء وتعبيرهم، أو أيضًا في الفن الأدبي المختلف الذي يتطلبه تنوع المواضيع.

لذلك ندعو العلماء الكاثوليكيين إلى دراسة هذه المشاكل بدون تحيّز، في ضوء نقد سليم، ونتائج العلوم الأخرى المتعلّقة بهذه المواضيع. ولا ريب في أن دراسة كهذه ستثبت النصيب الكبير والتأثير العميق الذي كان لموسى كمؤلف وكمشترع.

٣٨٦٤ – مسألة الفنون الأدبية في الأحد عشر فصلاً الأولى من التكوين هي أكثر

غموضًا وتعقيدًا. وهذه الفنون الأدبية لا تتوافق وأي من الأساليب المدرسيّة اليونانية أو اللاتينـية أو العصرية. فليس من الممكن إذن تأكيد أو نفي الصفة التاريخية بالجملة، بدون أن نطبق عليها من غير وجه حق قواعد فن أدبي لا يمكن تصنيفها فيه. فإذا تمّ الاتفاق على أن لا يُرى في هذه الفصول تاريخ بالمعنى المدرسي العصري، فلا بدّ من الإقرار أيضًا بأن المعطيات العلمية الراهنة لا تجيز إعطاء حل إيجابي لجميع المشاكل التي تطرحها.

إن الواجب الأول الذي يقع على عاتق التفسير العلمي هنا يقوم أولاً على دراسة متنبهة لجميع المشاكل الأدبية، والعلمية، والتاريخية، والثقافية، والدينية المتّصلة بهذه الفصول. ومن اللازم، بكلمة واحدة، تجميع كل مادّة من العلوم الإحاثية والتاريخية والنقشية والأدبية، بدون أفكار سابقة. وهكذا فقط يمكن أن نأمل رؤية أوضح للطبيعة الحقيقية لبعض الروايات في الفصول الأولى من التكوين.

إن التصريح القَبْلي بأن رواياتها لا تحوي تاريخًا بالمعنى العصري للكلمة، يمكن أن تؤدي بسهولة إلى فهم أنها لا تحويه بأي معنى، فيما هي تسرد بلغة بسيطة ومجازية تتلاءم وذهنيات بشرية أقل تطورًا، الحقائق الأساسية المفترضة للتدبير الخلاصي، وفي الوقت عينه، الوصف الشعبي لأصل الجنس البشري والشعب المختار.

۳۸٦٥ – مرسوم المجمع المقدّس، ۲۸ حزيران (۱ تموز) ۱۹٤۹

مرسوم ضدّ الشيوعية

۳۸٦٥ – سؤال: ۱ – هل يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي أو تعزيزه بوجه ما [راجع ۳۹۳۰]؟

۲ – هل يجوز طبع، أو نشر أو قراءة كتب أو مجلاّت أو جرائد أو نشرات تؤيد عقيدة أو عمل الشيوعيين، أو الكتابة فيها؟

۳ – هل يمكن أن يُقبل في الأسرار مؤمنون مسيحيّون قاموا، عن معرفة وحرّية، بالأفعال التي ذُكرت في ۱ و۲

٤ – هل يقع مؤمنون مسيحيون يعتنقون عقيدة الشيوعيين المادّية والمناقضة للمسيحية وخصوصًا من يدافعون عنها وينشرونها، بذات الفعل، كجاحدين للإيمان الكاثوليكي، تحت الحرم المحفوظ خصوصًا للكرسي الرسولي؟

جواب: (ثبته الحبر الأعظم في ٣٠ حزيران):

١ – كلاّ. فالشيوعية هي مادّية ومناقضة للمسيحية، وإن كان الزعماء الشيوعيون يعلنون أحيانًا بالكلام أنهم لا يحاربون الديانة، إنهم يظهرون في الواقع إمّا بالعقيدة وإمّا بالأفعال، أنهم معادون لله وللديانة الحقيقية ولكنيسة المسيح.

٢ – كلاّ. فهي ممنوعة حكمًا بالقانون (راجع الحق القانوني [١٩١٧] ق. ١٣٩٩).

٣ – كلاّ. بحسب المبادئ العادية في شأن رفض منح الأسرار لمن ليس عندهم الاستعداد المطلوب.

٤ – أجل.

٣٨٦٦ – ٣٨٧٣ – رسالة المجمع المقدّس إلى رئيس أساقفة بوسطن، ٨ آب ١٩٤٩

ضرورة الكنيسة للخلاص

٣٨٦٦ – ... بين الأشياء التي دعت إليها الكنيسة دائمًا، ولن تنقطع أبدًا من الدعوة إليها، يوجد أيضًا هذا القول المعصوم الذي يعلّمنا أنه «لا خلاص خارجًا عن الكنيسة».

ولكن يجب فهم هذه العقيدة بالمعنى الذي تفهمه الكنيسة. فخلّصنا لم يوكل إلى الحكم الذاتي شرح الأمور الموجودة في وديعة الإيمان، بل إلى السلطة التعليمية في الكنيسة.

٣٨٦٧ – أوّلاً تعلم الكنيسة أن الأمر يتعلّق في هذه المسألة بوصية صارمة جدًّا من يسوع المسيح. فهو قد فرض صراحة على رسله أن يعلموا جميع الأمم المحافظة على كل ما أمر به. وليست الأقل بين وصايا المسيح، تلك الوصية التي تأمرنا بأن نكون شركاء

بالمعمودية في جسد المسيح السرّي الذي هو الكنيسة، وأن نبقى متحدين به وبنائبه الذي يسوس بوجه ظاهر كنيسته على الأرض. لذلك لا أحد يخلص إذا لم يقبل الخضوع للكنيسة، وهو يعلم أن المسيح قد أسّسها إلهيًا، أو رفض الطاعة للحبر الروماني، نائب المسيح على الأرض.

٣٨٦٨ – والمخلّص لم يأمر فقط بأن تدخل جميع الشعوب في الكنيسة، بل قضى أيضًا بأن تكون الكنيسة وسيلة الخلاص، التي بدونها لا يستطيع أحد الدخول في ملكوت المجد السماوي.

٣٨٦٩ – وقد شاء الرب، في رحمته غير المتناهية، أن المفاعيل الضرورية للخلاص التي لوسائله تلك المعدَّة لغاية الإنسان الأخيرة، لا بضرورة ذاتية ولكن بوضع إلهي فقط، يمكن الحصول عليها في بعض الظروف، عندما لا تعمل هذه الوسائل إلاّ بالرغبة والتمنّي.

ونرى ذلك واضحًا في ما قاله المجمع التريدنتيني عن سرّ المعمودية، أو عن سرّ التوبة [١٩٢٤، ١٩٤٣].

٣٨٧٠ – ويجب أن يقال مثل ذلك عن الكنيسة، بما يتناسب معها، بكونها وسيلة الخلاص العامة. فلكي يحصل أحد على الخلاص الأبدي، ليس من المطلوب دائمًا أن يكون شريكًا فعلاً في الكنيسة كعضو، ولكن المطلوب على الأقل أن يكون متحدًا بها بالتمني والرغبة.

إلاّ أنه ليس من الضروري دائمًا أن يكون ذلك التمني صريحًا، كما هو عند حديثي الإيمان، فالله يقبل أيضًا، عندما يكون الإنسان ضحية جهل لا يُقاوم، التمنّي الضمني، المسمّى هكذا لأنه متضمَّن في ما للنفس من استعداد حسن، يبغي به الإنسان مطابقة مشيئته لمشيئة الله.

٣٨٧١ – هذا هو تعليم [رسالة بيوس الثاني عشر] الواضح... في شأن جسد يسوع المسيح السرّي. ويميّز الحبر الأعظم فيه بدقّة من هم في الحقيقة شركاء في الكنيسة كأعضاء، ممّن ليسوا متّحدين بالكنيسة إلاّ بالتمنّي... «ولكن أولئك وحدهم هم جزء من الكنيسة الذين نالوا معمودية الولادة الجديدة، ويعترفون بالإيمان

الحقيقي، والذين ليسوا، من جهة أخرى، منفصلين عن جملة الجسم، أو لم يُقطعوا منه بسبب خطايا ثقيلة جدًّا، على يدّ السلطة الشرعية» [٣٨٠٢].

ولكن في ما يقرب من آخر الرسالة عينها، يدعو بحب شديد إلى الوحدة من ليسوا في جسد الكنيسة الكاثوليكية، ويذكر «أولئك الذين برغبة ما وتمنّ غير واعٍ، هم مُعدّون لجسم الفادي السرّي» ولا يقصيهم إطلاقًا عن الخلاص الأبدي. ولكنه يقول عنهم، من جهة أخرى، إنهم في حالة «لا يتأكّد فيها لأحد خلاصه الأبدي... إذ هم محرومون من مثل تلك المساعدات والإحسانات السماوية الكبيرة، التي لا يمكن التمتّع بها إلاّ في الكنيسة الكاثوليكية» [٣٨٢١].

٣٨٧٢ – إنه يدين أيضًا بهذه الكلمات الحكيمة، مَن يُقصون عن الخلاص الأبدي جميع الناس المتحدين بالكنيسة بتمنّ ضمنيّ فحسب، كما أولئك الذين يقولون مخطئين إن الناس يمكن أن يخلصوا أيضًا في كل ديانة [راجع ٢٨٦٥].

ويجب أن لا نفكّر أيضًا بأن أيّ رغبة في دخول الكنيسة تكفي للخلاص. إذ من الضروري أن تُنعِش التمني الذي يُعدّ أحدًا للكنيسة المحبةُ الكاملة. فالتمنّي الضمني لا يمكن أن يكون فاعلاً إلاّ إذا كان للإنسان إيمان يفوق الطبيعة.

[يُذكر كمرجع عب ١١، ٦، والمجمع التريدنتيني، الجلسة ٦، الفصل ٨: ١٥٣٢].

٣٨٧٣ – فممّا قيل يظهر إذن بوضوح أن ما يُعرَض في التعليق (في مجلة From the Housetops الجزء ٣، على أنه العقيدة الصحيحة للكنيسة الكاثوليكية، هو بعيد عنها كثيرًا، وأن ذلك مُضرٌّ بالذين في الداخل كما بالذين في الخارج.

لذلك لا يمكن فهم كيفية انسجام معهد مركز بندكتوس مع نفسه، إذ بينما يسمّي ذاته مدرسة كاثوليكية ويريد أن يُرى كذلك، لا ينسجم في الحقيقة مع ما يرسمه القانونان ١٣٨١ و١٣٨٢ من الحق القانوني [١٩١٧]، بل هو مصدر خلافات مع السلطة الكنسية وثورة عليها، وذلك سببُ قلق لكثير من الضمائر.

كذلك لا يُفهم، كيف أن راهبًا، هو الأب فيني (Feeney)، يستطيع أن يقدّم ذاته «كمدافع عن الإيمان» وهو لا يتردّد، في الوقت عينه، في محاربة التعليم المسيحي الذي تعرضه السلطات الشرعية...

٣٨٧٣ – خطاب في المؤتمر الرابع للأطباء الكاثوليكيين، ٢٩ أيلول ١٩٤٩

الإخصاب الاصطناعي

٣٨٧٣ أ– ١ – إن ممارسة هذا الإخصاب الاصطناعي، بما أن الأمر يتعلّق بالإنسان، لا يمكن النظر إليها، لا حصرًا ولا أوّلاً، من الناحية البيولوجية والطبّية، وإغفال الناحيتين الأخلاقية والقانونية.

٢ – إن الإخصاب الاصطناعي، خارج الزواج، يجب أن يُحكم عليه بلا تحفظ بأنه غير أخلاقي. فتلك هي الشريعة الطبيعية والشريعة الإلهية الوضعية أن ولادة حياة جديدة لا يمكن أن تكون إلاّ ثمرة زواج.

فالزواج وحده يحفظ كرامة الزوجين (خصوصًا المرأة في الحالة الحاضرة) وخيرهما الشخصي. وهو وحده يوفر بذاته الخير للولد وتربيته.

وبالتالي فليس هناك أي اختلاف في الرأي ممكن بين الكاثوليكيين، في شأن الحكم على إخصاب اصطناعي خارج اقتران الزوجين. والولد الذي يُحبل به في هذه الأحوال يكون غير شرعي بالفعل ذاته.

٣ – إن الإخصاب الاصطناعي في الزواج، إذا ما نتج عن عنصر فاعل لشخص ثالث، هو أيضًا غير أخلاقي، وبصفته هذه، يجب أن يُرذل قطعًا.

إن الزوجين وحدهما لهما حق متبادل في ولادة حياة جديدة، وهذا الحق حصريّ، لا يمكن التخلّي عنه، وهو غير قابل للتصرّف. وهذا ما يجب أن يكون بالنسبة أيضًا إلى الولد. فالطبيعة تفرض على كل من يعطي الحياة لكائن صغير، بقوة هذا الرابط عينه، مهمّة الحفاظ عليه وتربيته. ولكن بين الزوج الشرعي والولد، ثمرة العنصر الفاعل لشخص ثالث، (وإن رضي الزوج) ليس من رباط في الأصل، وليس هناك رابط معنويّ أو قانوني من ولادة زواجية.

٤ – أمّا في شأن جواز الإخصاب الطبيعي في الزواج، فيكفينا حاليًا التذكير بهذه المبادئ من الشرع الطبيعي: إن مجرّد بلوغ نتيجة مقصودة بهذه الطريقة لا يسوّغ استعمال الوسيلة ذاتها. ولا تكفي الرغبة الشرعية جدًّا عند الزوجين، بحد ذاتها، في

أن يكون لهما ولد، للبرهان على شرعية اللجوء إلى الإخصاب الاصطناعي الذي يلبي تلك الرغبة.

ومن الخطإ التفكير بأن إمكان اللجوء إلى هذه الوسيلة يستطيع أن يجعل صحيحًا زواج شخصين غير صالحين لعقده بفعل مانع العجز. ومن جهة أخرى، لا داعي للفت النظر إلى أن العنصر الفاعل لا يمكن أبدًا أن يجوز استخراجه بأفعال تخالف الطبيعة.

وإن كان من غير الممكن قَبْليًّا إقصاء طرائق جديدة، بسبب جدّتها فحسب، مع ذلك، هناك، في ما يتعلّق بالإخصاب الاصطناعي، ما يدعو لا إلى أعظم الحذر فقط، بل إقصاء ذلك على الإطلاق. وبهذا الكلام، لا يُرفض بالضرورة استعمال بعض الوسائل المعدّة فقط إمّا لتسهيل الفعل الطبيعي، وإمّا لجعل الفعل الطبيعي الذي يتمّ بوجه شرعي يبلغ غايته.

٣٨٧٤ – جواب المجمع المقدّس، ٢٨ كانون الأول ١٩٤٩

نيّة خادم السرّ

٣٨٧٤ – سؤال: للحكم في قضايا الزواج، هل يمكن أن تُعدّ المعمودية الممنوحة عند بِدَع تلاميذ المسيح، والمشيَخيين، والجمهوريين، والمعمدانيين، والميثوديين – إذا افترضنا وجود المادّة والصورة – غير صحيحة، لعدم وجود النيّة، عند خادم السرّ، لفعل ما تفعله الكنيسة، أو ما وضعه المسيح، أو بالعكس يجب أن تُعدّ صحيحة عندما لا يُبرهن على العكس، في الحالة الخاصة.

جواب: كلاّ، بالنسبة إلى النقطة الأولى – وأجل بالنسبة إلى الثانية.

٣٨٧٥ – ٣٨٩٩ – الرسالة العامة "Humani generis"، ١٢ آب ١٩٥٠

معرفة الله

٣٨٧٥ – وإن كان العقل البشري، لِنقُل ذلك ببساطة، قادرًا في الحقيقة، بقواه ونوره الطبيعي، بلوغ معرفة حقيقية وأكيدة لله الواحد والشخصيّ، الذي يحمي

ويسوس العالم بعنايته، وكذلك لشريعة طبيعية وضعها الله في نفوسنا، إلاّ أن هناك موانع تحول بين هذا العقل عينه واستعماله الفعّال والمثمر لتلك المقدرة التي له من الأصل.

فالأمور المرتبطة بالله، وبالعلاقات القائمة بين الله والإنسان، هي حقائق تفوق بالمطلق نظام الأشياء الحسيّة. وعندما يجب أن تنطبق على السلوك في الحياة وإعطائه شكلاً، فهي تقتضي بذل الذات وإنكارها. والذهن البشري يعاني صعوبة في سبيل إدراك مثل تلك الحقائق، بفعل اندفاع الحواس والمخيلة، وكذلك الرغائب السيّئة المتأتية من الخطيئة الأصلية. من هنا يأتي أن الناس يستيقنون بسهولة خطأ ما لا يريدون أن يكون حقيقيًا، أو على الأقل ما هو قابل للشك فيه.

٣٨٧٦ – لذلك يجب القول إن «الوحي» الإلهي ضروري معنويًّا، لكي يكون بإمكان ما لا يستحيل إدراكه على العقل بحد ذاته من الشأن الديني الأخلاقي، أن يعرفه الجميع بدون صعوبة، وبيقين ثابت لا يشوبه ضلال، في حالة البشرية الراهنة [٣٠٠٥].

وما هو أكثر من ذلك، أن الذهن البشري يستطيع أحيانًا أن يلاقي صعوبة في مجرّد صياغة حكم ثابت في شأن «مصداقية» الإيمان الكاثوليكي، وإن كان هناك علامات خارجية كثيرة ساطعة، هيأها الله، تمكّن فقط بالنور الطبيعي للعقل البشري، من إعطاء برهان يقيني على الأصل الإلهي للديانة المسيحية. فالإنسان يستطيع، محمولاً بأحكام سابقة أو مدفوعًا بأهوائه لا أن يتمنّع فقط عن العلامات الخارجية البيّنة، مهما كانت واضحة، ويقاومها، بل أيضًا عن الإيحاءات العلوية التي يُشعر بها الله نفوسنا.

اتجاهات خطيرة في الفلسفة الراهنة

٣٨٧٧ – هناك من يزعمون أن ما يسمّونه بالمذهب التطوّري... والذي يقبلونه بلا فطنة ولا تمييز، يمتدّ إلى أصل كل الأشياء. وهم لا يخشون من ثمّ بإظهار ميلهم إلى المفهوم الواحدي، ومفهوم وحدة الوجود لكون خاضع لتطوّر دائم. وهذا المفهوم

بالضبط، يحبّ مناصرو الشيوعية أن يستخدموه لنشر «ماديتهم الجدلية» ووضعها في الواجهة بفاعلية أكبر، بعد نزع أي مفهوم لله من الأذهان.

يضاف إلى ذلك «تاريخية» خاطئة تتمسّك فقط بأحداث الحياة البشرية، فتنقض أساسات كل حقيقة وكل شريعة مطلقة في ما يتعلّق بالفلسفة كما بالعقائد المسيحية ذاتها...

الطريقة الدفاعية

٣٨٧٩ – إن اللاهوتيين والفلاسفة الكاثوليكيين الذين يضطلعون بالمهمّة الثقيلة في الدفاع عن الحقيقة الإلهية والإنسانية، وإدخالها في عقل البشر، لا يمكنهم أن يجهلوا أو يهملوا هذه المفاهيم التي تحيد قليلاً أو كثيرًا عن جادّة الصواب. وما هو أكثر من ذلك، عليهم أن يفضحوا هذه المفاهيم، أوّلاً لأن الأمراض لا تعالج إلاّ إذا عُرفت جيدًا من قبل، ثم لأنه يختبئ أحيانًا في الأقوال الخاطئة ذاتها عنصر حقيقة، وأخيرًا لأن تلك الأقوال نفسها تحفز الذهن إلى سبر بعض الحقائق الفلسفية أو اللاهوتية، والنظر فيها بدقة أكبر...

٣٨٨٠ – وكما كان هناك في الماضي أُناس يسألون عن الطريقة الدفاعية التقليدية في الكنيسة: أليس هي حاجزًا أكثر ممّا هي عون لكسب النفوس للمسيح، لا يخلو الزمن الحاضر أيضًا ممن يبلغ بهم الأمر حدّ التساؤل جديًا: أليس على اللاهوت والطريقة التي ينتهجها، كما هما ممارسان في المدارس برضى السلطة الكنسيّة، لا أن يتقدّما فحسب، بل أن يُصلحا تمامًا حتّى ينتشر ملك المسيح بفاعلية أكبر في العالم كله، بين الناس من أيّ ثقافة أو ديانة كانوا.

لو لم يكن قصدهم سوى أن يلائموا أكثر، بإدخال طريقة جديدة في التعليم، تعليم الكنيسة وطريقته مع الأحوال والحاجات الراهنة، لما كان هناك داعٍ للقلق. ولكن البعض، بدافعٍ من «نزعة سلميّة» خالية من الفطنة، يبدون كأنهم يعدّون مثل حواجز في سبيلٍ إعادة الوحدة الأخوية، ما يقوم في الواقع، على الشرائع نفسها والمبادئ التي وضعها المسيح، وعلى المؤسّسات التي أنشأها هو، وما يكوّن الدفاع عن سلامة الإيمان والمساندة لها.

وجوب المحافظة على التعابير اللاهوتية

٣٨٨١ – يرتئي البعض، في شأن اللاهوت، تقليص مدلول العقائد أكثر ما يستطاع، وتحرير العقيدة نفسها من طريقة التعبير التي استعملتها الكنيسة منذ زمن طويل، ومن المفاهيم الفلسفية القائمة عند الملافنة الكاثوليكيين، للرجوع في عرض العقيدة الكاثوليكية إلى طريقة التعبير الموجودة في الكتاب المقدّس وعند الآباء القديسين.

وهم يأملون هكذا أن العقيدة تستطيع، بتجريدها من العناصر التي يقولون إنها طارئة على الوحي الإلهي، أن تقارَن بطريقة مجدية بالتعابير العقيدية التي عند المنفصلين عن وحدة الكنيسة، حتّى نصل، عن هذا السبيل خطوة خطوة، إلى التجانس بين العقيدة الكاثوليكية وأفكار المنشقين.

٣٨٨٢ – علاوة على ذلك، يقولون إن العقيدة الكاثوليكية عندما تتقلّص إلى هذه الحالة، يُمَهِّد السبيل لتلبية الاحتياجات الراهنة، وللتعبير أيضًا عن العقيدة بمنطق الفلسفة الراهنة، من «كمونيّة» و«مثالية» و«وجودية» أو مذهب آخر.

لذلك يقول البعض بجسارة أكبر أيضًا إن ذلك يمكن أو يجب أن يُعمَل أيضًا لأن أسرار الإيمان، كما يقولون، لا يمكن أبدًا التعبير عنها تعبيرًا مناسبًا بألفاظ صحيحة ولكن فقط بألفاظ «تقريبية» قابلة دومًا للتغيير، تدل على الحقيقة بمقدار ما، ولكنها بالضرورة أيضًا تشوّهها. لذلك لا يرون من الحماقة بل من الضرورة أن يستبدل اللاهوت، بحسب الفلسفات المتنوّعة التي يستعملها في مجرى الزمن كأدوات، التعابير القديمة بجديدة، بحيث يعبّر بطريقة بشرية عن الحقائق الإلهية ذاتها، في نماذج مختلفة، بل حتّى متناقضة بمعنى ما، ولكنها متكافئة في رأيهم. ويضيفون أيضًا أن تاريخ العقائد يقوم على بسط الأشكال المختلفة المتلاحقة التي تصوّرت بها الحقيقة الموحى بها، بحسب مختلف العقائد والمفاهيم التي ظهرت على مجرى التاريخ.

٣٨٨٣ – فمن الواضح، بحسب ما قلنا، أن هذه المحاولات لا تقود إلى ما يسمّونه «نسبيّة» عقيدية فقط، بل تتضمنها فعلاً. وازدراء العقيدة المقبولة عمومًا والألفاظ التي عبّرت عنها، يعززها كثيرًا.

أجل ليس هناك من لا يرى أن الألفاظ المعبّرة عن مثل هذه المعاني، والمستعملة في المدارس كما في التعليم الكنسي الرسمي ذاته، يمكن تحسينها وجعلها أفضل. ومعلوم من جهة أخرى أن الكنيسة لم تستعمل دومًا الألفاظ نفسها. ومن الواضح أيضًا أن الكنيسة لا تستطيع التقيّد بأيّ مذهب فلسفيّ لا تدوم سيادته سوى وقت وجيز. ولكن ما وُضع مدى أجيال برضى الملافنة الكاثوليكيين العام، للبلوغ إلى فهم العقيدة بعض الفهم، لا يقوم بوجه أكيد على أساس واه هكذا. فهو يقوم على مبادئ ومفاهيم مستنتجة من المعرفة الحقيقية للمخلوقات الموجودة، وبالاستنتاج من هذه المعارف أضاءت حقيقة الوحي الإلهي مثل نجمة الذهن البشري بوساطة الكنيسة.

لذلك لا عجب إذا كانت المجامع المسكونية لم تكتفِ فقط باستعمال بعض المفاهيم، بل أيّدتها بحيث لا يجوز الابتعاد عنها...

إن ازدراء الألفاظ والمفاهيم التي يستخدمها عادة اللاهوتيون المدرسيّون يؤدي تلقائيًا إلى إنهاك اللاهوت المسمّى بالنظري، الذي يرونه خاليًا من يقين حقيقي لأنه يستند إلى تعليل لاهوتي...

السلطة التعليمية في الكنيسة

٣٨٨٤ - إنهم يُظهرون السلطة التعليمية كأنها عائق للتقدّم ومعثرة في سبيل العلم، بل إن بعض غير الكاثوليكيين يرونها كابحًا جائرًا حال بين بعض اللاهوتيين الأكثر ثقافة وتجديدِ مادّة بحثهم. وعلى كون الواجب يُلزم كل لاهوتي بأن يَعُدّ هذا السلطان التعليمي، القاعدة القريبة والعامة للحقيقية، في مجال الإيمان - إذ سلمه المسيح الرب كل وديعة الإيمان، أيّ الكتاب المقدّس و«التقليد» الإلهي، ليحافظ عليها ويدافع عنها ويفسّرها - فواجب المؤمنين أن يتجنّبوا هم أيضًا الأضاليل التي تقترب كثيرًا أو قليلاً من الهرطقة، وبالتالي أن «يحفظوا حتّى الدساتير والمراسيم التي ينبذ بها الكرسي المقدّس ويمنع مثل تلك الآراء الفاسدة» هو أحيانًا مجهول عندهم كما لو أنه غير موجود...

٣٨٨٥ - ... ويجب أيضًا أن لا يُعَدَّ ما هو معروض في الرسائل العامة غير ملزم بحدّ ذاته بالقبول، إذ لا يمارس فيه البابوات سلطتهم التعليمية العليا. فعلى ما تقوله السلطة

التعليمية العادية ينطبق أيضًا هذا الكلام: «من سمع منكم، فقد سمع منّي» [لو ١٠، ١٦]. وفي أغلب الأحيان يكون ما تعرضه الرسائل العامة وتعلّمه ممّا يخصّ العقيدة من قبل.

وإذا أصدر الأحبار العظام حكمًا صريحًا في مادّة كانت حتّى ذلك الحين موضوع نقاش، يدرك الجميع أن تلك المادّة، في رأي وإرادة الأحبار العظام، لا يمكن – أن تُعدَّ من بعد كأنها موضوع نقاش حرّ بين اللاهوتيين.

استعمال مصادر الوحي وسوء استعمالها

٣٨٨٦ – صحيح أيضًا أنه على اللاهوتيين أن يرجعوا دومًا إلى مصادر الوحي الإلهي. ولهم أن يبيّنوا كيفية وجود ما تعلّمه السلطة الحيّة صراحة أو ضمنًا، في الأسفار المقدّسة و«التقليد» الإلهي. وعلاوة على ذلك فكلا المصدرين للعقيدة الإلهية الموحى بها يتضمّنان من الكنوز الوفيرة والكبيرة للحقيقة ما لا ينضب في الواقع أبدًا. لذلك لاتني العلوم المقدّسة تجدّد شبابها بدراسة المصادر، بينما البحث النظري الذي يهمل التوغّل في دراسة الوديعة المقدّسة يصبح عقيمًا كما يعلّمنا الاختبار.

لهذا السبب لا يمكن إعادة ما يسمّى باللاهوت الوضعي نفسه إلى مستوى علم تاريخي صرف. فالله قد أعطى كنيسته، مع ذينك المصدرين المقدسين اللذين ذكرناهما، سلطة تعليمية حيّةً لتوضيح واستخراج ما لم يكن موجودًا في ديعة الإيمان إلاّ بوجه غامض، ولنقل بوجه ضمني.

وهذه الوديعة لم يُسلَّم لكل مؤمن، ولا حتّى للاهوتيين أنفسهم، تفسيرُها الصحيح، وإنّما للسلطة التعليمية في الكنيسة فقط. وإذا كانت الكنيسة تضطلع بمهمّتها هذه، كما جرى لها مرارًا على مدى العصور، بممارسة عادية أو غير عادية، فمن الواضح أن الطريقة تكون خاطئة تمامًا إذا شُرح الواضح بالغامض، بل أكثر من ذلك، إن الترتيب المعاكس يفرض نفسه على الجميع. وهكذا بيوس التاسع، سلفنا الخالد الذكر، عندما علّم أن مهمّة اللاهوت النبيلة هي في إظهار كيفية احتواء مصادر العقيدة التي حدّدتها الكنيسة لها، أضاف، ولسبب خطير، هذا الكلام: «في المعنى ذاته التي حُدِّدت به».

٣٨٨٧ – يعرُض أيضًا البعض أو يُدخلون في الأذهان آراء متنوّعة تثلم سلطة الكتاب المقدّس الإلهية. فيجرؤ البعض على تحريف معنى تحديد المجمع الفاتيكاني الذي يعلن أن الله هو مؤلّف الأسفار المقدّسة فيجدّدون هكذا الرأي الذي حكم عليه مرارًا والقائل بأن العصمة من الخطإ في الكتاب المقدّس لا تمتدّ إلاّ لما له علاقة بالله وبالأمور الأخلاقية والدينية، بل يتكلّمون خطأ على معنى بشري للأسفار المقدّسة يختفي تحت المعنى الإلهي الذي يعدّونه وحده معصومًا.

إنهم يريدون، في تفسير الكتاب المقدّس، أن لا يُعتدّ على الإطلاق بالمقايسة الإيمانية، و«بالتقليد» الكنسي، بحيث يجب، بوجه ما، الحكم على تعليم الآباء القديسين والسلطة المقدّسة بمقياس الكتاب المقدّس، كما يشرحه المفسّرون بطريقة بشرية صرف، وذلك أحرى من شرح هذا الكتاب المقدّس بحسب روح الكنيسة، التي جعلها المسيح ربّنا حارسة ومفسِّرة لصحة وديعة الحقيقة الموحى بها إلهيًا.

٣٨٨٨ – وعلاوة على ذلك، لا بدّ لمعنى الكتاب الحرفي، بحسب مفهومهم الخاطئ، والشرح الذي أوجده له، بمراقبة الكنيسة، العددُ الكبير من المفسرين العظام، من أن ينكفئ أمام التفسير الجديد الذي يسمّونه بالرمزي أو الروحي. فبه يفهم الجميع أخيرًا الأسفار المقدّسة من العهد القديم الباقية اليوم في الكنيسة كنبع مختوم ويقولون إن جميع الصعوبات التي لا تعوق سوى من بقوا متمسكين، بمعنى الأسفار الحرفي تزول بهذه الطريقة.

٣٨٨٩ – يرى الجميع كم تبتعد تلك العقائد كلها عن المبدأ والمعايير التفسيرية التي أوجدها سلفانا السعيدا الذكر لاون الثالث عشر في رسالته العامة Providentissimus وبندكتوس الخامس عشر في رسالته العامة Spiritus Paraclitus، وكذلك نحن أنفسنا في الرسالة العامة Divino afflante Spiritu.

نتائج التوجّهات اللاهوتية الجديدة

٣٨٩٠ – لا عجب أن تكون هذه الأمور المستحدثة قد أنتجت ثمارًا مسمومة في جميع أقسام اللاهوت. فهناك شك في أن يستطيع العقل البشري، بدون عون «الوحي» الإلهي والنعمة الإلهية، البرهان، بأدلّة من الكائنات المخلوقة على وجود إله

شخصي، وهناك إنكار لأن يكون للعالم بدء، وزعم أن خلق العالم كان ضروريًا إذ يصدر عن جودة الحب الإلهي الضرورية. وتلك عقائد تتعارض كلها وتصريحات المجمع الفاتيكاني [٣٠٠١، ٣٠٠٣].

٣٨٩١ – ويتساءل البعض أيضًا عن الملائكة، هل هم خلائق شخصية، وعن المادّة هل تختلف جوهريًا عن الروح. وغيرهم يشوّهون «المجانية» الحقيقية للنظام الفائق الطبيعة، عندما يزعمون أن الله لا يستطيع خلق كائنات عاقلة دون أن يُعدَّها للرؤية السعيدة ويدعوها إليها.

وهذا لا يكفي. فبتنحية تحديدات المجمع التريدنتيني، يُحرَّف مفهوم الخطيئة الأصلية، وفي الوقت ذاته مفهوم الخطيئة على العموم، بكونه إهانة لله، ومفهوم التكفير الذي أدّاه المسيح عنّا.

ولا يخلو الأمر من أُناس يؤيدون أن عقيدة التحوّل الجوهري، المرتكزة، بحسب قولهم، على مفهوم قديم للجوهر، يجب أن تُصحّح، بحيث يُعاد حضور المسيح في الافخارستيا المقدّسة إلى رمزية ما، بمعنى أن الأشكال المقدّسة لا تكون سوى علامات فاعلة على حضور المسيح الروحي واتحاده الصميم بأعضائه المؤمنين في الجسد السرّي...

مبادئ فلسفة صحيحة

٣٨٩٢ – من المعلوم أن الكنيسة تقدّر تقديرًا كبيرًا العقل البشري، في كفايته للبرهان الأكيد على وجود الله الوحيد والشخصيّ، والدلالة بنجاح على أُسُس الإيمان الكاثوليكي نفسه انطلاقًا من العلامات الإلهية، وكذلك التعبير الصحيح عن الشريعة التي وضعها الخالق في قلب الإنسان، وأخيرًا بلوغ شيء من معرفة الأسرار مثمر حقًّا.

ولكن هذه المهمّة لا يستطيع العقل ممارستها ممارسة صحيحة وأكيدة إلاّ إذا كان نُشِّئ كما ينبغي، أيّ إذا تعلّم تلك الفلسفة الصحيحة السامية منذ زمن طويل، كإرث نقلته القرون المسيحية السابقة، والتي تتمتّع بدرجة رفيعة من السلطة، بحيث إن الكنيسة المعلّمة نفسها لجأت إلى مبادئها ومقولاتها الأساسية، التي

اكتشفتها وحدّدتها رويدًا رويدًا عقول كبيرة، لفحص «الوحي» الإلهي ذاته. وهذه الفلسفة المعترف بها والمقبولة في الكنيسة، تدافع عن القيمة الصحيحة والحقيقية للمعرفة البشرية، وعن المبادئ الثابتة للماورائيات – مبدأ السبب الكافي، ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية – وأخيرًا عن القدرة على بلوغ حقيقة أكيدة وثابتة.

٣٨٩٣ – أجل عرضت في هذه الفلسفة أمور كثيرة لا تتّصل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بمسائل الإيمان والأخلاق، والتي تتركها الكنيسة، لهذا السبب، موضوع نقاش للعقول المتخصّصة. ولكن هذه الحرية ذاتها غير موجودة، في مجادلات أخرى كثيرة، ولا سيّما تلك المتعلّقة بالمبادئ، والمقولات الأساسية التي ذكّرنا بها آنفًا.

أجل، يجوز حتّى في هذه المسائل الأساسية أن تُلبس الفلسفة لباسًا أكثر تناسبًا وغنى، وأن يدافع عنها بتعابير أكثر فاعلية، وأن تُجرّد من بعض المساندات المدرسية غير الملائمة، وأن تُثرى، بفطنة، ببعض عناصر سليمة أتى بها تقدّم الفكر البشري. ولكن لا يجوز أبدًا أن تُنقض أو تُصاب بعدوى المبادئ الخاطئة، أو أن تُعدّ، بوجه ما، كبناء جليل، أجل، ولكن من عصر آخر. والسبب هو أن الحقيقة وكل العَرْض الفلسفي لها لا يمكن أن يتغيّرا من يوم إلى آخر، خصوصًا عندما يتعلّق الأمر بمبادئ يعرفها العقل البشري من تلقاء ذاتها، أو بمقولات تستند إلى حكمة الأجيال كما إلى موافقة وعمود «الوحي» الإلهي...

٣٨٩٤ – فإذا أُدرك هذا كله جيدًا، يُفهم بسهولة السبب الذي لأجله تطلب الكنيسة أن يُنشّأ كهنة المستقبل على المواد الفلسفية «بحسب طريقة وعقيدة ومبادئ الملفان الملائكي». فهي تعلَم جيدًا، من خبرة أجيال عدّة، أن ما عند الأكويني من طريقة وسياق تفكير في تنشئة المبتدئين كما في اكتشاف أعمق الحقائق، يفرض نفسه بأفضاله الفريدة أكثر مِن كلّ ما عداه...

لهذا السبب لا بدّ من التأسف شديد الأسف على أن هذه الفلسفة التي قبلتها الكنيسة واعترفت بها قد صار البعض يزدرونها اليوم، فيعلنون بوقاحة أنها عتيقة في شكلها، وعقلانية في سياق تفكيرها، على حدّ قولهم. ويقولون إن هذه الفلسفة،

التي هي فلسفتنا، تؤيد عن خطأ المفهوم الذي يعتمد إمكانية وجود علم لما بعد الطبيعة حقيقي قطعًا. وهم يقولون، بالعكس، إن الموجودات، ولا سيّما الموجودات المتعالية لا يمكن التعبير عنها بأفضل من مذاهب مباينة تتكامل بعضها مع بعض، وإن تعارضت بوجه ما بعضها مع بعض.

تطبيق العلوم الوضعية على الديانة

٣٨٩٥ – ... كثيرون هم الذين يطلبون من الديانة الكاثوليكية أن تَعتدَّ بهذه العلوم أشدّ الاعتداد. وهذا بلا ريب أمر جدير بالثناء عندما يتعلّق بوقائع ثابتة حقيقية. ولكن يجب قبوله بفطنة عندما يتناول «فرضيّات» – حتّى إن كان لها بعض الأساس العلمي – تتصل بالعقيدة الموجودة في الكتاب المقدّس وفي «التقليد». ولكن إذا كانت هذه الآراء التخمينيّة تتعارض، بوجه مباشر أو غير مباشر، والعقيدة التي أوحى بها الله، لا يمكن على الإطلاق قبول مثل هذا الطلب.

٣٨٩٦ – لهذا السبب، لا تمنع السلطة التعليمية في الكنسيّة أن يكون مذهب «التطور»، ما دام يدرس أصل الجسم البشري انطلاقًا من مادّة موجودة سابقًا وحية – لأن الإيمان الكاثوليكي يأمرنا بالتمسّك بأن الله قد خلق النفوس مباشرة – في الحالة الراهنة للعلوم الإنسانية واللاهوت المقدّس، موضوعَ بحث ومناقشة عند العلماء في المجالين، بحيث تُفحص حجج كلّ واحد من الرأيين، المؤيد والمضادّ، ويُحكم فيها بالجدّية الضرورية، وباعتدال وقياس، ما دام الجميع مستعدّين للخضوع لحكم الكنيسة التي فوّض إليها المسيح أمر تفسير الأسفار المقدّسة تفسيرًا صحيحًا، وحماية عقيدة الإيمان.

إلاّ أن البعض يتجاسرون على مخالفة حريّة المناقشة هذه، كما لو أن أصل الجسم البشري هذا، انطلاقًا من مادّة موجودة سابقًا وحية، هو أمر قد أُثبت بوجه أكيد قطعًا، بدلائل تم الحصول عليها حتّى اليوم، بالاستنتاج من هذه الدلائل، كما لو أنه لا شيء في الوحي الإلهي يفرض، في هذا المجال، أكبر الاعتدال وأكبر الفطنة.

٣٨٩٧ – ولكن أبناء الكنيسة ليست لهم الحرية ذاتها، في شأن رأي آخر تخمينيّ، أيّ

ما يسمّى بمذهب تعدّد الأصول. فالمؤمنون المسيحيون لا يستطيعون اعتناق هذا الرأي الذي يؤيد أتباعه، إمّا أنه وُجد في الأرض، بعد آدم، بشر حقيقيون ليسوا من نسله بولادة حقيقية، كمِن الأب الأول للجميع، وإمّا أن آدم يدلّ على جمهور من الآباء الأولين. فنحن لا نرى كيف يمكن ملاءمة هذا المفهوم وما تعرفه مصادر الحقيقة الموحى بها، وما أصدرته السلطة التعليمية في الكنيسة، في شأن الخطيئة الأصلية، التي تتأتى من الخطيئة التي ارتكبها حقًا آدم الوحيد، والتي نُقلت بالولادة إلى الجميع، فكانت في كل واحد كأنها تخصه هو[راجع رو ٥: ١٢ – ١٩؛ و١٥١١ – ١٥١٤].

٣٨٩٨ – كما هي الحال في العلوم البيولوجية والأنثروبولوجية، كذلك في العلوم التاريخية، أناس ينحرفون بجسارة عن القواعد والتحفظات التي وضعتها الكنيسة. ولا بدّ من التأسف خصوصًا على تلك الطريقة المغالية في الحرية كثيرًا، في تفسير الأسفار التاريخية من العهد القديم، ومؤيدوها يستندون خطأً إلى الرسالة التي وجّهتها، منذ زمن قريب، لجنة الكتاب المقدّس الحبرية، إلى رئيس أساقفة باريس [٣٨٦٢ – ٣٨٦٤]. وهذه الرسالة تنبّه بوضوح إلى أن الفصول الأحد عشر الأولى من التكوين، وإن لم تتلاءم حقيقة وأساليب كتابة التاريخ التي استعملها المؤرخون اليونانيون واللاتينيون الكبار، فهي مع ذلك من الفن التاريخي بوجه ما زال على المفسّرين أن يكتشفوه ويُقرّوه. وأن تلك الفصول عينها تورد الحقائق الأساسية التي ترتكز عليها متابعة خلاصنا، بأسلوب بسيط ومجازي، يتلاءم وذهنية شعب قليل الثقافة، وأنها تعرض وصفًا شعبيًا لأصل الجنس البشري والشعب المختار.

فإذا كان الكتّاب المقدّسون قد أخذوا شيئًا عن القصص الشعبية (وهذا ما يمكن قبوله)، يجب أن لا ننسى أنهم فعلوا ذلك تساعدهم نفحة الوحي الإلهي، التي كانت تجنبهم كل خطأ في اختيار الوثائق وتقويمها.

٣٨٩٩ – وما قُبل من تلك الروايات الشعبية في الأسفار المقدّسة يجب أن لا يُساوى بالأساطير أو أشياء أخرى مثلها، صادرة عن مخيّلة جامحة أكثر ممّا عن العناية بالحقيقة الساطعة بوضوح في الأسفار المقدّسة من العهد القديم، التي لا بدّ من القول إنها تتفوّق على جميع الكتّاب الدنيويين في الزمن القديم.

٣٩٠٠ – ٣٩٠٤ – الدستور الرسولي "Munificentissimus Deus"، ١ تشرين الثاني ١٩٥٠

تحديد انتقال مريم إلى السماء

٣٩٠٠ – إن جميع حجج الآباء القديسين وجميع تأملاتهم هذه ترتكز على الكتاب المقدّس كما على أساسها الأخير. فهو يُرينا بوجه ما، أم الله الجليلة القدر متحدّة بأوثق الاتحاد بابنها الإلهي وتقاسمه دائمًا ما يجري له. فيبدو إذن كالمستحيل أن نرى تلك التي حبلت بالمسيح وولدته، وغذّته بلبنها، وحملته على ذراعيها، وشدته إلى صدرها، مفصولة عنه بعد هذه الحياة الأرضية، إن لم يكن بالروح فبالجسد على الأقل، فبما أن فادينا هو ابن مريم لم يستطع هو الخاضع تمامًا للشريعة الإلهية، إلاّ أن يكرم لا الآب الأزلي فحسب، وإنّما كذلك أمه المحبوبة. فبما أنه كان قادرًا على أن يكرمها هذا الإكرام العظيم بأن يحفظها من فساد الموت، فيجب الاعتقاد بأنه فعل ذلك حقًا.

٣٩٠١ – لا بدّ خصوصًا من التذكّر أن مريم، منذ القرن الثاني، يقدّمها الآباء القديسون كحواء الجديدة، الخاضعة بلا ريب لآدم الثاني، ولكنها وثيقة الاتحاد به، في محاربة العدو الجهنمي، في معركة هي، كما سبق تمثيلها في البشارة الأولى [تك ٣، ١٥]، كان لا بدّ أن تؤدي إلى الانتصار الكامل على الخطيئة والموت المقرونين دائمًا معًا في كتابات رسول الأمم [رو ٥: ٦؛ ١ كو ١٥: ٢١ – ٢٦؛ ٥٤ – ٥٧].

٣٩٠٢ – لذلك فأم الله الجليلة القدر، المتحدة منذ الأبد بيسوع المسيح، بطريقة سرية، في «ذات المرسوم الواحد» بالاختيار السابق، الطاهرة تمامًا في حبلها، والعذراء النقية جدًّا في أمومتها الإلهية، الرفيقة الكريمة للفادي الإلهي الذي أحرز ظفرًا كاملاً على الموت وعواقبه، قد حصلت أخيرًا، كتتويج أسمى لامتيازاتها، على أن تحفظ من فساد القبر، ومثل ابنها، بعد الغلبة على الموت، أن تُرفع بالجسد والنفس إلى المجد في أعلى السماوات، لتشرق هناك كملكة إلى يمين ابنها ملك الدهور الذي لا يموت [راجع ١ تي ١: ١٧].

٣٩٠٣ – ... تمجيدًا لله القادر على كل شيء الذي أفاض على العذراء إحسانات عطفه الخاص جدًّا، وإكرامًا لابنه، ملك الدهور الذي لا يموت، المنتصر على الخطيئة والموت، ولزيادة مجد أمه الجليلة القدرة ولفرح الكنيسة جمعاء وابتهاجها،

بسلطان ربّنا يسوع المسيح والرسولين المغبوطين بطرس وبولس، وبسلطاننا الخاص، نثبت، ونعلن ونحدّد، كعقيدة أوحى بها الله، أن مريم أم الله الكلية الطهر، مريم الدائمة البتولية، بعد أن أنهت حياتها على الأرض، قد رُفعت بجسدها ونفسها إلى المجد السماوي.

٣٩٠٤ – وبالتالي إذا تجرّأ أحد، لا سمح الله، ووضع بإرادته موضع الشك ما حدّدناه، فليعلم أنه تخلّى كليًا عن الإيمان الإلهي والكاثوليكي.

٣٩٠٥ – الرسالة العامة "Sempiternus Rex"، ٨ أيلول ١٩٥١

ناسوت المسيح

٣٩٠٥ – وإن لم يكن أي مانع يحول دون التعمّق في البحث عن ناسوت المسيح – حتّى بحسب مبادئ علم النفس وطرائقه – إلاّ أن هناك مَن يتخلّون أكثر ممّا ينبغي عمّا هو قديم ليبنوا شيئًا جديدًا، في الأبحاث الدقيقة من هذا النوع ويسيئون استعمال سلطة المجمع الخلقيدوني وتحديده ليساندوا مفهومهم.

إنهم يقدّمون إلى هذا الحدّ وضع وحالة طبيعة المسيح البشرية، حتّى تبدو هذه موضوعًا قائمًا بذاته، كما لو أنها لا تقوم في أقنوم الكلمة نفسه. ولكن مجمع خلقيدونية، المتفق تمامًا مع مجمع أفسس، يؤكّد بوضوح أن طبيعتي الفادي تتحدان «في أقنوم واحد قائم بذاته». وهو يمنع القول بكائنين في المسيح، بحيث يوضع بقرب الكلمة إنسان مُتَّخذ يتمتّع باستقلالية ذاتية كاملة.

٣٩٠٧ – تنبيه من المجمع المقدّس، ٣٠ حزيران ١٩٥٢

العلاقات الجنسية التي تتجنب نشوة الجماع

٣٩٠٧ – يرى الكرسي الرسولي، بقلق كبير، أن بعض المؤلفين، الذين يعالجون موضوع الحياة الجنسية، قد بلغ بهم الأمر هنا وهناك إلى المعالجة العلنية، والمضي فيها دون

حياء حتّى التفاصيل، بل يصف بعضهم، عملاً يسمّى «الضَمّة المحفوظة» ويستحسنونها وينصحون بها...

في أمر خطير كهذا، يتّصل بقداسة الزواج وخلاص النفوس... تُنبّه دائرة المجمع المقدّس تنبيهًا خطيرًا، لكي لا تخلّ بواجبها، وبتفويض صريح... من بيوس الثاني عشر، جميع المؤلفين أن يقلعوا عن أسلوب العمل هذا...

أمّا الكهنة العاملون في خدمة النفوس وفي إرشاد الضمائر، فلا يخاطروا أبدًا، إمّا بمبادرتهم الشخصية، وإمّا عندما يُسألون، ويتكلّموا بطريقة يُستنتج منها أن ليس هناك أيّ اعتراض من الشريعة المسيحية على «الضَّمّة المحفوظة».

٣٩٠٨ – ٣٩١٠ – الرسالة العامة "Fulgens corona"، ٨ أيلول ١٩٥٣

افتداء مريم

٣٩٠٨ – إذا نظرنا في الحب الشديد الحرارة والعذوبة الذي أحب به الله، بلا ريب، مريم أم ابنه الوحيد، كيف يمكننا أن نتصوّر أنها كانت، ولو للحظة، خاضعة للخطيئة، ومحرومة من النعمة الإلهية؟

كان الله، بلا أي ريب، قادرًا، بالنظر إلى استحقاقات الفادي، أن يمنحها ذلك الامتياز الساطع جدًّا. ولا نستطيع حتّى التفكير بأنه لم يفعل ذلك. فكان ينبغي أن تكون أم الفادي على أعلى درجة ممكنة من الأهلية له. ولكنها ما كانت أهلاً لو علق بها أي عيب، حتّى في لحظة الحبل بها الأولى، فتخضع هكذا لسلطان الشيطان المقيت.

٣٩٠٩ – ولا يمكن القول إن الفداء بسبب ذلك، يصير ناقصًا، كما لو أنّه لم يَعُد يمتدّ إلى كل نسل آدم، بل إن شيئًا ما يكون قد انتزع من عمل الفادي نفسه وكرامته.

فإذا نظرنا إلى الأمر في جوهره بانتباه، نرى بسهولة أن المسيح الرب قد افتدى حقًّا أمه بالطريقة الفضلى بوجه ما، وإن كان الله، بالنظر إلى استحقاقات المسيح قد حفظها سالمة من كل عيب وراثي من الخطيئة. لذلك فكرامة يسوع المسيح غير

المحدودة، وعمل الفداء العام غير منتقصين ولا متضائلين بهذا الفصل من العقيدة، بل بالأحرى يتساميان إلى الأوج.

٣٩١٠ – لذلك فما من داع حقيقي لاتهامات عدد من الكاثوليكيين ومن المجددين ورفضهم، لهذا السبب عينه، إكرامنا للعذراء أم الله، كما لو أننا كنا ننتزع شيئًا من العبادة الروحية لله الوحيد وليسوع المسيح. بينما يكون بالعكس كل مجد وكل إكرام للأم السماوية مدعاة أكيدة لزيادة مجد ابنها الإلهي، لا لأن كل النعم وكل المواهب تتأتّى منه كما من نبعها الأول فقط، بل أيضًا لأن «فخر البنين آباؤهم» [أم ١٧ : ٦].

٣٩١١ – ٣٩١٢ – الرسالة العامة Sacra virginita، ٢٥ آذار ١٩٥٤

قيمة الزواج والبتولية

٣٩١١ – من زمن قريب أسفنا، لأنه كان علينا أن نرذل رأي من بلغ بهم الأمر حدّ القول إن الزواج وحده يمكنه توفير النموّ الطبيعي والكمال المنشود للشخص البشري. فالبعض يقولون إن النعمة الممنوحة بالفعل ذاته في سرّ الزواج تقدّس ممارسة الزواج حتّى تجعله وسيلة أفعل من البتولية نفسها لتجعل النفوس تتحد بالله، بما أن الزواج المسيحي سرّ بينما البتولية ليست كذلك.

إننا نشجب هذه العقيدة بكونها خاطئة وموبقة. أجل، إن هذا السرّ يمنح الزوجين نعمة إتمام واجبها الزوجي بقداسة. أجل إنه يوثق صِلات الحب المتبادل الذي يجمعها. إلاّ أنه لم يوضع ليجعل من الزواج نوعًا من الوسائل أجدر بحد ذاته بأن يقرن بالله نفوس الأزواج بروابط المحبة [راجع ٣٨٣٨]. ألم يعترف القديس بولس بالحري للزوجين بحق الامتناع وقتيًا عن ممارسة الزواج ليتفرّغا للصلاة [راجع ١ كو ٧ : ٥] وما ذلك إلاّ لأن هذا الامتناع يزيد مِن حرّية نفس مَن يبغي العكوف على أمور الله والصلاة؟

٣٩١٢ – أخيرًا لا يمكن القول، كما يفعل البعض، إن «العون المتبادل» الذي يسعى إليه القُرناء في الزواج المسيحي هو لتقديسهم الخاص عون أكمل من وحدة قلب

العذارى وغير المتزوجين، بحسب التعبير الدارج. فعلى كون جميع من اعتنقوا في الحياة حالة العفّة الكاملة قد تخلّوا عن الحب البشري، لا يمكن القول إنهم بذلك التخلّي قد أنقصوا أو جرّدوا بوجه ما شخصيتهم البشرية. إنهم ينالون مّمن يمنح المواهب الروحية موهبة تفوق كثيرًا «العون المتبادل» الذي يمنحه الزوجان واحدهما للآخر.

٣٩١٣ – ٣٩١٧ – الرسالة العامة "Ad caeli Reginam"، ١١ تشرين الأول ١٩٥٤

كرامة مريم الملكية

٣٩١٣ – إن السبب الأساسي الذي ترتكز عليه كرامة مريم الملكية هو بلا ريب أمومتها الإلهية. فعندما نقرأ في الأسفار المقدّسة، عن الابن الذي ستحبل به العذراء: «أنه سيكون عظيمًا وابن العلي يُدعى، وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الدهر، ولن يكون لملكه انقضاء» [لو ١ :٣٢ – ٣٣] ومن جهة أخرى، تُعلَن مريم «أمًّا للرب» [لو ١ :٤٣]، نرى في ذلك بسهولة أنها هي ذاتها ملكة، إذ إنها ولدت ابنًا كان منذ الحبل به، بسبب الاتحاد الأقنومي للطبيعة البشرية بالكلمة، كإنسان أيضًا ملكًا، وربًّا لكل شيء. فاستطاع إذن يوحنا الدمشقي أن يكتب «لقد صارت حقًّا سيدة كل خليقة، بما أنها صارت أمًّا للخالق». كذلك يمكن القول إن أول من أعلن، بفم سماويّ، كرامة مريم الملكية، كان رئيس الملائكة جبرائيل نفسه.

٣٩١٤ – إلاّ أن من الواجب تسمية مريم العذراء ملكة ليس فقط بسبب أمومتها الإلهية، ولكن أيضًا لأنه كان لها بمشيئة الله، نصيب استثنائي في عمل خلاصنا الأبدي «ماذا يمكن أن يكون أعذب وألذ لفكرنا... (من أن نعلم) أن المسيح يملك علينا لا بحق المولد فقط، ولكن أيضًا بحق مكتَسب، أي لأنه افتدانا؟» [٣٦٧٦].

وبتميم عمل الفداء هذا، كانت مريم العذراء المغبوطة في الحقيقة، مشاركةً مشاركة وثيقة للمسيح... «فكما أن المسيح، لأنه افتدانا، هو ربّنا وإلهنا بهذه

الصفة الخاصة، كذلك أيضًا العذراء المغبوطة بسبب الطريقة الوحيدة التي بها بذلت مسعاها في افتدائنا، بوضعها ذاتها في التصرّف، وبتقدمتها (المسيح) طوعًا لأجلنا، راغبة في خلاصنا وطالبة وموّفرة له بطريقة خاصة جدًّا.

٣٩١٥ - من هذه الأفكار نستنتج الحجّة الآتية: إذا كانت مريم، بالعمل الذي وفّر الخلاص الروحي، بتصميم الله قد أُشركت مع يسوع المسيح، مبدإ الخلاص نفسه، وذلك بطريقة تشبه مشاركة حوّاء لآدم، مبدإ الموت، بحيث يمكن القول إن عمل خلاصنا قد أُتِمّ بنوع من «الإعادة» بها خُلِّص الجنس البشري بعذراء، كما وقع في عبودية الموت بعذراء. وعلاوة على ذلك، إذا أمكن القول: إنه كما اختيرت هذه السيدة الجزيلة المجد أمًّا للمسيح، وذلك «لتكون مشاركة له في افتداء الجنس البشري» وإذا «كانت حقًّا هي البريئة من كل خطيئة شخصيّة أو وراثية، والدائمة والوثيقة الاتحاد بابنها، قد قدّمته على الجلجلة للآب الأزلي، مع ذبيحة حقوق أمومتها، ومحبتها الوالدية، بكونها حواء الجديدة، عن جميع أبناء آدم الذين شوّهتهم السقطة الشقية».

فعندئذ يجوز لنا أن نستنتج من ذلك، بلا أي ريب، أنه كما أن المسيح، آدم الجديد، يجب أن يكون ملكًا ليس فقط لأنه ابن الله، ولكن أيضًا لأنه فادينا، كذلك بوجه من وجوه المقايسة، تكون العذراء الجزيلة الغبطة ملكة، ليس فقط لأنها أم الله، وإنما أيضًا لأنها جُعلت مشاركة كحواء الجديدة لآدم الجديد.

٣٩١٦ - إن يسوع المسيح الإله والإنسان، هو بلا ريب، وحده ملك، بالمعنى الكامل والمطلق. إلاّ أن مريم لها نصيب أيضًا في الكرامة الملكية، وإن كان ذلك بطريقة محدودة وبالمقايسة، لأنها أم المسيح الله، المشاركة في عمل الفادي الإلهي، وفي محاربته الأعداء، وكذلك في النصر الذي أحرزه على الجميع.

وبفعل هذا التلاحم مع المسيح الملك، تحرز سطوعًا وسموًّا يجعلها تفوق سموّ جميع الأشياء المخلوقة. ومن هذا التلاحم مع المسيح تتأتى الصلاحية الملكية التي تخوّلها المقدرة على أن توزّع هي نفسها كنوز مملكة الفادي الإلهي. ومن هذا التلاحم أخيرًا تحصل الفاعلية التي لا تنقص لشفاعتها كأم، عند الابن والآب.

٣٩١٧ – فلا ريب إذن في أن مريم الجزيلة القداسة تفوق بكرامتها جميع الموجودات المخلوقة، وأن لها كذلك أوّلية فوق الجميع عند الآب...

... ولإدراك درجة الكرامة السامية التي أحرزتها أمُّ الله فوق جميع المخلوقات، يحسن أن نرى أن أمَّ الله منذ اللحظة الأولى للحبل بها قد أسبغ عليها من وافر النعم ما يفوق نعمة جميع القديسين.

وعلاوة على ذلك، لم تحصل العذراء المغبوطة فقط على أعلى درجة بعد المسيح من السموّ والكمال، لكن أيضًا على بعض المشاركة في هذه الفاعلية التي يقال بحق إن ابنها فادينا يملك بها على عقول وإرادات البشر.

٣٩١٧ أ – مرسوم المجمع المقدّس، ٢ نيسان ١٩٥٥

منع الحَبَل

٣٩١٧ أ – إن المجمع المقدّس يرفع صوته بإلحاح خاص ليدين ويرذل، كشرّ بحد ذاته، استعمال الزوجين، في ممارسة حقوقهما الزوجية، وسائل منع الحبل (المعقّم، الغشاء).

وعلاوة على ذلك، يجب على الرؤساء الكنسيين العاديين أن يحولوا دون القول للمؤمنين، أو تعليمهم، أنه لا يمكن إبداء اعتراض جدّي، بحسب الشريعة المسيحية، إذا لم يتعاون الرجل إلاّ ماديًا مع امرأته التي تستعمل مثل هذه الوسيلة.

إن المعّرفين والمرشدين الروحيين الذين يؤكدون عكس ذلك، ويقودون هكذا ضمير المؤمنين، يبتعدون عن مناهج الحقيقة والصواب الخُلقي.

٣٩١٨ – ٣٩٢١ – تعليم من المجمع المقدّس، ٢ شباط ١٩٥٦

أخلاق الحالة

٣٩١٨ – لقد بدأ ينتشر في مناطق كثيرة، حتّى بين الكاثوليكيين، مذهب خُلُقي يُدعى عمومًا «أخلاق الحالة» يخالف العقيدة الكنسية الكاثوليكية الأخلاقية...

يقول المؤلّفون المؤيدون لهذا المذهب إن قاعدة الفعل الحاسمة والنهائية ليست النظام الصالح الموضوعي، الذي تحدّده الشريعة الطبيعية، والمعروف بوجه أكيد انطلاقًا منها، وإنّما حكم ونور داخليان في روح كل فرد، يجعلانه يعرف ما عليه فعله في الحالة التي الذي يوجد فيها.

وبالتالي، فقرار الإنسان النهائي هذا، بحسب رأيهم، ليس تطبيقًا للشريعة الموضوعية في حالة خاصة، كما تعلّم الأخلاق الموضوعية التي ينقلها مؤلفون بارزون، مع الاعتداد، بحسب قواعد الفطنة، بالظروف الخاصة «بالحالة»، ورَوْزها، وإنّما هو، بطريقة مباشرة، ذلك النور وذلك الحكم الداخليان. وهذا الحكم، في كثير من الأحوال على الأقل، بالنسبة إلى الصواب والحقيقة الموضوعية، يجب أخيرًا أن لا يقاس ولا يمكن أن يقاس بمقياس أي قاعدة موضوعية، موضوعة خارجًا عن الإنسان، ومستقلة عن يقينه الذاتي، وهي كافية لذاتها.

٣٩١٩ – وفي رأي هؤلاء المؤلفين، إن مفهوم «الطبيعة البشرية» التقليدي لا يكفي، ويجب اللجوء إلى مفهوم للطبيعة البشرية «الموجودة»، والتي ليس لها في أغلب الأحيان، قيمة موضوعية مطلقة، ولكن نسبية، وبالتالي، قابلة للتغيير، ما عدا، ربما، بعض العناصر والمبادئ العائدة للطبيعة البشرية الماورائية (المطلقة والثابتة).

والقيمة ذاتها النسبية فقط تُعطى لمفهوم «الشريعة الطبيعية» التقليدي. وكثير ممّا يُقدَّم اليوم على أنه مسلَّمات مطلقة للشريعة الطبيعية يرتكز، في رأيهم وعقيدتهم، على المفهوم المذكور للطبيعية الموجودة، وبالتالي لا يمكن إلاّ أن يكون نسبيًا وقابلاً للتغيير، وقادرًا دائمًا على التلاؤم مع الموقف.

٣٩٢٠ – إن هذه المبادئ إذا قُبلت وطُبقت، فهم يقولون ويعلّمون أن البشر، إذ يَحكم كلٌّ منهم بحسب ضميره في ما عليه أن يفعل في الحالة الراهنة، لا اعتمادًا في الأساس على شرائع موضوعية ولكن على الحدْس الخاص بوساطة النور الشخصي الداخلي، يُحفظون ويُنجّون بسهولة من النزاعات الأخلاقية الكثيرة التي، بغير ذلك، تصبح غير قابلة للحلّ.

٣٩٢١ – كثير من أمور مذهب «أخلاق الحالة» هذا، المتعارض مع الحقيقة الموضوعية ومقتضيات العقل السليم، يبدو كأنه من آثار مذهبي النسبية والحداثة، ويبتعد كثيرًا عن العقيدة الكاثوليكية المنقولة على مدى الأجيال. [يتبع منع تأييد هذه العقيدة].

٣٩٢٢ – ٣٩٢٦ – الرسالة العامة "Haurietis aquas"، ١٥ أيار ١٩٥٦

إكرام قلب يسوع

٣٩٢٢ – [معلوم] أن السبب الذي لأجله تؤدي الكنيسة إكرام عبادة لقلب الفادي الإلهي... مزدوج: الأول، الذي يتعلّق أيضًا بالأعضاء المقدّسة الأخرى لجسد يسوع المسيح، يرتكز على هذا المبدإ، الذي ندرك به أن قلبه، بكونه الجزء الأشرف من طبيعته البشرية، متحد اتحادًا أقنوميًا بشخص الكلمة الإلهي. ولذلك يجب أن يُؤدى له من إكرام العبادة ما تكرم به الكنيسة أقنوم ابن الله المتأنس عينه...
والسبب الثاني الذي يعود خصوصًا إلى قلب الفادي الإلهي، والذي، لعلة أيضًا خاصة يقتضي أن تؤدَّى له عبادة سجود، يتأتّى من أن قلبه، أكثر من أي عضو آخر من جسده هو علامة أو رمز طبيعي لمحبته غير المحدودة للجنس البشري. «في القلب الأقدس... الرمز والصورة الصريحة لحبّ يسوع المسيح غير المحدود، ذاك الحب الذي يدفعنا إلى أن نحب بعضنا بعضًا».
[فالمسيح] قد ضمّ حقًّا إلى أقنومه الإلهي طبيعة بشرية، فردية، تامة وكاملة، حُبل بها في حشا العذراء مريم الفائق الطهر بقوّة الروح القدس. فلم ينقص شيء إذن من تلك الطبيعة البشرية التي ضمّها كلمة الله إليه. اتخذها هو، في الحقيقة، دون نقصان ولا تغيير، في الجسد كما في الروح، أي متمتّعة بالعقل والإرادة وجميع قوى المعرفة الداخلية والخارجية، وقوى الشعور الودّية، وجميع الانفعالات الطبيعية [ذكرت هنا الوثائق ٢٣٩؛ ٣٠١؛ ٣٥٥].

٣٩٢٣ – لذلك بما أنه لا يمكن الارتياب قطعًا بأن يسوع المسيح قد اتخذ جسدًا حقيقيًا يتمتع بكل العواطف الخاصة به، ومنها الحب الذي يفوق سائر ما عداه، فلا

يمكن أيضًا أن يكون هناك أي ارتياب بأنه كان يتمتع بقلب طبيعي شبيه بقلبنا، إذ بدون هذا الجزء السامي جدًّا من الجسد لا يمكن أن تكون حياة بشرية حتّى بالنسبة إلى مشاعر الحب...

٣٩٢٤ - فبالتالي من الحق أن ينظر إلى قلب الكلمة المتجسد كأنه العلامة والرمز الأساسيّ لهذا الحبّ المثلث الذي يحب به الفادي أباه الأزلي وجميع الناس. إنه الرمز للحب الإلهي الذي يتقاسمه مع الآب والروح القدس، ولكن الذي يظهر فيه وحده لنا، بكونه كلمة صار جسدًا، بجسده البشري الفاني والسريع العطب...

وعلاوة على ذلك هو رمز ذلك الحب الحارّ جدًّا، الذي بانتشاره في نفس المسيح يغني إرادته، والذي يُنير أفعاله ويُوجهها علم مزدوج كامل جدًّا، أي العلم الطوباوي والمفاض...

وأخيرًا هو أيضًا - ذلك بطريقة طبيعية ومباشرة أكثر - رمز محبته الحسيّة، لأن جسد يسوع المسيح، الذي كوّنه الروح القدس في حشا العذراء مريم، له قوّة شعور وإدراك كاملة جدًّا، أكثر بوجه أكيد، من جميع الأجساد البشرية الأخرى...

٣٩٢٥ - ... لذلك فمن هذا الشيء الجسدي الذي هو قلب يسوع المسيح، ومن دلالته الطبيعية، يسوغ لنا... أن نرتفع ليس فقط إلى مشاهدة حبّه، الذي يُرى بالحواس، ولكن أيضًا إلى أعلى، إلى مشاهدة وعبادة حبّه الأقصى المُفاض. وأخيرًا... إلى التأمّل في الحبّ الإلهي للكلمة المتجسّد وعبادته.

ففي ضوء الإيمان إذن، الذي نعتقد به أن الطبيعتين الإلهية والبشرية متحدتان في أقنوم المسيح، يمكننا تصوّر الصِلات الوُثقى القائمة بين الحب الحسيّ لقلب يسوع الطبيعي، وحبه المزدوج الروحي والبشري. ومن الواجب أن لا نقول فقط عن هذين الحبّين إنهما موجودان معًا في أقنوم الفادي الإلهي المعبود، ولكن إنهما مرتبطان معًا برباط طبيعي، ويكون الحب البشري والحب الحسيّ خاضعين للحب الإلهي، وعاكسين فيهما بشبه مقايسة هذا الأخير.

لا نزعم أنه علينا التفكير في أنه من الضروري، في قلب يسوع، رؤية وعبادة الشكل المسمّى الصوري، أي العلامة المطلقة والكاملة لحبه الإلهي، إذ يستحيل

تمثيل جوهره الداخلي بطريقة ملائمة بأي صورة مخلوقة. ولكن المؤمن. وهو يؤدي عبادة لقلب يسوع، يعبد مع الكنيسة علامة ومثل شيء يذكره بالحب الإلهي... فمن الضروري إذن، في هذا الفصل من العقيدة الكثير الخطورة والدقة، أن يكون حاضرًا في ذهن كل واحد. أن حقيقة الرمز الطبيعي الذي به يرتبط قلب يسوع الطبيعي بأقنوم الكلمة، ترتكز كلها على الحقيقة الأساسية للاتحاد الأقنومي. فإذا أنكر أحد ذلك، كرّر الأضاليل التي دانتها الكنيسة مرارًا لأنها تتعارض ووحدة الأقنوم في المسيح، وتمايز الطبيعتين وتمامها.

أمومة مريم

٣٩٢٦ – ... على المؤمنين العناية بأن يجمعوا جمعًا وثيقًا بين [إكرام قلب يسوع] وإكرام قلب مريم التي بلا عيب. فبما أن مريم المغبوطة، بإرادة الله، قد جُعلت متحدة بالمسيح اتحادًا لا يُفصم في عمل فداء البشر، حتّى يأتي خلاصنا من محبة يسوع المسيح ومن آلامه المتحدة اتحادًا وثيقًا بمحبة أوجاع أمه، فيليق تمامًا أن الشعب المسيحي، الذي نال حياة المسيح الإلهية بمريم، بعد أن يؤدّي لقلب يسوع الأقدس العبادة الواجبة له، أن يؤدي أيضًا لقلب أمه السماوية المحبّ جدًّا، إكرامًا مشابهًا من تقوى وحبّ وشكر وتعويض.

٣٩٢٨ – مرسوم المجمع المقدّس، ٨ آذار (٢٣ أيار) ١٩٥٧

صحة المشاركة في إقامة الذبيحة

٣٩٢٨ – سؤال: هل يشارك عدّة كهنة مشاركة صحيحة في ذبيحة القدّاس، عندما يتلفّظ واحد منهم فقط بالكلمات: «هذا هو جسدي» و«هذا هو دمي» على الخبز وعلى الخمر، ولا يتلفّظ الآخرون بكلمات الرب، بل ينوون، بمعرفة المحتفل وموافقته، ويظهرون نيتهم، أن يؤدوا كلماته وحركاته؟

جواب (ثبته الحبر الروماني الأعظم في ١٨ آذار) – كلاّ. لأنه بحسب ما أسّسه المسيح ذاك وحده الذي يقول كلمات التقديس يقيم الذبيحة بوجه صحيح.

يوحنا الثالث والعشرون: ٢٨ تشرين الأول ١٩٥٨ – ٣ حزيران ١٩٦٣

٣٩٣٠ – جواب المجمع المقدّس، ٢٥ آذار (٤ نيسان) ١٩٥٩

انتخاب نوّاب يؤيدون الشيوعيّة

٣٩٣٠ – سؤال: هل يجوز لكاثوليكيين، عندما ينتخبون ممثلين للشعب، أن يمنحوا أصواتهم أحزابًا أو مرشحين يتّحدون في الواقع بالشيوعيين ويؤيّدونهم في عملهم، وإن كانوا لا يعلنون مبادئ تعارض العقيدة الكاثوليكية، بل يدّعون اسم مسيحيين؟

جواب: (ثبّته الحبر الأعظم في ٢ نيسان): كلاّ، بحسب توجيه مرسوم المجمع المقدّس في ١ تموز ١٩٤٩ رقم ١ [٣٨٦٥].

٣٩٣٥ – ٣٩٥٣ – الرسالة العامة Mater et Magistra، ١٥ أيار ١٩٦١

خلاصة عقيدة لاون الثالث عشر الاجتماعية

٣٩٣٥ – إن لاون الثالث عشر.. يعلّم أوّلاً أنه يجب أن يُنظر إلى العمل لا كما يُنظر إلى سلعة بل كما يُنظر إلى تعبير عن الشخص البشري. لأن العمل هو، للسواد الأعظم من الناس، المعين الأوحد الذي يغرفون منه وسائل العيش فلا يمكن بالتالي أن تترك اجرته لحركة نواميس السوق الذاتية بل يجب، على العكس، أن تُعيّن طبقًا لمقتضيات العدل والإنصاف وإلاّ ظل العدل والانصاف منتهكَيْ الحرمة حتّى ولو تمَّ عقد العمل بحرية تامة بين الفرقاء. فالملكية الفردية حتّى ملكية خيرات الانتاج هي حق طبيعي لا تستطيع الدولة أن تلغيه. ولهذه الملكية، من طبيعتها، وظيفة اجتماعية؛ فهي اذن حق يُمارس لمصلحة المالك ولفائدة الآخرين.

٣٩٣٦ – على أنه يمتنع على الدولة، بما أن علة وجودها هي تحقيق الخير العام في النظام الزمني، أن تكون غائبة عن العالم الاقتصادي؛ فحتم عليها أن تكون حاضرة لكي تدفعه، بالطرق المؤاتية، إلى انتاج كمية كافية من الخيور المادية «الضروريّ

استخدامها لممارسة الفضيلة» ولكي تذود عن حقوق جميع المواطنين ولا سيّما الضعفاء منهم كالعمّال والنساء والأولاد، كما أن واجبها اللازب أن تساهم بفعالية في تحسين أحوال العمّال الحياتية.

ومن واجب الدولة أيضًا أن تسهر على أن تتطوّر علاقات العمل وفقًا لمقتضيات العدل والانصاف وعلى أن لا تُمتهن في أوساط العمل كرامة الشخص البشري جسدًا ونفسًا. وفي هذا المجال وضعت رسالة لاون خطوطًا استوحاها التشريع الاجتماعي في الدول المعاصرة وكان لتلك الخطوط، كما أشارت إلى ذلك رسالة بيوس الحادي عشر «أربعون سنة» أثر فعّال في خلق واشاعة فرع جديد في علم الحقوق ألا وهو: قانون العمل.

٣٩٣٧ – أمّا العمّال فتقرّ لهم الرسالة بحقهم الطبيعي في أن يُنْشِئوا جمعيّات للعمّال وحدهم أو للعمّال ولأرباب الأعمال معًا، كما تقرّ لهم أيضًا بالحق في أن ينظموها التنظيم الداخلي الذي يرونه أوفق لملاحقة مصالحهم المشروعة: الاقتصادية منها والمهنية؛ وبحقهم في أن يعملوا، بطريقة مستقلة، ومن تلقاء أنفسهم، في داخل هذه الشركات بغية ملاحقة مصالحهم.

وعلى العمّال وأرباب العمل أن ينظموا علاقاتهم مستوحين مبدأ التضامن البشري والأخوة المسيحية؛ لأن المنافسة بالمعنى الذي لها في المذهب الاقتصادي الحرّ، وصراع الطبقات بالمعنى الذي له في الماركسية كلاهما يضادان الطبيعة ويتنافيان والمفهوم المسيحي للحياة. هذه هي، أيها الأخوة المحترمون، المبادئ الأساسية التي يرتكز عليها نظام اقتصادي واجتماعي سليم.

خلاصة عقيدة بيوس الحادي عشر الاجتماعية

٣٩٣٨ – يذكّر بيوس الحادي عشر في رسالته العامّة «أربعون سنة» بالحق الذي للكنيسة وبالواجب الذي عليها في أن تساهم مساهمة لا تقوم مقامها مساهمة في حلٍّ موفّق للمعضلات الاجتماعية الأكثر خطورةً وإحراجًا التي تقض مضاجع العيلة البشرية. فيثبت من جديد المبادئ الأساسية والتوجيهات التاريخية التي تضمنتها رسالة لاون الثالث عشر ويغتنمها فرصة للتدقيق في بعض نقاط عقائدية حامت

حولها شكوك بين الكاثوليكيين أنفسهم ولشرح الفكرة الاجتماعية المسيحية بالنظر إلى ظروف العصر الجديدة.

أمّا الشكوك المنوّه عنها فكانت تدور بوجه خاص حول الملكية الفردية ونظام الأجور وموقف الكاثوليكيين حيال شكلٍ من الاشتراكية المعتدلة.

فبشأن الملكية الفردية يؤكّد سلفنا من جديد طابعها، طابع الحق الطبيعي، ويشدد على وجهها ووظيفتها الاجتماعية.

وأمّا بشأن نظام الأجور فيرفض النظرية القائلة بأنه نظام بطبيعته جائر؛ ويشجب مع ذلك الأشكال اللاإنسانية والجائرة المستخدمة بعض الأحيان في تطبيقه. ويكرّر ويتبسّط في شرح القواعد التي ينبغي أن يستوحيها والظروف التي يجب أن يراعيها لكيلا ينتهك حرمة العدل والانصاف.

وفي هذا الموضوع يوضح سلفنا أنه من المناسب، نظرًا للظروف الراهنة، ان يُعدّل عقدُ العمل بعناصر تُقتبس من عقد الشراكة «بحيث يُدعى العمّال والمستخدَمون إلى الاشتراك في ملكية المؤسسة وفي إدارتها، وعلى نوع ما، في الارباح التي تنتجها».

ويجب أن يعتبر من الأهمية العقائدية والعملية العظمى التأكيد أنه من المستحيل أن يُقدر العمل حق قدره وأن يمنح أجرة سديدة اذا ما أغفل اعتباره من ناحيتيه الفردية والاجتماعية معًا».

ومن ثَمَّ فلكي تُحدّد أجرة العمل يقضي العدل، يقول البابا، بأن يُحسب حساب لا لحاجات العمّال ومسؤولياتهم العيلية فقط بل لوضع المؤسّسة التي يشتغل فيها العمّال ولمقتضيات الاقتصاد العام أيضًا.

٣٩٣٩ – بين الشيوعية والمسيحية، يذكّر البابا بأن التناقض هو أصيل؛ ويضيف أنه من غير الجائز، ولا بشكل من الأشكال، أن يقبل الكاثوليكيّون بالاشتراكية المعتدلة إمّا لأنها مفهوم حياةٍ مغلَق على الزمني يعتبر فيها الرفاه غاية المجتمع القصوى؛ وإمّا لأنها تسعى جادّة إلى تنظيم اجتماعي للحياة العامة على مستوى الانتاج فقط دون سواه بصرف النظر عما يلحق تنظيمها من أذى جسيم بالحرية البشرية؛ وإمّا لأنها تخلو من أيّ مبدأ سلطة اجتماعية حقة.

٣٩٤٠ – على أنه لا يفوت بيوس الحادي عشر أن الوضع التاريخي، منذ اذاعة رسالة لاون الثالث عشر، في أربعين سنة، قد تطوّر تطوّرًا عميقًا. وفي الواقع فإن المنافسة الحرة، بقوّة منطقها الذاتي، انتهت أو كادت أن تنتهي إلى ملاشاة ذاتها؛ لقد جرّت إلى حشدٍ للمال عظيم وإلى حصر سلطة اقتصادية هائلة بين ايدي بعض أفراد «ليسوا عادة بالمالكين بل هم مؤتمنون ووكلاء على رأس مالٍ يديرونه على هواهم».

وفي هذه الأثناء، كما يشير الحبر الأعظم بثاقب بصره، «خلفت حريةَ السوق ديكتاتوريةٌ اقتصادية» وشهوة الكسب أخلت المكان لطموح طليق العنان إلى السيادة، فأمست الحياة الاقتصادية كلها، وبشكل مرعب، شاقة عنيفة قاسية قاضية باستعباد السلطات العامة لمصالح فئاتٍ، ومؤدّية إلى هيمنة المال هيمنة دولية.

فلمعالجة هذا الوضع عيّن الراعي الأسمى، كمبادئ أساسية، العودة إلى دمج العالم الاقتصادي في النظام الأدبي، وادخال السعي وراء المصالح – فردية أم جماعية – في دائرة الخير العام؛ وهذا يقتضي، طبقًا لتعليمه، إعادة تنظيم الحياة العامة بالرجوع إلى اقامة أجهزة متوسطة مستقلة ذات غاية اقتصادية ومهنية لا تفرضها الدولة بل يخلقها أعضاؤها من تلقاء أنفسهم، واسترجاع السلطات العامة سلطانها لتؤمّن المهام التي تعود إليها في تحقيق الخير العام؛ والتعاون الاقتصادي على الصعيد العالمي بين الجماعات السياسية.

٣٩٤١ – على أن في رسالة بيوس الحادي عشر القيمة موضوعين أساسيين كلاهما خليقان برويّتنا وتبصّرنا.

الأول ينهى نهيًا باتًا عن أن تُتخذ قاعدة قصوى لنشاطات العالم الاقتصادي ومنظماته المصلحة الفردية أو الجماعية، أو التنافس الحر، أو الهيمنة الاقتصادية، أو نفوذ الدولة وقوّتها، أو قواعد أخرى من هذا النوع.

بل على العكس من ذلك، يجب أن يُعتبر كقواعد عُليا لتلك النشاطات والأنظمة العدل والمحبة الاجتماعيان.

والثاني يوصي بخلق نظام شرعي، قومي ودولي، تمهره قوانين ثابتة عامة وخاصة: يستوحي العدل الاجتماعي وله ينقاد الاقتصاد؛ وهكذا تقلّ الصِعاب في طريق

العوامل الاقتصادية إلى العمل في انسجام مع مقتضيات العدل في نطاق الخير العام.

عقيدة بيوس الثاني عشر الاجتماعية

٣٩٤٢ - أراد بيوس الثاني عشر أن يذكِّر بالمبادئ التوجيهية، مبادئ السُنّة الأدبية، حول قيم ثلاث أساسية للحياة الاجتماعية والاقتصادية... وهذه العناصر الثلاثة الأساسية التي تتلاقى وتتحد وتتساند هي: استخدام الخيور المادية والعمل والعيلة».

ففيما يتعلّق باستخدام الخيور المادية يؤكّد سلفنا أن الحق الذي يملكه كل انسان في استخدام هذه الخيور للقيام بأوده هو حق أوليّ بالنسبة إلى كل حق آخرٍ اقتصاديٍّ بطبيعته، وحتّى بالنسبة إلى حق الملكية عينه. أكيد، يضيف سلفنا، أن حق ملكية الخيور هو أيضًا حق طبيعي؛ غير أنه بموجب النظام الموضوعي الذي سنّه الله يجب أن يُحدّد حقُّ الملكية بحيث لا يشكّل عقبةً في سبيل المطلب الممتنع الإبطال: أن الخيرات التي خلقها الله لأجل جميع الناس يجب أن تكون في خدمة جميع الناس بطريقة منصفة طبقًا لمبادئ العدل والمحبة».

وبشأن العمل عاد بيوس الثاني عشر إلى مسألة عولجت في رسالة لاون الثالث عشر فذكّر بأن العمل هو، في وقتٍ واحدٍ، واجب وحق لكل كائن بشريّ. ومن ثَمَّ يعود إلى الناس، في المقام الأول، أن ينظموا علاقاتهم المتبادلة بشأن العمل. وفي حال تمنّع المعنيين عن القيام بمهمتهم أو في حال عجزهم عن القيام بها، عندئذ وعندئذ فقط «يدخل في خصائص الدولة أن تتدخل في هذا المجال وفي تقسيم العمل وتوزيعه بالشكل وبالقدر اللذين يقتضيها الخير العام بمفهومه الشرعي».

وأمّا بشأن العيلة فيؤكّد الحبر الأعظم أن الملكية الفردية للخيور المادية يجب أن تعتبر المدى الحيويّ للعيلة أي كوسيلة قمينة بأن تضمّن لرب العيلة الحرية السليمة التي يحتاج إليها ليتمكّن من القيام بالواجبات التي فرضها عليه الخالق لرفاه العيلة المادي والروحي والديني».

وهذا يقتضي أيضًا حق العيلة في الهجرة. وعن هذا الحق في الهجرة قال سلفنا إنه

عندما تعمل الدول – تلك التي تجيز الهجرة كالتي تستقبل المهاجرين – كلّ ما تستطيع لنبذ ما يمكن أن يمنع قيام أو نموّ ثقة حقيقية في ما بينها، تحصل على منفعة متبادلة وتسهم معًا في ازدياد رفاه البشرية كما تسهم في تقدم الثقافة.

مبدأ الاستطراد

٣٩٤٣ – ... ليكن مقرّرًا، قبل كل شيء، أن العالم الاقتصادي هو وليد حوافز الأفراد الشخصية، سواء أعملوا منفردين أم مشتركين بوجه من الوجوه، للسعي وراء مصالح مشتركة.

على أنه، بقوة البواعث التي قبِلَ بها سلفاؤنا، من واجب السلطات العامة، من جهة أخرى، أن تكون حاضرة حضورًا فعليًّا لكي تدفع الانتاج في طريق النموّ بالنسبة إلى التقدّم الاجتماعي وإلى منفعة جميع المواطنين. أمّا طابع عملها فهو طابع توجيهٍ وتنشيطٍ ونيابةٍ وتكميلٍ؛ وعليه أن يستوحي «مبدأ الاستطراد» الذي عبّر عنه بيوس الحادي عشر في الرسالة العامة «أربعون سنة»: «ممّا لا جدل فيه أنا لا نستطيع أن نغيّر أو نزعزع هذا المبدأ الخطير جدًا في فلسفة الاجتماع فكما أنه لا يمكن أن تُنتزع من الأفراد، لتحوّل إلى الجماعة، المهام التي هم قادرون على قضائها ببادرتهم وحدها ووسائلهم الخاصة؛ كذلك هو ضرب من الظلم، وفي الوقت عينه بلبلة تلحق ضررًا جسيمًا بالنظام الاجتماعي، أن تُنتزع من الجماعات الدنيا، لتُوكل إلى جماعات أوسع منها وأعلى، المهام التي تستطيع تلك القيام بها بنفسها، ذلك لأن الغاية الطبيعية من وراء كل تدخل في الحقل الاجتماعي هي مساعدة أعضاء الجسم الاجتماعي لا القضاء عليهم ولا ابتلاعهم».

لذلك يطلب بإلحاح من السلطات العامة، وهي المسؤولة عن الخير العام، أن تمارس في الحقل الاقتصادي عملاً متنوّع الأشكال، عملاً أكثر اتساعًا وعمقًا وتنظيمًا، وتطبّق هي نفسها، بلوغًا إلى هذه الغاية، الأنظمة والصلاحيات والوسائل والطرائق.

ولكن لا بدّ لنا هنا من أن نذكّر تكرارًا بهذا المبدأ وهو أن تدخّل الدولة في الحقل الاقتصادي، أيًا كان اتساعه وتغلغله، ليست غايته الحدّ شيئًا فشيئًا من نطاق حرية

المبادرة الشخصيّة التي هي للأفراد؛ بل غايته، على العكس من ذلك، أن يضمن لحقل العمل هذا أوسع مدى ممكن بالعمل على حماية فعّالة لحقوق الشخص البشري الجوهرية للجميع ولكل فرد.

المبادئ التوجيهيّة لأجر عادل

٣٩٤٤ – نرى من واجبنا أن نؤكّد، مرة أخرى، أن أجر العمل لا يمكن أن يترك بكليّته لنواميس السوق؛ ولا أن يحدد اعتباطًا بل يجب أن يُحدد في عدل وإنصاف وهذا يقتضي أن يعطى العمّال أجرًا يسمح لهم بأن يجبهوا في كرامة تبعاتهم العيلية مع مستوى حياة انساني حقًا؛ ويتطلّب أيضًا، لكي تحدّد الأجور، أن يُعتبر نصيبهم الفعلي في الانتاج واوضاع المؤسسات الاقتصادية ومقتضيات خير الأمة العام؛ ويؤخذ بعين الاعتبار الخاص ما للأجور من ردات فعلٍ على مجمل حركة التشغيل في أنحاء البلد، ومقتضيات الخير العام العالمي أيضًا الذي يهمّ الجماعات الدولية، المختلفة في طبيعتها وفي مساحتها.

من الواضح أن لهذه المبادئ المذكورة قيمتها في كل مكان وفي كل زمان؛ ولكن ليس في الإمكان أن يُحدّد مقياس تطبيقها العملي من دون أن يُحسب حساب للثروات الممكن استخدامها؛ ثروات يمكن أن تختلف؛ وفي الواقع تختلف بالكمية والنوع من بلد إلى بلد وفي البلد ذاته من زمنٍ إلى آخر.

بينما تتطوّر اقتصاديات البلدان المختلفة بسرعة راحت تتضاعف منذ الحرب الأخيرة، يظهر لنا مناسبًا أن نلفت الانتباه إلى مبدأ أساسي وهو أن التقدّم الاجتماعي يجب أن يماشي ويُدرك النموّ الاقتصادي إلى حدّ أن يكون لجميع الفئات الاجتماعية نصيبها من الفوائد المتزايدة.

٣٩٤٥ – ... لا نستطيع أن نغفل هنا هذا الواقع وهو أن المشاريع الكبيرة والمتوسطة تحصل في أيامنا، وبطريقة مألوفة، في اقتصاديات عديدة، على طاقةٍ للانتاج تتزايد بسرعة وبكثرة، بفضل التمويل الذاتي، وفي هذه الحال نرى أن في وسعنا أن تأكيد من واجب المؤسّسة أن تقرّ بقرضٍ للعمّال الذين تستخدمهم ولا سيّما من كان منهم يقبض أجرة لا تتجاوز الحدّ الأدنى.

وفي هذا الصدد نذكّر بالمبدأ الذي عبّر عنه سلفنا بيوس الثاني عشر في رسالته العامة «أربعون سنة» «من الخطإ أن نرى في رأس المال وحده أو في العمل وحده العلّة الوحيدة لكل ما يُنتج جهدُهما المشترك. ومن الظلم الفادح أن ينكر الواحد على الآخر فعاليته ليستأثر بثمرة العمل وحده».

٣٩٤٦ – فيمكن أن يحقق مطلب العدل هذا بطرق كثيرة يوحي بها الاختبار وإحداها ومن أشهاها على القلب تلك التي تقوم على تمكين العمّال من أن يصبحوا شركاء في ملكية المؤسّسات بالأشكال والطرق الأكثر ملائمة؛ لذلك يجب اليوم، أكثر من عهد سلفنا، أن تُعبَّأ جميع القوى لكي يُصار، على الأقلّ في المستقبل، إلى تخفيض قسم من الخيور التي تتكدس في ايدي الرأسماليين، إلى قياسٍ تستقيم معه حدود الانصاف، ليتحوّل بوفرة كافية إلى ايدي العمّال».

ومن واجبنا، إلى ذلك، أن نذكّر بأن التوازن بين أجرة العمل والدخل يجب أن يُبلغ إليه بالانسجام مع مقتضيات الخير العام سواء أكان خير المجتمع القومي أم خير العيلة البشرية في مجموعها.

المشاركة في إدارة المؤسّسات

٣٩٤٧ – يجب أن تراعى حرمة العدل ليس في توزيع الثروات وحسب بل بالنظر أيضًا إلى المؤسّسات التي يتمّ فيها سير الانتاج. ففي طبيعة الناس، في الواقع، فطرة ان يكون في طاقتهم الاضطلاع بمسؤولياتهم وتكميل ذواتهم حيث يتمرسون بنشاطهم المنتج.

لذلك اذا كانت الأنظمة وسير الأعمال، في أي مذهب اقتصادي تعرض للخطر الكرامة البشرية، للعاملين به، وتضعف فيهم بطريقة قياسية روح المسؤوليات وتقف حاجزًا دون إظهار بداهتهم الشخصية، فان هذا المذهب الاقتصادي هو مذهب ظالم حتّى لو بلغت الثروات التي ينتجها مستوى عاليًا ووزعت وفقًا لقواعد العدل والانصاف.

ليس في الامكان أن تُحدّد بالتفصيل أنظمة المذهب الاقتصادي التي تتجاوب بطريقة مثلى مع كرامة الإنسان وتكون أخلق بتطوير المسؤولية فيه. ومع ذلك فقد

أعطانا سلفنا بيوس الحادي عشر هذه القاعدة في وقتها المناسب وهي: أن الملكية الصغيرة والمتوسطة، زراعية كانت أم حِرْفية أم مهنية، تجارية كانت أم صناعية يجب أن تُصان وتُساعد. فيترتّب على الاتحادات التعاونية أن تؤمّن لها ما للمشاريع الاستثمارية الكبرى من منافع وحيث يبدو أن المشاريع الاستثمارية الكبرى لا تزال على تفوّق موفّق في الانتاج فعلى هذه أن تمكّن تلك من أن تعدّل عقد العمل بعقد شراكة».

٣٩٤٨ – اننا نعتبر شرعيًّا، ونحن نتتبع خطوات سلفائنا، توقَ العمّال إلى أن يشتركوا فعليًّا في حياة المؤسّسات التي ينضمون إليها ويشتغلون فيها. على أنه من المتعذّر علينا أن نحدد مسبقًا نوع هذا الاشتراك ودرجته، لأن لهما علاقة بوضع المؤسّسات الحسيّ، ومع ذلك نرى من المناسب أن نلفت الانتباه إلى هذا الواقع وهو أن قضية وجود العمّال الفعلي قائمة دومًا في المؤسّسة سواء أكانت خاصّة أم عامّة؛ وعلى كل حال يجب أن نعمل على جعل المؤسّسة تتحوّل إلى جماعةِ أشخاصٍ فيما يتعلّق بعلاقات العاملين فيها ووظائفهم وأوضاعهم.

... ويقضي هذا بأن يكون في استطاعة العمّال أن يُسمعوا صوتهم ويقوموا بدور فعّال في تسيير المؤسّسة وتطويرها. لقد علَّم سلفنا بيوس الثاني عشر: «أن المهمّة الاقتصادية والاجتماعية التي يرغب كل انسان في إتمامها تتطلّب أن لا يخضع عمله خضوعًا تامًا لسلطة الآخرين». أكيد أن مفهوم الناس للمؤسّسة يُوجب بأن يُحافظ على السلطة والفاعلية الضروريتين لوحدة الادارة؛ غير أن وحدة الادارة لا تقتضي أن تحوّل معاونيها اليوميين الى منفذّين صامتين يتعذّر عليهم أن يستغلّوا خبرتهم وأن يُفْرَض عليهم أن يقفوا موقفًا سلبيًا، من القرارات التي توجّه عملهم.

٣٩٤٩ – ... إن أُناس عصرنا يتوقون إلى أن يحصلوا على كفاءة مهنية أكثر ممّا يتوقون إلى أن يملكوا خيرات أرضية؛ ويعتمدون على ثروات يكون العمل مصدرها أو على حقوق ترتكز على العمل أكثر ممّا يتكلون على موارد تنجم من رأس المال أو على حقوق تستند إلى رأس المال.

إن هذا الاتجاه ينسجم مع طبيعة العمل الخاصّة والعمل، لأنه ينبثق من الشخص

مباشرة، يجب أن يُفضَّل على وفرة الخيرات الخارجية؛ والخيرات الخارجية، لأنها خارجية، يجب أن تعتبر أداة ليس إلاّ. وفي هذا دليل على رقيّ البشرية.

إن هذه النواحي في العالم الاقتصادي، أسهمت، بدون شك، في انتشار الارتياب التالي: ألم يفقد، في الظرف الراهن، مبدأ النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي علَّمه بقوة ودافع عنه سلفاؤنا، أيّ المبدأ القائل بأن حق الملكية الفردية بما فيه ملكية خيرات الانتاج حق طبيعي، – ألم يفقد قوته أو لم يصر ذا أهمية أدنى؟

ان هذا الارتياب في حق الملكية لا يقوم على أساس. فلحق الملكية، حتّى ملكية خيرات الانتاج، قيمة دائمة لا لشيء إلاّ لأنه حق طبيعي يرتكز على أولية الأفراد – أولية وجود لاهوتية – على المجتمع؛ ومن العبث أن نطالب بالحافز الشخصي التلقائي المستقل ما لم يُعترف لهذا الحافز بالتصرّف الحرّ بالوسائل التي لا بدّ له منها لإثبات وجوده. ويشهد التاريخ والاختبار بأن مظاهر الحرية الأساسية تُكبت أو تُخنق في المذاهب السياسية التي لا تعترف بحق الملكية الفردية في امتلاك خيرات الانتاج. ونحن على حقٍّ، بالتالي، في أن نستخلص أن تلك المظاهر، تجد، في الملكية، ضمانًا لها وحافزًا.

٣٩٥٠ – وهذا ما يفسّر لنا كيف أن الحركات الاجتماعية والسياسية التي أخذت على نفسها أن توفّق في الحياة العامة بين العدل والحرية، وقد كانت إلى الأمس القريب تعارض، بصراحة وقوة، الملكية الفردية لخيرات الانتاج، انتهت اليوم وبعد أن تفهمت الواقع الاجتماعي، إلى أن تعيد النظر في وضعها والى أن تتّخذ، بالنظر إلى هذا الحق، موقفًا في جوهره إيجابيًا.

لذلك نتبنى، في هذا الموضوع، ملاحظات سلفنا بيوس الثاني عشر: «ان الكنيسة، بدفاعها عن مبدأ الملكية الفردية، تهدف إلى غاية سامية: أدبية واجتماعية معًا. لا لأنها ترمي إلى الإبقاء على الحال الراهنة كما هي بلا شرط ولا استثناء كأنها ترى فيها تعبيرًا عن الإرادة الإلهية؛ ولا لأنها تريد مبدئيًا أن تساند الغني والرأسمالي على الفقير والشغيّل... فالكنيسة تهدف، بالأحرى، إلى أن تحوّل نظام الملكية إلى ما يجب أن يكون وفقًا لمقاصد الحكمة الإلهية وأماني الطبيعة» أيّ

أن تكون الملكية الفردية، في وقت واحد، ضمانًا لحرية الشخص البشري الجوهرية وعنصرًا لا غنى عنه لقيام نظام اجتماعي صحيح...

٣٩٥١ - تأكيد السمة الطبيعية لحق الملكية الفردية بل لملكيّة خيرات الانتاج لا يكفي، اذا لم تبذل كل الجهود لتأمين انتشارها فعليًّا بين جميع الطبقات الاجتماعية.

لقد أعلن سلفنا بيوس الثاني عشر: «ان كرامة الشخص البشري تتطلّب، بطريقة مألوفة، كأساس طبيعي للحياة، الحق في استخدام خيرات الأرض؛ ويقابل هذا الحق واجب أساسي يقوم بإعطاء جميع الناس - ما أمكن - ملكية خاصة»... ومن جهة أخرى ينبغي أن نعدّ بين المقتضيات المنبثقة من نبل العمل «الحفاظ على نظام اجتماعي يجعل الملكية الخاصة، وان وضيعة، ممكنة ومضمونة لجميع طبقات الشعب، والعمل على إكمال هذا النظام».

من الأكيد أن ما أتينا على شرحه لا يمنع طبعًا من أن تحتفظ الدولة والمؤسّسات العامة، هي أيضًا، بملكية شرعية لخيرات الإنتاج ولا سيّما عندما تعطي هذه الخيرات مالكها قوة اقتصادية كالتي لا يمكن أن تترك، من دون أن يتعرّض الخير العام لخطر، بين أيدي العمّال».

لعصرنا ميل حاد إلى توسيع الملكية العامة، ملكية الدولة والمجتمعات؛ إنه واقع يتضح من الصلاحيات الواسعة جدًا التي يمنحها الخير العام للسلطات العامة. لذلك كان من المناسب، في هذا المجال أيضًا، أن يطبق مبدأ الاستطراد الآنف الذكر: فلا يسوغ للدولة ولا للمؤسّسات ذات الحق العام أن توسع نطاق ملكيتها إلاّ في دائرة الحدود التي تتطلبها بصراحة أسباب الخير العام؛ ولا يجوز لها إطلاقًا أن تهدف إلى تقليل الملكية الخاصة وإلى - ممّا هو أسوأ - ملاشاتها.

٣٩٥٢ - ... هناك نقطة عقائدية أخرى ما انفك سلفاؤنا يعلمونها: «بحق الملكية ترتبط ذاتيًا مهمّة اجتماعية: ذلك لأن الأرض معدة، وفقًا لخطط الخالق، قبل كل شيء، لحياة جميع الناس، حياة لائقة كما يعلم بحكمة وصواب سلفنا لاون الثالث عشر في رسالته العامة «الشؤون الحديثة»: من نال من فضل الله سعة عيش ووفرة من الخيور أكانت خارجية وجسدية أم روحية ومعنوية فلقد نالها ليستخدمها لكماله

الشخصي وأُوتمن عليها، في الوقت عينه، كخادم أمين للعناية الإلهية ليبذل شيئًا منها في سبيل خير الآخرين.

الاخصاب الاصطناعي

٣٩٥٣ – ... يتحتم علينا أن نعلن من على هذا المنبر على الملإ أن الحياة البشرية يجب أن تتناسل بواسطة العيلة المرتكزة على الزواج الواحد غير المنفصم، المرفوع، عند المسيحيين، إلى مكانة سرّ. وتناسل الحياة البشرية وكلته الطبيعة إلى فعلٍ شخصي، وهو بهذه الصفة، خاضع لشرائع الله الحكيمة، شرائع لا تخرق حرمتها ولا تتغيّر، شرائع محتوم على جميع الناس أن يعرفوها ويحفظوها. فلا يمكن اذن أن تستخدم وسائل وتُتّبع طرق قد تكون جائزة في تناسل الحياة في عالم النبات والحيوان.

فالحياة البشرية مقدّسة لأنها، منذ نشأتها، تستدعي فعل الله الخلاّق. ومن انتهك شرائعها أهان الجلال الإلهي وانحطّ هو وحطّ معه البشرية وأضعف، علاوة على هذا، المجتمع الذي هو عضو فيه.

٣٩٥٥ – ٣٩٩٧ – الرسالة العامة "Pacem in terris"، ١١ نيسان ١٩٦٣

النظام الذي جعله الله للبشر

٣٩٥٥ – ان السلام على الأرض موضوع الرغبة العميقة التي تختلج في قلب البشرية عبر الأزمنة كلها، لا يمكن أن يتأسّس ويتوطّد إلاّ على الاحترام المطلق للنظام الذي وضعه الله.

ولنا في تطورات العلوم واكتشافات التقنية ما يقنعنا: فالكائنات الحية والقوى الكونية يسودها نظام عجيب. وانما عظمة الانسان في قدرته على تبين هذا النظام وصنع الآلات التي تستقطب طاقات الطبيعية وتخضعها لخدمته.

إلاّ أن أول ما تعلنه تطورات العلوم واكتشافات التقنية، عظمة الله اللامحدودة، خالق الكون والإنسان نفسه. لقد خلق الكون ونشر فيه غنى حكمته ومحبته...

وخلق الإنسان عاقلا وحرًا على صورته ومثاله [ر. تك ١ : ٢٦] ونصّبه سيدًا على الكون [ر. مز ٨ : ٥ ...].

٣٩٥٦ – وإنا لنرى في ألم ذلك التناقض القائم بين نظام بلغ هذا الحد من الكمال وفوضى تلقي في ميدان التطاحن الافراد والشعوب، كأن القوة وحدها هي القادرة على تنظيم علاقاتهم المتبادلة.

مع أن خالق العالم قد خط النظام في أعمق أعماق الإنسان، وهو نظام يعلنه الضمير ويُرغم على احترامه: «يظهرون أن ما يفرضه الناموس مكتوب في قلوبهم وضميرهم يشهد» [رو ٢ : ١٥].

كيف لا ومصنوعات الله كلها تعكس حكمته اللامحدودة. انعكاسًا يتزايد فيها وضوحًا بقدر ما ترتقي في سلم الكائنات [ر. مز ١٨ : ٨ – ١١].

إلاّ أن الفكر البشري كثيرًا ما يعتقد في خطأ أن علاقات الأفراد بالمجتمع السياسي الذي إليه ينتمون يمكن أن تنظم وفقًا للنواميس التي تخضع لها القوى والعناصر غير العاقلة في الكون. والحال أن قواعد المسلك البشري تختلف طبيعة عن النواميس التي تسيّر هذه القوى والعناصر ولا بدّ من التفتيش عنها حيث خطها الله أيّ في طبيعة الإنسان.

هذه القواعد هي التي توجه في وضوح مسلك الناس. سواء أكان ذلك على صعيد علاقات الأفراد بالأفراد في الحياة الاجتماعية، أم على صعيد علاقات المواطنين بالسلطات العامة في نطاق المجتمع السياسي، أم على صعيد العلاقات بين مختلف المجتمعات السياسية، أم أخيرًا على صعيد علاقات هذه المجتمعات السياسية بالمجتمع العالمي الذي تستلزم قيامه اليوم، في أي احراج، مقتضيات خير البشرية العام.

الشخص البشري هو مرتكز حقوق وواجبات

٣٩٥٧ – إن المبدأ الذي يستند إليه أي مجتمع منظم وخصيب هو أن أيّ كائن بشري له شخصية أيّ إنه طبيعة وهبت العقل والإرادة الحرة. وبالتالي فهو موضوع حقوق وواجبات، تنحدر مباشرة وفي مجموعها من طبيعته: فهي اذن حقوق وواجبات تتميّز بشمولها وحرمتها وعدم قابليتها لأن يتنازل عنها.

واذا نظرنا إلى الكرامة الإنسانية على نور الحقائق التي أوحاها الله ، فلا بدّ من أن يزيد قدرنا لها. فالناس قد افتدوا بدم المسيح يسوع ، وصيّرتهم النعمة ابناء الله واصدقاءه ونصبوا ورثة المجد الأبدي.

الحقوق الأساسية للإنسان بخاصّة

٣٩٥٨ – لكل كائن بشري الحق في الحياة وفي السلامة الجسدية وفي الوسائل الضرورية والكافية لعيش لائق ، لا سيّما من حيث الغذاء والكسوة والسكن والراحة والعناية الطبية والخدمات الاجتماعية. وبالتالي ، فللإنسان حق في الضمان في حال المرض والعطب والارمال والشيخوخة والعطل عن العمل وكل مرّة يحرم وسائل العيش من جرا ظروف لا يسأل عنها.

٣٩٥٩ – لكل كائن بشري الحق أن يحترم شخصه وصيته وحريته في سعيه إلىالحقيقة والتعبير عن الفكر ونشره وفي الخلق الفني. شرط أن تصان مقتضيات النظام الأخلاقي والخير العام. كما أن له الحق أيضًا في اعلام موضوعي.

٣٩٦٠ – والطبيعة تطلب أيضًا الحق للإنسان في الثروة الثقافية ؛ اذن ، في الحصول على تعليم اساسي وتكنيكي ومهني يتناسب ومستوى التطوّر في الجماعة السياسية التي إليها ينتمي. وينبغي العمل على أن يبلغ كل واحد ، بالطاقة التي له ، الدرجات الثقافية العالية ، وفي المجتمع ، المراكز والمسؤوليات التي تتلاءم ، قدر الإمكان ، وما له من مواهب ومقدرة.

٣٩٦١ – يجب أيضًا أن نعُدّ بين حقوق الإنسان أن لكل واحد الحق في أن يعبد الله وفقًا للقاعدة العادلة التي يمليها الضمير وفي أن يمارس ديانته في الحياة الفردية والعامة. ذلك ما يعلنه في صراحة لاكتانسيوس : «إننا نُمنح الوجود لنقدّم لله الذي يمنحناه العبادة التي تجب له عدلاً. ولنعرفه هو وحده ونتبعه دون سواه. إن واجب البر البنوي هذا يربطنا بالله ويصلنا به». وفي هذا الموضوع ، أعلن سلفنا الخالد الذكر لاون الثالث عشر : «هذه الحرية الحقيقية اللائقة حقًا بأبناء الله والتي تصون كما ينبغي نبالة الشخصية الإنسانية أنها لتعلو على أيّ عنف وأيّ محاولة لا عادلة. والكنيسة ما فتئت تطالب بها وما أحبت عليها شيئًا. هذه الحرية ، ناضل

الرسل في سبيلها، والمحامون عن الدين المسيحي اثبتوها في كتاباتهم، والشهداء، جماعات، ختموها بدمائهم».

٣٩٦٢ – ولكل إنسان الحق أن يختار الحالة التي ترضيه في الحياة. فله الحق، إذن، في أن يؤسّس أسرة يتساوى فيها الزوجان حقوقًا وواجبات، أو أن يلبي الدعوة إلى الكهنوت أو إلى الحياة الرهبانية.

ان الأسرة المتأسّسة على زواج يعقد في حرية، ومن خصائصه الوحدة واللانحلال، هي، وينبغي أن تعتبر، خلية المجتمع الأولى والطبيعية. وهذا يفرض واجب اتخاذ ما يلزم من تدابير، سواء أكان ذلك على الصعيد الاقتصادي أمّ الاجتماعي والثقافي والأخلاقي. لتوطيد ثباتها وتسهيل المهمّة المنوطة بها.

وإلى الوالدين، أولاً، يعود الحق في تأمين العيش والتربية لأولادهم.

٣٩٦٣ – لكل إنسان حق في العمل وفي المبادرة في الميدان الاقتصادي.

وهذان الحقان لا يمكن أن يُفصل عنها الحق في أن يمارس العمل في ظروف لا تضر بالصحة أو بالأخلاق. ولا تعيق النموّ الطبيعي في الشبيبة، وتتناسب، في عمل المرأة، ومقتضيات جنسها وواجباتها من حيث هي زوجة وأمّ.

٣٩٦٤ – والكرامة البشرية هي الأساس أيضًا لحق القيام بالنشاط الاقتصادي في ظروف طبيعية من حيث المسؤولية الشخصية.

وتجدر الإشارة إلى أنه يستخلص من هذا أن للعامل الحق في أجرة تحدّد وفقًا لنواميس العدل. ومع اعتبار امكانيات ربّ العمل، لا بدّ من أن تكون هذه الأجرة على قدر يمكّن العامل وأسرته من العيش على مستوى يليق بالكرامة الإنسانية. وفي هذا المعنى قال سلفنا بيوس الثاني عشر: «إن شريعة العمل المخطوطة في الطبيعة يقابلها الحق، وهو حق طبيعي كالأول، في أن يدرّ هذا العمل على القائم به ما يمكنه من العيش هو وأولاده. فالسيادة على الطبيعة تهدف في صميمها إلى ضمان البقاء للإنسان».

٣٩٦٥ – كذلك يستخلص من طبيعة الإنسان حقه في ملكية فردية للخيرات، بما في ذلك وسائل الإنتاج. وكما سبق وعلمنا في غير مناسبة، أن هذا الحق يشكّل ضمانًا

كفوءًا لكرامة الشخصية الإنسانية وعونًا لها في التمرّس الحرّ بالمسؤولية في شتى الميادين، وهو، في الوقت نفسه، عنصر استقرار وطمأنينة للأسرة تفيد منه الحياة العامة في تحقيق سلامها وتنميتها.

ومن جهة أخرى، يجدر التذكير أن للملكية الفردية، من طبعها، وظيفة اجتماعية.

٣٩٦٦ – من جرا أن الكائن البشري اجتماعي من طبعه، ينجم حق الاجتماع والتشارك، وحق اعطاء هذه التكتلات الأنظمة التي يعتبر أنها تؤمن خدمة أهدافها؛ وحق الاضطلاع في حرية ببعض المسؤوليات سعيًا إلى هذه الأهداف.

إن الرسالة العامة «الكنيسة أمّ ومربيّة» تقول في صواب إن أقامة عدد كبير من المنظمات أو الهيئات التي تتوسط بين الدولة والأفراد، القادرة على بلوغ أهداف لا يمكن الأفراد أن يبلغوها ما لم يتكتلوا، تبدو كأنها الوسيلة التي لا بدّ منها لتمرّس الشخصية الإنسانية بالحرية والمسؤولية.

٣٩٦٧ – كل إنسان له الحق في حرية التنقل والاستقرار داخل الجماعة السياسية التي هو مواطن فيها. وله الحق أيضًا، عندما تدعو إلى ذلك أسباب عادلة، أن يذهب إلى الخارج ويستقرّ فيه. فإن الانتماء إلى هذه أو تلك من الجماعات السياسية لا يمكن اطلاقًا أن يمنع أيًّا كان من أن يكون عضوًا في الأسرة البشرية، ومواطنًا في هذه الجماعة الشاملة التي تضمّ الناس جميعًا بروابط مشتركة.

٣٩٦٨ – ان كرامة الشخصية البشرية يلازمها الحق في العمل الفعلي في الحياة العامة والإسهام الشخصي في تحقيق الخير العام. إن الإنسان من حيث هو إنسان، ليس هو موضوع الحياة الإجتماعية وعنصر انفعال فيها، بل هو، ويجب أن يظل كذلك، الأساس والغاية منها.

٣٩٦٩ – وهنا حق أساسي آخر للشخصية الإنسانية: حماية القانون لحقوقه الشخصية، حماية فعّالة، يتساوى فيها الجميع وفقًا لنواميس العدل الموضوعية. «إن النظام الحقوقي الذي أراده الله، يستخلص منه لجميع الناس هذا الحق الذي لا يمكن التنازل عنه والذي يضمن لكل واحد حماية القانون ونطاقًا واقعيًا من الحقوق تؤمّن حرمته ضدّ كل تعد اعتباطي».

واجبات الإنسان النابعة من طبيعته

٣٩٧٠ – لقد ذكّرنا حتّى الآن بسلسلة من الحقوق الطبيعية. وهي حقوق يلازمها في الإنسان موضوعها سلسلة مماثلة من الواجبات. والشريعة الطبيعية تمنح تلك وتفرض هذه. وكلها تستمد من هذه الشريعة الطبيعية نفسها أصلها ودوامها وقوتها التي لا تقهر.

فهكذا، مثلاً، يلازم الحقَّ في الحياة واجبُ الحفاظ عليها؛ والحقُ في عيش لائق يلازمه واجب السلوك في كرامة؛ والحق في السعي الحر إلى الحقيقة يلازمه واجب توسيع هذا السعي وتعميقه.

في الحياة الاجتماعية، كل حق تمنحه الطبيعة شخصًا يوجد في السوى واجبًا هو الاعتراف بهذا الحق واحترامه. لأن أيّ حق أساسي في الإنسان يستمد قوته الإلزامية من الناموس الطبيعي الذي يمنحه ويفرض الواجب الذي يلازمه. وإن الذين ينسون، في مطالبتهم بحقوقهم، واجباتهم، أو يتهاونون في القيام بها، إنما يتعرضون لأن يهدموا بيد ما يبنونه بالأخرى.

٣٩٧١ – يتحتم على الناس بحكم طبيعتهم الاجتماعية أن يعيشوا بعضهم مع بعض وأن يعمل بعضهم لخير بعض. وبالتالي فالانسجام في مجتمع يستلزم الاعتراف والقيام بالحقوق والواجبات. وعلاوة على ذلك فكل واحد مدعو لأن يسهم بسخاء في تشييد نظام اجتماعي يؤمّن في ازدياد مطرد الحقوق والواجبات.

فلا يكفي أن يُعترف بحق الإنسان في وسائل العيش وأن يُحترم هذا الحق، بل يجب أن يَعمل كل بنسبة قواه على تأمين هذه الوسائل بكفاية.

إن الحياة الاجتماعية لا يكفيها أن تؤمّن النظام فحسب، بل يجب أن تأتي الأعضاء بفوائد. وذلك يقتضي الاعتراف بالحقوق والواجبات واحترامها، ولكنه يقتضي أيضًا إسهام الجميع بحسب الأشكال المتعدّدة التي جعلها التطوّر العصري ممكنه ومشتهاة وضرورية.

٣٩٧٢ – ان كرامة الشخصية الإنسانية تقتضي أن يعمل كل واحد وفقًا لقرار واعٍ وحر. وفي الحياة الاجتماعية ينتظر خصوصًا من القرارات الشخصية احترام الحقوق

والقيام بالواجبات والإسهام في شتى الأعمال. ولا بدّ للفرد من أن يدفعه اقتناعه الشخصي ومبادرته الخاصة ووعيه مسؤولياته وليس تأثير الإرغام والضغط يأتيه من الخارج.

أن مجتمعًا يرتكز على علاقات القوّة فحسب ليس بالمجتمع البشري: فهو يقلص حتمًا حرية الناس، بدل أن يكون لها العون والحافز لتتطوّر وتتكامل.

٣٩٧٣ - ... ان النظام الخاص بالجماعات البشرية هو من عنصر أدبي. لأنه نظام يتأسس على الحقيقة ويتحقق بالعدل ويقتضي أن تحييه المحبة ويجد في الحرية توازنًا لا يفتأ يتجدّد ويزداد إنسانية.

هذا النظام الأدبي، الشامل والمطلق وغير المتحوّل من حيث مبادؤه له أساسه الموضوعي في الإله الحقيقي المتعالي والشخصي، الحقيقة الأولى والخير الأسمى والمعين الأكثر غزارة للحيوية في مجتمع منتظم خصيب يتلاءم وكرامة البشر الأعضاء فيه. والقديس توما الأكويني يعبّر في صراحة عن هذه الحقيقة: «ان إرادة الإنسان لها قاعدتها ومقياس درجة الصلاح فيها في عقل الإنسان. وهذا يستمد سلطته من الناموس الأبدي الذي ليس هو سوى العقل الإلهي. وبالتالي، والأمر جلّي، فالصلاح في الإرادة البشرية يتعلّق بالناموس الأبدي أكثر بكثير ممّا بالعقل البشري».

خصائص الحياة الاجتماعية اليوم

٣٩٧٤ - ثلاث ميزات تعطي عصرنا طابعه الخاص. الميزة الأولى، رقي الطبقات الكادحة اقتصاديًّا واجتماعيًّا. فلقد وجهت هذه الطبقات جهودها أوّلاً صوب المطالبة بحقوقها، لا سيّما الاقتصادية والاجتماعية منها. ثم اتسعت هذه الجهود وشملت الميدان السياسي، وتناولت أخيرًا حقها في الحصول، وفقًا لأوضاع خاصة بها، على ما يصيبها من الثروة الثقافية. واليوم، نرى لدى العمّال في جميع البلدان حساسية عميقة حيال مطلب فحواه أن ينظر إليهم ويعاملوا ليس ككائنات لا حق لها ولا حرية، تستخدم وفقًا لهوى أسيادها، بل كأشخاص بشريين، وذلك في

قطاعات الحياة الاجتماعية كلها؛ القطاع الاقتصادي الاجتماعي والثقافي والسياسي.

٣٩٧٥ – والميزة الثانية التي تفرض وجودها على كل مطّلع: دخول المرأة الحياة العامة، دخولاً ربّما اسرعت إليه الشعوب ذات الحضارة المسيحية، أكثر من تلك التي لها تقاليد وحضارات أخرى؛ غير أنه يبقى في هذه الأخيرة في نموّ مطّرد. واذ تزايد يومًا بعد يوم وعي المرأة كرامتها الإنسانية لم تعد تقبل أن تعتبر آلة. إنها لتقتضي أن تعتبر شخصًا إنسانيًا سواء أكان في البيت أمّ في الحياة العامة.

٣٩٧٦ – أخيرًا، وبالنسبة الى ماضٍ قريب، نرى البشرية على نظام اجتماعي وسياسي يختلف اختلافًا عميقًا عمّا كانَ عليه. أيّ إنه لم يعد هناك شعوب سائدة وشعوب مسودة: فالشعوب كلّها أسّست، أو تؤسّس اليوم، جماعات سياسية مستقلة. فالناس من جميع البلدان والقارات هم اليوم مواطنو دول تنعم بالحكم الذاتي والاستقلال، أو هم في طريقهم إلى هذا الحكم الذاتي والاستقلال. وليس من يريد لذاته أن يكون خاضعًا لسلطات سياسية غريبة عن جماعته أو كتلته العنصرية. وإنّما نشهد لدى الكثيرين اضمحلال مركب الدونيّة الذي ساد طوال مئات والآف السنين، بينما أخذ يتقلص لدى الآخرين، بل هو في طريقه إلى الزوال، مركب التفوق المنبثق من امتيازات اقتصادية واجتماعية أو من الجنس أو من المركز السياسي.

٣٩٧٧ – فقد انتشرت الآن على وسيع مدى فكرة المساواة الطبيعية بين البشر جميعًا. ولذا فلم يعد هناك، على الأقلّ نظريًا، أي مبرر للتمييز العنصري. وهذا ما يشكّل خطوة هامة في السبيل المؤدية إلى مجتمع انساني يتوطد على المبادئ التي ذكّرنا بها. والآن على قدر ما يعي الإنسان حقوقه ينشأ فيه، وكأنه ضرورة، وعي الالتزامات التي تلازم هذه الحقوق: أن حقوقه الشخصية هي أوّلاً تعابير عن كرامته التي يطالب بها، وعلى الغير الاعتراف بهذه الحقوق واحترامها.

٣٩٧٨ – وعندما يعبّر عن نواميس الحياة المشتركة بكلمات حقوق وواجبات، ينفتح الناس على القيم الروحية ويفقهون معنى الحقيقة والعدل والمحبّة والحرية، ويعرفون

انهم إنّما ينتمون إلى مجتمع من مستوى هذه القيم، بل إن هذا يحملهم على أن يعرفوا أكثر الإله الحقيقي المتعالي والشخصي. واذ ذاك فعلائقهم بالله تبدو لهم وكأنها مرتكز الحياة، الحياة التي يعيشها الإنسان في صميم ذاته وتلك التي يعيشها جماعيًا مع سواه.

ضرورة السلطة وأصلها الإلهي

٣٩٧٩ – ... لكان ينقص الحياة الاجتماعية النظام والخصب لو لم يوجد أُناس يضطلعون بالسلطة شرعًا ويصونون حرمة الأنظمة ويعملون بقدر كافٍ على تحقيق الخير العام. إن سلطتهم تأتيهم من الله كما يعلم القديس بولس: «لا سلطة إلاّ من الله» [رو ١٣: ١ و١٣: ٢ – ٦]. وتعليم الرسول هذا يشرحه القديس يوحنا الذهبي الفم بقوله: «أيّ شيء تعني؟ أيكون أن كل حاكم نصّبه الله في وظيفته؟ ليس هذا ما أقول، يجيب الرسول؛ لست أعني الأفراد أصحاب السلطة، بل الوكالة التي أؤتمنوا عليها أياها أعني. أن يوجد سلطات عامة، أي أن يكون هناك أُناس يأمرون وآخرون يطيعون، وأن لا يناط كل شيء بالصدف، ذلك عمل الحكمة الإلهية». وبعبارة أخرى: لما كان الله قد وهب الطبيعة البشرية الصفة الاجتماعية، وبما أن أيّ مجتمع لا يقوم بغير رئيس يعبّيء الأعضاء جميعهم بعمله الفعّال والموحّد في خدمة الأهداف المشتركة، فكل مجتمع بشري لا بدّ له من سلطة تسوسه. ولذلك، فهذه السلطة، على غرار المجتمع، يعود أصلها إلى الطبيعة وبالتالي إلى الله نفسه [٣١٦٥].

٣٩٨٠ – ولا يعني هذا أن السلطة لا تخضع لأي شريعة. فلأنها تقوم على صلاحية إصدار الأوامر وفقًا للعقل السليم، القوّة الإلزامية التي لها تأتيها من النظام الأدبي الذي يرتكز بدوره على الله مبدئه وغايته. «إن النظام المطلق الذي للكائنات الحية، وغاية الإنسان نفسها – أقول الإنسان الحر موضوع واجبات وحقوق لا يمكن أن تثلم حرمتها، الإنسان أصل المجتمع وغايته – يتعلّقان أيضًا بالمجتمع من حيث هو جماعة ضرورية تسودها سلطة. وبدون هذه لا كيان للمجتمع ولا حياة له. إن العقل السليم والإيمان المسيحي خصوصًا يعلنان أن هذا النظام الشامل يعود أصله

ضرورة إلى الله الكائن الشخصي وخالقنا جميعًا. وبالتالي، فصلاحيات السلطات العامة ما هي في الإنسان إلاّ اشتراك بالسلطة الإلهية نفسها».

فالسلطة التي ترتكز فقط أو خصوصًا على التهديد والخوف من الملاحقات الجزائية أو على الوعود بالمكافآت، لا ينجح عملها أصلاً في الحث على السعي إلى الخير العام. وهبها استطاعت فبطريقة غريبة عن كرامة الإنسان، الكائن الحر والعاقل. إن السلطة أوّلاً قوّة معنوية. ولا بدّ للمضطلعين بها من أن يستندوا أوّلاً إلى الضمير وإلى الواجب الذي يفرض على الجميع الإسراع في خدمة المصالح العامة. ولكن البشر اذ يتساوون جميعًا كرامة طبيعية، فليس لأحد أن يقتضي سواه الرضوخ النفسي الصميم. لأن هذا السلطان محصور في الله الذي يسبر وحده قرارات الإنسان في داخله ويقضي فيها. وبالتالي، فالسلطة البشرية لا تستطيع أن تربط الضمائر إلاّ بقدر ما ترتبط هي نفسها بسلطة الله وتشكّل اشتراكًا بها.

٣٩٨١ – بهذا تصان كرامة المواطنين نفسها لأن الطاعة التي يؤدونها لذوي السلطة ليست موجهة لبشر من حيث هم بشر، إنّما هي عاطفة إكرام تقدم الله خالق الكون وعنايته الذي أخضع العلائق البشرية للنظام الذي وضعه هو نفسه. ولسنا ننحط اذا قدمنا لله الاحترام الواجب له، بل، بالعكس، فإننا بذلك نرتقي سموًا ونبلا، إذ «خدمة الله سيادة».

ان السلطة التي يقتضيها النظام الأدبي، تنبثق من الله. فإذا ما حدث للحكّام أن يسنوا قوانين أو يتخذوا قرارات تتنافى وهذا النظام الأدبي أيّ تضاد إرادة الله، فليس لهذه التدابير أيّ الزام في الضمائر «لأن الله أحق من الناس بأن يطاع». بل إن السلطة في مثل هذه الأحوال لا تعود سلطة ولكنها تتحوّل إلى استبداد.

٣٩٨٢ – إن أصل السلطة الإلهي لا ينتزع من الناس حق انتخاب حكامهم وتشكيل الدولة أو فرض قواعد وحدود لممارسة السلطة. ولذا فالعقيدة التي بسطناها تتلاءم وكل شكل من أشكال الحكم الديموقراطي الصحيح.

المساهمة في الخير العام

٣٩٨٣ – بما أن الوظيفة الحكومية لا معنى لها إلاّ بالنظر إلى الخير العام، فالتدابير التي

يتخذها المقلدون هذه الوظيفة يجب، في الوقت نفسه، أن تحترم طبيعة هذا الخير الحقيقية وتعتبر الأوضاع الراهنة.

إن الخصائص العنصرية التي تميز مختلف الفئات البشرية تدخل في نطاق الخير العام غير أنها لا تكفي وحدها، من جرا ذلك، لأن يحدّد بموجبها هذا الخير العام تحديدًا كاملاً. فإن هذا الخير العام المرتبط كليًّا بالطبيعة البشريّة لا يمكن أن يؤمَّن بوجه تام وكامل إلاّ إذا اعتُدّ بالشخص البشريّ، في النظر إلى الطبيعة البشريّة وتحقيق الخير العام.

٣٩٨٤ - ثم إن طبيعة هذا الخير العام تفرض أن يسهم جميع المواطنين فيه، وفقًا لأشكال تختلف باختلاف ما لكل واحد من عمل وقدرة ووضع. ولذا، فمجهود السلطات العامة يجب أن يسعى لخدمة مصالح الجميع دون تفضيل فرد على آخر أو طبقة على أخرى. إن سلفنا لاون الثالث عشر عبّر عن هذه الحقيقة بقوله: «لا يمكن أصلاً أن يسمح أن توجّه السلطة المدنية لفائدة فرد أو عدد ضئيل من الأفراد، لأنها وضعت لخير الجميع». إلاّ أن اعتبارات عدل وإنصاف تملي أحيانًا على المسؤولين في الدولة عطفًا خاصًا على الأعضاء الأكثر ضعفًا في الجسم الاجتماعي، لضآلة امكانياتها في الدفاع عن حقوقها ومصالحها المشروعة»...

إن هذه المبادئ في غاية الانسجام مع ما سبق وفصّلناه في رسالتنا العامة «الكنيسة أم ومربية»: إن الخير العام يتناول مجموع أوضاع الحياة الاجتماعية التي تمكن الإنسان من بلوغ كماله الخاص بطريقة أكثر كمالاً وسهولة...

٣٩٨٥ - إن الفكر المعاصر يضع الخير العام خصوصًا في الحفاظ على حقوق الشخصية الإنسانية وواجباتها. وبالتالي، فدور الحكّام يقوم خصوصًا على ضمان الاعتراف بهذه الحقوق واحترامها وانسجامها المتبادل والدفاع عنها وتنميتها، وفي النتيجة على أن يسهّل لكل مواطن قيامه بواجباته. لأن رسالة كل سلطة سياسية هي، جوهريًّا، حماية ما للكائن البشري من حقوق لا تثلم والعمل على أن يقوم كل واحد بوظيفته الخاصة في سهولة.

ولذلك، فإذا ما أقدمت السلطات العامة على تجاهل حقوق الإنسان أو ثلمها. فلا

تكون قد أخلت بواجبها فحسب، بل تكون تدابيرها اذ ذاك خالية من أي قيمة قانونية.

تحديد الحقوق والواجبات المدنية وأصلها

٣٩٨٦ – ... في التنظيم الحقوقي الذي للجماعات السياسية اليوم يلاحظ أوّلاً ميل إلى خط شرعة لحقوق الإنسان الأساسية بتعابير واضحة ومقتضبة، وهي شرعة غالبًا ما تدخل في صلب الدساتير أو تؤلّف قسمًا منها مُكمِّلاً. ويلاحظ ثانيًا أن هناك ميلاً إلى النص بتعابير قانونية في هذه الدساتير على طريقة تعيين ذوي السلطات العامة، وعلاقاتهم المتبادلة ومدى صلاحياتهم وأخيرًا الوسائل والطرائق التي يرغمون على اتباعها في إدارتهم.

وأخيرًا تحدد بشكل حقوق وواجبات علائق المواطنين بالسلطات العامة. ويطلب إلى السلطة، كدور أدبي تقوم به، أن تقر وتحترم حقوق المواطنين وواجباتهم، وتؤمّن انسجامها المتبادل والدفاع عنها وتنميتها.

٣٩٨٧ – إلاّ أنّه لا يمكن الأخذ بنظرية القائلين أن إرادة الناس، سواء أكانوا أفرادًا أو فئات اجتماعية، هي المصدر الوحيد والأول لحقوق المواطنين وواجباتهم ولقوة الدساتير الإلزامية ولسلطة الحاكمين.

تجاوز التفاوت الثقافي

٣٩٨٨ – ... ان الخبرة ترينا تفاوتًا، وغالبًا ما يكون شاسعًا، في العلم والفضيلة والإمكانات العقلية والخيرات المادية، بين البشر، يميزهم بعضهم من بعض إلاّ أن هذا الواقع لا يولي العائشين في نعمة أيّ حقّ على استغلال الضعفاء، بل إنه يضع عليهم، أفرادًا وجماعة، واجبًا أكثر إلحاحًا، واجب الإسهام في الرقي المتبادل.

كما أن بعض الجماعات السياسية يمكن أن توجد بالنسبة إلى سواها متقدّمة في ميدان العلوم والثقافة والتنمية الاقتصادية. فهذا التفوّق لا يجيز أصلاً سيطرة غير عادلة على الشعوب الضعيفة بل يشكّل واجبًا يرغم على الإسهام في التطوّر العام.

أجل لا يمكن أن توجد كائنات بشرية متفوقة على سواها من حيث الطبيعة، اذ هي جميعًا، من حيث طبيعتها، على مستوى واحد من النبالة. كذلك الجماعات السياسية لا يختلف بعضها عن بعض من حيث الكرامة الطبيعية. اذ إن كلا منها جسم أعضاؤه بشر. والتاريخ يبين لنا أن الشعوب أكثر ما تكون حساسية حيال ما يمس من بعيد أو قريب شرفها. وهذه الحساسية مشروعة.

حقوق الأقليات

٣٩٨٩ – ... منذ القرن التاسع عشر أخذ الميل إلى إحلال التناسق بين الجماعات السياسية والجماعات القومية يزيد وينتشر في كل مكان. إلاّ أن أسبابًا عديدة تحول دون أن تتوافق دومًا الحدود الجغرافية والعنصرية. من هنا نشأت ظاهرة الأقليات والمعضلات الصعبة التي تنبثق منها.

وبهذه المناسبة لا بدّ لنا من أن نعلن بالطريقة الأكثر وضوحًا أن أي سياسة تحاول الوقوف في وجه حيوية الأقليات وانتشارها تشكّل خطأ فادحًا ضد العدل؛ ويزيد الخطأ فداحة عندما ترمي هذه المحاولات إلى القضاء عليها.

وبالعكس، فلا أعدل من عمل السلطات العامة سعيًا إلى تحسين أوضاع الأقليات العنصرية في حياتها لا سيّما في ما له علاقة باللغة والثقافة والعادات والثروات والنشاطات الاقتصادية.

وبهذه المناسبة لا يغربنّ عن فكرنا أن رسالة السلطة السياسية الطبيعية ليس في الحدّ من آفاق المواطنين فلا تتعدّى حدود البلد، بل في صيانة الصالح القومي أوّلاً. ولكنّ هذا الصالح العام القومي لا يمكن أن يفصل عن الصالح العام البشريّ.

حق اللاجئين السياسيين

٣٩٩٠ – وفي هذا المجال ليس من النافل التذكير بأن اللاجئ السياسي شخص إنساني بما لهذه الصفة من كرامة وبكل ما لها من حقوق. وهذه الحقوق يجب أن يعترف له بها، لأنها لم تسقط من جرا أن اللاجئ صاحبها قد انتزعت عنه في بلاده حقوقه المدنية أو السياسية.

وبالتالي، فإنه لمن الحقوق الملازمة للشخصية الإنسانية إمكانية الانتقال إلى هذا أو ذاك من البلدان على أمل إيجاد ظروف معاشية أكثر ملاءمة للشخص ولأسرته. فعلى الحكومات اذن أن تقبل المهاجر، وبقدر ما يتّفق ذلك والخير الحقيقي لشعبها، أن تشجع من يشاء الاندماج في الجماعة القومية.

السعي لنزع السلاح

٣٩٩١ – ... إن العدالة والحكمة والروح الإنسانية تطالب بالتالي بإيقاف سباق التسلّح، وبتخفيض الأسلحة الجاهزة اليوم، تخفيضًا متوازيًا وفي ذات الوقت في مختلف البلدان، وحظر السلاح الذري، وأخيرًا نزع السلاح نزعًا يصار إليه في اتفاق جماعي وتحت مراقبة فعّالة.

ضرورة سلطة سياسية عامّة

٣٩٩٢ – ... لن تهدم وحدة الأسرة البشرية في أيّ وقت، لأنها تجمع كائنات تتساوى كرامة طبيعية. فالضرورة التي تقضي، إذن، أن نعمل بكفاية لخير البشرية العام أيّ ذاك الذي يهم الأسرة البشرية جمعاء، هي ضرورة مصدرها الطبيعة نفسها.

لقد كانت الحكومات قديمًا تعتبر وكأنها قادرة على تحقيق الخير البشري العام. وكانت تسعى إلى ذلك عن طريق العلاقات الدبلوماسية العادية أو المفاوضات على صعيد أعلى، مستخدمة هذه الوسائل القانونية التي هي الاتفاقات والمعاهدات: وسائل وطرائق يوفرها الحق الطبيعي والحق الدولي الخاص والعام.

أمّا اليوم فقد طرأت على العلاقات بين الدول تبديلات عميقة. فمن جهة يثير الخير البشري العام معضلات في غاية الخطورة وصعبة، تقتضي حلاً سريعًا، ولاسيّما عندما يكون موضوعها العالم في الدفاع عنه وسلامته وسلمه. ومن جهة أخرى، ففي نظر القانون، إن السلطات العامة التي لمختلف الجماعات السياسية تتساوى في ما بينها؛ وهي مهما أكثرت من المؤتمرات والأبحاث سعيًا إلى تحسين الوسائل القانونية، لم يعد في استطاعتها أن تجابه هذه المعضلات وتوليها الحل الفعّال. ذلك ليس أن ذويها لا تتوفّر لديهم الإرادة الطيبة والمبادرة، بل أن السلطة التي قُلدوها هي نفسها لا تكفي لذلك.

فلا بدّ من الإقرار أن تنظيم الدول وسيرها، وكذلك السلطة التي بيد الحكومات كلها لا تمكّن في الأوضاع الحاضرة التي يعيشها المجتمع الإنساني من السعي كما ينبغي لتحقيق الخير البشري العام.

و إذا انعمنا النظر، نلمس علاقة جوهرية تربط الخير العام بتكوين السلطات العامة وسيرها. فالنظام الأدبي الذي يقتضي سلطة تخدم الخير العام في المجتمع المدني، يقتضي في الوقت نفسه أن تعطى هذه السلطة عينها الوسائل الضرورية للمهمّة التي تضطلع بها. وينتج من هذا أن هيئات الدولة، أي تلك التي تتجسم فيها السلطة وتمارس وتبلغ غايتها، يجب أن تكون لها أشكال وفعّالية تمكنها من إيجاد الطرق والوسائل الجديدة المكيفة وفقًا لتطوّر المجتمع هذا الخير العام.

٣٩٩٣ – في أيامنا يطرح هذا الخير البشري العام معضلات هي على مستوى العالم. فلا يمكن أن تحلها غير سلطة عامة ذات صلاحية وتكوين ووسائل عمل هي أيضًا على مستوى العالم، وتستطيع أن تضطلع بمهمتها في الأرض قاطبة. فالنظام الأدبي نفسه هو الذي يستلزم إقامة سلطة عامة ذات صلاحية شاملة.

هذه المنظمة ذات الطابع العام والسلطة على الصعيد العالمي والتي بين يديها الوسائل الفعّالة لتحقيق خير البشرية جمعاء، يجب أن تستمدّ كيانها من اتفاق جامع وليس أن تفرضها القوّة فرضًا. وسبب ذلك أن السلطة المعنية يجب أن تتمكّن من التمرّس بمهمتها بصورة فعّالة، وأن تلزم الحياد حيال جميع الفرقاء وتبتعد كل البعد عن أيّ تحيز ساهرة على ما يستلزمه موضوعيًا خير البشرية العام.

٣٩٩٤ – ... أن خير البشرية العام، على غرار الخير العام في أمة ما، لا يمكن أن يحدد بمعزل عن الشخص البشري. ولذا فالسلطات العامة في المجتمع العالمي يجب أن ترى في الاعتراف بحقوق الشخص البشري واحترامها والذود عنها وتطويرها غايتها الأساسية؛ فتسعى إلى تحقيقها سواء أكان بالتدخّل المباشر اذا اقتضى الأمر ذلك، أو بخلقها على الصعيد العالمي الأوضاع التي تمكّن الحكومات القومية من الاضطلاع برسالتها على وجه أكمل.

٣٩٩٥ – إن مبدأ الاستطراد هو القاعدة والميزان في علاقات السلطات العامة

بالمواطنين والأسر والهيئات المتوسطة داخل كل بلد. ومن الطبيعي أن يكون هذا المبدأ نفسه القاعدة في العلاقات التي تربط السلطة الدولية بحكومات الدول. فمهمّة هذه السلطة الدولية أن تدرس وتحل القضايا المتعلّقة بالخير البشري العام في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. ذلك أن ما لهذه القضايا من وساعة وتشعب واحراج هو السبب في أن الحكومات القومية لا تستطيع حلها كما ينبغي.

وليس للسلطة التي تشرف على المجتمع العالمي أن تحد من العمل الذي تقوم به الدول ضمن نطاقها الخاص ولا أن تحل محلها. عليها، بالعكس، أن تسعى إلى أن توجد في بلدان العالم كلها أوضاعًا تمكن لا الحكومات فحسب، بل والأفراد والهيئات المتوسطة أيضًا، من القيام بالمهمّات والواجبات ومن التمتّع بالحقوق في طمأنينة أكثر.

المشاركة مع غير الكاثوليكيين في الحقل الاجتماعي

٣٩٩٦ — إن المبادئ التي شرحناها هنا لتجد أساسها في مستلزمات الطبيعة البشرية نفسها، وهي في أغلب الأحيان من نطاق الحق الطبيعي. والكاثوليكيّون كثيرًا ما يتعاونون بشتى الطرق في تطبيق هذه المبادئ سواء أكان ذلك مع مسيحيين منفصلين عن هذا الكرسي الرسولي أم مع أُناس يعيشون بعيدين عن الإيمان المسيحي، إلاّ أنهم اذ يسيرون على نور العقل فهم أمناء للشريعة الأدبية الطبيعية.

«فليعنَ الكاثوليكيّون اذ ذاك بأن يظلّوا منطقيين مع ذواتهم، ويحذروا من أيّ تساهل يسيء إلى سلامة العقيدة الدينية أو الآداب. ولكن فليتحاشوا أيضًا أن يحصروا نظرهم في مصالحهم وحدها، وليتعاونوا مخلصين في كل أمر حسن في ذاته أو يمكن أن يقود إلى الخير».

فَمِن العدل أن نفصل دومًا بين الضلال في ذاته والأشخاص المتلبسين به، حتّى وُلو تناول هذا الضلال إيجابًا أو سلبًا الدين والآداب. فالإنسان الذي ضلّ يبقى دومًا كائنًا إنسانيًا ويحفظ كرامته الإنسانية الجديرة دومًا بالاعتبار، والكائن البشري

لا يفقد أبدًا القدرة على التحرّر من ضلاله وشقّ سبيله إلى الحقيقة، ولا يفوته في ذلك عون العناية الإلهية. ومن الممكن أن يوجد في الغد قادرًا، بفضل النور الإلهي، على اعتناق الحقيقة. وإذ تشكّل المهمّات الزمنية فرصة للمؤمنين للتعامل مع أُناس تحجب عنهم وتضعف فيهم مفاهيم خاطئة أنوار الإيمان، فمن الممكن أن تكون هذه العلاقات منطلقًا أو دافعًا لتيّار يقود هؤلاء الناس إلى الحقيقة...

٣٩٩٧ - كذلك لا يمكن إقامة تماثل بين النظريات الفلسفية الخاطئة في طبيعة الإنسان والعالم وأصلها وغايتها والحركات التاريخية التي إنّما انشئت لهدف اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي أو سياسي، حتّى ولو استندت في انطلاقها إلى هذه النظريات ولا تزال اليوم تستوحيها. فالعقيدة عندما تُحدّد وتصاغ لها تعابير لا تعود تتغير، بينما الحركات التي موضوعها أوضاع الحياة في كيانها الملموس والمتطوّر لا يمكن أن تعيش في معزل عن تأثير بعيد المدى لهذا التطوّر فيها. وعلى كل حال، فبقدر ما تتجاوب هذه الحركات وما تصبو إليه الشخصية الإنسانية وتتفق ومبادئ العقل القويمة، من يرفض أن يرى فيها عناصر إيجابية حريّة بالقبول؟

فمن الممكن، اذن، أن تحمل اليوم بعض اللقاءات على صعيد التحقيق العملي، التي بدت حتّى الآن غير مناسبة وعقيمة النتائج، فوائد حقيقية أو تعد بها للغد. أمّا الحكم في واقع ذلك، وتحديد أشكال ومدى تضافر الجهود في الميادين الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية لأهداف مفيدة لخير المجتمع الحقيقي، فتلك مسائل تعتمد في حلّها وتحديد مداها الفطنةُ التي تسوس الفضائل المنظّمة الحياة الفردية والاجتماعية كلها. وعندما يعني الأمر الكاثوليكيّين، فالقرار يعود أوّلاً للاعضاء الأكبر أثرًا في الجسم الاجتماعي والأكثر إطلاعًا على المادّة موضوع البحث، شرط أن يتقيّدوا بتعليم الكنيسة الاجتماعيّ في أمانة لمبادئ الحق الطبيعي، ويخضعوا لتوجيه السلطات الكنسية. اذ لا يغربنّ عن الفكر أن حقوق الكنيسة وواجباتها غير محصورة بصيانة كمال العقيدة الإيمانية والأخلاقية، بل إن سلطتها بالنسبة إلى أبنائها تشمل أيضًا الميدان الزمني، كل مرة يدور البحث في تطبيق هذه العقيدة على الوقائع.

المجمع الفاتيكاني الثاني (المسكوني الحادي والعشرون)

١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢ – ٨ كانون الأوّل ١٩٦٥

المرحلة الأولى: الجلسة الأولى، ١١ تشرين الأول ١٩٦٢ – ٨ كانون الأول ١٩٦٢

افتتح البابا يوحنا الثالث والعشرون المجمع الفاتيكاني الثاني في ١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢، وأوضح الغرض منه – كما أوضحه أيضًا آباء المجمع أنفسهم في بدء الأعمال – وهو تحديث الحياة الكنسيّة، أيّ تعميق الحياة المسيحية، وتطوير المؤسّسات الكنسيّة بالنظر إلى ضرورات العصر ومقتضيات الزمان. وتعزيز وحدة المسيحيين، ومساندة العمل الرسوليّ في الكنيسة.

البابا بولس السادس: ٢١ حزيران ١٩٦٣ – ٦ آب ١٩٧٨

المرحلة الثانية: الجلسة الثانية والثالثة، ٢٩ أيلول ١٩٦٣ – ٤ كانون الأول ١٩٦٣

المرحلة الثالثة: الجلسة الرابعة والخامسة، ١٤ أيلول ١٩٦٤ – ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤

المرحلة الرابعة: الجلسة السادسة حتّى التاسعة، ١٤ أيلول ١٩٦٥ – ٧ كانون الأول ١٩٦٥

الاحتفال بختام المجمع: ٨ كانون الأول ١٩٦٥

٤٠٠١ – ٤٠٤٨ – الجلسة الثالثة العلنيّة، ٤ كانون الأول ١٩٦٣: دستور في الليتورجيّا المقدّسة "Sacrosanctum Concilium"

توطئة

٤٠٠١ – ١ – إذ كان المجمعُ المقدّسُ يَعملُ على تَنمِيةِ الروحِ المسيحيّةِ يومًا فيومًا عند المؤمنين، وعلى جَعْلِ المُؤسَّساتِ القَابلةِ التغييرِ أكثرَ انسِجامًا وَروحَ العَصرِ، وعلى تَنشِيطِ كُلّ ما من شَأنِه أن يُسْهِم في تَوحيدِ جَميعِ المُؤمنينِ بالمسيحِ، وتقويةِ كلِّ ما

يُساعد على دَعوةِ جميع البَشرِ إلى حِضْن الكنيسة، فهو يَرى أنّه يَرجع إليه بِوجهٍ خاصّ أمرُ إحياءِ الليترجيّا وتَطويرها.

الليترجيّا في سرّ الكنيسة

٤٠٠٢ – ٢ – فالليترجيّا التي «يجري بها عَملُ فدائِنا»، ولا سيَّمَا في ذبيحة الإفخارستيّا الإلهيّة، تُساعِدُ أَعظمَ المُساعدةِ على أَن يُعبِّرَ المؤمنون بسِيرةِ حياتِهم ويُفصِحوا للآخرين عن سِّر المسيح وعن أَصالة طَبيعةِ الكنيسةِ الحقيقيّة التي تَمتَازُ بكونِها إنسانيّةً وإلهيّةً معًا، مَنظُورةً وحافِلةً بِحقائقَ غيرِ مَنظُورةٍ، حارَّةً في العمل ومُسترسِلةً إلى التأمُّل، حاضرةً في العَالمِ مع أنّها عنه نازحة. وهكذا فالإنسانيُّ فيها مُنتظِمٌ في الإلهيِّ وخَاضِعٌ له، وما هو مَنظُورٌ خَاضِعٌ لِغيرِ المَنظورِ، وما هو من العَملِ خاضعٌ للتأمُّل، وما هو حَاضرٌ موجَّةٌ إلى المَدِينة الآتيةِ التي نسعى إليها وبِمَا أنَّ اللّيترجيّا تَقومُ كلَّ يوم بِبناء منَ هُم في الدّاخِل هيكلاً مقدّسًا في الربّ، مسكنًا للهِ في الروح، إلى مِقدارِ قَامةِ ملءِ المسيح، فهي تُعاضِدُ قِواهم بِطريقةٍ عَجيبةٍ لكي يُبشِّروا بالمسيح، وهكذا تُجَلّي الكنيسةَ للذين في الخارجِ رايةً مَنصوبةً في الأمم، يَجتمعُ تحتَها أبناءُ الله المتفرّقون في الوَحدة إلى أن تكونَ رعيّةٌ واحدة وراعٍ واحد.

الدُّستور وشتَّى الطُّقُوس

٤٠٠٣ – ٣ – لأجل ذلك يَرى المَجمعُ المُقدّس أنّه لا بُدَّ، في سبيلِ تطويرِ الليترجيّا وإحيائِها، من التّذكيرِ بالمبادئِ التالية، ومن إقامة القوانينِ العَمليّة.

في هذه المبادئ وهذه القَوانين طَائفَةٌ يُمكنُ ويجب تَطبيقُها على الطّقسِ الرُّومانيّ وعلى سائرِ الطُّقُوس، وإن كانتِ القَوانينُ العمليّةُ التَالِيةُ تُعتَبرُ عانِيَةً الطّقسَ الرومانيّ دون سِواه، هذا لَم يكُنْ هُنالك من طبيعةِ الأشياءِ نفسِها ما يَجْعلُها تَتناولُ الطُّقُوسَ الأخرى أيضًا.

٤٠٠٤ – ٤ – ثُمَّ إنَّ المَجمع المقدّس، مُراعيًا التقليدَ في أَمانة، يُعْلِن أنّ الكنيسةَ الأمّ المُقدّسةَ تَعتَبِرُ جميعَ الطُّقُوسِ المُعترَفِ بها شَرعًا مُتَساويةً في الحُقوقِ والكَرامة،

وتُريدُ للمُقْبلِ من الأيّام أن تُحافظَ عليها وتُعزّزَ شأنَها بجميعَ الطرائق، وهو يرغبُ في ما تَدعُو الحاجةُ إليه من إعادةِ النَظرِ الشاملةِ فيها، على أن يكونَ ذلك في فِطنةٍ وفي تقيّدٍ بروحِ التقليد الصحيح، وفي أن تُبثّ حيويّةٌ جديدةٌ وِفاقًا لمُقتضياتِ الأيّام الحاضرةِ وأحوالِها.

الفصل الأوّل: مَبادئُ عامّة لأجل إحيَاء الليترجيّا وتَطويرها

١) طبيعة الليترجيّا وأهميّتها في حياة الكنيسة

العمل الخلاصيّ الذي قام به المسيح

٤٠٠٥ – ٥ – إنّ اللهَ «الذي يُريدُ أنَّ جَميعَ الناسِ يَخلُصون ويبلغونَ إلى معرفةِ الحقّ» (١ تيم ٢: ٤) «كلّم الآباءَ قديمًا في الأنبياءِ كلامًا مُتفرّقَ الأجزاء مُختلفَ الأنواع» (عب ١: ١)، عندما بَلغَ ملءُ الزّمانِ، أرسَلَ ابنَه، الكلمةَ الصائِرَ جسدًا، ممسوحَ الروحِ القدس، ليُبشّر المَساكين، ويشفي مُنكسِري القُلوب، على أنّه «طبيبٌ جسدّي ونفسيّ»، وَسِيطُ الله والناس. إذ إنّ بَشريّتَه، في وَحدةِ شَخصِ الكلمة، كانت أَداةَ خَلاصِنا، ولِهذا فقد «ظَهرت في المسيح الفِدْيةُ الكاملةُ لِمُصالحتِنا وَجازَ إلينا مِلءُ العِبادةِ الإلهيّة».

وهذا العَملُ الذي كان بِهِ الفِداءُ للبشر والتّمجيدُ الأكمَلُ لله، والذي مَهّدت له العَظائِمُ الإلهيّةُ في شَعب العَهدِ القَديم، أَتمّه السيدُ المسيح خُصوصًا بالسرِّ الفصحيِّ لآلامه الحمِيدة، وَقيامتِه من الجحيم، وصُعوده المَجيد، بالسِرِّ الفصحيِّ الذي «قَضى فيه على موتِنا بِموتِه، وبَعثَ الحَياةَ في حياتِنا بِقيامتِه». إذ إنّه من جَنبِ المَسيح الرّاقِدِ على الصّليب تَفجّر ما للكنيسة كُلِّها من سرٍّ عجيب.

العمل الخلاصي الذي تواصله الكنيسة بتحقّق في الليترجيّا

٤٠٠٦ – ٦ – وهكذا فكمَا أنَّ المسيحَ أَرسلَه الآبُ، أَرسلَ هو تلاميذَهُ، وقد ملأهم الروحُ القُدُس، كَارِزينَ بالإنجيل للخليقةِ كُلِّها، لا لِيُبشِّروا فَقط بأَنَّ ابنَ الله حَرَّرَنا

بموتِه وبقيامته من سُلطان إبليس ومن الموت، ونقلنَا إلى مَلكوتِ أَبيهِ، بل لِيقُوموا أيضًا بهذا العَمل الخَلاصيّ الذي بَشّرُوا به وذلك بالذبيحة والأسرارِ التي تَدُور حولَها الحياةُ الليترجيّةُ بِكامِلها. فبالمعموديّة يُدْخَلُ النَاسُ في سِّر المسيح الفِصْحيّ: يَموتُونَ معه، يُدفَنون معه، يقومون معه «يأخذون روح التبنّي «الذي نَدْعُو به أَبَّا أيُّها الآب» (روم ٨: ١٥)، وهكذا يُصبِحُونَ الساجدِين الذين يَطلبُهم الآب. كذلك كُلَّما أَكلُوا فِصْحَ الربّ أَخبَروا بِموتِه إلى أن يأتي. من أَجْلِ ذلك، في ذَاتِ نَهارِ العَنصرةِ الذي ظَهرت فيه الكنيسةُ للعالم، «اعتمد» أولِئك الذين «قبلُوا كَلامَ» بُطرسَ. وكانوا «مُواظبينَ على تَعاليمِ الرُّسُل والشَّرِكة في كَسْر الخُبزِ والصَّلوات... مُسبِّحين اللهَ ونائِلين حُظوةً لدى جميع الشَّعب» (أع ٢: ٤١ - ٤٧). ومُذ ذاك لم تُغفِل الكَنيسةُ قَطُّ الاجتماعَ للاحتفالِ بالسرّ الفِصحيّ بِتَلاوة «ما يَختَصُّ بِهِ في الأَسفارِ كلِّها» (لو ٢٤: ٢٧)، والاحتفال بالإفخَارستيّا التي تُستَحْضَرُ فيها غَلبَةُ موتِه وانتصاره، «وَالشكرُ للهِ على مَوهبتِه التي لا تُوصَف» (٢ كو ٩: ١٥) في المَسيح يسوع «لِمَدح مجده» (أف ١: ١٢) بقوّة الرُوحِ القُدس.

حُضورُ المسيح في الليتُرجيّا

٤٠٠٧ - ٧ - ولِلقيام بِعملٍ عَظيم كهذا لا يَنفكُّ المسيحُ حاضرًا إلى جَانِبِ كنيستِه ولا سيّمَا في الأعمالِ الليترجيّة. إنَّه حَاضرٌ في ذَبيحةِ القُداس وفي شَخصِ خَادمِ السرّ، «فالذي يُقَدِّمُ الآنَ بِوسَاطَةِ الكهنة هو نَفْسُه الذي قَدَّم ذاته على الصَّليبِ حينَذاك»، وبأَعلى دَرجةٍ تحتَ أَشكَال الإفخارستيّا. إنّه حَاضرٌ بقوّتِه في الأسرار بحَيثُ إنّه إذا عمَّدَ أحدٌ كان المَسيحُ نَفسُه هو المعمِّد. إنّهُ حاضرٌ في كَلمتِه، فإنّهُ هو المُتكلِّم اذا قُرِئت الكُتبُ المقدّسَةُ في الكنيسة، إنّه حاضرٌ أخيرًا عندما تُصلّي الكَنيسَةُ، وتُرتّل المَزامير، هو الذي وَعَدَ وقال: «حيثُما اجتمعَ اثنان أو ثلاثةٌ باسْمي فأَنا أكونُ هناك في وسْطهم» (متّى ١٨: ٢٠).

ولِلقيام فِعْلاً بِهذا العَملِ العَظيمِ، الذي يَتمجَّدُ به الله أَكْمَلَ تمجيدٍ ويتَقدَّسُ البَشر، يَتعاونُ المَسيحُ دائمًا وكَنيستَهُ، عروسَهُ الحبيبة، التي تبتَهِلُ إليه على أَنَّه سيِّدُها، وبِه تتقدَّمُ بالعِبادة إلى الآب الأزليّ.

فالليترجيّا تُعتَبر بحقٍ مُمارسةً لِوَظيفةِ يسوعَ المسيح الكهنوتيّةِ يُعبَّر فيها، بإِشَارات حِسيّة، عن تَقديسِ الإنسان الذي يَتمُّ وفاقًا لِكُلِّ شخصٍ، ويُجري فيها جَسدُ يسوع المسيح السّرّي، رأسًا وأَعضاءً، عملَ العِبادةِ العامّةِ الكاملة.

وهكذا فَكلُّ احتفالٍ ليترجيٍّ، من حَيثُ كونُه عملَ يسوع الكاهن وجسدِهِ الذي هُوَ الكنيسة، فهو عملٌ غايةٌ في القَداسةِ لا يُوازي فاعليَّتَه قيمة ودرجةً أيُّ عَملٍ آخر من أعمال الكنيسة.

الليترجيّا الأرضيّة والليترجيّا السماويّة

٤٠٠٨ - ٨ - في الليتُرجيّا الأرضيَّةِ يكون اشتراكُنا استعجالاً لِتَذوُّقِ السماويَّة التي نَسعى إليها في ترحَالِنا، والتي يُحتَفَلُ بها في أورشليمَ المدينةِ المُقدّسة حَيثُ يَجلِس المسيح إلى يَمينِ الله خادمًا للأقداس والمَسكنِ الحقيقيّ، وحيث، معَ جميع أجنادِ الجَيش العُلويّ، نُنْشِدُ للربِّ نَشيدَ المَجدِ، وإنّنا بتكريمِنا ذِكر القِدِّيسينَ نَأملُ أن يَكونَ لنا نصيبٌ في مُجتمعِهم، كما أنّنا نَنتظِرُ سيّدَنا يسوع المسيح مُخلِّصًا لنا إلى أن يَتجلَّى هو حياةً لنا ونتجلَّى نَحنُ مَعه في المجدِ.

الليترجيّا ليست نشاط الكنيسة الوحيد

٤٠٠٩ - ٩ - لا تَشغَلُ الليترجيّا المُقدسةُ كُلَّ نَشاطِ الكنيسة، فَقبلَ أن يتمكَّنَ الناسُ من الوصولِ إلى الليترجيّا لا بُدَّ لهم من أن يُدعوا إلى الإيمانِ وإلى التَوبة: وكيف يُدعَوْن إلى مَنْ لَمْ يُؤمنوا به، وكيف يُؤمنونَ بِمَن لَم يَسمعُوا بِهِ، وكيفَ يَسمَعونَ بلا مُبشِّر، وكيف يُبشِّرون إنْ لم يرْسَلوا» (روم ١٠: ١٤ - ١٥).

لِهذا تَزفُّ الكَنيسةُ إلى غير المؤمنين بُشْرى الخلاص حتّى يَعرِفَ جميعُ الناس الالهَ الواحدَ الحقيقيّ والذي أرسلَهُ يسوعَ المسيح، ويُبدّلوا سِيرةَ حياتِهم مُلازمين التوبةَ. أمّا المؤمنون فَعليها أن تُرشِدهم أبدًا إلى الإيمان والتوبة، وعليها، فضلاً عن ذلك، أن تهيّئَهم للأسرار، وتُعلِّمَهم أن يَحفظُوا جميع ما أوصَى به المسيح، وَتَحُضّهم على كل عملٍ من أعمال المحبّة والتقوى والرسالة، لكي يَتّضِحَ بهذه الأعمال أنّ المسيحيّين، وإنْ لَم يكونوا من هذا العالم، هم مع ذلك نورُ العالمِ وهم يَعملُون على تَمجيدِ الآب أمامَ الناس.

الليترجيّا أوج حياة الكنيسة ومنبعها

٤٠١٠ – ١٠ – والليترجيّا هي القِمَّةُ التي يَرتقِي إليها عملُ الكنيسةِ وهي إلى ذلك المنبع الذي تَنبُع منه كلُّ قوّتِها، فَجميعُ الجُهود الرَسوليّةِ تَهدفُ إلى أن يَتوَحّدَ الجميع، وقد أصبحوا أبناءَ الله بالإيمان والمَعموديّة، وَيُسبّحوا اللهَ في وَسَطِ الكنيسة، وَيشتَركوا في الذبيحة، ويَأكُلوا فصحَ الربّ.

وبالمقابَلِ فالليترجيّا نفسُها تَحثُّ المؤمنين، وقد أُشبعوا من «الأسرار الفصحيّة»، على أن يَكونوا «قلبًا واحدًا في التقوى» إنّها تُصلّي لكي «يَتقيّدُوا في حياتِهم بما اقتبسُوهَ بالإيمان»، وتَجديدُ عَهد الربّ مع البشر في الإفخارِستيّا يَجتذِبُ المؤمنين وَيجعلُهم يَتحرّقون إلى محبّة المسيح المُلِحّة. فمن الليترجيّا، ولا سيَّمَا ليترجيّا الإفخارِسْتيّا، تَجري فينا النِعمةُ، كما من ينبوعٍ، ويحصُل تَقديسُ البَشرِ في المسيح حصولاً غايةً في الفاعليّة كما يَحصُل تَمجيدُ اللهِ الذي تَنتَهي إليه، كما إلى الهَدَفِ الأخير، سَائرُ أعمالِ الكنيسة.

ضرورة الاستعدادات الذاتيّة

٤٠١١ – ١١ – وللحُصول على هذه الفاعِليّة الكامِلة لا بُدّ للمؤمنين من أن يُقبلوا على الليتُرجيّا المقدَّسةِ باستِعدادات نفسٍ مُستقيمةٍ، وأن يَضمُّوا نَفسَهم إلى صوتِهم، ويؤازروا النِعمةَ العُلويّة لِئلاّ يكونَ قَبُولهم لها في البَاطل. ولهذا يَقعُ على رُعاةِ الخدمة المقدّسةِ أن يَسهرُوا على عملِ الليترجيّا لا مِن حيثُ التَقيُّدُ بقوانينِ الاحتِفال الصَحيح والجائز فحسب، بل من حيثُ أن يَشتركَ فيه أيضًا المؤمنون بطريقةٍ وَاعيةٍ وفاعلة ومُثمرة.

الليترجيّا وأعمال التقوى

٤٠١٢ – ١٢ – إلاّ أنَّ الحياةَ الروحيّةَ ليست مَقصُورةً على الاشتِراك في الليتُرجيّا المقدّسة دون سواها. فالمسيحيُّ مدعوٌّ إلى الصلاة المُشتركة، وهو إلى ذلك مُضطرٌّ إلى دخول مُخدعِه لِيُصلّي إلى الآب في الخُفية بل عليه – على حدِّ تَعليمِ الرسول – ألاّ يزال مصلّيًا. والرسول يُعلِّمُنا أيضًا أنّنا نَحمِل في جسدِنا كلَّ حينٍ إماتة

يسوع لِتَظهرَ حَياةُ يسوع أيضًا في جَسَدِنا المائِت. لِهذا نَطلُب إلى الربِّ في ذَبيحةِ القُداس، وقد «تَقَبَّلَ تَقدمةَ الذَبيحة الرُوحيّة» أن يَصْطنعنا «تَقدمةً أبديّةً».

٤٠١٣ – ١٣ – إنَّ «أعمالَ التقوى» التي يَقومُ بها الشعب المَسيحيّ هي جَديرةٌ بكلّ تشجيعٍ ما دامت مُتمشّيةً وقوانينَ الكنيسةِ وأنظمتها، ولا سيَّما إذَا جَرت بأَمرٍ من الكرسيِّ الرسوليّ.

«والأعمالُ المقدّسةُ» التي تَقومُ بها الكنَائسُ الخَاصّة تَحظَى أيضًا بكرامةٍ استثنائيةٍ عندما يحتَفَلُ بها بأمرٍ من الأَساقفَة وفاقًا للتَقاليدِ أو الكتب المُقرّرة شرعًا.

ولا بُدَّ لهذه الأعمالِ نفسِها من تَنظيمٍ يُماشي الزَمَن الطقسيَّ حتّى لا تكون مخالفةً لليترجيّا المُقدّسة بل تكون صَادرةً عنها بوجهٍ من الوُجوه، وقائدة الشَعب إليها، لأن الليتُرجيّا بطبيعتِها أسمى وأرفع منها.

٢) السّعي إلى التنشئة الليترجيّة والاشتراك الفعليّ

٤٠١٤ – ١٤ – إنَّ الكنيسةَ الأم تَرغبُ أشدّ الرَغبة في أن يُحملَ المؤمنون جميعُهم على المُشاركةِ الكاملةِ والوَاعيةِ والفَاعلةِ في احتِفالات الليترجيّا هذه التي تَقتَضِيها طبيعةُ الليتُرجيّا نفسها، والتي أصبحت من حقِّ الشعبِ المسيحيِّ وواجبِه، بِفعلِ المَعموديّة، ولأنّه «جِيلٌ مُخْتارٌ وكهنوتٌ ملوكيّ وأُمّةٌ مُقدَّسةٌ وشَعبٌ مُقتنًى (١ بط ٢: ٩، و٢: ٤ – ٥).

وهذا الاشتراكُ الكَاملُ والفَاعلُ من جَميعِ الشعبِ هو ما يَجبُ السّعيُ إليه بكُلِّ شِدّةٍ لإحياءِ الليترجيّا المُقدّسةِ وتَعزيزِ شأنها: إنّها والحقُّ يُقال اليَنبوعُ الأوّلُ والضّروريُّ الذي يَستقي منه المُؤمنونَ الروحَ المسيحيَّ الحقيقيَّ، ولِهذا يَلزمُ رُعاةَ النفوس أن يَسعوا إليها بقوّةٍ في عَملِهم الراعويّ كُلِّه مع مُراعاةِ ما تَقتضِيه تنشئةُ المؤمنين.

ولا أملَ في تَحقيقِ ذلك إذا لم يَسبِقْهُ عند رُعاة النّفوس تَشبّعٌ كاملٌ من رُوح الليترجيّا وقوّتِها، وتَملّكٌ لمَقدرة تَعليمها، وهذا يَقتضي السّعيَ أوّلاً إلى تَنشئة الإكليروس تنشئةً ليتُرجيّةً. ولهذا عَمَدَ المَجمعُ المُقدَّسُ إلى إقرارِ ما يلي:

إعداد أساتذة لليترجيّا

٤٠١٥ – ١٥ – الأساتِذةُ المُعَدّون لتعلِيم مَادّةِ الليترجيّا المُقدّسة في الإكليريكيات، ودُورِ التعليم الرُهبانيّة، والمَعاهِدِ اللاهوتيّة، يَنبغِي لهم أوّلاً أن يَتهيّأوا لِعملِهم هذا في المؤسّسات المُخصّصةِ بذلك.

تنشئة الإكليريكيين الليترجيّة

٤٠١٦ – ١٦ – يُطلب من الإكليريكيات ودُورِ التعليم الرُهبانيّة أن تُجعل مادّةُ الليترجيّا المقدّسةِ بين المَوادِّ الضَروريّةِ والمُقدَّسة، ويُطلبُ من مَعاهِدِ اللاهوت أن تُجعلَ بين المَوادّ الرئيسيّة، ويجب أن يَشْمَلَ تدريسُها ناحيتَي اللاهوتِ والتَاريخ كما يَشمَلُ النّواحي الرُوحيّة والرَعوايّة والقانونيّة. ولْيُعْنَ مُدرِّسُو الموادِّ الأخرى، ولا سيَّما اللاهوت العقائديّ، والكتاب المقدّس، واللاهوت الرُوحيّ والرَاعويّ، وَفاقًا للمُقتَضياتِ الذَاتيّةِ لكلِّ مَوضُوعٍ، وليُعْنوا بإبرازِ سِرِّ المسيح وتَاريخِ الخَلاص بِحيثُ تَتَّضِحُ العِلاقَةُ بين هذه المَوادِّ والليترجيّا ووحدةِ التنشِئة الكَهنوتيّة.

٤٠١٧ – ١٧ – الإكلِيريكيّون، في الإكلِيريكيّات والدُّورِ الرُهبانية، يُحصِّلُون التنشئةَ اللِيتُرجيّة لِحياتِهم الرُوحيّة باستطلاعٍ كافٍ يُخوّلُهم فَهمَ الطُقوس المُقدّسة والاشتِراكَ فيها بِكُلِّ قُلوبِهم، ثُمَّ بإقامةِ الأسرارِ المُقدّسة، وبسائِرِ أعمالِ التَقوى الحَافِلةِ بروحِ الليتُرجيّا المُقدّسة، ويَتلقَّنون كَذلِك تَطبيق القوانين الليتُرجيّة، وهكذا تُبنَى حَياةُ الإكليريكيّات والدُورِ الرُهبانيّةِ على رُوح الليترجيّا بناءً عميقَ الأَثَر.

٤٠١٨ – ١٨ – الكهنةُ العَامِلُونَ في كَرمِ الربّ، سواء كانوا علمانيّين أو رهبانًا، يَجِدُون في شتّى الوَسائلِ المُؤاتيةِ ما يُساعدهم دومًا على فَهم أعمقَ لَما يَقومُونَ به في الوَظائِف المُقدّسة، وعلى أن يَعيشُوا حياةً لِيتُرجيّةً، ويُشركُوا فيها المؤمنين الذين وُكِلَ إليهم أَمرُهُم.

تنشئة المؤمنين الليترجيّة

٤٠١٩ – ١٩ – يُواصِلُ رُعاةُ النُّفوس بِغَيرةٍ وصبر تنشِئَةَ المُؤمنين الليترجيّةَ وإشراكَهم فيها إشراكًا فعليًّا، دَاخليًّا وخارجيًّا، بِحَسَبِ مُستوى أعمارِهم، وحَسبِ وضعهم، ونَوعِ حياتِهم، ودَرجةِ ثَقافَتِهم الدِينيّةِ، وهكذا يَضطَلِعُونَ بإحدى أهمِّ الوَظائِفِ الواقعةِ على المُوزِّعِ الأمين لأسرَارِ اللهِ، وَيقودُون رعيّتَهم في هذا الأمر لا بالقولِ فقط بل بالمَثَلِ أيَضًا.

الوسائل السمع بصريّة والاحتفال بالليترجيّا

٤٠٢٠ – ٢٠ – نَقلُ الأعمالِ المُقدّسةِ بِواسطة الاذَاعةِ والتَلفَزةِ، وخصوصًا الذبيحة المُقدّسةِ، يَجب أن يَجري في تحفُّظٍ ووقارٍ وأن يُديرَ ذلك ويَرعاهُ شخصٌ قَديرٌ يعيّنُه الأساقفةُ لِهذه المُهمّة.

٣) إحياء الليترجيّا

٤٠٢١ – ٢١ – إنّ الأمَّ القدّيسة الكنيسةَ، في حِرصِها الشَديدِ على أن يَنالَ الشعبُ المَسيحيّ في اللِيتُرجيّا المُقدّسة وَفرةً من النِعم، تُريدُ أن تَعملَ بجدٍّ على إحيائها إحياءً عامًّا. ففي اللِيتُرجيّا قِسمٌ لا يَقبلُ التَغيير، أيّ قِسمٌ مِن وضعٍ إلهيٍّ، وأقسامٌ تَقبلُ التَغييرَ وَيُمكنُ بل يَجِبُ إجراءُ التَغيير فيها مع تَقلُّب الزمان، وذلك إذا دَاخَلها ما لا يَتّفِقُ إتفاقًا كاملاً والطبيعةَ الخَاصّةَ لِليتُرجيّا نَفْسِها، أو إذا أصبحت تلك الأقسامُ غيرَ مُلائمة.

هذا الإحياءُ يَجبُ أن يُنظِّم النُّصوصَ والطُّقوسَ بِحيثُ تعبِّر أكثرَ عن الحَقائقِ المُقدّسة ويتمكَّنُ الشعبُ المسيحيُّ، ضِمَنَ حدودِ ما هو مُمْكِن، أن يُدركَها بِسهولَةٍ، وأن يَشْتَرِكَ فيها اشتراكًا كاملاً وفعّالاً وجماعيًّا.

لهذا أقرّ المجمعُ المُقدّسُ النُّظُمَ العامّةَ التالية:

أ – نُظمٌ عامّة

٤٠٢٢ – ٢٢

١ – تَتعلّقُ إدارةُ الليتُرجيّا المُقدّسةِ بِسُلطة الكنيسةِ وَحْدَها: أيّ إنَّها مَنُوطةٌ بالكُرسيّ الرَسوليّ وبالأُسقف ضِمنَ نِطاقِ الأصولِ القَانونيّة.

٢ – بالسُلطان الذي يُخوِّلُه القَانونُ، وضِمن حُدودٍ مَرسُومةٍ، تَعودُ أيضًا الإدارةُ في أَمرِ الليترجيّا إلى المُؤتَمراتِ الأُسقفيّةِ المُختَلِفةِ، القَائمةِ بطريقةٍ شرعيّةٍ، وذات الصَلاحيّة المَحليّة.

٣ – لأجل ذلكَ يَمتَنِعُ على أيّ شَخصٍ آخر، ولو كاهنًا، أن يُضيفَ، بِسُلطانِه الخاصّ، أو يَحذُفَ أو يُغيّرَ أيَّ شيءٍ في الليترجيّا.

التقليد والتطوّر

٤٠٢٣ – ٢٣ – لأجلِ الحِفاظِ على التَقليدِ الصَالح، وأن يُفتَحَ مع ذلك البَابُ لِتَطوّرٍ شَرعيٍّ، في كُلّ قسمٍ من أقسامِ الليتُرجيّا التي تَحتاجُ إلى إعادة نَظرٍ، يَجبُ افتتاحُ العَمل دائمًا بِتحرِّياتٍ لاهوتيّةٍ وتَاريخيّة، وراعويّةٍ دقيقةٍ. وَفوق ذلك لا بُدّ من مُراعاةِ القَوانين العَامّة لِمُقوِّمَات اللِيتُرجيًّا وَرُوحِها، كما يَجبُ إعتِبارُ الخبرةِ المُستَفَادةِ من أقربِ تجديدٍ لليتُرجيّا، والإنعاماتِ المَمنُوحةِ في أماكن مُختلفةٍ. أخيرًا لا يُستَحدَثُ شيءٌ إلاّ إذا اقتَضَتهُ فَائدةُ الكَنيسةِ الحَقيقيّةُ والثّابتَة، وبعد التّوثُّقِ من أنّ الصّيَغَ الجديدةَ تُستَخرَجُ من الصِّيغِ القائِمَةِ وكأنّها نموٌّ لها عُضويٌّ. ويُحْرَصُ أيضًا، قَدْرَ المُستطاع، على ألاّ يَكونَ في المَناطقِ المُتَتاخِمة فُروقٌ طَقسيّةٌ كَبيرةٌ.

الكتاب المقدّس والليترجيّا

٤٠٢٤ – ٢٤ – لِلكتَابِ المُقدّس في احتِفالات الليتُرجيّا أَهميّةٌ كبيرةٌ جدًّا. فَمِنه النصوص التي تُقرأُ وتُفسّرُ في المَوعِظة، ومنه المَزامِير التي تُرتّلُ، ومن وَحيِه ودَفْقِه تَنْهَلُ الصَلواتُ والأدعيةُ والأناشِيدُ الطَقسيّةُ، ومنه تَستقي الأعمالُ والرّموزُ

مَعانيها. ولِهذا يجبُ، في العَملِ على إحياءِ اللِيتُرجيّا المُقدّسةِ وَتطويرِها وَجعلِها مُلائِمةً، أن يُسْتَحثَّ الوَلعُ العَذبُ والحيُّ بالكِتاب المُقدّس كما تَشهَدُ بذلك التَقالِيدُ الجليلَةُ في الطُقُوسِ الشَرقيّة والغَربيّة.

إعادة النظرِ في الكتب الطقسيّة

٤٠٢٥ - ٢٥ - يُعادُ النظرُ في الكُتبِ الطَقسيّةِ في أقربِ وقتٍ، ويُستعانُ على ذلك بخبراءَ ذوي اختِصاصٍ كما يُرجَعُ إلى مَشُورةِ أساقِفةٍ من شتّى أقطار الأرض.

ب - نُظم مُستخرجة من طبيعة الليترجيّا على أنّها عمل رئاسيّ وجماعيّ

٤٠٢٦ - ٢٦ - أعمالُ الليتُرجيّا ليست أعمالاً فرديّةً، ولكنّها احتفالات الكنيسة، وهي «سرّ الوَحدة» أيّ الشعب المقدّس مجتمِعًا ومنتظِمًا تحت سُلطة الأساقفة.

فهي من ثَمَّ أعمالُ جسدِ الكنيسة كلّه تُظهره وَتُؤثّرُ فيه، إلاّ أنّها تُصيبُ كلَّ واحدٍ من أعضائه بِطريقةٍ تَختلِفُ باختِلاف الدَّرجات والوظائف والاشتراك الفعليّ.

الاحتفال المشترك

٤٠٢٧ - ٢٧ - في كُلِّ مرّة تَحتملُ الطقوسُ، كلُّ طَقسٍ وفاقًا لطبيعتِه الخاصّة، احتفالاً مُشتركًا، مع إقبالٍ للمؤمنين واشتراكٍ فعليٍّ منهم، يُخْلَصُ إلى أنّ هذا الاحتفال هو، على قَدْرِ المُستطاع، مُفضَّلٌ على احتفالِهم الفرديّ وشبهِ الخاصّ.

يَجري هذا الأمرُ بنوعٍ خاصّ على الاحتِفال بالقُدّاس، مع الحفاظِ في كلِّ قُدّاس على طبيعتِه الجمهوريّة والاجتماعيّة، كَما يَجري على احتفالاتِ مَنْحِ الأسرار.

شرف الاحتفال

٤٠٢٨ - ٢٨ - في الاحتفالات الليترجيّة يُطلبُ من كُلِّ شخص، سواءٌ كان خادمًا للسرّ أو مؤمنًا، أن يَعمل لدى قِيامِه بوظيفتِه، العملَ كلّه الذي يَقعُ عليه من جَرَّاءِ طبيعة الأمور ومن جَرَّاءِ الأنظمة الليترجيّة وأن لا يتعدّاه إلى سواه من الأعمال.

٤٠٢٩ – ٢٩ – حتّى الخُدّام، والقُرّاء، والشُّرّاح، والمُنْضَوونَ إلى جَماعةِ المُرتّلين جميعهم يقومون بخدمة ليتُرجيّة حقيقيّة. وعليهم من ثَمَّ أن يقوموا بو ظِيفتِهم بِكثيرٍ من التقوى والنظام اللّذَين يليقان بمثل هذه الخدمة، واللّذَيْن يتطلّبُها شَعبُ الله بحقٍّ.

وهذا يقتضي أن تُرسّخ فيهم روحُ الليتُرجيّا بعنايةٍ، على حسب طاقة كلٍّ واحدٍ منهم، وأن يُنشَأوا على تأديةِ أدوارهم في صحّةٍ ونظام.

اشتراك المؤمنين الفعليّ

٤٠٣٠ – ٣٠ – ولاستِحْثَاثِ الاشتراكِ الفعّالِ تُشجّعُ هُتافات الشعب، والأجوبةُ، والتَرتِيل، والأنتيفونات، والأناشيدُ، فضلاً عن الأعمالِ أو الحركاتِ وأوضاعِ الجسد. ويُلْزَم الصمتُ المقدّسُ في وقتِه.

٤٠٣١ – ٣١ – عند إعادةِ النَظر في الكُتب الطَّقسيّةِ يُعنى عنايةً شديدةً بأن تُشير الأعلامُ (الإرشاداتُ التنظيميّة الروبركات) إلى دَورِ المُؤمنين أَيضًا.

الليترجيّا والطبقات الاجتماعيّة

٤٠٣٢ – ٣٢ – ليس في الليتُرجيّا أيّةُ مراعاةٍ للأَشخَاصِ الأفراد أو للمراكز سواء كان ذلك في الاحتفالات أو في المواكب الخارجيّة، ما عَدا التمييزَ الذي تقتضيه الوظيفةُ الليتُرجيّةُ والدّرجاتُ الكهنوتيّة، وما عدا التكرِيمَ الواجب للسُلطاتِ المدنيّةِ وفاقًا للقوانين الليتُرجيّة.

جـ – أنظمة مستخرجة من طبيعة الليترجيّا التعليميّة والراعويّة

٤٠٣٣ – ٣٣ – وإن كانت الليتُرجيّا المقدّسةُ بنوعٍ خاصٍّ عبادةَ العِزّةِ الإلهيّةِ فإنها تَنطوي أيضًا للشَعبِ المؤمنِ على طَاقةٍ تَعليميّةٍ كبيرة. ففي الليتُرجيّا يُخاطِبُ اللهُ شَعبَه، ويُعيدُ المسيحُ التبشيرَ بالإنجيل. والشعب يُجيب اللهَ بالأَناشيدِ والصّلاة. أَضِفْ إلى ذلك أَنَّ الصلواتِ التي يُوجِّهها الكَاهنُ إلى الله، وهو يَرئِس

الاجتماعاتِ بِشَخصِ المسيح، هي مُوجَّهة باسمِ الشعبِ المقدّسِ كُلِّه وباسمِ جَميعِ الحَاضرين. أخيرًا الاشاراتُ المرئيّةُ التي تَلجأُ إليها الليتُرجيّا المقدّسةُ للتَعبيرِ عن الأمورِ الإلهيّةِ غيرِ المَرئيّةِ هي من اختيارِ المَسيح أو الكنيسة. وهكذا فَليسَ فقط عندما يُقرأ «ما كُتب لتعليمِنا» (روم ١٥ : ٤)، ولكن، بالإضافة إلى ذلك، عندما تُصلّي الكنيسةُ أو تُرتّل أو تعملُ يَتغذّى إيمَانُ المُشترِكين، وتَندفِعُ النفوسُ إلى الله لكي تُؤدّي له تكريمًا عقليًّا، وتتقبَّل نِعمتَه بغزارةٍ أوفر.

وبِناءً على ذلك لا بُدَّ في مُعالجةِ الإحياء من التَقيّد بالنُظم العامّةِ التَالية.

تناسق الطّقوس

٤٠٣٤ – ٣٤ – لِتَزدَنِ الطُقوسُ بِبساطةٍ نَبيلةٍ، وَلْتَكُنْ شَفّافةً بإيجازِها، وَلْتتجنَّب التَكرارات غير المُفيدة، وَلتكُنْ بمُستوى طَاقةِ المؤمنين الفكريّةِ، وغير محتاجة عمومًا إلى كثيرٍ من التفسير.

الكتاب المقدّس والوعظ والتعليم الديني الليترجيّ

٤٠٣٥ – ٣٥ – لكي يَظهَر بِوُضُوح أنّ الطَّقسَ والكلمةَ في الليتُرجيّا مُتّحِدَانِ اتّحادًا حميمًا:

١ – يتعيَّنُ أن يكون الإحياءُ في الاحتفالاتِ المُقدّسةِ بأن تُجعلَ قراءةُ الكتابِ المُقدّسِ أوسعَ انتشارًا، وأشدّ تنوّعًا، وأكثر مُلاءمةً.

٢ – تُعيّنُ الأعلامُ والإرشادات التّنظيميّة (الروبريكات) أيضًا المكان الأصلح للعِظةِ على أنّها جُزءٌ من العملِ الليترجيّ، وذلك بِقَدرِ ما يَسمحُ به الطّقسُ، وتؤدَّى خِدمةُ الوَعظِ بدقّةٍ وبأشدِّ ما يَكونُ من الأَمانة. وَليكُن الكِتابُ المُقدّسُ والليتُرجيّا ينبوعَها الأوّل، لأنّها شِبهُ تبشيرٍ بعجائِبِ الله في تاريخ الخَلاصِ أيّ في سرّ المَسيح المَوجود أبدًا فِيمَا بيننا حضورًا وعملاً ولا سيَّما في الاحتِفالاتِ الليترجيّة.

٣ – ويُعْمَدُ إلى شتّى الأساليبِ لِترسيخِ التَعليم الدينيّ ذِيّ الاتّصالِ المُباشِر بالليتُرجيّا، وفي الطُقوسِ نَفسِها يُستَعانُ، إذا دَعتِ الحاجةُ، بتنبيهاتٍ وإرشاداتٍ

مُوجزةٍ يَقومُ بها الكَاهنُ أو الخَادمُ ذو الصلاحيّةِ، وذلك في الأوقاتِ الأكثرِ مُناسَبةً وبالألفَاظِ المُقرّرة أو المرادفة لها.

٤ - يُشَجَّعُ الاحتفال المقدَّس بكلمةِ اللهِ في عَشايَا الأعيادِ العُظمَى وفي بَعضِ الأوقات البارزة من الزمن الذي يسبقُ الميلادَ ومن الصَّوم الأربعيني، ثُمَّ في الآحادِ وأيّام الأعياد، ولا سيَّمَا في الأماكن التي تَفتقِرُ إلى كاهنٍ. وفي هذه الحال يُديرُ الاحتفالَ شمّاسٌ انجيليّ أو شَخصٌ آخَرُ يَنتدبُه الأُسقفُ لذلك.

اللغة الليترجيّة

٤٠٣٦ - ٣٦ -

١ - يُحتَفَظُ باستعمالِ اللّغةِ اللاتينيّةِ في الطُقوسِ اللاتينيّةِ من غَيرِ ما تعرُّضٍ للحقّ الخاصّ.

٢ - ومَع ذلكَ فكثيرًا ما يَكونُ استعمالُ لُغةِ البلدِ شديدَ الفائدةِ للشعب سواء كان في القُدّاس أو في خِدمةِ الأسرار، أو في أقسامِ الليتُرجيّا الأُخرى، فيجبُ أن يُفسحَ لها مَجال أوسع خصوصًا في القِراءات والإرشادات، وفي بعض الصَلَوات والأناشِيد، وذلك وفاقًا للأنظِمةِ المُقرّرة في الموضوعِ والمبثُوثةِ في الفُصول التالية لكلِّ حالٍ من الأحوال.

٣ - وإذا ما رُوعيت هذه الأنظِمةُ يَرجع إلى السُلطةِ الكنسيّةِ ذاتِ الصلاحيّة المَحلّيّة، المُشارِ إليها في المادّة ٢٢ (٢)، وإذا اقتضتِ الحال، بعدَ مُشاورةِ الأساقفة في المناطقِ المُجاورة ذات اللُّغةِ الواحدة، أن تُقرِّر استعمالَ اللُّغة المَحليّةِ وطريقَةَ ذلك الاستعمالِ، بعد مُوافقةِ الكرسيّ الرسُوليّ على عملِها وتَثبيته له.

٤ - إنَّ نقلَ النُصوصِ من اللُّغةِ اللاتينيّةِ إلى اللُّغةِ المَحليّةِ في سِياق الاستعمالِ الليترجي يجب أن تُوافقَ عليه السُلطةُ الكَنسيّةُ المَحليَّةُ ذاتُ الصلاحيّةِ والمَذكورةُ آنفًا.

د – أنظمة في شأن مطابقة الليترجيّا لمزاج الشعوب وأوضاعها

٤٠٣٧ – ٣٧ – الكنيسةُ لا تَرغبُ في أن تَفرض صِيغةً تعبيريّةً جَامِدةً مُوحّدةً في ما سوى الأمور التي تمسُّ الإيمانَ أو خَيرَ الجماعةِ كلِّها، إنّها بخلافِ ذلك تَتعهّدُ وتُنمّي المَزايا النَفسيّةَ والمَواهبَ عند شَتّى الأممِ والشُعوبِ، وهي تُقيمُ وزنًا رضيًّا لكلِّ ما في أخلاقِ الشُعوبِ لا يَرتبطُ ارتباطًا وثيقًا بالخُرافَاتِ والأضاليل، وتَعملُ على الحفاظِ عليه حفاظًا كاملاً ما أمكنها ذلك، بل على إدخالِه في الليتُرجيّا نَفسِها أحيانًا، على أن يَتمشّى ذلك وَمبادِئ الروح الليتُرجيّةِ الحقيقيّة والصّحيحة.

٤٠٣٨ – ٣٨ – يُفسحُ المَجالُ لتبديلاتٍ شرعيّةٍ وتَغييراتٍ مُلائِمةٍ لشتّى المُجتمعات، والمَناطق، والشُعوب، ولا سيَّمَا في الإرسالِيّاتِ، حتّى عِندَ مُعالجةِ الكُتبِ الليترجيّة، على أن لا تُمسَّ الوَحدة الجوهريّة للطَقسِ الرُومانيّ. ويُستَحسَنُ أن يكونَ هذا المبدأُ أمام العَينين عندَ مُعالجةِ هيكليّةِ الطّقوس وإثبات الأعلام أو الإرشادات التّنظيميّة.

٤٠٣٩ – ٣٩ – في نِطاقِ الحُدودِ المَرسُومةِ في الطَبَعات الأصليّةِ للكتب الليتُرجيّة يَرجعُ إلى السُلطَةِ الكنسيّةِ ذات الصَلاحيّةِ المَحليّة، والمُشارِ إليها في البند ٢٢ (٢)، أن تُحدِّدَ التَبديلاتِ المُلائمة، ولا سيَّمَا في ما يَتعلّقُ بخِدمَةِ الأسرار، وبأَشبَاه الأسرار، والطُوافات، واللُغةِ الليترجيّة، والمُوسيقى الكنسيّة والفُنون، ولكن وفاقًا للأنظمةِ الأساسيّةِ التي يَنطوي عليها الدُستورُ القائمُ.

٤٠٤٠ – ٤٠ – وإذ كانت الضَرورةُ تَقضي، في أمكنةٍ وأحوالٍ شتّى، أن يُجرى في الليتُرجيّا تغييرٌ أعمقُ، وكانت الصُعوبةُ أشدَّ وأظهر:

١ – فالسُلطةُ الكَنسيّةُ المَحليَّةُ ذاتُ الصَلاحيّة المُشارُ إليها في البند ٢٢ (٢)، تَرى في اهتمام وفِطنةِ ما يُمكنُ، في هذا المَجال قَبولُهُ في العِبادةِ الإلهيّةِ، بناءً على تَقاليدِ كلِّ شَعبٍ وذِهنيّتِه. والتَغييراتُ المُعتَبرة مفيدةً أو ضروريّةً تُعرَض على الكرسيّ الرسوليّ وتُدْخَل بِرضاه.

٢ – لِكي تُجْرَى هذه التَغييراتُ مع التحفُّظِ الضَروريّ يَمنحُ الكرسيُّ

الرسوليُّ السُلطةَ الكَنسيّةَ المَحليّةَ ما يُخوّلُها، عند اقتضاءِ الأمر، المَقدرَة على السَماح بِتجاربَ أوّليّةٍ ضروريّةٍ، وإدارتها في بعضِ المُجتمعاتِ المُؤهّلةِ لهذه التَجاربِ ولوقتٍ محدودٍ.

٣ - بمَا أنّ القوانين الليتُرجيّة تَتضمَّنُ عادةً صُعوباتٍ خاصّةً في وجهِ التَغييرِ، ولا سيَّمَا في الإرساليّاتِ كان من الضَروري والحالةُ هذه الاستِعانةُ بخُبراءَ في المَوضوع.

٤) تعزيز الحياة الليترجيّة في الأبرشيّة والرعيّة

٤٠٤١ - ٤١ - يَجبُ اعتبَارُ الأسقُفِ كاهنَ رعيّتِهِ الأكبر الذي تَصدُر عنه وتَتعلّقُ به نوعًا ما حياةُ مُؤمنِيه في المسيح. لهذا يَجب على الجميع أن يُقدّروا كلَّ التَقديرِ الحياة الليترجيّة في الأبرشيّة حَولَ الأسقُفِ، ولا سيَّمَا في الكنيسةِ الكاتدرائيّة: لِيقتنعُوا أنَّ أهمَّ مَظهرٍ للكنيسةِ هو في الاشتِراكِ الكامل والفعّال لِشعبِ الله المُقدّس كُلّه في هذه الاحتِفالات الليتُرجيّة، نفسِها، ولا سيَّمَا في الإفخارستيّا الوَاحِدة، والصَلاةِ الواحدةَ، حَولَ المَذبح الواحد حيثُ يترأس الأسقف وحَولَهُ كَهنتُه ومعاونوه.

حياة الرعيّة الليترجيّة

٤٠٤٢ - ٤٢ - بمَا أنّ الأسقُفَ لا يَستطِيعُ في كنيستِه أن يترأسَ بنفسه قطيعَهُ، لا دائمًا ولا في كلِّ مكانٍ، كان لا بُدَّ له من إنشاءِ جماعاتٍ من المؤمنين تبرزُ بينها الرّعايا المُنتظمةُ مَحليًّا برعاية راعٍ يَحلُّ محلَّ الأسقُف: إنّها تمثّلُ نوعًا ما الكنيسةَ المَنظورةَ القائمةَ على الكُرةِ الأرضيّةِ.

لهذا يجبُ تَشجيعُ حَياة الرعيّة الليتُرجيّةِ وارتباطها بالأسقُفِ، وذلك في نَفسِ المُؤمنين ورجالِ الإكليروس وفي سِيرةِ حَياتِهم العَمليّة، ويجب العَملُ على أن يَزدهر رُوحُ الجماعة الراعويّة، ولا سيَّمَا في الاحتفالِ الجماعي بقُدّاس الأحد.

٥) تنشيط العمل الراعويّ الليترجيّ

التجدّد الراعويّ نعمة من الروح القدس

٤٠٤٣ – ٤٣ – إنَّ الغَيرةَ على تَشجيعِ الليتُرجيّا المُقدّسةِ وإحيائِها هي والحقُّ يُقالُ علامةُ التِفاتٍ من عِنايةِ اللهِ إلى عَصرِنا الحاضر، وكأنّها مرورٌ للروحِ القُدسِ بكنيستِه، وهو يَطبعُ حياتَها بطابَعٍ خاصٍّ، بل يَطبعُ به في زَمنِنا كُلَّ مَوقفٍ دينيٍّ سواء كان في نطاق الشعور أو في نِطاقِ العمل.

لأَجلِ ذلك ولأَجلِ الزِيادة في تَنشيطِ العمل الراعويّ الليتُرجيّ في الكنيسة أَقرَّ المجمع المقدّس:

لجنة ليترجيّة وطنيّة

٤٠٤٤ – ٤٤ – يَحْسُنُ بالسُلطةِ الكنسيّة المَحليّةِ ذَات الصلاحيّة، المَشار إليها في البند ٢٢ (٢)، أن تُنشِئَ لَجنةً لِيتُرجيّةً يُساعدُها رجالٌ ذوو خبرةٍ في العِلم الليتُرجيّ، والمُوسيقَى، والفَنّ الكَنسيّ، والشأنِ الراعويّ. يُسانِدُ هذه اللجنةَ، بِقَدرِ الإمكان، مَعْهدٌ للراعويّاتِ الليتُرجيّةِ مُؤلّفٌ من أعضاء يُقْبَلُ فيما بينَهم علمانيُّونَ ضَليعُون في المَادة، إذا كانَ ذلكَ مُفيدًا. يَرجعُ إلى هذه اللَجنة، بإدارةِ السُلطةِ الكَنسيّةِ المَحليّةِ التي ذُكِرَت آنفًا، أن تُوجِّه العملَ الراعويّ الليترجيّ ضِمنَ حُدود صَلاحيّاتِها، وأن تُشجّع البُحوثَ والتَجارِبَ الضروريّة كُلّما كان هنالك ما يَدعُو إلى عَرض تجديداتٍ على الكُرسيّ الرسوليّ.

لَجنة ليتُرجيّة للأبرشية

٤٠٤٥ – ٤٥ – للسببِ عَينِه تُنشأُ في كُلِّ أبرشيّةٍ لَجنةٌ لليتُرجيّا المُقدّسة لكي تُنشِّطَ العمل الليتُرجيَّ بإدارةِ الأسقُف.

وقد يَكونُ من المُناسبِ أحيانًا أن تجتمِعَ عدّةُ أبرشيّاتٍ على لَجنةٍ واحدةٍ تَعملُ عملاً مُشترَكًا على تَقدُّمِ أُمورِ الليتُرجيّا.

لِجانٌ أُخرى

٤٠٤٦ – ٤٦ – يُضافُ إلى لَجنةِ الليتُرجيّا في كُلِّ أبرشيّةٍ، حيثُ يُمكنُ ذلك، لَجنةٌ للمُوسَيقى الكَنسِيّة، ولَجنةٌ للفنِّ الكنسيِّ.
ولا بُدَّ لهذهِ اللِجان الثَلاث من أن تَتضافَرَ قُواهَا على العَملِ، وكثيرًا ما يَحسُ جمعُها في واحدةٍ.

الفصل الثاني: سِرُّ الإفخارستيَّا

القُدّاسُ والسِرّ الفصحيّ

٤٠٤٧ – ٤٧ – إنَّ مُخلّصَنا وَضعَ، في العَشاءِ الأخيرِ، ليلة أُسْلِمَ ذَبيحةَ جسدِه ودمِه الإفخارستيّة لكي تَستمّر بها ذَبيحةُ الصليب على مرِّ الأجيال، إلى أَنْ يَجيءَ، ولكي يُودِعَ الكنيسةَ، عروسَه الحبيبةَ، ذِكرى مَوتِه وقيامِته: سرَّ تَقوى، وعلامةَ وَحدةٍ، ورباطَ مَحبّةٍ، وَولِيمةً فَصحيّةً يؤكلُ فيها المَسيحُ، وتَمتلِئُ فيها النَفسُ بالنِعمة، ونُعطى عربونَ المجدِ الآتي.

اشتراك المؤمنين الفاعل

٤٠٤٨ – ٤٨ – والكَنيسةُ تَحرص على أن لا يَحضرَ المؤْمنون سِرَّ الإيمَان هذا حُضورًا خارجيًّا أو حُضورَ مُشاهِدِين بُكْمٍ، بل يَحضرُونه وقد أَجادوا فَهمَه من خلالِ الطُقوس والصَلوات، ويَشترِكُونَ في العَملِ المُقدّسِ بوعيٍ وتَقْوى وفاعليّةٍ، وَيتفَقّهون بِكلام اللهِ، ويَتقوّوْنَ بالغِذاءِ إلى مَائِدَةِ جَسدِ الربِّ، ويُؤدّونَ الشُكرَ للهِ، ويتَعلّمون أن يُقدّمُوا ذواتِهم، وَهم يُقدِّمُونَ الذَبيحةَ الطاهرةَ التي لا تُقدَّمُ بيدِ الكاهن منفردًا بل باشتِراكِهم فيها مَعه، فيذُوبوا يومًا فيومًا بالمَسيحِ الوَسيط، في الوَحدةِ مع اللهِ وفيمَا بينَهم، إلى أن يَصيرَ اللهُ أخيرًا كُلاًّ في الكُلِّ.

٤١٠١ – ٤١٧٩ – الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤: دستور عقائدي في الكنيسة "Lumen gentium"

الفصل الأوّل: سِرُّ الكنيسةِ

توطئة

٤١٠١ – ١ – المسيحُ هو نورُ الشُّعوب؛ لذلك يرغبُ المجمعُ المقدَّس الملتئِم في الرّوح القدس، رغبةً حارّة في أن يستنيرَ جميعُ الناس بنور المسيح المُتأَلّق على وجهِ الكنيسة، باعتلانِ الإنجيل للخليقةِ كُلِّها (مر ١٦: ١٥).

ولمّا كانت الكنيسةُ هي في المسيح بمثَابةِ السرِّ، أيّ العلامةِ والأَداةِ في الاتِّحاد الصَّميم بالله ووَحدةِ الجنس البشَريِّ برُمَّته، فإنها بالاستِناد إلى تعليم المجامع السَّالفة، ترومُ أن تُوضحَ بوجهٍ أدقّ، لمؤمِنيها وللعالم كُلِّه أجمع، طبيعتَها الذاتيَّة ورِسَالتَها الجامِعة، ولا سيَّمَا وإنّ الأحوالَ الراهنة تُلحّ عليها بقضاءِ هذا الواجب لكي يتمكَّنَ الناسُ من أن يُحقّقوا، هم أيضًا، وَحدتهم التامَّة في المسيح، بعدَ إذ باتوا اليومَ على اتّصالٍ أوثقَ في ما بينهم بروابطِ الاجتماعِ والتِّقنيّة والثقافة.

قصدُ الله الآب خلاصُ جميع الناس

٤١٠٢ – ٢ – إنَّ الآبَ الأزليَّ، بتدبيرِ حِكمتِه وجُودتِه الحُرِّ الخفي، قد أبدعَ الكون بأسره، وقضى بأن يرفَع الناسَ إلى مستوى الشّرِكَة في حياته الإلهيَّة؛ ولمَّا زَلُّوا في آدم لم يُهملْهم، بل ظَلَّ على الدّوام حادبًا عليهم بأَيدِه الخَلاصيِّ، من أجل المسيح الفادي «الذي هو صورةُ الله الغير المنظور، والمولودُ قَبلَ كل خليقة» (كول ١: ١٥). ثم إنَّ جميعَ المُختارِين الذين سبق الآبُ فعرفهم منذُ قبلِ الدهور، قد «مَيَّزهم وَحدَّد أن يكونوا مُشابهين لصورةِ ابنه فيكون بكرًا لأخوةٍ كثيرين» (روم ٨: ٢٩)؛ وإنَّ جميع الذين يؤمنون بالمسيح قرَّر أن يدعُوهم في الكنيسة المقدّسة، التي، بعد إذ بُشِّر بها بالرُموز منذُ بدء العالم وهُيِّئت بوجهٍ عجيبٍ بتاريخِ شعب اسرائيل والعهد العتيق، أُنشِئت في الأزمنة الأخيرة، وأُعلِنت بحلولِ الروح

القدس، وستتِمُ في المجد في اليوم الآخِر؛ وإذ ذاك، كما ورد في الآباء القدّيسين، يجتمعُ عند الآب، في الكنيسة الجامعة، جميع الصِّدّيقين منذ آدم، «من هابيل البارّ إلى آخر مختار».

رسالة الابن

٤١٠٣ – ٣ – فقد أتى الابن إذن، وقد أَرسلَه الآب الذي اصطفَانَا فيه من قبل إنشاءِ العالم، وقضى بأن نكون ابناءً بالتبّني، لأنَّه شاءَ أن يجمع فيه كُلَّ شيء (أف ١: ١٤ – ٥ و١٠). وعملاً بمشيئةِ الآب أنشأَ المسيح على الأرض ملكوتَ الله، وكشف لنا عن سِرّه، وحقَّق بطاعتِه فداءَنا. وبدأَتِ الكنيسةُ، أيّ ملكوتُ المسيح الحاضرِ حضورًا سريًّا، تنمو بقُدرةِ الله في العالم، نموًّا ظاهرًا. وهذان الابتداء والنمو يرمزُ إليهما الدمُ والماءُ الخارجان من جَنب يسوع المطعونِ على الصليب (يو ١٩: ٣٤)، وتشير إليهما كلماتُ الربِّ في موتِه مصلوبًا: «وأمّا أنا فمتى ارتفعت عن الأرض اجتذبت إليَّ كل شيء» (يو ١٢: ٣٢). ومن ثمَّ فكُلَّ مرة تُقامُ على المذبح ذبيحةُ الصليب التي «ذُبح بها المسيح فصحُنا» (١ كور ٥: ٧)، يتمُّ عملُ افتدائنا؛ وكذلك تتمثّلُ، في سرِّ الخبز الإفخارستي، وَحدَةُ المؤمنين الذين يُؤلِفون في المسيح جسدًا واحدًا (١ كو ١٠: ١٧)، وتتحقَّقُ. فإلى الاتحاد بالمسيح الذي هو نورُ العالم، والذي نحن منه، وبه نحيا، وإليه المَصير، دُعي الناس كُلُّهم أَجمعُون.

الروح الذي يقدّس الكنيسة

٤١٠٤ – ٤ – ولمَّا أُنجزَ العملُ الذي كلَّف الآبُ ابنه تحقيقَه على الأرض (يو ١٧: ٤)، أُرسِل الروحُ القدس، في يوم العَنصَرة، لكي يُقدِّسَ الكنيسة في استمرار، فيكفل للمُؤمنين الدُّخول إلى الآبِ بالمسيح في وَحدَةِ الروح (أف ٢: ٨). فإنّه هو روحُ الحياة، والنَبعُ المتدفّقُ ماءً للحياةِ الأبديَّة (يو ٤: ١٤؛ ٧: ٣٨ – ٣٩). وبه يُعطي الآبُ الحياةَ للذين أماتَتهُم الخطيئةُ، إلى يوم يبعثُ في المسيح أجسادَهم المائتة (روم ٨: ١ – ١). والروحُ يَسكنُ في الكنيسة وفي قُلوبِ المؤمنين كما في هَيكل (١ كور ٣: ١٦؛ ٦: ١٩)؛ وفيهم يَدعُو، ولهم يشهدُ بأَنَّهم أبناءُ الله بالتبنّي

(غلا ٤ : ٦؛ رو ٨ : ١٥ – ١٦ و٢٦). وهذه الكنيسةُ التي يُرشِدُها إلى الحقيقةِ كُلِّها (يو ١٦ : ١٣) ويَكفَلُ لها وَحدةَ الشَركَةِ والخِدمَةِ الرُّوحيَّةِ، يُجهّزها ويقودُها بمُختَلَف المَواهِبِ، مواهبِ السُّلطةِ ومواهبِ المِنّة، ويزيِّنُها بِثمَارِه (أف ٤ : ١١ – ١٢؛ ١ كور ١٢ : ٤؛ غلا ٥ : ٢٢)؛ ثـمَّ إنـه بـقوّةِ الإنجيـل يحفَـظُ للكنيسة شبَابَها، ويجدِّدُا في استمرار، سائرًا بها إلى تمَامِ الاتحادِ بِعَريسِها: ذلك بأنَّ الرُوحَ والعروسَ يقُولان للرَّبِ يسوع: «هلمَّ!» (رؤ ٢٢ : ١٧). وهكذا تَظهرُ الكنيسةُ الجَامعةُ «شعبًا يستمِدُّ وَحدتَه من وَحدةِ الآبِ والابنِ والروحِ القدس».

ملكوت الله

٤١٠٥ – ٥ – وسرُّ الكنيسةِ المُقدَّسةِ يَتجلَّى في تَأسيسِها. فالربُّ يسوع أنشأ الكنيسةَ بإعلانِه البُشرَى السعيدةَ، أيّ مجيءَ مَلكوتِ الله الموعودِ في الأسفار المُقدَّسة منذ الدهور: «فإنَّ الزمان قد تمَّ، وملكُوت اللهِ ههنا» (مر ١ : ١٥؛ متّى ٤ : ١٧). ويَتجلَّى هذا الملكوتُ على عيونِ النَّاس في كلامِ المسيح، وأعمالِه، وحضُورِهِ: فكَلِمةُ الرَّبِ قد شُبِّهت بِزرعٍ يُزرعُ في الحَقلِ (مر ٤ : ١٤)، فالذين يصغون إليها بإيمَانٍ وينضوُون إلى قَطيعِ المَسيحِ الصَغير (لو ١٢ : ٣٢)، ينالُون هذا الملكوتَ بالذات. ثُمَّ إنَّ الزَّرعَ ينبُت بقوّتِه الذَاتيَّة، وينمُو إلى يومِ الحصاد (مر ٤ : ٢٦ – ٢٩). أمَّا مُعجزاتُ يسوع فهي الدَليلُ على أنَّ الملكوتَ قد أتى على الأرض: «فلئن كنت بإصبعِ الله أُخرجُ الشّياطين فلأَنَّ ملكوتَ الله قد أتى في ما بينكم» (لو ١١ : ٢٠؛ متّى ١٢ : ٢٨). بيدَ أنَّ الملكوتُ قد تجلَّى أوَّلَ ما تجلَّى، في شَخصِ المَسيحِ بالذات، ابنِ الله وابنِ الإنسان، الذي «انما أتى لِيَخْدُمَ، ويَبذُل نفسَه فديةً عن الجَماعة» (مز ١٠ : ٤٥).

٤١٠٦ – ولمَّا نَهضَ يسوعُ حيًّا، بعد ما قاسى الموتَ صلبًا لأجل الناس، ظهر مُنصَّبًا ربًّا ومسيحًا وحبرًا إلى الأبد (أع ٢ : ٣٦؛ عب ٥ : ٦؛ ٧ : ١٧ – ٢١)؛ وأَفاضَ على تلاميذِه الروحَ الذي وعدَ به الآبُ (أع ٢ : ٣٣). ومن ثَمَّ فالكنيسة، وقد جُهِّزت بمواهبِ مُؤسسِها، وتَسلُكُ بأمانةٍ في حفظِ وصاياه في المَحبّةِ والتَواضعِ والكُفر بالذات، تَسلَّمت رِسالةَ الدعوةِ بملكُوتِ الله والمسيح، وإنشائِه في جَميعِ

الأمم، فكانَت على الأرض بَذرةَ هذا الملكوتِ وبَدأَه. غير أنَّها فيمَا كانت تَنمو شيئًا فشيئًا كانت تَصبُو إلى كمالِ هذا الملكوت، راجيةً ومُتمنيةً بكُلِّ قِواها أن تتَحدَ بمِلكِها في المجد.

صوَر الكنيسة المتنوّعة

٤١٠٧ – ٦ – وكما أَنَّ الوحيَ بالملكوتِ كثيرًا ما وَردَ في العَهدِ العَتيقِ على وُجوه من التمثيل، كذلك، اليوم أيضًا، يُعرِّف إلينا جوهرَ الكنيسةِ الصَميم بصُورٍ مُتنوّعةٍ، مُقتبَسةٍ من حياة الرّعاية، أو الزِّراعة، أو البِناء، بل حتّى من الحياةِ العَيلية أو الزَّواج، ولها جُذورٌ في كتبِ الأنبياء.

٤١٠٨ – فالكنيسة هي الحَظيرةُ التي إنَّما المسيحُ بابُها الذي لا بابَ سِواه ولا بدَّ منه (يو ١٠ : ١ – ١٠)؛ وهي القَطيعُ الذي أعلنَ اللهُ من قبلُ أنَّه سيكُونُ هو راعيه (أش ٤٠ : ١١؛ حز ٣٤ : ١١ وما بعده)؛ والذي يتعهَّدُ نِعَاجَه ويغذّيها – وإن يكن على رَأسِها رُعاةٌ بشر – هو المسيحُ بالذات، الرَّاعي الصالحُ ورأس الرُّعاة (يو ١٠ : ١١؛ ١ بط ٥ : ٤) الذي بَذلَ نفسَه عن نِعاجه (يو ١٠ : ١١ – ١٥).

٤١٠٩ – وهي الأرضُ التي يَزرعُها الله، وحَقلُه (١ كور ٣ : ٩). وفي هذا الحَقلِ تنمو الزَّيتُونةُ القديمةُ التي كان الآباءُ أَصلَها المُبارَك، والتي بها جَرت وستُجرى المُصالحةُ بين اليَهودِ والأُمَميّين (روم ١١ : ١٣ – ٢٦). وقد زَرعَها الكرّامُ السماويّ كرمةً مختارة (متّى ٢١ : ٣٣ – ٤٣؛ أش ٤ : ١ وما بعده). والكرمةُ الحَقيقية هي المسيحُ الذي يُعطِي الحياةَ والخِصبَ للأَغصان، أيّ لنا نحن الذين بالكنيسة نَثبُتُ فيه، وبدُونه لا نَستطيعُ شيئًا (يو ١٥ : ١ – ٥).

٤١١٠ – وكثيرًا ما تُنعتُ الكنيسةُ بانها بِناءُ الله (١ كور ٣ : ٩)؛ والربُّ نَفسُه شَبَّه نَفسَه بالحجرِ الَّذي رَذَلَهُ البنَّاؤون ولكِنَّه صار رَأسَ الزَّاوية (متّى ٢١ : ٤٢؛ أع ٤ : ١١؛ ١ بط ٢ : ٧؛ مز ١١٧ : ٢٢). وعلى هذا الأساس بَنى الرُّسُلُ الكنيسةَ (١ كور ٣ : ١١)، ومنه ثَباتُها وتَلاحُمها. وقد خُصَّ هذا البناءُ بتَسمِيات مُتنوعةٍ: فهو بيتُ الله (١ تيم ٣ : ١٥) الذي تَسكنُ فيه أُسرَتُه؛ وهو مَسكنُ الله في الروح (أف ٢ : ١٩ – ٢٢)؛ وخباءُ اللهِ في النَّاس (رؤ ٢١ : ٣)؛ وهو بخاصةٍ الهيكلُ المُقدّسُ،

المُمثَّل بالمَعابدِ من حِجارةٍ، الذي أشاد به الآباءُ، وتُشبّهه الليتُرجيّا بحقٍ بالمدينةِ المُقدّسةِ، أورشليمَ الجَديدة. ذلك بأننا كالحجارةِ الحيَّةِ في بِنائِها على الأرض (١ بط ٢ : ٥). وهي تلك المدينةُ المُقدّسةُ التي شاهدَها يوحنا، في سَاعة تجديدِ الكون، نازلةً من السَماء، من عند الله، مُهيأةً كالعَروسِ المُزيَّنةِ لِعريسها (رؤ ٢١ : ١ وما بعده).

٤١١١ – وسُميّت الكنيسةُ أيضًا «أُورشليمُ العُليا» (غلا ٤ : ٢٦؛ رؤ ١٢ : ١٧) و«أُمُّنا»؛ ونُعِتت بالعروس التي لا عيبَ فيها للحَملِ الذي لا عيبَ فيه (رؤ ١٩ : ٧؛ ٢١ : ٢ و٩؛ ٢٢ : ١٧)، التي «أَحبَّها المسيحُ وأَسلمَ ذاتَه لأَجلِها لكي يُقدِّسَها» (أف ٥ : ٢٦)، واقترَن بها بِعهدٍ لا يَنفَصِم، و«يُغذّيها، ويعتَني بها» (أف ٥ : ٢٩). وبعدما طَهَّرها أَرادَ أن تَتحدَ به وتَخضعَ له في الحُبِّ والأَمانة (أف ٥ : ٢٤)؛ وأخيرًا، أَسبغَ عليها إلى الأبدِ نعمًا سماويةً لكي نُدركَ حبَّ اللهِ والمسيح لنا، وهو حُب يَسمُو على كُلِّ مَعرفة (أف ٣ : ١٩). بيد أَنَّ الكنيسةَ تَحسَبُ نَفسها، ما دامت في طَريقِها على الأرض بعيدًا عن الرَّبِ (٢ كور ٥ : ٦)، أَنَّها في المَنفَى، بحيثُ إنَّها تَنشُدُ وتَشتَهي العُلويّات حيثُ المسيحُ جالسٌ إلى يمينِ الله، إلى أن تَتجلَّى الكنيسةُ مع عريسِها في المجد (كول ٣ : ١ – ٤).

الكنيسة جسد المسيح السِرّي

٤١١٢ – ٧ – ثم إنَّ ابنَ الله افتَدَى الإنسانَ في الطَّبيعةِ البشريَّةِ التي اتَّحدَ بها، بانتصَارِهِ بموتِهِ على الموت وبقيامَتِه، وحوَّلَه خليقةً جديدةً (غلا ٦ : ١٥؛ ٢ كور ٥ : ١٧). وإذ أحلَّ روحَه على إخوتِه الذين دَعاهم من جَميعِ الأُمم جعلَهم جسدًا سريًّا له.

وفي هذا الجسد تَنتَشِرُ حياةُ المسيح في المُؤمنين الذين بالأسرار يتَّحدون سرّيًّا ولكن حقيقةً، بالمسيح المُتأَلم والمُمَجد: فبالمعمودية نَصيرُ على شبه المسيح «إذ إنَّنا قد اعتمدنا جميعًا في الروح الواحد لنكون جسدًا واحدًا» (١ كور ١٢ : ١٣)؛ فإن هذه الرُّتبة المقدّسة تمثّل اتّحادَنا بموتِ المسيح وقيامته، وتحقّقه. ذلك بأَنَّنا «دُفنَّا معه بالمعمودية في موته». ولئِن «كُنَّا قد صِرنا معه كيانًا واحدًا بشبه موتِهِ فإِنَّنا

نَصِيرُه أيضًا بشبه قيامته» (روم ٦ : ٤ – ٥). وإذ نشتركُ حقًّا في جَسدِ الرب، في كَسر الخُبز الإفخارستيّ، نرتَفع إلى الشَركة معه وفي ما بيننا. و«إذ ليس سوى خبز واحدٍ فإنَّنا جميعًا جسدٌ واحدٌ، نحن المُشتركين في هذا الخُبزِ الواحد» (١ كور ١٠ : ١٧)، وهكذا نَصيرُ جميعًا أعضاءَ هذا الجسدِ (١ كور ١٢ : ٢٧) و«أعضاءً بعضُنا لبعض» (روم ١٢ : ٥).

٤١١٣ – وكما أنَّ أعضاءَ الجسدِ البَشريّ لا تُؤلِّفُ، على تَعدُّدِها، إلاّ جسدًا واحدًا، كذلك أيضًا المؤمنون في المسيح (١ كور ١٢ : ١٢). ثم إنَّه في عمل بناءِ جسدِ المسيحِ تَتنوعُ الأعضاءُ والوظَائِف. فإنَّه واحدٌ الروح الذي يوزِّعُ مَواهبَه، بحسبِ غناه ومستلزَماتِ الخِدم، لفائِدة الكنيسة (١ كور ١٢ : ١ – ١١). ومن بين هذه المواهبِ تحتلُّ النعمَةُ التي مُنحت للرّسلِ المحلَّ الأول؛ فَالروحُ عينه يُخضعُ لسُلطانِهم أصحابَ المواهبِ أنفسهم (١ كور ١٤). وهو الروحُ عينه – الذي يوحِّدُ الجسدَ بقوّتِه وبتَرابط الأعضاءِ الصميمم – يُولّد المحبةَ بينَ المؤمنين وينمّيها. لذلك إذا تأَلَّمَ عُضوٌ تأَلَّمت الأعضاءُ كُلِّها معه، وإذ أُكرِم عضوٌ فرحت الأعضاءُ كُلُّها معه (١ كور ١٢ : ٢٦).

٤١١٤ – ورأسُ هذا الجسدِ هو المسيح الذي هو صورةُ اللهِ الغَير المَنظور، وبه كُوِّنت الأشياءُ كُلُّها. إنَّه قائِمٌ قبلَ جميعِ الأشياء، وبه قِيامُ كُلِّ شيءٍ. إنَّه رأسُ الجسدِ الذي هو الكنيسة. إنَّه المبدأُ، والبكرُ بين الأَموات، لكي يكُونَ له الأوليّةُ في كُلِّ شيء (كور ١١ : ١٥ – ١٨). بِعَظَمةِ قُدرتِه يسودُ على ما في السماءِ وما في الأَرض، وبكَمَالِهِ وفِعلِهِ المُطلقِ يَملأُ الجسدَ كُلَّهُ بغنى مجدِه (أف ١ : ١٨ – ٢٣).

٤١١٥ – فعلى جميعِ الأعضاءِ أن تَسعى للتمثُّلِ به إلى أن يَتكوَّنَ المسيحُ فيها (غلا ٤ : ١٩). من أجلِ ذلك أُشرِكنا في أسرارِ حياتِه، وصُوِّرنا على مِثالِه، وَنَموتُ ونُبعثُ معه، إلى أن نَملِك معه (فيل ٣ : ٢١؛ تيم ٢ : ١١؛ أف ٢ : ٦؛ كول ٢ : ١٢ ألخ). ومَا دُمنَا في سَفَرٍ على الأرض، نَترسَّمُ خطواتِه في الشِدّة والاضطهاد، فإنَّنا نَشترِكُ في آلامه اشتراكَ الجسدِ في الرأسِ، متألِّمين معه لِنتَمَجَّد معه (روم ٨ : ١٧).

ومنه «يَستمِدُّ الجسدُ كُلُّه، بأَليافِه ومَفاصِله، التَرابطَ والتَلاؤم، لِيبلُغ نموه في اللهِ» (كول ٢ : ١٩). وهو الذي يُوزعُ بلا انقطاعٍ في جسدِه، أيّ في الكنيسة، مُواهبَ الخِدمِ التي بها نَتبادَلُ، بقوّتِه، الخَدَماتِ المُجدِية للخَلاص، حتّى إذا ما صدَقنا في المحبّة ننمو في كُلّ شيء في اتّجاهِ من هو رَأسُنا (أف ٤ : ١١ – ١٦ يوناني).

٤١١٦ – ولكي نَتجدَّدَ فيه باستمرارٍ (أف ٣ : ٢٤) آتانا أن نَشترِكَ في رُوحِه، الذي إذ هو واحدٌ وهو عينُه في الرأس وفي الأعضاءِ، يُحيي الجسدَ كُلَّه، ويُوحّدُه، ويحرِّكُه، حتّى لقد شبَّه الآباء القدّيسون فِعلَه بو ظِيفةِ الروح التي هي مبدأُ الحياةِ في الجسد.

٤١١٧ – ثُمَّ إنَّ المسيحَ يحبُّ الكنيسةَ من حيث هي عروسُه، جاعلاً من نفسه غرارًا للزوج الذي إذ يحبّ زوجتَه يحبُّ جسدَه الخاص (أف ٥ : ٢٥ – ٢٨)؛ وأمَّا الكنيسةُ نفسُها فتخضعُ لرَأسِها (أف ٥ : ٢٣ – ٢٤). «ولمّا كان كُلُّ ملءِ اللاَّهوت قد حلَّ فيه جَسدِيًّا» (كول ٢ : ٩) فإنّه يملأُ بمواهِبه الإلهيّةِ الكنيسةَ التي هي جسدُهُ و مِلئه (أف ١ : ٢٢ – ٢٣) لكي تَسعى وتَبلغَ ملءَ اللهِ كاملاً (أف ٣ : ١٩).

الكنيسة منظورة وروحيَّة معًا

٤١١٨ – ٨ – وإنَّ المسيحَ، الوَسيطَ الواحدَ، قد أَقامَ على هذه الأرض كنيستَه مقدّسةً، شركةَ إيمانٍ ورجاءٍ ومحبّةٍ، هيكلاً عُضويًّا منظورًا؛ وهو يسنِدُها على الدوام، ويُفيضُ بها على الجميعِ الحقيقةَ والنعمة. بيد أنَّ هذا المجتمعَ المجهَّز بأعضاء ذوي سُلطاتٍ، جسدَ المسيحِ السِّري، الجماعةَ المنظورةَ والشركةَ الروحيةَ، كنيسةَ الأرض والكنيسةَ الغنيَّةَ بِنِعَم السماء، يجب ألاَّ يُعَدَّ حَقيقتَين، بل هو حقيقةٌ واحدةٌ مركَّبةٌ، ذاتُ عُنصرين بَشريٍّ وإلهيّ. ومن ثَمَّ فليس من قَبيلِ العَبَثِ في القياسِ أن يُشبَّه بسرِّ الكلمةِ المُتجسّد. فكما أَنَّ الطبيعةَ التي تَدرَّعَ بها الكلمةُ الإلهيّ يَستَخدِمُها أَداةً حَيَّةً للخَلاص متَّحدةً به اتّحادًا لا يَنفصِمُ، كذلك أيضًا المركَّبُ العُضويّ المجتمعيّ الذي تتألّفُ منه الكنيسةُ يَستخدِمُه روحُ المسيح، الذي يُحيِيه، سبيلاً إلى نموِّ الجسد (أف ٤ : ١٦).

٤١١٩ – تلكَ هي كنيسةُ المسيحِ الواحدةُ التي نَعترفُ بها في قَانونِ الإيمانِ بأنَّها واحدةٌ مقدّسةٌ جامعةٌ رسوليّة، والتي سَلَّمها مخلّصُنا بعد قيامِته إلى بطرسَ لكي يَكونَ لها راعيًا (يو ٢١ : ١٧)، والتي أَناطَ ببطرسَ وسائرِ الرُسل أَمر نَشرِها وقيادتِها (متّى ٢٨ : ١٨ وما بعده)، والتي أقامَها على الدّوام «عمودًا للحقيقة وقاعدةً لها» (١ تيم ٣ : ١٥). هذه الكنيسةُ التي أُنشِئَت وَنُظِّمَت كمُجتمَعٍ في هذا العالم إنَّما تَستمرُّ في الكنيسةِ الكاثوليكيّة التي يَسوسُها خليفةُ بطرسَ والأساقفةُ الذين هم على الشركة معه، وإن تكن عناصرُ عديدةٌ للتقديس والحقيقةِ لا تزالُ قائمةً خارجَ هَيكلِها العُضويّ المَنظُورِ، من حيثُ هي مواهب خاصةٌ بكنيسةِ المسيح، إلى الوَحدةِ الكاثوليكية.

٤١٢٠ – ولمَّا كانَ المسيحُ قد تَمَّمَ عملَه الفِدائي في الفَقرِ والاضطهادِ فإن الكنيسةَ قد دُعيت هي أيضًا إلى انتهاج هذه الطريقِ عينِها لكي تُشرِكَ الناسَ في ثِمَارِ الخَلاص. فالمسيحُ يسوع «إذ كان في حالةِ الله لا شيء ذاتَه، آخذًا حالةَ عبد» (فيل ٢ : ٦)، ولأَجلِنَا، «هو الغنيُ، صارَ فقيرًا» (٢ كور ٨ : ٩)، كذلكَ الكنيسةُ أيضًا، فإنّها على كَونِهَا تَفتَقرُ إلى مواردَ بشريّة للقيام بِرسَالتِها، لم تُوجَد لتطلبَ المجدَ الدُنيوي، بل لِتُعلِّم بمثَالِها أيضًا ما التواضُعَ والكُفرِ بالذات. فالمسيحُ قد أَرسله الآبُ «ليبشرَ المساكينَ ويجبرَ القلوبَ الكسيرة» (لو ٤ : ١٨) و«يطلبَ ويخلصَ ما كان هالكًا» (لو ١٩ : ١٠)، كذلكَ الكنيسة تغمرُ بحبِّها جميعَ الذين يُرهقهم الضعفُ البشريُّ بل ترى في الفقراءِ والمتألّمين صورةَ مؤسّسِها الفقير المُتألم، وتعمَلُ جاهدةً على تلطيفِ بؤسِهم، وتريدُ أن تَخدم المسيح فيهم. ولكن فيمَا المسيحُ «القُدُّوسُ البريءُ ولا عيبَ فيه» (عب ٧ : ٢٦) لم يعرفِ الخطيئة (٢ كور ٥ : ٢١) بل أَتى ليكفّرعن خطايا الشعب فقط (عب ٢ : ١٧)، فإنَّ الكنيسة التي تَضمُ في حِضنِها الخطأةَ هي، في آنٍ واحد، مقدَّسةٌ ومفتقرةٌ دائمًا إلى التَّطهير، ولا تَني عاكفةً على التوبةِ والتجدّد.

٤١٢١ – والكنيسة «تُواصلُ طريقَها ما بينَ اضطهاداتِ العالم وتَعزياتِ الله»، مبشّرةً بصليبِ الربِّ وموتِه إلى أَن يأتي (١ كور ١١ : ٢٦). إنَّما تتقوّى بقوةِ الرّبِ النَّاهِضِ من الموت، لكي تتغلّبَ بالصبرِ والمحبّةِ على مَضايقِها ومصاعِبها التي من

الدَّاخل ومنِ الخارجِ، وتكشفَ للعالم بأمانةٍ سرَّ الرَّبِّ الذي لن ينفكَّ يَغشاهُ الظلُّ إلى أن يتجلّى في النِهاية في وَضَحِ النُّور.

الفصل الثاني: شَعْبُ الله

العهد الجديد والشعب الجديد

٤١٢٢ – ٩ – إنَّ من يتَّقي اللهَ ويعملُ البرَّ، في كُلِّ زمانٍ وكلّ أُمّةٍ، لمَقبُولٌ عند الله (أع ١٠: ٣٥). وإنَّما شاء الله أن يُقدّس الناس ويخلّصهم، لا متفرّقين بدون ما ترابُطٍ في ما بينهم، بل أراد أن يجعلَهم شعبًا يعرفُه في الحَقيقة ويخدمُه في القداسة. فاختار لنفسه شعبَ إسرائيل شعبًا، وقطع معه عهدًا، ونشّأة شيئًا فشيئًا، مظهرًا له نفسَه ومقاصدَه في غُضون تاريخه، ومقدّسًا إيّاه لنفسه. بيد أن هذا كلّه كان على سبيل التهيئة والرمز للعهد الجديد الكامل الذي سيُبرَمُ في المسيح، وللوحي الكامل الذي سينزل به كلمةُ الله المتجسّد نفسه: «ها إنَّها تأتي أيام، يقول الربّ، أَقطعُ فيها مع آلِ إسرائيل وآلِ يهوذا عهدًا جديدًا... فأَجعل شريعتي في أَحشائهم، واكتبها في قلوبهم، وأكون إلههم ويكونون شعبي... وكلهم سيعرفونني من أكبرهم إلى أصغرهم، يقول الربّ» (ار ٣٥: ٣١ – ٣٤). فهذا العهد الجديد هو العهد الذي أَبرمَه المسيحُ، العهد الجديد بدمه (١ كور ١١: ٢٥)، داعيًا اليهود والأُمَميّين ليجعلَ منهم شعبًا يجتمع في الوَحدة، لا بحسب الجسد بل بحسب الروح، ويصير شعبَ الله الجديد. ومن ثمّ فإنّ الذين يؤمنون بالمسيح – وقد وُلِدُوا ثانيةً لا من زرعٍ قابلٍ الفساد بل من زرعٍ لا يفسد، وهو كلمةُ الله الحيّ (١ بط ١: ٢٣)، ولا من الجسدِ بل من الماء والروح القدس (يو ٣: ٥ – ٦) – أُقيمُوا أخيرًا «ذريّةً مختارةً، كهنوتًا ملوكيًّا، أُمّةً مقدّسةً، شعبًا مقتنى... لم يكونوا من قبل شعبًا فصاروا اليوم شعبَ الله (١ بط ٢: ٩ – ١٠).

٤١٢٣ – فهذا الشعبُ المسيحانيّ رَأسُه المسيح «الذي أُسلِمَ من أَجل خطايانا وقام لأَجل بِرّنا» (روم ٤: ٢٥)، الذي، بعد إذ نال اسمًا لا اسمَ فوقَه، يملك الآن

مَجيدًا في السماوات. وهذا الشعب حالهُ حالُ الكرامةِ وحريَّةِ أبناء الله، في قلوبهم يسكنُ الروح القدسُ سُكناه في هيكله. وشريعتُه الوصية الجديدة: أن يُحبّ كما أحبنا المسيح نفسُه (يو ١٣ : ٣٤). وغايتُه أخيرًا ملكوتُ الله الذي بدأه الله نفسه على الأرض، وعليه أن يمتدَّ من بعدُ إلى أن يتُمّه الله نفسه، في آخر الزمان، عندما يظهر المسيح حياتُنا (كول ٣ : ٤)، «وتُعتَقُ الخليقة من عبوديّةِ الفساد إلى حريّةِ مجدِ أبناء الله» (روم ٨ : ٢١). وهذا الشعب المسيحانيّ، وإن كان بعدُ لا يَضمُّ في الواقع جيمعَ الناس، ويبدو في الغالب بمظهر القطيع الصغير، فهو مع ذلك للجنس البشري بِرُمَّته، نواةُ وَحدةٍ ورجاءٍ وخلاصٍ بالغِ الفعاليّة. لقد أقامه المسيح شركةَ حياةٍ ومحبّةٍ وحقيقةٍ، وهو في يده أيضًا أداةُ الفِداء لجميع الناس، وأرسله في العالم كُلِّه نورًا للعالم ومِلْحًا للأرض (متّى ٥ :١٣ – ١٦).

٤١٢٤ – وكما أنَّ اسرائيل بحسبِ الجسدِ قد دُعي، فيمَا كان سالكًا في القفر، بكنيسة الله (عز ١٣ : ١؛ عد ٢٠ : ٤؛ تث ٢٣ : ١ وما بعده)، كذلك اسرائيلُ الجديدُ، السَّالِكُ في الدهر الحاضر في طلبِ الآتية الباقية (عب ١٣ : ١٤)، قد دُعيَ هو أيضًا بكنيسةِ المسيح (متّى ١٦ :١٨)، لأنه هو الذي اقتناها بدمه (أع ٢٠ :٢٨)، وملأَها من روحه، وجهَّزها بالوسائلِ المؤاتية لأجل اتِّحادها الظاهرِ المُجتَمعِيّ. فإنَّ الله قد دعا جماعةَ الذين في الإيمان ينظرون إلى يسوع، صانعِ الخلاصِ ومبدإِ الوَحدةِ والسلام، وأنشأ منهم الكنيسةَ لكي تكونَ للجميع ولكُلِّ واحدٍ منهم السرَّ المنظورَ لهذه الوَحدة الخلاصيّة. ولمّا كان عليها أن تمتدَّ إلى جميعِ المناطقِ دخلت تاريخَ البشر على كونها تتخطَّى حدود الشعوب في الزمان والمكان. وإذ تسلكُ الكنيسةُ طريقها في وسْط المحنِ والشدائدِ يعضُدُها الله بقوّةِ نعمتِه التي وعدها الربّ بها لئلا تخلَّ بالامانة الكاملة بسبب وهَن الجسد، بل تظلّ لربّها العروس الخليقة به، وتستمرّ على التجدّد الذاتي بفعل الروح القدس إلى أن تبلغَ في طريق الصليب النورَ الذي لا يعقُبه غروب.

٤١٢٥ – ١٠ – إنَّ المسيح الرب، الحبرَ المأخوذَ من بين الناس (عب ٥ :١ – ٥)، قد جعلَ من الشَّعبِ الجديد «ملكوتًا وكهنةً للهِ أبيه» (رؤ ١ :٦؛ ٥ :٩ – ١٠). ذلك بأن المعمَّدين قد تكرَّسوا بالميلادِ الثاني ومَسحة الروح القدس لكي يكونوا مسكنًا

روحيًا وكهنوتًا مقدّسًا، ويقرّبوا بعملهم المسيحيّ كلّه قرابينَ روحيةً، ويعلنوا قُدرةَ ذاك الذي دعاهم من الظُلمةِ إلى نوره العجيب (١ بط ٢ : ٤ – ١٠). فليقرِّبْ إذن جميعُ تلاميذِ المسيح أنفسَهم، مواظبين على الصلاة وحمد الله (أع ٢ : ٤٢ – ٤٧)، قرابينَ حيّةً، مقدّسةً، مرضيةً لله (روم ١٢ : ١)؛ ويشهدوا للمسيح في كلّ مكان؛ ويقيموا الدليلَ، في كل مطلبٍ، على الرجاء الذي فيهم للحياة الأبدية (١ بط ٣ : ١٥).

٤١٢٦ – إنَّ كهنوت المؤمنين المشترَك وكهنوتَ الخدمةِ الراعويّة أو الرئاسة، مترابطان كلاهما بالآخر وان اختلفا في الجوهر لا في الدرجة فقط؛ ذلك بأن كِلا هذا وذاك يشتركان، كلٌّ على نحوٍ خاصٍّ، في كهنُوتِ المسيح الواحد. فكهنوتُ الخدمة ينشِئُ، بمَا له من سُلطانٍ مقدّسٍ، الشعبَ الكهنوتي، ويقودُه؛ ويقيمُ، في وَظِيفَةِ المسيح، الذبيحةَ الإفخارستيّة، ويقرّبُها إلى الله باسم الشعب كُلِّه. وأمَّا المؤمنون فيشتركون بكهنوتهم الملوكيِّ في تقديم الإفخارستيّا، ويمارسون هذا الكهنوت بقَبولهم الأسرار، ثم بالصلاة والحمدِ وشهادةِ السيرةِ المقدّسةِ، ثم بالكفرِ بالذات والمحبّةِ الفعّالة.

ممارسة الكهنوت المشترك في الأسرار

٤١٢٧ – ١١ – إنَّ طَابعَ الأسرةِ الكهنوتيَّة المقدَّسَ ومركَّبها العُضوي يقومان عمليًّا على الأسرار والفضائل. فالمؤمنون باندِماجهم بالمعموديَّة في جسد الكنيسة ينالون سِمَةَ الانتداب للقيام بالعبادة المسيحيّة؛ وإذا أمسَوا بالمِيلاد الجديد أبناء الله وجب عليهم الاعترافُ قدّامَ الناس بالإيمان الذي نالوه من الله بالكنيسة. ثم إنَّهم بسرِّ التثبيت يتوثّقُ ارتباطهم بالكنيسة على وجهٍ أكمل، ويؤتيهم الروحُ القدس قوّةً خاصة، فيلتزمون، من ثَمَّ، التزامًا أَشَدَّ بنشر الإيمان، والذَّودِ عنه بالقول والعمل فِعلَ شهودٍ للمسيح حَقيقيّين. وباشتراكهم في ذبيحة الإفخارستيَّا، منبعِ الحياة المسيحيّة كُلِّها وقمّتها، يقرِّبون لله الذبيحة الإلهية، ويقرِّبون معها أنفسَهم أَيضًا. وهكذا بالتقدّمة والتناول يقومون جميعهم، لا في غير تمييز بل كلٌّ بحَسب طريقته، بقِسطهم الخاص في العمل الليترجيّ. وإذ يتغذّون بجسد المسيح في

الجماعة المقدّسة يُظهرون، بوجهٍ حسّيٍّ، وَحدةَ شعب الله التي يعبّرُ عنها هذا السرّ العظيمُ أكملَ تعبيرٍ، ويحقّقها أَروعَ تحقيق.

٤١٢٨ – وإنَّ الذين يُقبلون على سرِّ التوبة يُصيبون من رحمةِ الله مغفرةَ الاهانةِ التي أهانوه بها، ويتصالحون في الوقت نفسه مع الكنيسة التي جَرَّحوها بخطيئتهم، والتي تسعى بمحبتها ومثالها وصلاتها في سبيل توبتِهم. وأمّا بالمَسحةِ المقدّسةِ المقرونة بصلاة الكهنة فالكنيسة بأسرها تشفعُ في المرضى لدى الربّ المتألمِ والممجَّدِ، لِيعزِّيَهم ويُخلِّصَهم (يع ٥ : ١٤ – ١٦)؛ وإلى ذلك تحرِّضهم على الإسهام، بالاشتراك التِلقائي في آلام المسيح وموته (روم ٨ : ١٧؛ كول ١ : ٢٤؛ ٢ تي ٢ : ١١ – ١٢؛ ١ بط ٤ : ١٣)، في ما يعودُ على شعب الله بالخير. وأمّا الذين يتَّشِحُون، من المؤمنين، بكرامة الكهنوتِ المقدّس فقد أُقيموا ليرعَوا الكنيسة بالكلمةِ ونعمةِ الله، باسم المسيح. وأخيرًا، فإن المتزوّجينَ المسيحيّينَ يتمكّنون، بقوّةِ سرّ الزواج، الذي هم فيه علامةُ سرّ الوَحدةِ والحبِّ الخصيبِ بينَ المسيح والكنيسة (أف ٥ : ٣٢) ويشتركون فيه، من التّعاون، في حياتهم الزوجيّةِ، وفي إنجابِ البنين وتربيتهم، على بلوغ القداسة؛ ومن ثَمَّ، فإنَّ لهم، في وضعهم الحياتيّ وحالتِهم، موهبتَهم الخاصّة في شعب الله (١ كور ٧ : ٧): فمن زواجهم تنبثقُ العَيلةُ التي فيها يولدُ مواطنون جددٌ في المجتمع البشريّ، ويصيرون في المعموديّة، بنعمة الروح القدس، أبناءَ لله ويستمرُ بهم شعبُ الله على الزمن. وعلى الوالدين، في نِطاق هذه الكنيسة البيتيّةِ، أن يكونوا لأولادهم، في شؤون الإيمان، أولَ المعلمين بالقولِ والمثال؛ وأن يعنوا بدعوة كُلٍّ منهم، ولا سيَّما الدعوة المقدّسة.

٤١٢٩ – إنَّ جميعَ المؤمنين، ولهم مثلُ هذا القدرَ من وسائل الخلاص العظيمة، يدعوهم الربّ، أيًّا كانت حالُهم ووضعُهم، وكلاًّ في طريقته، إلى كمالِ القداسة التي مثالُها كمالُ الآب.

مفهوم الإيمان والمواهب في الشعب الأمين

٤١٣٠ – ١٢ – وإنَّ شعب الله المقدّس يشترك أيضًا في وَظِيفة المسيح النبويّةِ عندما يؤدِّي له، ولا سيَّما بحياةِ الإيمانِ والمحبّةِ، شهادةً حيةً؛ وعندما يقرّب لله قربانَ

الحمدِ، ثمرةَ الشفاهِ المعترفة باسمه (عب ١٣: ١٥). وإنَّ جماعةَ المؤمنين، الذين نالوا مَسحةَ القدّوس (١ يو ٢: ٢٠ و٢٧)، لا يمكن أن تَضِلّ في الإيمان؛ وتَظهرُ هذه الخاصّةَ التي تتميّزُ بها، بوَاسِطةِ حَاسَّةِ الإيمانِ الفائقةِ الطبيعة التي يملكُها الشعبُ بأسره عندما يُجمِع رأيه، «من الأساقفة إلى آخرِ المؤمنينَ العلمانيين»، على قضيّةٍ إيمانيّةٍ أو أدبيّةٍ. ذلك بأنَّ شعبَ الله، بقوّةِ حاسَّةِ الإيمان هذه التي يُوقظُها فيها روحُ الحقيقةِ ويسندُها، وبقيادةِ السُّلطةِ المعلّمة المقدّسةِ التي يتسلّمُ منها، بخضوعٍ وأمانة، لا كلامَ الناس بل كلامَ الله حقًّا (١ تيم ٢: ١٣)، يتمسّك تمسكًا ثابتًا بالإيمان الذي سُلِّمَ للقديسين دفعةً واحدة (يهو ٣)؛ ويمكّنُه استواءُ حكمِه من فهمه فهمًا أعمقَ، ومن وضعه في حياته موضعَ العمل على وجهٍ أكمل.

٤١٣١ – بيد أَنَّ الروحَ القدسَ عينَه لا يَقصرُ فعلَه عن أن يقدّس شعبَ الله بالأسرار والخِدم الروحية، وأن يقودَه ويزيّنَه بالفضائل، بل يُقسِّمُ مواهبه على كل واحدٍ بحسب مرضاته (١ كور ١٢: ١١)، ويوزعُ على المؤمنين من كُلِّ مرتبةٍ نعمًا خاصةً تؤتيهم الكفايةَ والنشاطَ للأضّلاع بمختلفِ المَهامِ والخدمات المُفيدة في تجدّدِ الكنيسة ونماءِ بنيانها، على حسب ما قيل: «كُلُّ واحد يُعطى أن يُظهر الروح للمنفعة العامة» (١ كور ١٢: ٧). وهذه المواهبُ، من أسطعِها إلى أَبسطها إلى أكثرها انتشارًا، جزيلةُ المطابقة والنفع لحاجات الكنيسة، لذلك يجب قَبولها بشُكرٍ وانشراح. بيد أَنَّ المواهبَ الخارقةَ لا ينبغي أن تُطلَب في خِفة، ولا أن يُرجى منها بتَهورٍ ثمارُ العمل الرسوليّ. ثُم إنّ الحكم في صحّة هذه المواهب وحسن استخدامها، إنَّما هو من شأنِ الرؤساء في الكنيسة، والذين عليهم بوجهٍ خاصٍ ألاَّ يطفِئوا الروحَ بل يختبروا كُلَّ شيءٍ ويأخذوا بمَا هو حسن (١ تسا ٥: ١٢ و١٩ – ٢١).

جامعيَّة شعبِ الله الواحد أو كاثوليكيَّته

٤١٣٢ – ١٣ – إنَّ جميعَ الناس مدعوون لأن يكونوا من شعب الله الجديد. لذلك يجب أن يمتدَّ هذا الشعب، مع بقائِه واحدًا وحيدًا، على العالم بأسره، وعلى جميعِ الأزمان، لكي تتم مقاصدُ إرادةِ الله الذي خلق في البدء الطبيعة البشرية واحدة،

ويُريدُ أن يجمع أخيرًا في الوحدةِ أبناءَه المتفرّقين (يو ١١ : ٥٢). ففي هذا الغَرض أرسلَ الله ابنه وجعله وارثًا لكُلّ شيء (عب ١ : ٥)، ليكون للجميع المعلمَ والملكَ والكاهنَ، ولشعب أبناءِ الله الجديدِ الجامعِ رئيسًا. وللغرض عينه أخيرًا أرسلَ الله روح ابنه، الربّ والمحيي، الذي هو للكنيسة ولجميع المؤمنينَ وكلٍ منهم، مبدأ تجمّع ووحدة في تعليم الرسل والشركة، وفي كسر الخبز والصلوات (أع ٢ : ٤٢ يوناني).

٤١٣٣ – فشعبُ الله الواحد هو إذن حاضرٌ في جميع شعوب الأرض بمَا أنّه يستمدُّ من جميع الشعوب مواطنيه الأخصَّاء. مواطني ملكوتٍ ليس هو، من ذاتِ طبيعته، من الأرض بل من السماء. ومن ثَمَّ فجميعُ المؤمنين المتفرّقين في أرجاء العالم هم على الشَركة، في الروح القدس، بعضهم مع بعض، حتّى إنَّ «المقيمَ في رومة يعرف أنَّ الذين هم في الهند أعضاء له». ولكن لمَّا كانت مملكةُ المسيح ليست من هذا العالم (يو ١٨ : ٣٦) فإنّ الكنيسةَ – أيّ شعبَ الله – التي فيها يتجسدُ هذا الملكوت، لا تَطمعُ في شيء من ثروات الشعوب الدنيويّة، وإنّما الأمر على الخلاف من ذلك؛ فإنها تُشجّع وتتبنّى جميعَ طاقاتِ الشعوبِ ومواردِها وعاداتِها بمِقدار ما فيها من صلاح؛ وإذ تتبنّاها تطهّرُها وتعززُها وترفعُها. ذلك بأنّها تذكر أنَّ عليها أن تَجمعَ مع هذا الملك الذي أُعطيت له الشعوبُ ميراثًا (مز ٢ : ٨) فتحمِلُ إلى مدينتِه هداياها وثرواتها (مز ٧١ (٧٢) : ١٠؛ أش ٦٠ : ٤ – ٧؛ رؤ ٢١ : ٢٤). وإنَّ هذا الطابعَ، طابعَ الشمُولِ الذي يُضفِي سنى الجمال على شعب الله، إنّما هو عطيةٌ من الربّ بالذات، بقوّتها تسعى الكنيسة الكاثوليكيةُ سعيًا فعّالاً مستمرًا إلى جَمعِ البشريّة بأسرها، مع كُلِّ ما تنطوي عليه من خير، تحت رأسِها الذي هو المسيح في وَحدة الروح القدس.

٤١٣٤ – وَبِفعل هذا الشمول يحمل كُلُّ جُزءٍ إلى الأجزاء الأخرى، وإلى الكنيسة كلِّها جمعاء، مكاسبَ مَواهِبه الخاصّةِ، بحيثُ إن الكُلِّ، وكلَّ جُزءٍ منه، ينموّ، بمَا يمدُّه به الجميعُ وبسعيهم المشترك المتناسقِ، نحو الملءِ في الوحدة. ومن ثَمَّ فشعبُ الله لا يتكوّنُ فقط بتجمُّع الشعوب المختلفة، بل بأنّ بين أعضائِه يسودُ التنوُّع في المهامّ: إذ بعضُهم يمارسون الخِدمةَ، الخِدمةَ الراعويّة المُقدَّسة لأجل منفعة

اخوتهم؛ وفي الأوضاعِ ونظامِ الحياة: إذ بعضُهم يسعَون، في الحالةِ الرهبانيَّةِ، إلى القداسة بطريقٍ أضيقَ فيكونون لأخوتِهم مثالاً حافزًا. لذلك أيضًا تُوجدُ في الشركة الكنسيَّة كنائسُ خاصةٌ، تتمتّعُ بتقاليدها الخاصّة، بدون ما ضَيرٍ لأَوَّليَّةِ كُرسيِّ بطرس الذي يَرئِس تجمّعَ المحبةِ الجامعَ، ويكفلُ التنوّعَاتِ المشروعة، ويسهرُ في الوقت نفسه على الخصوصيّات لا لئلا تضرَّ بالوَحدة فحسب، بل بالحريِّ لتعودَ عليها بالنفعِ أيضًا. من هنا أخيرًا تلك الروابطُ بين مختلف أجزاء الكنيسة، روابطُ الشَركة الصَميمة: من حيثُ الثروةُ الروحية، والعمّالُ الرسوليُّون، والمواردُ الزمنية. ذلك بإنَّ أعضاءَ شَعبِ اللهِ مدعوّون للشَركة في ما يملكون؛ وكلمةُ الرسول تنطبق على الكنائس الخاصَّةِ أيضًا: «لِيَخدم كُلُّ واحدٍ الآخرين بالموهبةِ التي نالها على ما يجدرُ بوكلاءَ صالحين على نعمةِ اللهِ المتنوّعة» (١ بط ٤: ١٠).

٤١٣٥ – فهكذا إذن جميعُ الناس مدعوُّون إلى هذه الوَحدة الجامعةِ في شعب الله، التي ترمز إلى السلام الشامل وتحقّقه؛ ويرتبط بها، على وجوهٍ مختلفة، أو هم في السبيل إليها، المؤمنون الكاثوليكيّون؛ وسائرُ المؤمنين بالمسيح؛ وأخيرًا سائرُ الناس، بدون ما استثناء، المدعوِّين بنعمة الله إلى الخلاص.

المؤمنون الكاثوليكيون

٤١٣٦ – ١٤ – فإلى المؤمنين الكاثوليكيّين أولاً يتوجَّهُ المجمع المقدَّس. فيعلِّمُ، استنادًا منه إلى الكتاب المقدَّس والتقليد، أنَّ هذه الكنيسة التي هي في حالِ سفرٍ على الأرض ضروريَّةٌ للخلاص، ذلك بأنَّ المسيح وحده هو وسيطُ الخلاصِ وَصِراطُه، هو الحاضرُ لأجلنا في جسده الذي هو الكنيسة. فإنَّه إذ يعلّم بصَريحِ العبارة ضرورةَ الإيمانِ والمعموديَّة (مر ١٦: ١٦؛ يو ٣: ٥)، قد أكَّد في الوقت نفسه ضرورةَ الكنيسة التي يَلجُ فيها الناس بالمعموديَّة كما من باب. ومن ثمَّ فإنّ الذين لا يجهلون أنَّ الله قد أنشأ، بيسوعَ المسيح، الكنيسة الكاثوليكية أداةً ضروريةً ثمَّ يرفضون الدُّخولَ إليها أو الثباتَ فيها، لا يستطيعون سبيلاً إلى الخلاص.

٤١٣٧ – وينتمي إلى مجتمع الكنيسة انتماءً تامًّا أولئك الذين، بعد إذ حصلوا على روح المسيح، يتقبّلُون قبولاً كليًّا مُركَّبَها وجميعَ وسائلِ الخلاص التي أُنشِئت فيها؛

ويَتَّحدون، في مجتَمعِها المنظور، بالمسيح الذي يقودها بواسطةِ الحَبر الأعظم والأساقفةِ المتَّحدين في ما بينهم بربُطِ الاعتراف بالإيمان، والأسرارِ والحُكمِ الكنسيّ، والشَركة. بيد أنّه لا يخلص، على كونه منتميًا إلى الكنيسة، ذاك الذي لا يثبتُ في المحبَّة، فَيقيمُ في حِضن الكنيسة «بالجسم» لا «بالقلب». وليتذكّر جميعُ أبناء الكنيسة أنَّهم بنعمةٍ خاصةٍ من المسيح لا باستحقاقَاتِهم الذاتيّةِ هم ما هم عليه من الوَضع؛ وإنهم إن لم يتجاوبُوا معها بالفكرِ والقولِ والأعمالِ فلن يخلصوا، بل ستكونُ دينونتُهم أشدَّ وأعسر.

٤١٣٨ – وأَمَّا المَوعوظُون الذين يلتمسون، بدافعٍ من الروح القدس، أن ينتموا إلى الكنيسة بإرادةٍ صريحةٍ، فإنَّهم متّحِدون بها بفعلِ هذه الرغبةِ بالذات؛ وإنَّ الكنيسةَ بعاطفةِ الأُمّ تشملهم، كأبنائِها، بحبِّها وعنايتِها.

صِلاتُ الكنيسةِ بالمسيحيّين غير الكاثوليكيّين

٤١٣٩ – ١٥ – وتعلِّمُ الكنيسةُ أنَّها متحدةٌ بأسبابٍ عديدةٍ بأولئك الذين باعتمادِهم نالوا كَرامةَ الاسم المسيحيّ، ولكنّهم لا يعترفون بالإيمان كاملاً، أو لا يحتفظون بوَحدة الشركة برئاسة خليفة بطرس. فمنهم كثيرون يتّخِذون الكتاب المقدّس قاعدةً لإيمانِهم وسيرتِهم، ويُظهِرون غيرةً دينيّةً صادقةً، ويؤمنون بحبٍ باللهِ الآبِ القدير، وبالمسيحِ ابن الله المخلِّص: ويتَّسِمون بِسِمَةِ المعموديّةِ التي بها يتّحِدون بالمسيح؛ ويعترفون أيضًا بأسرارٍ أُخرى، ويقبلونَها في كنائسهم أو جماعاتِهم الكنائسيّة الخاصّةِ. وبعضُهم ينعمون بالأسقُفيّة، ويقيمون الإفخارستيّا المقدّسة، ويضطَّرمون بالتقوى تجاهَ العذراء أُمّ الله. زد على ذلك الشَركة في الصلاة والخيرات الروحيَّةِ الأُخرى، علاوةً على نوع من الاتحاد الحقيقيّ في الروح القدس الذي يفعلُ فيهم، بِمواهبِه وَنِعَمه، فعلةُ المقدّس، وقد شدّدَ بعضهُم حتّى بذلِ الدم. وهكذا، فإنَّ الروحَ القدسَ يحرّكُ، في جميع تلاميذ المسيح، الرغبة والعملَ في سبيل اتحاد الجميع، اتحادًا سلاميًا، على الوجه الذي أراده المسيح: أيّ أن يكونوا رعيةً واحدةً لراعٍ واحد. وإصابةً لهذا الغرض لا تكفُّ الكنيسة أُمُّنا عن الصلاة والرجاء والمسعى، وتحثُّ أبناءَها على التطهُّرِ والتجدّدِ لكي يتألّقَ المسيحُ على وجهِ الكنيسة تألّقًا أسطع.

الغير المسيحيّين

٤١٤٠ – ١٦ – وأمّا الذين لم يَقبَلوا الإنجيلَ بعدُ فهم أيضًا مدعوُّون بطرقٍ مختلفةٍ إلى شعبِ الله. وأوّلُهم ذلك الشعبُ الذي أوتي العهودَ والمواعيدَ، والذي منه خرج المسيح بحسب الجسد (روم ٩: ٤ – ٥)؛ ذلك الشعب الذي هو، من حيث الاختيار، محبوبٌ من أجلِ الآباء، لأن الله لا يَندمُ على ما وهبَ أو دعا إليه (روم ١١: ٢٨ – ٢٩). بيد أنَّ تدبيرَ الخلاصِ يشمل أيضًا أولئك الذين يُؤمِنون بالخالق، وأولُهم المسلمون الذين يُعلِنون أنَّهم على إيمانِ إبراهيم، ويعبدون معنا الله الواحد، الرحمانَ الرحيم، الذي يَدينُ الناس في اليوم الآخر. ثم إنَّ اللهَ نفسَه ليس ببعيدٍ عن الذين يتلمَّسون، من خلالِ الظِلال والصُور، إلهًا مجهولاً، بمَا أنّه هو الذي يُعطي الجميعَ الحياةَ والنفسَ وكلَّ شيء (أع ١٧: ٢٥ – ٢٨)، ولأنَّه المخلّص فيريد أنَّ جميعَ الناس يخلصون (١ تيم ٢: ٤). ذلك بأنَّ الذين، على غير ذنبٍ منهم، يَجهلُون إنجيلَ المسيح وكنيستَه، ويَطلبون مع ذلك الله بقلبٍ صادقٍ، ويجتهدُون، بنعمته، أن يتمِّموا في أعمالهم إرادتَه كما يُميلها عليهم ضميرُهم، فهؤلاء يمكنهم أن ينالوا الخلاصَ الأبدي. يجتهدون، لا بمعزلٍ عن مؤازرة النعمةِ، أن يسلكوا مسلكًا مستقيمًا، فإن العنايةَ الإلهية لا تَحبِس عنهم المُساعداتِ الضَروريّة لخلاصهم. ذلك بإنَّ كُلَّ ما فيهم من صلاحٍ وحقٍ هو في نَظرِ الكنيسةِ تمهيدٌ للإنجيل، وموهبةٌ من ذاك الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ لَكي تكونَ له الحياةُ أخيرًا. ولكنَّ الناسَ كثيرًا ما خَدعَهم الشيطان فضلُّوا سواءَ السبيل في أفكارهم، واستبدلوا بحقيقةِ الله البُطلَ، وعبدوا المخلوقَ دونَ الخالقِ (روم ١: ٢١ و٢٥)؛ أو إنَّهم يحيون ويموتون بدون الله في هذا العالم فيعرِّضون أنفسَهم لشرِّ ألوانِ اليأس. من أجل ذلك تُعنَى الكنيسة العنايةَ الحارَّةَ بتعزيز الرسالات لأجلِ مجدِ الله وخلاص جميع الناس، متذكّرةً وصيّةَ الربِّ القائل: «بشّرُوا بالإنجيل الخليقة كلّها» (مر ١٦: ١٥).

طابع الكنيسة الإرسالي

٤١٤١ – ١٧ – فكما أنَّ الابن قد أرسلَه الآب كذلك أرسل، هو أيضًا، الرسل (يو ٢٠: ٢١) قائلاً لهم: «فاذهبوا إذن وعلِّموا جميع الأمم، وعمِّدُوهم باسم الآبِ

والابنِ والروح القدس، ولقّنُوهم أن يحفظوا كُلَّ ما أَوصَيتكم به، وهاءنذا معكم كُلَّ الأيّام حتّى منتهى الدهر» (متّى ٢٨ :١٨ - ٢٠). وهذه الوصيةُ الرسمية من المسيح بنَشرِ حقيقةِ الخلاص قد تسلَّمتها الكنيسةُ من الرسل لتواصلَ القيامَ بها حتّى أَقاصي الأرض (أع ١ :٨). لذلك تتبنّى قولَ الرسول: «الويل لي إن لم أُبَشِّرْ بالإنجيل!» (١ كور ٩ :١٦)، ولذلك لا تَني تبعثُ قوافلَ المرسلين إلى أن يتمَّ إنشاءُ الكنائسِ الحديثةِ فتتولّى هي بنفسِها مُواصلةَ التبشير بالإنجيل. ويستحثّها الروح القدس على الاشتراك في تحقيقِ مَقاصد الله، الذي أَقامَ المسيحَ مبدأً خلاصٍ للعالمِ كُلِّه، تحقيقًا ناجزًا. والكنيسةُ بدعوتِها بالإنجيل تجتَذِبُ المستمعين إلى الإيمان والاعترافِ به، وتُعدّهم للمعمودية، وتنتزعهم من عبوديّةِ الضَّلال، وتضمّهم إلى المسيح ليكبُروا فيه بالمحبّةِ إلى أن يتمَّ الملء. وغايةُ نَشاطِها ليس أن تحفظ من الضَّياع كلَّ ما في قلوب الناس وعُقولِهم، أو في طُقوس الشعوب وثَقافاتِهم، من بذورِ الخير فحسبُ، بل أن تُصلحَه، وتَرفعَه، وتُتِمَّه لمجدِ الله وخزي الشيطان وسعادةِ الإنسان. وإنَّ واجب نَشرِ الإيمان منوطٌ بكلّ تلميذٍ للمسيح على حَسبِ طَاقَتِهِ. ولكن، إذا كانَ باستطاعةِ أَيِّ إنسانٍ أن يُعمِّد المؤمنين فمن شَأنِ الكاهن وحدَه أن يُنجزَ بنيانَ الجسد بالذبيحة الإفخارستيّةِ، إذ يحققُ قولَ الله الذي يقوله بفم النبيّ: «من مَشرقِ الشمس إلى مَغربِها اسمي عظيم في الأمم، وفي كُلِّ مكانٍ تقتَّرُ وتقرَّبُ لاسمي تقدمةٌ طاهرة» (ملا ١ :١١). وهكذا تُصلّي الكنيسةُ وتعمل، في آنٍ واحدٍ، لكي يتحوّلَ ملءُ العالم كُلّه في شعبِ اللهِ، جسدِ الربّ، هيكلِ الروح القدس، ويُؤدِّي في المسيح، رأسِ الكلّ، للآبِ خالقِ الكونِ كلّ إكرامٍ وتمجيد.

الفصل الثالث: نظامُ السُلطةِ في الكنيسةِ ولا سيّما الأسقفيَّة

توطئة

٤١٤٢ - ١٨ - إنَّ المسيح الربَّ قد أَنشأ في كنيسته، لكي يَرعى شعبَ الله وينميه في غير انقطاع، خدمًا متنوّعةً تهدفُ إلى خير الجسم كُلِّه. فالرعاةُ، وقد قُلِّدُوا سلطانًا مقدّسًا، هم في خِدمةِ إخوتهم لكي يتمكّنَ جميعُ المنتمين إلى شعب الله وينعَمُونَ

من ثَمَّ بالكرامةِ المسيحيّةِ الحقة، أَن ينالوا الخلاص، ساعين كلّهم معًا بحرّيّةٍ وانتظامٍ إلى الغايةِ عينها.

وهذا المجمعُ المقدّس، الذي يترسَّمُ خطواتِ المجمع الفاتيكاني الأول، يعلِّمُ ويعلنُ معه أنَّ يسوع المسيح الراعي الأبدي قد بنى الكنيسةَ المقدّسةَ بإرسالِه الرسلَ كما أَنَّهُ هو نفسه قد أَرسله الآب (يو ٢٠. ٢١)؛ وأَرادَ أَن يكونَ خلفاؤُهم، أيّ الأساقفة، رعاةً في كنيسته إلى منتهى الدهر. ولكن، لكي يكفلَ للأسقفية نفسِها الوَحدةَ وعدمَ التجزُّؤ جعل الطوباوي بطرسَ على رأسِ الرسل الآخرين، وجعل فيه المبدأَ والأَساس الدائمَ المنظورَ لوَحدةِ الإيمان والشركة. وهذا التعليمُ العقائديّ بشأن أوليّة الحبر الروماني وسُلطانِه التعليميّ المعصوم، من حيثُ إنشاؤُهما واستمرارُهما وقوتُهما وغايتُهما، يتبنَّاه المجمع المقدّس، ويُعلِنُه ثانيةً على جميع المؤمنين عقيدةً إيمانيةً ثابتة؛ وإذ يُتابع في الاتجاه عينه يريدُ أن يعترفَ ويصرّحَ أمامَ الجميع بالتعليم العقائديِّ المتعلّقِ بالأساقفة خُلفاءِ الرسل، الذين يدبّرون، مع خليفةِ بطرسَ، نائبِ المسيح والرأسِ الظاهر للكنيسة كلها، بيتَ الله الحيّ.

إقامة الاثني عشر

٤١٤٣ — ١٩ — فإنَّ الربَ يسوع بعدما صلّى إلى أَبيه ودعا إليه الذين أرادهم أَقامَ منهم الاثني عشر ليكونوا صَحابتَه، ويُرسلَهم للدعوة بملكوت الله (مر ٣ : ١٣ — ١٩؛ متّى ١٠ : ١ — ٤٢)؛ وجعلَهم رُسَله (لو ٦ : ١٣)، في شكلِ هيئةٍ أو جماعةٍ ثابتة؛ وجعل على رأسِهم من بينهم بطرسَ أحدَهم (يو ٢١ : ١٥ — ١٧). وأَرسَلهم، بعد إذ أشركَهم في سُلطانِه، إلى بني إسرائيلَ أولاً، ثم إلى جميعِ الأمم (روم ١ : ١٦)، لكي يُتلمِذوا له جميع الشعوب، ويقدّسُوهم، ويسوسُوهم (متّى ٢٨ : ١٦ — ٢٠؛ مر ١٦ : ١٥؛ لو ٢٤ : ٤٥ — ٤٨؛ يو ٢٠ : ٢١ — ٢٣)، ولكي يَنشروا هكذا الكنيسةَ ويَرعوها بممارسةِ خدمتهم، بقيادةِ الرب، كلَّ الأيّام حتّى منتهى الدهر (متّى ٢٨ : ٢٠). وقد ثُبّتوا في هذه المُهمةِ تثبيتًا تامًّا في يوم العَنصرة (أع ٢ : ١ — ٢٦) على حسب وعد الرب لهم: «إنّكم ستنالُون قوةَ الروح القدس الذي سيأتي عليكم، وتكونون شهودي في أُورشليم، وكلِّ اليَهوديةِ والسامرةِ، وإلى أقاصي

الأرض» (أع ١ : ٨). وإذ بشّر الرسلُ بالإنجيل في كلِّ مكانٍ (مر ١٦ : ٢٠)، وَقبِله مُستمعُوهم بفعلِ الروح القدس، جَمعُوا الكنيسةَ الجامعةَ التي أسَّسها الربُّ على الرُسلِ وبناها على الطوباويّ بطرسَ، زعيمِهم، وظلَّ المسيحُ يسوع نفسُه رأسَ الزاوية (رؤ ٢١ : ١٤؛ متّى ١٦ : ١٨؛ أف ٢ : ٢٠).

الأساقفة خلفاء الرسل

٤١٤٤ – ٢٠ – وإنَّ هذه المهمَّةَ الإلهيةَ التي أناطها المسيحُ بالرُّسل يجبُ أن تستمرَّ حتى منتهى العالم (متّى ٢٨ : ٢٠)، بمَا أنَّ الإنجيلَ الذي يجبُ أن يسلِّمُوه هو للكنيسة، في كل زمان، مبدأُ الحياةِ كلها. لذلك اهتمَّ الرسلُ بأن يُقيمُوا لهم خلفاءَ في هذا المُجتمعِ المُنظَّمِ على أَساس السُلطة.

ولم يكتفوا بأن يكونَ لهم في الخِدمة مساعدُون مختلِفون، وإنَّما لكي تظلَّ الرسالةُ التي ائتُمنوا عليها مستمرَّةً بعدَ موتِهم سلَّموا إلى مُعاونِيهم الأدنَين، تسليمَ وصيَّة، مُهمَّةَ انجازِ العمل الذي بدأوه وترسيخِه؛ وأوصَوهم بالسهر على القطيع الذي أقامهم فيه الروحُ القدس ليرعَوا كنيسة الله (أع ٢٠ : ٢٨). فأقاموا هؤلاء الرجالَ، ورسموا لهم للمستقبل أن يتسلَّمَ زِمامَ خدمتهم بعد مماتهم رجالٌ آخرون مُختَبرون. وبين الخدمِ المختلفة التي تمارَسُ في الكنيسةِ منذُ أيامها الأولى تحتلُّ المحلَّ الأوّل، بشهادةِ التقليد وظيفةُ أولئكَ الذين أُقيموا في الأسقفيَّةِ، وكأنَّهم، بتسلسُلهم في خلافةٍ متصلة منذ البدء، فسائلَ ينتقلُ بها الزرعُ الرسولي. وهكذا، كما يشهدُ القديس ايريناوس، أَظهَر التقليد الرسوليّ وحَفِظَه في العالم كُلِّه أولئك الذين أقامَهُم الرسلُ أساقفةً، ثم خلفاؤهم حتّى يومنا هذا.

فهكذا إذن تسلَّمَ الأساقفةُ خِدمة الجماعة الراعويةَ يُعاونُهم الكهنةُ والشمامسة. ويرئِسون، بالنيابة عن الله، القطيعَ الذي هم رعاتُه، بسُلطةِ التعليم، وكهنوتِ العِبادة المقدّسة، وولايةِ الحكم. وكما أنَّ المهمّةَ التي أناطها الربُّ ببطرس، أول الرسل، منفردًا، ويجب أن تَنتَقِل إلى خُلفائه، تدومُ باستمرار، كذلك أيضًا مهمّةُ رعايةِ الكنيسة التي تسلَّمها الرسلُ والتي يجبُ أن تزاولَها هيئةُ الأساقفة المقدّسة، تدومُ باستمرار. فلذلك يعلِّمُ المجمع المقدّس أنَّ الأساقفةَ يَخلفُون الرسل، بوضعِ

إلهيّ، على رعاية القطيع: فمن سَمِعَ منهم سمع من المسيح، ومن احتقرهم احتقرَ المسيح والذي أرسلَ المسيح (لو ١٠: ١٦).

الأسقفية سرّ

٤١٤٥ – ٢١ – في شخص الأساقفة، يُعاونُهم الكهنة، يُقيمُ اذن الربُ يسوع، الحبرُ الأعظم، في وَسَطِ المؤمنين. فهو، وإن كان جالسًا إلى يمين الآب، ليس بغائبٍ عن جماعةِ أحباره، بل إنه بخدمتِهم السامية، أوّلاً، يُبشِر بكلمةِ الله جميعَ الأممٍ، ويوزِّعُ على المؤمنين باستمرارٍ أسرارَ الإيمان؛ وبوظيفَتِهم الأبوية (١ كور ٤: ١٥) يَضمُّ إلى جسده أعضاءً جددًا بالميلاد الجديد الذي من فوق؛ وبحكمتِهم أخيرًا وفِطنتِهم يوجهُ ويقودُ شعبَ العهد الجديد في مسيرتِه شَطَر السعادةِ الخالدة. إنّهم الرعاة المختارون ليَرعَوا رعيةَ الرب، وخدّامُ المسيح، والقيّمُون على أَسرارِ الله (١ كور ٤: ١)، والمؤتمنون على الشهادة لإنجيل نعمة الله (روم ١٥: ١٦؛ أع ٢٠: ٢٤)، وعلى خدمة الروح والبرِ في المجد (٢ كور ٣: ٨ – ٩).

وللقيامِ بمثلِ هذه المهامِّ العظيمة أغناهم المسيحُ بفيضٍ خاصٍ من الروح القدس نازلاً عليهم (أع ١: ٨؛ ٢: ٤؛ يو ٢٠: ٢٢ – ٢٣)؛ وبِوضعِ الأيدي سَلّموا هم أَنفُسهم إلى معاونِيهم موهبةَ الروح القدس (١ تيم ٤: ١٤؛ ٢ تيم ١: ٦ – ٧) التي تُنوقِلت حتّى يومنا هذا بطَريقِ السيامةِ الأسقفية. فالمجمعُ المقدّس يُعلّم أن السيامة الأسقفية تعطي ملءَ سرِّ الكهنوت الذي يسميّه تقليدُ الكنيسة الليترجيّ والآباءُ القديسونَ الكهنوتَ الأعظم، وذُروةَ الخِدمَة المقدّسة. وتولي السيامةُ الأسقفية، مع مُهِمَة التقديس، مُهمتَي التعليمِ والحُكم اللتين لا يمكنُ مزاولتُهما، بحكم طبيعتِهما، إلاّ في نِطاق الشَركةِ الرِئاسية مع رأسِ الهيئة وأَعضائِها. وإنَّ التقليد الذي يُعبَّر عنه بوجهٍ خاصٍ في الطقوس الليترجيّةِ وفي عادات الكنيسة شرقًا وغربًا، تُبيّنُ بوضوحٍ أنَّ وَضعَ الأيديّ وكلماتِ السِيامة تُعطي نعمةَ الروح القدس، وتَطبعُ وسمًا مقدّسًا، بحيثُ إنَّ الأساقفةَ يقومون، على وجهٍ سامٍ ومنظور، مقامَ المسيح نَفسِه المعلمِ والرَاعي والحَبرِ، ويمثّلونه. فللأساقفة، والحالةُ هذه، أَن يضمُّوا إلى الهيئةِ الأُسقفيّةِ بِسرِّ الكهنوت مختارينَ جددًا.

الهيئة الأسقفية ورأسها

٤١٤٦ – ٢٢ – وكما أنّ القديس بطرس وسائر الرسل يؤلّفون، بتدبيرِ الربّ بالذات، هيئةً رسوليةً واحدةً، كذلك أيضًا، وعلى النحو نفسِه، يَرتبطُ الحبرُ الرومانيّ خليفةُ بطرس، والأساقفةُ خلفاءُ الرسل، في ما بينهم. إنّ النظامَ العريقَ في القدم، الذي كان به الأساقفة القائمون في العالم كُله على الشركة في ما بينهم ومع أُسقفِ رومة في رباط الوَحدة والمحبةِ والسلامِ، وكذلك أيضًا عقدُ المجامعِ التي كانت تُقررُ جماعيًّا، في المُعضِلات الهامة، قرارًا يوليه الإجماعُ على الرأي التوازن، كُلُّ هذا يدلُّ على طَابعِ الدرجة الأسقُفيّةِ وطبيعتِها الجماعيّة؛ وهو ما يُؤكدُه بصراحةٍ واقعُ المجامع المسكونية التي عُقدت في غضون الزمن؛ وتَعنيه العادةُ القائمةُ منذ القَديم بدعوةِ عدّةِ أساقفة للاشتراك في رفعِ منتخَبٍ جديدٍ إلى دَرَجةِ الكهنوت العُليا. فبقُوةِ السيامةِ الأسقفية وبالشركة النِظاميّة مع رئيس الهيئة وأعضائِها يصيرُ المرءُ عضوًا في الجسم الأسقفيّ.

بيد أنّ الهيئةَ الأسقفيّة، أو الجسمَ الأسقفيّ، لا سلطانَ لها ما لم نتصوَّرها متحدةً بالحبر الروماني خليفةِ بطرس، اتحادَها برأسها محتفظًا بسُلطانه الرئاسيّ الأعلى كاملاً على الجميع سواء كانوا رعاةً أم مؤمنين. ذلك بأنّ الحبرَ الروماني، بحُكم مُهمتِه كنائبٍ للمسيح وراعٍ للكنيسة كلّها، يملك في الكنيسة السُلطانَ الكاملَ الأعلى الجامِع، ولَه أن يمارسَه على الدوام وبدون ما قيد. وأمّا الهيئةُ الأسقفيةُ التي تَخلفُ الهيئةَ الرسوليةَ في سُلطانِ التعليم والتدبير الراعوي، بل فيها يستمرّ الجسمُ الرسوليّ على الدوام، هي أيضًا، بالاتحاد مع الحبر الروماني رئيسها – وليس أبدًا بمعزلٍ عن هذا الرئيس – تملكُ السلطانَ الأعلى والكاملَ على الكنيسة كُلّها، وإنّما لا يمكنُ أن تزاولَه إلاّ بمُوافقةِ الحبرِ الروماني. فالربُّ قد جعل من سمعانَ وحدَه صخرةً لكنيسته، وله وحدَه سلَّمَ مفاتيحَها (متّى ١٦ :١٨ – ١٩)، وأَقامَه راعيًا لقَطيعه كلِّه (يو ٢١ :١٥ وما بعده)، بيد أنّ مُهمةَ الحلِّ والرابطِ التي أُعطيت لبطرسَ (متّى ١٦ :١٩) قد أُعطيت أيضًا، ولا شكّ، لهيئة الرسل متَّحدِين برئيسهم؛ وهذه الهيئةُ المؤلفةُ من عديدين تعبِّرُ عن التنوعِ والشمول في شعب الله، وبتجمّعها تحتَ رأسٍ واحدٍ تعبِّرُ عن الوحدة في قطيع المسيح. وفي هذه الهيئةِ يتمتّعُ

الأساقفةُ الأمناءُ لأوليَّةِ رئيسِهم وسُلطتِه، بسُلطانٍ ذاتيٍ لخير مؤمنيهم بل لخير الكنيسة كُلِّها جمعاء التي يكفلُ لها الروح القدس، بفعل قوّته المتواصل، مركّبها العُضوي وتآلفَه. إنّ السلطان الأعلى الذي تزاولُه هذه الهيئة في الكنيسة الجامعة، تتمّ ممارسته باحتفال في المجمع المسكوني. ولا يكون البتّة مجمعٌ مسكونيٌّ إن هو، من حيثُ هو كذلك، لم يُثبّته خليفةُ بطرس، أو يقبَلْهُ على أقلّ تقدير، وإنَّه لامتيازٌ خاصٌ بالحبر الروماني أن يدعوَ إلى هذه المجامع، وأن يرئِسَها ويثبّتَها. ويمكنُ الأساقفة المنتشرين على وجهِ الأرض أن يمارِسُوا سُلطتَهم الجماعية، بالاتحادِ مع البابا، بشرطِ أن يدعوهم رئيسُ الهيئةِ إلى العملِ جماعيًّا، أو يُوليَ، على الأقلّ، هذا العملَ المشترك الذي يعملُه الأساقفةُ متفرّقين موافقتَه، أو رِضَاه الحرّ، فيصبحُ عملاً جماعيًّا.

العلاقات في داخل الهيئة

٤١٤٧ – ٢٣ – وتظهرُ الوَحدة الجماعية أَيضًا في العِلاقات المتبادَلة بين كلٍ من الأساقفة والكنائسِ الخاصّةِ وبينه وبين الكنيسة الجامعة. فالحبرُ الروماني، بصفةِ كونه خليفةَ بطرس، هو المبدأُ الدائمُ المنظور والأساسُ للوَحدة التي تَربطُ بين الأساقفة، وتَربطُ بين جمهور المؤمنين. وأمَّا الأساقفةُ فكلٌّ منهم، في نِطاقِهم، هو مبدأُ الوَحدةِ وأَساسُها في كنائِسهم الخاصّةِ؛ فهذه الكنائسُ مكّونةٌ على صورةِ الكنيسة الجامعة، وفيها وبها تقومُ الكنيسة الكاثوليكيَّةُ واحدةً وحيدة. فمن أجل ذلك كلُّ أسقفٍ يمثّل كنيسته، وكلُّهم معًا، مع البابا، يمثّلون الكنيسةَ الجامعةَ في رباطِ السلامِ والمحبَّة والوحدة.

وكلٌّ من الأَساقفةِ الذين أُقيموا على رأس كلٍّ من الكنائسِ الخاصَّةِ يمارس سلطته الراعويَّة على القسم الذي ائتُمِنَ عليه من شعب الله، لا على الكنائس الأخرى أو على الكنيسة الجامعة. بيدَ أن كلاًّ منهم، من حيثُ هو عضو في الهيئة الأسقفية والخليفة الشرعي للرسل، ملتزمٌ، بقوّة فعل المسيحِ التأسيسيّ وأمره، أن يهتم بالكنيسةِ الجامعة: فاهتمامه هذا يُولي الكنيسةَ الجامعةَ فوائدَ جلَّى حتّى ولو لم يقم به بفعلٍ ولاية. ذلك بأن جميع الأساقفة ملتزمون بأن يُعزِّزوا ويخدموا وحدةَ الإيمان

والنِّظام العام لمجموع الكنيسة، وأن يُنشّئوا المؤمنين على حبّ جسدِ المسيح السري كله، ولا سيَّمَا أعضائه الفقراء، والمتألّمين، والمضطهدين من أجل البرّ (متّى ٥ : ١٠)؛ وعليهم أخيرًا أن يعززوا النشاط العام في مجموع الكنيسة ولاسيَّمَا ما يهدف منه إلى إنماء الإيمَان والكشف عن نور الحقيقة الكاملة للناس طرًّا. ولا جرم أنهم، إذا هم أحسنوا تدبيرَ كنيستهم الخاصّة كجزءٍ من الكنيسةِ الجامعة، يُسهمون إسهامًا فعَّالاً في خير الجسد السري كله الذي هو أيضًا جسد الكنائس.

وإن الاهتمامَ بنشر الإنجيل في الأرض كلها منوط بهيئة الرعاة، اذ انتدبهم المسيح كلهم معًا، مجتمعين، فارضا عليهم واجبًا مشتركًا، على حسبِ ما ذكّر به البابا سلستينوس آباءَ مجمع أفسس. لذلك يجبُ على الأساقفة، على كلٍّ في نطاقه الخاصِّ وبالقدر الذي يسمحُ له به قيامُه بوظيفته الخاصّة، أن يتعاونوا في ذلك في ما بينهم ومع خليفةِ بطرسَ الذي أُنيطت به، بصفةٍ فريدة، مهمَّةُ نشر الاسم المسيحي العظيمة. فعليهم من ثمّ أن يعملوا بكلٍّ قواهم على أن يؤمّنوا للرسالات فَعَلَةً للحصاد والمساعدات الروحيَّة والمادية، بأنفسهم مباشرةً وبحفزِ المعاونة الحارَّة عند المؤمنين. وعلى الأساقفة أخيرًا أن يقدّموا بطيّبِ الخاطر، على غرارِ السَّلف الخليق بالاحترام، وفي شركة المحبّة الجامعة، المَدَد الأخوي لسائر الكنائس ولا سيَّمَا أقربها إليهم، وأكثرها حرمانًا.

ولقد شاءت العناية الإلهية أن تجتمع الكنائس المختلفة التي أسّسها الرسل وخلفاؤهم في أماكن شتى، في مجرى الزمن، في مجموعاتٍ متعدّدة تّتحد اتحادًا عضويًا، وتتمتع – بدون ما ضير لوحدة الإيمان ولا لمنشأ الكنيسة الجامعة الإلهي الواحد – بنظامِها الخاصّ، وبعاداتها الليترجيَّة الخاصة، وتراثها اللاهوتي والروحي. وان البعض منها، وبخاصّة الكنائس البطريركيَّة العريقة في القِدَم، كنّ منابع إيمان بولادتها كنائس أخرى كبناتٍ لها، لا تزال تربطها بها، حتّى اليوم، صِلاتٌ وثيقة من المحبَّةِ في حياة الأسرار، وفي الاحترام المتبادَل في الحقوق والواجبات. وإن هذا التنوُّعَ في الكنائس المحلّية ليدلُّ أسطع دلالةٍ، بالتقائها في الوحدة، على أنَّ الكنيسة جامعة لا تتجزّأ. وكذلك المؤتمراتُ الأَسقفيّة تستطيع اليومَ أن تساهم، بوجوه متعدّدةٍ ومثمرة، في أن يتحقّق الشعورُ الجَماعيُّ بصورةٍ محسوسة.

الخدمة الأسقفية

٤١٤٨ – ٢٤ – ولمَّا كان الأَساقفةُ هم خلفاءَ الرسل فإنهم قد تسلَّموا من الربِّ، الذي أُعطيَ كلَّ سلطان في السماء وعلى الأرض، الرسالة بأن يعلّموا جميع الأمم، ويبشّروا بالإنجيل كل خليقة لكي ينال جميع الناس، بالإيمانِ والمعمويّة والعمل بالوصايا، خلاصهم (متّى ٢٨ : ١٨؛ مر ١٦ : ١٥ – ١٦؛ أع ٢٦ : ١٧ وما بعده). وللقيامِ بهذه الرسالةِ وعَدَ المسيحُ الربُّ الرسلَ بالروحِ القدس، وقد أَرسلَه من السماء في يومِ العنصرة، ليكونَ الرسلُ، بقوّته، شهودًا له حتّى أقاصي الأرض، أمامَ الأممِ والشعوب والملوك (أع ١ : ٨؛ ٢ : ١ وما بعده؛ ٩ : ١٥). وإن هذه المهمّة التي أناطها الربُّ برعاةِ شعبه لخدمةٌ حقيقيةٌ: لذلك يُسمِيّها الكتابُ المقدّس بصراحة «ذيا كونيا»، أيّ خدمة (أع ١ : ١٧ و٢٥؛ ٢١ : ١٩؛ روم ١١ : ١٣؛ ١ تيم ١ : ١٢).

ويتولّى الأساقفةُ رسالتهم القانونيَّة إمَّا بطريق العادات الشرعيَّة التي لم تُلغِها السلطةُ العُليا الجامعة في الكنيسة، وإمَّا بطريق القوانين التي سنّتَها هذه السُلطةُ عينُها أو اعترفت بها، أو رأسًا من قِبل خليفةِ بطرسَ نفسه؛ أمَّا اذا عارضَها خليفةُ بطرس أو رفضَ الشركة الرسولية فلا يمكن الأساقفةَ أن يضطلعوا بأيِّ ولايةٍ.

وظيفة الأساقفة التعليمية

٤١٤٩ – ٢٥ – وإنَّ أُولى مَهامِّ الأساقفةِ الرئيسيَّة هي الدعوةُ بالإنجيل. ذلك بأنَّ الأساقفة هم رُوّادُ الإيمان فَيجلِبون للمسيح أتباعًا جددًا؛ وهم المُعلّمون الأصليون الذين قُلِّدوا سُلطةَ المسيح فيعلنون للشعب الذي ائتُمنوا عليه الإيمان الذي يجبُ أن ينظِمَ تفكيرَه ومسلكَه، ويشيعون هذا الإيمان بهَدي الروحِ القدس؛ ويَستخرِجُون من كنوز الوحي جُدُدًا وعُتقًا (متّى ١٣ : ٥٢)؛ ويجعلون الإيمانَ يؤتي ثماره؛ ويعملون بيقظةٍ على إقصاءِ جميعِ الأضاليل التي تهدّدُ رعاياهم (٢ تيم ٤ : ١ – ٤). وإنه من حقِّ الأساقفة على الجميع، إذا ما علّموا وكانوا على الشَركة مع الحبر الروماني، الاحترامُ اللائق بشهودِ الحقيقة الإلهية الكاثوليكية؛ وعلى المؤمنين أن يتمسَّكوا بالرأي الذي يعبّرُ عنه أساقفتُهم، باسمِ المسيح، في ما

يتعلَّقُ بالإيمان والآداب، وأن يُولوه من ذهنهم القَبولَ في شعورٍ ديني. وإنَّ هذا القَبول الديني من الإرادةِ والعقل لواجبٌ، بوجهٍ فريدٍ، للحبر الأعظم في تَعليمه الرسمي حتّى وإن لم يتكلّم «عن السُدّة»؛ وهذا يفرضُ الاعترافَ في احترام بسلطانه التعليميِّ الأعلى، والأخذَ في صدقٍ بأحكامه، طبقًا لما يُبديه من رأيه ومن إرادته ويمكنُ استنتاجُه، بوجهٍ خاصٍّ، من صفةِ الوثائق أو من الإلحاحِ في عَرضِ تعليمٍ ما، أو من طريقةِ التعبيرِ بعينها.

ولئن يكن الأساقفةُ لا يتمتَّعون، منفردين، بامتيازِ العصمة، فإنهم، على ذلك – وإن منتشرين في العالم ولكن مُتَّحدين في ما بينهم ومع خليفةِ بطرس برِبَاط الشركة – إذا اتفقُوا على التعليم، بوجه صحيح، بأنَّ عقيدة تتعلّقُ بالإيمان والآداب تَلزمُ بوجهٍ مُطلق، فتعليمُهم إذ ذاك تعليمُ المسيح يعبّرون عنه بعِصمة. ويَظهرُ الأمْر بوجهٍ أجلى عندما، في المجمع المسكوني الذي يَجمعُهم، يكونون، بالنسبة إلى مجموعِ الكنيسةِ وفي مادةٍ تتعلَّقُ بالإيمان والآداب، مُعلّمين وقضاة تستلزم تحديداتُهم القبولَ في طاعةِ الإيمان.

إنَّ هذه العِصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يَمُدَّ بها كنيستَه لكي تُحدِّدَ التعليمَ المتعلِّقَ بشؤون الإيمان والآداب، إنّما تتسعُ اتساعَ مُستودعِ الوحي الإلهي بالذات الذي يجب الحفاظ عليه بقداسة، وعَرضِه بامانة. وهذه العِصمة يتمتَّعُ بها الحبر الروماني، رئيسُ هيئةِ الأساقفة، بحُكم مهمّتِه بالذات، عندما، بصفةِ كونِه راعيًا ومعلّمًا أعلى لجميع المؤمنين ومكلَّفًا تثبيتَ أخوته في الإيمان (لو ٢٢ : ٣٢)، يُعلنُ، بتصميمٍ مطلقٍ، مادةً عقائديّةً تتعلَّقُ بالإيمان والآداب. لذلك يُقال بحقٍ في التحديدَاتِ التي يلفظها إنّها بقوةِ ذاتها لا بقوةِ قَبولِ الكنيسة لها لا تقبلُ التعديلَ لأنّها صدرت بمعُونةِ الروح القدس التي وُعدَ بها في شخص القديس بطرس، ولا يعوزُها من ثم مُوافقةُ الغير، ولا يمكن أن تكونَ موضعَ استئنافٍ إلى محكمةٍ أخرى. ذلك بأنَّ الحبرَ الروماني لا يُصدرُ الحُكمَ بصفة كونه شخصًا منفردًا، وإنما يَعرضُ عقيدةَ الإيمان الكاثوليكي ويذودُ عنها بصفةِ كونِه للكنيسةِ الجامعةِ هو المعلمَ الأعلى الذي يستقرُّ فيه، بصفةٍ فريدةٍ، امتيازُ العِصمة الذي هو امتيازُ الكنيسة بالذات. والعِصمةُ التي وُعدت بها الكنيسةُ مستقرة أيضًا في هيئةِ

الأساقفة عندما تمارسُ سُلطانَها التعليمي الأعلى بالاتِحاد مع خليفة بطرس. ولا يمكنُ البتةَ ألاَّ تقبلَ الكنيسةُ هذه التحديدات لأنَّ فعل الروح القدس الواحد هو الذي يحفظُ ويُنمي، في وَحدةِ الإيمان، قطيعَ المسيح كُلَّه.

٤١٥٠ – فعندما الحبر الروماني، أو هيئةُ الأساقفة بالاتحاد معه، يُصدران تحديدًا فإنَّها يُصدرَانه طبقًا للوحي بالذات الذي يجبُ على الجميع أن يأخذوا به ويتطابقوا معه – هذا الوحي المَنقولِ بتمَامه بالكتابة أو بالتَواتُر، بواسطة خِلافةِ الأساقفة الشرعية، وبخَاصةٍ باهتمَام الحبر الروماني بعينه؛ وهذا الوحي محفوظٌ بدقّةٍ فائقةٍ في الكنيسة، ومعروض بأمانةٍ في نورِ روحِ الحقيقة. ويجتَهدُ الحبر الروماني والأساقفة باهتمامٍ في اكتناه هذا الوحي بضميرٍ حي، والتَعبيرِ عنه تعبيرًا سويًّا، واعينَ تمامَ الوَعي واجبهم وخطورة الأمر، مُتوسّلين إليه الوسائل الملائمة؛ ولكنّهم لا ينزلُ عليهم أيُّ وحيٍ جديدٍ عامٍّ يُعدّ من مَضمونِ وَديعةِ الإيمان الإلهيَّة.

وظيفة التقديس عند الأساقفة

٤١٥١ – ٢٦ – وإنَّ الأسقفَ، وقد أُوتيَ ملءَ سرِّ الكهنوت، يحملُ «مسؤوليةَ توزيعِ نعمةِ الكهنوت الأعلى»، ولا سيَّما في الإفخارستيَّا التي يُقرِّبها هو نفسُه أو يكفُل تقريبَها، والتي منها تجري في الكنيسة بلا انقطاع الحياةُ والنموُّ. وكنيسةُ المسيح هذه حاضرةٌ حقًّا في كُلِّ جماعات المؤمنين المحلّيةِ الشرعيَّةِ، التي باتحادِها برُعاتها يسمّونها أيضًا، في العهد الجديد، كنائس. ذلك بأنَّ كُلّ واحدةٍ منها، في رُقعتِها، هي الشعبُ الجديدُ الذي دعاه الله في الروح القدس وكمالِ اليقين (١ تسا ١ : ٥). فيها يتجمّع المؤمنون بالدعوة بإنجيل المسيح، وفيها يُحتفلُ بسرِّ عشاءِ الرب «لكي تَتوثّقَ، بجسدِ الرب ودمه، في جسدٍ واحدٍ، كُلُّ أخوّةٍ». وكُلَّ مرةٍ تتِمّ شَركةُ المذبح، مرتبطةً بخدمةِ الأسقف المقدّسةَ، يتجلّى رمزُ هذه المحبَّة و«وحدة الجسد السرّي التي لا سبيلَ إلى الخلاص بدونها». وهذه الجماعات، مهما كانت في الغالب صغيرةً، فقيرةً، أو مُشتّتةً، فإنَّ المسيحَ حاضرٌ فيها، وبقوّته تقوم الكنيسةُ واحدةً مقدسةً كاثوليكيّةً رسولية؛ لأن «الاشتِراك في جسد المسيح ودمه لا مَفعولَ له آخر إلاّ أن يحوّلنا إلى ما نتناولُه».

بيد أنَّ كُلَّ احتفالٍ شرعيٍّ بالإفخارستيّا إنَّما يُديرُه الأسقفُ الذي به أُنيطت مُهمةُ تقديمِ العبادةِ المسيحيّة إلى الجَلال الإلهي، وتنظِيمها بحسب وصايا الرب وقَوانينِ الكنيسة، ويُدخِل عليها، لأبرشيته، استنادًا إلى حِكمِه الخاص، الترتيباتِ اللاحقة.

ومن ثَمَّ فالأساقفة، بصلاتِهم وعملِهم لأجل شعبهم، يُنزلُون عليه بغزارةٍ وعلى وجوهٍ شتى، ما يَنبعُ من ملءِ قداسةِ المسيح: فبخدمةِ الكلمة يبثُّون في المُؤمنين، لأجل خلاصهم (روم ١ : ١٦)، قوةَ الله؛ وبالأسرار التي يُنظّمون بسُلطانِهم توزيعَها المنتَظِمَ المثمر يقدِّسون المُؤمنين. فينظِّمون منحَ العِماد الذي به يتمُّ الاشتراكُ في كهنوت المسيح المُلوكيّ؛ وهم خَدمَةُ التثبيتِ الأصيلون؛ وهم مانِحو سِرِّ الكهنوت المقدّس، والقَيِّمون على نِظامِ التَّوبة؛ ويجتهدون بغَيرةٍ، بالتحريض والتعليم، أن يشترك شعوبهم بإيمانٍ واحترامٍ في الليترجيّا، ولا سيَّما في ذبيحة القداس الإلهية. وعليهم أخيرًا أن يكونوا قدوةً مثمرةً للذين أُقيموا عليهم، وأن يساعدوهم على الامتِناع في سيرتهم عن كُلِّ ما هو شرّ، أو إصلاحِ سيرتِهم وسعَ طاقتهم وبعونِ الله في اتّجاه الخيرِ بحيثُ يتهيَّأ لهم، مع القطيعِ الذي أؤتمنوا عليه، بلوغُ الحياة الأبدية.

الأساقفة ووظيفة الحكم

٤١٥٢ – ٢٧ – ولمّا كان الأساقفة يرعون الكنائس الخاصّة كنوّاب ومنتدَبين للمسيح، فإنَّهم يتدبَّرون أَمرها بإرشاداتِهم وتشجيعاتهم ومُثُلِهم، ولكن بسُلطتِهم أيضًا، وبمُزاولةِ سُلطانهم المقدّس الذي لا يسوغ لهم استعمالُه إلاّ بقصدِ بنُيانِ رعيتِهم في الحقيقة والقداسة، ذاكرين أنَّ الأكبر عليه أن يكون كالأصغر، وأنَّ من يأمر عليه أن يكون كالعبد (لو ٢٢ : ٢٦ – ٢٧).

وهذا السلطانُ الذي يمارسونه شخصيًّا باسم المسيح هو سلطانٌ خاصّ، عاديٌّ، مباشرٌ، إلاّ أنّه خاضِعٌ، في مُمارستِه، للتنظيم الأخير الذي نظَّمته السُلطةُ الكنسيّةُ العليا؛ ويمكنُ هذه السُلطة أن تقيّده ببعض القيود بالنظر إلى فائدة الكنيسة أو المؤمنين. وللأساقفة بقوّةِ هذا السلطان الحقّ المقدّس، وعليهم الواجبُ أمام الله،

أن يسنُّوا القوانين لرعاياهم، وأن يُجروا الأحكام، وينظِّموا كُلَّ ما يتعلَّق بسير العبادة والرسالة.

ثُمَّ إنَّ المهمّةَ الراعويّة، أيّ الاهتمام العاديّ واليوميّ بنعاجِهم، قد أُنيطت بهم بتمامها؛ فلا يسوغ أن يُحسبُوا نوابًا للأحبار الرومانيين لأنهم يزاولون سلطانًا خاصًّا بهم، وهم، بكُلِّ حقٍّ، رؤساءُ شعوبهم التي يسوسُونها. فسُلطانهم إذن لا تغمره البتة السُلطة العليا الجامعة؛ بل هي، على خلافِ ذلك، ترسِّخُه وتعزِّزُه وتحمِيه، لأنَّ صِيغة الحكم التي أقرَّها المسيح الرب لكنيسته يكفلُها الروح القدس على غير زوال.

وعلى الأسقف، وقد أرسلَه ربُّ الأسرة لتدبير شؤونها، أن يجعل نُصبَ عينيه مثالَ الراعي الصالح الذي إنَّما جاءَ لا ليُخدَمَ بل لِيَخدُم (متّى ٢٠ :٢٨؛ مر ١٠ :٤٥)، ويبذُلَ نفسه عن نِعاجه (يو ١٠ :١١). وعليه، وقد أُخذ من بين الناس وهو متلبّس بالضعف، أن يكون حليمًا تُجاه أهل الجهل والضالين (عب ٥ :١ – ٢) ولا يستنكِفنَّ من الاصغاء إلى مرؤوسيه، محوّطاً إياهم كأبناءٍ حقيقيين، ومحرِّضاً إياهم على العمل معه بابتهاج. وإذ لا بدَّ له من أن يُؤدّي الحساب لله عن نفوسهم (عب ١٣ :١٧) فَلتنبسط عنايته عليهم بالصلاة والوعظ وجميع أعمال المحبّةِ، وكذلك على الذين ليسُوا بعدُ من القطيع الواحد الذين يجب أن يعدَّهم ممَّن اؤتمن عليهم في الرب. وبمَا أنَّه، كالرسول بولس، مديونٌ تجاهَ الجميع فَليُسارع أن يُبشِّر الجميع بالانجيل (روم ١ :١٤ – ١٥)، ويستحثَ جميع مؤمنيه على النَشاط في حقلي التبشير والرسالة، أمَّا المؤمنون فعليهم أن يرتبطُوا بأسقفهم كارتباط الكنيسة بيسوع المسيح، وارتباط يسوعَ المسيح بأبيه، لكي يلتئِمَ كُلُّ شيء في الوحدة ويكون ذا خصبٍ لمجد الله (٢ كور ٤ :١٥).

الكهنة في علاقاتهم بالمسيح والأساقفة والشعب المسيحي

٤١٥٣ – ٢٨ – إنَّ المسيح الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم (يو ١٠ :٣٦) قد جعل، بالرُسل، خلفاءَهم، أي الأساقفة، مشتركين في تكريسه ورسالتِه. ثمَّ إنَّ الأساقفة قد سلَّموا بعضاً من أعضاءِ الكنيسة، بوجهٍ شرعيٍ وتفاوتٍ في الدَرَجة، مهامَّ

خِدمتِهم. وهكذا توزَّعت ممارسةُ الخِدمةِ الكنسيّة، التي وضعها الله، على درجاتٍ متنوّعةٍ، بينَ من يسمُّونهم منذُ القديم أساقفةً وكهنةً وشمامسةً. والكهنةُ، على كونهم لا يملكون خدمةَ الحبريةِ العُليا ويخضعون للأساقفة في مُمارسةِ سُلطتهم، فإنّهم متحدون معهم في الكرامة الكهنوتية؛ وهم، بقوّةِ سِرّ الكهنوت، مكرَّسون، على صورةِ المسيح الكاهن الأعظم والأبدي (عب ٥: ١ - ١٠؛ ٧: ٢٤؛ ٩: ١١ - ٢٨)، ليبشروا بالانجيل، ويكونوا رُعاةً للمؤمنين، ويُقيمُوا الشعائر الدينيّة، كهنةً حقيقيين للعهدِ الجديد. وإذ يشتركون، على مُستواهم في الخدمةِ، في مُهمَّة الوسيط الواحد الذي هو المسيح (١ تيم ٢: ٥)، يبشرون الجميع بكَلمةِ الله. وإنّما يمارسون خدمتهم المقدّسةَ على الوجه الاكمل في العبادة (أو الجماعة) الافخارستيّة: فهناك إذ يعملون في شخص المسيح ويُعلِنون سرَّه، يجمعون طلباتِ المؤمنين إلى ذبيحةِ رأسهم، ويجعلون ذبيحةَ العهدِ الجديد الواحدة، ذبيحةَ المسيحِ مقرِّبًا نفسه لأبيه مرّةً واحدةً قربانًا لا عيب فيه (عب ٩: ١١ - ٢٨)، حاضرةً ومطبَّقةً في ذبيحةِ القداس إلى أن يأتيَ الرب (١ كور ١١: ٢٦). ويتممُون بصفةٍ ساميةٍ، لفائدةِ المؤمنين وصلواتِهم (عب ٥: ١ - ٤)؛ ويُمَارسون، بمَا لهم من سُلطةٍ، مهمةَ المسيح، الراعي والرأس، فيجمعون أُسرةَ الله أخويةً ليس لها سوى روحٍ واحدةٍ، ويقودُونها، بالمسيح في الروح، إلى الله الآب. وفي وسْطِ رعيّتِهم يُؤدونَ لله العبادةَ في الروحِ والحقّ (يو ٤: ٢٤)؛ وأخيرًا، يعانون النَصَب في خدمة الكلمة والتعليم (١ تيم ٥: ١٧)، مواظبين بالإيمان على شَريعةِ الرب التي يقرأونها ويتأملون فيها، معلِّمين ما يُؤمنون به، عاملين بمَا يعلِّمون.

٤١٥٤ - ولـمَّا كان الكهنةُ معاونين أهلَ فطنةٍ للدرجة الأسقفيةِ، وكانوا لها العون والأداة، وكانوا مدعوّين لخِدمة شعبِ الله، فإنّهم مع أسقفِهم يُؤلفون أُسرةً كهنوتيةً واحدة، متنوعةَ الوظائف. وفي كُلّ مكانٍ فيه جماعةٌ من المؤمنين، يَجعلون الأسقف حاضرًا، من بعض الوجوه، لارتِباطهم به بقَلبٍ واثقٍ وسخيٍ، آخذين على عاتِقهم نصيبَهم من مهامّه وعنايتِه، وعاملين بها في اهتمامهم اليوميّ بالمؤمنين. وإذ يقدّسون ويدبّرون، برئاسة الأسقف، القِسمَ الذي اؤتمنوا عليه من قطيع الرب، فإنّهم يُظهرون الكنيسة الجامعة في الأماكن التي هم فيها، ويُساهِمون

إسهامًا فعّالاً في بُنيانِ جسد المسيح كُلِّه (أف ٤ : ١٢). وعليهم، وهَمُّهم المستمرُ ما به الخيرُ لأبناء الله، أن يجنِّدوا غيرتَهم للمساهمة في عمل الأبرشية الراعوي كُلِّها، بل بالحري الكنيسة بأجمعها. وبناءً على اشتراكهم هذا في كهنوتِ أسقفِهم ورسالتِه يجب عليهم أن ينظُروا فيه أبًا لهم، وأن يُطيعُوه باحترام. وعلى الأسقف كذلك أن ينظرَ إلى الكهنة معاونيه نظرَةُ إلى ابناءٍ واصدقاءَ أسوةً بالمسيح الذي لم يدعُ تلاميذه عبيدًا بل أصدقاء (يو ١٥ : ٥). ومن ثمَّ فجميع الكهنة الأبرشيين والرهبان على السواء هم، بالدرجةِ والخدمة، مَوصُولُون بجسم الأساقفة، وهم، بحسب الدَعوة والنعمة، في خِدمة الخير للكنيسة كلِّها جمعاء.

ثمَّ إنَّ جميع الكهنة مُرتبطون في ما بينهم بأواصرِ اخوّةٍ صميمةٍ بفِعل الشركة في السيامة والرسالة. ويجب على هذه الأخوّة أن تتجلَّى، عفويًّا وبطَيِّب الخاطر، على وجهِ التعاون في ما بينهم روحيًا ومادّيًا، راعويًا وشخصيًا، من خِلال الاجتماعات والشَركة في الحياة والعمل والمحبة.

وعلى الكهنة أن يَعتنُوا، في المسيح، عِنايةً أبويَّةً بأولئك المؤمنين الذين وَلدُوهم روحيًّا بالمعمودية والتعليم (١ كور ٤ : ١٥؛ ١ بط ١ : ٢٣)؛ وعليهم، وقد جَعلوا أنفسهم مثالاً للقطيع (١ بط ٥ : ٣) أن يبذُلوا لجماعَاتِهم المحلّية الارشادَ والخِدمة بحيثُ تكونُ أهلاً لأن تتسمَّى بالاسم الذي يتميَّزُ به شعبُ الله الوحيد بكامله، أي كنيسة الله (١ كور ١ : ٢؛ ٢ كور ١ : ١ وسواه)؛ وَليذكُروا أنَّ عليهم أن يُظهرُوا بتصرّفاتِهم اليوميّة وعنايتِهم، للمؤمنين وغير المؤمنين، للكاثوليكيين وغير الكاثوليكيين، وجهَ خدمةٍ تكون حقًّا كهنوتيَّةً ورعائيَّةً، وأن يُؤدّوا للجميع شهادةَ الحقيقة والحياة، وأن يَسعوا أيضاً، شأنَ الرعاةِ الصالحين، وراءَ أولئك الذين، على كونِهم تعمَّدوا في الكنيسة، تخَلُّوا عن مُمارسةِ الأسرار بل عن الإيمان بعينه.

ولـمَّا كان الجنسُ البشريُّ ينزعُ اليوم، أكثرَ فأكثرَ، شطرَ الوحدة المدنية والاقتصادية والاجتماعية، كان على الكهنة الواجبُ الملحُّ، أكثرَ فأكثرَ، بأن يوحِّدوا مشاغِلَهم ووسائِلَهم، بقيادهِ الأساقفة والحبر الأعظم، للحؤول دون كُلِّ وجهٍ من وجوهِ التفرقة، ولِقيادةِ البشريَّةِ بأجمعها إلى وَحدةِ أُسرةِ الله.

الشمامسة

٤١٥٥ – ٢٩ – وفي الدرجةِ الدُنيا من دَرجاتِ السّلطة الشمامسةُ الذين سِيمُوا بوضع اليد «لا بقِصدِ الكهنوت بل بقصد الخِدمة». ذلك بأَنَّ نعمة السرّ تُؤتِيهم القوّة اللازمة ليخدُموا شعب الله، بالاشتراك مع الأسقف وكهنته، في خدمة الليترجيّا والكلمةِ والمحبةِ. وللشمَامِسَةِ، بحسب الترتيبات التي تُرتّبها السّلطة المختصَّةُ، أن يَمنحُوا المعموديةَ باحتفالٍ، وأن يحفظوا الافخارستيّا ويوزّعوها، وأن يَحضرُوا، باسم الكنيسة، عَقدَ الزواج ويباركوه، وأن يحمِلُوا للمحتضرين الزادَ الأخير، ويقرأوا للمؤمنين الكتاب المقدس، ويعلِّموا الشعب ويعظُوه، ويرئِسوا عباداتِ المؤمنين وصلواتِهم، ويكونوا خدّامًا لِشِبهِ الأسرار، ويرئِسوا طقوسَ الجنَّازِ والدفنِ. وَليتذكّروا، وقد كُرِّسُوا لأعمال البِرّ والتنظيم، وصيّةَ القديس بوليكربس: «بأن يكونوا رحماء، غيورين، وأن يسلكُوا بحسبِ حقيقة الرب الذي جعل نفسَه خادمًا للجميع».

ولمّا كان النِظامُ الساري اليوم في الكنيسة اللاتينية يجعلُ القيامَ بهذه الوظائف عسيرًا في مناطقَ عديدةٍ، على كَونِ هذه الوظائف ضروريةً جدًّا لحياةِ الكنيسة، يمكنُ بَعْثُ الشُموسيّة في المستقبل، من حيثُ هي درجةٌ خاصّةٌ ومستمرّةٌ من دَرجَاتِ السُّلطة. ومن صَلاحيَّات المجتَمعاتِ الأسقُفيّة المحلّيّةِ، على اختِلافِ صِيَغها، أن تقرّرَ، مع مُوافقةِ الحبر الأعظم، مُناسبةَ بَعثِ الشمامسة، من حيثُ المبدأ ومن حيثُ الأمكنة، بقصدِ الاهتمام بالنفوس. فإذا وافقَ الحبرُ الروماني على ذلك كان بالإمكان منحُ الشُموسيّةِ لرجالٍ ناضجين، حتى من المتزوّجين؛ ولشبَّانٍ أهلٍ للقيامِ بهذه الخِدمة، بيد أنّهم ملتزمون بسُنّة العزوبة.

الفصل الرابع: العِلْمانيّوُنَ

توطئة

٤١٥٦ – ٣٠ – وإنَّ المجمع المقدس، بعد ما حدَّدَ بدقّةٍ وظائفَ ذوي السُّلطةِ الكنسيَّة، يطيبُ له أن يتحوّلَ بالفكرِ إلى حالة المسيحيين الذين يتسَمَّون بالعلمانيين. فلئن

كان كُلُّ ما قيل في شعب الله يتعلَّقُ بالعلمانيينَ والرهبانِ والاكليروس على السواء، فان ثَمَّةَ عددًا من الأمور يختصُّ بالعلمانيّين، رِجالاً ونساءً، بحُكم حالتِهم ورسالتِهم، ممَّا تَدعو أحوالُ زمانِنا الخاصَّةَ إلى دراسةِ أُسسِه عن كَثب. وَيعلَمُ الرعاةُ الكنسيّونَ تَمامَ العلمِ مدى أَهميّةِ الإسهام من جانب العلمانيين في ما يعودُ بالخير على الكنيسة كُلِّها. وَيعلَمون أنَّهم، هم أنفُسهم، ما أقامهم المسيح لِيحمِلُوا وحدهم مجموعَ رسالةِ الكنيسة الخلاصية برمّتِه تجاهَ العالم: فقوامُ مهمّتِهم العظيمة أن يُدركوا كُنهَ رسالتِهم كرعاةٍ تجاهَ المؤمنين، وأن يعترفوا لهم بالخِدَم والنِعَم الخاصّةِ بهم، بحيثُ إنَّ الجميعَ يتعاونون، في الوَحدة وكلٌّ بطريقتِه، على العمل المُشترَكِ؛ إذ «علينا جميعًا، بمُمارَسَةِ المحبَّة الصَادقة، أن نَنموَ من كل وجهٍ باتّجاهِ ذاك الذي هو الرأس، المسيح الذي منه يَنالُ الجسدُ كُلُّه، بفعلِ جميع الالياف التي تغشاه، التنسيقَ والوَحدة؛ وَيحقّقُ، بالعملِ المحدَّدِ لكُلِّ من أعضائِه، نماءه الخاص لبُنيانِه في المحبّة» (أف ٤: ١٥ – ١٦).

مفهوم كلمة «علمانيّون»

٤١٥٧ – ٣١ – ويُفهَمُ هنا بمَن يُسمَّون علمانيين مجموعُ المسيحيين الذين ليسوا أعضاءً في الدَّرجاتِ المقدسة، ولا في الحالةِ الرهبانية التي أَقرّتها الكنيسة، أي المسيحيين الذين إذ انضمُّوا إلى جسد المسيح بالمعموديَّة، واندمجُوا في شعبِ الله، وجُعِلُوا شركاء، على طَريقتِهم، في وظيفةِ المسيح الكهنوتيَّة والنبويَّة والملوكيَّة، يُمَارسون، كلٌّ بمَا عليه، في الكنيسة وفي العالم، الرسالةَ التي هي رسالةُ الشعب المسيحي بأجمعه.

إنَّ الطَابعَ الخاصَّ الذي يتميّزُ به العلمانيُّون هو الطَابعُ العالمي. ذلك بأنَّ أعضاءَ الدَّرجات المقدّسة، وإن وُجدُوا أحيانًا يتعَاطَون الشؤون العالمية، بل يمتهنون مِهنةً زمنيّة، فإنّهم يلبثون، بحكم دعوتهم الخاصّةِ، موجَّهين أصلاً وبصراحةٍ للخدمةِ المقدسة؛ والرهبانُ أيضاً فإنّهم، بحُكم حالتِهم، يَشهدُون على العالم شَهادةً ساطعةً بإنّه لا قِبَل له بأن يتحوّلَ ويقرَّب للهِ بمعزلٍ عن روح التطويبات. وأمَّا العلمانيون فدعوتُهم الخاصّةُ بهم هيَ أن يطلُبوا ملكوتَ الله من خِلالِ إدارة

الشؤون الزمنيَّة التي يُنظِّمونها بحسبِ الله. إنهم يعيشون في وَسْط العالم، أي إنهم مرتبِطُون بمختلفِ مُوجبات العالمِ وأعمالِه كُلِّها، وبالأحوال المألوفةِ في الحياةِ العيليّةِ والمجتمعيّةِ التي كأنَّ وجودهم قد نُسج منها. ففي موضِعهم هذا دَعاهم الله ليعمَلوا، فِعلَ الخَميرِ من الداخل، على تقديسِ العالم بمُزاولةِ مَهامِّهم الخاصّةِ بهَدْي الروح الإنجيليّ، وليُعلِنوا المسيحَ للآخرين بشهادَةِ حياتِهم، قبل أيِّ شيءٍ آخر، تشعُّ إيمانًا ورجاءً ومحبّةً؛ فمَنُوطٌ بهم، بوجهٍ خاصٍّ، أن يُنيرُوا ويوجّهوا جميعَ الحقائق الزمنيّةِ التي يَرتبطُون بها ارتباطاً وثيقًا بحيثُ تُتَمَّمُ وتنمُو في اطّرادٍ بحسبِ المَسيح، وتكونُ لمجد الخالق الفادي.

كرامة العِلمانيّين أعضاء شعب الله

٤١٥٨ – ٣٢ – إنَّ الكنيسة المقدّسةَ منظَّمةٌ ومدبّرةٌ في تنوعٍ عجيب، وذلك من ذَاتِ تأسيسِها الإلهي: «فإنّه كما أنَّ لنا في الجسد الواحد أعضاءً كثيرةً وليس لجميع هذه الأعضاء وظيفةٌ واحدةٌ، كذلك نحن الكثيرينَ جسدٌ واحدٌ في المسيح إذ كُلُّنا أعضاءٌ بعضنا لبعض» (روم ١٢: ٤ – ٥).

فواحدٌ إذن شعبُ الله الذي اختاره هو: «فليس الا ربٌّ واحد، وإيمَانٌ واحد، ومعموديةٌ واحدة» (أف ٤: ٥). ومن ثمَّ فمشترَكةٌ كرامةُ الأعضاءِ بفِعل ميلادِهم الثاني في المسيح، ومشترَكةٌ نعمةُ التبنّي، ومشتركةٌ الدعوةُ إلى الكمال؛ فليس الا خلاصٌ واحد، ورجاءٌ واحد، ومحبَّةٌ واحدة لا تتجزّأ. فليس إذن، في المسيح وفي الكنيسة، أيُّ تفاوتٍ ينجُم عن العِرق، أو عن الأمَّةِ، عن الوضع الاجتماعيّ أو عن الجِنس، لأنه «ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكرٌ ولا انثى: فلستُم جميعُكم إلا واحدًا في المسيح يسوع» (غلا ٣: ٢٨ (يوناني)؛ كول ٣: ١١).

ولئن كان الجميع في الكنيسة لا يسلكونَ السبيلَ عينها فإنَّ الجميع، مع ذلك، مَدعُوّون إلى القَداسةِ، وقد نالوا إيمانًا يجعلُهم متساوين في برِّ الله (٢ بط ١: ١). وإن يكن البعضُ منهم قد أُقِيمُوا، بإرادةِ المسيح، مُعلِّمين، وخدَّامًا للأسرار، ورعاةً لأجلِ خير الآخرين، فإنَّ الجميع، مع ذلك، مُتساوُون حقًّا في الكرامة وفي

النَشاطِ المُشتَرَك بين جميع المؤمنين في بُنيان جسدِ المسيح؛ لأنَّ الفارقَ نفسَه الذي جَعلَه الربُّ بين الخَدَمة المُكرّسِين وسائرِ شعب الله يحتمل في ذاته الاتحاد بمَا أنَّ الرعاةَ وسائرَ المؤمنين مُرتبِطُون بعضُهم ببعض بِشَركة العلاقات: فرُعاةُ الكنيسة النَّاهِجُون على مِثالِ الرب هم في خِدمة بعضِهم بعضاً وفي خِدمةِ سائرِ المؤمنين؛ وهؤلاء، من جِهتِهم، يؤازرون الرعاةَ والمُعلِمين مؤازرةً سخية. وهكذا، ففي التَنوّعِ بالذات، يُؤدُّون كُلُّهم الشهادةَ للوَحدة العَجيبَة السائِدةِ في جسد المسيح: ذلك بإنَّ هذا التنوعَ بالذات في النِعَم والخِدَم والأعمال يُسْهِم في رَبطِ أبناءِ الله في كُلِّ واحدٍ، لأن «هذا كُلَّه إنَّما هو عملُ روحٍ واحدٍ بعينه» (١ كور ١٢: ١١).

فالعلمانيون إذن كما أنَّهم بفضلِ الله اخوةٌ للمسيح، وقد جاء لا ليُخْدَم بل ليَخْدُم (متى ٢٠: ٢٨) على كونه سيّد كل شيء، هم اخوةٌ أيضاً لأولئك الذين هم عَاكِفون على الخِدمةِ المقدسة، وهم في أسرةِ الله رعاةٌ يعلِمون ويقدِّسون ويُرشِدون بسُلطة المسيح لكي يتمِّمَ الجميعُ الوصيةَ الجديدة، وصيةَ المحبَّة. قال القديس اوغُسْطينوس في هذا الموضوع هذا القولَ الجميل جدًّا: «لئِن هَالَني ما أَنا لكم فما أنا معكم يطمئِنُني: فلكم، أنا أسقفٌ؛ ومعكم، أنا مسيحيٌّ: أسقفٌ، عنوانُ عِبء يُحملُ؛ مسيحيٌّ، اسمُ النعمةِ (تُقبَل): فالعنوانُ خَطِر، والاسمُ خلاصيّ».

الحياة بالنسبة إلى الخلاص والعمل الرسولي

٤١٥٩ - ٣٣ - إنَّ العلمانيّين، وقد جُمّعوا في شعب الله ويكوّنون جسد المسيح الواحد تحت رأسٍ واحد، لمَدعوُّون، أيًّا كانوا، للإسهام، كأعضاءٍ حيّةٍ، في نموّ الكنيسة وتقديسِها باستمرار، باذلين في هذا السبيل جميع القوى التي أصابُوها من فضل الخالقِ ونِعمة الفادي.

إنَّ رِسالةَ العلمانيين اشتراكٌ في رِسالةِ الكنيسة الخلاصيّة بالذات: فإلى هذه الرسالةِ هم كُلُّهم مدعوُّون من قِبَلِ الربِّ نفسِه بقوّةِ المعمودية والتثبيت. والأسرار، ولاسيَّمَا الافخارستيَّا المقدّسة، تُوليهم تلك المحبَّة تجاهَ الله وتجاهَ الناس، التي هي لكل رسالة بمنزلة الروح، وتغذّيها فيهم. والعلمانيُّون مدعوُّون بوجهٍ خاصٍ ليضمَنُوا

حضورَ الكنيسةِ وعمَلها في الأمكِنة والأَحوال التي لا يُمكنُها الا بهم أن تكونَ مِلحًا للأرض. ومن ثَمَّ فكُلُّ عِلمانيّ هو، بمَا أُوتي من المواهب، شاهدٌ واداةٌ حيّةٌ معًا لرسالة الكنيسة بالذات، «على مِقدَارِ مُوهبة المسيح» (أف ٤ :٧).

وإلى جانب هذه الرِسالةِ المَنوطة بجميع المسيحيين قد يُدعَى العلمانيون، بِوجوهٍ مختلفةٍ، إلى الإسهام في رِسالةِ السُّلطة الكنسية إسهامًا أدنى وأقرب، على غِرار أولئك الرجال والنساء الذين كانوا أعوانًا للرسُولِ بولس في الإنجيل، وكانوا، في الربِ، يَبذُلُون نشاطاً عظيمًا (في ٤ :٣؛ روم ١٦ :٣ وما بعده). وإنّهم، إلى ذلك، لهم في أنفُسِهم الطاقة لأن تَضمَّهم السُّلطةُ الكنسية إليها للقِيام ببعض الوظائف الكنسية ذات الغاية الروحيَّة.

فجميعُ العلمانيين إذن مُلتزمُون بهذا الواجب النبيل، وَاجبِ العملِ على أن تبلغَ مقاصدُ الله الخَلاصِيّة، أكثرَ فأكثرَ، جميعَ الناسِ في جميعِ الأزمنة وفي الأرض كُلِّها، فيجبُ إذن أن تُفتحَ لهم الطريقُ من كلِّ صَوبٍ لكَي يتهيَّأَ لهم، بحسبِ طاقاتِهم وحاجاتِ الأزمنة، أن يشتَركوا هم أيضاً، اشتراكًا ايجابيًّا، في عمل الخلاص الذي هو عملُ الكنيسة.

اشتراك العلمانيين في الكهنوت العام والعبادة

٤١٦٠ – ٣٤ – وإذ أراد المسيح يسوع، الكاهنُ الأعظمُ والأبديُّ، أن يواصلَ شهادتَه وخدمتَه بواسطة العلمانيين أيضاً فإنه يُؤتِيهم الحياةَ بروحِه، ويَحفِزهم إلى العمل بدون ما كَلال على تحقيقِ كُلِّ خيرٍ وكُلِّ كمال.

والذين يَضمُّهم إليه ضمًّا صميمًا في حياته وفي رِسالته يُولِيهم، فوقَ ذلك، نصيبًا في وظيفته الكهنوتية لِمُمارسةِ العبادة الروحية من أجلِ تمجيدِ الله وخلاص الناس. لذلك ينالُ العلمانيّون، بفعلِ تَكريسِهم للمسيح وَمَسحةِ الروحِ القدس، الدعوةَ العجيبةَ، والوسائلَ التي تُتيحُ للروح ان يُثمرَ فيهم ثمارًا متزايدةً على الدوام. ذلك بأنَّ جميعَ نشاطاتِهم وصلواتِهم ومشاريعِهم الرسولية وحياتِهم الزواجية والعيلية، وأعمالِهم اليومية، وتسلياتِهم العقلية والجسدية إذا هم عاشوها بروح الله، بل حتى مِحَن الحياة إذا تحمَّلوها بطولِ أناةٍ، كُلُّ هذا يستحيل «قرابينَ روحيةً مرضيَّةً لله

بيسوع المسيح» (١ بط ٢ : ٥)؛ وهذه القرابينُ تَنضَمُّ، في إقامة الافخارستيّا، إلى قُربان جسد الرب لتُرفَع بكُلِّ تقوى إلى الآب. على هذا النحو يُكرِّس العلمانيّون لله العالمَ بالذات، مُؤدّين لله في كل مكان، بقداسةِ سيرتهم، فعلَ عبادة.

اشتراك العلمانيين في وظيفة المسيح النبوية وفي الشهادة

٤١٦١ – ٣٥ – وإن المسيح، النبيَّ الأعظَم، الذي يُعلِنُ، بشَهادةِ حياتِه وقوّةِ كلمتِه، ملكوتَ الآب، يَقومُ بوظيفتِه النبوية إلى أن يتمَّ ملءُ تجلّي المجد، ليس بِواسطةِ السُّلطة الكنسية التي تعلِّمُ باسمه وبسُلطانِه فقط، بل بَواسطةِ العلمانيين أيضاً الذين يجعلُهم، من أجل ذلك نفسِه، شهودًا بمَا يوليهم من حاسَّةِ الإيمان و نِعمةِ الكلمة (أع ٢ : ١٧ – ١٨؛ رؤ ١٩ : ١٠) لكي تشعَّ في الحياة اليومية العيلية والمجتمعية قوّةُ الإنجيل. ويُظهرون أنفسَهم ابناءً للمَوعدِ عندما يستثمرون، وهم راسخون في الإيمان والرجاء، الوقتَ الحاضرَ (أف ٥ : ١٦؛ كول ٤ : ٥)، وينتظرون في ثباتٍ المجدَ الآتي. وهذا الرجاءُ لا يجوزُ لهم أن يواروه في سرّ قلوبهم بل أن يظهروه أيضاً من خلالِ مُركبّات الحياة الدنيا بجُهدٍ مُتّصلٍ من التحوّلِ، «بمُصارعتِهم سلطاتِ هذا العالم، عالمِ الظُّلمة، وارواحِ الشرّ» (أف ٦ : ١٢).

وكما أن أسرارَ الشَريعةِ الجديدة، حيثُ تَتغذّى حياةُ المؤمنين وعَملُهُم الرسولي، ترمزُ إلى السماء الجديدة والأرض الجديدة (رؤ ٢١ : ١)، كذلك العلمانيُّون يصيرون الدُعاةَ المقتدرين للإيمَان بمَا هو مرجوّ (عب ١١ : ١)، عندما يَجمعُون، بدونِ ما تردّدٍ، بين الحياة الحيّةِ بالإيمَان والاعترافِ بهذا الإيمان بعينِه. وإذ ذاك يتّسمُ هذا العملُ التبشيري، أي هذه الدعوة بالمسيح بشهادة السّيرةِ والكلمة، بطَابعٍ مميّزٍ وفعاليّةٍ خاصّةٍ، بكونه يُتمّمُ في أوضاعِ العالم المألوفة.

وفي نِطاق هذه الوظائف تَبرزُ قيمةُ تلك الحالةِ الساميةِ التي يُقدِّسُها سِرٌّ خاصٌّ، أي حياة الزواج والأسرة. فحقلُ العملِ والمدرسة المُثلى لرِسَالة العلمانيين هما هناك، في الأسرة، حيث يتغلغَلُ الدين المسيحي في نِظام الحياة كُلِّه وَيُحوّلُه كُلَّ يوم أكثرَ فأكثرَ؛ هناك يجدُ الزوجان دعوتَها الخاصّة: أن يكون كلّ منهما للآخر ولأولادِهما شاهدًا للإيمانِ ولمحبة المسيح. فالأسرةُ المسيحيةُ تُعلنُ عاليًا فضائلَ ملكوتِ الله

ورجاءَ الحياةِ السعيدة معًا. وهي، من ثمَّ، بمثالها، وبشهادتِها، دينونةٌ للعالم الخاطئ، ونورٌ للذين يلتمسون الحقيقة.

فيمكنُ العلمانيين، والحالةُ هذه، بل يجبُ عليهم أن يَعملُوا، وَسَطَ مشاغِلهم وهمومِهم الزمنية، عملاً مفيدًا جدًّا في سبيلِ تبشير العالم: إنَّ بعضَهم، بمَا لهم من وسائلَ، يَسدُّون، في بعض الخِدَم المقدسة، مسدَّ الخُدَّام المكرّسين إذا فُقدَ هؤلاء أو ضُربُوا بالعجز من جرّاءِ نِظامٍ مُضطَهد؛ وغيرهم، أكثر عددًا، يَبذُلون أنفسهم بكُلِّ قِواهم في العمل الرسولي؛ وإنَّما على الجميع واجبُ الإسهام في امتداد مملكةِ المسيح ونمائها في العالم. لذلك يجبُ على العلمانيين أن يسعوا بمعرفةِ الحقيقةِ المُنزلةِ معرفةً تتزايدُ على الدوام عمقًا، وأن يلتمسُوا من الله بالحاحٍ موهبةَ الحكمة.

اشتراك العلمانيين في الخدمة الملوكية

٤١٦٢ – ٣٦ – إنَّ المسيح الذي جعل نفسَه طائعًا حتى الموتِ فرفَعه الآبُ من أَجل ذلك بالذات (فيل ٢: ٨ – ٩)، قد دخل في مجدِ مُلكه؛ له أُخضعَ كلُّ شيء إلى أن يُخضع هو نفسُه مع الخليقة كُلِّها للآب لكي يكونَ الله كلاًّ في الكُلّ (١ كور ١٥: ٢٧ – ٢٨). وقد آتى تلاميذَه هذا السُلطانَ لكي يكونوا هم أيضاً مُقامِين في الحريَّةِ الملكيّة، فينتَزعوا، بكُفرهم بأنفسِهم وقَداسةِ حياتهم (روم ٦: ١٢)، سُلطانَ الخطيئة فيهم؛ بل ليتمكّنوا، بخِدمةِ المسيح في الآخرين أيضاً، من أن يَقودُوا إخوتهم، بالتَّواضُع والصبر، إلى الملك الذي خُدامُه أنفسهم مُلوك. ذلك بإنَّ الربَّ يُريد أن تمتدَّ مملكتُه بمساعَدة المؤمنين العلمانيين أيضاً: إنَّها مملكةُ حقيقةٍ وحياةٍ، مملكةُ قداسةٍ ونعمةٍ، مملكةُ عدالةٍ ومحبةٍ وسلام، مملكةٌ تُعتَقُ فيها الخليقةُ بالذات من عُبودِيّة الفَساد إلى حُريّةِ أبناءِ الله المجيدة (روم ٨: ٢١). إنَّ الوعدَ لعظيم حقًّا، وعظيمةٌ هي الوصيَّةُ التي أُعطيت للتلاميذ: «كُلّ شيءٍ هو لكم، وأمَّا أنتم فللمسيح، والمسيحُ لله» (١ كور ٣: ٢٣).

فعلى المؤمنين إذن أن يَكتنِهوا أَغوارَ طبيعةِ الخليقةِ كُلِّها، وقيمتَها، وغايتَها التي هي مجدُ الله، وعليهم، من خِلالِ أعمالهم الزمنيَّةِ أيضاً، أن يتعاونُوا في سبيلِ حياةٍ

أقدس، لكي يتشرّبَ العالمُ من روحِ المسيح، ويُدركَ، بفعاليةٍ أوفر، غايتَه في العدالةِ والمحبةِ والسلام. وللعلمانيين، في القيام بهذا الواجب، المحلُّ الاولُ؛ فعليهم إذن أن يجتهدوا بكُلِّ قواهم، بمَا لهم من كفايةٍ في الشؤونِ الزمنية وبنشاطاتِهم التي تَرفَعُها نعمةُ المسيح في الداخل، أن تُستثمرَ قِيَمُ الخليقة في مَصلحةِ جميعِ الناس على الاطلاق، على حسب مَقاصدِ الخالق ونورِ كلمته، بطَريقِ شُغل الإنسان والتقنيَّة والثقافة، وأن توزَّعَ هذه المكاسبُ بين الناس توزيعًا أفضل، وتُفضِي، بحسبِ طبيعتِها، إلى تقدّمٍ شاملٍ في طريقِ الحريّةِ الإنسانيّةِ والمسيحيّةِ. وهكذا من خِلال أعضاءِ الكنيسة، يُنير المسيحُ المجتمعَ الانسانيَّ بأَسرِه بنورِه الخلاصيّ.

وعلى العِلمانيّين، إلى ذلك، أن يَستَجْمعوا قِواهم ليُدخِلوا على المُؤسسات، وعلى أوضاعِ الحياةِ في العالم عندما تَستَهوي إلى الخطيئة، التطهيراتِ الملائمة، لكي تَتجاوَب كُلُّها مع سُنَن البرّ، وتُساعدَ على ممارسةِ الفضائِل بدلاً من أن تَكونَ عقبةً في طريقها. فبعملهم هذا يُشيعون القيمَ الروحيةَ في الثقافةِ والأعمال البشريّةِ. وإذ ذاك يُمسِي حقلُ العالم أوفرَ استعدادًا لقَبولِ زرعِ الكلَمةِ الإلهية، وأبوابُ الكنيسةِ أوسعَ انفتاحًا لِوُلُوج رسالةِ السلام في العالم.

وعلى المؤمنين، انسجامًا منهم مع تدبير الخلاص بالذات، أن يتعلّموا التَمييزَ بدقةٍ بين ما عليهم وما لهم من واجباتٍ وحقوقٍ كاعضاءٍ للكنيسة، وما لهم وما عليهم منها كأعضاءٍ للمجتمع الانساني، وَيجتَهدوا أن يوافِقوا بين هذه وتلك بتناغمٍ، ذاكرين أنَّ الضميرَ المسيحي هو دليلُهم في جميع الميادين الزمنيّة لانه ما من نَشاطٍ انسانيٍّ، وان زمنيًّا، يمكن عَزلُه عن سُلطان الله. وإنّه لضروريٌّ جدًّا، في ايّامنا هذه، أن يسطعَ بوضوحٍ، في طريقةِ تصرُّفِ المؤمنين، ذانك التميز والتناغم معًا، لكي تتمكنَ رسالةُ الكنيسة من التساوقِ التامّ مع أوضاعِ عالمِ اليوم الخاصة. فإنَّه كما أنَّه ينبغي الاعترافُ، للمدينة الأرضية المنصبَّةِ شرعًا على الهُمومِ الزمنية، بالحقّ على السير بحسب مبادئِها الخاصة، كذلك من الحقّ أيضاً نبذُ النظريّةِ الفاسِدة القائلة ببنيانِ المجتمع بدونِ أيّ تقديرٍ للدِّين، وتحارب حريّة المواطنين الدينيّة لإزالتها.

العلاقة بالسلطات الكنسية

٤١٦٣ – ٣٧ – إنَّ للعلمانيين، كما هو لجميعِ المسيحيين، الحقَّ على الرُعاةِ المكرَّسين بإن يوفِّروا لهم الوسائلَ النابعةَ من كنوزِ الكنيسة الروحية، ولا سيَّمَا مَدَد كلمةِ الله، والأسرار. ويحقُّ لهم أن يكاشِفوا هؤلاء الرُعاة أنفسَهم بحاجاتِهم وأمانيِهم، بملءِ الحريّةِ والثِقةِ اللتين تَليقان بأبناءِ الله، وإخوةٍ في المسيح. ولهم، بل عليهم في بعض الأحيان، بمِقدَارِ ما لهم من علمٍ واختصاصٍ ومكانة، أن يُبدوا رأيَهم في ما يتعلَّقُ بخير الكنيسة. ويجبُ أن يتمَّ ذلك، إذا ما دعتِ الحالُ، بواسطة المُؤَسساتِ التي أقامتها الكنيسة لهذا الغرض، وأن يكونَ دائمًا بصدقٍ وجرأةٍ وفطنةٍ مع الاحترام والمحبةِ الواجبين لأولئك الذين، بحكم مُهمَاتِهم المقدّسة، يقومُون مقامَ المسيح.

وعلى العلمانيّين، نظير جميعِ المؤمنين، أن يتقبّلوا، بالسُرعةِ التي تقتضِيها الطاعةُ المسيحية، ما يقرِّرُه الرُعاةُ المرسومون، مُمثِلو المسيح، بقُوةِ سُلطانهم التعليمي وسُلطتِهم في الكنيسة: فإنهم في ذلك يقتدون بالمسيح الذي إذ أَطاعَ حتى الموت شقَّ الطريقَ السعيد، طريقَ حُريةِ أبناءِ الله. ولا يفُوتنَّهم أن يذكروا في صلواتِهم إلى الله رؤساءَهم الذين «يسهرُون على نفوسِنا سهَرَ من سيُحاسَب، لكي يَفعلُوا ذلك بفرحٍ لا بكَرب» (عب ١٣: ١٧).

وعلى الرّعاةِ، من جهتِهم، أن يعترفوا للعِلمانيّين بالكرامةِ والمسؤُوليةِ في الكنيسة، وأن يعزِّزُوهما؛ وأن يَلجأوا بطَيّبِ الرضى إلى فِطنةِ مشوراتِهم، مُنيطِين بهم بثقةٍ المهامَّ في خِدمةِ الكنيسة، تاركين لهم الحُريةَ ومتَّسعًا من العمل، بل حافزين فيهم الجُرأةَ إلى الاضطلاع بالمبادَرات من ذاتِ أنفسهم. وَلينظُروا بعينِ الانتباه والتقديرِ في المسيح إلى المُحاولاتِ والأماني والرَغَباتِ التي يَعرِضُها العلمانيون، وليحترِمُوا ويعترِفُوا لهم بالحُريّةِ الصوابيّة التي هي من حقّ الجميع في المدينة الارضيّة.

ومن هذه العِلاقات المتآلفةِ بين العلمانيين والرعاة يُنتظَرُ للكنيسة جمٌّ من الفوائد: فبذلك تَتوطَّدُ عندَ العلمانيين حاسّةُ مسؤُولياتِهم الخاصّة، ويتغذّى نشاطُهم، وتَترافَدُ قِواهم بيُسرٍ أوفرَ مع عمل الرُعاة. ويتسنَّى لهؤلاءِ بمؤازرةِ خِبرةِ العلمانيين،

أن يَحكُموا، بتمييزٍ أكثر ودقةٍ أبلغ، في الشؤون الروحيّةِ والشُّؤونِ الزمنيّةِ، فتَتمكنُ الكنيسةُ كلُّها، معزّزةً بجميعِ أعضائِها، من أن تؤدّي رسالتَها بفعاليةٍ أوفر لأجل حياةِ العالم.

خاتمة

٤١٦٤ – ٣٨ – فيجبُ على كُلّ واحدٍ من العلمانيّين أن يكونَ قُدّامَ العالم شاهدًا لقيامة حياةِ الربّ يسوع وآيةَ اللهِ الحيّ. وعليهم كُلِّهم معًا، وعلى كُلٍّ منهم، أن يَقُوتُوا العالم بالثمارِ الروحيّةِ (غلا ٥ :٢٢)، ويُفيضُوا عليه ذلك الروح الذي يُنعشُ الفقراء والودعاء وأهلَ السلام الذين يُطوّبهم الربُّ في الإنجيل (متى ٥ :٣ – ٩). وقصارى القول انّه «يجبُ على المسيحيين أن يكونوا في العالمِ ما هو الروحُ في الجسد».

الفصل الخامس: الدّعوةُ العَامّةُ إلى القداسة في الكنيسةِ

توطئة

٤١٦٥ – ٣٩ – إنَّ الكنيسةَ التي يُفسِّرُ المجمع المقدّسُ سِرَّها هي، في نظر الإيمان، مقدّسةٌ على الزمن. ذلك بإنَّ المسيح، ابنَ الله، الذي هو مع الآبِ والروحِ «وحدَه القدوس»، قد أحبَّ الكنيسة كعروسٍ له، وأسلمَ نفسَه لأجلِها ليقدِّسَها (أف ٥ :٢٥ – ٢٦)، واتّحدَ بها جَسدًا له، وغَمَرها بموهبةِ الروحِ القدسِ لمجدِ الله. ومن ثمَّ فالجميع في الكنيسة، سواءٌ كانوا من ذوي السُلطةِ أم كانوا من الخاضعين لهم، مدعوُّون إلى القَداسةِ على حدِّ قول الرسول: «أجل، إنَّ ما يُريدُه الله إنّما هو تَقديسُكم» (١ تسا ٤ :٣؛ أف ١ :٤). وقداسةُ الكنيسة هذه تَتجلّى على الدوام، ويجبُ أن تَتجلّى، بثِمارِ النعمةِ التي يُنتجُها الروح في المؤمنين. إنّها تظهرُ بوجوهٍ شتى في كُلّ واحدٍ ممَّن يَصبُون إلى المَحبَّةِ الكاملةِ في نَهجِ حياتِهم الخاصّ، ويَبنون الآخرين؛ وتَتجلّى بوجهٍ مميّزٍ في مُمارسةِ المشورات التي أَلِفوا نعتَها بالانجيلية. وهذه المُمارسة للمشورات التي يَنتهجُها، بدافعِ الروح القدس، عددٌ

كبيرٌ من المسيحيين، إمَّا بفعلٍ فرديٍّ، وإمَّا في وضعٍ أو حالةٍ تقرُّهما الكنيسة، تُدخلُ على العالم، ويجبُ أن تُدخلَ عليه، شهادة نيّرة لهذه القداسة، وغزارًا لها.

الدعوة العامة إلى القداسة

٤١٦٦ – ٤٠ – إن الربَّ يسوع، المعلّمَ الإلهي ومِثَالَ كُلِّ كمالٍ، قد علّمَ جميعَ تلاميذِه وكلَّ واحدٍ منهم، أيًّا كانت حالُهم، قَداسةَ الحياة هذه التي هو بادئِها ومتَمّمُها: «كونوا إذن كاملين كما أنَّ أباكم السماوي هو كامل» (متى ٥:٤٨). فقد ارسلَ رُوحَه إلى الجميع لكي يُعِدَّهم في الباطن لأن يُحبّوا الله بكُلِّ قلوبهم، وكُلِّ نفوسِهم، وكُلِّ اذهانِهم، وكُلِّ قواهم (مر ١٢: ٣٠)؛ ويُحبّوا أيضاً بعضُهم بعضاً كما أحبّهم المسيح (يو ١٣: ٣٤؛ ١٥: ١٢). فتلاميذُ المسيح، وقد دَعاهم الله لا من أجلِ أعمالِهم بل بتدبيرِ مجّاني، وتبرَّروا في يسوع ربّنا، قد اصبحُوا حقًّا بمعموديةِ الإيمان أبناءً لله، وشركاءَ في الطبيعة الإلهيّةِ، وبالتالي قدّيسينَ حقًّا. فَعليهم إذن أن يُحافِظوا، بنعمةِ الله، على هذه القَداسةِ التي نالوها، وأن يكمّلُوها بحياتِهم. ويُوصِيهم الرسول بأن «يعيشُوا كما يليقُ بالقديسين» (أف ٥:٣)، وأن يَلبسُوا، «كمختارينَ من الله قِدّيسِن أحبَّاءَ، أحشاءَ الرّحمةِ واللطفِ والتَواضعِ والوَداعةِ وطُولِ الأناة» (كول ٣:١٢)، مُثمِرينَ ثِمَارَ الروحِ لتَقدِيسهم (غلا ٥: ٢٢؛ رو ٦: ٢٢). ولكن لمّا كنّا كُلُّنا نزلُّ في أمورٍ كثيرة (يع ٣: ٢)، فإنّا نفتَقِر دائمًا إلى رحمةِ الله، ونضطرُّ كُلَّ يومٍ أن نردّدَ في صلاتنا: «إغفر لنا خطايانا» (متى ٦: ١٢).

فواضحٌ إذن للجميع أنَّ الدعوةَ إلى ملءِ الحياة المسيحية وكمالِ المحبّة، موجّهةٌ إلى جميع المؤمنين بالمسيح أيًا كانت حالُهم وكان نهجُ حياتِهم. وإنَّ هذه القداسة تُسهم، حتى في المُجتمع الارضيّ بالذات، في ان تزيدَ أوضاعَ الوجودِ إنسانيَّةً. فعلى المؤمنين أن يسعَوا بكلِّ قِواهم، بمِقدارِ مَوهبةِ المسيح، للحُصُولِ على هذا الكمال، حتى إذا ما تَرسَّمُوا خطواتِه، ونَهجُوا على غِراره، ونَفّذُوا في كُلِّ شيءٍ مشيئةَ الله، يَقِفُون ذواتِهم، بكُلِّ نُفوسِهم، على مَجدِ الله وخدمةِ القريب. وهكذا تتفتّقُ قَداسةُ شعبِ الله عن ثمارٍ وافرةٍ، كما يشهدُ بذلك بوجهٍ ساطعٍ تاريخُ الكنيسة من خِلال سِيرةِ القديسين.

الفصل السادس: الرُّهْبانُ

كمال المشورات الانجيلية في الكنيسة

٤١٦٧ – ٤٣ – إنَّ المشوراتِ الانجيلية في العِفّةِ المَنذُورةِ لله والفَقرِ والطاعةِ، الراسيةَ على أقوال الربّ ومُثُلِه، المدعومةَ بتوصيةِ الرسُلِ وآباءِ الكنيسة ورُعاتِها ومعَلِّميها، إنَّما هي موهبةٌ إلهيةٌ تَسلَّمتها الكنيسة من الربِّ وتحافظُ عليها بأَمانةٍ بقوّةِ نعمته. وعُنيت سُلطةُ الكنيسة هي نفسُها، بهدي الروح القدس، أن تفسرَها وتنظِّمَ ممارستَها، منشئةً على أساس هذه المشورات أنماطَ حياةٍ ثابتة. وهكذا كمِثلِ شجرةٍ تتفرّعُ أغصانها تفرّعًا عجيبًا متكاثرًا في حَقلِ الرب، ابتداءً من نَواةٍ زرعها الله، وُلِدَت وَنَمت صيغٌ شتى للحياةِ التوحُّدية أو المُشتَركة، أُسرٌ مختلفةٌ رأسُ مالِها الروحيّ يعودُ بالفائدة، في آنٍ واحدٍ، على أعضاءِ هذه الجماعاتِ وعلى جَسدِ المسيح كُلِّه. وتَكفُلُ هذه الجماعاتُ لأعضائها الوسائلَ اللازمةَ لثباتٍ أرسخَ في نَمطِهم الحياتي، ومعرفةٍ ممحَّصةٍ لبُلوغِ الكمال، وشركةٍ اخويةٍ في الصراع لأجل المسيح، وحريّةٍ محصَّنةٍ بالطاعةِ تمكّنُهم من مُمارسةِ نذورهم بأمنٍ، والحفاظِ عليها بأمانةٍ، متقدّمين بفرحٍ روحي في طريقِ المحبّة.

بيد أنَّ هذه الحالَة الحياتية لا تحتلُ، في تَصميم تَكوينِ الكنيسةِ الإلهيّ والرئاسيّ، محلاً وسطاً بين حالتَي الاكليريكي والعِلماني: فالله يَدعُو بعضَ المؤمنين بالمسيح من كلِتَا الحالتين لينعمُوا، في حياةِ الكنيسة، بهذه الموهبةِ الخاصّةِ، ويَخدُموا، كلٌّ على طريقتِه، رسالةَ الكنيسةِ الخلاصيّةِ...

الفصل السابع: طابع كنيسَة الأرض الأسخطولوجيّ واتحادُها بكنيسة السَّماء

٤١٦٨ – ٤٨ – إنَّ الكنيسةَ التي دُعينَا إليها جميعًا في المسيح، وفيها نَحصلُ على القَداسة بنعمةِ الله، لن تبلغَ تمامَها الاَّ في المجدِ السماوي عندما يحينُ الأَوانُ الذي يتجدَّدُ فيه كُلُّ شيء (أع ٣: ١)، وعندَما الكونُ بأسرِه، المرتبِطُ بالإنسان ارتباطاً صميمًا وبه يُدرك مصيرَه، يجدُ مع الجنسِ البشريِّ، في المسيح، كَماله النهائي (أف ١: ١٠؛ كول ١: ٢٠؛ ٢ بط ٣: ١٠ – ١٣).

فالمسيح إذ ارتفعَ عن الأرضِ جذبَ إليه جميعَ الناس (يو ١٢ : ٣٢ يوناني)، وإذ نهضَ من بين الأموات (روم ٦ : ٩) أرسلَ رُوحَه المُحيي على الرُسلِ، وجَعلَ به جَسَده، الذي هو الكنيسة، سرًّا جامعًا للخلاص؛ وإذ جلسَ عن يمينِ الآب يستمرُّ على عَملِه في العالم ليقُودَ الناس إلى الكنيسة، ويُتحدَهم به بواسطتِها اتحادًا أوثق، ويُشركهم في حياتِه المجيدة ببذلِه لهم جَسدَه ودَمه غذاءً. وإنَّ الحالةَ الجديدةَ التي وُعدنا بها ونَرتجيها قد وَجَدت في المسيح بدَايَتَها، وبارسالِ الروح القدس انطلاقَها، وتستمرُّ به في الكنيسة حيثُ يُعلّمنا الإيمانُ مَعنى حياتِنا الزمنيّة نفسِها، ما دُمنا، على رَجاءِ الخيراتِ الآتية، نعملُ على إنجازِ المُهمةِ التي أناطَها الآب بنا، ونتدبَّرُ هكذا أمرَ خلاصنا (فيل ٢ : ١٢).

فالأزمنةُ الأخيرةُ إذن قد أَتت بالنسبَة إلينا (١ كور ١٠ : ١١)؛ وتجديدُ العالم قد حصل على غيرِ تراجعٍ، ووقعَ، بكلٍ حقيقةٍ، في الأيام الحاضرة: ذلك بإنَّ الكنيسةَ مزدانةٌ الآن على الأرض بقداسةٍ حقيقةٍ وإن غيرَ كاملةٍ. بيد أنَّها، إلى أن تتحقَّقَ السماواتُ الجديدةُ والأرض الجديدةُ حيثُ يسكنُ البرُّ (٢ بط ٣ : ١٣)، تحملُ إبَّان رحلتِها، في أسرارها ومُؤسساتها المرتبطةِ بهذا الزمن، صورةَ الدَّهرِ الزائل؛ وتعيشُ هي نفسُها وَسط الخَلائِق التي لا تَنِي تئنُّ الآن في أوجاعِ المخاضِ، وتنتظرُ تجلِّيَ أبناءِ الله (روم ٨ : ١٢ و١٩).

فنحن إذن، باتحادِنا بالمسيح في الكنيسة، وباتِّسامِنا بِوسْمِ الروح القدس الذي هو «عربونُ مِيراثنا» (أف ١ : ٤)، نُدعَى أبناءَ اللهِ بكُلِّ حقّ، بل نحنُ كذلِك (١ يو ٣ : ١). وإنَّمَا لم يحنِ الأوان بعدُ الذي سنَظهرُ فيه مع المسيح في المجد (كول ٣ : ٤)، وقد صِرنا مُشابهين لله لأنَّنَا سنشَاهِده كما هو (١ يو ٣ : ٢)؛ لذلك «ما دُمنا مُستوطِنين في هذا الجسد نظلُّ في المَنفى بعيدًا عن الرب» (٢ كور ٥ : ٦)؛ وإذ نَملكُ بواكيرَ الروح فاننا نَئِنُّ في الباطن (روم ٨ : ٢٣)، ويشوقنا أن نكونَ مع المسيح (فيل ١ : ٢٣). وإنَّ المحبةَ عينَها تستحثُّنا على أن نَحيَا له هو الذي مات لأجلِنا وقامَ حيًّا (٢ كور ٥ : ١٥). فَلنحرص إذن على إرضاءِ الربِّ في كُلِّ شيء (٢ كور ٥ : ٩)، ونَتدرّعْ بسلاحِ الله لكي نَقوى على مُقاومةِ إبليس ونَثبتَ في اليوم العصيب (أف ٦ : ١١ — ١٣). وإذ نَجهَلُ اليومَ والساعةَ ينبغي، عملاً بَوصيّةِ

الرب، أن نظلَّ دومًا مُتيقِظين لكي يُتاحَ لنا، إذا ما انسلخَ مجرى حياتِنا الأرضيّةِ على غيرِ رَجعة (عب ٩: ٢٧) أن نُقبَل معه في العُرس، فنكونَ في عِدادِ مبارَكي الله (متى ٢٥: ٣١ – ٤٦) لا كالعبيدِ الأشرارِ الكَسُولين (متى ٢٥: ٢٦) المفصُولين عن الله للنارِ الأبديةِ (متى ٢٥: ٤١) والظُّلمَةِ التي في الخارج «حيثُ يكونُ البكاءُ وصريفُ الاسنان» (متى ٢٢: ١٣؛ ٢٥: ٣٠). ذلك أنَّنا، قبل أن نَملكَ مع المسيحِ الممجَّدِ، سنُظهر جميعًا «لدى محكمة المسيح ليُجازى كلٌّ بما فعل يوم كان لا يزال في الجسد، خيرًا كان أم شرًّا» (٢ كور ٥: ١٠)؛ وفي اليوم الآخِر «يُبعث الناسُ من القبور: فالذين عمِلوا الخيرَ فإلى قِيامةِ الحياة، والذين عَمِلوا الشرَّ فإلى قِيَامَةِ الدينونة» (يو ٥: ٢٩؛ متى ٢٥: ٤٦). لذلك لما كانت «آلامُ هذا الدهرِ لا تُقاسُ بالمجد الذي سيتجَلّى فينا» (روم ٨: ١٨؛ ٢ تي ٢: ١١ – ١٢) فإنَّنا ننتظرُ، أقوياءَ في الإيمان، «الرجاءَ السعيدَ وتجلِّي مجدِ إلهِنا ومخلِصنا العظيم يسوعَ المسيح (تيط ٢: ١٣)، الذي «سيحوّلُ جسدَنا المتلبّسَ بالهوان جسدًا شبيهًا بجسدِه الملتحفِ بالمجد» (فيل ٣: ٢١)، و«يأتي ليتمجّدَ في قديسيه، ويَظهرَ عجيبًا في جميع الذين آمنوا» (٢ تسا ١: ١٠).

الشّركة بين كنيسة السّماء وكنيسة الأرض

٤١٦٩ – ٤٩ – وهكذا، ففي انتِظَار مجيءِ الربِّ في جَلالِه وموكبِ الملائِكةِ جميعًا (متى ٢٥: ٣١)، ويكونُ الموتُ قد مات وكُلُّ شيءٍ قد أُخضِعَ للربِّ (١ كور ١٥: ٢٦ – ٢٧)، يُواصلُ بعضٌ من تلاميذِه رِحْلتَهم على الأرض؛ ويكونُ بعضُهم، وقد أدرَكَهُم الموت، يتطهَّرون؛ ويكونُ بعضُهم في المجد «يشاهدُون الله الواحدَ الأحدَ المثلَّثَ الأقانيم، كما هو، في كَمالِ النور». وإنَّمَا كُلُّنا جميعًا نَشتَرِك، على درجاتٍ وأنماطٍ مختلفة، في المحبّةِ الواحدةِ لله والقريبِ، مُرنِّمين لإلهنا بنشيدِ المجدِ الواحد. ذلك بأنَّ جميعَ الذين هم للمسيح واستولى عليهم روحُه، يُؤلِّفون كنيسةً واحدةً، ويتماسَكُون بعضُهم مع بعضٍ ككُلٍّ في المسيح (أف ٤: ١٦). ومن ثَمَّ فالاتحادُ بين الذين لا ينفكُّون على الأرض وإخوتِهم الذين رَقدوا في سَلامِ المسيح لا يَغشاهُ أيُّ انفصام؛ وإنَّمَا الأمرُ على خلافِ ذلك، فإنَّ هذا الاتحادَ، بحسب إيمان

الكنيسة الثابت يوثّقهُ تبادلُ الخيراتِ الروحيّةِ: فَسُكانُ السماءِ إذ يرتَبِطون بالمسيح ارتباطاً في الصميم أوثقَ، يُسهمون في تَوطيدِ الكنيسة في القداسة، وَيزيدُون في كَرامةِ العِبادة التي تؤدّيها لله على الأرض، ويساعدُونها بُوجوهٍ مختلفةٍ على أن توسّعَ نِطاقَ بنيانها (١ كور ١٢: ١٢ – ٢٧). ذلك بأنّهم إذا استوطَنُوا عندَ الرب (٢ كور ٥: ٨) لا يَكفّون، بهِ ومَعَه وفِيه، عن الشَفاعةِ فينا لدى الآب، مُقرّبين ثَوابَهم الذي استحقّوه على الأرض بالوسِيط الوحيدِ بين اللهِ والناس، المسيح يسوع (١ تيم ٢: ٥)، خادمين الربّ في كُلِّ شيء، ومكمّلينَ في اجسادِهم ما ينقصُ آلامَ المسيح لأجلِ جسده الذي هو الكنيسة (كول ١: ٢٤). فاهتِمَامُهُم الأخويّ إذَن هو لضُعفِنا عونٌ عظيم.

علاقات كنيسة الأرض بكنيسة السماء

٤١٧٠ – ٥٠ – والكنيسة إذ تعترفُ بهذه الشَركة القائمةِ في داخلِ جسد يسوع المسيح كُلِّه، فإنَّها، بأعضائِها الذين لا يَنُون في الطريق على الأرض، قد حَوَّطت ذكرَ الأموات، مُنذُ الأزمنةِ المسيحيَّةِ الأولى، بكثيرٍ من التَقوى، إذ قرَّبت أيضاً لأجلِهم قرابينَ العَبادة، لأنَّ «فكرةَ الصَلاةِ لأجلِ الأموات ليُحلُّوا من خطاياهم، فكرةٌ مقدسةٌ تقويّة» (٢ مك ١٢: ٤٥). وأمَّا رسلُ المسيح وشهداؤه الذين شهِدوا للإيمان والمحبَّةِ الشهادَةَ العُظمى بسفكِ دمائِهم، فالكنيسةُ قد اعتَقَدت على الدوام بأنَّهم، في المسيح، أوثقُ اتحادًا بنا: فشمِلتهم، مع العذراءِ مريمَ والملائكة القديسين، بإكرامٍ خاصٍّ، ملتمسةً بتقوى عونَ شفاعتِهم. وإلى هؤلاء سرعانَ ما اجتمعَ آخرونَ كانوا قد اختارُوا الاقتداءَ، إلى أقربِ حدٍّ، ببَتُولِيَّة المسيح وَفقره؛ وآخرون أخيرًا قد أَمسَوا، بممارستِهم الفضائلَ المسيحية ممارسةً ساطعةً وبمَا آتاهم الله من النِعَمِ المُمتازةِ، موضعَ اكرامٍ وقدوةٍ للمؤمنين بالمسيح يسوع.

فلا جَرمَ أنَّ التأملَ في حياةِ أناسٍ تَبعُوا المسيح بأمانةٍ هو حافزٌ جديدٌ في طلبِ المدينة الآتية (عب ١٣: ١٤ و ١١: ١٠)؛ ونتعلَّمُ به أيضاً معرفةَ الطَريقِ التي

نتمكنُ بها، وَسط تَقلُّباتِ العالم ووفقًا لحالةِ كُلِّ واحدٍ ووَضعِه الخاصّ، من بُلوغِ الاتحادِ التامَّ بالمسيح، أي القداسة. ففي حياةِ أتراب لنا في الانسانيةِ وقد تحوَّلُوا إلى صورةِ المسيح تحوُّلاً أكمل (٢ كور٣: ١٨)، يُظهر اللهُ للناسِ في ضياءٍ ساطعٍ سِرَّ حُضورِه وَوجهَه. وبهم يكلِّمُنا الله نفسُه، ويرينا آيةً لملكوتِه، ويجتذِبُنا إليه بشدّةٍ بقوَّةِ تلك السَحابةِ من الشُهود التي تحيقُ بنا (عب ١٢: ١)، وبقوةِ البيّنَةِ التي تشهدُ لحقيقةِ الإنجيل.

بيد أنّنا لا نكرّمُ ذِكرَ سُكَّانِ السماءِ لمجرَّدِ مِثالِهم لا غيرُ؛ وإنّما نَنْشُدُ من وراءِ ذلك توثيقَ عُرى الاتحادِ في الروحِ للكنيسةِ كُلِّها جمعاء (أف ٤: ١ – ٦)، بمُمارسةِ المحبّةِ الأخويّة. فإنّه كما أَنَّ الشرَكة بين المسيحيين على الأرض تُدنينَا قريبًا إلى المَسيح، كذلك اشتراكُنا مع القِدّيسين يربطُنا بالمسيح الذي منه تفيضُ كلُّ نعمةٍ، وحياةُ شعب الله بالذات، كما من نَبعِها ورأسِها. فمن اللائق كُلَّ اللياقةِ إذن أن نُحبَّ أحباءَ يسوع المسيح هؤلاء وشركاءَه في الميراث، الذين هم اخوتُنا أيضاً وذَوو الأيادي البيضِ علينا، وأن نشكرَ الله لأجلِهم الشُكرَ الواجبَ لهم، وأن «نبتهلَ إليهم بحرارةٍ، مستجيرين بصَلواتِهم ومؤازرتِهم وأَيدِهم لنَنالَ من الله، بابنه يسوع المسيح، فادِينا ومخلصِنا الوحيد، النعمَ التي نحنُ بحاجةٍ إليها». فإنَّ كُلَّ شهادةِ حُبِّ صادقة نُبديها لسُكّانِ السماء تنفذُ من ذاتِ طَبيعتِها إلى من هو غايتُها، إلى المسيح «اكليلِ جميع القديسين»، وبه إلى الآب الذي هو عجيبٌ في قِدّيسيه، وبهم يتمجّد.

واتحادُنا بكَنيسةِ السماء يتمُّ على أسمى وجهٍ في الليترجيّا المقدّسةِ خصوصاً: ففيها تعملُ قوّةُ الروح القدس فينا بالعَلامَات السرّيّةِ؛ وفيها نُشيدُ، في فرح مشتركٍ، بحمدِ الجَلال الإلهي. وكُلُّنا، وقد اشتُرِينا بدمِ المسيح، من كُلِّ قبيلةٍ وكُلِّ لسانٍ، وكُلِّ شعبٍ أو أمّةٍ (رؤ ٥: ٩)، نمجّدُ، مُجتمعين في الكنيسة الوَاحِدة، اللهَ الواحدَ في ثلاثةِ أقانيم، بنشيدِ حمدٍ واحد. ولا جَرمَ أنَّ الوسيلةَ المثلى لاتّحادنا في عبادةِ كنيسةِ السماء هي إقامةُ الذبيحةِ الافخارستية إذ «نكرمُ، مُتّحِدين في الشَركة

الواحدة، ذكرَ مريمَ المَجيدَةِ والبتولَ على الدوام، ثم القِدّيس يوسف، والرُسلِ والشُهداءِ وجميعِ القدّيسين.

توجيهات رعائية

٤١٧١ – ٥١ – إنَّ الإيمان الخَليقَ بالاحترام، إيمَانَ آبائِنا بشرَكة الحياةِ بيننا وبين إخوتنا الذين قد بلغوا المجدَ السماوي أو لم يزالُوا في مرحلةِ التَطهير بعد الموت، يتلقّاهُ المجمع المقدّس ببَالغِ التقوى، ويُعلنُ ثانيةً قراراتِ المجامع المقدّسة: مَجمعِ نيقـية الثاني، ومجمعِ فلورنسة، والمجمع التريدنتي. وفي اهتمامِه الرَعائي يستحثُّ أيضاً جميعَ المسؤولين على أن يُعالِجُوا بغيرةٍ كُلَّ انحرافٍ أو تَطَرّفٍ أو نقصانٍ تَسرَّبَ هنا أو هناك، بإزالةِ الإخلالِ أو إصلاحِه، وإعادَة كُلِّ شيءٍ إلى نِصابه بحيثُ يتمجَّدُ الله والمسيحُ بوجهٍ أكمل. وَليُعلِّمُوا المؤمنين أنَّ التكريم الصحيحَ للقدّيسين لا يَقومُ على الاكثَارِ من الأفعال الظَاهرةِ بِقَدر ما يقومُ، بالحِريّ، على مُمارسة الحبِّ المُضطرم الفعَّال، وعلى العمل، في سبيل الخير لنا وللكنيسة، على «الاتّصالِ بالقدّيسين للاقتِداءِ بسيرتِهم، والاتّحادِ بهم للاشتراك في مَصيرِهم والحُصولِ على عَونِ شفاعتهم». وَليوضِحُوا أيضاً للمؤمنين أنَّ علاقاتِنا بسُكانِ السماء إذا ما فهمنَاها على ضَوءِ الإيمان الكامل، لا تَنتَقِصُ شيئًا من العِبادة لله الآب بالابن في الروحِ القدس، بل تَزيدُها غنًى وسخاءً.

ذلك بأنّنا، عندما تَجعلُنا المحبةُ المتَبادلةُ والاجتمَاعُ على حَمدِ الثالوث الأقدس نتّحدُ بعضُنا مع بعض – نحن جميعًا أبناءَ الله الذين لا يُؤلِّفون في المسيح الاَّ عيلةً واحدة (عب ٣: ٦) – نستجيبُ لدَعوة الكنيسة في الصَميم، ونشتَركُ، قبل الأوان، إشتراكًا مستعذبًا، في لِيتُرجيّا المجدِ الكامل. وفي الساعة التي سيَظهرُ فيها المسيح، عندما تَجري قيامةُ الموتى المجيدة، يُضيءُ ضياءُ الله المدينةَ السماوية، ويكونُ الحَملُ مصباحَها (رؤ ٢١: ٢٤). وإذ ذاك تَعبدُ كنيسةُ القدّيسين بأسرها، في ذُروةِ نشوةٍ من المحبَّة، الله وَ«الحملَ الذبيح» (رؤ ٥: ١٢)، هاتفةً كما بصوتٍ واحد: «للجَالسِ على العَرشِ وللحمل الحمدُ والكرامةُ والمجدُ والسيادةُ إلى دهر الدهور» (رؤ ٥: ١٣ – ١٤).

الفصل الثامن: الطّوبَاويّة مَريَم أُمُّ اللهِ في سِرّ المَسِيح وَالكنِيسَة

١) توطئة

العذراء القديسة في سرّ المسيح

٤١٧٢ – ٥٢ – إنَّ الله، إذ قرَّرَ، في رَحمتِه العظيمة وحكمته، أن يفتَدِيَ العالم، «أرسلَ ابنه، في تَمَام الزَّمان، مولُودًا من امرأة... لننالَ التبنّي» (غلا ٤: ٤ – ٥). وهكذا، فإن ابنه «من أجلِنا نحن البشر، ومن أَجلِ خلاصِنا، نزلَ من السَّماء، وتجسّد بالروح القدس من مريم العذراء». وسِرُّ الخلاص الإلهي هذا يتَجلَّى لنا ويستمرُّ في الكنيسةِ التي أقامها الربُّ جسدًا له، وفيها يتوجّبُ على المُؤمنين المرتَبِطين بالمسيح الرأس، المتَّحِدين في الشَركة الواحدة مع قدّيسيه جميعًا، أن يُكرمُوا «في الدَّرجةِ الأولى ذِكْر مريم، المَجيدةِ والعذراءِ على الدَّوام، وأمّ إلهِنا وربِّنا يسوع المسيح».

العذراء القديسة والكنيسة

٤١٧٣ – ٥٣ – فالعذراءُ مريم، التي لـمَّا بشَّرَها الملاكُ تلقّت كلمةَ الله في قلبها وفي احشائِها معًا وأَعطت الحياةَ للعالم، قد اعترفت بها الكنيسة وأكرمتها أمًّا، حقًّا وحقيقةً، للهِ والفادِي. وإذ افتُديت بوجهٍ سامٍ، باعتبارِ استحقاقاتِ ابنها، واتحدت به برباطٍ وثيقٍ لا يَنفصم، نالت هذه المهمَّةَ العُظمَى والكرامةَ الفائقةَ أن تكونَ أمَّ ابن الله، وبالتالي ابنةَ الآبِ الحبيبة، وهيكلَ الروحِ القدس؛ وإنَّ هذا لإنعامٌ فذٌّ تسمُو به، بلا قياسٍ، فوقَ جميعِ المخلوقات في السماءِ وعلى الأرض. بَيدَ أنَّها لـمَّا كانت من ذُريَّةِ آدم فهي مُرتبطةٌ بمجموع البشريَّةِ المُفتَقِرة إلى الخلاص؛ بل هي حقًّا «أمُّ أعضاءِ المسيح... لاشتِرَاكِها بمحبَّتِها في مِيلادِ المؤمنين في الكنيسة الذين هم أعضاءُ هذا الرأس». لذلك أيضاً نُحيّيها عُضوًا للكنيسة فائقَ السموِّ لا مِثلَ له على الاطلاق، وقدوةً ومثالاً عجيبين للكنيسة في الإيمانِ والمحبةِ، وموضعًا في الكنيسة الكاثوليكية التي يُرشدُها الروح القدس، لعَاطفةٍ بنويَّةٍ من التقوى، كما يَليقُ بأمٍ مُحِبَّةٍ للغاية.

نيّة المجمع

٤١٧٤ – ٥٤ – والمجمعُ المُقدسُ، إذ يبسطُ تعليمَ الكنيسة التي فيها يُجري الفادي الإلهي خَلاصَنا، يقصدُ أن يُوضِحَ باعتناءٍ مُهمةَ العذراءِ الطوباوية في سِرِّ الكلمة المتجسّد والجَسدِ السِرّي، من جهةٍ؛ وواجباتِ الناسِ المفتَدين تُجاهَ امِّ الله، أمِ المسيح وأمّ البَشر، ولاسيَّمَا المؤمنين، من الجِهة الأخرى. غير أنَّ المجمعَ لا يَنوي، بالنسبة إلى مريم، أن يتولّى عَرضاً عقائديًّا كاملاً، ولا أن يقطعَ في المسائل التي لم يجلُها بعدُ بحثُ اللاهوتيين جلاءً تامًّا. لذلك لا حَرجَ في أن تَظلَّ مُباحةً الآراءُ المعروضةُ بحرّيةٍ في المدارس الكاثوليكية في شأنِ تلك التي تحتلُّ، في الكنيسة المقدسة، المَحلَ الاسمى بعد المسيح وهي منَّا قريبةٌ جدًّا.

العذراء القديسة بعد الصعود

٤١٧٥ – ٥٩ – ولكن، لمَّا كان الله قد أرادَ ألاَّ يَظهرَ سرُّ خلاص الناس جَهرًا الاَّ عندما يُفيضُ الروحَ الذي وَعد به المسيحُ، نرى الرُسُلَ، قبلَ يوم العنصرة، «معتكِفين على الصلاة بقلبٍ واحدٍ مع بعضِ النسوة اللائي منهنَّ مريمُ أمُّ يسوع، ومع اخوتِه» (أع ١ : ٤١)؛ وتُرى مريمُ تَستنزلُ هي أيضاً بِصَلواتِها موهبةَ الروح الذي كان، في البِشارةِ، قد بسطَ عليها ظِلَّه. وأخيرًا، فانَ العذراءَ الطَّهور، بعد إذ عَصَمها الله من كُلِّ صِلة بالخطيئة الأصلية وَطوت شَوطَ حياتِها الأرضية، نُقِلت جسدًا وروحًا إلى مَجدِ السماء، وأعلَنها الرب سُلطانةَ الكونِ لتكونَ بذلك أكثرَ ما يكون الشَبهُ بابنها، ربِّ الأرباب (رؤ ١٩ : ١٦)، وقاهرِ الخطيئةِ والموت.

٢) العذراء الطوباوية والكنيسة

مريم أَمَة الرب

٤١٧٦ – ٦٠ – إنَّه واحدٌ وَسيطُنا، كما يقول الرسول: «إذ ليس سوى إله واحد، وليس أيضاً الاَّ وسيطٌ واحدٌ بين اللهِ والناس، المسيحُ يسوع، الانسانُ هو أيضاً، الذي بَذلَ نفسَه فديةً عن الجميع» (١ تيم ٢ : ٥ – ٦). وأمَّا الدَور الوالِديّ الذي تَقومُ

به مريمُ تُجاه الناس فلا يضير شيئًا ولا يُنقِصُ البتةَ من وَساطَةِ المسيح الواحدةِ هذه، بل يُظهِرُ، على خِلاف ذلك، فعاليَّتَها.

ذلك بأنَّ كُلَّ تأثيرٍ خَلاصيّ من العذراء الطوباوية في الناس يَصدُرُ عن تدبيرٍ محضٍ مَجانيّ من الله: إنَّه لا يصدرُ عن ضرورةٍ مَوضوعيّةٍ، بل يَنبعُ من فيضِ استحقاقات المسيح، ويستندُ إلى وَساطتِه التي بها يتعلَّقُ في كُلِّ شيء، ومنها يستمَدُّ كُلَّ فعاليتِه. ومن ثَمَّ فاتحادُ المؤمنين رأساً بالمسيح لا يجدُ منه أيَّ حائلٍ، بل يجدُ منه، على خلاف ذلك، عونًا وسندًا.

٦١ – فالعذراء الطوباويّةُ التي اصطفاها الله، منذُ الأزل، لتكونَ، في تَصميم تَجسُّدِ الكلمة، أمًّا لله، قد صارت على الأرض، بتدبيرٍ من العِناية الإلهية، الأمَّ المحبوبة للفَادي الإلهيّ، الذي أَشرَكها بسخاءٍ، بامتيازٍ فريدٍ على الاطلاق، في عملِهِ، وأَمةً للربِّ متواضعة. فإنَّها بحَمْلِها المسيح، ووِلادتِه، وتَغذيتِه، وتَقديمِه في الهيكل للآب، وتأَلُّمها مع ابنها في موته على الصليب، أَسهمت، بطاعتِها وإيمانِها ورجائِها ومحبّتِها، في عَملِ المخلص إسهامًا لا مِثلَ له على الإطلاق، من أجلِ أن تُعادَ على النفوس الحياةُ الفائقة الطبيعة. لذلك كانت لنا، في نِظامِ النعمة، أُمًّا.

٤١٧٧ – ٦٢ – ومنذُ الرضى الذي أَظهرتهُ بإيمانِها في يوم البشارة، والذي احتفظَت به على ثَباتِه بحذاءِ الصليب، تستمرُّ أُمومتُها هذه، بلا انقطاع، في تدبير الخلاص، إلى ان يكتملَ نِهائيًّا جميعُ المختارين. فإنَّها بعد انتِقالِها إلى السماء لم تنقطع مهمَّتُها في عمل الخلاص: إنَّها بشفاعتِها المتَّصلةِ لا تني تستمدُّ لنا النِعَم التي تَضمنُ خلاصَنا الأبدي؛ وحُبُّها الأمومي يَجعلُها عينًا ساهرةً على اخوةِ ابنها الذين لم ينتهِ شَوطُهم بعدُ، وانما يعانون وطأة المشاق والمِحَن إلى أن يبلغُوا الوطنَ السعيد. من أجلِ ذلك تُدعَى العذراءُ الطوباويةُ في الكنيسةِ بألقابٍ مختلفة، فهي: المُحاميةُ والنَصِيرةُ والظَهيرةُ والوَسيطة، على أنّ هذا كُلَّهُ يُفهمُ بوجهٍ لا يَنجُم عنه أيُّ انحرافٍ أو زِيادةٍ بالنسبة إلى كرامةِ الوَسيطِ الواحد وفعاليَّتِه، يسوع المسيح.

فانه ما من خَليقةٍ البتَّة يُمكنُ جعْلُها على مُستوى الكلمة المتجسِّدِ والفادي. ولكن، كما أنَّ كهنوتَ المسيح يَشتَرِكُ فيه، على وجوهٍ مختلفةٍ، الخُدَّامُ المكرّسونَ

والشعبُ المؤمن، وكما أنَّ جودةَ الله الواحدة تَفيضُ بوجوهٍ مختلفةٍ على المخلوقات، كذلك وِساطةُ الفادي الواحدةُ لا تَنفي، بل تبعثُ في المخلوقات، على خِلاف ذلك، تَعاوُنًا مختلفًا مرتبطاً بالمَصدَرِ الواحد. وهذا الدورُ النسبيُّ الذي تَقومُ به مريمُ تَعترِفُ به الكنيسةُ بدونِ ما تردّد، ولا تني تَختبُرُه وتُوصي به قلبَ المؤمنين لكي يُساعدَهم هذا السَنَدُ والعونُ الأموميُّ على التمسُّكِ بالوسيطِ والمُخلِّص تمسُّكًا أوثق.

مريم قدوة الكنيسة

٦٣ – والعذراءُ الطوباوية، بحُكم موهبةِ الامومةِ ومُهمّتِها اللتين تَربطانِها بابنها الفادي، وبحُكم النِعمِ والمَهامّ الفَريدةِ التي لها، تتّحدُ أيضاً بالكنيسة اتحادًا وثيقًا: فأمُّ الله، بحسبِ تعليم القديس امبروسيوس، هي للكنيسةِ قدوةٌ في الإيمان والمحبة والاتحاد الكامل بالمسيح. ففي سِرّ الكنيسة، التي تُنعتُ بحقٍّ هي أيضاً بالامِ والعذراء، تحتلُّ العذراءُ الطوباوية مريم المحلَّ الأولَ، قدوةً مُثلى وفريدةً للعذراءِ وللأمّ: بإيمانِها وَطاعتِها وَلدت على الأرض ابنَ الآبِ ولم تَفقد بتوليَّتها، وغَمَرها الروحُ القدس بظلِّه، فكانت حوّاءَ جديدةً تُولي، لا الحيَّةَ القديمةَ بل رسولَ الله، ثقةً لا يَشوبُها أيُّ شكّ. لقد وَلَدت ابنها الذي جَعلَه اللهُ بكرًا بين الاخوة الكثيرين (روم ٨: ٢٩)، أي بين المُؤمنين الذين تُساهِمُ بِحُبِّها الأُمُومِيّ في مَولِدهم وتربيتهم.

٤١٧٨ – ٦٤ – والكنيسة بتأَملها في قَداسةِ العذراءِ العجيبة، واقتدائِها بمحبّتِها، مُتمّمةً بامانةٍ مشيئةَ الآب، تصيرُ هي أيضاً أمًّا بِقَبُولِها بالإيمَان كلمةَ الله: فبالبِشارة والمعودية تَلِدُ، لحياةٍ جديدةٍ خالدةٍ، أولادًا يُحبَل بهم من الرُوحِ القدس، ويُولَدُون من الله. وهي أيضاً عذراءُ إذ قطعت لِعريسها عهدًا تَحفظُه كاملاً غيرَ مَشوبٍ بشائِبة. واقتداءً بأُمّ ربّها، تحفظ بِقُوّةِ الروح القدس، في نقاوةٍ عُذريّةٍ، الإيمانَ كاملاً، والرجاءَ راسخًا، والمحبةَ خالصة.

فضائل مريم قدوة الكنيسة

٦٥ – وإذا كانت الكنيسة قد بَلغت، في شَخصِ العذراء الطوباوية، الكمالَ في غيرِ كلفٍ ولا غَضْنٍ (أف ٥: ٢٧)، فإنّ مؤمني المسيح أيضاً يَجدُّون بنَشاطٍ في

طريقِ النموّ في القداسة بالتغلُّب على الخطيئة، لذلك يَشخَصُون بأبصارهم إلى مريم غِرارًا للفضيلة يشعُ نورُه على أُسرةِ المختارين جميعًا. والكنيسةُ إذ تختَلِي بتقوى في التأَمّل في مريم، على ضوءِ الكلمة الذي صارَ انساناً، تلجُ باحترامٍ وإمعانٍ في أغوارِ سِرّ التجسّد العظيم، وتتمثّلُ أكثرَ فأكثر بعريسِها. ذلك بأنَّ مريم، بدُخُولها تاريخَ الخلاص دخولاً صميمًا، تجمعُ وتَعكسُ في ذاتها، من بعضِ الوجوه، ملتمسَاتِ الإيمَان العُظمى، وتُرجع المؤمنين إلى ابنِها وذَبيحتِه، وإلى حُبِّ الآب، عندما تكونُ موضوعَ الوَعظِ والتكريم. والكنيسةُ في مَسعَاها إلى تَمجيدِ المسيح، تَتشبَّهُ أكثرَ فأكثرَ بِمثَالِها العظيمِ بنَمَائِها بلا انقطاعٍ في الإيمَانِ والرجاءِ والمحبة، وابتِغائِها في كُلِّ شيءٍ أرادا الله والعملَ بها. لذلكَ تنظُرُ الكنيسة، في مُمَارَسَةِ عملِها الرسوليّ، إلى التي ولدت المسيح، الذي حُبل به من الروح القدس ووُلِدَ من العذراء، لكي يولَد ويكبرَ أيضاً، بواسِطة الكنيسة، في قُلوبِ المؤمنين. ولقد كانت العذراءُ بحياتِها مِثالاً لهذا الحبِّ الأمُوميّ الذي يجبُ أن يحيا به جميعُ الذين، باشتِراكهم في رِسالةِ الكنيسة الرسوليّةِ، يعملونَ في سَبيلِ مِيلادِ الناس ثانية.

٥) مريم آية يقين الرجاء والتعزيةِ لشعب الله على الأرض

٤١٧٩ – ٦٨ – غير أنَّ أمَّ يسوع، كما أنَّها الآن في السماء حيثُ هي مُمجَّدةٌ جسدًا وروحًا تُمثّلُ وتبدأُ الكنيسة في اكتِمَالها في الدهر الآتي، كذلك هي على هذه الأرض، إلى أن يأتيَ يومُ الرب (٢ بط ٣: ١٠)، تَشعُّ الآن آيةً ليقين الرجاء والتعزيةِ أمامَ شعب الله في سَفَرِه.

٦٩ – وإنَّه لمن دَواعِي الفرحِ والتعزيةِ لهذا المَجمعِ المقدّس أنَّ الاخوةَ المُنفصِلين لا ينقُصُهم أناسٌ يُكرِّمُون أمَّ الرب والمخلِّصَ الاكرامَ الواجبَ لها، ولاسيَّمَا عند الشرقيين الذين يَهرعُون، باندفاعٍ حارٍّ وقلبٍ شديدِ الوَرَع، إلى أمِّ الله، البتولِ دائمًا، لِيُقدِّمُوا لها عواطفَ تعبُّدِهم.

فعلى جميعِ المَسيحيين أن يرفعوا إلى أمّ الله والبشر ابتهالاتٍ مُلحَّةٍ حتى إنَّها، بعد إذ كانت بصلواتها عونًا للكنيسة في نَشأتِها، تواصلُ الآن أيضاً، وقد رُفِعت في

السماء فوقَ جميعِ الطوباويين والملائكة، شفاعَتَها لدى ابنها في شَرِكة جميعِ القديسين، إلى أنْ تجتمعَ أُسرةُ الشعوبِ كُلِّها، من مسيحيين ومَن لا يزالُون يجهلُون مخلِّصَهم، اجتماعَهم السَّعيد في السلام والوفاق، في شعبٍ واحدٍ لله لمجدِ الثالوث الأقدس غيرِ المنفصل.

٤١٨٠ – ٤١٨٤ – الجلسة الخامسة العلنيّة، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤: قرار في الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة "Orientalium Ecclesiarum"

توطئة

٤١٨٠ – ١ – تُولي الكنيسةُ الكاثوليكيّة الكنائسَ الشرقيَّة، بمؤسَّساتها وطقوسها الليترجيّة وتَقاليدِها الكنسيَّة ونظامها في الحياةِ المسيحية، عظيمَ تَقْديرِها. ذلك بأنَّ هذه الكنائسَ يتألَّقُ فيها، بمَا لها من عَراقَةِ القِدَم، التقليد الذي انتقلَ من الرُّسُل بالآباء، وهو بعضُ تراثِ الكنيسةِ الجامعة الذي لا يتجزَّأ. وإنَّ المجمعَ المسكونيَّ، في ما يكنُّه من خالصِ الاهتمَام للكنائسِ الشرقيَّة التي هي شاهِدٌ حيٌّ لهذا التقليد، يتمنَّى لها الازدهارَ، وأَن تَحْمِل، بنشاطٍ رسوليٍّ متجدِّدٍ على الدَّوام، أعباءَ الرِّسالةِ المنوطةِ بها؛ من أَجلِ هذا قرَّر أن يُصْدِرَ في شأنها، علاوةً على القراراتِ المتعلِّقَة بالكنيسةِ الجامعة، بعضَ المراسيمِ الرئيسيَّة، تاركًا ما تبقَّى منها لعنايةِ المجامعِ الشرقيّة والكرسيّ الرسوليّ.

الكنائس الخاصَّة أو الطَّوائِف

٢ – إنَّ الكنيسةَ الكاثوليكيةَ المقدَّسة، التي هي جسدُ المسيحِ السرّي، تتألَّفُ منَ المؤمنين المتَّحدين في الروحِ القدس برباطِ الإيمَانِ الواحدِ والأسرارِ الواحدةِ والحكمِ الواحد، اتّحادًا عُضْويًّا؛ ويكوِّنون بتجمُّعهم جماعاتٍ مختلفةً تَكفُلُ وَحدَتَها السلطةُ الكنسيَّةُ، كنائسَ خاصَّةً أو طقوسًا. وهذه الكنائسَ تقومُ بينها شركةٌ عجيبةٌ تُثبتُ انَّ التنوّعَ في الكنيسة لا يضيرُ وحدتَها بل يُظهرُ قيمتَها. ومن ثم فإنَّ إرادةَ الكنيسةِ الكاثوليكيةِ أن تستمرَّ تقاليدُ كلِّ كنيسةٍ خاصَّةٍ، أو طقسٍ، مصونةً بكُلّيتِها؛ وأن تُكيِّفَ نَهجها في الحياةِ وفقًا لمُختلِفِ الحاجاتِ في الزمان والمكان.

٣ – إنّ هذه الكنائسَ الخاصَّةَ، في الشرقِ والغربِ على السواءِ، تختلفُ في ما بينها بعضَ الاختلافِ من حيثُ الطقوسُ، أي في الليترجيا والنظامِ الكنسيّ والتّراثِ الروحيّ، بَيْدَ أنَّها منوطةٌ كُلُّها، على السواء، برعايةِ الحبرِ الروماني الذي هو، بإرادةٍ إلهية، خليفةُ القديس بطرسَ في رئاستِه على الكنيسةِ الجامعةِ. فهي اذَن تَنْعمُ بكرامةٍ متساويةٍ، وليس لأيٍّ منها تقدُّمٌ على غيرِها بسبب الطقس؛ ولها كلّها الحقوقُ عينُها، وعليها كلِّها الواجباتُ عينُها، حتى في ما يتعلّقُ بواجبِ الدعوةِ بالإنجيلِ في العالمِ كلّه (مر ١٦ : ١٥)، بإرشادِ الحبر الروماني.

٤ – لذلك يجبُ العملُ، في كلِّ مكانٍ على الأرض، على صيانةِ الكنائسِ الخاصَّةِ كلّها وإنمَائها؛ من أجل ذلك تُنشَأُ الرعايا، وتُقَامُ السلطاتُ الكنسيّةُ الخاصَّةُ حيثُمَا دعا إليه خَيرُ المؤمنين الروحي. على أنه من الواجبِ على رؤساءِ الكنائسِ الخاصَّةِ المُختَلِفةِ، الذين يمارسون حقَّ الولايةِ في المكانِ الواحد، أن يَتبادَلوا الرأيَ، في اجتمَاعاتٍ دوريةٍ، ضماناً للوحدةِ في العملِ؛ وأن يُوحِّدُوا جهودَهم سبيلاً إلى دعمِ المشاريعِ المُشتَرَكة؛ فبهذا يخدمون مصلحةَ الدين خدمةً أَجدى وأيسرَ، ويحافظون على نظامِ الاكليروس بفعَّالية أوفر. فعلى الاكليريكيين والمُرشّحينَ للدرجاتِ المقدّسةِ إذن ان يُثقَّفوا في أَمرِ الطقوس تثقيفاً جيّدًا، وبخاصّةٍ في شأنِ القواعدِ العملية التي تُنظّم الشؤونَ المشتركةَ بين الطقوس. والعلمانيّون أنفسُهم ينبغي أن يُلقَّنوا، في التعليم الديني، ما يتعلّقُ بالطقوسِ وقواعِدِها. وأخيرًا يَتوجَّبُ على الكاثوليكيّين كلِّهم وكلِّ واحدٍ منهم، وكذلك أيضاً على المُعمَّدين من كلِّ كنيسةٍ أو طائفةٍ غيرِ كاثوليكية إذا انضمُّوا إلى كمَالِ الشركةِ الكاثوليكيةِ، أن يَحتَفِظُوا بطقسِهِم الخاصّ في كلِّ مكانٍ على الأرضِ، وأن يُمَارِسُوه ويتقيَّدوا به ما استطاعوا سبيلاً، مع الاحتفاظِ بحقِ اللجوءِ إلى الكرسيِّ الرسوليّ في الحالاتِ الخاصّةِ التي قد يكون عليها الاشخاصُ أو الطوائفُ أو المناطق: فالكرسي الرسولي، بصفةِ كونِه الحَكَمَ الأعلى في العلاقاتِ بين الكنائسِ، يهتمّ، هو نفسُه أو بواسطةِ غيرِهِ من السلطاتِ، بمعالجةِ القضايا بروحٍ مس كونيٍّ، مُقرِّرًا من القواعدِ والمراسيمِ أو الأوامرِ ما يراه مناسبًا.

المُحافظة على تراثِ الكنائس الشرقيَّة الروحيّ

٥ – إنَّ التاريخَ والتقاليد والمؤسّسات الكنسيَّةَ العديدةَ تشهدُ شهادةً وُضَّاءَةً لمَا للكنائسِ الشرقيةِ من عَديدِ المآثرِ في خدمةِ الكنيسةِ الجامعة. من أجل ذلك لا يكتفي المجمعُ بأن يوليَ هذا التراثَ الكنسيَّ والروحيَّ ما هو حقيقٌ به من تقديرٍ وثناءٍ، بل يرى فيه مُشدِّدًا تراثًا عامًّا لكنيسةِ المسيح بأسرها. لذلك يُصرِّح بوجهٍ رسميٍّ أنْ مِن حقِّ الكنائس في الشرق، وواجبها، تمامًا كالكنائس في الغرب، أن تحكم نفسَها طِبقًا لأنظمتِها الخاصَّةِ بها. ذلك بأنَّ هذه الأنظمةَ هي عريقةٌ في القِدَم، وهي أكثرُ تلاؤمًا مع عاداتِ المؤمنين المنتمين إليها، وأكثرُ فعاليَّةً لِتضمنَ للنفوسِ نفعًا جزيلاً.

٦ – وَلْيعلمْ جميعُ الشرقيينَ يقينًا أنهم يحقُّ لهم، بل يجبُ عليهم، أن يحتفظوا على الدوامِ بطقوسِهم الشرعيّة ونظامِهم الكنسيّ، وأن لا يُدخَلَ من التغيير عليها الاَّ ما تقضي به سُنَّةُ النموّ الذاتيّ العُضْويّ. فعلى الشرقيين اذن أن يحافظوا هم أنفسُهم على ذلك كلّه بكلّ أمانةٍ، وأن يَزيدوا به معرفةً أبلغَ، وبمُمارسَتِه كمالاً أوفر. وإذا كانت ظروفُ الزمانِ وأحوالُ الناسِ قد اضطرتهم إلى الانحرافِ عنه فَلْيُفرغوا كنانةَ الجهد في العودةِ إلى تقاليدِ آبائهم. وأمَّا الذين تدعوهم وظيفتُهم أو رسالتُهم إلى الاتّصالِ المتواترِ بالكنائسِ الشرقية أو بأبنائِهَا فيجبُ عليهم، بحكمِ أهميّة المهمَّةِ التي يَضطَلعون بها، أن يُثقَّفوا تثقيفًا دقيقًا في معرفةِ ما يختصّ بالشرقيين من طقوسٍ وأنظمةٍ وتعاليمَ وميزاتٍ خاصَّةٍ، وتقديرِهِ حقَّ قدرِهِ. ويُطلَبُ بإلحاحٍ من الرهبانيات والجمعيَّات اللاتينيـةِ التي تعملُ في بلدانِ الشرقِ أو بينَ المؤمنينَ الشرقيينَ، أن تُنشِئَ لها وِسعَ طاقتها، في سبيلِ المزيدِ من فعاليةِ العملِ الرسولي، أديرةً أو أقاليمَ أيضاً على الطقس الشرقي.

البطاركة الشَّرقيُّون

٤١٨١ – ٧ – إنَّ النظامَ البطريركيَّ قائمٌ في الكنيسةِ منذ أَقدمِ الأيَّام، وقد أَقرَّتْه المجامعُ المسكونيةُ الأولى بعينها.

والبطريرك الشرقيُّ أُسقفٌ يتمتَّعُ بحقِ الولايةِ على جميعِ الأساقفة، بمَا فيهم

المتروبولتون، وعلى الاكليروس والمؤمنينَ في نطاقِ ولايتِه أو طقسِه، وفقًا لحدودِ القانونِ ومعَ الحفاظِ على أوليّة الحبرِ الرومانيّ.

وحيثُ يُقامُ رئيسٌ كنسيّ من هذا الطقسِ أو ذاك، خارجَ حدود الأراضي البطريركية، يظلُّ ملتحقًا بالسلطةِ في بطريركية ذلك الطقسِ وفقًا لحدودِ القانون.

٨ – ان بطاركةَ الكنائسِ الشرقيةِ، وإن كان بعضُهم أَحدثَ من بعضِهم عهدًا، متساوون كلُّهم بالكرامةِ البطريركيةِ، وإنّما يُراعَى بينهم حقُّ التقدّمِ الفخريُّ الذي يُقرّه الشرعُ.

٩ – وانه، بناءً على تقليدٍ قديمٍ جدًّا في الكنيسة، يَحقّ لبطاركةِ الكنائسِ الشرقيّة إكرامٌ خاصّ لأنهم يَرئِسونَ كلٌّ منهم بطريركيّته كأبٍ ورئيس.

لهذا يُقرّر هذا المجمعُ أن تُعادَ إليهم حقوقُهم وامتيازاتُهم طبقًا للتقاليدِ القديمةِ في كلِّ كنيسةٍ، وعملاً بمقرّراتِ المجامعِ المسكونيّةِ. وهذه الحقوقُ والامتيازاتُ هي تلك التي كانت مَرعيَّةً إبّانَ الاتّحادِ بينَ الشرقِ والغربِ، حتّى ولو دعتِ الأحوالُ الحاضرةُ إلى إدخال بعضِ التعديل عليها.

والبطاركةُ معَ مجامِعِهم يُؤلّفون المرجعَ الأعلى في جميعِ شؤونِ البطريركيةِ؛ ولهم الحقُّ على إنشاءِ أبرشيّاتٍ جديدة، وعلى تعيينِ أساقفة لطائفتهم في حدودِ أراضي البطريركية، مع الاحتفاظِ للحبر الروماني بحقِّهِ، الذي لا يمكنُ التخلّي عنه، على التدخّلِ في أمرِ كلِّ قضيّةٍ.

١٠ – وانّ ما قيل في البطاركةِ يُطبَّقُ أيضاً، طبقًا لحدودِ القانونِ، على رُؤساءِ الأساقفةِ الكبارِ الذين يرئِسون كنيسةً خاصَّةً بأجمعها، أو طقسًا.

١١ – ولمّا كان النظامُ البطريركي هو نظام الحكم التقليديّ في الكنائس الشرقيّة يتمنّى المجمعُ المسكوني أن تُنشأ، عند الضرورةِ، بطريركيّاتٌ جديدة، على أن يُحفظ أمرُ إنشائها للمجمع المسكوني، أو للحبرِ الروماني.

نظام الأسرار

٤١٨٢ – ١٢ – وان المجمعَ المسكوني يُثبّتُ ويُقرِّر نظامَ الأسرار القديمَ في الكنائسِ

الشرقية، والطريقةَ المتّبَعة في القيامِ بها ومَنْحها. ويتمنّى الرجوعَ إلى هذه الطريقةِ حيث تقضي الحالُ بذلك.

١٣ – ثم ينبغي الرجوعُ كُليًّا إلى النظامِ الذي سار الشرقيّون عليه، منذ الأزمنةِ القديمةِ جدًّا، في ما يتعلّقُ بخادم سِرِّ الميرونِ المقدَّس. فيحقُّ اذن للكهنة أن يمنحوا هذا السرَّ مستعملين فيه الميرونَ الذي يباركه البطريركُ أو الأسقفُ.

١٤ – ويمكنُ جميعَ الكهنةِ الشرقيين أن يَمنحوا هذا السرَّ مَنْحًا صحيحًا، مع العمَادِ أو منفصلاً عنه، لجميعِ المؤمنين أيًّا كان طقسُهم، ولا يُستثنى الطقسُ اللاتيني، على أن يَتقيّدُوا من أجل جوازِ فعلهم، بأحكامِ الحقِّ القانوني العام والخاص.

ويمكن الكهنةَ من ذوي الطقس اللاتيني أيضاً، بناءً على الصلاحياتِ المعطاة لهم في مَنْحِ هذا السرّ، أن يمنحوه للمؤمنين من الكنائسِ الشرقية، بدون ما إساءةٍ لطقوسهم، على ان يتقيّدوا هم أيضاً، لجواز عملهم، بأحكام الحقّ القانونيّ العامِ والخاصِ.

١٥ – ويتوجّبُ على المؤمنين، في أيّامِ الآحادِ والأعيادِ، أن يشتركوا في الليترجيا الإلهيةِ، أو في الفرضِ الكنسيّ، على حسبِ الشرائعِ أو العاداتِ المرعيةِ في طقوسِهِم الخاصّة. ولكي يتمكّنَ المؤمنون من القيامِ بهذا الواجبِ بيُسْرٍ تَقرّر أنَّ المدّة المؤاتيةَ للقيام به تمتدُّ من غروب اليوم السابق حتى نهاية يوم الأحد أو العيد. ويُحرَّض المؤمنون بإلحاحٍ على تناول القربان المقدّس في تلك الأيام، بل في أكثرَ منها بل كلَّ يوم.

١٦ – ولمَّا كان المؤمنون من مختلف الكنائسِ الخاصّةِ القائمة في المنطقة الواحدة، أو في الأرض الشرقيّة الواحدة، هم على اختلاطٍ مستمرّ، فان سلطانَ استمَاع الاعترافِ الذي يُعطيهِ الرئيسُ الكنسيّ، بوجهٍ شرعي وبدون ما قيد، لكهنتِهِ من أبناءِ طقسِه، يمتدُّ على المنطقةِ كلّها الخاضعةِ لولايةِ هذا الرئيس، ويشملُ أيضاً الأماكنَ والمؤمنين من كلّ طقسٍ في حدودِ هذه المنطقة، ما لم يصرّحْ أحدُ الرؤساءِ المحلّيين بانه يرفضُ امتدادَ هذا السلطان على الأماكنِ الخاصّة بطقسِه.

١٧ – ولكي يُستعادَ، في الكنائس الشرقيّةِ، النظامُ القديمُ لسرّ الكهنوت، يتمنّى المجمعُ بَعْثَ نظامِ الشموسيةِ الإنجيليّةِ حيث اندثَر؛ وأمّا ما يتعلّقُ بالشموسيّة الرسائلية وأصحابِ الدرجاتِ الدنيا، وبالحقوقِ والواجباتِ المترتّبةِ عليها، فمتروكٌ أمرُ تنظيمِهِ إلى السلطةِ التشريعية في كلِّ كنيسة خاصَّة.

١٨ – وتَداركًا لوقوعِ الزواجات غيرِ الصحيحةِ إذا عُقدتْ بين كاثوليكي شرقيّ وغيرِ كاثوليكي شرقيّ معمَّد، وحرصاً على ضمانِ الثباتِ والحرمةِ للزواج، والسلامِ للأسرةِ، قرّر المجمعُ أنّ الصيغةَ القانونيةَ في عقدِ هذه الزواجاتِ لا تلزِم الاَّ لجوازِ الفعل فقط؛ وأمَّا صحّةُ الزواج فيكفي لها حضورُ خادمٍ مكرَّس، على أن يُراعى في ذلك ما تجبُ مراعاتُه شرعًا.

العِبادات المُقدَّسة

٤١٨٣ – ١٩ – ويكون، منَ الآنَ فصاعدًا، من اختصاصِ المجمعِ المسكوني أو الكرسي الرسولي وحدَهما دون سواهما أَن يُنشِئا اعيادًا عامَّةً لجميعِ الكنائس الشرقية، وأن ينقُلاها أو يُبطِلاها. أمَّا الأعيادُ الخاصَّةُ بكل كنيسةٍ منفردة فأمرُ انشائها ونقلِها وإبطالها منوطٌ بمجامعِ البطاركةِ أو رؤساءِ الأساقفة، عَلاوةً على الكرسيّ الرسولي. وانَّمَا لا بدَّ من مُراعاةِ خيرِ المنطقة عمومًا وموقفِ الكنائسِ الخاصَّةِ الأخرى.

٢٠ – ويتمنَّى المجمعُ أن يتّفقَ جميعُ المسيحيين على تاريخٍ مُشترَكٍ واحدٍ للاحتفالِ بعيدِ الفصح. وفي انتظارِ ذلك، ورغبةً في توثيقِ عُرى الوحدة بين المسيحيين المقيمين في المنطقةِ الواحدة أو البلدِ الواحد، يُطلَبُ إلى البطاركةِ أو السلطات الكنسيّة العليا المحليّةِ ان يَتوافقوا، بإجمَاعِ الرضى وبعدَ التفاوضِ مع مَن يَهمّهم الأمر، على الاحتفالِ بعيدِ الفصح في يومٍ واحدٍ على ان يكون يومَ أحد.

٢١ – ويجوزُ لجميع المؤمنين الذين يعيشون خارجَ منطقةِ طقسهم أو أراضيه أن يتبعوا في كلِّ شيءٍ في ما يتعلَّقُ بالأزمنة المقدّسة، النظامَ الساريَ في مكانِ إقامتهم. ويجوزُ في الأسَرِ المختلطةِ الطقسِ ان تُمارسَ هذه الشريعةُ بحسب طقسٍ واحدٍ فقط.

٢٢ – ويُقيمُ الاكليريسيكيون والرهبانُ الشرقيون، بمقتضى أحكامِ شريعتهم الخاصَّةِ وتقاليدِهم، صلوات الفرض الإلهي التي كانت، في جميعِ الكنائسِ الشرقيةِ منذ الأزمنةِ القديمة، موضعَ الاكرامِ العظيم؛ ويُحرِّضُ المؤمنون أنفسُهم على الاشتراكِ، أُسوةً بأجدادِهم، في هذه التسابيحِ الإلهيةِ، بعاطفةِ التقوى، وبحسبِ ما يتيسّرُ لهم.

٢٣ – وللبطريرك مع مَجمعِه، أو السلطة العليا لكلِّ كنيسةٍ مع مجلسِ أحبارِها، الحقُّ في تنظيمِ استعمال اللغاتِ في الطقوسِ الليترجية المقدّسةِ، والموافقةُ على ترجمةِ النصوصِ في لغةِ البلادِ بعدَ إعلامِ الكرسيِّ الرسوليّ.

العِلاقات مع الإخوة ابناء الكنائسِ المُنْفَصِلة

٤١٨٤ – ٢٤ – إنّ للكنائسِ الشرقيةِ التي هِيَ على الشركةِ معَ الكرسيّ الرسولي الروماني شأنًا خاصًّا في أمرِ تعزيزِ الوحدةِ بين المسيحيين جميعًا، ولا سيَّمَا المسيحيين الشرقيين، وفقًا للمبادىءِ التي أقرَّها هذا المجمعُ في مرسومه في الحركةِ المسكونية؛ وذلك، قبلَ كلّ شيءٍ، بالصلاة، والسيرةِ المثاليةِ، والأمانةِ الخالصةِ لتقاليدهم الشرقيةِ العريقة، والمزيدِ من التعارفِ، والتعاون، والتقديرِ الأخوي للأشياء والأشخاص.

٢٥ – لا يُطلبُ من الشرقيين المنفصلين، إذا انضمّوا إلى الوحدةِ الكاثوليكيةِ بدافعٍ من نعمةِ الروح القدس، أكثرُ ممَّا يَستلزمه الاقرارُ بالإيمانَ الكاثوليكي. ولمَّا كان سرُّ الكهنوتِ عندهم لم يزلْ محفوظاً بوجهٍ صحيحٍ يحقُّ للاكليريكيين الشرقيين، إذا انضمّوا إلى الوحدةِ الكاثوليكية، أَن يمارسوا درجتَهم الاكليريكيةَ وفقًا للقواعدِ التي ترسمها السلطةُ المختصَّة.

٢٦ – إن الاشتراكَ في الأقداس، إذا أَساءَ إلى وحدةِ الكنيسة، أو كانَ يَحتملُ انتحالاً صريحًا للضلال، أو خَطرَ الانحرافِ في الإيمانَ، أو سَببَ عثارٍ أو لامبالاةٍ في الدين، فإنّه محرَّمٌ بقوّةِ الشريعةِ الإلهية. بيدَ ان الخبرةَ الراعويةَ تدلُّ، في ما يتعلّقُ بالاخوة الشرقيين، أنَّ هناك من الظروفِ والأحوالِ الشخصيةِ المختلفة ما ليس به اساءَة إلى وحدة الكنيسة، وليس فيه موضعٌ للأخطارِ التي يجب

اجتنابُها، بل يُعدُّ، بالنظرِ إلى ضرورةِ الخلاص وخيرِ النفوس الروحي، حاجةً ماسَّةً. لذلك رأتِ الكنيسةُ الكاثوليكية أن تُراعي ظروفَ الزمان والمكان وأحوالَ الاشخاصِ، فاعتمدتْ في الغالبِ، ولا تزالُ تعتمدُ طريقةً في التعاملِ أقلَّ تشدّدًا، فتوفّرُ للجميعِ وسائلَ الخلاص، وتقدّم لهم شهادةً رائعةً للمحبّة المسيحية، وذلك بالاشتراكِ في الأسرارِ وفي سائرِ الرتبِ والأشياء المقدّسة. والمجمعُ، من أجلِ هذا بالذاتِ، و«لئلا نكون بأحكامنا المتشدّدة عقبةً في طريق الساعين إلى الخلاص»، ولكي تعزّزَ أكثرَ فأكثرَ حركةُ الاتّحادِ معَ الكنائسِ الشرقيّةَ المنفصلة، قرّرَ اتّباعَ النهج الآتي:

٢٧ – انه، عطفًا على المبادىءِ الآنفةِ الذكر، يجوزُ أن يُمنَحَ الشرقيّون، المنفصلون بنيّةٍ سليمةٍ عن الكنيسة الكاثوليكية، اسرارَ التوبةِ والافخارستيا ومسحة المرضى، إذا طلبوها من تلقاءِ أنفسهم وكانوا على استعدادٍ حسنٍ. ويجوز للكاثوليكيّين أيضاً أن يطلبوا الأسرارَ عينَها من الاكليريكيين الغيرِ الكاثوليكيين الذين لا تَني الأسرارُ صحيحةً في كنيستهم، كلَّ مرّة دعتِ الضرورةُ أو الفائدةُ الروحية الحقّة، وكان متعذّرًا عليهم، طبيعيًّا أو معنويًّا، أن يلجأوا إلى كاهنٍ كاثوليكيّ.

٢٨ – وعطفًا على المبادىءِ عينِها يجوزُ أيضاً، لسببٍ صوابيٍّ، الاشتراكُ بين الكاثوليكيّين والاخوة الشرقيين المنفصلين، في الرتبِ الكنسية، والأماكنِ والأشياءِ المقدّسة.

٢٩ – وإنَّ هذا النهجَ الملطَّفَ في الاشتراكِ في الأقداسِ مع الإخوة، أبناءِ الكنائس الشرقية المنفصلة، يُعْهَدُ أمرُ تنظيمه إلى سهرِ الرؤساء المحليين ورعايتِهم، حتى إذا ما تبادلوا فيه الرأيَ في ما بينهم، ورَأَوا فيه أيضاً، إذا اقتضى الأمر، رأيَ رؤساءِ الكنائسِ المنفصلة، يُنَظّمون علاقاتِ المسيحيين بعضِهم ببعض، بمَا يتّخذون من قراراتٍ ويَسنّون من قواعدَ مناسبة وفعّالة.

خاتمة

٣٠ – وإنّ المجمعَ، إذ يرتاحُ ارتياحًا بالغًا للتعاونِ الايجابيِّ المثمر بينَ الكنائسِ الكاثوليكية، شرقًا وغربًا، يُصرّحُ بأنَّ جميعَ هذه التدابيرِ القانونيةِ

القانونيةِ قد اتُّخِذَت بالنظرِ إلى الأحوالِ الحاضرةِ، في انتظارِ الاتحادِ في كمَالِ الشركة بين الكنيسةِ الكاثوليكية والكنائسِ الشرقية المنفصلة.

ورَيثَما يتمُّ ذلك يُطلَبُ بإلحاحٍ من جميعِ المسيحيين، في الشرقِ والغربِ، أَن يَرفعوا إلى اللهَ الصلواتِ الحارّةَ المتواصلةَ اليوميةَ حتى لا يكونَ الجميعُ، بشفاعةِ والدةِ الإله الجزيلةِ القداسة، الاَّ واحدًا. وَلْيُصلُّوا أيضاً إلى الروحِ القدسِ لكي يُنعِمَ بكاملِ التعزيةِ والسندِ على أولئك المسيحيين الكثيرين، من كلِّ كنيسةٍ، الذين يَشهدون لاسمِ المسيح بجرأةٍ، ويقاسون من أجلِه المحَنَ والآلامَ.

أَلا فَلْيُحبَّ بعضُنا بعضاً حبًّا أخويًّا، مُبادرين بعضنا بعضاً بالاحترام المتبادل (روم ١٢ : ١٠).

٤١٨٥ – ٤١٩٢ – الجلسة الخامسة العلنية، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٤ : قرار في الحركة المسكونيّة "Unitatis redintegratio"

توطئة

٤١٨٥ – ١ – من الاغراض الرَّئيسيَّة التي هَدفَ إليها المجمعُ المسكونيُّ الفاتيكانيُّ الثاني المقدّس العملُ على استعادةِ الوَحدةِ بين جميعِ المسيحيين. فالمسيحُ الربُّ أنشأَ كنيسةً واحدةً لا غير. ومع ذلك فإنَّ جماعاتٍ مسيحيةً عديدةً تَدَّعي في النّاس أنَّها الوارثةُ الحقيقيةُ ليسوعَ المسيح. إنَّهم يعترفون جميعًا بأنَّهم تلاميذُ الربّ، ولكنَّهُم يَقفُون مواقِفَ متباينةً، وينهَجون طُرقًا مختلفة، كما لو كان المسيح نفسُه قد تجزَّأ. واليقينُ أنَّ مثلَ هذا التفَتُّتِ يتعارضُ صراحةً مع إرادة المسيح؛ وهو للعَالَم حجر عِثارٍ، وعقبةٌ في طريقِ أقدس الغايات، أي الدعوةِ بالإنجيل في الخليقة كُلِّها.

٤١٨٦ – بيدَ أنَّ سيّدَ العُصورِ الذي لا يني، بحِكمةٍ وطولِ أناة، يواصلُ مقاصدَ نعمتِه تُجاهَنا نحن الخطأة، قد بدأ، في هذه الأَزمنةِ الأخيرة، يُفيضُ بغزارةٍ، في المسيحيين المتَشاقّين، روحَ التوبةِ ورغبةَ الاتحاد. وإنَّهم لكثيرون جدًّا أولئك الذين، في كُلِّ مكان، قد أدركَتهم هذه النعمة، فانبثَقَ، بفعلِ الروح القدس،

حركةٌ يتّسعُ نِطاقُها، يومًا بعد يوم، بين إخوتنا المُنفصِلين، بُغيةَ استعادةِ الوَحدة في جميع المسيحيين.

وهذه الحركةُ نحو الوَحدة، التي تُسمَّى بالحركةِ المسكونيّةِ، يشترِكُ فيها جميعُ الذين يُدعَون باسمِ الله الثالوث، وَيشهَدُون ليسوعَ ربًّا ومخلّصاً. وليس ذلك من شَأنِ المسيحيين افرادًا فقط، بل من شَأنِهم مجتمعين طوائفَ أيضاً قد سَمِعُوا فيها الإنجيل، ويسمُّونها كنيستَهم، وكنيسةَ الله. ومع ذلك فإنَّهم يَصْبُون جميعًا، وإن على أنماطٍ مختلفة، إلى كنيسةٍ لله واحدةٍ، منظورةٍ، جامعةٍ حقًّا، قد أُرسلت إلى العالم كُلِّه ليَهتَدِيَ إلى الإنجيل فيجدَ خلاصَه لمجدِ الله.

الفصل الأوّل: المَبادىءُ الكاثوليكيّة لِلحَركةِ المَسْكونيّة

٤١٨٧ — ٢ – يريدُ يسوع المسيح لِشعبِه أن ينموَ، وأن يحقّقَ الشَركة في الوَحدَة بالشَهادةِ بالإيمَانِ الواحد، وبالقيام المشتَرك في العبادةِ الإلهيّةِ، وبالاتفاق الأخوي في أُسرةِ الله...

العلاقات بين الاخوة المنفصلين والكنيسة الكاثوليكية

٤١٨٨ — ٣ – وفي كنيسةِ الله هذه الوَاحدةِ الوَحيدةِ ظَهرَ منذُ البدءِ بعضُ انقساماتٍ استنكرها الرسول بشدَّةٍ كشيءٍ يستوجبُ الشَجبَ؛ وفي غُضونِ القُرونِ اللاحِقة وقعت انشقاقاتٌ أشدُّ خطورةً، وانفصلت طوائفُ ذاتُ بال عن شَركة الكنيسة الكاثوليكية التامّةِ بِذنبِ افرادٍ أحيانًا من هذا الفريق أو هذا. بيدَ أنَّ الذين يُولدون اليومَ في حِضن تلك الطوائفِ ويَحيونَ من الإيمَان بالمسيح لا يمكنُ أن يُطالبُوا بخَطِيئةِ انفِصالٍ، لذلك تَشمُلهم الكنيسة الكاثوليكية بالاحترام الأخويّ والمحبّة. ذلك بإنَّ الذين يؤمنون بالمسيح وقَبلُوا المعمودية قَبولاً صحيحًا هم على الشَركة، وإن غيرَ كاملةٍ، مع الكنيسة الكاثوليكية. ولا جَرَمَ أنَّ ما بينَهم وبين الكنيسة الكاثوليكية من اختِلافاتٍ متنوّعةٍ في قَضايا عقائدية، وأحيانًا نِظاميّة، أو في شَأنِ بنية الكنيسة، يُكوّنُ عددًا من العَقَباتِ، هي أحيانًا خطيرةٌ جدًّا، في طَريقِ الشَركة الكنائسيةِ الكاملة؛ بيدَ أنَّ الحركةَ المسكونيةَ تَرمِي إلى تَذليلها.

ولكِنَّهم لمَّا كانوا قد بُرِّروا بالإيمَان الذي نَالوهُ في المعمودية، وصارُوا به أعضاءً لجسدِ المسيح، فإنّهم بحقٍّ يحملون الاسم المسيحيّ، وبحقٍّ يَرى فيهم ابناءُ الكنيسة الكاثوليكية اخوةً في الرب.

٤١٨٩ – وإلى ذلك فإنَّ من العَناصرِ أو الخُيورِ التي بمجمُوعِها تُبنى الكنيسةُ، ومنه تَستَمدُّ حَيويتَها، يمكنُ أن يوجَدَ بعضُه، أو كثيرٌ منه، ممَّا له قيمةٌ كبيرةٌ، خارجَ نِطاقِ الكنيسة الكاثوليكية المَنظُورِ، منها: كلمةُ الله المكتوبةُ، وحياةُ النعمةِ، والإيمَانُ والرجاءُ والمحبّةُ، وغيرُها من مَواهبِ الروح القدس البَاطِنةِ، وعَناصر أخرى ظاهرة. وهذا كُلُّه الذي يَنبعُ من المسيح ويقودُ إليه، هو بقوّةِ الحقِّ مِلك كنيسةِ المسيح الواحدة.

وكذلك أيضاً، فإنَّ كثيرًا من شَعائر الدين المسيحي المقدّسةِ يُمارَسُ عند إخوتِنا المنفصلين، ومن شَأنِه يقينًا أن يؤتيَ، بوجُوهٍ مختلفةٍ باختلافِ وَضعِ كُلِّ كنيسةٍ أو طائفةٍ، وبصورةٍ فعّالةٍ، حياةَ النعمةِ؛ ولا بدَّ من الإقرارِ بأنَّه يُولِجُ في شَركة الخلاص.

ومن ثَمَّ فإنَّ هذه الكَنائس والطَوائفَ المُنفصِلَة لا تَخلُو البتة، على كونِنا نعتقدُ أنَّها مشوبةٌ بالنقص، من المعنى والقِيمةِ في سِرِّ الخلاص. ذلك بأنَّ روحَ المسيح لا يَستَنكِفُ من استخدامِها وسائلَ خلاصٍ تنبع قوَّتُها من ملءِ النعمةِ والحقيقةِ الذي اؤتمنت عليه الكنيسةُ الكاثوليكية.

٤١٩٠ – بيدَ أنَّ اخوتَنا المنفصلين، سواءٌ من حيثُ هم افرادٌ أو مجتمِعُون في طَوائِفهم أو كنائِسهم، لا يَنعَمُون بهذهِ الوَحدة التي أرادَ يسوع المسيح أن يُؤتِيها جميعَ الذين جدَّدَ ميلادَهم واحيَاهم ليكوّنوا جسدًا واحدًا لحياةٍ جديدة، والتي يَشهدُ لها الكتابُ المقدّس وتقليد الكنيسة المكرّمة. ذلك أنَّه بكنيسةِ المسيح الكاثوليكية وحدَها، التي هي «وَسيلةٌ عامّةٌ للخلاص»، يمكنُ الحُصولُ على ملءِ وسائِلِ الخلاص. فإنَّ الهيئةَ الرسُوليَّةَ التي بطرس رأسُها، هي وحدَها، بحسب إيمَانِنا، قد اؤتمنت على جَميعِ غِنى العهد الجديد، لتكوّنَ على الأرض جسدًا واحدًا للمسيح الذي ينبَغي أن يَندمِجَ به ملءَ الاندماج جميعُ الذين أَمسَوا من شعبِ الله. وهذا

الشعبُ وإن ظلَّ، في غضون سَفرِهِ على الأرض، مُعرّضاً في أعضائِه للخطيئة، يواصل نماءَه في المسيح، ويقودُه الله برفقٍ بِحسبِ مَقاصِدِه الخفيّة، إلى أن يُبلغَ سعيدًا، في أورشليمَ السمَاويّة، ملءَ المجدِ الأبديّ كاملاً.

الفصل الثاني: مُمَارَسَةُ العَمَلِ المَسْكُونيّ

٤١٩١ – ٥ – وإنَّ الاهتِمَامَ ببُلوغِ الاتحادِ فرضٌ على الكنيسة كُلِّها جمعاء، سواءٌ في ذلك المؤمنون والرُعاة؛ ويُلزِمُ كلَّ واحدٍ بحسب طَاقاتِه، سواءٌ في الحياةِ اليوميّةِ وفي البُحوثِ اللاهوتيّةِ والتاريخيّة. وإنَّ مثلَ هذا الاهتِمَام يُظهِر، من بعضِ الوجوه، الرابطَ الأخويَّ الذي يَربطُ بين المسيحيين ويقودُ إلى تَمامِ الوَحدة الكاملة، كما يُريدُها الله.

طريقة التعبير عن العقيدة الإيمَانية، وعرضها

٤١٩٢ – ١١ – ويجبُ الاّ يتحوّلَ الأسلوبُ والطريقةُ في التَعبيرِ عن الإيمَان الكاثوليكي عقبةً في طريق الحِوار مع الإخوة. وإنّما لا بُدَّ من عَرضِ العَقيدةِ كاملةً، سافرةً، إذ ما من شيءٍ أبعد عن العمل المَسكونيّ من ذلك النَهجِ السَلامِيّ الكاذب الذي يُسيءُ إلى نَقاوَةِ العقيدة الكاثوليكية، ويغشى بالغُموضِ مَعنَاها الصَحيح الثابت.

ويجبُ، في الوقت نفسه، أن يُفسَّرَ الإيمَان الكاثوليكي بصورةٍ أَبلغَ وأَقوم، وأن يُستخدَم فيه أسلوبٌ في الكلامِ ولغةٌ يَسهُل مَنالُها حتى على الإخوة المنفصلين.

وعلى اللاهوتيين الكاثوليكيّين، في الحِوار المسكونيّ، أن يَنهجُوا، مع حِرصِهم على تعليم الكنيسة الكاثوليكية، مَنهجَ الحقِّ والمحبّةِ والتواضع، في بُحوثِهم في الأسرار الإلهية بالاتّحاد مع الإخوة المُنفصلين. وَليذكُروا في بَسطِهم للعقِيدة، أنَّ هناك ترتيبًا أو تسلسلاً في الاهميّة في حَقائقِ المعتقد الكاثوليكي، نَظرًا إلى صِلتها بأصولِ الإيمَان المسيحي. وهكذا تَرتَسِمُ مَعالمُ الطريق التي تُفضِي بهم جميعًا، بهذا التَنافُسِ الإخوي، إلى مَعرفةٍ أعمقَ واستجلاءٍ أبين لِغَنَى المسيح الذي لا يُسبر غَورُه.

٤١٩٥ – ٤١٩٩ – الجلسة السابعة العلنيّة، ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٥ : بيان في علاقات الكنيسة بالديانات غير المسيحية "Nostra aetate"

توطئة

٤١٩٥ – ١ – في هذا العصرِ الذي يَتزايدُ فيه، يومًا بعدَ يوم، تَوثُّقُ اتحادِ الجنسِ البشريِّ، وتَزدادُ فيه عِلاقاتُ الشعوب بعضها ببعضٍ، تنظرُ الكنيسةُ بتبصُّرٍ في ما تكونُ عليه عَلاقاتُها بالاديانِ غيرِ المسيحيَّةِ. فإِنَّها في مُهمَّتها الراميةِ إلى تعزيزِ الوَحْدةِ والمحبَّةِ بينَ الناسِ، بل بينَ الشعوبِ، تنظرُ ههنَا في ما هو مشتَركٌ بينَ الناسِ ويَحدوهم على أن يحيوا مَصيرَهُم المشتَرَكَ.

ذلك بأنَّ جميعَ الشعوبِ يُؤَلِّفون أُسرةً واحدةً: فَهم جميعُهم من أَصلٍ واحدٍ إذْ أَسْكنَ اللهُ الجنسَ البشريَّ كلَّه على وجهِ هذه الأرضِ؛ ولهم جميعًا غايةٌ قُصْوى واحدةٌ، وهي اللهُ الذي يَبسطُ على الجميعِ كَنفَ عنايتِهِ، وآياتِ لُطفِه، ومقاصدَه الخلاصيَّة، إلى أَنْ يجتمعَ مختاروه في المدينةِ المقدَّسةِ التي يُضِيئُها مجدُ اللهِ، وفي نُورِهِ تَسْلُكُ الشُعوبُ جميعًا.

ويَنتظرُ الناسُ منَ الأديانِ المُختلفةِ جوابًا عنِ الالغازِ الخفيَّةِ لواقعِ الانسانِ التي ما فَتِئتْ في الأَمسِ ولم تفتأ اليومَ أيضاً تُدْخِلُ القَلَقَ البالغَ على قلبِ الإنسانِ: فمَا الانسانُ؟ وما مَعنى الحياةِ وغايَتُها؟ ما الخيرُ والخطيئةُ؟ وما أَصلُ العذابِ وغايتُهُ؟ ما الطريقُ إلى السَّعادهِ الحقَّةِ؟ ماالموتُ والدينونةُ، وما الثَّوابُ بعدَ المَمَاتِ؟ وأخيرًا ما السرُّ القصيُّ الذي يَكتَنِفُ وُجودَنا ويَسمُو على الإدراكِ، وَهُوَ المبدَأُ وإليهِ المَعَادُ؟

الاديانُ غيرُ المسيحيَّةِ

٤١٩٦ – ٢ – لا جَرَمَ أَنَّنا، منذُ أَقدمِ الازمنةِ حتى يومِنا هذا، نَجدُ عندَ مُخْتلفِ الشعوبِ، حَساسيَّةً بهذه القوَّةِ الخفيَّة، الحاضرةِ في مَجرَى الأشياءِ وأَحداثِ الحياةِ البشريَّةِ؛ بل نُصادفُ أَحيانًا الاعترافَ بإلهٍ أَسمى، بل بأَبٍ. وانَّ هاتينِ الحساسيَّةَ والمَعرِفة تُؤثّرانِ في حياتِهم تأثِيرًا دِينيًّا بالِغًا.

وتُحاول الدياناتُ التي نَشأتْ معَ تَطوُّرِ الثَّقافاتِ أَنْ تُجيبَ عن هذهِ الأَسئِلةِ بتحديداتٍ أَدقَّ، وتعبيرٍ أَقربَ إلى الصحَّةِ. في الهِندوكيَّةِ مثلاً يُكبُّ الناسُ على

سَبْرِ أغوارِ السرِّ الإلهيِّ والتعبيرِ عنه بِسَيْلٍ منَ الأساطير، وبالاجتهاداتِ الفَلْسفيَّةِ النَّافِذَةِ. إنهم يَنْشُدونَ انعتَاقَ واقِعِنا الرَّاهِنِ مِن سَطْوةِ القَلَقِ، إمَّا بالاعتِكافِ على أنماط من الزُّهدِ والاستِجهادِ، أو بطريقِ التأمُّلِ العميقِ، أو بطريقِ التَوجُّهِ إلى الله في حبٍّ وثِقَةٍ. أمَّا البُوذِيَّةُ، على مُختَلِفِ صِيَغِها، فإنَّها تَعترِفُ بالنَّقصِ الجذْريِّ في هذا العالَمِ المُتحوِّلِ، وتُعَلِّمُ السبيلَ التي يَتمَكَّنُ الناسُ بها، بقلبٍ تقيٍّ واثِقٍ، إمَّا منَ الحُصولِ على الانعِتَاقِ الكاملِ، وإمَّا مِنَ الانتهاءِ إلى الإشْراقِ الأعظم، وذلك باجتهادِهِم الذاتيِّ، أو بعَوْنٍ مِنَ العَلاء. وكذلك الاديانُ الأُخرى المُنتَشِرَةُ في العالَمِ، فإنَّها تَسعَى بمُختَلِفِ الطُرقِ لمواجَهةِ القَلَقِ المُسيطِرِ على قلبِ الانسانِ، وتَعرِضُ له الصِّراطَ إليه، أي طائفةً منَ التَعاليمِ، والقواعِدِ المَسْلكيةِ، والطقوسِ الدِّينيةِ.

والكنيسةُ الكاثوليكيّةُ لا تَنْبذُ شيئًا ممّا هو في هذه الدياناتِ حقٌّ ومُقدَّسٌ؛ وتُولي تَقديرَها باحترامٍ صادقٍ هذه الطرقَ المسلوكةَ في العملِ والحياةِ، وهذه القواعدَ والتعاليمَ، التي، وإنِ اختَلَفتْ في أمورٍ كثيرةٍ عمَّا تقولُ به هي وتُعلِّمُه، تحمِلُ، غيرَ مرةٍ، قَبَسًا من شُعاعِ الحقيقةِ التي تُنيرُ جميعَ الناسِ. غيرَ أنها تُبشِّرُ، ويجبُ أنْ تُبشِّرَ بلاَ انقِطاعٍ، بالمسيحِ الذي هو «الصِّراطُ والحقيقةُ والحياةُ» (يو ١٤: ٦)، وفيه يجبُ على النَّاسِ أنْ يجدوا مِلءَ الحياةِ الدينيةِ، وبه صالحَ اللهُ مَعَ نفسِه جميعَ الأشياءِ.

من أَجلِ ذلك تُحرِّضُ أَبناءَها على الاعتِرافِ بالقِيَمِ الروحيةِ، والادبيةِ، والاجتماعيّةِ، والثَقافيةِ التي تُوجَدُ عند أَتباعِ الدياناتِ الأُخرى، والمُحافظةِ عليها وإنمائِها، وذلك بطريقِ الحوارِ والتعاونِ معهم، بِمُقتضى الفِطنةِ والمحبّةِ، معَ الشَّهادةِ للإيمَانِ والحياةِ المسيحية.

الدين الاسلامي

٤١٩٧ – ٣ – وتنظرُ الكنيسةُ أيضاً بتقديرٍ إلى المسلمين الذين يَعبُدون اللهَ الواحدَ، الحيَّ القيّومَ، الرحمنَ القدير الذي خلقَ السماءَ والارض، وكلَّم الناسَ. إنهم يَسعَوْن بكلِّ نفوسِهم إلى التسليم بأَحكامِ اللهِ وإن خَفِيتْ مقاصدُه، كما سلَّم للهِ إبراهيمُ الذي يَفْخَرُ الدينُ الاسلامي بالانتِسابِ إليه. وإنهم، على كونهم لا

يعترفون بيسوعَ إلهًا، يُكرمونه نبيًّا، ويكرمون امّه العذراءَ مريمَ، مُبتهلين إليها أحيانًا بإيمَانٍ. ثم إنهم ينتظرون يومَ الدينِ الذي يُجازي اللهُ فيه جميعَ الناسِ بعدَ ما يُبْعَثون احياءَ. من أجلِ هذا يَقدُرون الحياةَ الادبيةَ، ويعبدونَ اللهَ بالصَلاةِ والصدقةِ والصومِ، خصوصاً.

ولَئِنْ كان قد وقعَ، في غُصُونِ الزمنِ، كثيرٌ مِنَ المُنازَعاتِ والعداواتِ بينَ المسيحيّين والمسلمين، فإنَّ المجمعَ يَحرِّضُهم جميعًا على نسيانِ الماضي، والعملِ باجتهادٍ صادقٍ في سبيلِ التفاهُم في ما بينَهم، وأَنْ يَحمُوا ويُعزّزوا كلُّهم معًا، من أجلِ جميعِ الناسِ، العدالةَ الاجتماعيةَ، والقِيَمَ الروحيةَ، والسلام والحريّة.

الدين اليهودي

٤١٩٨ — ٤ — وإنَّ المَجمَعَ، إذ يُنعم النظرَ في سرِّ الكنيسةِ، يُذَكِّر بالأَواصِرِ الروحيةِ التي تَصِلُ شعبَ العهدِ الجديدِ بذريّةِ إبراهيم.

فكنيسةُ المسيح تَعترفُ بأَنَّ بواكيرَ إيمَانها ودعوتِها تُوجَدُ، من قَبيل سرِّ الخلاص الإلهي، في الآباءِ وموسى والانبياءِ. وتعترفُ بأَنَّ جميعَ أَتباعِ المسيحِ هم أبناءُ إبراهيمَ بحسَبِ الإيمَانِ، وأَنّهم مشْمُولون بدعوةِ هذا الجدِّ، وأَنَّ خلاصَ الكنيسةِ مرموزٌ إليه بوجهٍ سرّيٍّ بخروجِ الشعبِ المُختارِ من أَرضِ العبوديّةِ. من أَجلِ هذا لا تستطيعُ الكنيسةُ أَنْ تَنسى أَنها قد تسلَّمتْ وحيَ العهدِ القديم مِنَ هذا الشَعبِ الذي شاءَ اللهُ، برحمته الفائقةِ الوصفِ، أَنْ يُبرِمَ معه الميثاقَ القديمَ؛ وأَنَّها تَغتذي من أَصلِ الزيتونةِ الصريحةِ التي طُعِّمَتْ فيها فروعُ الزيتونةِ البريَّةِ، أي الأُمَمِيّون. ذلك بأَنّ الكنيسةَ تُؤمنُ بأنَّ المسيحَ، سلامَنا، قد صالحَ بصليبِه بينَ اليهودِ والامميِّين، وجعلَ في ذاتِه منَ الاثنين واحدًا.

ولاتَني الكنيسةُ تجعلُ نُصْبَ عينيها كلماتِ الرسولِ بولسَ في ذوي قُرْباهُ الذين «لهمُ التبنّي، ولهُم المجدُ والعهودُ والشريعةُ، ولهم العبادةُ والمواعيدُ والآباءُ، ومنهم وُلِدَ، بحسبِ الجسدِ، المسيح» (روم ٩ : ٤ — ٥)، ابنُ العذراء مريم. وتُذكِّر أيضاً بأَنَّ الرسلَ، وهم أساسُ الكنيسةِ وعمادُها، قد وُلِدوا في الشعبِ اليهوديِّ، وكذلك أيضاً عددٌ كبيرٌ مِنَ التلاميذِ الأوّلين الذين دَعَوا في العالمِ بإنجيلِ المَسيح.

بَيْدَ أَنَّ أورشليمَ، بشهادةِ الكتابِ المقدسِ، لم تَعرِفْ زمنَ افتقادِها: فإنَّ اليهودَ، في سوادِهم، لم يَقبَلوا الإنجيلَ، بل تَصدَّى كثيرون منهم لانتِشارِه. وعلى ذلك، فإنَّ اليهودَ، بِحَسَبِ الرسولِ، لا يزالون، من أَجلِ الآباءِ، مَحْبوبين إلى اللهِ الذي لا يَندمُ إذا أَعطى ودعا. ثم إنَّ الكنيسةَ، مع الأنبياءِ والرسولِ عينِه، تَرتَقِبُ اليومَ الذي لا يَعرفُهُ الاَّ اللهُ وحدَه، الذي فيه تَجتمعُ الشعوبُ كلّها على الابتهالِ إلى اللهِ في صوتٍ واحدٍ، وعلى «خدمتِهِ تحتَ النّير الواحدِ».

وبإزاءِ هذا الواقعِ، واقعِ التّراثِ الروحيِّ العظيمِ، المُشتَرَك بين المسيحيين واليهودِ، يريدُ المجمعُ أنْ يشجّعَ ويُحرّضَ على التعاونِ والتقديرِ المتبادل بين المِلَّتَين، وذلك خصوصاً بالدراساتِ الكتابيّةِ واللاهوتيةِ، وبطريقِ الحوارِ الاخويّ أيضاً.

ولَئِن يكن ذَوو السلطانِ من اليهودِ ومُشَايعوهم هم الذين دفعوا على قتلِ المسيح، فإنَّ ما اقترفَتْهُ الايدي إبّانَ آلامِهِ لا يمكنُ إسنادُه، في غيرِ تمييزٍ، إلى جميعِ اليهودِ الذين عاشوا آنَ ذاك، ولا إلى اليهودِ العائشين في عصرِنا. من أجلِ ذلك لا يجوزُ، على كونِ الكنيسةِ هي الشعب الجديد لله، أنْ يُشهَّرَ باليهودِ بِأَنَّهم مَنْبوذُون منَ اللهِ، وأَنهم مَلْعونون، كما لو كان ذلك يُستَنتجُ منَ الكتابِ المقدّسِ. فَلْيحرصِ الجميعُ اذن، في التعليمِ المسيحي وفي الوعظِ بكلمةِ اللهِ، أَلاَّ يُعلِّموا شيئًا لا يتوافقُ معَ حقيقةِ الإنجيلِ وروحِ المسيحِ.

وإلى ذلك فإنَّ الكنيسةَ التي تَستنكِرُ جميعَ أَلوانِ الاضطهادِ لجميعِ الناسِ، أَيًّا كانوا، ولا قِبَلَ لها بأَنْ تَنْسى التراثَ المشتركَ بينها وبينَ اليهودِ، تأسفُ – لا لبواعثَ سياسيةٍ البتة، بل بدافعٍ من محبّة الإنجيلِ الدينيةِ – للأحقادِ، والاضطهاداتِ، وجميعِ مَظاهرِ العِداءِ للساميةِ التي أَلمَّت باليهودِ، أيًّا كان عهدُها، وايًّا كان فاعلوها.

وإلى ذلك أيضاً فإنَّ الكنيسةَ قد اعتقدَتْ وتعتقدُ بأَنَّ المسيحَ، بفعلٍ من حبهِ اللامتناهي، قد خضعَ باختيارِهِ للآلامِ والموتِ من أَجلِ خطايا جميعِ الناسِ، ولكي يُصيبَ جميعُ الناسِ نعمةَ الخلاصِ. فواجبُ الكنيسةِ اذن في وَعْظِها أَنْ تبشّرَ بصليبِ المسيحِ آيةً لحبّ اللهِ الجامع، وينبوعًا لكلّ نعمةٍ.

الاخوَّةُ الجامعةُ تَنْفِي كلَّ تمييز

٤١٩٩ – ٥ – وَمِنَ العَبَثِ أَن نبتهل إلى اللهِ ، ابي الناسِ طُرًّا ، إذا نحن أَغْفلنا التصرُّفَ الاخويَّ تجاهَ بعضٍ من النَاسِ المخلوقِين على صورةِ الله . ذلك بأَنَّ علاقةَ الانسانِ باللهِ الآب ، وعلاقةَ الانسانِ باخوته الناسِ مرتبطتانِ إرتباطاً وَثيقًا حتى لقد قال الكتابُ : «مَن لا يحبّ فإنه لا يعرفُ اللهَ » (يو ٤ :٨).

بهذا تُنسَفُ منَ الأساسِ كلُّ نظريةٍ وكلُّ تصرُّفٍ يُدخلانِ بينَ الانسانِ والانسانِ ، وبينَ شعبٍ وشعبٍ ، تَمييزًا في ما يتعلّقُ بالكرامةِ الانسانيّةِ والحقوقِ الناجمةِ عنها. فالكنيسةُ تَستنكرُ إذن ، كَمُخالفٍ لروحِ المسيح ، كلَّ تمييز وكلَّ عنفٍ في جانبِ فئةٍ منَ الناسِ لِباعِثٍ من عِرْقٍ ، ولونٍ ، وطبقةٍ أو دين ، ومن ثَمَّ فإنَّ المَجمعَ ، فيمَا يَترسَّمُ خطى الرسولين القدّيسين بطرسَ وبولسَ ، يُناشدُ بحرارةٍ ابناءَ المسيحِ «بأَنْ تَكونَ سيرتُهم حسنةً بينَ الأمَميّين» (١ بط ٢ :١٢) ، ما استطاعوا سبيلاً ؛ وأَنْ يَعيشوا في سلام ، قدرَ وُسعِهِم ، معَ جميعِ الناسِ ، فيكونوا حقًّا ابناءَ الآبِ الذي في السماوات.

٤٢٠١ – ٤٢٣٥ – الجلسة الثامنة العلنيّة ، ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٥ : دستور عقائدي في الوحي الإلهي "Dei Verbum"

توطئة

٤٢٠١ – ١ – «إنَّنا نُبشّركم بالحياة الأبديَّة التي كانَتْ لدى الآب وظهرتْ لنا. إنَّ ما رأيناهُ وسمعناهُ به نُبشّركم ، لِتكونَ لَكُم ، أَنتم أَيضاً ، شركةٌ معنا ، ولتكونَ شركتُنا نحن أيضاً مع الآبِ ومع يسوعَ المسيحِ ابنه» (١ يو ١ :٢-٣) ، بَوحي هذه الكلمات من القديس يوحنا ، يَعملُ المجمعُ المقدّس ، كلّ مرّة يُصغي إلى كلمة الله بورع ويُعلنها إعلانًا ثابتًا. وَلِذلكَ فهو يقصِدُ ، ممّا يَلي من العَرْض ، أن يُوضح التعليمَ الصحيح ، عن الوحي الإلهيّ وتناقلِه ، مُقتفيًا آثار كلٍّ من المجمعين التريدنّتي والفاتيكانيّ الأول ، حَتّى إذا ما سمع العالم كلّهُ بُشرى الخلاص ، آمن بالله ، وإذا ما آمن به ، وضعَ فيه رجاءَه ، وإذا ما وضعَ فيه رجاءَه ، أَحبَّه.

الفصل الأوّل: الوحي الإلهيّ في ذاتهِ

مقوّمات الوحي

٤٢٠٢ – ٢ – لقد حسُنَ لدى الله، لِفَرط حكمته ومحبته، أَن يوحي بذاته ويعلن سرَّ مشيئته (أف ١ : ٩)، من أنَّ البشر يبلغون الآب، في الروح القدس، بالمسيحِ، الكلمةِ المتجسّد، فَيُصبحون شُركاءَه في الطبيعة الإلهيّة (أف ٢ : ١٨؛ ٢ بط ١ : ٤). في عمليّةِ المكاشفةِ هذه يُخاطِبُ اللهُ، وهو الذي لا يُرى (كول ١ : ١٥؛ ١ تيم : ١٧)، جماعةَ البشر، من فيض حنانه، كما يُخاطب الأَحباء (خر ٣٣ : ١١؛ يو ١٥ : ١٤ – ١٥). إنه يتحدّثُ إليهم (با ٣ : ٣٨) لِيَطلبَ منهم أن يُشاركوه في حياته. وقد شاء أن تتمّ هذه المكاشفة بواسطةِ أعمالٍ أَجراها، وأقوالٍ ساقها، وَكِلاهما وثيقُ الارتباط: فالأعمال التي عَمِلَها في تاريخ الخلاص أَوضَحتْ تعاليمه، ووطّدَتْ مدلولَ كلامِه، كما أَنّ الأقوال التي قالها أَشادتْ بأعمالِه، وأَظهرتْ ما فيها من تدابيرَ تفوق الإدراك. إلاّ أَنَّ الحقيقةَ الكاملةَ، الناجمة عن المكاشفة بالله وبخلاص الانسان، لَمْ تتجلَّ لنا ببهاء، كما تجلّت في شخصِ المسيح، الذي هو وسيطُ كلِّ الوحي وكمالُه في آنٍ واحد.

التمهيد للوحي الانجيلي

٤٢٠٣ – ٣ – بِالكلمة كَوَّنَ اللهُ كلَّ شيء. وبِالكلمةِ حافظَ على كلِّ كِيان. وفي كلّ كائنٍ تركَ أَثرًا من ذاته لا يزولُ بل يُعرِّف به (روم ١ : ١٩ – ٢٠). ولمّا شاء الله أن يُمهّدَ الطريقَ لخلاصٍ من العلاء عرّفَ أيضاً الأبوين الأولين بذاته تعريفًا مستفيضاً عند خلقهما. ولمّا سقطا انتشلَهُما وأَنعشهما برجاءِ الخلاص، فوعدهما بالفداء (تك ٣ : ١٥). ومنذئذٍ، ما فتئ يومًا يَرعى الجنسَ البشريّ بعطفه، فَيَمنحُ الحياةَ الأبديّةَ لكلِّ الذين يسعَون إلى الخلاص، بمواظبتهم على الأعمالِ الصالحة (روم ٢ : ٦ – ٧). وفي الوقت الملائم عادَ فدعا إبراهيمَ ليجعلَهُ أُمّةً كبيرة (تك ١٢ : ٢). ولمّا غابَ الآباءُ توجّهَ إلى تلك الأمّة بالتهذيب، على يدِ موسى والأنبياء، فعلّمَهُم أن يَعترفوا به إلَهًا واحدًا، حيًّا وحقيقيًّا، وأَبًا ساهرًا، وحاكمًا

عادلاً. وعلّمهم أن يَنتظروا المخلّصَ الموعودَ به. فَمَهَّدَ بذلك طريقَ الإنجيل، جيلاً بعد جيل.

المسيح هو كمال الوحي

٤٢٠٤ – ٤ – إنّ اللهَ ، بعدَ أن تكلّم بلسانِ الأنبياء مرارًا عديدة، وبأساليبَ مختلفة، «كلّمنا، في هذه الأيام الأخيرةِ، بالابن» (عب ١:١ – ٢). فلقد أَرسلَ اللهُ ابنَهُ، الكلمةَ الأزليّ، الذي يُنير كلَّ البشر، لِيسكنَ بينَ الناس، ويُطلِعهم على كُنْهِهِ (يو ١:١ – ١٨). فجاءَ يسوعُ المسيح، كلمةً متجسدًا، وبشرًا رسولاً إلى البشر، «يَنطِقُ بكلماتِ الله» (يو ٣:٣٤)، ويُجري عملَ الخلاصِ الذي أعطاهُ الله أن يتمّمه (يو ٥:٣٦؛ ١٧:٤). ولأنّ «مَنْ رآهُ فقد رأى الآب» (يو ١٤:٩)، جاء يسوعُ يَحضُرُ بينَ البشر، ويُظهرُهم ذاتَهُ، بأقوالِهِ وأعمالِه، ثم بآياته وعجائبِه، وخاصةً بموتِهِ وقيامتِهِ المجيدةِ من بينِ الأموات، وأخيرًا، بإرسالِهِ روحَ الحقّ. وهكذا أكملَ مُكاشفةَ اللهِ للبشر، بعد أن أَنجزَ في ذاتِه كلَّ ما جاءَ في الوحي، وبعدَ أن ثَبّتَ بشهادتِهِ الإلٰهيّة أنّ الله مُقيمٌ في ما بيننا، لِيُحرّرَنا من ظُلماتِ الخطيئةِ والموت، ويُنهضَنا إلى حياةٍ لا تزول. كلُّ ما قام به المسيحُ من تدابيرَ خلاصيّة هو العهدُ الجديدُ النهائي. ولِذَلِكَ فهو غيرُ زائلٍ أَبَدًا، ولَن يُرتَقَب بعدَه ظهورٌ إلهيٌّ آخر، إلى أن يتجلّى ربُّنا يسوعُ المسيحُ في مجده (١ تيم ٦:١٤؛ تيط ٢:١٣).

الوحي يُوجب الإيمَان

٤٢٠٥ – ٥ – إزاءَ اللهِ الذي يوحي، يَقومُ واجب الإنسانِ «بطَاعة الإيمَان» (روم ١٦:٢٦؛ ١:٥؛ ٢ كور ١٠:٥ – ٦). بهذه الطاعةِ يسلّم الانسانُ أَمرَهُ كلّه لله، حرًّا من أيّ قَسْر، «ويُخضعُ عقلَهُ وإرادتَهُ لله الذي يوحي»، ويُصدّقُ الوحيَ، ويتَقبّلُ طوعًا ما جاء فيه. إيمَانٌ من هذا القبيل يَتَطلّبُ نعمةً من اللهِ تتداركُ الانسانَ وتَعضُدُه، وعونًا داخليًّا، صادرًا عن الروحِ القدس، يُحرّك القلبَ ويُوجّههُ إلى الله، يُنيرُ البصيرةَ ويمنحُ «للجميعِ عذوبةً في تقبّلِ حقائقِ الإيمَانِ والانقيادِ لها. ويَدأَبُ الروحُ القدُسُ نفسهُ في تعزيز هذا الإيمَان، بواسطةِ مواهبه، ومن غيرِ انقطاع، لكي يزدادَ إدراكُ الوحي في النفوس، يومًا بعدَ يوم.

الوحي الإلهيّ ومعرفة الله الطبيعيّة

٤٢٠٦ — ٦ – لقد شاءِ اللهُ أن يُظهِرَ نفسَهُ للعالم عن طريقِ الوحي الإلهيّ، وأن يُعلَنَ للبشر ما حَكَمَتْ به إرادتُه منذُ البدء بشأنِ خلاصِ الإنسان، مِن أنّهُ «أشركَهُ في خيراته الإلهيّة التي تَفوقُ الإدراك».

إنَّ المجمع المقدّس يعترف علنًا أن «الإنسانَ قادرٌ على معرفةِ الله، مصدر كل شيء وغايتِهِ، معرفةً راسخة، إذا ما انطلقَ من الخلائق، واستعانَ بمقدرتِه الطبيعيّةِ على التفكير» (روم ١ : ٢٠). ولكنَّهُ يُعلِّمُ أيضاً أن قد أتى عن طريقِ الوحي الإلهيّ الحقيقة التالية: «وهي أنَّ جميعَ الناسِ قادرونَ أن يَعرفوا معرفةً ثابتة لا يشوبُها خطأ، وعلى الرغمِ من وَضعِهِم الراهن، شؤونًا إلهيّةً ليسَتْ، في حدّ ذاتها، مستعصيةً على الفهم البشري».

الفصل الثاني: تناقُل الوحي الإلهيّ

الرسل وخلفاؤهم كرزوا بالإنجيل

٤٢٠٧ — ٧ – إنّ الله الذي كشفَ حقائقَ الوحي لِتَخلُصَ به جميعُ الأمم، عادَ فمَنّ عليهم أيضاً بترتيباتٍ ملائمة، لكي يُحافظَ هذا الوحيُ على عِصمتِهِ حتّى مُنْتهى الدهور، ويَتمكَّن من الوصول، عبرَ تناقلِهِ، إلى جميع الأجيال. وهكذا صار. فجاءَ السيّدُ المسيح، الذي فيه يكتملُ كلُّ وحي الله العليّ (٢ كور ١ : ٣٠؛ ٣ : ١٦؛ ٤ : ٦)، وحقّقَ في حياته وأَعلنَ بلسانه الإنجيلَ الذي مهَّدَ له الأنبياءُ بمواعيدهم، ثم أمر رسلَه أن يُبَشّروا الناسَ أجمعين بهذا الإنجيل، مَنبعًا لكلّ حقيقةٍ خلاصيّةٍ، ومصدرًا لكلِّ نظامٍ خُلُقيّ، ويُسبِغوا هكذا على الجميعِ المواهبَ الإلهيّةَ. وقد تمّت هذه الكرازة بأمانة، على يَدِ الرسلِ وعلى يدِ مساعديهم الأقربين. فكان من الرسل أَنفسِهم أن نقلوا، عن طريق بشارتهم الشفويَّة، أو سيرتهم النموذجيَّة، أو تَنظيمِهِم القانوني، كلَّ ما تَسلّموهُ من المسيح من كلامٍ سمعوه، أو عيشٍ أَلِفوه، أو أعمالٍ عاينوها. كما نَقَلوا أيضاً كلّ ما تلقّنوه منَ إيحاءاتِ الروحِ القدس. وكان من الرسلِ ومعاونِيهم أن دَوّنوا، كتابةً، بشارةَ الخلاصِ هذه بإلهامٍ من الروحِ القدُسِ عينِهِ.

٤٢٠٨ – ولكي تُحافِظَ بشارةُ الإنجيل على نقاوتها وحَيويّتها بلا انقطاع، استخلَفَ الرسلُ أساقفةً «وقلّدوهم ما كانوا يضطلعون به من مسؤوليةِ التعليم». فجاء هذا التقليد المقدّس والكتاب المقدّس في كلا العهدين وكأنهما مرآة يتاح فيها لجماعة المسيحيين ان يتأمّلوا مسيرتهم على الأرض، إلى أن يَحينَ الوقتُ، ويصلوا إلى رؤيتِه كما هو: وجهًا لوجه (يو ٣ : ٢).

التقليد المقدّس

٤٢٠٩ – ٨ – وهكذا ترتّبَ على الكرازةِ الرسولية، التي تعبّر عنها بنوع خاصّ الأسفارُ الملهَمة، أن تُحفَظَ سالمةً، بتعاقبٍ غيرِ منقطعٍ حتى منتهى الدهر. فحينما كان الرسلُ يقلّدون المؤمنين ما تَسلَّموه، كانوا يُوصونهم ان يُحافظوا على التقاليدِ التي تَلقَّنوها من سياقِ مواعظِهم أو رسائِلهم (٢ تسا ٢ : ١٥)، وأن يُناضِلوا في سبيلِ الإيمَان الذي تقلّدوه دفعةً واحدة (يهو ٣). فجاء هذا التقليدُ الواردُ من الرّسلِ يحمِلُ في طيّاتِه كلَّ ما يُسهِمُ في توجيهِ شعبِ اللهِ شطرَ السيرة المقدسةِ وانتعاشِ الإيمَان. وجَاءَت الكنيسةُ، بتعاليمِها وحياتِها وطقوسِها، تُحافظ على كلِّ ما هو من جوهرِها، وعلى كلِّ ما هو من إيمَانِها، وتُبلِّغُهُ إلى جميع الأجيال، واحدًا فواحدًا.

٤٢١٠ – انّ هذا التقليد، الآتيَ من الرسل، ينمو ويتطوّرُ في الكنيسةِ بمعونةِ الروح القدس، لأن جماعةَ المؤمنينَ تزدادُ فهمًا لِمَا تسلّمتْهُ من أحداثٍ وأقوال: فإمّا بالإمعان في تفحّصِها ودرسِها، كلَّمَا تأمّلوا فيها في قلوبهم (لو ٢ : ١٩ و٥١)، وإمّا بإدراكٍ داخلي عميقٍ للأمور الروحية، وإمّا باستخلاص أنوارٍ جديدةٍ بشأنِها من كرازة أولئكَ الذين حصلوا، مع الولايةِ الروحية، على هبَةٍ لَدُنيّةٍ خاصّةٍ في قولِ الحقّ. وهكذا تسعى الكنيسة، بلا انقطاع، وعلى ممرّ العصور، أنْ تَبْلُغَ الحقيقةَ الإلهيَّة كاملةً، إلى أَن يَحينَ لها الوقتُ، فتَتحقّق فيها جميعُ أقوالِ الله.

٤٢١١ – انّ تعاليمَ الآباء القدّيسين تشهد على حضور هذا التقليدِ حضورًا محييًا: فهو يتحوّل بثروتِه كلِّها إلى عملٍ وحياةٍ في الكنيسة، عند ممارستِها الإيمَان وإقامتِها الصلاة. وبفضلِ هذا التقليد عينه، تَثبّتتِ الكنيسةُ اللائحةَ الصحيحةَ للكتبِ

المقدّسة. وبفضلِه اهتدى المؤمنونَ إلى فهم الكتبِ الملهمةِ فهمًا تامًّا. وبفضله، كانتِ الأَسفارُ المقدّسةُ دائمةَ الفعل: فالآب الذي أسمع صوتَهُ قديمًا ما زال يتجاذبُ الحديثَ مع «عروسة» ابنه الحبيب، والروحُ القدسُ الذي جعلَ صوت الإنجيلِ يُدوّي في الكنيسة، ومنها، في العالمِ كلِّهِ. ويُدخلُ المؤمنينَ صلبَ الحقيقة كلِّها، ويُمَكّن كلامَ المسيح من الاستقرارِ في قلوبِهم بوفرة (كول ٣: ١٦).

الروابط المتبادلة بين التقليد والكتاب المقدّس

٤٢١٢ – ٩ – فالتقليدُ المقدّس والكتابُ المقدّس مترابطان إذن ترابطاً وثيقًا، بل يُفضي أحدهما إلى الآخر. إنهما ينبثقان من الينبوع الإلهيّ الواحد، وَيترافَدان في سَيْرِهما، ويصلان إلى الغايةِ عينِها. فالكتاب المقدّس هو كلام الله مدوّنًا بإلهام من الروح الإلهيّ. أمّا التقليد المقدّس فيحملُ كلمةَ اللهِ التي سلَّمها السيّدُ المسيحٍ، مع الروحِ القدس، إلى الرسل، ويَنقُلُها كاملةً صحيحةً إلى خلفائِهم، ليُبَشِّروا بها مستنيرين بروح الحقّ، وهكذا يحفظونها ويعرضونها وينشرونها بكلّ أمانة. ينتج من ذلك كلِّه أنّ الكنيسة لا تستمدُّ يقينَها حول حقائق الوحي كلِّها من الكتاب المقدّس وحدَه. لذلك يجبُ قبولُ كلا التقليد والكتاب المقدّس وإكرامُهما بعاطفة واحدة من المحبّة والإجلال.

التقليد والكتاب في علاقتهما مع شعب الله والسلطة التعليميّة

٤٢١٣ – ١٠ – إنّ التقليد المقدّس يُكوّن مع الكتاب المقدّس مستودعًا لكلمة الله أوحدَ مقدّسًا، تَسَلَّمَتْه الكنيسة. وإذا ما تشبَّث الشعب المقدّس متَّحِدًا برعاته بهذه الوديعة، بقي مواظبًا على تعاليم الرسل، والشركة وكسر الخبز والصلوات (أع ٢: ٤٢ – يوناني) ونشأ عن ذلك انسجامٌ فريدٌ بين الشعبِ وكهنتِه حول الإيمان المتناقَل، لكونهم كلّهم يعملون على حفظه وتطبيقه والمجاهرة به.

٤٢١٤ – إنّ مهمّة التفسير تفسيرًا صحيحًا لكلمة الله المكتوبة والمتناقَلة في التقليد، قد أُسنِدَت في الكنيسة إلى سلطتها التعليميّة الحيّة وحدها، وهي تمارس سلطانها باسم يسوعَ المسيح. غير أنّ هذه السلطة التعليميّة لا تعلو كلمة الله، بل تخدمها ولا تعلّم

٤٢٠٨ – إلاَّ ما تسلَّمَتْهُ من التعاليم. فإنّها بتكليف من الله، وبعون من الروح القدس، تُصغي بخشوع إلى هذه الكلمة، وترعاها باحترام، وتفسّرها بأمانة.
ومن هذه الوديعة الواحدة لحقائق الإيمان تَسْتقي كلّ ما تعتبرُه موجِبًا للإيمان لأنّه من وحي الله.
فمن الواضح إذن أنّ التقليد المقدّس والكتاب المقدّس والسلطة التعليميّة في الكنيسة بتدبير من الله عظيم الحكمة، هي وثيقة الارتباط والتلازم في ما بينها، حتّى إنّ واحدًا من هذه الثلاثة لا يستقرّ بدون الباقي، بل تعمل كلّها، وكلّ واحد على طريقته، وبدفع من الروح القدس الواحد وتُسهم اسهامًا فعّالاً في خلاص النفوس.

الفصل الثالث: إلهامُ الكتاب المقدَّس وتفسيرُه

إلهام الكتاب المقدّس وحقيقته

٤٢١٥ – ١١ – إنّ الحقائق التي أوحى بها الله، وتحملُها أسفار الكتاب المقدّس إلى الناس، قد دُوّنَت بإلهام من الروح القدس. والكنيسة أمُّنا المقدّسة، بالاعتماد على إيمان الرسل، تعتبر كلّ الأسفار في كلا العهدين القديم والجديد قانونيّةً ومقدّسةً بكلّ اجزائها، ذلك أنّها كُتِبَت بإلهام الروح القدس (يو ٢١:٣١؛ ٢ تيم ٣:١٦؛ ٢ بط ١:١٩ – ٢١؛ ٣:١٥ – ١٦)، ولذا فهي من وضع الله، وعلى هذا الاعتبار تسلَّمَتها الكنيسة بالتناقل. ولكي يضع اللهُ هذه الكتب المقدّسة، اختار أُناساً واستعان بهم، عاملاً هو نفسه فيهم وبواسطهم لِيَكْتُبُوا كمؤَلّفين حقيقيّين استخدموا قِواهُم وإمكاناتِهم، كلّ ما أراده هو ولا شيء سواه.

٤٢١٦ – وبمَا أنّ كلَّ ما أكّده المؤلّفون الملهَمون وواضعُو الكتب المقدّسة يجب اعتبارُه صادرًا من الروح القدس، وجب الاعتراف أنَّ اسفارَ الكتاب تُقَدِّمُ تعليمًا ثابتًا وأمينًا ومعصومًا عن الخطأ حول الحقيقة التي أراد اللهُ أن تُدَوَّن في الأسفار المقدّسة من أجل خلاصنا. ولهذا «فإنّ الكتابَ كلَّه قد أَوحى به الله، وهو مفيدٌ للتعليم والحِجاج، والتهذيب في البرّ، لكي يكون رجلُ الله كاملاً متأهّبًا لكلّ عملٍ صالحٍ» (٢ تيم ٣:١٦ – ١٧ يوناني).

كيف يجب تفسير الكتاب المقدّس

٤٢١٧ – ١٢ – ولكن، بمَا أنّ الله قد تكلّم في الكتاب المقدّس بلسان البشر وعلى طرائق البشر، فإذا شاء مفسّرُ الكتاب المقدّس أن يُدرِك إدراكًا كاملاً حقيقة ما قصد الله ممّا أبلغنا إيّاه، تَوَجَّب عليه أن يتفحّص كلام كاتب الوحي متسائلاً: ما هي حقيقةُ ما هَدَفَ إليه في قولِهِ؟ وماذا حَسُنَ لدى الله نفسِه أن يكشِفَ على لِسانِهِ؟

ولكي يَستَخلِصَ المرءُ نيّة كاتب الوحي ممّا قاله، توجَّبَ عليه، فيمَا تَوَجَّب، أن يولي «الأنماط الأدبيّة» اهتمامًا خاصّاً. لأنّ الكتاب الذي يبسط حقيقةً ما قد يُعَبِّرُ عنها بطرقٍ متنوّعة وفي نصوصٍ تعتمد أساليبَ مختلفةً فتأتي تاريخيّةً أو نَبَويّةً أو شعريّةً أو بأنماط أُخرى من انماطِ التعبير.

٤٢١٨ – فيجب إذن على المفسّر أن يبحثَ عن المعنى الّذي قَصَدَه كاتبُ الوحي، ويَرى كيف عبّر عنه في أجواءٍ خاصة وفي بيئةٍ لازمة، وفي أوضاعٍ ثقافيةٍ راهنة، معتمدًا أنماطاً أَدبيّةً شائعةً في زمانِهِ. وإذا ما شاءَ المرءُ أن يَكشفَ حقيقةَ ما قصد كاتبُ الوحي تأكيدَه في كتاباتِهِ، وجَبَ عليهِ أيضاً أن يتنبّهَ تنبهًا دقيقًا إلى ما شاعَ في بيئةِ الكاتبِ من طرقٍ موروثة، تُستعملُ للتعبيرِ عن عاطفةٍ، أو لروايةِ قولٍ، أو لسردِ حادثةٍ، وإلى ما شاعَ في مختلف البلدان، في العهد عينه، بين المجتمعات الإنسانيّة، من طرقٍ للتعامل.

٤٢١٩ – ولكن، بمَا أنّ الكتاب المقدّس لا يُقرأ ولا يفسَّر إلاّ في نور ذاك الروح الذي في نورِه تمَّت كتابتُه، ولأجلِ أن يستخلص المرءُ من النصوص المقدّسة معناها الدقيق، لَزِمَ التنبُّهُ تنبُّهًا فائقًا إلى مضمون الكتاب كلّه ووحدتِه، من غير أن يُغْفَل التقليدُ الحيُّ الجاري في الكنيسة كلِّها، وقياسُ الشَبَهِ في التعبيرِ عن الإيمَان. ويعودُ إلى المفسّرين، على ضوءِ المبادئ المذكورةِ أعلاه، أن يَسعَوا سعيًا حثيثًا إلى أن يُدرِكوا معانيَ الكتاب المقدّس إدراكًا أعمقَ ويَعرِضوها عرضاً أَوفى، ويعملون هكذا بدراساتهم التمهيديّة على ان يأتيَ حُكمُ الكنيسةِ بشأنها ناضجًا. لأنّ كلَّ ما يتعلَّقُ بأصولِ تفسيرِ الكتاب خاضِعٌ في النهاية لحُكمِ الكنيسة، وهي بذلك تقوم بمَا عَهِدَ إليها الله من مُهِمَّةِ المحافظةِ على كلمةِ اللهِ وتفسيرها.

تنازُل الله

٤٢٢٠ – ١٣ – في الكتاب المقدّس إذن يَظهرُ «تنازُلُ» الحكمةِ الأزليّة، هذا التنازلُ العجيبُ الذي تبقى فيه حقيقةُ اللهِ وقداستُه على ما هما عليه، وبه نَقدُرُ عطف اللهِ الفائقَ الوصف، الذي جعله يَرفُقُ بطبيعتنا ويتجاوب معها فيُكيِّفُ كلامه حسب مُتَطَلِّباتِها حتّى إنّ كلام الله، وقد نَطَقَت به شفاهٌ بشريّةٌ، صار شبيهًا بكلام البشر، كما أنّ كلمة الآب الأزليّ قد اتّخذَ يومًا بالجسدِ وهنَ الطبيعة البشريّة وصار شبيهًا بالبشر.

الفصل الرابع: العَهْدُ القَدِيم

تاريخ الخلاص في أسفار العهد القديم

٤٢٢١ – ١٤ – إنَّ الله، لمّا أَصرَّ، بعظيمِ حنانِه، أن يُخلِّصَ الجنسَ البشريَّ كلَّه، وأن يُهَيّـئ ما يلزمُ لذلك، اصطفى، بتدبيرٍ منهُ فريد، أُمّةً تكونُ خاصَّتَه، واستودَعها مواعيدَهُ الخلاصيّة. فأَبرمَ عهدًا مع إبراهيم (تك ١٥: ١٨). ثم أَبرمَ عهدًا مع الشعبِ الاسرائيليّ على يدِ موسى (خر ٢٤: ٨). وبأقوالِهِ وأفعالِهِ كشفَ ذاتَهُ لهذا الشعبِ المختار، فأَعلنَ لهُ أنّه وحدَهُ هو الإله الحقّ، وهو الإلهُ الحيّ. وانبرى شعبُ اسرائيل يختبرُ مسالكَ اللهِ في طريقِه إلى الإنسان، وتمكّن من إدراكِها، يومًا بعدَ يوم، إدراكًا أكثرَ عمقًا وأكثرَ صفاءً، معتمدًا على ما جاءَ على لسانِ الأنبياءِ من كلامِ الله. ثم عاد فأدّى عن هذه الاختباراتِ شهادةً متعاظمة بين الأمم (مز ٢١: ٢٨ – ٢٩؛ ٩٥: ١ – ٣؛ أش ٢: ١ – ٤؛ ار ٣: ١٧). إنَّ تدابير اللهِ الخلاصيّةَ كانتْ وعودًا في البداية، ذكَرها كتّابُ الوحي ثم تحوّلتْ إلى وقائعَ سردوها، وإلى تفسيراتٍ نظّموها، فجاءت كلامًا من اللهِ حقًّا، محفوظاً في كتبِ العهدِ القديم. فلا عجبَ إذا حافظَتْ هذه الكتبُ، التي أوحى بها الله، على قَدْرٍ عظيمٍ من الاعتبارِ لا يفنى. «فإنَّ جميعَ ما كُتِبَ من قبلُ، إنما كُتِبَ لتعليمِنا، ليكونَ لنا الرجاءُ، بالصبرِ وتعزيةِ الكتب» (روم ١٠: ١١).

أهميّة العهدِ القديم بالنِّسبة إلى المسيحيّين

٤٢٢٢ – ١٥ – إنَّ كلّ ما دبَّره الله في العهد القديم يستجيب لِقصد إلهيّ يدورُ حولَ مجيءِ المسيح، مخلِّصِ العالم، وحولَ ملكوتِهِ الماسيويّ. فالعهدُ القديمُ تهيئةٌ له، وتنبّؤٌ عنه (لو ٢٤: ٤٤؛ يو ٥: ٣٩؛ ١بط ١: ١٠)، وتعريفٌ به تعريفًا رمزيًّا مختلفَ الأوجه (١ كور ١٠: ١١). وأسفارُ العهدِ القديم تُفهِم كلَّ إنسانٍ ما هي حقيقةُ الله، وما هي حقيقةُ الإنسان. وتَتكشَّفُ عن أساليبِ تبليغٍ مختلفة، لجأ إليها الله في تعامله مع البشر، مرةً بالعدل، ومرةً بالرحمة، حسبَ الأوضاعِ السّائدةِ قبلَ أن يأتيَ المسيحُ ويُحقّقَ الخلاص. إنَّ هذه الأسفار، مَعَ ما تحتويه من معلوماتٍ ناقصةٍ أو صالحةٍ إلى حين، تَحمل أسلوبًا تربويًّا ناجحًا. ولذلكَ فالمسيحيونَ ملتزمون أن يتقبَّلُوها بورعٍ وخشوعٍ، لأنها تنضَحُ فكرًا إلهيًّا حيًّا، ولأنها تَحتوي، في تضاعيفِها، على تعاليمَ ساميةٍ عن جوهرِ الله، وعلى نصائحَ حِكَميّة تُلائِمُ الحياة، وعلى كنوزٍ رائعةٍ من الصلوات. وفيها أخيرًا، يكمُنُ سرُّ خلاصِنا.

وحدة العهدين

٤٢٢٣ – ١٦ – وعليه، فإنَّ اللهَ ، واضعَ الأسفارِ المقدّسةِ بعهدَيها، القديمِ والجديدِ، ومُنزِلَ الوحيِ فيها، قد رتَّبها بحكمةٍ، فكانت أفكارُ العهدِ الجديدِ دفينةً في تضاعيفِ العهدِ القديم، بينما اكتسبتْ أفكار العهدِ القديم معانيَ واضحةً في ضوءِ العهدِ الجديد: صحيحٌ أنَّ المسيح قد أَسَّس عهدَهُ الجديدَ على ذبيحةِ دمِهِ (لو ٢٢: ٢٠؛ ١ كور ١١: ٢٥)، غير أنَّ أفكارَ العهدِ القديم ما بلغتْ كمالَها النهائيَّ إلاّ في العهدِ الجديد. وفيهِ تَكشَّفَتْ عن معانيها الحقيقيةِ، بعد أن تبنَّتْها واحتوتْها رسالةُ الإنجيل (متى ٥: ١٧؛ لو ٢٤: ٢٧؛ روم ١٦: ٢٥ – ٢٦؛ ٢ كور ٣: ١٤ – ١٦). وتكتسب هذه الرسالة الإنجيليةُ من كتبِ العهدِ القديم شرحًا وتفسيرًا.

الفصل الخامس: العَهْدُ الجَديد

سموّ العهد الجديد

٤٢٢٤ – ١٧ – إنَّ كلمة اللهِ ، القدرةَ الإلهيَّةَ لخلاصِ كلِّ مؤمنٍ (روم ١: ١٦)، قد ظهرتْ بأسمى مظاهرِها في كتبِ العهدِ الجديدِ، وأَبدتْ فيها قوَّتَها. فإنَّهُ، لمّا حانَ

ملءُ الزمان (غلا ٤ : ٤٤)، صارَ الكلمةُ جسدًا، وسكن بيننا، ممتلئًا نعمةً وحقًّا (يو ١ : ١٤): لقد بَسطَ المسيحُ ملكوتَ اللهِ على المسكونةِ كلِّها، وكشفَ عن جوهرِهِ الخاصّ، وعن جوهر أبيهِ، بمَا جاءَ من أعمالٍ وبمَا نطقَ من أَقوالٍ. وقد توَّجَ رسالتَهُ بموتِهِ، وقيامتِهِ، وصعودِهِ المجيد، وإرسالِهِ الروحَ القدس. ولمّا رُفِعَ من الأَرض، اجتذبَ إليه الجميعَ (يو ١٢ : ٣٢ يوناني)، لأنّه وحدَهَ يَملكُ كلامَ الحياة الأبدية (يو ٦ : ٦٨)، إنَّ هذا السرّ لم يُعلَنْ لبني البشر، في الأجيالِ السابقة، كما أعلنَه أخيرًا الروحُ القدسُ لرسلِهِ القدّيسين وأنبيائِهِ (أف ٣ : ٤ — ٦ يوناني)، لكي يُبشّروا بالإنجيلِ، ويُوقظوا الإيمَانَ في قلوبِ البشرِ، ويحملوهُم على الاعترافِ بيسوعَ المسيحِ ربًّا ومسيحًا، ويضمُّوا المؤمنين في كنيسةٍ واحدةٍ. إنَّ كلَّ هذهِ الأمورِ لم تَرِدْ فيها شهادةٌ إلهيّةٌ إلاَّ في كتبِ العهدِ الجديدِ، وهي شهادةٌ لا تَزول.

المصدر الرَّسوليّ للأناجيل

٤٢٢٥ — ١٨ — لا يغربُ عن أحدٍ أنَّ الأناجيلَ تفضُلُ حقًّا سائرَ الكتبِ المقدَّسة، كانتْ ما كانتْ، ولو من العهدِ الجديدِ، لأنّها شاهدٌ، ما بعدَهُ شاهدٌ، على مخلِّصنا، كلمةِ اللهِ المتجسّدِ: على سيرته وتعاليمِهِ.

لقد اعتبرتِ الكنيسةُ، في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ زمانٍ، أنَّ الأناجيلَ الأربعةَ هي من وضعِ الرسلِ: إنَّ ما كرز به هؤلاءِ، بأمرٍ من المسيح، قد نقلوه فيمَا بعد، هم أنفسُهُم، أو بعضُ من أحاطَ بهم منَ المعاونين، مدوّنينَ اياه، بوحيٍ من الروحِ القدس، في أسفارٍ أصبحتْ سَنَدَ الإيمَان، نَعني بها الأناجيلَ الأربعةَ التي تنوَّعتْ شكلاً، على حسب ما وَردتْ على يدِ متّى، ومرقصل، ولوقا، ويوحنا.

تاريخيّة الأناجيل

٤٢٢٦ — ١٩ — إنَّ الكنيسةَ المقدَّسةَ، أمَّنا، قد أصرَّت دومًا وتصرُّ الآنَ على التاكيد أنَّ الأناجيل، المتعارفَ عليها، هي من الكتب التاريخيَّة، من غير أن يساورها أيُّ شك، وأن هذه الأناجيلَ قد نَقلتْ، بصدقٍ وأمانة، ما قام به يسوعُ ابنُ اللهِ من أعمال، وما نشرَ من تعاليم، طيلةَ حياتِهِ بينَ الناس، لا ينوي منها إلا خلاصَهم

الأبديّ، إلى اليومِ الذي رفعَ فيه (أع ١ : ١ – ٢): إنّ الرسلَ، بعد أنْ صعدَ الربُّ عنهم، نقلوا إلى مستمعيهم كلَّ ما ساقَهُ من أقوالٍ وكلَّ ما أجراه من أفعال، بعد أن فَقِهوا كاملَ معانيها، على ضوءِ ما جرى له من أحداثٍ مجيدة، وعلى ضوءِ ما استناروا به من إشراقةِ روحِ الحقّ. فكان أنْ دوَّنَ الكتّابُ الإلهيُّون الأناجيلَ الأربعةَ مستخدمينَ أساليبَ متنوعة: فتارة انتخلوا بعضاً ممّا وصلَ إليهم روايةً، أو ممّا صادفَ أن انتهى إليهم كتابةً. وطورًا دَمجوا أحداثًا وأقوالاً عديدةً في خلاصاتٍ موجزة. وحينًا شرحوا أمورًا مرتبطةً بالمسيح على ضوء ما كانت عليه كنائِسُهم آنذاك. وحينًا اعتمدوا النمطَ الإرشاديَّ في التبشيرِ برسالةِ المسيح. لقد حَرِصوا، في كلِّ هذه الأساليب، أنْ يَنقلوا لنا دومًا، عن يسوعَ، حقائقَ ثابتةً وخالصةَ الصدق. لقد سطَّرُوا مؤلّفاتِهم هذه فمكّنونا من اختبارِ «قوةِ» التعليمِ الذي تسلَّمناه (لو ١ : ٢ – ٤)، سواء اعتمدُوا على ذاكرتِهم وما سجَّلوه بأنفُسهم، أو رَكنوا إلى اقوالِ اولئكَ الذين «كانوا منذ البدءِ»، شهودَ عيانٍ وخدّامًا للكلمة».

كتابات العهد الجديد الأُخرى

٤٢٢٧ – ٢٠ – إنَّ مجموعةَ أسفارِ العهدِ الجديدِ القانونيةَ تَحوي، علاوةً على الأناجيلِ الأربعةِ، رسائلَ القديسِ بولسَ وسائرَ مؤلّفاتِ الرّسل التي وُضِعتْ هي أيضاً بوحيٍ من الروحِ القدس. لقد جاءتْ هذه المؤلَّفاتُ، بفضل تدبيرٍ إلهيّ، تُوطِّدُ حقيقةَ ما عُرف عن السيّدِ المسيح، وتَبسطُ تعاليمَهُ مشفوعةً بتفسيراتٍ تزايدتْ شيئًا فشيئًا، وتُطلِعُ البشر على ما عملَ لهُمُ المسيحُ من أعمالٍ إلهيّةٍ وما أَجرى لَهم من خلاص، وتسردُ كيف نشأَتْ الكنيسةُ وانتشرتْ انتشارًا عجيبًا، وتُنبِئُ، قبل الأوان، أنّ الكنيسةَ سائرةٌ إلى آخرةٍ مجيدة.

إنَّ الربّ يسوعَ قد آزرَ رسلَهُ، كما سبقَ فوعدهُم (متى ٢٨ : ٢٠)، وأرسلَ إليهم الروحَ المعزّي الذي أنتهى بهم إلى كمالِ الحقيقة (يو ١٦ : ١٣).

الفصل السادس: الكتابُ المقدَّس في حياة الكنيسة

أهمية الكتب المقدّسة في الكنيسة

٤٢٢٨ – ٢١ – إنّ الكنيسة قد أحاطتْ دومًا الكتبَ الإلهيَّة بالإجلال الذي أحاطَتْ به جسدَ المسيح. وهي تتناول دومًا خبزَ الحياةِ عن المائدة نفسِها التي حملتْ معًا جسدَ الربِّ وكلمةَ الله. إنّها تتناولُه وتوزّعُه على المؤمنين، لاسيَّمَا عندما تقومُ بخدمةِ الليتورجيا الإلهيّة. وما فتئتْ يومًا تعتبرُ الأسفارَ المقدَّسةَ، ومعها التقليد المقدّس، دستورًا أساسيًّا لإيمَانِها، لأنّ الكتبَ المقدسةَ هي من وحيِ الله، وهي مُثْبتة بالكتابة تَثبيتًا نهائيًّا. ولذلكَ فهي تُوصِلُ كلمةَ اللهِ كما هي، من غير تحريف، وتُمكّنُ الأنبياءَ والرسلَ ان يُسمعوا صوتَ الروحِ القدسِ بأقوالهم. فمنَ الواجبِ إذنْ أنْ تأتيَ الكرازةُ الكنسيَّةُ، على غِرارِ الدّيانةِ المسيحيّةِ نفسِها مُشبَعةً بالنصوصِ الكتابيّة، مُلتزِمةً بهدْيِها. فبواسطةِ الكتبِ المقدّسةِ يُبادر الآبُ الذي في السماوات، بحنوٍّ عظيمٍ، إلى لقاءِ أبنائِه والتحادثِ معهم. إنَّ كلامَ الله هذا يحملُ قوّةً وعزمًا عظيمَينِ حتّى إنَّه يُصبحُ ركنًا للكنيسة وعزّةً، ولأبناءِ الكنيسةِ منعةَ إيمَان، ولنفوسِ المؤمنينَ غذاءً، ولحياتِهم الروحيّةِ مَعينًا دائمَ الجريَان. وهكذا صحَّ ما قِيلَ في الكتبِ المقدّسةِ من «أنَّ كلمَةَ اللهِ حيّةٌ فعَّالة» (عب ٤: ١٢)، «لأنها قادرةٌ أنْ تبنيَ وتُؤتيَ الميراثَ معَ جميعِ المقدَّسين» (أع ٢٠: ٣٢؛ تسا ٢: ١٣).

تنوّع الروايات والترجمات

٤٢٢٩ – ٢٢ – من الواجبِ أنْ يُفسَحَ في المجالِ واسعًا للمؤمنين حتى يصلوا إلى الكتبِ المقدَّسة. هذا ما جعلَ الكنيسةَ، منذُ البداية، تَعتمدُ ترجمةً يونانيَّةً للعهدِ القديمِ دُعيتْ «الترجمة السبعينيّة». وقد أحاطت الكنيسةُ بكثيرٍ من الاعتبار سائرَ الرواياتِ والترجماتِ، مَشرقيّةً كانتْ أم لاتينيّة، ولاسيَّمَا تلكَ المسمّاةِ «الترجمةَ الشعبيَّة». من المفروض أنْ يكونَ كلامُ اللهِ قريبَ المنالِ من كلِّ إنسانٍ أينمَا كان. ولذلكَ سعتِ الكنيسةُ جهدَها، سعيَ الأمِّ الساهرة، أنْ تُصدِرَ له ترجماتٍ

باللغاتِ المختلفة، وأنْ تأتي هذه الترجماتُ ملائمةً للبيئة، دقيقةَ التعبير، معتمدةً، قبل كل شيء، على النصوص الأصليّةِ للأسفار المقدَّسة. وإذا صدرت بعضُ الترجماتِ بالتعاون مع الإخوة المنفصلين، وباستنساب السلطات الكنسية وموافقتِها، رُخِّصَ لجميع المسيحيينَ أنْ يستعملوا مثلَ هذهِ الترجمات.

المسؤولية الرّسوليّة لعلماء اللاهوت الكاثوليكيّين

٤٢٣٠ – ٢٣ – إنَّ جُلَّ ما تجهدُ فيه الكنيسة، عروسُ الكلمةِ المتجسّد، هو أن تَكتَسِبَ، يومًا بعدَ يوم، إدراكًا أَعمقَ للأسفارِ المقدّسة، بإرشادِ الروحِ القدس، لكي تستطيعَ أن تُغذّيَ أبناءَها بلا انقطاعٍ من كلامِ الله. ولأجل أنَ تصلَ إلى هذه الغاية، وعلاوةً على ما سبقَ ذكرُه، عملتِ الكنيسةُ بحقٍّ، على ان تُشجّعَ دراسةَ كلِّ ما يتّصلُ بالآباءِ القدّيسين، سواء كانوا شرقيّينَ أم غربيّين، وكلَّ ما يتّصلُ بخدمةِ الطقوسِ المقدّسة. ويتوجَّبُ على العلماءِ الكاثوليكيين من المفسّرين، وعلى كلِّ مَنْ تضلَّعَ من علم اللاهوتِ المقدّس، أنْ يتعاونوا تعاونًا نشيطاً، وأن يستعملوا الطرقَ المناسبة، تحتَ إشرافِ السلطةِ التعليميّة المقدَّسة، لكي يسبروا أغوارَ الكتبِ المقدّسة، ويعرضوا محتوياتها بأسلوبٍ جيّد، بحيثُ يتمكّنُ أكبرُ عددٍ من خدام الكلمة الإلهيّة ان يُصلحوا، لِشعبِ الله، غذاءً مستمدًّا من الكتبِ المقدّسة، يُنير الأذهانَ، ويُوطّدُ العزائم، ويُلهب قلوبَ البشرِ من محبّةِ الله. إنَّ المجمعَ المقدَّس يُناشدُ أبناءَ الكنيسة، مِمَّن نذروا أنفسَهم للدراساتِ الكتابيّة، أن يَسيروا بحماسةٍ حتى النهاية، في عملِ التنقيبِ الذي انطلقَ حتى الآن بنجاحٍ عظيم، وأن يُجدِّدُوا عزائمَهُم يومًا بعدَ يوم، مُلتزمينَ بتوجيهاتِ الكنيسة.

الكتب المقدّسة وعلم اللاهوت

٤٢٣١ – ٢٤ – إنَّ علمَ اللاهوتِ يرتكزُ على كلامِ الله المدوَّن، ومعهُ على التقليد المقدّس، كأنما على أساسٍ ثابت. بكلامِ اللهِ يتعزَّزُ علمُ اللاهوتِ تعزيزًا متينًا، وبه يتجدّدُ تجدّدًا دائمًا، إذ إنَّهُ لا يفتأ يستقصي، في ضوءِ الإيمان، الحقائقَ الكاملةَ المخفيّةَ في سرِّ المسيح. إنَّ الأسفارَ المقدسةَ تحتوي على كلامِ الله. ولكونها ملهمةً، تُصبحُ هيَ كلامَ اللهِ في الحقيقة. فمن المفروضِ إذن ان تُصبحَ دراسةُ الكتبِ

المقدّسةِ بمثابةِ روح علم اللاهوتِ. ومن المفروضِ أيضاً أنْ تعتمدَ رسالةُ الكرازةِ على كلام الأسفار، لتغذيتِها السليمة، وانتعاشِها الروحيّ المقدّس، في كل مظاهرِها: أكانتْ موعظةً رعويّة، ام تعليمًا دينيًّا منتظِمًا، ام وجهًا من أوجهِ التثقيفِ المسيحيّ. ومطلوبٌ أنْ تحتلَّ الموعظةُ الطقسيةُ في الذبيحةِ الإلهيةِ مكانة رفيعة تناسب أهميّتَها.

التحريض على قراءة الكتب المقدّسة

٤٢٣٢ – ٢٥ – إنَّ كلَّ رجالِ الإكليروسِ ملتزمونَ بأنْ يُكبّوا على قراءةِ الكتبِ المقدّسةِ قراءةً روحيّةً متواترةً، وعلى دراستِها دراسةً عميقة. ويأتي في طليعةِ هذا الاكليروس كهنةُ المسيح. ويتبعُهُم كلٌّ من اضطلعَ، بداعي رسالتِهِ، بمسؤوليّةِ التبشير، من شمامسةٍ إنجيليّينَ ومن مُدرّسينَ نِظاميّين للتعليم المسحيّ. إنَّهم جميعًا ملتزمونَ بذلكَ لئلاّ تتحوّلَ «كرازتُهم بكلامِ الله في الخارجِ إلى عَبَث، لأنَّهم لم يعرفوا ان يُصغوا إليهِ في ذواتِهم»، مع أنّهم ملتزمونَ أنْ يُشركوا المؤمنين من رعاياهم، لاسيَّمَا خلالَ الليتورجيَّا الإلهيّة، بمَا ينتجُ من كلامِ اللهِ من خيراتٍ وافرةٍ تفوقُ القياس. كذلك يُحرّضُ المجمعُ المقدسُ تحريضاً ملحاحًا جميعَ المسيحيّين، لاسيَّمَا من كان منهم عضوًا في الجمعيّاتِ الرهبانية، أنّ يُدركوا «معرفةَ المسيح السامية» (فيل ٣:٨)، بالمواظبة على قراءةِ الكتبِ الإلهيّة، «لأنَّ من جهلَ الكُتبَ المقدّسةَ، جهلَ المسيح». فَلْيرتاحُوا إذَن إلى مباشرةِ النصوصِ المقدّسةِ ذاتِها، إمّا في الخدمةِ الطقسيّةِ المتشعّبةِ من كلامِ الله، وإمَا في القراءةِ الخاشعة، وإمّا في المحاضراتِ العلميّة الملائمة، وإمّا في أحد الأساليبِ الأخرى التي تعمَّمتْ في أيامِنا الحاضرةِ بشكلٍ يستجلبُ المديح، بعد أن نالتِ الرِّضى من رعاةِ الكنيسة واستقطبتْ اهتمامَهم. وَلْيفطنوا أن يَقرنُوا الصلاةَ بقراءةِ الكتبِ المقدَّسة، لأن بها ينشأ الحوارُ بين اللهِ والإنسان، «لاننا نَتحدثُ إلى الله عندما نُصلّي، ولكننا نَستمعُ إليه عندما نقرأُ آياتِ الوحيِ الإلهي».

٤٢٣٣ – يعودُ للأساقفةِ القدّيسينَ، «القيّمينَ على التعاليم الرسوليّة»، أنْ يُدرّبوا، بطريقةٍ ملائمة، المؤمنينَ الذين في عُهدَتِهم، على استخدام الكتب الإلهيّة

استخدامًا صحيحًا، ولاسيَّما كتبِ العهدِ الجديد، وفي طليعتِها كتبُ الإنجيل، وذلكَ بواسطةِ ترجماتٍ للنصوصِ المقدّسةِ مشفوعةٍ بمَا يلزمُ من التفسيراتِ ممّا يَفي، حقيقةً، بالمطلوب، لكي يستطيعَ أبناءُ الكنيسةِ أنْ يألَفوا الكتبَ المقدّسةَ آمنين غانمين، وأن يتشرَّبُوا من روحها.

٤٢٣٤ – من الواجب أيضاً اصدارُ طبعاتٍ للكتبِ المقدّسةِ مخصّصةٍ لغيرِ المسيحيّينَ أنفسِهم تكونُ معزّزةً بالحواشي اللازمة، وملائمةً لأوضاعِهم المختلفة. ومن الواجب أيضاً أنْ يسهرَ كلٌّ من رعاةِ المؤمنينَ والمسيحيين، أيًّا كانتْ حالُهم، على نشرِها بكلِّ طرقِهم الممكنة، مُستلهمينَ الفطنة.

٤٢٣٥ – ٢٦ – وهكذا «فَلْتواصلْ كلمةُ اللهِ جريَها وَلْتُمَجَّدْ» (تسا ٣:١). بفضلِ مطالعةِ الكتبِ المقدّسةِ ودراستِها. وَلْتَمتلئ قلوبُ البشرِ من كنوزِ الوحيِ التي تسلَّمتْها الكنيسة. وكما أنَّ الكنيسةَ تزدادُ نموًّا في الحياةِ من جرّاءِ مُداومتِها على خدمةِ ذبيحةِ الشكر، كذلكَ ينشأ فيها الأمل أنَّ نشاطاً في الحياةِ الروحيةِ سينبعثُ من اعتبارٍ متزايدٍ لكلمةِ الله، الثابتةِ الى الأبد (أش ٤٠:٨ و١ بط ١:٢٣ – ٢٥).

٤٢٤٠ – ٤٢٤٥ – الجلسة التاسعة العلنيّة، ٧ كانون الأوّل ١٩٦٥: بيان في الحريّة الدينيّة "Dignitatis humanae"

أ) التعليمُ العام في موضوعِ الحريّة الدينيّة

موضوع الحُريّة الدينيّةِ وأساسُها

٤٢٤٠ – ٢ – يُعلنُ هذا المجمعُ الفاتيكانيُّ أنَّ الحُريَّةَ الدينيَّةَ حقٌّ للشَّخصِ الانسانيّ. وهذه الحُريّةُ تقومُ بأن يكونَ جميعُ الناسِ بمعزلٍ عن الضغطِ سواءٌ أتى من الأفرادِ أو من الهَيئات الاجتماعيّةِ أو أتى من أيّ سُلطةٍ بشريّة، وهكذا ففي أمور الدينِ لا يجوزُ لأحدٍ ان يُكرَه على عملٍ يُخالفُ ضميرَه، ولا أن يُمنَعَ من العمل، في نِطاقِ المَعقولِ، وِفاقًا لِضميرِه، سواءٌ كانَ عملُهُ في السرِّ أو في العَلانيّة، وسواءٌ كان فرديًّا أو جماعيًّا. وهو إلى ذلك يُعلنُ أنَّ حقَّ الحُريّةِ الدينيّةِ مُتجذِّرٌ في

كرامةِ الشخصِ البَشريّ نَفْسِها، كما وردَ ذلك في كلامِ الوحيِ الإلهيّ وأوضحَهُ العقلُ نفسه. وفي إطارِ النّظام القانونيّ للمجتمع يجب أن يُعْتَرَفَ بحقِّ الشّخص البشريّ هذا في الحرّية الدينيّة بحيث يصبحُ حقًّا مدنيًّا.

٤٢٤١ – وإذ كان جميعُ الناس أشخاصاً، أي ذوي عقلٍ وارادةٍ حُرَّةٍ، ومن ثَمَّ ذوي مسؤوليّة شَخصيّةٍ، فَبداعي كرامتِهم وبِدافعٍ من طبيعتِهم نَفسِها ومن الإلزاميّة الادبيّة يَجبُ عليهم أن يَطلبوا الحقيقةَ، ولاَسيَّمَا تلك التي تَتعلَّقُ بالدِّين. وهم مُلْزَمون، إذا وجدوا الحقيقةَ، أن يَعْتنِقوها، وأن يُطبّقوا حياتَهم على مُقْتَضياتِها. ولكي يَتمكّنَ الناسُ من القيامِ بهذا الواجب بطريقةٍ تَتّفقُ وطبيعتَهُم الخاصة، لا بدّ لهم من الحُرّيَّةِ النَفسيّةِ مقرونةً بالعِصمة من الضَّغطِ الخارجيّ. وهكذا فحقُّ الحُرّيّةِ الدينيّةِ قائمٌ على طبيعةِ الشّخص الانسانيّ نفسِها لا على استعداداتِه الذاتيّة. والأشخاصُ الذين لا يقومون بواجبِ تَطلُّبِ الحقيقة واعتناقِها هم أنفُسهم أيضاً ذوو حقٍّ في هذه الحَصانَةِ، ولا يمكن التَّصدّي لمُمارسة هذا الحقّ ما دام هُنَالك نِظامٌ عامٌّ عادِل.

الحُريّة الدينيّة وعلاقة الانسان بالله

٤٢٤٢ – ٣ – يتّضحُ ذلك أكثرَ فأكثرَ إذا اعتُبر أنَّ نِظامَ الحياةِ الإنسانيّة الأعلى هو الشريعةُ الإلهيَّةُ نفسُها، الشريعةُ الأزليَّةُ والموضوعيَّةُ والشَّاملةُ، التي يَعملُ بَها الله، في تصميم حِكْمته ومحبَّتِه، على تدبيرِ شؤونِ العالمِ كلِّهِ ومَسَالِك الأُسرةِ البشريَّةِ تنظيمًا وإدارةً وحُكمًا. وقد أَشركَ اللهُ الإنسانَ في شريعتِه هذه بحيثُ أُصبحَ هذا الإنسانُ، بتدبيرٍ لطيفٍ من العِنايةِ الإلهيّةِ، قادرًا على أَن يَتعرَّفَ الحقيقةَ الثابتةَ أكثرَ فأكثرَ. ولِهذا يَتحتّمُ على كلِّ إنسان، كمَا يحقُّ له، أَن يطلبَ الحقيقةَ في أمورِ الدِين، حتى يحصُلَ، بالوسائلِ المُلائِمة، وعن طريق الفِطْنةِ، على حكمٍ ضميريٍّ قويمٍ وَصوابيّ...

حرّية الهيئات الدينية

٤٢٤٣ – ٤ – الحرّية أو العِصمة من الإكراه في الشأن الديني التي تعود إلى الأفراد، يجب أن يتمتّعوا بها أيضاً عندما يعملون مجتمعين، فالجماعات الدينية تقتضيها الطبيعة الاجتماعية في الانسان وفي الدين نفسه.

وما دامت هذه الجماعات لا تخرج عن فرائض النظام العام العادلة، فهي تملك حقَّ التمتع بالحصانة، حتى تسيِّر أمرها في خطّ أنظمتها الخاصة، وتؤدّي إلى الإله الأسمى شعائر العبادة العلنية، وتساعد أعضاءها على ممارسة الحياة الدينية، وتغذّيهم بتعليمها، وتنشّط مؤسّساتهم التي يتعاون فيها الأعضاء على توجيه حياتهم الخاصة وفاقًا لمبادئهم الدينية.

وللجماعاتِ الدينيّةِ كذلك الحقُّ في ان لا تُقيِّدَها الأحكامُ التشريعيَّةُ، ولا عَمَلُ السُلطةِ المدنيّة الاداريّ، في اختيارِ مَسْؤوليها، وتَنْشِئتهم، وتَعْيينهم ونَقْلِهم، وفي أن تُقيمَ علاقاتٍ مع السلطاتِ الدينيّة المقيمةِ في أقطارٍ أُخرى من الأرض، وفي أن تُشيِّدَ المباني الدينيّة، وأن تَقْتَنِي ما هي بحاجةٍ إليه من الخير وتُديرَه وتَسْتَثْمِرَه.

وللجماعاتِ الدينيّةِ أيضاً الحقُّ في أن لا تُمنَع عن تعليم عَقيدتِها وإبرازِها للملأ بالكلام والكتاب. إلاّ أنّه يُحظَرُ دائمًا في نشرِ الإيمَانِ وفي إدخال المُمارساتِ الدينيّةِ أن يُعمَدَ إلى أيّ نوعٍ من الأعمال التي يُستَشَفُّ فيها الاكراهُ، أو الاقناعُ التمويهيُّ أو الذي لا يَخلو من مُرَاوغةٍ، ولا سيَّمَا إذا كان موجّهًا إلى أُمِّيّين أو إلى مُعْوزِين. فتلك الطريقةُ يجبُ أن تُعدّ إساءَةَ استعمالٍ لِحَقّ من يستعملُها وإساءَةً إلى حقّ الآخرين.

ومن مُقْتَضيات الحُريّةِ الدينيّةِ أن لا تُمنَعَ الجماعاتُ الدينيّة من عملٍ حُرّ يُبرزُ ما في عقيدَتِها من فَاعليّةٍ فريدةٍ لتنظيم المُجتمع وإنعاشِ النَشاطِ الانسانيّ كُلّه. وإنَّ لَفِي طبيعةِ الانسان الاجتماعيّة، وفي طبيعة الدّين أخيرًا، أساسَ حقّ البَشر في أن يتمكّنوا، إذا حرّكَتْهم الروحُ الدينيّة، من عقدِ ما شاءوا من الاجتماعات، أو إنشاءِ الجمعيّاتِ التربويّة والثقافيّة والخيريّة والاجتماعيّة.

٢) الحُريّة الدّينيّة في ضوءِ الوحي

للتعليم في موضوع الحُريّة الدينيّة جذورٌ في الوحي

٤٢٤٤ – ٩ – إنّ ما يُعلنه هذا المجمعُ الفاتيكانيُّ في شأنِ حقِّ الإنسانِ في الحُريّةِ الدينيّة يَقومُ على كَرامةِ الشّخصِ الإنسانيّ التي اتّضحتِ مُقْتضياتُها للعَقلِ البشريّ أكثرَ فأكثرَ عَبْرَ العُصورِ وما تخلّلها من تَجارب. وفضلاً عن ذَلِكَ فَلِهذا

التَعليمِ في موضوعِ الحُريّة جُذُورٌ في الوحي الإلهيّ، ولهذا وجبَ على المسيحيّين أن يكونوا عليه وعلى تقدِيسهِ أشدّ حِرصاً...

الحُريّةُ وفِعلُ الإيمَان

٤٢٤٥ – ١٠ – في رأسِ المَبادِئ المُهمّةِ التي يَقومُ عليها التَعليمُ الكاثوليكيّ، والتي انطوتْ عليها كَلِمةُ اللهِ وتَردَّدتْ على ألسِنةِ الآباء في غير انقطاعٍ أنَّ الإنسانَ لا يَسْتَجيبُ دَعوةَ اللهِ إلى الإيمَان إلاّ طوعًا وفي حُريّةِ إرادة، ومِن ثَمَّ فلا يَجوزُ الضَّغطُ على أحدٍ ليعتَنِقَ الإيمَانَ مُكرهًا. ففي طبيعة فعل الإيمَان نفسِها أنّهُ طوعيٌّ، لأنّ الإنسانَ، وقد افتَدَاهُ يسوعُ المُخلّصُ ودعاه يسوعُ المسيحُ إلى التبنّي، لا يَستَطِيعُ الالتِحاقَ باللهِ الذي كَشَفَ عن ذَاتِه بِالوَحي ما لم يَجْتَذِبْه الآب وَيَتقدّم بإيمَانه إلى الله في وَعيِ العَقلِ وحُريَّةِ الإرادة. وهكذا فمن أشدِّ الأمور مُناسبةً لِطبيعةِ الإيمَان أن يَتجنَّبَ الناسُ، في أمورِ الدِّين، كلَّ نوعٍ من أنواعِ الضَّغطِ. فيكونُ من ذلك أنَّ جوَّ الحُرّية الدينيّة يُساعدُ مُساعدةً شَديدَةً على خلْقِ مُناخٍ يَتمكّنُ فيه النَاسُ من الإقبال على الإيمَان المسيحيِّ في يُسْر، ومن اعتِناقِهِ تلقائيًّا، والاعترافِ به حياتَهم كلَّها في حرارةٍ واندِفاع.

٤٣٠١ – ٤٣٤٥ – الجلسة التاسعة العلنيّة، ٧ كانون الأوّل ١٩٦٥: دستور رعائي في الكنيسة في عالم اليوم "Gaudium et Spes"

توطئة

تماسك وثيق بين الكنيسة والأسرة البشريّة كلّها

٤٣٠١ – ١ – الفرحُ والرجاءُ، وحُزنُ أبناءِ هذا الزّمانِ وضيقتُهم، ولا سيّمَا الفقراءُ منهم وسائر المُرْهَقين، إنّما هي فرحُ تلاميذِ المسيحِ وأَملُهم، وحُزنُهم وضيقتُهم، وليس هنالك شيءٌ إنسانيٌّ في الحقيقة إلاّ له صَدى في قُلوبِهم. فجماعتُهم تقومُ على أُناسٍ يجتمِعُون في المسيح، وبقِيادةِ الروحِ القدسِ يَسِيرون إلى مَلكوتِ الآب،

ويحمِلُون رسالةَ خَلاصٍ يَعرِضُونَها على الجَميع. وهكذا تُثبِتُ هذه الجماعةُ أنَّها والجنسَ البشريَّ وتَارِيخَه في تَماسكٍ حقيقيٍّ وَوثِيق.

إلى من يتوجّه المجمع بكلامه

٤٣٠٢ – ٢ – لهذا السبب وبعد التمادِي في استجلاءِ سِرّ الكنيسة، لم يَقصُر المجمعُ الفاتيكانيُّ الثاني توجيهَ خِطابِه على أبناءِ الكنيسة وسائِرِ المنتمين إلى المسيح دون سواهم، بل وَجَّهه إلى جميع البشر، وأحبَّ أن يَعرِضَ عليهم جميعًا كيف يتصَوّرُ وجودَ الكنيسة ومسيرتَها في عَالمِ اليوم.

فهو يَجعلُ نُصْبَ عينيه عالمَ البَشر، أي عموم الأسرة البشرية مع عُموم ما يُحيط بها من مقوِّمات البيئة؛ عالمٌ هو مَسرحُ تاريخِ الجنسِ البشريّ، الموسوم بجُهدِ الإنسان في إخفاقِه ونجاحِه، عالَمٌ هو في عَقيدةِ المؤمنين وليدُ محبّةِ الخالق وحفيظُها؛ سقطَ في عُبودِيَّةِ الخطيئةِ ولكنَّ المسيحَ قد حَطَّمَ بالصّليبِ والقيامةِ شَوكةَ الشرّيرِ وحرَّرهُ لكي يَتحوَّلَ وفاقًا لقَصْدِ الله، وَيبلُغ كمالَ وجودِه.

الخدمة المُسْندة إلى الانسان

٤٣٠٣ – ٣ – في هذه الأيام يَتساءَلُ الجنسُ البشريّ، وكثيرًا ما يتَساءَل في قَلقٍ، مشدوهًا أمامَ مكتشفاتِه وسُلطانِه، عن التطوّرِ الحادثِ في عالَمِ اليوم، عن مَكانِ الإنسان ودَوره في هذا الكون، عن معنَى جهودِه الفرديّةِ والجماعيّة، وأخيرًا عن الغايةِ القُصوى التي تنتَهي إليها الأشياءُ والبشرُ. وإذ كان المَجمعُ شاهدًا ودليلاً على إيمَانِ شَعبِ الله كُلِّه، هذا الشعبِ الذي يجمعُه المسيح، فلا يَسعُه أن يُقدّمَ لمَجموعِ الأُسرةِ البشريّةِ التي ينتمِي إليها هذا الشعبُ بُرهانًا على تَضامُنِه واحترامِه ومحبّتِه أبلغَ من مُحاورتِها في هذه القضايا المختلفة، مستمدًّا لها من الانجيل نورًا كاشفًا، ومزوِّدًا الجنسَ البشريَّ بالطَاقَاتِ الخَلاصيّة التي تَتلقّاها الكنيسةُ من مُؤسِّسها بقِيادةِ الروحِ القدس. فالشخصُ الانسانيُّ هو الذي يجبُ إنقاذُه، والمُجتمَعُ الانسانيُّ هو الذي يجبُ تجديدُه. وهكذا فالإنسانُ سيكونُ مِحورَ بحثِنا كُلِّه، الانسانُ فردًا وكُلاًّ، بجسده وروحه، بِقَلبه وضَمِيره، بعقلِه وإرادتِه.

من أَجلِ ذلك يتقدَّمُ السِينُودسُ المقدَّس، وهو يُعلِنُ ما للإنسانِ من دعوةٍ غايةٍ في السموّ ويُثْبِتُ أنَّ زرعًا إلهيًّا قد أُلقِي فيه، يتقدَّمُ من الجنس البشريّ بمَا للكنيسة من إسهامٍ صادقٍ في إنشاءِ أُخُوَّةٍ شاملةٍ تتَّفقُ وهذه الدعوةَ. ما من مَطمعٍ أرضيّ يحرّكُ الكَنيسةَ، ولكنَّ شيئًا واحدًا تهدفُ إليه: أن تُواصلَ، بدافعٍ من الروح القدس المُعزّي، عملَ المسيحِ نَفسِه الذي أتى إلى العالم ليَشهَدَ للحقِّ، ليُخلِّصَ لا ليَدين، ليَخْدُمَ لا ليُخْدَم.

عَرْض تمهيديّ

الوَضعُ البَشَريّ في عَالَمِ اليَوم

آمال ومضايق

٤٣٠٤ – ٤ – لكي تُحسِنَ الكنيسةُ القيامَ بهذه المُهمّةِ لا بُدَّ لها أبدًا من استِشفافِ عَلاماتِ الأزمنة ومن تَفسِيرها على ضوءِ الانجيل، بحيثُ تستطيعُ الاجابةَ، بطريقةٍ توافقُ كُلَّ جيل، عن الأسئلةِ المزْمِنة التي يَطرحُها الناسُ في معنى الحياةِ الحاضرةِ والآتيةِ، وفي العَلاقاتِ القائِمةِ فيمَا بينهم. من هُنا ضرورةُ الاحاطةِ بهذا العالم الذي نعيشُ فيه معرفةً وفهمًا له ولِمَا يَحملُه من تطلُّعاتٍ ورَغبَاتٍ، ولِمَا له في أكثر الأحيان من طَابَعٍ مأسويّ. وفي ما يلي بعضُ أبرز المَلامحِ التي يُمكنُ تصويرُها في عالمِ اليوم.

إنّ الجنسَ البشريَّ يعيشُ اليومَ مَرحَلةً جديدةً من تَاريخه تمتازُ بتقلُّباتٍ عميقةٍ وسريعةٍ تمتدُّ شيئًا فشيئًا لِتشملَ الكُرةَ الأرضيّةَ برُمَّتِها. إنَّها من مُستحدثَاتِ عَقلِ الإنسانِ وعَملِه الخلاّق، وهي تَرْتَدُّ عليه، على أحكامِه ورَغباتِه الفَرديّةِ والجماعيّةِ وعلى طَريقةِ تفكيرِهِ وتصرُّفِهِ بالنسبَةِ إلى الأشياءِ وبالنسبَةِ إلى البَشر. هذا إلى حدِّ أَنَّه باستِطاعتِنا منذُ الآن أن نَتحدّثَ عن تَحوُّلٍ حقيقيٍّ في حَقْلَي الاجتِمَاعِ والثَّقافةِ له أثرهُ في الحياةِ الدينيّة.

شَأنُ هذا التحوّلِ شَأنُ كُلِّ أَزمةِ نُمُوّ، فهوَ يَحمِلُ معه صُعوباتٍ شديدة. وهكذا فالإنسانُ الذي يبسُطُ سُلطانَه إلى هذا الحدِّ لا يتمكّنُ دائمًا من السَّيطرةِ عليه

وجَعْلِه في خِدمتِه. وحين يبذلُ جهدَه في التسلُّلِ أكثرَ فأكثرَ، إلى أعماقِ نفسِه يبدُو في غَالبِ الأحيانِ أكثرَ حيرةً من ذاته. إنّه يكتشفُ شيئًا فشيئًا، وبمزيدٍ من الوُضوحِ، نوامِيسَ الحياةِ الاجتماعيّة، ولكنَّه يتردّد في أَمرِ المَنحَى الذي يجبُ ان ينحُوَه في توجِيهِها.

لم ينعَمِ الجنسُ البشريُّ قطُّ بمثلِ هذا الفَيضِ من الثَرواتِ والإمكَاناتِ والطاقةِ الاقتصاديّةِ، ومع ذلك فقسمٌ كبيرٌ من سُكّانِ الكُرةِ الأرضيّةِ يتضوَّرُون جوعًا وبؤسًا، وعددٌ كبيرٌ من الناسِ يَشْكُون الجهلَ التّامَّ للْحَرْف. لم يعرفِ الناسُ قطُّ شعورًا حادًّا بالحُريّةِ كالذي عرفُوه اليوم، ومع ذلك وفي الوقت نفسه تبرزُ صورٌ جديدة لرِقٍّ اجتماعيٍّ ونفسيٍّ. وفيمَا يَعي العالمُ بشدّةٍ وحدَته وارتباطَ أفرادِه بعضِهم ببعض في لُزوم التماسُكِ والتضامُنِ، تُمْعِنُ في تَمزيقِهِ مشادّاتُ قِوىً متصارعة. فهنالك نزاعاتٌ حادَّةٌ لا تزالُ قائمةً: نزاعاتٌ سياسيّةٌ، واجتماعيّةٌ، واقتصاديّةٌ، وعرقيّةٌ، وإيديولوجيّةٌ، كما لا يزالُ في الأُفُقِ خَطرُ حربٍ لا تُبقِي على شيء. وفيمَا يزدادُ تبادُلُ الآراء، يختلفُ فَحوى الألفَاظِ التي تعبّرُ عن تصوّراتٍ شديدةِ الأهميّةِ باختلافِ الإيديولوجيّات وتَبايُنِها. وأخيرًا يشتدُّ السَعيُ لإقامةِ نظامٍ أرضيٍّ أكمل، ولكنَّ هذا السَعْيَ لا يُرافِقُه تطوُّرٌ روحيٌّ على نفسِ المُستَوى.

العددُ الأكبرُ من مُعاصِرينا، وقد عَمِلَتْ فيهم عواملُ الأحوالِ المُعقَّده، يجدُون صعوبةً شديدةً في استجلاءِ القِيَم الثابتةِ، وفي طَريقةِ التوفِيقِ بينها وبين المكتَشَفاتِ الحديثةِ توفيقًا صحيحًا، وفي غَمرةٍ من القلَقِ الضَاغطِ يتساءَلون عن التطوُّرِ الحَاصلِ اليوم في الكَائِنات، وفي نُفوسِهم مزيجٌ من أملٍ وانقِباض. إنَّ تطوُّرَ الكائناتِ يستحثُّ البشرَ على الجواب، بل يُجبِرهم عليه.

تحوّل عميق في الأوضاع

٤٣٠٥ – ٥ – إنَّ الاضطرابَ الذي يهُزُّ النفوسَ حاليًّا، والتقلّبَ في أوضاعِ الحياة مُتَّصِلان بتحوُّلٍ في الأشياءِ أوسعَ يقتضِي أن يُولى اهتمامٌ أكثرَ فأكثر، في مَجالِ التنشِئة الفكريّة، لعُلومِ الرياضيّات، والعلومِ الطبيعيّة أو لِتلك التي تُعالجُ الانسانَ نفسَه، وفي حَقلِ العَمل لفُنونِ التِقنيّة وليدةِ تلك العُلوم. هذه الروحُ

العِلميّة غيَّرَت الحالةَ الثقافيّةَ وأساليبَ التفكير عمَّا كانت عليه قبلاً. وإنَّ فُنونَ التقَنيّة تطوّرت إلى حدّ أنَّها غيّرت وجهَ الأرض، وها هي تَجهدُ الآن في السَيطرةِ على الفَضاءِ الخارجيّ.

وإلى حدٍّ ما يَبسطُ العقلُ البشريُّ أيضاً هَيمنتَه على الزمن: على المَاضي بالمعرفة التَاريخيّة، وعلى المُستقبلِ بفنِّ التبصُّر والتَخطِيط. إنَّ تقدُّمَ العُلومِ البيُولوجيّةِ والنَفسيّةِ والاجتماعيّةِ لا تُقْتَصَرُ فائدتُه على أن يعرفَ الانسانُ نفسَه معرفةً أفضل، بل يساعدُه أيضاً بوسائلَ تِقنيّةٍ مُلائِمة، على أن يكونَ له أثرٌ مباشرٌ في حياةِ المُجتمَعات. وفي هذا الوقت نَفسِه يهتمُّ الجنسُ البشريُّ منذ الآن وأكثرَ فأكثر، بأن يَنظرَ مُسْبَقًا في أمرِ تَطوُّرِه الديمُغرافي وتنظيمِه.

إنَّ مَجرى التَاريخِ نفسِه يَجِدُّ في السُّرعةِ بحيثُ أصبحَ من الصَعب اللَحاقُ به. وقد أصبحَ مَصيرُ الجَماعةِ البشريّةِ واحدًا، وامتنعَ أن يتوزّعَ بَعْدُ تواريخَ متباينةً. وهكذا فالجنسُ البشريُّ ينتقل من حالةٍ ثُبوتيّةٍ فيمَا يتعلّقُ بنِظَام الاشياء إلى مَفهُومٍ أكثرَ دِيناميّةً وحركةً وتطوّرًا، ومن هُنا ظُهورُ مُشكلةٍ جديدةٍ واسعةِ النِطاق تَدعو إلى تَحليلاتٍ جديدةٍ ونظراتٍ مُجمَلة جديدة.

تغييرات في النظام الاجتماعي

٤٣٠٦ — ٦ — من ذلك ما يَظهرُ من تَغييراتٍ متصاعدةِ الأهميةِ يومًا فيومًا في المُجتمَعاتِ المَحليّةِ التَقليديّة من مثل الأُسَر ذاتِ النِظام الأبويّ، والعَشائِر، والقَبائِل، والقُرى، وفي الجَماعاتِ المُختلِفَةِ والعَلاقاتِ الاجتماعيّة.

وينتشرُ شيئًا فشيئًا مُجتمعُ النَموذجِ الصِناعيّ فيقودُ بعضَ الشعوب إلى ثراءٍ اقتصاديّ ويقلبُ المَفاهِيمَ والأوضاعَ التي رَافقت الحياةَ الاجتماعيةَ عَبرَ الأجيالِ قَلْبًا جذريًّا. وكذلك يزدادُ زَهْوُ الحياةِ المَدنيّةِ ويشتدُّ جاذبُها سواءٌ كان بازدِيادِ عددِ المُدن وعددِ سُكّانِها، أو بامتِدادِ طَريقةِ الحياة المَدنيّة إلى الأرياف.

وهنالك وَسائلُ جديدةٌ وأشدُّ تِقَنيّةً في الاتِّصالاتِ الاجتماعيّة تُسهّلُ الاطلاعَ على الأحداث، ونَشرَ طَرائقِ التفكِير والإحساس بأشدِّ سَرعةٍ وعلى أوسعِ نِطاق، باعثةً عددًا كبيرًا من رَدّاتِ الفِعل المتسلّسِلة.

ويجبُ أن لا يَسْتَهانَ بكون الكثيرين من الناس يختارُون المُهاجرةَ لأسبابٍ مُختلِفة، فيغيّرُون نَمطَ حياتِهم.

وهكذا تتعدّدُ عَلاقاتُ الانسان بِبَني جنسِه في غيرِ توقُّفٍ، فيمَا تُؤدّي (الجَمْعنة) نفسُها إلى عَلاقاتٍ جديدة، من غيرِ أن يكونَ في ذلك دائمًا وكما ينبغي النُموُّ الشخصيُّ التامُ والعَلاقاتُ الشَخصِيّةُ الحقيقيّةُ (الشخصنة).

يظهرُ هذا التطوُّر ظهورًا أوضحَ في الأُممِ التي توصَّلتْ إلى أن تنعمَ بفوائدِ التطوُّرِ الاقتصاديّ والتقنيّ، وأمّا الشعوبُ النامية التي يستَحِثُّها التَطوّرُ فهي ترغبُ وتَسعى في أن تحصلَ بلادُها على نِعَمِ التصنيعِ والتمدِين. وهذه الشعوبُ، ولا سيّمَا المرتبطة منها بتقاليدَ أكثرَ إغراقًا في القِدَم، تشعرُ في الوقتِ نفسه بالحاجةِ إلى مُمارسةِ حُرّيتِها بطريقةٍ أكملَ وأكثرَ شَخصِيّة.

تغييرات سيكولوجيّة وأخلاقيّة ودينيّة

٤٣٠٧ – ٧ – إنَّ التَغييرَ في الذهنِيّات وفي الهَيكليّات كثيرًا ما يدعُو إلى مُناقشةِ القِيَم المَوروثَة، ولا سيَّمَا في صُفوفِ الشُبّانِ الذين يلتزمُون الصّبرَ أحيانًا كثيرةً، فيقودُهم القَلَقُ إلى الثورة، وهم في وَعيِهم لأهميّتِهم في الحياة الاجتماعيّة، يَطمحُون إلى أن يَحصُلوا في أقربِ وقتٍ ممكنٍ على حِصَصِهم في هذا العمل الاجتماعيّ. من هنا ما يَعْتَرِضُ الآباء والمُربّين في أَحيانٍ كثيرةٍ من عَقبات، تزدادُ مع الأيامِ صُعوبةً، في القِيامِ بِمُهمّاتِهم.

المؤسّساتُ، والشَرائعُ، وطرائقُ التَفكيرِ والشعُورِ المَوروثةُ عن الأجداد لا تَبدُو دائمًا حَسنةَ المُلاءَمة لحالةِ الأشياء في يومنا الحاضر، من هنا الضَّياعُ في مَسيرة الحياة وفي نِظامِ السُلوك نفسه.

والأوضاعُ الجديدةُ أخيرًا تؤثّرُ في الحياة الدِينيّةِ نفسِها. فمن جِهّةٍ يَعملُ التَطوُّرُ في فنِّ النَقدِ على تَطهِيرِها من المَفهومِ السِحريّ للكون، ومن الرَواسبِ الخُرافيّةِ التي لا تزالُ فَاشيةً إلى اليوم، ويَقْضِي باعتِناقِ الإيمَان اعتناقًا أكثرَ شخصيّة وأشدَّ فعّاليّة، اعتناقًا يزدادُ تَوثُّقًا مع الأيّام. بهذا يكونُ غيرَ قَليلٍ عددُ الذين يَتوصّلُون إلى تَحسُّسِ الله تَحسُّسًا أكثرَ حياة. ومن جِهّةٍ أُخرى نرى ازديادًا مُتواصلاً في

الأعدادِ الفَقيرةِ من الناس الذين يَبتَعدون عمليًّا عن الدين. لم يَعُدْ رفضُ اللهِ أو الدين، وعدمُ الاكتراثِ بها، أمرًا إذًّا مَقصورًا على أحدِ الأفراد كما في سَالفِ الزمان، إنّه اليومَ أمرٌ غيرُ نادرِ الوجود، وكأنّهُ من مُقتضيات التَطوّرِ العِلميّ، أو من مُقتَضياتِ تيّارٍ جديدٍ في العلاقات الانسانيّة. ففي مَناطقَ كثيرةٍ لم يَعُدِ التَعبيرُ عن هذه الأمورِ كُلِّها مقصورًا على مَصفِّ الفَلاسِفة، ولكِنَّه امتدَّ بِسَعةٍ إلى الآداب، والفُنونِ، وإلى تَفسِيرات العُلوم الانسانيّةِ والتَاريخ، كما امتدَّ إلى الشَرائِع المَدنيّة، بحيثُ إنَّ الكثيرين قد وَقعُوا في الضَّياع.

اللاتوازنات في عالم اليوم

٤٣٠٨ — ٨ – كان تَغييرُ الأشياءِ هكذا سَريعًا، وكان غالبًا بغيرِ نِظام، وكان إلى ذلك وَعْيٌ أشدُّ حدّةً لما في العالم من تَمزّقٍ فِكريّ، وكان من هذا كُلِّه أن ظهرت أو ازدَادت التَناقُضاتُ واللاتوازُنات.

في الشخص نفسه يظهرُ اللاتوازنُ في أكثرِ الأحيان ما بين المَفهُوم العَمليّ الحديث والتَفكِير النَظَريّ الذي لا يستطيعُ احتواءَ مجمُوعةِ مَعارِفه، ولا تَنظِيمَها في مُسلْسَلاتٍ وافِية. ويظهرُ اللاّتوازُنُ أيضاً ما بين الاهتِمَام بالفَاعليّةِ العَمليّة ومُقتَضياتِ الضَمير الاخلاقيّ، وكذلك ما بين أوضاعِ الحياةِ الجَماعيّة ومُقتَضياتِ الفِكرِ الشَخصيّ بَلْهَ التَأمُّلِ. ويظهرُ أخيرًا اللاّتوازنُ ما بين تَخصُّصِ النَشاطِ الانسانيّ والنَظرةِ العامّةِ إلى الأمور.

وفي الأُسرَةِ تظهرُ أيضاً التنافُرات إمّا من ثِقَلِ الاوضاعِ الديمُغرافِية والاقتِصاديّةِ والاجتمَاعيّة، وإمّا من التَفاوتِ بين الأجيال المُتعاقِبةِ، أو من جِدّة العَلاقات الاجتمَاعيّة التي تقومُ بين الرجالِ والنِساء.

وتَظهرُ التنافُراتُ الكبيرة أيضاً بين الأعرَاقِ، وبين شتّى أنواعِ الطَبقات الاجتماعيّة، ما بين الأُممِ الغَنِيّة والأقلِّ غِنًى والفَقيرة، وأخيرًا ما بين المُؤسَّسات العَالمِيّة، الصَادرة عن تَطلُّعِ الشُعوب إلى السلام، ومَطامِعِ الدَعاوة الايديولوجيّة الذاتيّة، بَلْهَ الجَشعِ الجماعيّ الذي يظهرُ في الأُمم وسَائرِ الجماعات.

حصيلةُ ذلك كُلِّه انحِسارُ الثِقةِ المُتبادَلة وعِداءٌ مُتَبادَل، وصِراعاتٌ ونَكَباتٌ، وإنسانٌ هو فيها السَبَبُ والضَّحِيّة.

طموحات الجنس البشريّ أكثر فأكثر شيوعًا

٤٣٠٩ – ٩ – في أثناءِ ذلكَ يَزدادُ الاقتِناعُ بأنَّ في إمكانِ الجِنسِ البشري ومن الوَاجبِ عليه أن يُحْكِمَ قبضتَه أكثرَ فأكثرَ ويومًا فيومًا على الكَائِنَاتِ المَخلُوقة، وأَنَّ في إمكانِه ومن الواجبِ عليه فوق ذلك أن يُنشِئَ نظامًا سياسِيًّا واجتماعِيًّا واقتصادِيًّا يخدمُ الإنسانَ خِدمةً تَتحسَّنُ مع الأيام، وتساعدُ الأَفرادَ على إثبَاتِ كرامتِهم الإنسَانيّة وإنمائِها.

من هنا نَرى الكَثِيرين يُطالِبُون مُطالبةً حادّةً بالخَيراتِ التي أَدركُوا إدراكًا واضِحًا أنّ حُقوقَهم قد هُضِمَت فيها ظُلمًا أو من جرّاءِ الإجحَافِ في التوزيع. إنَّ الأُمَم التي في طَريقِ النُموّ والتي نالت استقلالَها حديثًا تَطمَحُ إلى المُشارَكة في نِعَم الحَضارةِ المُعاصرة، ليس في الحَقلِ السِياسيّ فقط، بل في الحَقلِ الاقتصادِيّ أيضاً، كما تَطمحُ إلى القِيامِ بدورٍ حُرٍّ في العالَم، ومع ذلك لا يزالُ البَوْنُ يتّسعُ يومًا بعدَ يومٍ بينها وبين الأُمم الأُخرى الأوفرِ منها غنِى، والأسرعِ منها نَموًّا، كما يشتدُّ في الوقتِ نفسه وفي أكثرِ الأحيان تَعلُّقها وارتِباطُها بها حتى في الحَقلِ الاقتصاديّ. الشعوبُ التي يعصُرُها الجُوعُ تَستدعِي الشعوبَ الراتعةَ في البحْبوحةِ. النساءُ يُطالبنَ بِمُساواةِ الرجال شرعًا وفعلاً حيثُ لم يَنلنَ ذلك بعد. العُمّالُ والفلاّحُون لا يَكتفُون بكسبِ الضَروريّ للعَيشِ بل يُريدُون أن يُنمُّوا بالعمل شَخصيَّتهم، بَلْهَ الاشتراكِ في تَنظيم الحياة الاقتصادِيّةِ والاجتماعيّةِ والسياسيّةِ والثقافيّة. للمرّة الأُولى في تاريخ البَشرِ تُوقِنُ الشعوبُ بأجمعِها أَنَّه من المُمكنِ والواجبِ حقًّا انْ تَشمَلَ نِعَمُ الحَضارةِ العالمَ بأسره.

إلاَّ أنَّ وراءَ هذه المُطالبَاتِ كُلِّها رغبةً أعمقَ وأجمعَ: الأشخاصُ أفرادًا وجماعاتٍ، يَتعطَّشُون إلى حياةٍ مَلأى وحرّةٍ، لائِقةٍ بالإنسان، تَجعلُ في خدمتِهم كلَّ ما يُقدّمُه عالمُ اليوم من إمكاناتٍ واسعةٍ. والأُممُ تَنشَطُ في غيرِ تلكُّؤٍ وفي غيرِ تراخٍ للوُصُول إلى نوعٍ من المُجتمعيّة العالميّة.

وهكذا يظهرُ عالمُ اليومِ قويًّا ووضيعًا في الوقت نفسه، قادرًا على عَملِ الأفضل أو الأسوأ، والطريقُ أمامَه سالكةٌ إلى الحُرّيّةِ أو العُبوديّة، إلى التَقدُّم أو التَقهْقُر، إلى الأَخوّةِ أو البَغضاء. وإلى ذلك فقد وَعَى الانسانُ أنَّ بيدِه أمرَ تَوجيهِ القِوى التي

حَرّكها، والتي تستطيعُ أن تَسحقَه أو تَخدُمه، تَوجِيهًا يكون فيه صَلاحُه. ولذا فهو يسائل نفسه.

تساؤلات الجنس البشريّ العميقة

٤٣١٠ – ١٠ – إنَّ اللاّتوازنَ الذي يشغَلُ عالمَ اليوم هو في الحَقيقةِ مرتبطٌ بلا توازنٍ أعمقَ، جذورُه في قَلبِ الانسان. ففي الانسانِ نفسِه عناصرُ مختلفةٌ تَتصارعُ. فهو من حيثُ كونُه خَليقةً، يَخبرُ حدودَهُ المتعدّدة، وهو من جهةٍ أُخرى يشعرُ أنّه لا محدودٌ في رَغباتِه، وأنّه مدعوٌّ الى حياةٍ أسمى. وهو بين هذه المُشادّات الضَاغِطَةِ مضطرٌّ أبدًا أن يختارَ أو أن يَرفُض. وهو العَليلُ والخاطِئ، كثيرًا ما يفعلُ ما لا يُريدُ، ولا يفعلُ ما يُريدُ أن يفعلَه، وهكذا ففي ذَاتِه شِقاقٌ، ومن هذا الشِقاق الذاتي ينشأُ في المُجتمع هذا القَدْرُ من الخُصومَات الشَدِيدة. كثيرون في الحقيقة همُ الذين غَرِقتْ حياتُهم عمليًّا في المادَّة فتحوَّلَ نُظرُهم عن رُؤيةِ هذه الحالةِ المأسويّةِ رؤيةً جليّة، أو أَرهَقَهم العَوَزُ فلم يتمكّنوا من الالتِفات إليها. وكثيرون غيرُهم يَعتبرون أنّهم يَجِدُون طُمأنينَتَهم في ما يتقدّمُ لهم من تَفسِيرات مُختلِفة للكائنات. والبعضُ ينتظرون من جهدِ الإنسانِ وحدَهُ التحريرَ الحقيقيَّ والكاملَ للجنس البشريّ، وهم يعتقدونَ أنَّ مُلْكَ الانسان الآتي على الأرضِ من شَأنِه أن يُشبعَ جميعَ رغباتِ قلبه. وهنالك من يَئِسوا من فحوى الحياة، فامتدَحوا جُرأةَ من اعتَبروا وجود البشر خاليًا في ذاته من كُلِّ معنى، وجَهِدُوا في أن يُخوّلُوه، من وَحي قَرائِحهم، معنَاهُ الكامل. ومع ذلك يزدادُ عددُ الذين، أمامَ تَطَوُّرِ العالمِ الحاضر، يطرحون الأسئلةَ الأكثرَ اتّصالاً بالأُسس، أو يتحَسَّسونها جديدَ الحِدّة: ما الإنسانُ؟ ما مَعنى الألمِ والشرّ والموتِ التي لا تزالُ قائمةً مع هذا القَدْرِ العظيم من التَطوُّر؟ ما نفعُ هذهِ الانتصاراتِ التي تُنالُ بمِثلِ هذا الثَمن الغالي؟ ماذا يستطيعُ الانسانُ أن يُقدّم للمُجتمع، وماذا يُمكنُه أن ينتظرَ منه؟ ما الذي يعقُبُ هذه الحياةَ الأرضيّة؟

أمّا الكنيسةُ فتؤمنُ بأنَّ المسيحَ، الذي مات وقامَ لأجلِ الجميع، يُقدّمُ للإنسان، بوسَاطة روحه الأقدس، من النُور والقُوّة ما يُمكِّنُه من الاستجَابةِ لدعوته العُلْيَا،

وبأنْ ليس تحتَ السماء اسمٌ آخرُ أُعطيَ للناس به ينبغي أن يخلُصوا، وهي تؤمنُ أيضاً بأنّ عندَ سَيّدها ومُعلّمها مفتاحَ تاريخِ البشَرِ وقَلبهِ ونِهايتِه. والى ذلك فالكنيسة تُثبتُ أنَّ وراءَ التَغييراتِ كُلّها أموَرًا كثيرةً لا تتغيّرُ، أمورًا أَساسُها وقِوامُها في المَسيح الذي هو هو في الأمس واليوم، والى الأبد. ولهذا وعلى ضوءِ المسيح، صورةِ الله غيرِ المَنظور، والمولود قبلَ كلّ خَلق، يرومُ المَجمعُ أن يُخاطِبَ الجَميعَ لإيضاحِ سِرّ الإنسانِ وللمساعدةِ على إيجادِ الحُلول للمَشاكِل الكُبرى في عَصرِنا الحاضر.

القسم الثالث

الكنيسة والدّعوة الإنسانيّة

الاستجابة لنداءات الروح

٤٣١١ – ١١ – بِدَافعٍ من الإيمانَ، يعملُ شعبُ اللهِ ، وفي عَقِيدتِه أنَّ روحَ الربِّ مالئَ الكون يقُودُهُ في ما سعَى إليه، يعملُ على استشفَاف الأَحداثِ والمُقتضيات والرَّغبات التي يشتركُ فيها مع أبناءِ عَصرِنا هذا، فيتبيّنُ العلاماتِ الحقيقيَّةَ لحضورِ الله أو لتصميمهِ. فالإيمَانُ يُنيرُ كُلَّ شيءٍ بنورٍ جَديد، ويكشفُ عن الإرادةِ الإلهيّةِ في ما يتعلّقُ بدَعوةِ الإنسان الكاملة، ويتوجَّهُ بالعقلِ إلى حلولٍ غايةٍ في الإنسانيّة.

إنَّ المَجمعَ يريدُ قبلَ كُلِّ شيءٍ أن يقولَ كلمتَه، مُستنيرًا بهذا النُور، في القِيَم التي يُعلى شأنُها اليومَ إعلاءً شديدًا، ويردُّها إلى مَنبَعِها الإلهيّ. وهذه القِيَمُ شديدةُ الصَلاحِ بقَدْرِ ما هي نابعةٌ من النُبوغِ البشريّ الذي هو هبةٌ من عندِ الله، ولكن فسادَ القَلبِ البشريّ يَميلُ بها، في أحيانٍ غيرِ نادرةٍ، عن النِظامِ اللاّزمِ لها، وهذا ما يَجعلُها بحاجةٍ إلى تطهير.

ماذا تُفكّرُ الكنيسة في الإنسان؟ ما الأمورُ التي تُرى ضروريّةً لبناءِ مجتمعِ اليوم؟ ما المعنى الأَخيرِ والنِّهائيّ لِنَشَاطِ الإنسان في الكون العام؟ هذه الأسئلة تنتظرُ الجوابَ. من هنا يبدُو أكثرَ وضوحًا أنَّ شعبَ اللهِ والجنسَ البشريّ الذي هو جزءٌ منه يتبادَلان الخِدمة، وهكذا تَظهرُ رِسالةُ الكنيسةِ دينيّةً وفي الوَقت نَفسِه غايةً في الإنسانيّة.

الفصل الأوّل: كَرامَةُ الشّخْصِ الإنسانيّ

الإنسان على صورة الله

٤٣١٢ – ١٢ – يكادُ يتّفقُ المُؤمنون وغيرُ المومنين على فكرةِ أَنَّ كُلَّ ما على الأرضِ يجبُ أن يُوجَّهَ إلى الإنسانِ كما إلى مَركزِه وإلى ذُروتِه.

ولكن ما الإنسان؟ إنَّه أدْلَى ويُدْلِي في شَأنِه الذاتيّ بآراءٍ كثيرةٍ، مختلفةٍ، وأحيانًا مُتناقضة، وهو كثيرًا ما يُنصِّبُ نفسَه فيها قاعدةً مُطْلقةً، أو يَنحَدِرُ بنفسِه إلى اليأس، ومن ذلك شُكوكُه ومضايقُه. والكنيسةُ، في شُعورِها العَميقِ بهذِهِ الصُعوباتِ، تستطيعُ، بمُساعدةِ تعاليمِ الوحي الإلهي، أن تقدّمَ عن هذه الأمور جوابًا تَرتَسمُ فيه حقيقةُ وَضعِ الإنسان، وتَنجَلي فيه مواطنُ ضُعفِه، ويمكنُ فيه أن تُسْتَجلَى كرامتُه ودعوتُه بطريقةٍ قويمةٍ وصَحِيحة.

فالكتابُ المُقدّسُ يُعلّمُ أَنَّ الإنسانَ خُلِقَ «على صورةِ الله»، وأَنَّ باستِطاعتِه أن يعرفَ خَالقَه ويحبَّه، وأنّه أُقيمَ سيّدًا على جميعِ المَخلوقَات الأرضية، لكي يَتسلَّطَ عليها ويجعلَها في خَدمته مُمجّدًا الله. «ما الإنسانُ حتى تَذكُرَه وابنُ البشر حتى تَفْتَقِده. نقَصْته عن الملائكة قليلاً، وكلّلْتَهُ بالمجد والكرامة. سَلَّطْته على أعمالِ يديك، وأخضَعْتَ كلّ شيء تحت قدميه» (مز ٨: ٥ – ٧).

واللهُ لم يَخلُقِ الانسانَ وحيدًا: منذ البدء «ذكرًا وأنثى خلقَهم» (تك ١: ٢٧)، وهذا الجمع بينَ الرَجُلِ والمرأة هو الصورةُ الأولى لِتَشَارُكِ الأشخاص. ذلك أَنَّ الإنسانَ في عُمقِ طبيعتِه كائنٌ اجتماعيٌّ، لا يستطيعُ أن يحيا ولا أن يُنمّيَ مواهبَه إذا لم يكن له عَلاقاتٌ بالغير.

ولهذا نقرأُ أيضاً في الكتاب المُقدّسِ أنَّ اللهَ «رأى جميعَ ما صَنعه فإذا هو حسن جدًّا» (تك ١: ٣١).

الخطيئة

٤٣١٣ – ١٣ – أقامَ اللهُ الإنسانَ في حَالةِ برارة، ولكن الشرّيرَ أغواه مُنذُ بدءِ التارخ، فأساءَ استعمالَ حُريّتِه منتَصبًا في وجهِ الله وراغبًا في أن يبلغَ غَايتَه من دونِ الله.

وإذ كانوا يَعرفُونَ اللهَ لم يُمجّدُوه على أنَّه الله، بل أَظلمت قُلُوبُهُم الغبيّةُ وآثَرُوا في الخِدمةِ المَخلوقَ على الخَالق. وما يَكشِفُه لنا الوحيُ الإلهيُّ يَتّفِقُ ومُعطياتِ خبرتِنا. فإنْ تفحَّصَ الإنسانُ قلبَه وجدَ أنَّه ميّالٌ إلى الشرّ أيضاً، وأنّه غارقٌ في غمرٍ من الشرور لا يمكنُ أن تَصدُرَ عن خَالقِه الصَالح. فكثيرًا ما يَرفضُ الانسانُ أن يَرى في اللهِ مَبدأَه، فينقُضُ النِظامَ الذي يتوجَّه به إلى غايته القُصوى، وينقضُ في الوقت نفسه كُلَّ تَناغمٍ في ذاته وما بينَه وبينَ سائرِ الناس.

وهكذا فالإنسانُ يُعانِي من انقسامٍ في ذاتِه. ولهذا فحياةُ البَشرِ كُلُّها، سواءٌ كانت فرديّةً أو جماعيّةً، تبدُو صِراعًا، وصِراعًا مأسويًّا، بين الخيرِ والشرّ، بين النورِ والظُّلمات. وفضلاً عن ذلك فالإنسانُ يجدُ أنَّه عاجزٌ بذاته عن التَغلُّب تغلّبًا ناجزًا على مُهاجَمات الشرّ، وهكذا فكأنَّ كُلَّ واحدٍ مقيّدٌ بسَلاسِل. إلاّ أنَّ السيّدَ جاءَ بنفسِه ليحرّرَ الإنسان ويمنحَه القوّةَ، فيجدّدَه في داخلِه ويُلقي خارجًا رئيسَ هذا العَالم الذي كان يستعبدُه بالخطيئة. وهكذا فالخطيئةُ تَنتقِصُ الإنسانَ نفسَه إذ تقفُ حائِلاً دون أن يبلغَ كمَالَه.

على ضوءِ هذا الوَحي يتّضحُ المَعنى النِهائيُّ لسُموّ الدعوةِ البَشريّةِ ولعُمقِ مَسكنَة الإنسان اللتين يَخْبُرهما البشرُ في حياتهم.

تركيب الإنسان

٤٣١٤ - ١٤ - الإنسانُ واحدٌ بجسدِه وروحِه، وهو بوضعِه الجسديّ نفسِه يجمعُ في ذاته عَناصرَ العَالم الماديّ، بحيثُ تبلغُ فيه قِمّتَها وترفع بحُريّةٍ إلى الخَالقِ صوتَ حمدِها. فلا يجوزُ إذن للإنسان أن يَحْقِرَ الحياةَ الجسديّة، بل عليه أن يُعاملَ جسدَه بالإحسانِ والإكرام لأنَّه خليقةُ اللهِ ومُعَدٌّ للقيَامَةِ في اليوم الأخير. وبسببِ أنَّ الخطيئةَ جَرحت الإنسانَ، فهو يُكابِدُ عَنَتَ الثَورات الجَسديّة. وهكذا فكرامةُ الإنسان تقضِي بأن يَحمدَ اللهَ في جسده وبألاّ يدعَه ينقادُ لمُيولِ القلبِ الفاسدة.

والإنسانُ لا يكونُ على خطأٍ عندما يعترفُ أنَّه فوق العَناصرِ الماديّة، وعندما يرفُضُ أن يعتبر نفسَه جزءًا صغيرًا من أجزاء الطبيعة، أو عنصرًا غُفْلاً من عَناصرِ المَدينة البشريّة. إنَّه يتفوّقُ بكيانِه الدَاخليِّ على عالمِ الأشياء: إلى هذا الكَيان الداخليّ

العميق يرجعُ عندما ينكفئُ على ذاته حيثُ ينتظرُه الله فاحصُ القلوب، وحيثُ يُقرُّ هو بنفسه مَصيرَه تحتَ نظرِ الله. وهكذا عندما يدركُ أنّه ذو نفسٍ روحانيةٍ خالدةٍ لا يكون أُلعوبةً من ألاعيبِ الوَهمِ الكاذبِ صادرةً عن الأوضاعِ الطبيعيَّةِ والاجتماعيّةِ، بل بَخِلافِ ذلك يتّصلُ بعمقِ الحقيقة نفسها.

كرامة العقل: حقيقة وحكمة

٤٣١٥ – ١٥ – بمَا أنَّ الإنسانَ يشتركُ في نُورِ العقلِ الإلهيّ فهو على صوابٍ عندما يحكمُ أنّه يتفوّقُ بعقلِه على عالمِ الأشياء كُلِّها. فعبقريّتُه استطاعت عَبرَ العصور، أنْ تُطوِّرَ، بنشاطِها وكدِّها، العلومَ الاختباريّة، والفنونَ التقنيّةَ والحرّة. وقد فازَ، في أيّامِنا، بانتصاراتٍ باهرة، ولاسيّما في اكتشافِ العالمِ الماديّ وإخضاعِه لسُلطانه. ومع ذلك فقد سعى أبدًا إلى حقيقةٍ أعمقَ ووجدَها. فالعقلُ لا يقتصرُ في عملِه على الظَاهرات، بل يستطيعُ أن يتعدَّاها إلى الحقائقِ المَعقُولة يُدْرِكُها إدراكًا ثابتًا ولو اعترضَه في إدراكِه بعضُ الغُموض والضُعف من جرّاءِ آثارِ الخطيئة.
وأخيرًا فالطبيعةُ العَقليّة في الشَّخصِ البشريّ تجدُ كمالَها في الحِكمة ولا بُدَّ من اكتمالها بها، والحكمةُ تَشُدُّ عقلَ الإنسان شدًّا رَخِيًّا إلى الحقِّ والخيرِ يطلبُها ويحبُّها، فإذا تشبَّعَ منها قادَته من المَرئيّات إلى غيرِ المَرئيّات.

وعصرُنا بحاجةٍ إلى مثلِ هذه الحِكمةِ أكثرَ من أيّ عَصرٍ آخر لكي يُصبحَ أيُّ شيءٍ جديدٍ يكتشفُه الإنسان أكثرَ إنسانيَّةً. ولا شكَّ أنَّ مستقبلَ العالمِ سيكونُ في خطرٍ إذا لم يُمَدَّ بأُناسٍ حُكَماء. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنّ كثيرًا من الأُمَمِ الأشدِّ فقرًا من غيرها في الحقل الاقتصاديّ، والأوفرِ غِنًى في حقلِ الحِكمة، تستطيعُ أن تساعدَ الأممَ الأُخرى في هذا الباب مساعدةً شديدةً وفعّالةً.
والإنسانُ يستطيعُ بمساعدةِ مَوهبةِ الروحِ القدس، أن يتّصلَ في الإيمَان بسِرِّ الإرادة الإلهيّة اتّصالَ تأمّلٍ ومحبّة.

كرامة الضمير الأخلاقيّ

٤٣١٦ – ١٦ – يكتشفُ الانسانُ في ذاتِ ضَميره ناموساً لم يصدرْ عنه، ولكنّه مُلْزَمٌ بطاعتِه، وصوتُه يدعُو أبدًا ذلك الإنسان إلى حبِّ الخير وعملِه، وإلى تجنُّبِ الشرّ،

ويدوّي أبدًا في آذانِ قلبِه أَن اعمَل هذا وتجنَّبْ ذاك. أجل إنَّه ناموسٌ حفرَه اللهُ في قلبِ الإنسان، وكرامتُه في أن يخضعَ له، وبموجبه سوف يُدان. والضميرُ هو المَركزُ الأشدُّ عمقًا في الإنسان، والهيكلُ الذي ينفردُ فيه إلى الله، ويسمعُ فيه صوتَ الله. وهذا الناموسُ ينكشفُ للضَمير بطريقةٍ عجيبةٍ ويكتمِلُ بمحبّةِ الله والقريب. ووفاءً لهذا الضَمير لا بُدَّ للمسيحيّين، بالاتِّحادِ وسائرَ البشر، أن يطلبوا الحقيقة، ويبحثُوا عن حلِّ عادلٍ للقضايا الاجتماعيّة الكثيرة التي تعترضُ حياةَ الأفرادِ والجماعات. وبِقَدْرِ ما يتغلَّبُ الضَميرُ القَويمُ يبتعدُ الأَفرادُ كما تبتعدُ الجَماعة عن القَرار الأعمى، ويعملُون على تَطبيقِ النُّظُم الأخلاقية الواقعيّة. ولا يقلُّ أن يَضِلَّ الضميرُ من جَرّاءِ جَهلٍ مُطبِق، ولكن من غيرِ أن يفقدَ كرامتَه. ولكنَّ هذا القولَ لا ينطَبقُ على الإنسان الذي قَلَّمَا يُعنَى بالبحث عن الحقِّ والخير، والذي كادت الخطيئة تعمي ضميره شيئًا فشيئًا.

عظمة الحريّة

٤٣١٧ – ١٧ – والإنسانُ لا يتوجَّه إلى الخير إلاَّ حُرًّا، والحريّةُ هي ما يُكبُّ معاصرُونا على إعلاءِ شَأنِه وتَطلُّبه بشدّة: وهذا أمرٌ صحيحٌ وقويم. ولكنَّهم أحيانًا كثيرةً يَغْلُون في تعشُّقها، حتى إنَّهم لَيُبيحُون لأنفسِهم أن يعملُوا كُلَّ شيء إذا كانَ لهم فيه متعةٌ، ولو كانَ شرًّا. والحريّةُ الحقيقيّةُ هي علامةٌ مميَّزةٌ لصورةِ اللهِ في الإنسان. فقد أرادَ اللهُ أن يتركَ الإنسانَ في يدِ اختياره، بحيثُ يتمكّنُ أن يبحثَ هو بذاتِه عن خالقِه، حتى إذا التحقَ به يبلغُ بحريّتِه كمَالَه مليئًا وسعيدًا. إنَّ كرامةَ الإنسان تقتضِي أن يعملَ باختيارِه الواعي والحرّ، أي أن يكونَ عملُه شخصيًّا وبدافعٍ ومحرّكٍ من داخلِ ذاته، لا أن يكونَ بدافعٍ داخليّ غَريزيّ، أو بدافعٍ خارجيٍّ قَسريّ. والانسانُ يحصلُ على هذه الكرامة عندما يتحرّرُ من كُلِّ عبوديّةٍ للشهوات، ويختارُ بحريّتِه الخيرَ في طَريقِ هَدفِه الذي يسعى إليه بكُلِّ ما تُقدِّمَه له مهارتُه من وَسائلَ ملائمةٍ وفعّالةٍ. والحريّةُ البشريّةُ لا تستطيعُ التوجُّه إلى الله توجّهًا كاملَ الفعاليّة، بعدَما جَرَّحتها الخطيئة، إلاّ بنعمةٍ من اللهِ تكونُ لها عونًا ونصيرًا. وعلى كُلِّ إنسانٍ أن يُؤدّي حِسَابًا عن حياتِه أمامَ مِنبر اللهِ على حَسبِ ما صنع خيرًا كان أم شرًّا.

سرّ الموت

٤٣١٨ – ١٨ – أمامَ الموتِ يبلغُ لغزُ الوَضعِ البشريّ ذروتَه. فلا يقفُ قلقُ الإنسانِ عند ألمِ جسدهِ وتهدُّمِه التدريجيّ، بل يتعدّاه إلى أكثرَ من ذلك، إلى خوفِ التَلاشِي النِهائي. وهو بحكمِ وحيٍ صحيحٍ من قَلبه يستنْكرُ ويتأبّى الانهيارَ الكَاملَ والأُفول النِهائي في شخصِه الانسانيّ. إنَّ زرعَ الخُلود، الذي يَحمِلُه في ذاته والذي لا ينتهي في المَادّة، يتمرّدُ على المَوت. جميعُ مُحاولاتِ الفنِّ التقنيّ، على ما لها من فائدةٍ، لا تستطيعُ تهدئةَ قَلقِه: فإنَّ ما يحقّقُه علِمُ الحياة من إطالةٍ للعُمرِ لا يستطيعُ أن يُشبعَ رغبتَه في حياةٍ أُخرى آتية، تلك الرغبةُ الشديدةُ التجذُّرِ في قلبه.

ولَئِنْ أَظهرتْ جميع قوى التخيُّلِ والتَصوّرِ عجزَها أمامَ المَوت فإنّ الكنيسة، بعلمٍ أُوتِيَتْهُ من الوحي الإلهي، تُثبتُ أنَّ اللهَ خلقَ الإنسان لأجلِ غايةٍ سعيدةٍ وراءَ حدودِ الشقاء الأرضيّ. والموتُ الجسديُّ، الذي لولا الخطيئةُ لَنَجا منه الإنسان، هذا الموتُ يُعلِّمُنا الإيمَانُ المسيحيُّ أنَّه سيُغلَبُ عندما يُعيدُ المُخلّصُ الكُلّيُّ القُدرةِ والرحمةِ إلى الإنسان الخَلاصَ الذي فقدَه بخطيئتِه. فإنَّ اللهَ دعا الإنسانَ ويدعُوه إلى الالتِحاق به التحاقَ اتّحادٍ كلّيّ بالاشتراكِ في حياةٍ إلهيّةٍ أزليّةٍ لا تقبلُ الفَساد. هذا الانتصارُ أحرزَه المسيح بقيامته، وحرّرَ بموتِه الإنسانَ من الموت. وهكذا فالإيمَانُ ببراهِينه الثابتةِ يُقدّمُ لكُلِّ إنسانٍ مُفكّرٍ جوابًا عمّا يُقلقُه في شَأنِ مَصيره، وهو يقدّمُ لنا في الوقت نفسِه ما يُخوّلُنا أن نشتركَ بالمسيح مع إخوانِنا الأحبّاء الذين سبقونا بالموت إلى الآخرة، وتركوا لنا الثِقةَ بأنَّهم لقُوا الحياةَ الحقيقيَّةَ عند الله.

صُوَر الالحاد وجذوره

٤٣١٩ – ١٩ – أسمى مظهرٍ للكَرامة الإنسانيّةِ قائمٌ في دعوةِ الإنسان إلى الاتّحاد بالله. والإنسان مدعوٌّ إلى مكالَمةِ اللهِ منذ كان: ولئن وُجدَ فما ذلك إلاّ لأنَّ اللهَ خلقَه بمحبّة، وهو أبدًا يحافظُ على وُجودِه بمحبّة، والانسانُ لا يعيشَ ملءَ العيش وفاقًا للحقيقةِ إلاَّ إذا عرفَ بحريّتِه هذه المحبّةَ وسلّمَ أمرَه لله. ولكنَّ الكثيرين من مُعاصرِينا لا يُعيرونَ هذا الاتّحادَ الحَميم والحيويّ باللهِ أيَّ انتباه، بل إنَّهم

يرفُضونه رفضاً صريحًا، بحيثُ إنَّ الالحَادَ يُعَدُّ من أخطرِ ظَاهراتِ هذه الأيام، ومن الأُمور التي يجبُ بحثُها بكُلِّ دقّةٍ واهتمام.

يُطلَقُ اسمُ الالحَادِ على ظَاهراتٍ شديدةِ الاختِلاف فيمَا بينها. ففيمَا ينكر بعضُهم وجودَ الله بصراحةٍ، يرى آخَرُون أَنَّ الإنسانَ عاجزٌ عن إثباتِ أيّ شيءٍ في شَأنه، ويُخضِعُ بعضُهم مَوضوعَ الله لنَوعٍ من البحثِ يُظهرُه خاليًا من المَعنى. وكثيرون يتجاوزون حدودَ العُلومِ الوضعيّةِ تجاوزًا اعتباطيًّا فيذهبون إلى أنَّ العقلَ العِلميَّ وحدَه يُفسّرُ كُلَّ شيء، أو يذهبون إلى خِلافِ ذلك فلا يُقرُّون أيّةَ حقيقةٍ مُطلَقة. البعض يُشيدُونَ بالإنسانِ إلى حدّ أنّهم يَكادُون يُهزِلُون الإيمَان بالله، وهمُّهُم الأكبر، على ما يظهرُ، إثباتُ الإنسانِ أكثرَ من إنكارِ الله. والبعضُ الآخَرُ يَتمثّلون الله تمثُّلاً يصبحُ معه إنكارُ الله إنكارًا لإلهٍ ليس في الإنجيل بوجهٍ من الوجوه. وهنالك من يُعرِضُون عن مُعالجةِ قضايَا الله، فيَظهَرُون بعيدين عن أيّ مُعاناةٍ للقَلقِ الدينيّ، ولا يَرون داعيًا يدعُوهم بعدُ إلى الاهتِمَام بالدين. كثيرًا ما يتأتّى الالحادُ إمّا من اعتراضٍ ثوريّ على الشرّ في العالم، وإمّا من الخَطأِ في إلقاءِ الطَابعِ المُطلَق على بعضِ المُثُلِ البشريّة بحيثُ أُقيمت في مَقامِ الله. وإنَّ الحضارةَ الحديثةَ نفسَها، لا بجوهَرِها، بل بتوغُّلِها في الأُمور الأرضيّة، من شَأنها، في كثيرٍ من الأحيان، أن تجعلَ الوصولَ إلى الله أشدَّ صعوبة.

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الذين يعملُون عمدًا على إقصاءِ الله عن قلبِهم، وتنحيةِ الأمورِ الدينيّة، غيرَ عابئِينَ بتنديدِ ضَميرِهم، ليسُوا خالِين من الإثم، والمُؤمنونَ أنفسُهم كثيرًا ما يتحمَّلُونَ في ذلكَ بعضَ المَسؤولية. فالالحادُ، إن نظرنا إلى مُجملِه، نرى أنَّ جذورَه ليست في ذَاتِه، بل نَراه يرجعُ بالحريّ إلى أسبابٍ مختلفةٍ منها التيّارُ النَقديّ الذي يناهضُ الديانات، والذي يتهجَّم في بعضِ المَناطق على الدِيانة المسيحيّةِ بنوعٍ خاصّ. ولهذا فللمؤمنين في نَشأةِ الإلحَادِ يدٌ كبيرة، من حيثُ تهامُلِهم في التّنشئة الإيمَانيّة، أو من حيثُ العَرْضُ المُضلّلُ للعقيدة، أو من حيثُ الضُعفُ في حياتهم الدينيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، حتى لَيَصِحُّ القولُ فيها إنّهم يَحجُبون الوجهَ الأصيلَ للهِ والديانةِ أكثرَ ممّا يَعلنونَه.

الإلحاد المُنظَّم

٤٣٢٠ - ٢٠ - كثيرًا ما يتَّخذُ الإلحَادُ الحديثُ صورةً مَذهَبيّةً منظَّمةً تعملُ، بمعزلٍ عن سائرِ الأسباب، على إذكاءِ الرَغبةِ في الاستقلال الذّاتي عند الإنسان إلى حدٍّ يصعبُ معه أيُّ ارتباطٍ بالله. والذين يذهبُون هذا المَذهبَ يقولون بأنَّ الحُريّةَ تقومُ في كَونِ الإنسانِ غايةً في نفسِه ولنفسِه، وفي كونِه هو صانعَ تاريخِه وبطلَه: فهذه النَظريّةُ لا تتفقُ والاعترافَ بربٍّ هو مصدرُ كُلِّ شيء وغايتُه، أو إنَّها تجعلُ هذا الاعترافَ خاليًا من كُلِّ فائدةٍ. وقد تجدُ هذه النظريّةُ ما يُشجّعُها في شُعور الإنسانِ بالقوّةِ التي يُخوّلُه ايّاها تطوّره الحاليُّ في الحَقل التقنيّ.

وفي صُوَرِ الالحَادِ المُعاصِرِ يجبُ أن لا نُغفِلَ تلك التي تنتظرُ تحريرَ الإنسان بنوعٍ خاصٍّ من تحريرِه الاقتصادي والاجتماعيّ. فهي تَرى أنَّ الدِين بطبيعتِه عَقَبةٌ في طَريقِ هذا التَحريرِ لأنّه يقيمُ رجاءَ الإنسان على تَنظُّرٍ لِسَرابِ حياةٍ آتية، ويحوّلُ اهتمامَه عن بناءِ المَدينة الأرضيّة. لهذا يبذُلُ أتباعُ هذا المَذهب قُصارى جُهدهم، حيثُمَا تولّوا الحُكمَ، في مُقاومة الدين أعنفَ المُقاومة، متوسِّلين، لِنشرِ الالحَاد، ولاسيَّمَا في مواطنِ تنشئةِ الأحداث، وسائِلَ الضَّغط التي تَتوافَرُ في يدِ السُلطة العامّة.

موقف الكنيسة من الالحاد

٤٣٢١ - ٢١ - إنّ الكنيسة، في ما هي عليه من إخلاصٍ للهِ وللبشر، لا تستطيعُ التوقّفَ عن التَنكّرِ بألمٍ والتصدّي بكُلِّ شدّة، كما فَعلت ذلك في المَاضي، لهذه التَعاليمِ والأعمالِ الهَدّامَة التي تُناقضُ العقلَ والاختبارَ البشريّ العام، وتُدهورُ الإنسانَ من سامي قَدْرِه التَليد.

وهي تعملُ مع ذلك على اقتِنَاصِ الأسبابِ الخَفيّةِ لإنكارِ الله في نفوسِ المُلحدين، وفي وعيها لخطورةِ القَضايا التي يُثيرُها الالحَاد، وبدافعِ محبّتِها لجميعِ البشر، تَرى من وَاجِبها أن تُكِبَّ على هذه الأسباب وتتدارَسَها بجِدّيةٍ وعُمق.

والكنيسةُ تُثبت أنَّ الاعترافَ بالله لا يُباينُ كرامةَ الإنسان في شيء، إذ إنَّ هذه الكرامة تجدُ في الله ما يؤسِّسُها وما يتمِّمُها: فإنَّ الله الذي خلقَ الإنسانَ أقامَه في

المجتمع عاقِلاً وحرًّا: وإذ كانَ الإنسانُ ابنًا فهو مدعوٌّ بنوعٍ خاصٍّ إلى الاتّحاد باللهِ وإلى الاشتِراك في سَعادته. والكنيسةُ إلى ذلك تعلّمُ أنَّ تَرَجّيَ الحياةِ الأخرى لا يذهبُ بشيءٍ من أهميّة المَهامّ الأرضيّة، بل بالحريّ يوفّرُ دَواعي جديدةً للقيامِ بها. وخِلافًا لذلك فإذا خَلا الدَعمُ الإلهيُّ ورجاءُ الحياةِ الأبديّةِ تجرَّحت كرامةُ الإنسان تجرُّحًا بليغًا، كما يَجري ذلك غالبًا في هذه الأيّام، وفقدَ لُغْزُ الحياةِ والموتِ والخطيئةِ والألمِ حَلَّهُ، وكَثُرَ سقوطُ البشرِ في وَهدَةِ القُنُوط.

في هذه الأَثناء يلبثُ كُلُّ إنسانٍ في عينَي نفسِه مَسألةً لا حَلَّ لها تَتراءى له في غِلافٍ من غموض. وفي بعضِ الأحيان، ولا سيَّمَا في غمرةِ أحداثِ الحياةِ الكُبرى، لا يستطيعُ أحدٌ أن يتهرّبَ من سُؤالٍ كهذا. اللهُ وحدَه يقدّمُ جوابًا عنه كاملاً ومُقنِعًا، هو الذي يدعو الإنسانَ إلى تفكيرٍ أشدّ عمقًا، وإلى تَحرٍّ أكثرَ تَواضُعًا.

أمّا علاجُ الالحَادِ فيجبُ أن يكونَ من جهةٍ عَرْضاً وافيًا للعقِيدة، ومن جهةٍ ثانية حياةً للكنيسة ولأعضائِها خاليةً من الدَّغَل. فللكنيسةِ أن تجعلَ الله الآب وابنَه المُتَجسّدَ حاضرَيْن وشبهَ مَنظُورَيْن، وذلك بعكوفِها المُتواصِلِ على التجدّدِ والتطهُّرِ بقيادةِ الروح القدس. وهذا يكونُ قبلَ كُلِّ شيءٍ بشهادةِ إيمَانٍ حيٍّ ونَاضِج، أي بإيمَانٍ مُهيّأً لتَعرُّفِ الصُعوباتِ بوضُوح، وقادرٍ أن يتغلّبَ عليها. وشهادةُ هذا الإيمَانِ قدَّمها ويقدّمُها بجلاءٍ وروعةٍ عددٌ كبيرٌ من الشهداء. ويجبُ أن يظهرَ خِصبُ هذا الإيمان بانتِشَارِهِ في حياةِ المؤمنين كُلّها، حتى حياتِهم الدُنيويّة، وبحملِهم على مُمارسةِ العَدْلِ والمَحبّة، ولا سيَّمَا بالنسبَةِ إلى المَحرومين. وأخيرًا فإنّ أكثرَ ما يعملُ على إظهارِ الحُضور الإلهيّ هو المحبّةُ الأخويّةُ بين المؤمنين الذين يعملُون في وَحدةِ الروح لإيمَانِ الانجيل ويَبْدُون للعَيان رمزًا وعلامةً للوحدة.

والكنيسةُ، وإن كانت تقفُ من الالحَاد موقفَ الرَفضِ الكَامل، تُعْلنُ في غيرِ تمويهٍ أنَّ جميعَ الناس، سواءٌ كانوا مُؤمنين أو غيرَ مؤمنين، مدعوّون لأن يتعاونُوا على بناءِ هذا العالم الذي يعيشُون فيه بناءً مُحكمًا: وهذا في الحقيقة أمرٌ لا يتمُّ الاّ بالحِوار الصَادقِ والحَكِيم. وإنَّه لمن المُؤسف أن يعمدَ بعضَ المسؤولين المَدنيّين ظُلمًا إلى التمييز في المُعاملةِ بين المُؤمنين وغير المؤمنين، غيرَ عابِئين بالحُقوقِ

الأساسيّة للشخصِ البشريّ. والكنيسةُ تُطالِبُ للمؤمنين بالحُريّةِ الفِعليّة، حتى يتمكّنُوا من إقامةِ هيكلِ اللهِ في هذا العالم. وهي تَدعُو المُلحِدين بعاطفةٍ إنسانيّةٍ إلى أن يَنظُروا في إنجيلِ المسيح بقلبٍ مُنفتح.

والكنيسةُ تَعلمُ تَمامَ العِلم أنَّ رسالتَها تتّفقُ وأعمقَ رغباتِ القَلبِ البشريّ عندما تُدافعُ عن كرامةِ الدَعوةِ الإنسانيةِ وتُعيدُ الأملَ إلى الذين أفقدَهُم اليأسُ التطلّع إلى مَصيرِهم الأسمى. ورسالةُ الكنيسةِ هذه ابعدُ من أن تَنْتَقِصَ إنسانيّةَ الإنسان، إنَّها بالأحرى تعملُ على تَقدُّمِه إذ توفّرُ له النورَ والحياةَ والحريّةَ، وما من شيءٍ خارجًا عنها يستطيعُ أن يُرضيَ قلبَ الإنسان: «لقد خَلقتَنا لك» يا ربّ، و «قلبُنا في اضطرابٍ إلى أن يستريحَ فيك».

المسيح الانسان الجديد

٤٣٢٢ — ٢٢ — ممّا لا شكَّ فيه أنَّ سِرَّ الإنسان لا يفسِّرهُ تفسيرًا حقيقيًّا إلاّ سِرُّ الكلمة المُتَجسِّد، فآدمُ، الإنسانُ الأوّل، كانَ صورةً للآتي، أي السيّدِ المسيح. والمسيحُ، آدمُ الجديد، في كَشفِه عن سِرّ الآب ومحبّتِه، يبيّنُ للإنسان حقيقةَ الإنسانِ في وضوحٍ كاملٍ، ويكشفُ له عن سُموّ دعوتِه. وليس بالعَجيبِ أن تجدَ الحقائقُ المذكورةُ آنفًا ينبوعَها فيه، وأن تبلغَ فيه ذُروتَها.

الذي هو «صورةُ اللهِ الغيرِ المنظور» (كول ١ : ١٥)، هو ذاتُه الانسانُ الكاملُ الذي أعادَ لأبناءِ آدم المِثالَ الإلهيَّ الذي غيّرتْ صورتَه الخطيئةَ الأُولى. وإذ اتَّخذَ الطبيعةَ البشريّةَ من غَير أن يلاشِيَها، رفعَها فينا أيضاً إلى دَرجةٍ عاليةٍ جدًّا من الكَرامة. وهكذا فبالتَجسُّدِ اتّحدَ ابنُ الله نوعًا ما بكُلّ انسانٍ. لقد اشتغَل بيدين بشريّتين، وفكَّرَ بعقلٍ بشريّ، وعَملَ بإرادةٍ بشريّة، وأحبَّ بقلبٍ بشريّ. إنَّه وُلِدَ من العذراء مريم، وصارَ في الحَقيقةِ واحدًا منّا، شبيهًا بنا في كُلِّ شيءٍ ما عَدا الخطيئة.

حملٌ بريءٌ أراقَ دمَه بملءِ حُريّتِه واستحقَّ لنا الحياةَ، وبه صَالحَنا الله مع نفسه، وبعضَنا مع بعضٍ، وانتزَعنا من عُبوديّةِ الشَيطان والخَطيئةِ، بحيثُ يستطيعُ كُلُّ واحدٍ منّا أن يقولَ مع الرسول: إنَّ ابن الله «أحبّني وبذلَ نفسَه عنّي» (غلا

٢ : ٢٠) وبتحَمُّلِه العَذاب من أجلِنا لم يكنْ عملُه مُجرّدَ مثلٍ يقدّمُه لنا لكي نَسِيرَ في خُطاه، بل كانَ أيضاً افتتاحًا لطريقٍ جديدةٍ إذا تَتبّعنَاها تقدَّستِ الحياةُ والوفاةُ، واتّخذتَا معنًى جديدًا.

وإذ أصبحَ الإنسانُ المسيحيّ مُشابِهًا لصُورةِ الابن الذي هو البكرُ ما بين إخوةٍ كثيرين، فإنّه يتقبّلُ «بواكيرَ الروح» (روم ٨:٢٣)، التي تجعلُه قادرًا على إنجازِ شَريعةِ المَحبّةِ الجديدةِ. بهذا الروح الذي هو «عُرْبونُ الميراث» (أف ١:١٤) يتجدّدُ الانسان كُلُّه داخليًّا، إلى حين «افتداءِ الجسد» (روم ٨:٢٣): «إن كان روحُ الذي أَقامَ يَسوعَ من بين الأموات سَاكنًا فيكم، فالذي أقام يسوعَ المسيح من بين الأموات يُحيي أيضاً أجسادكم المَائتةَ بروحِه الساكنِ فيكم» (روم ٨:١١).

أجل إنَّ الضرورةَ والواجبَ يَقضِيان على المَسيحي بأن يحاربَ الشرَّ ولو كلّفَه ذلك تحمّلَ المَشقّاتِ الكَثيرةِ والتعرّضَ للموت، إلاّ أنّه بإشراكِه في السِرّ الفِصحيّ، وبمشَابهتِه المسيحَ في الموت، يسيرُ إلى القِيامة بمُعاضَدةِ الرّجاء.

وهذا غيرُ مقصورٍ على المسيحيين، بل إنّه لجميعِ البَشرِ ذَوي الإرادة الصالحة، الذين تعملُ النِعمةُ في قُلوبهم بطريقةٍ غيرِ منظورة، وبمَا أنَّ المسيحَ ماتَ من أجل الجميع، وبمَا أَنَّ دعوةَ الإنسانِ الأخيرةَ هي في الحَقيقةِ واحدة، أي دعوةٌ إلهيّة، فمن الوَاجبِ علينا أَن نكونَ على يقينٍ من أَنَّ الروحَ القدس يُمكِّنُنا، بطريقةٍ يعرفُها الله، منِ الاشترَاك في هذا السِرّ الفِصحيّ.

تلك هي عظمةُ سِرّ الإنسانِ الذي جلاّه الوحيُ المسيحيّ للمؤمنين. فبالمسيحِ وفي المسيح يتّضحُ لغزُ الألم والموتِ الذي لولا إنجيلُ المسيح لأَرهقَنا وقضَى علينا. المسيحُ قَام، وبموتِه قهرَ الموت، ووهبنا الحياةَ بغَزارة، حتى إذا صرنا أبناءً في ابن الله نهتفُ بالروح القدس ونقولُ: أَبًا، أَيُّها الآب.

الفصل الثاني

الجَمَاعَةُ الإنسانيّة

ما يهدف إليه المجمع

٤٣٢٣ – ٢٣ – يُعَدُّ تعدّدُ العلاقاتِ المتبادَلة بين البشرِ من أخصّ خصائصِ هذا العَصر، وقد عَمل التقدُّمُ التقنيّ الحاليُّ على تَنمِيةِ هذهِ العلاقاتِ تنميةً واسعة.

إلاّ أنّ الحِوارَ الأخويَّ بين البشر لا يكتملُ في هذه التَطوّراتِ، بل يكتملُ في ما هو أعمقُ من ذلك، أي في تَجمّعِ الأشخاص الذي يَقتضِي الاحترامَ المتبادَلَ لمِلءِ كرامتِهم الرُوحيّة. والوحيُ المسيحيّ يُقدِّمُ دعمًا كبيرًا في سَبيلِ ازدهارِ هذا التَجمُّعِ بين الأشخاص، وهو في الوقتِ نفسِه يقودُنا إلى تفهُّمٍ أعمقَ لنواميسِ الحياة الاجتماعيّة التي حفرَها الخالقُ في طبيعةِ الإنسانِ الرُوحيةِ والأخلاقيّة.

وإذ كانت هنالك وثائقُ حديثةٌ وضَعَتْها السُلطة التعليميّةُ في الكنيسة، وتوسّعتْ في عرضِ التعليمِ المسيحي في شَأنِ المُجتمعِ الانسانيّ، فالمجمعُ يقتصِرُ على التَذكير ببعضِ الحقائق الرئيسيّة، ويعرضُ أُسُسَها على ضوءِ الوحي. وهو بعدَ ذلك يشدِّدُ على بعضِ النتائِج ذاتِ الأهميّة الكُبرى في أيّامنا هذه.

ميزة الدعوة الإنسانيّة الجماعيّة في تصميم الله

٤٣٢٤ — ٢٤ – إنَّ الله الذي يهتمُّ بالجميع اهتمامًا أبويًّا، اراد أن يكوّنَ جميع البشرِ أسرةً واحدةً، وأن يُعامِلَ بعضُهم بعضاً بروحٍ أخويّة، فقد خُلِقُوا جميعًا على صُورةِ اللهِ «الذي صنعَ من واحدٍ كُلَّ أُمّةٍ من البَشرِ ليسكُنوا على وجهِ الأرض كُلِّها» (أع ١٧ : ٢٦)، وهم مَدعُوّون إلى نفسِ الغَايةِ الواحدةِ أي الله ذاته.

ولهذا فمحبّةُ اللهِ والقريبِ هي الوصيّةُ الأُولى والعُظمى. والكتابُ المقدسُ يُعَلِّمُ أنَّ محبَّةَ الله لا يمكنُ فصلُها عن مَحبّةِ القريب: «... كُلُّ وصيّةٍ أُخرى تُلخَّص في هذه الكلمة: أَحْبِبْ قريبكَ كنفسِك... فالمحبّةُ إذن هي تمَامُ الناموس». (روم ١٣ : ٩ – ١٠، ١ يو ٤ : ٢٠)، وإنّه لمن الثابت أنَّ ذلك في غايةِ الأهميّةِ لأُناسٍ يشتدُّ مع الأيام ارتباطُهم بعضهم ببعض، والعالمُ يسيرُ أكثرَ فأكثرَ إلى التوحُّدِ.

وإلى ذلك فإنَّ السيّدَ يسوع عندما طلبَ في صَلاتِه إلى الآب وقال: «ليكونُوا بأجمعِهم واحدًا... كما نحنُ واحد» (يو ١٧ : ٢١ – ٢٢)، فتحَ آفاقًا تسمُو على العَقل البشريّ، وأشارَ إلى نوعٍ من الشّبه يقومُ بين اتّحادِ الأقانيم الإلهيّ واتّحادِ أبناءِ الله في الحقّ وفي المحبّة. وهذا الشَّبهُ يُظهِرُ أنَّ الانسانَ، الخليقَةَ الوحيدةَ التي أرادَها اللهُ لذاتِها على الأرض، لا يستطيعُ أن يجدَ ذاتَه تمامًا إلاّ بتقديمِ نفسِه تقدمةً صادقةً خالصة.

التَرابط القائم بين الشخص والمجتمع

٤٣٢٥ – ٢٥ – من ميزةِ الانسان الاجتماعيّة يَظهَرُ أنَّ هنالك ترابطاً بين نُموّ الشخصِ وتطوّرِ المُجتمعِ نفسِه. فالشخصُ الإنسانيُّ هو، ويجبُ أن يكونَ، مَبدأ جميعِ المُؤسّسات الاجتماعيّة وموضوعَها وغايتَها، لأنَّه بطبيعتِه نفسِها بحاجةٍ ماسّةٍ إلى الحَياة الاجتماعيّة، فهو ينمُو بجميعِ مواهِبه ويستطيعُ أن يستجيبَ بدعوتِه وذلك بحُسنِ مُخالطةِ الآخرين، وبتبادُلِ الخِدمة، وبإقامةِ الحِوار بينه وبين إخوانِه.

من الرُّبطِ الاجتماعيةِ الضَروريّةِ لنموّ الإنسان وازدهارِه ما هو كالعَيلةِ والجَماعةِ السِياسيّةِ ممَّا يوافقُ طبيعته الحميمة بطريقةٍ أقربَ وأدخل، ومنها ما هو اكثرُ ارتباطاً بإرادته الحُرّة. وفي هذه الأيّام، ولأسبابٍ مُختَلِفة تَزدادُ العلاقاتُ المُتبادَلة تعدُّدًا، كما يزداد الترابُطُ، يومًا بعد يوم، من هنا ظهورُ شَركاتٍ ومؤسّساتٍ مختلفة يُقرُّها الشرعُ العامّ أو الشرعُ الخاص. ولكنَّ تلك الظاهرة التي تُسمَّى جَمْعَنة، وإن لم تَخْلُ من أَخطار، تحملُ معها من الفَوائِد الكثيرةِ ما من شَأنِه أن يُثبِّتَ ويُنمّي صفاتِ الشّخصِ الإنسانيّ ويَحمِي حقوقَه.

ولَئِنْ نالَ الأشخاصُ البشريُّونَ الشيءَ الكثيرَ من هذه الحياةِ الاجتماعيّةِ في سَبيلِ القِيام بدعوتِهم، حتى في حَقلِ الدين، فلا يمكنُ مع ذلك إنكارُ هذا الأمرِ وهو أنَّ البشرَ يتحوّلُون غالبًا عن صُنعِ الخَيرِ ويندَفِعون في طريقِ الشَرّ، وذلك بسببِ الأحوال الاجتماعِيّةِ التي يعيشُون فيها وتَغمُرهم منذُ حداثتِهم. نَعم إنَّ الاضطراباتِ التي كثيرًا ما تَعتَورُ النِظام الاجتماعيَّ تصدرُ في قسم منه عن التوترِ في الهيكليّةِ الاقتصادِية والسياسِيّة والاجتمَاعِيّة، بل هي مُتجذِّرةٌ في كبرياءِ البشرِ وأنانيّتِهم اللّتين تُفسِدان الجوَّ الاجتماعيَّ. وحيثُمَا اضطربَ نِظامُ الأشياءِ من جَرّاءِ الخطِيئة يجدُ الإنسان، وقد وُلدَ ميّالاً إلى الشرّ، حوافزَ جديدةً تحفِزُه على الخَطيئةِ، وهو لا يستطيعُ التغلّبَ عليها إلاّ بجهودٍ شديدةٍ وبعونٍ من النعمة.

تشجيع الخير العام

٤٣٢٦ – ٢٦ – عن هذا التَرابُطِ الذي يَتوثّقُ مع الأيّام والذي يَعُمُّ المسكونةَ كُلَّها شيئًا فشيئًا، ينجمُ الخيرُ العام – أي مجموعةُ أوضاعِ الحياة الاجتماعِيّة التي تسمحُ

للجماعات والأفراد أن يَبلغُوا كَمالَهم بوجهٍ أتمَّ وأسهل – الذي اصبحَ اليومَ أكثر اتّسَاعًا وأشملَ انتِشَارًا، وانطَوى من ثمَّ على حقوقٍ وواجباتٍ تتعلّقُ بالجِنس البشريّ كُلِّه. فعلى كُلِّ فريقٍ أن يحسبَ حسابًا لحاجاتِ الأفرقاءِ الآخرين ولتطلّعاتِهم الشَرعيّة، بل للخَيرِ العام في الأُسرَة البشريتةِ كُلِّها.

في هذا الوَقتِ نفسِه يشتدُّ الوَعيُ لما يتمتّعُ به الشخصُ الانسانيُّ من مَقام رفيعٍ يسمُو على جَميع الأشياءِ، ولِمَا له من حُقوقٍ وواجباتٍ عامّةٍ وغَيرِ قابلةٍ الانتِهاك. وإذ كان الأمرُ كذلك كانَ لا بُدَّ من تَمكِين الانسان من كُلِّ ما يحتاجُ إليه لِكي يعيشَ عيشةً إنسانيّةً حقيقيّةً، من مِثلِ الغِذاءِ، واللِباسِ، والمَسكنِ، وحقِّ الاختيار الحُرّ لنوعِ الحياة الذي يُريد، ولتَأسِيس العَيلة، وحقِّ التنشِئة والتَربيةِ، والعَملِ، والشُهرةِ، والاحترامِ والإعلامِ اللائقِ، والتَصرُّفِ وفاقًا لنظامِ قَويمٍ من ضَميره، وحقِّ صِيانةِ حياتِه الفَرديّة، والتمتُّعِ بحريّةٍ صحيحةٍ تَمتدُّ إلى الأُمور الدينيّة أيضاً.

والنّظامُ الاجتماعيُّ وتقدُّمُه يجبُ أن يَصُبَّا دائمًا في خيرِ الأشخاص إذ إنَّ نِظامَ الأشياءِ يجبُ أن يخضعَ لِنظامِ الأشخاص، ولا يُعكسُ ذلك، والسيّدُ نفسبه أشارَ إلى ذلك عندما قال: «إنَّ السبتَ جُعلَ لأجلِ الإنسانِ لا الإنسانُ لأجلِ السبتْ، ولا بُدَّ لهذا النِظام من أن يتطوّرَ مع الأيّام مُؤسَّسًا على الحقيقة، ومَبنيًّا على العَدل، ونابضاً بالمَحبّةِ. يجبُ أن يجدَ في الحُريّةِ مع الأيّامِ توازُنًا أكثرَ إنسانيّة. وللوُصولِ إلى ذلك لا بدَّ من العملِ على تَحدِيد الذِهنِيّاتِ ومن القِيامِ بتغييرات اجتماعيّةٍ واسعةِ النِطاق.

إنَّ روحَ اللهِ الذي يوجّهُ، بعنَايةٍ عجيبةٍ، مَجرَى الأزمَان، ويجدّدُ وجهَ الأرض، هو المُشرِفُ على هذا التطوُّر. والخَمِيرةُ الانجيليةُ هي التي بَعثَتْ ولا تَزالُ تبعثُ في قلبِ الإنسان تَطلُّبًا للكرَامة لا يُقهَر.

احترام الشخص الانسانيّ

٤٣٢٧ – ٢٧ – «للوصُولِ إلى نتائجَ عمليّةٍ وسريعةٍ يشدّدُ المجمعُ على احتِرَام الإنسانِ بحيثُ يَلتزِمُ الأفرادُ أن يَعتبروا القَريبَ، أيًّا كانَ في غيرِ استثنَاء، «ذاتًا أُخرى» لكُلِّ

واحدٍ منهم، فيحسبُوا حِسَابًا لحياتِه، وللوسائِل الضَروريّةِ التي يتمكّنُ معها من العَيش الكَريم، ولا يحذُوا حَذْوَ الغَنيّ الذي لم يُوْلِ لعازرَ المسكينَ أيَّ اهتمام.

والواجبُ يفرضُ علينا في هذه الأيّام خصوصاً، أن نجعلَ من كُلّ واحدٍ منّا قريبًا لكُلّ إنسان، وأن نكونَ له، إذا لجأ إلَينا، عونًا فنقدِّمَ له الخِدمةَ الفعّالةَ سواءٌ كانَ شيخًا تغاضَى عنه الجميع، أو عاملاً غريبًا نالَ منه الاحتِقارُ الظَالم، أو منفيًّا، أو طفلاً وُلِدَ ولادةً غيرَ شرعيّةٍ وحملِ وزرَ إثمٍ ليس له فيه يد، أو جائعًا يستصرخُ ضَميرَنا ويُذكّرُنا بقول السيّد: «كُلّما فَعَلْتمْ ذلك بأحدِ اخوتي هؤلاء الصِّغار فبي فعَلْتُمُوه» (متى ٢٥ : ٤٠).

وإلى ذلك فكُلُّ ما يتَصدّى للحياةِ نفسها عداءً واعتداءً كالقتلِ بشتّى أنواعِه، والوأدِ، والإجهَاضِ، والإجهازِ الرَحيم على المَرضَى، والانتحَارِ المتعمَّد، وكُلِّ ما ينالُ من سَلامةِ الشخصِ الانسانيِّ الكاملِ كَبَتْرِ الأعضاء، والتعذِيب الجسَديّ والمَعنويّ، والضُّغوطِ النفسيّة، وكُلّ ما ينالُ من كرامةِ الانسان كالوضعِ الحياتيّ الزَريّ الذي دون المُستوى البشريّ، والسِّجنِ الاعتِبَاطيّ، والنَّفي الإبعاديّ، والنخَاسةِ والبَغاء، والاتّجارِ بالنِساء والأَحداثِ، وكذلك أوضاع العملِ المُحقِّرة التي يُعامَلُ فيها العُمّالُ بمثَابةِ أدواتِ إنتاج، لا كأشخاصٍ أحرار ذوي مَسؤوليّة: كُلُّ ذلك وكُلُّ ما شابَهَه هو في الحَقيقةِ عارٌ وشنارٌ، وهو إذ يُفسدُ الحَضارةَ البَشريّةَ، يَشينُ فاعِليه أكثرَ ممّا يَشينُ متحمّليه، ويُنافي شرفَ الخَالقِ منافاةً لا حدَّ لها

احترام الخصوم ومحبّتهم

٤٣٢٨ – ٢٨ – يجبُ أن يمتدَّ الاحترامُ والمَحبَّةُ إلى أولئك الذين يخالِفونَنا تفكيرًا وعملاً في أمورِ الاجتماع والسِياسةِ أو الدين، وبمقدارِ ما نَعملُ بإنسانيّةٍ ومحبّةٍ على تَفهُّمِ نظريّاتِهم تفهّمًا أَعمقَ يصبحُ الحِوارُ معهم أَشدَّ سهولة.

وغنيٌّ عن القَولِ أنّه لا يجوزُ البتّة أن تجعلَنا هذه المحبّةُ وهذه المُلاينَةُ غيرَ عابئِين بالحقِّ والخير. والمحبّةُ نفسُها هي التي حملتْ رسُلَ المسيح إلى تَبشيرِ جميع البَشرِ بالحقيقةِ الخَلاصيّة. ولكن يجبُ التمييزُ ما بين الضَّلال المَرفُوض أبدًا، والضّلالِ

الذي لا يزالُ يحتفظُ بكرامةِ الشَخصِ وإن لم يسلمْ من وَصمةِ التَصوّراتِ الخَاطِئة أو النَاقِصة في موضوعِ الدين. اللهُ وحدَهُ هو الذي يفحص القلوبَ ويحكمُ في أَمرِ مَكنُوناتِها: فهو يُحظِّرُ أن نَدينَ أحدًا ونحكمَ على دواخِله بالإثم. إنَّ تعليمَ المسيح يطلبُ منّا أن نَغفرَ الإساءة وأن نمدَّ وصيَّةَ المحبّة إلى جميع الأعداء، إذ هي وصيّةُ النَاموس الجديد: «سمِعْتم أنّه قيل، أحْببْ قريبَك وأبغِضْ عدُوَّك. أمّا أَنا فأقول لكم: أَحبّوا أعداءكم، وصَلُّوا لأَجلِ الذينَ يضطَهِدونكم ويُعْنِتونكم» (متى ٤٣ - ٤٤).

المساواة الجوهريّة فيمَا بين البشر والعدالة الاجتماعيّة

٤٣٢٩ - ٢٩ - بمَا أنّ جميعَ البشرِ قد خُصُّوا بنفسٍ عاقلة، وخُلِقُوا على صُورةِ الله، فهم ذَوو طبيعةٍ واحدةٍ ومصدرٍ واحد، وبمَا أَنّ المسيحَ قد افتدَاهم فهم يَنعَمُونَ بدعوةٍ واحدةٍ ومصيرٍ إلهيٍّ واحدٍ، وإذ كان الأمرُ كذلك كان لا بُدَّ من الإقرار أكثرَ فأكثرَ بأَنّ فيمَا بينهم مساواةً أساسيّة.

نعم إنَّ البشَر لا يَتساوُون في طاقاتِهم الطبيعيّة المُتباينَة، ولا في قِواهم العَقليّة المختلفة. ولكنَّ كُلَّ نوعٍ من أنواعِ التمييز في حُقوقِ الشّخصِ الأساسيّة سواءٌ كانت اجتماعيّة أو ثقافيّةً، وسواءٌ كان التمييزُ قائمًا على الجِنس، أو العِرقِ، أو لَونِ البَشَرة، أو الوضعِ الاجتمَاعيّ، أَو اللُّغَةِ، أو الدِين، فهذا التمييزُ يجبُ تجاوُزه وإسقاطُه على أَنَّه مخالفٌ لِتَصمِيمِ الله. وإنّه لَمِن المُؤلم أن تُرى حقوقُ الشَخصِ الأساسيّةِ إلى الآن غيرَ محترمةٍ في بعضِ الأَمكنةِ. من ذلك أن تُحرَمَ المرأةُ الحقَّ في حُريَّةِ اختيارِ زوجها، واختيارِ طريقةِ حياتِها، أو تحصيلِ قِسطٍ من التَربيةِ والثَقافةِ يُضاهي ما يُعتَرفُ به للرّجل.

أضِفْ إلى ذَلِكَ أنّه، مع ما هُنالِكَ من فروقٍ مَشروعةٍ بين البشر، تَقتضِي مساواةُ الأشخاصِ في الكَرامَةِ أن يتوصَّلَ المُجتمعُ إلى وضعِ حياتيٍّ عادلٍ وأكثرَ انسانيّةً. فالتفاوتُ الاقتصَاديّ والاجتمَاعيّ الشّاذُّ بين أعضاءِ الأُسرَة البشريّةِ الواحدة أو بين شعوبِها باعثٌ على العِثار والشَكّ، وعقَبة في طَريقِ العَدالة الاجتماعيّة، والمساواةِ، وكرامة الشخصِ الانسانيّ، والسلامِ الاجتمَاعيّ والدّوليّ.

فَلْتَعمَلِ المُؤسّساتُ الانسانيّةُ، سواءٌ كانت خَاصّةً أو عامّةً، على أن تكونَ في خِدمة كَرامةِ الإنسَانِ ومَصِيره. ولتُقاوِم في الوقتِ نفسِه وبشدّةٍ كُلَّ استعبَادٍ اجتماعيّ أو سياسيّ، وتُحافِظْ على الحُقوقِ الأساسِيّةِ للبَشرِ في ظِلِّ كُلِّ نظامٍ سياسيّ. ولا بُدَّ لهذه المؤسّساتِ من أن تتّفقَ شيئًا فشيئًا والحقائقَ الروحيّةَ التي تَسمُو على كُلِّ شيء، ولو اقتضَاها بلوغُ الهَدفِ المرجوّ وقتًا طويلاً.

ضرورة تجاوز النّظرة الفرديّة في الأخلاق

٤٣٣٠ – ٣٠ – إنَّ تقلُّبات الأُمورِ العَميقةَ والسّريعةَ تتطلَّبُ في الحاحٍ أن لا يَحمِلَ الخمولُ والذُّهولُ عن مجرى الأمورِ أحدًا الى أن يَحصُرَ همَّه في أخلاقِيّةٍ فرديّةٍ مجرّدة. وإنّه لَيَقومُ كُلُّ واحدٍ بواجبِ العدالةِ والمَحبّةِ أكثرَ عندما يسعَى إلى الإسهامِ في الخير العام ما استطاعَ وما دعت إليه حاجةُ الآخرين، ويبذلُ جهدًا كبيرًا في تعزيزِ المُؤسّساتِ العامّة والخَاصّةِ التي تعملُ على تَحسينِ أوضاعِ الحَياة البشريّة. فهنالك أشخاصٌ يُدْلُون بآراءٍ واسعةٍ ونبيلَةٍ وهم في الوَاقع يعيشُون وكأنَّ همَّ الجماعةِ غيرُ همّهم. وهنالك كثيرون، في شتّى أنحاءِ العالم، لا يُقيمُون وزنًا كبيرًا للقوانينِ والأنظِمةِ الاجتماعيّةِ. وهنالك عددٌ غيرُ قليلٍ من الأشخاص الذين، بوسائِلِ الغِشّ والاحتيال، لا يتورَّعُون عن التَهرُّب من تسديدِ الأتَاوات العَادلة أو سَائرِ الديونِ التي تَقتَضِيها الحياةُ الاجتماعيّة. وهنالك آخرون لا يَأبَهون لبعضِ أَنظمةِ الحياة الاجتماعيّة كَتِلكَ المُتعلّقة بصِيانة الصِحّة، أو الاعتِدال في قِيادةِ السيّارات، فقلّما يجولُ في خاطِرِهم أنَّهم بِطيشِهم ولا مبالاتِهم يعرّضُون حياتَهم وحياةَ الآخرين للخطر.

فليكن واجبًا مقدّساً على الجميع أن يعتبرُوا التَضامنَ الاجتماعيَّ من أهمّ ما يُطلبُ من ابنِ هذا العصر، وأن لا يَتلكَّأُوا عن القِيام به. وبِقَدرِ ما يتوحّدُ العالَمُ يتّضحُ للعيان أنّ واجباتِ الأفرادِ تتجاوزُ الجماعاتِ الخاصّةِ وتمتدُّ شيئًا فشيئًا إلى العالمِ كُلّه أجمع. وهذا أمرٌ لا يتحقّقُ الاّ إذا عُنِيَ الأفرادُ والجماعات بأن يُنمّوا في ذواتِهم الفضائلَ الأخلاقيّةِ والاجتماعيّة وينشُروها في المُجتمع، بحيثُ يقومُ، بِمعُونةِ النعمةِ الإلهيّة الضروريّة، أناسٌ جُدُدٌ حقًّا يَصنعُون إنسانيّةً جديدة.

مسؤوليّة ومشاركة

٤٣٣١ - ٣١ - لكي يقومَ أفرادُ البَشرِ قيامًا صحيحًا بالواجب الذي يفرضُه ضَميرُهم، سواءٌ كانَ بالنظرِ إلى ذواتِهم أو بالنَظرِ إلى شَتّى الجَماعاتِ التي هم أعضاءٌ منها، لا بُدَّ لهم من السَّعيِ الحَثيثِ لتَزويدِ نُفوسِهم بِثَقافةٍ أوسعَ مُستعِينين لذلك بمَا يُقدّمُه الجنسُ البشريُّ اليوم من الوسَائِلِ المُتعدّدة. وقبل كُلِّ شيءٍ يجبُ تنظيمُ تَنشِئَةِ الأحداث، أيًّا كان مَنشأهم الاجتماعي، تنظيمًا يصدرُ عنه رجالٌ ونساءٌ يَجمعُون إلى الثَقافةِ الواسِعةِ شخصيّةً قويّةً ونفسًا عاليةً، والعَصرُ بأمسِّ الحاجةِ إلى مِثلِ هؤلاء.

وإنّه ليَصعبُ على الإنسان أن يتوصَّلَ إلى الشُعور بهذه المَسؤولية إذا لم تَسمحْ له أوضاعُ الحياة بأن يَعِيَ ما له من كرامةٍ، وبأن يستجيبَ لدعوتِه باذلاً ذاتَه في سَبيلِ اللهِ وفي سَبيلِ الآخرين. وكثيرًا ما تتضاءَلُ الحُريّةُ البشريّةُ عندما يقعُ الإنسانُ في العوزِ المُدقِع، وكثيرًا ما تتقلّصُ عندما يَنغَمِسُ الانسانُ في سُهولةِ العيشِ ورخائِه وينغلقُ على ذاتِه في خَلوةٍ ذهبيّةٍ. وهي بِخِلافِ ذلك تنشطُ وتَقوى عندما يتقبّلُ الإنسان الضِيقاتِ التي تُلازِمُ الحياةَ الاجتماعية، ويتحمّلُ ما يَقتضِيه التَضامنُ البشريُّ من أعباءٍ كثيرةٍ ومتنوّعةٍ، ويتقيّدُ بِخِدمة المَجمُوعةِ البَشريّةِ.

فمن الواجبِ والحالةُ هذه حثُّ الإرادتِ عند الجميع على المُشاركةِ في المَشاريع العامّةِ. ونِعْمَ المسلكُ الذي تَسلُكُه الدولُ التي يشتركُ فيها أكبرُ عددٍ مُمكنٍ من المُواطنين في شؤونِها العامةِ، وذلك في جَوٍّ من الحُريّةِ الصحيحةِ. ومع ذلك فلا بُدَّ في ذلك كُلِّه من النَظرِ إلى الأوضاع الرَاهِنةِ عندَ كُلِّ شَعبٍ، والى الصَّلابةِ الضَروريّةِ عند السُلطة العَامّةِ الحَاكِمةِ. ولكي يُقدمَ جميعُ المواطنين على الاشتِراك في حياةِ الجَماعاتِ المُختلِفة التي يتألّفُ منها الجِسمُ الاجتماعيُّ يجبُ أن يَجدُوا فيها من القِيَم ما يَشدُّهم وما يُهيّئهم لخِدمة الآخرين. وإنَّه ليحقُّ التَفكِير في أنَّ مَصيرَ الإنسانيّةِ في أيدي أولئك الذين استطاعوا أن يُقدِّمُوا للأَجيَالِ الآتيةَ أسبابَ الحَياةِ والأمل.

الكلمة المتجسّد والتضامن البشري

٤٣٣٢ – ٣٢ – كما أنَّ اللهَ لم يَخلُق البشرَ لِيَعِيشُوا منفردِين، بل لينضمَّ بعضُهم إلى بعضٍ في مُجتمعٍ اتّحاديٍّ، هكذا «راقه... أن يُقدّسَ البشرَ ويخلّصَهم لا مُنفرِدين ولا مُتفكّكي العُرَى؛ بل أرادَهم شعبًا يعرفُه معرفةً حقيقيّة ويخدمُه خِدمةَ قداسة» وهكذا فمنذُ بدءِ التاريخ الخَلاصيّ اختار اللهُ أُناساً اختارَهم أعضاءً في جَماعةٍ لا أشخاصاً مُنفرِدين. والذين اختارَهم أظهرَ لهم تَصمِيمَه، ودعاهم «شَعبه» (خر ٣: ٧ – ١٢)، ومع هذا الشَعبِ قطعَ عهدَ سِيناء.

هذا الطَّابعُ الاجتماعيُّ يُكَمَّلُ ويتمُّ بعملِ يسوعَ المسيح. فالكلمةُ المتجسّدُ نفسُه أرادَ أن يكونَ شَريكًا في التَضامُن البشريّ. حضرَ عُرسُ قانا، ونَزلَ في بيتِ زكّا، وآكلَ العشّارين والخطأة. وبتعاطِيه أمورَ الحياةِ الاجتماعيّةِ العَاديّةِ والبَسِيطة، وباستعمَالِه التَّعبيراتِ والصُوَرِ التي تُستعملُ في الحَياةِ اليوميّة، كشفَ عن مَحبّةِ الآبِ وعن دَعوةِ البَشرِ الفَريدة. لقد قدّسَ العَلاقاتِ البشريّة، ولاسيّما العَلاقاتِ العيليّة التي يَصدرُ عنها النِظَامُ الاجتماعيُّ، وخضعَ طوعًا لِقَوانِينِ وَطنِه. وأرادَ أن يعيشَ العِيشَةَ نفسَها التي عَاشَها عامِلُ زَمانِه ومنطقَتِه.

في كِرازتِه أعلنَ بوضوحٍ أنّه يجبُ على من هم أبناءُ الله أن يَتعامَلُوا فيمَا بينَهم تَعامُلَ اخوةٍ. في صَلاتِه طلبَ أن يكونَ تلاميذُه جميعُهم «واحدًا». وهو نفسُه، فَادِي الجميعِ، قدّمَ ذاتَه حتّى ممَاتِه عن الجَميع. «ما من حبٍّ أعظَمَ من هذا وهو أن يبذلَ الإنسانُ نفسَه عن أحبّائِه» (يو ١٥: ١٣) أمّا رُسُلُه فقد أَمَرَهم بأن يُبشّرُوا جميعَ الأممِ بِبشَارةِ الإنجيل حتى يُصبحَ الجنسُ البشريُّ أسرةً لله تكونُ فيها المحبّةُ ملءَ النّاموس.

وإذ كانَ البِكرَ بين اخوةٍ كثيرين فقد أقامَ، بعدَ مَوْتِه وقيامتِه، وبمَوهبةٍ من الرُوحِ القُدس، بين جَميعِ الذين قَبلُوه بالإيمَان والمَحبّة، اتّحادًا اخويًّا تحقّقَ في جَسدِه، أي الكنيسة، حيثُ يَتعاونُ الجميعُ، وهم أعضاءُ بعضُهم لبعضٍ، على حَسبِ المَواهب المعطاةِ لهم.

وهذا التَضامنُ يجبُ أن ينمُو نُموًّا متواصلاً إلى يومٍ يبلغُ فيه كَمالَه، ويستطيعُ فيه

البشرُ، وقد خُلِّصُوا بالنعمة، وأصبحُوا بمَثابةِ عِيلةٍ محبوبةٍ لله في أُخوَّةِ المسيح، أن يُمجِّدوا اللهَ ويَحمَدُوه بطريقةٍ كاملة.

الفصل الثالث

النّشَاطُ الإنسَانيّ في الكَوْن

طرح المشكلة

٤٣٣٣ – ٣٣ – لم يتوقّفِ الإنسانُ يومًا، بعَملهِ وعبقريّتِه، عن تَطويرِ حياتِه تطويرًا يتّسعُ أكثرَ فأكثر، وقد راحَ اليوم، بفضلِ العِلم والفُنون التِقنيّةِ، يبسطُ هيمنتَه على مُعظمِ الطبيعة، وهو لا يزالُ يجدُّ في ذلك إغراقًا وتوسُّعًا؛ وقد أَدركَتِ الأسرةُ البشريّةُ شيئًا فشيئًا، يساعدُها في ذلك ما هنالك من تَعدّدٍ وتنوُّعٍ لوسَائِل التَعامُلِ بين الأُمم، أنّها في الكَون أشبهُ بِوحدَةٍ اجتماعيةٍ عَملَت هي نَفسُها أيضاً على تَكوينِها. وقد نشأَ عن ذلك أنَّ عددًا كبيرًا من الخيرات التي كثيرًا ما كان الإنسانُ القَديم ينتظرُها من قِوى عُلويّة، أصبحَ اليومَ جنى نَشاطِه وصُنعَ يده.
في غَمرةِ هذا التحرُّكِ الذي ما لبثَ أن عمَّ الجنسَ البشريَّ بكامِلِه، يتساءَلُ الناسُ تساؤلاتٍ كثيرة. ما مَعنَى هذا النَشاطِ العارمِ وما قيمتُه؟ فيمَ تُستعملُ هذه الثَروات كُلُّها؟ إلى أيّ غايةٍ يَهدفُ هذا الجُهدُ الفرديُّ والجماعيُّ؟ والكنيسةُ المُؤتَمَنةُ على كنزِ الكَلِمَةِ الإلهيّةِ الذي هو مصدرُ نِظَامِها الدينيّ والأدبيّ، هذه الكنيسةُ لا تملكُ دائمًا الجَوابَ المُباشرَ عن كُلِّ سؤالٍ من هذه الأسئلة، وهي مع ذلك ترغبُ في أن تجمعَ ما بين نورِ الوَحيِ واختباراتِ الجميع لانَارةِ الطريقِ التي راحت الانسانيّةُ تَندفعُ فيها.

قيمة النشاط الانساني

٤٣٣٤ – ٣٤ – الأمرُ الثابتُ للمؤمنين هو أنَّ النَشاطَ الانسانيَّ الفرديَّ والجماعيَّ، معتبرًا في ذاته، أي هذا الجهدُ الجبّارُ الذي سعى فيه البشرُ عبرَ العُصور الى تَحسينِ أوضاعِ حياتِهم، يتّفقُ والتصميمَ الإلهيّ. فالإنسانُ المَخلوقُ على صُورةِ اللهِ

أُلْقِيَ إليه أن يُخْضِعَ لسُلطانهِ الأرضَ وكُلَّ ما عليها، وأن يسوسَ العالم بالبرّ والقداسة، حتى إذا اعترف بأنَّ اللهَ هو خالقُ الكُلِّ أَسلمَ إليه ذاتَه وجميعَ ما في العالم، وهكذا عندما يكونُ كُلُّ شيءٍ خاضعًا للإنسانِ يتمجّدُ اسمُ اللهِ على الأرضِ كُلِّها.

وهذا الكلامُ يشملُ الاعمالَ اليوميّةَ العاديّةَ أيضاً. فالرِجالُ والنِساءُ الذين يسعَون لهم ولِعيالِهم في تَحصيلِ القوت، يقومُونَ بنشَاطاتِهم متوخّين بها خِدمةَ المجتمع خدمةً نصوحًا، وهم لا يكونُون على خطأٍ إذا رَأوا في عَملِهم امتدادًا لعَملِ الخَالق، وخدمةً صالحةً يؤدُّونَها لاخوانِهم، وإسهَامًا شخصيًّا في تَحقِيقِ التَصميمِ الإلهيّ في التَاريخ.

والمسيحيون لا يرونُ في الأعمالِ التي يَعملُها البشرُ بعبقَريّتِهم ومقدُرتِهم مُنافسةً للقُدرةِ الإلهيّة، ولا يجعلونَ الخَليقةَ العَاقلةَ في شبهِ تُنافُسٍ مع الخَالق، ولكنَّهم بعكسِ ذلك يَرون في مكاسبِ الجنسِ البشريّ دلالةً على عَظمةِ الخَالقِ وثمرةً من ثِمَار تَدبيرِه السَامي. وبِقَدْرِ ما يَعظُمُ سُلطانُ البشرِ تتّسعُ رَقعةُ مسؤوليّتِهم الفَرديّةِ والجماعيّةِ. وهكذا نرى أنَّ الرِسالةَ المسيحيَّةَ لا تعوقُ البشرَ عن بناءِ العَالم، ولا تحملُهم على التَغافُلِ عمَّا هو خيرٌ لأبناءِ جنسِهم، بل تَجعلُ لهم من ذلك واجبًا حتميًّا لا محيدَ عنه.

نظام النشاط الانساني

٤٣٣٥ — ٣٥ — كما أنَّ النَشاطَ الانسَانيّ يصدرُ عنِ الإنسان، فهو أيضاً يصبُّ في صَالحِ الانسان. فالانسانُ عندما يعملُ لا ينحصِرُ عملُه في تَغييرِ الأشياءِ والمجتمعِ بل يكَمّلُ ذَاتَه أيضاً. إنَّه يتعلّمُ أمورًا كثيرة، ويُنمّي مُواهِبَه وطاقَاتِه، ويمتدُّ إلى خارجِ ذَاتِه والى ما فوقَ ذاته. هذا الانطلاقُ، إذا فُهِمَ على استقامةٍ وحقيقة فاقَ بقيمتِه كُلَّ ما يمكنُ جَمعُه من الثَرواتِ الخارجيّةِ. فَقِيمةُ الانسان بمَا هو أكثرُ من قِيمتِه بمَا يَملك. وهكذا فكُلُّ ما يعملُه البشرُ لأجلِ عدالةٍ أعظم، وأخوّةٍ أوسع، ونظامٍ أشدّ انسانيَّةً في العَلاقاتِ الاجتماعيّة، كُلُّ ذلك يفوقُ التقدّمَ التِقنيَّ قِيمةً. فهذا التقدُّمُ إذا تمكّنَ من تَقدِيمِ مَادّةِ التُرقِية البشريّةِ، فهو لا يستطيعُ وحدَه أن يُحققَها.

وهكذا فَنِظَامُ النَشاطِ الإنسانيِّ ان يتّفقَ وخير الجنسِ البشريِّ الصحيح، وفاقًا للتَصمِيمِ الإلهيِّ والإرادةِ الإلهيّة، وأن يُتيحَ للإنسانِ فردًا وعضوًا في المُجتمَع أن يزدهرَ ازدهارًا يكون بحسبِ ملءِ دعوته.

الاستقلال الصحيح للشؤون الأرضيّة

٤٣٣٦ - ٣٦ - ومع ذلك فهنالك عددٌ كبيرٌ من مُعاصرِينا يخشون أن تُؤدِّي الروابطُ الشّديدة بين النَشاطِ الإنسانيِّ والدين الى الحُؤول دونَ استقلالِ البشرِ والمُجتمعاتِ والعلوم.

وإذا أردنا باستقلالِ الأمورِ الأرضيّة أنَّ الأشياءَ المخلوقةَ والمجتمعاتِ نفسَها تتمتّعُ بنواميسَ وقيَم خاصّة. على الانسان أن يعرفَها شيئًا فشيئًا، وأن يستخدِمَها وينظِّمَها، فذاكَ الاستقلالُ هو ما يَقتَضِيهِ الحقُّ والشّرعُ في غيرِ اجتزاء: وهو، فضلاً عن كونِه من متطلّباتِ أبناءِ هذا العصر، يتّفقُ وارادةَ الخالقِ. فبواقعِ عَملِ الخَلْق نفسِه تَنتَظِمُ الأشياءُ كُلُّها في شتّى مُقوِّماتِها وحَقيقَتِها وصَلاحيتِها ونواميسِها الخاصةِ ونِظَامِها، وعلى الانسان أن يحترمَ ذلك كُلَّه وأن يقفَ على الطَرائِق الخاصّةِ لكُلِّ علمٍ من العُلوم ولكُلِّ فنٍّ من الفُنون. وهكذا فمن غيرِ المُمكنِ، في شتّى ميادينِ المَعرفة، أن يختلفَ الإيمَانُ والبحثُ المَنهجيُّ إذا جرى هذا البحثُ مَجرَى علميًّا صحيحًا، وتتبّعَ النُّظمَ الاخلاقيّة، لأنَّ لحقائِقِ الدُنيا ولحقائِقِ الإيمَان مصدرًا واحدًا هو الله. أضف إلى ذلك أنَّ الانسانَ الذي يسعى جاهدًا في ثَباتٍ لولوج أسرار الموجودات يصبح كأن يد الله تقوده، وإن لم يَعِ ذلك، هي التي تحفظ الموجودات كُلَّها وتعملُ على أن تكونَ تلكَ الأشياءُ على ما هي عليه. وليُسمح لنا في هذا البابِ أن نأسف لِبَعضِ المَواقفِ التي يقفُها أحيانًا المسيحيّون أنفُسهم، وقد غفلوا بعضَ الشيءِ عن النَظرِ الدقيقِ في شَرعيّةِ استقلالِ العلم، فنشأَ من ذلك مشادّاتٌ ونزاعاتٌ حملت الكثِيرين على التَفكِير في أنَّ الإيمَانَ والعلمَ على تناقضٍ.

ولكن إذا أُريدَ «باستقلالِ الاشياءِ الزمنيّة» أنَّ الأشياءَ المخلوقةَ غير مُتعلِّقةٍ بالله، وأنَّ باستطاعَةِ الإنسان أن يتصرَّفَ بها من غيرَ الرُجوعِ الى الخَالقِ، فذلك من

الخَطإِ الذي لا يَخفَى عن أيّ إنسانٍ يعرفُ الله. فإنَّ المخلوقاتِ تَتلاشَى إذا انفصلت عن الخَالق. وإلى ذلك، فإنَّ جميعَ المؤمنين، من أيّ مذهبٍ كانوا، سَمِعُوا دائمًا صوتَ اللهِ وإعلانَه في مَنطِقِ المخلوقات. وإنَّ في نِسيان اللهِ والتَّغاضِي عنه لإظْلامًا للخليقَةِ نفسِها.

الخطيئة أفسدت النشاط الانساني

٤٣٣٧ – ٣٧ – الكتابُ المقدّسُ، الذي يتّفقُ وخبرةَ الأجيالِ، يُعلّمُ الأُسرةَ البشريّةَ أنَّ التقدُّمَ الانسانيّ، الذي هو خيرٌ عظيمٌ للإنسان، يحملُ معه تجربةً عظيمةً: فعندما يضطربُ نِظامُ القِيَم، ويختلطُ الخيرُ بالشرّ، يحصرُ الأفرادُ والجماعاتُ همَّهم في مالَهُم دونَ ما لغيرِهم. وهكذا فالعالَم لا يزالُ بعيدًا عن أن يكونَ موطِنًا لأُخوَّةٍ حقيقيّةٍ، ما دامَ في ازديادِ السُلطانِ البشريّ ما يُهدّدُ بالقضاءِ على الجِنس البشريّ نفسه.

يتخلّلُ تاريخَ البَشرِ العام صِراعٌ عنيفٌ تُقاوَمُ به قُوى الظُلمة، وقد بدأَ مع وجودِ العَالم وسيبقى، هل حدّ قول الربّ، الى اليوم الآخِر. فعلى الانسانِ، وقد أُدخِل المَعركةَ، أن يُناضِلَ أبدًا لكي يَلزَم الخيرَ، وهو لن يستطيعَ تحقيقَ وحدتِه الذاتيّة الا بعدَ جهود شديدةٍ، وبمؤازرةِ النعمةِ الإلهيّة.

ولهذا تعترفُ كنيسةُ المسيح، وهي واثِقَةٌ في تَصميمِ الخالقِ، أنّ التَّقدُّمَ البشريَّ يستطيعُ أن يُوفِّرَ للبشر سعادةً حقيقيّةً، وهي تَرى مع ذلك أنّه لا بُدَّ من مُمَالأة الرَسولِ على قوله: «لا تَتشبَّهوا بهذا العالم» (روم ١٢: ٢). أي بروحِ الباطلِ والمَكر الذي يحوّلُ النَشاط الانسانيّ، الموظّفَ لخِدمةِ اللهِ والإنسان، إلى أداةٍ للخطيئة.

ولئِن سألَ أحدٌ كيفَ يمكنُ التغلّبُ على هذا البؤسِ يجيبُ المَسيحيّون بأنَّ جميعَ نَشاطاتِ الانسان، التي تصرفُها كبرياؤه وأنانيّتُه الفَاسدة إلى شُذوذٍ خَطيرٍ، هي بحاجةٍ الى أن تُطَهَّرَ وتبلُغَ الكَمال بصليبِ المسيح وقِيامتِه. والانسانُ الذي افتَداه المسيحُ والذي أصبحَ خليقةً جديدةً في الروحِ القُدس في مُكْنَتِه ومن واجبه أن يُحبَّ الاشياءَ التي خلقَها الله. فمن اللهِ يتقبّلُها، وكأنّي به يراهَا مندفقةً من يدِ اللهِ

فيحترمُها. وهو يُؤدِّي الشكرَ للمُحسنِ العظيم الذي أنعمَ بها عليه، وفيمَا يستعملُها ويَجنِي ثمرَها في روحِ فقرٍ وحُريّةٍ، يدخلُ في التملُّكِ الحقيقيِّ للعالم ويصبحُ كمن لا يملكُ شيئًا ويملكُ كُلَّ شيء. «كُلُّ شيءٍ هو لكم، أمّا أنتم فللمسيح، والمسيحُ لله» (١ كور ٣: ٢٢ - ٢٣).

النشاط الانساني واكتماله في السرّ الفصحي

٤٣٣٨ - ٣٨ - كلمةُ الله الذي كانَ به كُلُّ شيء، والذي صارَ بشرًا وسَكنَ أرضَ البشر، دَخل في تَاريخَ العالم انسانًا كاملاً، جامعًا ومُخلّصاً في ذَاتِه ذلكَ التاريخ، إنّه هو الذي يكشفُ لنا «أنَّ اللهَ محبّة» (١ يو ٤: ٨)، ويعلِّمُنَا في الوقتِ نفسِه أنّ الشريعةَ الأساسيّةَ للكَمالِ الانسانيِّ ومن ثَمَّ لتغييرِ وجهِ العالم هي وَصِيّةُ المحبّةِ الجديدة. وهو يُقنعُ الذين يؤمنون بالمحبّةِ الإلهيّةِ أنَّ طريقَ المَحبّة مفتوحُ لجميعِ البشر، وأنَّ العملَ الجاهدَ في سَبيلِ توطيدِ أُخوَّةٍ شاملةٍ ليس عملاً باطلاً وغيرَ ذي جَدوى. وهو يُنبّهُنا أيضاً الى أنّ سلوكَ طريقِ المَحبّةِ لا يكونُ فقط في الأعمالِ العُظمَى بل يكونُ أيضاً وخصوصاً في أَعمالِ الحَياةِ العاديّة. وبقَبولِه الموتَ لأجلنَا جميعًا نحن الخطأة، يُعلِّمُنا بِمَثَلِه أنّه يجبُ حملُ الصَّليب الذي يُلقِيه الجسدُ والعالمُ على عَاتقِ مُتَّبعي السلامِ والعدلِ. والمسيحُ الذي جُعلَ سَيّدًا وربًّا بقيامتِه، والذي خُوّلَ كُلَّ سُلطانٍ في السماءِ وعلى الأرض، يَعملُ بقوّةِ روحِه القُدوسِ في قُلوبِ البشر، لا ليبعَثَ الشوقَ إلى الدهرِ الآتي فحسب، بل ليُنعِشَ أيضاً ويطهّرَ ويقوّيَ الأماني الواسعةَ التي تدفعُ الأُسرةَ البشريّةَ الى جعلِ حياتِها أكثرَ انسانيّةً والى إخضاعِ الأرضِ كُلِّها لهذه الغاية. ومواهبُ الروحِ القُدسِ متعدّدةٌ ومختلفةٌ: ففيمَا يَدعُو هؤلاء الى أن يشهدُوا شهادةً علنيّةً تبيّنُ رغبتَهم في السُّكنى السماويّة ويُحافِظُوا عليها حيّةً في الأُسرةِ البشريّةِ، يَدعُو أولئك الى أن يَنذُروا على أَنفسِهم أن يَخدمُوا البشرَ خِدمةً أرضيّةً، مُهيّئين بذلك عناصرَ المَلكوت السماويّ. الاّ أنّه يحرّرُ الجميع، حتى إذا تجرّدُوا من أنانيّتِهم ووظّفُوا شَتى الطاقاتِ الأرضية في سَبيلِ الحياة البشريّة، ينهضُون الى المُستقبل، الى الزمانِ الذي تصبحُ فيه البشريّةُ نفسُها قرباناً مرضيًّا لدى الله.

وقد ترك السيّدُ لخاصّتِه عربونًا للرجاءِ وزادًا للطريق في سِرّ الإيمَان الذي تتحوّلُ فيه موادُّ الطبيعةِ التي يتعهّدُها الانسان، الى جَسدِه ودَمِه المَجْيدَيْن، في وليمةِ الشَركةِ الأخويّةِ التي هي استباقٌ للوليمة السماويّة.

أرض جديدة وسماوات جديدة

٤٣٣٩ – ٣٩ – نحن نجهلُ زمانَ زَوالِ الأرضِ والبشريّة، ولا نعرفُ أيَّ مُنقلبٍ سينقلِبُ هذا الكونُ. ستنمَحِقُ صورةُ هذا العالم التي شَوّهتَها الخطيئة، ولكنّنا نعلمُ أنَّ اللهَ يُعِدُّ لنا مسكنًا جديدًا وأرضاً جديدةً يسكنُ فيها البرّ، وتُشبعُ سعادَتُها جميعَ رغباتِ السلام التي تَنزو إليها قلوبُ البشر، بل تفوقُها وتَسمُو عليها. حينئذٍ، وقد غُلِبَ الموت، يُبعَثُ أبناءُ اللهِ في المسيح، وما زُرِعَ في الضُعفِ والفَسادِ يَلْبسُ عدمَ الفساد، وتبقى المحبّةُ وأعمالُها، وتُعتقُ من عبوديّةِ الباطِلِ كُلُّ هذه الخليقة التي خلقَها الله من أجلِ الإنسان.

وإننا لنعلمُ حقَّ العلمِ أنْ لا نَفعَ للإنسان في أن يربحَ العالَمَ ويخسرَ ذاته. ولكن تَنَظُّرَ الأرضِ الجديدةِ يجبُ أن لا يُضعفَ فينا الاهتِمَامَ بمعالجةِ هذه الأرض، بل يجبُ بالأحرى أن يُوقظَه لأنَّ جسمَ الاسرة البشريّةِ ينمُو فيها، وهو يستَطيعُ أن يقدّمَ منذ الآن تصوّرًا أوّليًّا للدهر الآتي. وإنّه، وإن كان لا بُدَّ من التمييز الدَقيقِ بين التَقدّمِ الأرضيّ ونموّ مَلكوتِ المسيح، فإنّ التقدّمَ الارضيَّ ذُو أهميّةٍ كبيرةٍ بالنسبة إلى مَلكوتِ الله، وذلك بقَدْرِ ما يُسهِمُ في تَنظيمِ المُجتمعِ البشريّ تنظيمًا أفضلَ وأكمل.

فهذه القِيَمُ من كرامةٍ إنسانيّةٍ، وشَركةٍ أخويّةٍ وحريّةٍ، أي كُلُّ هذه الثِمَار الطَيّبةِ، ثمَارِ طبيعتِنا وصناعتِنا، التي نكونُ قد نَشرنَاها على وجهِ الأرضِ في روحِ الربّ وبحسبِ وصيّته، سنجدُها فيمَا بعدُ مطهّرةً من كُلِّ دَنسٍ، ناصعةً، مشرقةً، عندما يُعيدُ المسيحُ الى الآب ملكوتًا أبديًّا وشاملاً: «ملكوتَ حقيقةٍ وحياة، وملكوتَ قداسةٍ ونعمة، ملكوتَ برٍّ ومَحبّة وسلام». والملكوتُ قائمٌ سريًّا على هذه الأرض منذُ الآن، وهو سيبلغُ كَمالَه عند مَجيءِ السيّد.

الفصل الرابع

دَورُ الكنيسَة في عَالَمِ اليوم

العلاقة المتبادلة بين الكنيسة والعالم

٤٣٤٠ – ٤٠ – كُلُّ ما قلناه عن كَرامةِ الشخصِ الانسانيّ، وشَرِكة البَشر، وعن المَعنى العميقِ للنَشاط الانسانيّ، كُلُّ ذلك هو أساسُ العَلاقةِ القائمةِ بين الكنيسة والعالم، والقَاعدةُ التي يقومُ عليها الحِوار فيمَا بينها. وإذكان من المُقدَّرِ أنَّ كلَّ ما يتعلَّقُ بسرِّ الكنيسة قد سبقَ تقريرُه في هذا المَجمع، فالكلامُ في هذا الفَصلِ سيتناولُ هذه الكنيسةَ نفسَها من حيثُ إنَّها موجودةٌ في هذا العالم، ومن حيثُ إنّها تَحيا وتعملُ معه.

كانت الكنيسةُ ثمرةَ حبِّ الآب الأزليّ، وقد أَسّسها في الزَمنِ المسيحُ المُخلّص، وتجمّعت في الروح القدس، وهي ذاتُ غايةٍ خَلاصيّةٍ وغيرِ زمنيّة، لا يمكنُ بُلوغُها بلوغًا تامًّا الاّ في الدهرِ الآتي. ولكنَّها تقومُ منذ الآن على هذه الأرض، وتتألّفُ من بَشَرٍ، من أعضاءٍ في المدينةِ الأرضيّةِ دُعُوا إلى ان يُؤلّفُوا منذُ الآن في تاريخِ الجِنسِ البشريّ، أسرةَ أبناءِ الله التي ستَنمُو أبدًا حتى مجيءِ الربّ. وقد اتّحدت هذه الأُسرةُ في سَبيلِ الخيراتِ العُلويّة على أَنَّها ثروتُها؛ هذه الأسرة «انشأَها المسيحُ في هذا العالم ونظّمَها كمُجتمَعٍ»، «وجهّزها بالوسائِل المُؤاتية لأجلِ اتّحادِها الظاهر والاجتماعيّ». وهكذا فالكنيسةُ وهيِ في الوقتِ نفسه «جماعةٌ منظورةٌ وشَرِكةٌ روحيّة»، تسيرُ مع البشريّة كُلّها، وتنالُ قِسطَها من مَصيرِ العالم الأرضيّ، وهي بمَثابةِ خميرةٍ، وكروحٍ للمُجتمَعِ البشريّ، الذي يجبُ أن يتجدَّدَ في المسيح ويتحوّلَ الى أُسرةِ لله.

ولا شكّ في أنّ هذا التَداخلَ في المَدينة الأرضيّة والمَدينةِ السماويّةِ لا يمكنُ ادراكُه الاّ بالإيمَان، وهو يظلُّ سِرَّ التاريخ البشريّ الذي سيُرافِقُه الاضطراب بسببِ الخطيئة الى أن يتجَلّى ملءُ مجدِ ابناءِ الله. وفيمَا الكنيسةُ تَجدُّ في سَبيلِ هدفِها الخَلاصيّ الخاص، لا تكتفي بأن توفّرَ للإنسانِ الحياةَ الإلهيّة، بل تعملُ أيضاً على نَشرِ النُورِ الذي ينبعثُ من تلك الحياة الإلهيّة وكأَنَّها تنشره على العالمِ

كُلِّه أجمع، وذلك بنوعٍ خاص عندما تُعافِي كرامةَ الشخصِ البشريّ وتنهضُ بها، مُوثِّقةً اللُّحمةَ في المجتمع، ومُضمِّنةً النَشاط الانسانيَّ اليوميّ مَعنى أعمق. وهكذا فالكنيسةَ بكُلِّ فردٍ من أفرادِها وبالمجموعةِ التي تتألّفُ منها، تَرى أنّها تستطيعُ الإسهامَ الواسعَ في جَعلِ الأسرةِ البشريّةِ وتاريخها أكثرَ انسانيّة.

وبالإضافة الى ذلك فالكنيسةُ الكاثوليكيةُ تَقدُرُ قدرًا عظيمًا وباغتباط ما قامت به ولا تزالُ تقومُ به الكنائسُ المسيحيّة الأُخرى، أو الجماعاتُ الكنسيّةُ، من أعمالٍ في هذا الصَّدد. وهي في الوقتِ نفسِه شديدةُ الاقتِناع بأنَّ العالمَ يستطيعُ أن يُقدِّمَ لها، في سَبيل نشر الانجيل، مساعدةً قَيّمةً ومتنوّعةً، وذلك بمَا للأفراد أو للجماعة البشريّةِ التي يَتألّفُ منها من مواهبَ ونَشاط. وهذه بعضُ المَبادئ العامّةِ التي من شَأنها أن تنشّطَ نوعًا ما التعاملَ والتَعاونَ بين الكَنيسة والعَالمِ في ما هو مُشتَركٌ بينهما.

العَون الذي تريد الكنيسة أن تقدّمه لكل إنسان

٤٣٤١ – ٤١ – الانسانُ المُعاصرُ في صَدَد تطويرِ شخصيّتِه تطويرًا أكمل، وفي صَدَد اكتشافِ حُقوقِه واثباتِها أكثر فأكثر. والكنيسةُ من جِهتِها، وقد أُلقِي إليها أن تُظهِرَ سرَّ الله غاية الانسان القُصوى، توضحُ للإنسان أيضاً مَعنى وُجودِه الذاتي، أي حقيقتَه الجوهريّة. والكنيسةُ تعرِفُ حقَّ المعرفة أنَّ اللهَ الذي تَخدُمُه هو وحدَه يُلبّي رغباتِ القَلبِ البشريّ العَمِيقة، ذلك القلبِ الذي لا تُشبع جوعَه الأغذيةُ الأرضيّةُ اشباعًا كاملاً البتّة. وهي إلى ذلك تعلم أنَّ الإنسان، الذي يُحرّكُهُ أبدًا روحُ الله، لن يقفَ أبدًا موقفَ اللامُبالاةِ الكاملةِ من قَضيّةِ الدين، وليسَ في خبرةِ الأجيال المَاضيةِ وحدَها الدليلُ على ذلك، بل في شَهاداتِ هذا العَصر المُتعدِّدة. والانسانُ توّاقٌ أبدًا إلى أن يعرفَ، ولو مَعرفةً غامضةً، مَعنى حياتِه ونشاطاتِه وموتِه. وله في مُجرّدِ وجودِ الكنيسة وحضُورِها تذكيرٌ بهذِه القَضايا. فإنَّ الله، الذي خلق الانسانَ على صُورتِه، وافتَداه من الخَطيئة، يستطيعُ وحدَه أن يُجيبَ الجوابَ الوَافي عن هذه الأمور، وذلك بالوَحي في المسيح ابنِه الذي صار انسانًا. فمَن اتّبعَ المسيح، الانسانَ الكاملَ، صار انسانًا أكثرَ ممّا كان.

بالاستنادِ الى هذه العَقِيدة تستطيعُ الكنيسة أن تُحَيّد كرامةَ الطبيعةِ الانسانيّةِ عن شتّى تقلّباتِ الآراءِ والتيّارات التي تُفرّطُ في الحَطِّ من شأنِ جسدِ الانسانِ أو تُفرّطُ في إعلاءِ شأنه. ما من شريعةٍ بشريّةٍ تَستطِيعُ أن تَجعلَ الكرامةَ الشخصيّة والحُريَّةَ في مأمنٍ من الضَياعِ كما يفعلُه إنجيلُ المسيحِ الذي أُودِعَ الكنيسة. فهذا الانجيلُ يبشّرْ بحُريّةِ أبناءِ الله ويُعلنُها، وهو ينبذُ كلّ عبوديّةٍ لأنّ العُبوديّةَ هي في نهايةِ الأمرِ ثمرةُ الخطيئة، ويحترمُ احترامًا مقدّساً كرامةَ الضَميرِ وحريّةَ اختيارِه، ويحرّضُ أبدًا على استثمَارِ جميع المَهارات البَشريّةِ في خِدمة الله وخيرِ البشر، وأخيرًا يُوصي الجميعَ بمحبّةِ الجميع. هذا كُلُّه يتّفقُ والشريعةَ الأساسيّةَ في النِظام المسيحـي. فإذا كان الإلهُ نفسُه هو المُخلّص والخالقُ معًا، وهو سيّدُ التَاريخ البشريّ وسيّدُ تَاريخِ الخَلاص، كانَ من غيرِ المَعقُولِ في هذا النِظام الإلهي أن يُطمَسَ استقلالُ الخَلِيقةِ الذاتيُّ العادلُ، ولا سيّمَا استقلال الانسانِ الذاتيّ، بل كان من الأحرى أن تَستردَّ فيه الخليقةُ كَرامَتَها وأن تثبتَ فيها.

وهكذا فالكنيسةُ، بمقتَضى الانجيلِ الذي أُودعَته، تعلنُ حقوقَ الانسان وتعترفُ لهذا العَصرِ بديناميّةٍ تَقدُرُها قدرًا عظيمًا وترى فيها ما يمدُّ تلكَ الحقوق ويوسّعُ نِطاقَها في كُلِّ مكان. ولكن لا بدّ لهذا التَحرّكِ من تَشرّبِ روحِ الإنجيل والاحترازِ من كُلِّ نوعٍ من أنواعِ الاستقلالِ الذَاتي الزائف. فإنّنا مُعرَّضُون لتجربةِ الحُكم بأنّ حقوقَنا الشَخصيّة لا تكونُ مَصونةً كاملةً الاّ إذا تَفلَّتْنا من كُلِّ شريعةٍ الهيَّة. ولكن هذا المسلكَ لا يُنقذُ كرامةَ الشخصِ الإنسانيّ، بل يعملُ بالحريّ على الذَّهاب بها.

العَون الذي تعمل الكنيسة على تقديمه للمجتمع البشريّ

٤٣٤٢ – ٤٢ – إنّ اتّحادَ الأسرة البشريّة يجدُ له دعمًا قويًّا وعنصرًا مكمّلاً في وَحدة أُسرةِ أبناءِ الله التي تَأسّست في المسيح. فالرسالةُ الخاصّةُ التي ألقَاها المسيحُ إلى كنيستِه ليست من النوعِ السياسيّ أو الاقتصاديّ أو الاجتماعيّ: فالهَدفُ الذي حُدِّدَ لها إنّما هو هدفٌ دينيّ. وعن هذه الرسالة الدينيّة نفسِها تنجمُ وظيفةٌ ونورٌ وقوى يمكنُ توظِيفُها في إنشاءِ المجموعةِ البشريّةِ وتثبيتِها وفاقًا للشريعة الإلهيّة.

وهكذا تستطيعُ الكنيسة، في كُلِّ مكانٍ يَستدعي عملَها، ووفاقًا للأوضاعِ الزمنيّةِ والمَكانيّةِ، بل يجبُ عَليها أن تقومَ بأعمالٍ تكون في خِدمةِ الجميع، ولا سيَّما الفُقراءِ والمُعوزين، كأعمالِ الرحمة وما شَاكَلها.

والى ذلك فالكنيسةُ تعترفُ بكُلِّ ما هو خَيّرٌ في دِيناميّة العَصر الاجتماعيّة: ولا سيَّما التحرّكِ نحو الاتحَاد، والتَقدّم القَويم في الجَمْعَنة، والتضامنِ في حَقلَي الوَطنيّة والاقتصاد. وتنشيطُ حَركةِ الاتّحاد يتّفقُ وعمقَ رسالةِ الكنيسة، إذ إنَّها «في المَسيح كالسرِّ، أي انَّها علامةٌ وأداةٌ معًا للاتحَادِ الصَميم باللهِ ولوَحدةِ الجنسِ البشريّ كلّه. وهكذا فهي تُظهرُ للعالمِ أنَّ الاتحادَ الحقيقيَّ الاجتماعيَّ والظاهرَ هو ثمرةُ اتّحادِ العقول والقلوب، أي ثمرةُ الإيمَانِ والمحبّةِ اللذين قامَت عليهما، في الروحِ القدس، وحدَتُها قيامًا راسخًا لا يقبلُ الحلّ. والقوّةُ التي تستطيعُ الكنيسةُ أن تبعثَها في المُجتمع البشريّ المُعاصر، إنَّمَا هي في ذلك الإيمَان وتلكَ المحبّةِ المَاثِلَين في واقعِ حياتِها، وليست في أيّ سُلطةٍ خارجيّةٍ تعملُ بوسائِلَ بشريّة مجرّدة.

وفضلاً عن ذلك فالكنيسة، في جَوهرِ رِسالتِها وطبيعتِها، غيرُ مرتبطةٍ بأيّ صيغةٍ خاصَّةٍ من صِيَغِ الثقافةِ البشريّة، ولا بأيّ نِظَامٍ من أنظمةِ السياسةِ أو الاقتصاد أو الاجتمَاع، وهي بشموليّتِها هذه تستطيعُ أن تكونَ أوثقَ رابطٍ بين شَتّى الجَماعاتِ البشريّة، وبين شتّى الأُمم، وذلك إذا أولَتها الجماعاتُ والأممُ ثِقَتها، واعترفَتْ لها اعترافًا فِعليًّا بحُريّةِ القيام برسالتِها قيامًا صحيحًا. ولهذا تدعُو الكنيسة ابناءها، بل جميعَ البَشر، إلى تَجاوزِ جميعِ الخُصومات القائِمة بين الأمم والأعراق، ودَعمِ المُنظّماتِ الانسانيّةِ الشَرعيّةِ دعمًا داخليًّا، وذلك في الرُوحِ العيليّة لأبناءِ الله.

والمَجمعُ ينظرُ بعينِ الاحترام والتَقدِير العَظِيمَين إلى كُلِّ ما هو حقٌّ وخيرٌ وعدلٌ في المُؤسّساتِ الشديدةِ التنوّعِ التي أنشأَها الجنسُ البشريُّ ولا يزالُ يُنشِئها لنفسِه. وهو يعلنُ أنّ الكنيسةَ تُريدُ أن تساعدَ وتعزّزَ مِثلَ هذه المُؤسّسات، وذَلك بقَدْرِ ما يَرجعُ ذلك إليها، وبقَدْر ما يتّفقُ ورسالتَها. وليسَ لهذه الكنيسةِ رغبةٌ أشدُّ من رَغبتِها في أن تتمكّنَ – وهي تسعى إلى خيرِ الجميع – من النُموّ بحريّةٍ في ظلِّ كُلِّ نظامٍ يعترفُ بالحقُوق الأساسية للشخصِ والأُسرة وبكُلِّ مُقتضياتِ الخيرِ العام.

العون الذي تسعى الكنيسة إلى تقديمه للنشاط الانساني بواسطة المسيحيين

٤٣٤٣ – ٤٣ – يحرّضُ المَجمعُ جميعَ المَسيحيين، من كِلتا المَدينتَين، على القِيام بمَهامّهم الأرضيّة في غيرةٍ وأمانة، وفي تقيُّدٍ بروحِ الانجيل. وإنّه لَيَحِيدُ عن الحقيقةِ أولئك الذين عَرفُوا أن ليسَ لنا ههُنا مدينةٌ باقيةٌ بل إنّمَا نطلبُ الآتية، فَظنُّوا بسببِ ذلك أنّهم يستطيعُون إهمالَ واجباتِهم الأرضيّة، ولم يفطَنُوا إلى أنّ الإيمَانَ نفسَه يشدّدُ على القِيام بها، وذلك وفاقًا للدعوة التي دُعيَ إليها كُلُّ إنسان. وليس بأقلَّ خطأً من يَذهبُون إلى عَكسِ ذلك أي إلى أنّهم يستطيعُون أن يَنغَمِروا في مشاغِلَ أرضيّةٍ وكأنّها في غُربةٍ تَامّة عن الحياةِ الدينيّة، وكأنّ هذه الحياةَ الدينيّةَ لا تقومُ في نَظرِهم الاّ على مُمارَسةِ الطّقوسِ وعلى تأديَةِ بعضِ الواجبات الأدبيّة. هذه القطيعةُ بين الإيمَانِ الذي ينتَحِلُه الكثيرونَ ومسارَ حياتِهم اليوميّة، تُعدُّ من أخطرِ أضاليلِ هذا العصر. وقد أنكرَ الأنبياءُ هذا الشكَّ وتنكّروا له بشدّةٍ في العَهدِ القَديم، ووُوجهِ بأشدَّ من ذلك في العَهدِ الجديد فتوعّدَه يسوعُ المسيح نفسُه وهدّده بالعِقَاب القَاسي. فلا يتوهَّمنَّ أحدٌ أنَّ هنالك تبايُنًا بين النَشاطاتِ المهنيّة والاجتماعيّةِ من جهةٍ، والحياةِ الدينيّة من جهّةٍ أُخرى. والمسيحيّ الذي لا يقومُ بواجباتِه الزَمنيّةِ إنّما يكونُ مُهملاً لما للقريبِ عليه، بل مُهمِلاً لله نفسِه، ومُغرّرًا بخَلاصِه الأبديّ. فليفرحْ بالحَري المسيحيّون عندما يَسيرُون في خُطى المسيح الذي تلبّسَ لباسَ عاملٍ، ويُتاحُ لهم أن يَقُومُوا بجميعِ نشاطاتِهم الأرضيّة، جَامِعين، في هَيكلَيّةٍ حياتيّةٍ، الجُهودَ الانسانيّةَ والعيليّةَ والمِهنيّةَ والعِلميّة أو التِقنيّة إلى القِيَمِ الدينيّة التي ينتظمُ كُلُّ شيءٍ فيها نهجًا ساميًا يقودُ إلى مجد الله.

على العِلمانيين، اختصاصاً لا حصرًا، تعودُ الأعمالُ والنَشاطاتُ الزمنيّة. فعندما يتصرّفُون أفرادًا وجماعاتٍ تصرّفَ المستوطنين لهذا العالمِ يكونُ لِزامًا عليهم أن لا يَكتفُوا بالتَقيُّدِ بقوانينِ كُلِّ نِظامٍ من الأنظمة، بل يَعملُون أيضاً على اكتسابِ مَهارةٍ حقيقيّةٍ في كُلِّ حقلٍ من من حقولِها. وإنّه ليجدرُ بهم أن يتعاونُوا ومن يقصُدون إلى الهَدفِ الذي يقصدُون إليه. وعليهم، إذا وَعَوا مُتطلّباتِ إيمانِهم وتَقَوّوا بقوّتِه، أن لا يتردَّدُوا، عند اقتضاءِ الحَاجةِ، في اتّخاذِ مُبادراتٍ جديدةٍ والعملِ على بلوغِ الغَايةِ فيها. وإنّه ليُنتظَرُ من ضمائِرهم، بعدِ تعهُّدِهم لها

بالتَثقِيف، أن تخطَّ الشريعةَ الإلهيّةَ في حياةِ المَدينةِ الأرضيّة. وليَنتَظر العلمانيّون من الكهنةِ نورًا وقوّةً روحيّة. ولا يحسبُوا مع ذلك أنَّ لِرُعاتِهم في كُلِّ حين من المُكنَة ما يجعلُهم، عند كُلِّ أمرٍ طارىءٍ، ولو خطيرًا، قادِرين على تَقديم الحلِّ العَمليّ والسَّريع، ولا يحسُبوا أنَّ هذه هي مُهمَّةُ أولئك الرُّعاة: بل عليهم، وقد استَناروا بالحِكمَة المَسيحيّة وأحسنُوا الاصغاءَ إلى تَعليم السُلطة الكنسيّة، أن يتحمَّلُوا هم أنفسُهم ما يقعُ عليهم من أعباءِ المسؤوليّة.

إنّ النظرةَ المسيحيّة إلى الأمورِ كثيرًا ما تَميلُ بهؤلاء الى اعتِمادِ حلٍّ مُعيّنٍ لبعض الأحداثِ الطارئة. وهذا لا يحولُ دون أن يقفَ غيرُهُم من المؤمنين، الذين لَيسُوا دونَهم إخلاصاً، موقفًا مغايرًا لمَوقِفهم في الأحداثِ الطارئةِ نفسِها، وليسَ الأمرُ نادرًا ولا مُستَغربًا. ولئِن جرى أن يربطَ الكثيرونَ هذه الحلولَ، وإن بغيرِ مُوافقةٍ من أصحابِها، بالبشارة الإنجيليّة، فمن الضَروريّ أن يتذكَّرُوا أنّه لا يجوزُ لأحدٍ، في هذه الأمورِ، أن يَدَّعِي الاحتمَاءَ وراءَ سُلطةِ الكنيسة والاستئثارِ بها لدَعمِ آرائه. فليلجَأوا دائمًا إلى الحِوارِ مُستنيِرينَ بعضُهم ببعضٍ، تحدُوهم المحبّةُ المُتبادَلةُ ويستهوِيهم الخيرُ العام قبلَ أيِّ شيءٍ آخر.

والعلمانيّون الذين يشتركُون فعلاً في مُجملِ حياةِ الكنيسة يجبُ أن لا يقتصرَ عَملُهم على بثِّ الروح المَسيحيّةِ في العالم، فإنّهم مدعوّون أيضاً إلى أن يكونوا شهودَ المسيح في كُلِّ حالٍ وفي قلبِ كُلِّ جماعةٍ بشريّةٍ.

أمّا الأساقفةُ الذين أُوكِلَت إليهم إدارةُ كنيسةِ الله، فعليهم وعلى كهنتِهم أن يَكرزُوا ببشارةِ المسيح كرازةً يستَغرِقُ فيها نورُ الإنجيل جميعَ نشاطاتِ المؤمنين الأرضيّة. والى ذلك فَليَذكر الرُعاةُ جميعُهم أنَّهم بسيرةِ حياتِهم اليوميّة واهتمامِهم الدائم يُظهرون للعالم وجهَ الكنيسة الذي يَتراءى للبشرِ منه ما للرسَالةِ المَسيحيّة من قوّةٍ وحقيقةٍ. وليقدِّمُوا بحياتِهم وكَلمَتِهم، وبالاتحادِ القَائِم بينهم وبين رُهبانِهم ومُؤمنيهم، بَرهانًا على انَّ الكنيسة، بمُجرّدِ حضورِها وبكُلِّ ما تَحمِلُه من مواهب، هي اليـنبوعُ الثَرُّ للطاقات التي يفتقرُ إليها عَالمُ اليوم أشدَّ الافتقار. وليُكِبُّوا أشدَّ الإكباب على الدروسِ التي تُؤهِّلُهم لإقَامةِ الحِوار فيمَا بينهم وبين العالمِ وبين البشرَ من أيِّ رأي كانوا وإلى أيِّ مذهبٍ انتمَوا. وليحفَظُوا خصوصاً

في قلوبهم أقوالَ المَجمع التالية: «بمَا أنَّ الجنسَ البشريَّ يسعى اليومَ أكثرَ فأكثرَ إلى الوَحدة المَدنيّةِ والاقتصَاديّةِ والاجتماعيّة، فمن الضَروريّ أكثرَ فأكثرَ أن يوحّدَ الكهنةُ اهتمَامَاتِهم، بإشرافِ الأساقفةِ والحبرِ الأعظم، ويتحَاشَوا عن كُلِّ عاملِ تفرقةٍ، حتى يقُودوا الجنسَ البشريَّ كُلَّه إلى وَحدةِ أُسرةِ الله».

ومع أنَّ الكنيسة ظلّت، بقوّةِ الروح القدس، العروسَ الوفيّةَ لسيّدها، ولم تتوقّفْ فقط عن أن تكونَ في العَالم رايةَ خَلاصٍ، فهي مع ذلك تَعلمُ كُلَّ العِلم أنَّ صفوفَ أعضائها، من إكليريكيين وعِلمانيين، في سِلسِلةِ تاريخِها الطَويلة، لا تَخلُو من أُناسٍ كَفروا بروح الله، وفي هذه الأيّام أيضاً لا يفوتُ الكنيسةَ ما هنالك من بونٍ شاسع بين البشارةِ التي تَحمِلُها والضعفِ البشريّ الذي ينتابُ من أُوكِلَ إليهم هذا الإنجيل. وأيًّا كان حكمُ التَاريخ على هذه الهَفَوات فلا بدَّ لنا من التَنبُّه لها، ومن مُقاومتِها بشدّةٍ لِئلاّ تكونَ عقبةً في طَريقِ انتشَارِ الانجيل. وكذلك تَعلَمُ الكنيسةُ، في سَبيلِ توسيعِ عَلاقتِها بالعالم، أنَّها بحاجةٍ كبيرةٍ ودائمةٍ إلى الافادة من خبرة الأجيال. وأُمُّنا الكنيسة، بقيادةِ الروح القدس، لا تزالُ «تُوعِزُ إلى أبنائِها أن يتنقّوا ويتجدَّدوا حتى يزدادَ تجلّي آيةِ المسيح على صَفحةِ الكنيسة».

العَون الذي تتلقّاه الكنيسة من عالم اليوم

٤٣٤٤ – ٤٤ – كما أنَّه يحسنُ بالعالم أن يعترفَ بالكنيسة حقيقةً اجتماعيّةً من حقائقِ التاريخ وأنَّها فيه بمثَابةِ الخَمير، كذلك لا تجهلُ الكنيسةُ كم أفادت من تَاريخِ الجِنس البشَريّ ومِن تطوّره.

فالكنيسةُ تُفيدُ من خبرة الأجيال السالفة، وتقدُّم العلوم، ومن الكُنُوزِ الكامنة في شتّى فُروعِ المَعرفةِ البشريّةِ التي تتكشّفُ فيها حقيقة طبيعةِ الانسان تكشّفًا أكمل، والتي تفتحُ مَسالِكَ جَديدةً إلى الحقيقة. والكنيسة تعلّمت مُنذُ فجرِ تَاريخِها أن تُعبّرَ عن بِشارةِ المسيح معتمدةً في ذَلك تصوّراتِ الشعوب المُختلفةِ ولُغاتِهم، وقد أضافت إلى ذلك أنّها عَمِلت على جَعلِ حِكمَةِ الفَلاسفة في خِدمةِ تلك البِشارة توضيحًا وتأييدًا: هذا كُلُّه لأجلِ تَقريبِ الانجيل من ذِهنيّةِ الجميع والتَوفيقِ بينه وبين مُتطلّباتِ الحكماء، وذلك ضِمنَ نِطاقِ اللائِق والمَعقُول. وهذه

الطريقةُ المُمهّدةُ لإعلانِ كَلمةِ الوَحي هي في الحَقيقة القانونُ الذي يجبُ اتّباعُه في كُلِّ تبشير. وهكذا يمكنُ في كلِّ أُمّةٍ تحريكُ طاقاتِها للتعبيرِ عن البِشارةِ المسيحيّةِ بِطريقَتِها الخاصّة، كما يمكنُ تنشيطُ التَخالُطِ الحيّ بين الكنيسة والثَقافَات المختلفة. ولتقويةِ هذا التَبادُل وتوسيعِ نِطاقه، ولاسيّمَا في هذه الأيام التي تشهدُ سُرعةً شديدةً في تقلُّبِ الأمور، وتنوّعًا شديدًا في طَرائقِ التفكِير، لا بدَّ للكنيسة من عونٍ خاصٍّ يقدِّمُه لها أولئك الذين يعيشُون في العالم، ويعرفون مؤسَّساتِه وأنظمته، ويفقَهون مَناحي ذِهنيّتِها الخاصّة، سواءٌ كان هؤلاء من المُؤمنين أو من غيرِ المؤمنين. وعلى شعبِ الله كُلِّه، ولاسيَّمَا الرّعاةِ واللاهوتيّين، أن يتقصَّوا، بمعونةِ الروح القدس، شتّى مَقولاتِ هذا العَصر، وأن يتفحّصُوها، ويفسّرُوها، ويُدلُوا برأيهم فيها على ضوءِ الكلمة الإلهيّة، بحيثُ تصبحُ الحقائقُ المنزَلةُ أقربَ إلى الإدرَاكِ والفَهم، وتُعرَضُ بطريقةٍ أفضلَ وأوفى.

وإذ كانت الكنيسة ذاتَ هيكليّةٍ اجتماعيّةٍ منظورةٍ هي علامةُ اتّحادها بالمسيح، فإنّها تستطيعُ أن تستغنَي بتطوُّرِ الحياة الاجتماعية البَشريّة، وهي تَستَغنِي به فعلاً، لا أنَّ شيئًا ما ناقصٌ في النِظام الذي أقامه لها المسيح، ولكنّ الغِنى في معرفةٍ لذلك النِظام أشدَّ عمقًا، والتعبير عنه تعبيرًا أفضل، وتطبيقِه على مُقتضيَاتِ عصرِنا تطبيقًا أوفق. والكنيسةُ تقرُّ بلسانِ الشُكرِ أنّها تتقبّل عونًا من أُناسٍ مُختلِفي الرُتَبِ والأوضاعِ الاجتماعيّةِ، عونًا لها كَمُؤسسة، ولِكُلِّ فردٍ من أبنائِها، وهكذا فجميعُ الذين يُسهِمون في تَطويرِ الجماعة البشرية في الحقل العيليّ والثقافيّ، وفي حقل الحياة الاقتصاديّة والاجتماعية، حتى في حقلِ السياسةِ الوَطنيّةِ والدَوليّة، ينتظمُون في نظامِ التَدبيرِ الإلهي ويُقدِّمون عونًا غيرَ يسيرٍ للجَماعةِ الكنسيّة وذلك بقَدرِ ما هي متعلّقةٌ بالعالمِ الخَارجيّ. وبالإضافةِ إلى ذَلك تَرى الكنيسة أنَّها جَنَت وأنّها تستطيعُ أن تجنيَ فائدةً كبيرةً من مقاومةِ من يُقاومُونها أو اضطهادِ من يضطهدونها.

المسيح الألف والياء

٤٣٤٥ – ٤٥ – عندما تساعدُ الكنيسة العالمَ وعندما تتقبّلُ منه المُساعدةَ إنّما تَنشُدُ غايةً واحدةً هي أنّ يَأتِي ملكوتُ اللهِ وأن يكونَ الخلاصُ لِجنسِ البشرِكُلِّه. فكلُّ خيرٍ يستطيعُ شعبُ اللهِ أن يقدّمه لأسرَة البَشرِ مُدّةَ رَحلتِه الأرضيّة إنَّمَا هو نَابعٌ من

كونِ الكنيسةِ «سرَّ الخَلاص الشامل» مُظهِرًا ومُفعِّلاً في آنٍ واحدٍ سِرَّ مَحبةِ اللهِ للإنسان.

فكلمةُ الله، الذي به كُوِّنَ كُلُّ شيءٍ، صارَ جسدًا حتى إذا كان إنسانًا كاملاً يُخلِّص الجميعَ ويُلخِّص في ذاته كُلَّ شيء. والسيدُ المسيح هو خاتمةُ تاريخِ البشر، والنقطةُ التي تنصبُّ فيها رغباتُ التَاريخ والحَضارة، ومحورُ الجِنس البشريّ، وفرحةُ القُلوب كُلِّها، وكمالُ ما تَصبُو إليه. وهو الذي أقامَه الآبُ من بين الأموات، ومجَّدَه، وأجلَسَه إلى يمينِه، وأقامَه في الأحياءِ والأمواتِ ديّانًا. ونحن إذ أحيانَا وجمعَنا في رُوحه، نسيرُ إلى مُنتَهى التَاريخِ البشري الذي يجري على وِفاقٍ كاملٍ مع تدبيرِ محبّته: «أن يجمعَ تحتَ رأسٍ واحدٍ في المسيح، كُلَّ شيءٍ ما في السماوات وما على الأرض» (أف ١ : ١٠).

والسيّدُ نفسه يقول: «ها ءَنذا آتٍ عن قريبٍ، وجزائِي معي لأُجَازِي كُلَّ واحدٍ حسبَ أعمالِه. أنا الألفُ والياءُ، الأوّلُ والآخِر، المبدأُ والغاية» (رؤ ٢٢ : ١٢ – ١٣).

٤٣٥٠ – ٤٣٥٩ – الجمعية العامّة ١٢٣، في ١٦ تشرين الثاني ١٩٦٤: «تبليغات» "Notificationes" و«مذكرة تفسيرية تمهيدية» "Nota explicativa praevia"

تبليغان أجراهما سيادة الأمين العام للمجمع المقدس في الجمعية العمومية ١٢٣، في ١٦ تشرين الثاني ١٩٦٤

٤٣٥٠ – لقد سئل ماذا يجب أن يكون التوصيف اللاهوتي للعقيدة المعروضة في المشروع De Ecclesia (في الكنيسة)، المطروح للاقتراع.

أجابت اللجنة العقائدية عن هذا السؤال، عند فحص المقترحات في شأن الفصل الثالث من مشروع De Ecclesia بما يلي:

«إن النصّ المجمعي كما الأمر واضح بذاته، يجب أن يُفسّر دائمًا بحسب القواعد العامّة التي يعرفها الجميع»

٤٣٥١ – وفي هذا الشأن، تحيل اللجنة العقائدية على إعلانها في ٦ آذار ١٩٦٤، الذي ننقل هنا نصّه:

«اعتمادًا على عادة المجامع وعلى الغاية الرعائية للمجمع الحاضر، يحدّد هذا المجمع المقدس كأمور يتوجّب على الكنيسة أن تلتزمها في موضوع الإيمان والأخلاق، فقط تلك التي يعلن المجمع أنها كذلك.

أما الأمور الأخرى التي يعرضها المجمع، بمثابة تعليم السلطة العليا في الكنيسة، فعلى جميع المؤمنين وكل واحد منهم، أن يتقبلوها ويتمسّكوا بها بحسب روح المجمع نفسها، التي تتبيّن إما من المادّة المعالجة، وإما من طريقة التعبير، كما تقتضي قواعد التفسير اللاهوتي»

٤٣٥٢ – يُبلَّغ الآباء من قبَل السلطة العليا، مذكَّرة تفسير تمهيدية في شأن المقترحات العائدة إلى الفصل ٣ من مشروع De Ecclesia. والعقيدة المعروضة في هذا الفصل الثالث يجب أن تُفسّر وتُفهم بحسب روح هذه المذكرة ومعناها.

مذكّرة تفسيرية تمهيدية

٤٣٥٣ – لقد قرّرت اللجنة أن تسبق فحص المقترحات الملاحظات الآتية:

١ – إن كلمة هيئة لا يُقصد بها المعنى القانوني الدقيق، أي معنى جماعة من المتساوين الذين يفوّضون سلطتهم إلى رئيسهم، بل جماعة ثابتة، يجب أن نستنتج هيكليتها وسلطتها من الوحي. لذلك في الجواب عن المقترح ١٢ قيل بصراحة عن الاثني عشر إن الرب جعلهم «على شكل هيئة أو جماعة ثابتة»، أنظر المقترح ٥٣ أيضاً. وللسبب عينه يستعمل أيضاً هنا وهناك، في الكلام على هيئة الأساقفة، تعابير منظومة (ordo) أو جسم (corpus). والموازاة بين بطرس والرسل الآخرين من جهة، والحبر الأعظم والأساقفة من جهة أخرى، لا تقتضي ضمنًا نقل سلطان الرسل غير العادي إلى خلفائهم، ولا المساواة، كما هو جليّ، بين الرأس وأعضاء الهيئة، ولكن فقط تناسبًا بين المقارنة الأولى (بطرس والرسل) والمقارنة الثانية (البابا والأساقفة). لذلك قرّرت اللجنة أن تكتب في الرقم ٢٢: لا بالطريقة عينها وإنما بطريقة مماثلة. أنظر المقترح ٥٧.

٤٣٥٤ – ٢ – يصير الإنسان عضوًا في الهيئة بالرسامة الأسقفية، والمشاركة التراتبية مع الرأس وأعضائه. راجع الرقم ١/٢٢، النهاية. بالرسامة تعطى المشاركة الكيانية في

الوظائف المقدسة، كما يتبيّن ذلك دون ريب من التقليد، حتى التقليد الليتورجي. وتستعمل كلمة وظائف بقصد ووعي، لا كلمة سلطان، لأن هذه الأخيرة يمكن أن تُفهم كسلطة أهل لأن تمارس بالفعل. ولكن لا بدّ لوجود مثل هذه السلطة الأهل لأن تمارَس بالفعل أن يضاف إليها التحديد القانوني أو الحقوقي من قبل السلطة التراتبية. وهذا التحديد للسلطة يمكن أن يتمّ بتسليم وظيفة خاصّة، أو بتعيين مرؤوسين، ويمنح وفق قواعد ثبتتها السلطة العليا. هذه القاعدة اللاحقة تقتضيها طبيعة الشيء، إذ يتعلّق الأمر بوظائف يجب أن يمارسها جملة مرؤوسين، يتعاونون بتراتبية بحسب مشيئة المسيح. ومن الجليّ أن هذه «المشاركة» قد طُبقت في حياة الكنيسة وفق ظروف الأزمنة قبل أن تشرّع هكذا في القانون.

٤٣٥٥ – لذلك يقال بصراحة إن المشاركة التراتبية مطلوبة مع رأس الكنيسة ومع أعضائها. والمشاركة مفهوم مقدر جدًا في الكنيسة القديمة (كما اليوم أيضاً خصوصاً في الشرق). إنها لا تعني عاطفة غامضة وإنما حقيقة عضوية تقتضي شكلاً قانونيًا، وتنعشها المحبة في الوقت عينه.

لذلك، فاللجنة، بشبه إجماع في الرأي، قررت وجوب كتابة: «في مشاركة تراتبية» أنظر المقترح ٤٠، وكذلك ما يقال عن الرسالة القانونية في الرقم ٢٤.

٤٣٥٦ – ٣ – يقال عن الهيئة التي لا توجد دون الرأس، إنها «صاحبة السلطة العليا والكاملة في الكنيسة كلها جمعاء». وهذا لا بد من قبوله حتى لا يصبح تمام سلطة الحبر الروماني موضوع نقاش. إذ يجب أن تفهم الهيئة حتمًا ودومًا مع الرأس الذي يحتفظ في الهيئة بوظيفته كاملة كنائب للمسيح وراع للكنيسة جمعاء. وبكلام آخر، التمايز ليس بين الحبر الروماني والأساقفة مجموعين، ولكن بين الحبر الروماني وحده والحبر الروماني مع الأساقفة. ولكن بما أن الحبر الأعظم هو رأس الهيئة، فهو وحده يستطيع القيام بأفعال لا تعود إلى الأساقفة، من مثل دعوة الهيئة وتوجيهها وتثبيت قواعد العمل... أنظر المقترح ١٨. ويعود إلى حكم الحبر الأعظم، الذي وكلت إليه العناية بقطيع المسيح كله، أن يحدد، بحسب احتياجات الكنيسة المتغيرة على مدى الزمن، كيف ينبغي له أن يحول هذه العناية إلى فعل، إما شخصي وإما جماعي. ولتنسيق وتعزيز وتثبيت الممارسة الجماعية، يجري الحبر الأعظم وفق ما يراه مناسبًا نظرًا إلى خير الكنيسة.

٤٣٥٧ – ٤ – إن الحبر الأعظم، بحكم كونه الراعي الأعلى للكنيسة يستطيع، كما يرى، أن يمارس سلطته في كل وقت، وفق ما تقتضيه وظيفته نفسها. أما الهيئة، فَعَلى كونها موجودة دائمًا، فهي مع ذلك، لا تعمل باستمرار بفعل جماعي بالمعنى الدقيق، كما يتبين من التقليد الكنسي. وبكلام آخر، إنها ليست دائمًا «في حالة فعل كامل»، وأكثر من ذلك، إنها لا تقوم بفعل جماعي بالمعنى الدقيق، إلا من حين إلى آخر، ولا يتم ذلك من دون رضى الرأس. حتى لا يفكر بتبعية كما لغريب. فلفظة «رضى» تستثير بالعكس المشاركة بين الرأس والأعضاء، وتتضمّن ضرورة فعل هو من اختصاص الرأس. وهذا ما قيل صراحة في الرقم ٢/٢٢، وشرح في المكان عينه، نحو النهاية. وصيغة النفي «لا يتم بدون» تتضمن كل الحالات. وينتج من ذلك جليًا أن «القواعد» التي تثبتها السلطة العليا يجب أن تحفظ دائمًا. الاقتراح ٨٤.

٤٣٥٨ – ويظهر من هذا كله أن الأمر يتعلق باتحاد وثيق بين الأساقفة ورأسهم، وليس على الإطلاق بعمل الأساقفة وهم مستقلون عن البابا. في هذه الحالة، يفقد عمل الرأس، ولا يستطيع الأساقفة أن يعملوا كهيئة، كما يتبين من مفهوم «هيئة». وهذه المشاركة التراتبية بين جميع الأساقفة والحبر الروماني هي بكل تأكيد عادية في التقليد.

٤٣٥٩ – ملاحظة: من دون هذه المشاركة التراتبية لا يمكن ممارسة الوظيفة الأسرارية الكيانية، التي يجب تمييزها من الوجه القانوني – الحقوقي. ولكن اللجنة رأت أن لا تدخل في مسائل الجواز والصحة، المتروكة لنقاش اللاهوتيين، خصوصاً في شأن السلطة التي يمارسها الشرقيون المنفصلون، والتي تختلف الآراء في شرحها.

٤٤٠٠ – تعليم المجمع المقدس "Piam constantem"، ٥ تموز ١٩٦٣

إحراق الأجساد

٤٤٠٠ – لقد أرادت الكنيسة دائمًا تشجيع عادة دفن أجساد المؤمنين، التقوية والثابتة، إما بدعمها بطقوس ملائمة غايتها إظهار معنى الدفن الرمزي والديني

بأجلى وضوح، وإما بتهديد من كانوا يقاومون تلك الممارسة بالعقوبات القانونية. وهذا ما فعلته الكنيسة خصوصاً عندما كانت المقاومة تستوحي روحانية معادية للعوائد المسيحية والتقليد الكنسي، متأتّية من أولئك الذين انطلقوا من ذهنية البدَع، فسعوا إلى إبدال الدفن بالإحراق، دلالة على إنكار عنيف للعقائد المسيحية، ولاسيّما عقيدة قيامة الموتى وخلود النفس البشرية.

من الواضح أن هذا الموقف كان أمرًا ذاتيًا، ملازمًا لروحانية مؤيدي الإحراق، ولكنه غير مرتبط موضوعيًا بالإحراق ذاته. فكما أن إحراق الجسد لا يمسّ النفس ولا يمنع قدرة الله من إعادة الجسد، كذلك هو لا يتضمّن بحدّ ذاته إنكارًا موضوعيًا لتلك العقائد.

فالأمر ليس سيئًا بحدّ ذاته أو مخالفًا بذاته للديانة المسيحية. والكنيسة رأت ذلك دائمًا هكذا. فهي لم تعارض ولا تعارض الإحراق، في بعض الحالات، عندما كان يثبت أو يثبت الآن أن إحراق الأجساد يتمّ بضمير صالح ولأسباب جدّية تتعلّق خصوصاً بالنظام العام.

إن تحسّن هذه الذهنية، وتكرار الظروف المتكاثرة يومًا بعد يوم، والتي تحول دون الدفن، يشرحان وفرة الطلبات الموجّهة إلى الكرسي الرسولي لتليين القاعدة الكنسية المرتبطة بإحراق الأجساد، وهو مطلوب اليوم أحيانًا كثيرة، لا بغضاً للكنيسة أو الممارسات المسيحية ولكن فقط لأسباب صحّية أو اقتصادية، أو غيرها، تتعلّق بالنظام العام أو الخاص.

إن الكنيسة الأم المقدسة، ترى من واجبها قبول هذه الطلبات بالرضى – لأنها وإن كان اهتمامها المباشر بخير المؤمنين الروحي، فهي أيضاً تنظر إلى ضرورات أخرى – وتقرّر ما يلي:

١ – الإبقاء بأمانة على السهر بعناية على عادة دفن أجساد المؤمنين الراقدين. لذلك يسهر الرؤساء الكنسيون، بتعليمات وتنبيهات مناسبة، على أن لا يمارس الشعب المسيحي الإحراق، ولا يتخلّى عن الدفن، إلا إذا أرغمته الضرورة.

٢ – مع ذلك، تلافيًا لازدياد الصعوبات المتأتية من الظروف الراهنة أكثر من اللزوم، وتكثير حالات التفسيح من القوانين النافذة في هذا الشأن، بدا لنا من

الأكثر ملاءمة، أن ندخل بعض الليونة في ما يفرضه الحق القانوني في شأن الإحراق، بحيث إن فرائض القانونين ١٢٠٣/٢ (المنع من تنفيذ أمر إحراق)، ١٢٤٠/١/٥ (رفض الجنازة الكنسية لمن طلبوا أن تحرق أجسادهم) لم تعد ملزمة في كل الأحوال، ولكن فقط عندما يثبت أن الإحراق قد اختير بسبب إنكار العقائد المسيحية، أو بروحية البدَع، أو عن بغض للديانة الكاثوليكية وللكنيسة.

٣ – ويستتبع ذلك أيضاً أن لا يُمنع من اختاروا إحراق أجسادهم بسبب ذلك، من الأسرار والصلوات العلنية، ما لم يتبيّن أن هذا الاختيار تمّ للأسباب المذكورة آنفًا، المخالفة للحياة المسيحية.

٤ – وتلافيًا لإضعاف تمسّك المؤمنين بالتقليد الكنسي، ولكي يظهر بوضوح أن الكنيسة غريبة عن الإحراق، لا يمكن أبدًا أن تقام طقوس الجنازة الكنسية والصلوات التي تليها في مكان الإحراق نفسه، ولا حتى عند مرافقة نقل الجسد فحسب.

٤٤٠٢ – ٤٤٠٧ – تعليم لجنة الكتاب المقدّس الحبرية "Sancta mater ecclesia"، ٢١ نيسان ١٩٦٤

حقيقة الأناجيل التاريخية

٤٤٠٢ – ١ – ... على [المفسّر الكاثوليكي] أن يتبع قواعد التأويل العقلية والكاثوليكية، لكي يضع في ضوء كامل حقيقة الأناجيل وسلطتها غير الفانية، فيستخدم بعناية ما تهيّأ للتفسير من وسائل جديدة، وعلى الخصوص ما تقدّمه الطريقة التاريخية بمُجملها. فهذه تفحص بعناية المصادر، وتحدّد طبيعتها وقيمتها. وتستعمل مكتسبات نقد النصوص، والنقد الأدبي، ومعرفة اللغات.

وعلى المترجم أن يتبع ما ينبّه إليه بيوس الثاني عشر، السعيد الذكر، الذي يوعز إليه «أن يبحث بفطنة... عمّا يأتي به أسلوب التعبير، أو الفنّ الأدبي، الذي استعمله الكاتب المقدس، لترجمة صحيحة ودقيقة، وأن يوقن بأنه لا يستطيع إهمال هذا الجزء من مهمّته دون أذى كبير للتفسير الكاثوليكي»...

وعلى المفسر أخيرًا أن يستعين بكل الوسائل القادرة على أن تدخله بعمق أكثر في طبيعة شهادة الأناجيل، وحياة الكنائس الأولى الدينية، ومعنى التقليد الرسولي وقيمته.

٤٤٠٣ – وعندما يكون هناك حالة، يستطيع فيها المترجم البحث عن العناصر السليمة الملازمة «لطريقة تاريخ الأشكال»، فيمكنه الاستفادة منها ليدرك الأناجيل إدراكًا أتمّ. ولكن عليه أن يكون حذرًا، لأنه كثيرًا ما تظهر مبادئ فلسفية ولاهوتية مختلطة بهذه الطريقة، لا يمكن قبولها، وليس من النادر أن تحرِّف الطريقةَ كما النتائج في المجال الأدبي.

فبعض متبّعي هذه الطريقة، المخدوعين بمُسلَّمات عقلانية، يرفضون قبول وجود نظام فائق الطبيعة، وتدخّل إله شخصيّ في العالم بصورة وحي بالمعنى الصحيح، ووجود وإمكانية المعجزات والنبؤات.

وغيرهم ينطلقون من مفهوم خاطئ للإيمان، كما لو أن هذا لا يهتمّ بالحقيقة التاريخية، بل لا يستطيع التوافق معها. وغيرهم ينكرون كما عن فكر قَبْلي، القيمة والخاصة التاريخية لوثائق الوحي.

وغيرهم أخيرًا يزدرون سلطة الرسل كشهود للمسيح، ومهمّتهم وتأثيرهم في الجماعة المسيحية، فيقدّمون عليهم قدرة تلك الجماعة الخلاقة.

٤٤٠٤ – ٢ – لكي تكون النظرة إلى رسوخ ما نُقل في الأناجيل صائبة، على المترجم أن ينظر بانتباه إلى مراحل التقليد الثلاث التي بلغت بها إلينا عقيدة المسيح وحياته.

إن المسيح الرب ضمّ إليه تلاميذ اصطفاهم [ر مر ٣ : ١٤؛ لو ٦ : ١٣] وتبعوه منذ البدء [ر لو ١ : ٢؛ أع ١ : ٢١ – ٢٢] ورأوا أعماله وسمعوا أقواله، واستطاعوا هكذا أن يكونوا شهودًا لحياته ولعقيدته [ر لو ٢٤ : ٤٨؛ يو ١٥ : ٢٧؛ أع ١ : ٨؛ ١٠ : ٣٩؛ ١٣ : ٣١].

عندما كان الرب يعلم العقيدة مشافهة كان يتّبع أسلوب تفكير وتعبير خاص بزمانه، متلائمًا هكذا وروحية سامعية، وعاملاً على أن ينطبع تعليمه بقوة في

الذهن، وأن يحفظه الرسل بسهولة في ذاكرتهم. وهؤلاء فهموا جيدًا المعجزات والأحداث الأخرى في حياة يسوع كوقائع أجريت ونُسِّقت بحيث تكون سبيلاً ليؤمن الناس بالمسيح ويعتنقوا في الإيمان عقيدة الخلاص.

٤٤٠٥ – أعلن الرسل أولاً موت الرب وقيامته شاهدين ليسوع [ر لو ٢٤: ٤٤ – ٤٨؛ أع ٢: ٣٢؛ ٣: ١٥؛ ٥: ٣٠ – ٣٢] وعرضوا بأمانة حياته وأقواله [ر أع ١٠: ٣٦ – ٤١] آخذين بالحسبان في طريقة وعظهم الأحوال التي كان فيها السامعون [ر أع ١٣: ١٦ – ٤١؛ ١٧: ٢٢ – ٣١].

بعد أن أقيم يسوع من بين الأموات واعتُرِف بوضوح بألوهيّته [أع ٢: ٣٦؛ يو ٢٠: ٢٨] لم يمحُ الإيمان ذكرى ما جرى، بل، بالعكس ثبّته، إذ كان الإيمان يعتمد على ما عمل يسوع وعلّم [أع ٢: ٢٢؛ ١٠: ٣٧ – ٣٩]. والعبادة التي أدّاها التلاميذ منذئذ ليسوع كربّ وابن الله، لم تحوّله كذلك إلى شخص «أسطوري» ولم تشوّه تعليمه.

ومع ذلك، ليس هناك سبب لإنكار أن ما قاله الرب وعمله حقيقة قد نقله الرسل إلى المستمعين بذلك الوعي الأتمّ الذي تمتّعوا به هم أنفسهم بعد أن علمتهم أحداث المسيح المجيدة، وبعد أن علّمهم نور روح الحقّ [يو ٢: ٢٢؛ ١٢: ١٦؛ ر ١١: ٥١ – ٥٢؛ ١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٢ – ١٣؛ ٧: ٣٩]. من هنا يأتي أن الرسل شرحوا هم أيضاً أقوال وأفعال الرب وفق ما تقتضيه احتياجات السامعين، مثلما كان يسوع نفسه «يشرح» لهم [لو ٢٤: ٢٧] بعد القيامة.

كانوا «وهم مواظبون على الصلاة وخدمة الكلمة» [أع ٦: ٤] يعظون بأساليب مختلفة من التعبير، تتناسب وغايتهم ومدارك المستمعين، إذ كانوا ملتزمين «باليونانيين والبرابرة، بالحكماء والجهال» [رو ١: ١٤؛ ر ١ كو ٩: ١٩ – ٢٣].

ولا بدّ من تمييز وفحص أساليب التعبير تلك، التي بها كان الوعّاظ يبشرون بالمسيح: التعاليم الدينية، والروايات، والشهادات، والترانيم، والتسابيح، والصلوات، وغيرها من الفنون الأدبية المشابهة التي كان استعمالها دارجًا في الكتاب المقدس وعند الناس في ذلك الزمن.

٤٤٠٦ – هذا التعليم الأوّلي، الذي نُقل في بادئ الأمر، شفويًا ثم كتابة – إذا لم يلبث كثيرون أن أخذوا في «إنشاء رواية للأحداث» [ر لو ١ : ١] المتّصلة بالرب – سجّله الكتاب المقدسون في أربعة أناجيل، لخير الكنائس، وفق طريقة تتلاءم والغاية الخاصة التي كان يقصدها كل واحد منهم.

فبذلوا كل الجهد، باختيار بعض الأمور من وفرة ما كان منقولاً، واختصار بعضها، وشرح بعضها آخذين بالحسبان حالة الكنائس، لكي يتمكن القرّاء من أن يعرفوا جيّدًا قوّة الكلام الذي وُعظوا به [ر لو ١ : ٤]. فالكتاب القدّيسون آثروا أن يختاروا، ممّا كان بين أيديهم، ما يتلاءم وأحوال المؤمنين المختلفة، والغاية التي كانوا يرومونها، ورووه بالطريقة التي تناسب تلك الأحوال وتلك الغاية.

ولكن بما أن معنى المنطوق يتعلق أيضاً بالطريقة التي تتتابع بها الأمور، فقد روى الإنجيليون أقوال المخلص وأفعاله، احيانًا في قرينة، وأحيانًا في قرينة أخرى، وشرحوها لفائدة القراء.

لذلك على المفسر أن يبحث عما نواه الإنجيلي عندما يروي كلمة أو حدثًا، بطريقة ما، أو يضعها في قرينة ما. ولا ضير لحقيقة الرواية بسبب نقل الإنجيليون لأقوال الرب وأفعاله في سياق مختلف، وتعبيرهم عن أقواله لا بطريقة حرفية ولكن بطرائق متنوعة مع حفظ المعنى...

٤٤٠٧ – فإذا لم يُعر المفسّر انتباهًا لكل ما يتعلّق بأصل الأناجيل وتأليفها، وإذا لم يستعمل كما يجب جميع المعطيات الصحيحة التي توفّرها الأبحاث الحديثة، فهو لا يضطلع بمهمّته التي تقوم على اكتشاف ما أراد الكتّاب القديسون أن يقولوه وما قالوه بالفعل...

ويبقى الكثير والخطير جدًّا من المعطيات، في سبيل الفحص والشرح، التي للمفسّر الكاثوليكي بل عليه أن يمارس إزاءها بحريّة حذاقته وحصافته، حتى يساهم كل واحد بمقدار ما يستطيع في خير الجميع، وفي تقدّم يزداد يومًا بعد يوم للعقيدة المقدسة، وفي تهيئة ثم في مساندة حكم سلطة الكنيسة التعليمية، وفي الدفاع عن الكنيسة وإعزازها.

٤٤١٠ – ٤٤١٣ – الرسالة العامة "Mysterium Fidei"، ٣ أيلول ١٩٦٥

آراء خاطئة في ما يتعلّق بالإفخارستيّا

٤٤١٠ – نحن نعلم، في الواقع، أنّ بين الذين يتكلّمون أو يكتبون عن سرّ [الإفخارستيّا] هذا المقدّس جدًّا، مَن يبثّون عن القدّاسات المقامة فرديًّا وعن عقيدة تحوّل [الخبز والخمر] وإكرام الإفخارستيّا، آراءً تضطرب منها قلوب المؤمنين وتختلط من جرّائها عقولهم اختلاطاً كبيرًا في ما يتعلّق بحقائق الإيمان، كما لو كان يحلو لكلِّ امرئ أن يُنسي التعليم الذي حدّدته الكنيسة في السابق أو يؤوّله تأويلاً يضعف معنى التعابير الحقيقيّ أو قوّة المفاهيم المختبرة.

٤٤١١ – نثبت ذلك بالمثل: فإنّه من غير اللائق أن نبيّن القدّاس المدعوّ «الجماعيّ» بحيث نحطّ من قيمة القدّاسات التي يُحتفل بها فرديًّا؛ أو أن نلحّ على ناحية العلامة السريّة كما لو كانت الرمزيّة، التي لا يرتاب أحد في وجودها في الإفخارستيّا المقدّسة جدًّا، تُعبّر أدقّ تعبير عن شكل حضور المسيح في هذا السرّ؛ أو أن نتناول سرّ التحوّل من دون ذكرٍ للتحوّل العجيب الذي [تتحوّله] مادّة الخبز إلى جسد المسيح، وكلّ مادّة الخمر إلى دم المسيح، والذي يتكلّم عنه المجمع التريدنتيني [راجع رقم ١٦٤٢]، بحيث يكون هذا التحوّل ما يسمّونه «تحوّل المعنى» و«تحوّل الغاية»؛ أو أخيرًا أن نعرض ونتبع بالممارسة الرأي القائل بأنّ سيّدنا يسوع المسيح لا يعود حاضرًا في القربان المقدّس المتبقّي بعد الاحتفال بذبيحة القدّاس.

حضور المسيح الجوهريّ في الإفخارستيّا

٤٤١٢ – إنّ حضور [المسيح في سرّ الإفخارستيّا] لا يدعى «حقيقيًّا»، بحيث يستثني ما سواه، وكما لو كان ما سواه غير «حقيقيّ»، بل [يدعى حضورًا] مميّزًا لأنّه جوهريّ ولأنّ المسيح، الإله والإنسان، يصبح به حاضرًا كلُّه بلا نقصان[1].

وإنّه إذن لمن الخطأ، في تفسير هذا النوع من الحضور، أن تُنسب لجسد المسيح

(١) راجع المجمع التريدنتيني، القرار عن سرّ الإفخارستيّا، الفصل ٣ (رقم ١٦٤١).

الممجَّد طبيعة تدعى «روحانيّة»، حاضرة في كلّ مكان، أو أن نحدّ [هذا الحضور] بحدود الرمزيّة، كما لو أنّ هذا السرّ الجزيل الاحترام ليس سوى علامة فاعلة «على حضور المسيح الروحيّ واتّحاده الحميم بالمؤمنين الأعضاء في الجسد السرّي»[٢].

حضور المسيح بعد التقديس

٤٤١٣ – بعد إتمام التحوّل، يحصل شكلا الخبز والخمر، من دون ريب، على معنى جديد وغاية جديدة، إذ لا يعودان خبزًا عاديًّا ومشربًا عاديًّا، بل علامة على شيء مقدّس وعلامة على غذاء روحيّ؛ ويحصلان على هذين المعنى والغاية الجديدين من كونهما يحتويان على «حقيقة» جديدة تدعى عن حقٍّ أنطولوجيّة. في الواقع لم يعد مُخبَأً تحت هذين الشكلين ما كان قبلاً، بل شيء مختلف جدًّا، وذلك ليس فقط في نظر إيمان الكنيسة بل بالفعل؛ فإنّه بعد تحوّل جوهر أو طبيعة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، لا يبقى من الخبز والخمر شيء سوى شكليهما فقط؛ والمسيح حاضر تحتهما كاملاً بلا نقصان في «حقيقته» الفيزيائيّة بل الجسديّة، ولو بطريقة مختلفة عن الطريقة التي تكون فيها الأجساد حاضرة.

٤٤٢٠ – ٤٤٢٥ – خطاب في الجلسة العمومية للأمم المتحدة في نيويورك، ٤ تشرين الأوّل ١٩٦٥

معنى اللقاء التاريخي

٤٤٢٠ – انّا حاملوا رسالة إلى البشرية بأسرها. ونحمل هذه الرسالة لا باسمنا الشخصي وباسم الأسرة الكاثوليكية الكبيرة لا غير، بل باسم اخوة مسيحيين أيضاً يشتركون معنا في الاحاسيس التي نعبّر عنها هنا، وخصوصاً باسم الذين شاءوا، برغبة صريحة، ان نكون ترجمانهم. وكالرسول الذي، بعد سفر طويل، يسلم الرسالة التي ائتمن عليها، هكذا نحن نشعر في هذه اللحظة المحظيّة – مهما كانت قصيرة. ففيها تتحقق أمنيّة كنا نحملها في القلب منذ نحو عشرين قرنًا. فنحن في الطريق منذ أمد

(٢) البابا بيوس الثاني عشر، الرسالة «الجنس البشريّ» (AAS 42 [1950], 578).

طويل، ونحمل تاريخًا مديدًا؛ وههنا يقف بنا المطاف الشاق في التماس الحوار مع العالم كله، منذ ذاك اليوم الذي أُمرنا فيه بان «اذهبوا وبشروا جميع الأمم»: وانتم تمثلون جميع الأمم.

٤٤٢١ – واسمحوا لنا بان نعلن لكم ان لكم معنا رسالة نسلمها إلى كل واحد منكم:

١ – انها أولاً تأييد معنوي رسمي لهذه المؤسسة العالية؛ وهي ثمرة خبرتنا التاريخية. فاننا «كخبير في الانسانية» نحمل إلى هذه المنظمة رضى اسلافنا الأخيرين، ورضى الهيئة الأسقفية الكاثوليكية بأجمعها، ورضانا، مقتنعين ان هذه المنظمة هي السبيل التي لا بد منها للحضارة العصرية والسلام العالمي...

تحقيق السلام

٤٤٢٢ – ... السلام، وانتم عالمون بذلك، لا يبنى بطريق المفاوضة وتوازن القوى والمصالح لا غير؛ وانما يبنى بطريق العقل والرأي وأعمال السلام. انكم دائبون على هذا العمل العظيم ولكنكم لا تزالون في بدء اتعابكم. فهل يكون في وسع العالم يومًا ان يبدّل ذهنية النفعية. والحرب التي نسجت حتى الآن جزءًا كبيرًا جدًا من تاريخه؟ انه لمن الصعب ان نعرف. وانما من السهل ان نؤكد واجب السير بعزم في اتجاه التاريخ الجديد، التاريخ السلامي، التاريخ الذي سيكون حقًا وتمامًا انسانيًا، ذلك السلام الذي وعد الله به الناس ذوي الارادة الطيبة. وان السبل إليه مفتوحة أمامكم، وأولاها سبيل نزع السلاح.

٤٤٢٣ – فان شئتم ان تكونوا اخوة فدعوا السلاح يتساقط من أيديكم، إذ لا سبيل إلى المحبة والسلاح الهجومي بالايدي. ان السلاح، ولا سيّما السلاح الرهيب الذي مكنكم العلم الحديث منه، يلد في الناس، قبل ان يعبث ويعيث قتلاً وتخريبًا، احلامًا خبيثة، ويغذي فيها أحاسيس الشؤم، ويخلق الكوابيس والتحاذر والمقاصد القاتمة انه يستلزم النفقات الطائلة؛ ويحول دون مشاريع التماسك والعمل المجدي، ويفسد سيكولوجية الشعوب...

٤٤٢٤ – ... ان الدعوة توجّه اليوم الى ضمير الانسان الأدبي ما كانت قط ملحّة

كإلحاحها في هذا العصر الزاهر بمثل هذا الرقي البشري؛ ذلك بان الخطر لا يأتي من الرقي، ولا من العلم لأنها إذا حسن استعمالها يحلاّن الكثير من المعضلات الخطيرة التي تجتاح البشرية؛ وانما الخطر الحقيقي يكمن في الانسان الذي بيده ادوات تتضاعف قوّتها على الدوام، ومن شأنها إمّا الدمار وإمّا اسمى الفتوحات.

٤٤٢٥ – وقصارى القول ان صرح المدنية المعاصرة يجب ان يشاد على مبادئ روحية، فهي وحدها تستطيع ان تدعمه وان تنيره وتحييه. وهذه المبادئ التي بدّ منها لا يمكن ان تقوم – وهو اقتناعنا كما تعلمون – الا على الإيمان بالله؛ الله المجهول الذي كان بولس الرسول يكلم الاثينيين عنه على الاريوباغُس؛ المجهول من أولئك الذين كانوا، بدافع لا شعوري، يطلبونه وهو بالقرب منهم، كما يحدث لكثير من الناس في هذا القرن... اما بالنسبة إلينا، على كل حال، وبالنسبة إلى جميع الذين يقبلون ما اوحى به المسيح عنه، فهو الله الحيّ، والأب لجميع الناس

٤٤٣٠ – ٤٤٣٥ – نص البيان المشترك الصادر عن البابا بولس السادس والبطريرك القسطنطيني أثيناغوراس الأوّل، ٧ كانون الأوّل ١٩٦٥

١) ان البابا بولس السادس والبطريرك أثيناغوراس الأول، فيما يشعران شعورًا بالغًا بالشكر لله على النعمة التي، برحمته، منّ بها عليهما، فالتقيا التقاء أخويًا في الأماكن المقدسة حيث تم، بموت الرب يسوع وقيامته، سر خلاصنا، وبافاضة الروح القدس ميلاد الكنيسة، لم يغب عنهما القصد الذي قصداه منذئذ، كل من جهته، ألا يتركا، من بعد، شيئًا من التصرفات التي توحي بها المحبة والتي من شأنها ان تنمي العلاقات الاخوية التي بدأت على هذا النحو بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وكنيسة القسطنطينية الارثوذكسية، إلا فعلاه. وانهما موقنان انهما بذلك يستجيبان لنداء النعمة الإلهية التي تحدو اليوم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والكنيسة الارثوذكسية وسائر المسيحيين أيضاً، على تذليل خلافاتهم، لكي يكونوا من جديد «واحدًا»، كما طلب لهم يسوع الرب من أبيه.

٢) وبين العقبات القائمة في طريق نمو هذه العلاقات الاخوية، علاقات الثقة والتقدير، تبرز ذكرى القرارات والأعمال والأحداث المؤلمة، التي أفضت، سنة ١٠٥٤، إلى الحرم الذي أطلقه، على البطريرك كيرولاريوس وشخصيتين أخريين، مندوبو الكرسي الروماني بقيادة الكردينال همبرتو، والحرم الذي أطلقه عليهم بعدئذ البطريرك والسينودس القسطنطيني.

٣) ولكن، إذ يحكم اليوم في أمرها حكمًا أكثر صفاء وانصافًا، ينبغي الاعتراف بالافراط الذي وصمها وجر من بعد عواقب تتعدى، بقدر ما نستطيع الحكم فيها، حدود النيات عند أصحابها الذين انحصرت عقوباتهم في الأشخاص المقصودين فما تخطتهم إلى الكنائس، ولم يقصدوا إلى قطع الشركة الكنسية بين كرسيي رومة والقسطنطينية.

٤٤٣٠ — ٤) من أجل ذلك فان البابا بولس السادس، والبطريرك اثيناغوراس الأول في سينودسه، وكلاهما على يقين من انهما يعبران عما عند مؤمنيهما من رغبة العدالة الشاملة وعاطفة المحبة الجامعة، متذكرين وصية الرب: «عندما تقرب قربانك على المذبح فاذا تذكرت هناك ان لأخيك عليك شيئًا، فدع هناك قربانك أمام المذبح، واذهب أولاً وصالح أخاك» (متى ٥:٢٣ — ٢٤)، يصرحان باتفاق مشترك انهما:

٤٤٣١ — ١ — يأسفان للأقوال المهينة، والتهم التي لا أساس لها، والتصرفات التي تستوجب اللوم التي وقعت من كلا الطرفين، ودمغت أحداث ذلك العصر السوداء، أو رافقتها.

٤٤٣٢ — ٢ — ويأسفان أيضاً لاحكام الحرم التي عقبتها والتي لا يزال ذكرها حتى أيامنا هذه، عقبة في طريق التقارب في المحبة، ويلغيان تلك الاحكام، ويحكمان عليها بالنسيان.

٤٤٣٣ — ٣ — ويأسفان أخيرًا للسوابق المحزنة والأحداث اللاحقة التي، بتأثير عوامل مختلفة، منها عدم التفهم وعدم الثقة المتبادلة، أدت في النهاية إلى الانشقاق الفعلي في الشركة الكنسية.

٤٤٣٤ — ٥) ويعي البابا بولس السادس والبطريرك اثيناغوراس الأول وسنودسه، ان ما يقومان به من فعل عدل وصفح متبادل لا يمكن ان يكفي لازالة الخلافات القديمة أو ما هو أحدث عهدًا، التي لا تنفك قائمة بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والكنيسة الارثوذكسية، والتي ستذلل، بفعل الروح القدس، بتنقية القلوب؛ والندامة على الاساءات التاريخية؛ والارادة الفعالة للوصول إلى فهم الإيمان الرسولي ومستلزماته، والتعبير عنه تعبيرًا مشتركًا.

٤٤٣٥ – ولكنها، إذ يقومان بهذا العمل يرجوان ان يكون مقبولاً عند الله الذي يبادر إلى الصفح لنا عندما نصفح بعضنا لبعض؛ وان يصادف تقديرًا في العالم المسيحي كله أجمع، وبخاصة في مجموع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والكنيسة الارثوذكسية، على انه تعبير عن الارادة الصادقة المتبادلة في المصالحة، وانه دعوة إلى المواصلة، في روح الثقة والاحترام والمحبة من كلا الطرفين، للحوار الذي يفضي بهم، بعون الله، إلى الحياة ثانية، لأجل خير النفوس الأعظم واتيان ملكوت الله، في ملء الشركة في الإيمان، والوفاق الأخوي، والحياة السرية، التي كانت قائمة بينها في خلال الألف الأول من حياة الكنيسة.

٤٤٤٠ – ٤٤٦٩ – الرسالة العامة "Populorum progressio"، ٢٦ أيار ١٩٦٧

ضرورة ترقي الشعوب

٤٤٤٠ – ١ – ان ترقي الشعوب، ولاسيّما التي تجهد للتملّص من براثن الجوع والبؤس، وسطوة الأمراض السارية، وتنشُد المزيد من الاشتراك في ثمار الحضارة، وتقييمًا أوفر إيجابيةً لصفاتها الانسانية، وتتوجّه بعزمٍ شطر تفتّحها الكامل، انّما تنظر الكنيسة إليه باهتمام بالغ. فانها، في عقب المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني، يضطرها وعيها المتجدّد لمستلزمات الدعوة الإنجيلية، ان تكون في خدمة الناس لتساعدهم على الاحاطة بجميع ابعاد هذه المعضلة الخطيرة، وتقنعهم بلجاجة الحاجة إلى العمل المتضافر، في هذا المنعطف الحاسم من تاريخ البشرية...

أَماني الناس

٤٤٤١ – ٦ – ان ما يطمح إليه الناس في يومنا هذا هو ان يتحرّروا من ربقة البؤس، ويحصلوا بوجه أضمن على اسباب المعيشة والصحّة والعمل المستقر؛ وان يُصيبوا من المسؤوليات حظًّا أوفر، وهم فيه بنجوة من كابوس الضغط وعبء الأوضاع المهينة لكرامتهم كبشر؛ وان يصيبوا من العلم نصيبًا أكبر. وبالاختصار: ان يعملوا أكثر، ويعرفوا أكثر، ويملكوا أكثر، لكي يكونوا أكثر (انسانيةً). ذلك

بان عددًا كبيرًا منهم محكوم عليهم بالحياة في أوضاع تُحيل هذه المطامح سرابًا؛ وان الشعوب الحديثة العهد بالاستقلال القومي تشعر، الى جانب هذه الحريّة السياسية، بالافتقار إلى النموّ الذاتي الكريم على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، لكي تكفل لمواطنيها تفتّحهم الانساني الكامل فيحتلّوا، في مجموعة الشعوب، المحلّ الذي من حقّهم.

خلل متصاعد في التوازن

٤٤٤٢ – ٨ – لا بدّ من الإقرار أيضاً بان هذا التجهيز، كما هو واضح، لا يكفي لمواجهة واقع الاقتصاد العصري العسير الذي إذا تُرك للعبته وحدها فقط فان آليّته تجرّ العالم إلى تفاقم التفاوت بين مستويات الحياة، لا إلى تلطيفه. ذلك بان الشعوب الغنية تتقدّم طفرًا فيما الشعوب الفقيرة تنمو ببطء، فيزيد بذلك عدم التوازن، لأن بعضها يُنتج من الغلال ما يفيض عنه وينقص غيره نقصانًا عسيرًا، ويهدّد صادراته بالانهيار وعدم الاستقرار.

٤٤٤٣ – ٩ – زد على ذلك ان رقعة الصراع الاجتماعي قد اتسعت على مقاييس العالم كله؛ والقلق الشديد، الذي سطا على الطبقات الفقيرة في كل بلد انتهج طريق التصنيع، يطغى الآن على البلدان التي يكاد يكون اقتصادها مقصورًا على الزراعة: فالفلاح بات يعي هو أيضاً ما هو عليه من بؤس جائر. وهناك أيضاً معثرة التباين الصارخ ليس من قبيل الاستمتاع بالخيرات فقط، بل خصوصاً من قبيل مزاولة السلطة. فلئن كان حكم الأقلية ينعم، في بعض المناطق، بحضارة مرهَفة فان بقية السكان، الفقراء المشتتين، «تكاد تكون محرومة من كل قدرة على المبادرة الشخصية والمسؤولية، بل قضي عليها في الغالب باوضاع حياتية وعملية لا تليق بالشخص البشري».

تصادم الحضارات

٤٤٤٤ – ١٠ – وعلاوة على ذلك فان التصادم بين الحضارات التالدة ومستحدثات التمدّن الصناعي يهدم البناءات التي لا تنطبق على الأوضاع الطارفة. فان إطارها المتصلّب، في بعض الأحيان، كان للحياة الفردية والعيلية الدعامة التي لا غناء لها

عنها، ولا يني الأقدمون متمسّكين بها فيما الشبّان يتملّصون منها كأنّما من عقبة غير ذات جدوى، ليتطلّعوا بجشع نحو صيغ الحياة الاجتماعية المستحدثَة. وهكذا يشتد التنازع المأسوي بين الجيلَين ويقضي بالأخذ بأحد الطرفين: فإمّا المحافظة على النُظم والمعتقدات التليدة، ولكن مع التخلّي عن التقدّم؛ وإمّا الانفتاح على التقنيّات والمدنيات الآتية من الخارج، ولكن مع اطّراح تقاليد الماضي وكلّ غناها الإنسانيّ. والواقع أنّ دعامات الماضي الأدبية والروحية والدينية تلين وتنثني أحياناً كثيرة، ولكن بدون ان يكون دخولها العالم الجديد مكفولاً.

النموّ الكامل

٤٤٤٥ – ١٣ – بيد انه، بعد اليوم، لن تكفي المبادرات المحلية والفردية. فحالة العالم الحاضرة تقتضي عملاً جماعيًّا ينطلق من الرؤية الصافية لجميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية. والكنيسة، وهي الخبيرة في الشؤون الانسانية، وليست تدّعي التدخل بتاتاً في سياسة الدول، «لا تهدف الاّ إلى غرض واحد: ان تواصل، بدفع من الروح المعزّي، عمل المسيح بالذات الذي انما جاء إلى العالم لكي يشهد للحقيقة [ر. يو ١٨ : ٣٧] ولكي يخلّص لا ليدين؛ ولكي يخدُم لا ليُخدمَ» [يو ٣ : ١٧؛ مت ٢٠ : ٢٨؛ مر ١٠ : ٤٥...].

٤٤٤٦ – ١٤ – لا ينحصر الترقّي في مجرّد النموّ الاقتصادي؛ فلكي يكون صحيحًا يجب ان يكون كاملاً، أي ان يشمل كل انسان، والانسان كله.

نحو وضع أكثر انسانية

٤٤٤٧ – ٢٠ – وإذا كان السعي إلى التقدّم يستلزم عددًا متزايدًا من التقنيين فانه يستلزم أيضاً من الحكماء وأهل الرأي الأصيل عددًا أوفر لتحقيق أنسنة جديدة تتيح، لانسان اليوم، ان يجد نفسه ثانيةً باعتصامه بقيم الحب والصداقة والصلاة والتأمل العليا. وهكذا يتهيّأ للترقي الحقيقي – وهو، لكل واحد وللمجموع كله، العبور من أوضاع أقلّ انسانيةً إلى أوضاع أكثر انسانية – ان يتحقق بملئه.

الغاية العامة لخيرات الأرض

٤٤٤٨ – ٢٢ –ألا «فاملأوا الأرض وأخضعوها»، ذلك قول الكتاب الذي يعلّمنا، منذ صفحته الأولى، ان الخليقة كلها للإنسان؛ وان على الإنسان ان يبذل جهد ذكائه في استثمارها؛ وان يستكملها بعمله في سبيل خدمته. ولمّا كانت الارض قد صُنعت لتوفّر لكل من الناس أسباب المعيشة ووسائل الترقيّ، كان لكل انسان الحق بان يجد فيها ما هو ضروري له. وقد ذكّر المجمع بذلك، أخيرًا: «ان الله قد أعدّ الأرض وكل ما فيها لخدمة جميع الناس وكل الشعوب؛ ومن ثم يجب على خيرات الخلق ان تصبّ بإنصاف بين أيدي الجميع، بمقتضى سُنّة العدل الذي لا ينفصم عن المحبة»، والذي له تخضع جميع الحقوق الأخرى، بما فيها حق الملكية وحريّة التجارة؛ فيجب اذن ألاّ تعيق تحقيقه بل تسهّله، وان تُرَدّ هي – وهو واجب اجتماعي خطير ملحّ – إلى غائيّتها الأولى

الملكية

٤٤٤٩ – ٢٣ – ان آباء الكنيسة يعلّمون هم أيضاً أن الملكية الخاصة لا تولي أحدًا حقًّا غير مشروط، مطلقًا. إذ ليس لأحد ما يبرّر احتفاظه لنفسه بما يفيض عن حاجته، عندما يكون الآخرون يعوزهم الضروري.

التصرّف في الدخل

٤٤٥٠ – ٢٤ – فالمصلحة العامة تقضي اذن، في بعض الأحيان، بانتزاع الملكية إذا كان بعض الاملاك، لاتّساعها وضآلة استثمارها أو انعدامه، وبسبب البؤس الناجم عنها للسكان، والضرر الكبير اللاحق بمصالح البلاد، يقوم عقبةً في سبيل الازدهار العام. ذلك ما أكّده المجمع بصراحة؛ وذكّر أيضاً، بما لا يقل عنه وضوحًا، بان الدخل الفائض ليس أمره متروكًا لهوى الناس بلا قيد، وان النظريات النابعة من الأنانية وحب الذات يجب اقصاؤها. ومن ثم لا يجوز للمواطنين الذين ينعمون بدخل وافر، ناتج من الموارد القومية والنشاط الوطني، ان ينقلوا منه قسمًا كبيرًا إلى الخارج بغاية المنفعة الذاتية وحدها، وعلى غير اهتمام منهم للضرر الراهن الذي يلحقونه بأوطانهم.

الرأسمالية الحرّة

٤٤٥١ – ٢٦ – وانما هناك، لسوء الحظ، مذهب أُرسي بنيانه على هذه الأوضاع الجديدة للمجتمع. فهو يرى في الربح العلّة الجوهرية للتقدّم الاقتصادي؛ وفي المضاربة السنّة العليا في الاقتصاد؛ وفي الملكية الخاصّة لوسائل الانتاج حقًّا مطلقًا لا يحدّه حدّ، ولا تقابله التزامات اجتماعية. فهذا المذهب الحرّ المنفلت أدّى إلى الدكتتورية التي شهّرها، بحقّ، بيوس الحادي عشر على انها تولّد «امبريالية المال الدولية».

خطر النزوع الى العنف

٤٤٥٢ – ٣٠ – وان هناك أوضاعًا يصرخ جورها في اذن السماء. فعندما تكون شعوب بأكملها محرومة ممّا هو ضروري، وتعيش في قيودِ تبعية تمنعها من كل مبادرة ومسؤولية، ومن كل امكانية ارتقاء ثقافي واشتراك في الحياة الاجتماعية والسياسية، فان خطر الانزلاق في العنف، لردّ مثل هذه الغضاضة اللاحقة بالكرامة الانسانية، يكون كبيرًا.

٤٤٥٣ – ٣١ – مع العلم بان العصيان الثوري – إلا في حال الطغيان الراهن المتمادي، الذي يسيء إلى حقوق الشخص الأساسية اساءة خطيرة، وتنجم عنه لمصلحة البلاد العامّة اضرار فادحة – انّما يجرّ معه مظالم جديدة، ويُدخل انواعًا جديدة من عدم التوازن، ويركم الخراب فوق الخراب. فإنه لا يجوز قمع الشرّ الراهن بما يؤول إلى شرّ أفدح.

تخطيط ومنهج

٤٤٥٤ – ٣٣ – إنه لا قِبَل للمبادرة الفردية وحدها، ولا للعبة المنافسة وحدها بأن تكفلا نجاح الرقي. ولا ينبغي التعرّض لخطر المزيد في ثراء الأثرياء وقوة الأقوياء بتكريس بؤس الفقراء، وتمكين عبودية المرهقين. من أجل ذلك لا بد من مناهج من شأنها أن «تشجع وتحفز، وتعاطف وتسند وتكمل» عمل الأفراد والهيئات المتوسطة وللسلطات العامة أن تختار، بل أن تفرض، الأغراض التي يجب

استهدافها، والغايات التي يجب بلوغها، والوسائل التي توصل إليها. وعليها ان تحفز جميع القوى، بعد تجمّعها، في هذا العمل المشترك. و إنما عليها أيضاً أن تستقطب حول هذا العمل جميع المبادرات الفردية والهيئات المتوسطة، فتتجنب بذلك خطر التأميم المطلق، والتخطيط التعسّفي – وكلاهما انكار للحرية، وحائل من ثم دون ممارسة الشخص البشري حقوقه الأساسية.

تنامي السكان

٤٤٥٥ – ٣٧ – وكثيرًا ما يضيف تنامي السكان السريع مشكلاته إلى معضلات الترقّي. ذلك بأن تكاثف السكان أسرع من تزايد الموارد الحاصلة. فيبدو إذ ذاك أننا في مأزق حرج لا مخرج منه، ونتعرّض بيُسر كثير للحد من التنامي الديمغرافي بوسائل جذرية. إنه من حق السلطات العامة، ولا شك، أن تتدخل، في حدود صلاحياتها، بمزيد من التوجيه الملائم، وباستخدام الوسائل الموافقة بشرط أن تتفق مع مطالب الشريعة الأدبية، وتحترم حرية الزوجين العادلة. فإنه بدون ضمان حق الزواج والإنجاب، وهو حق ثابت لا يقبل النسخ، لا تكون البتة كرامةٌ انسانية. إنه من صلاحية الوالدين، في النهاية، أن يحكموا، بتمام المعرفة وكامل الوعي، في أمر عدد الأولاد، حاملين مسؤولياتهم أمام الله، وأمام أنفسهم، وأمام من أنجبوا من أولاد، وأمام الجماعة التي ينتمون إليها، وذلك بمقتضى مطالب الضمير مستنيرًا بنور شريعة الله المفسّرة تفسيرًا صحيحًا وتسندها الثقة بالله.

نحو أنسنة كاملة

٤٤٥٦ – ٤١ – فمن ثم يجب على الشعوب النامية، في ما يُعرَض عليها، أن تحسن الاختيار: تغربله بالنقد، فتنبذ الخيور الكاذبة التي تفضي بالإنسان إلى امتهان المثال الإنساني الأعلى، وتأخذ بالقيم السليمة الخيّرة لتنميها، مع ما عندها منها، وفقًا لفطرتها الخاصة.

النتيجة

٤٤٥٧ – ٤٢ – فإن ما يجب السعي إليه هو الأنسنة الكاملة. وهل يعني هذا إلا التنمية الكاملة للإنسان كله، والناس كلهم أجمعين. إن أنسنةً مغلقة، مقفلة من دون قيم الروح ومن دون الله الذي هو مصدرها، قد يُكتب لها النصر ظاهرًا.

أخوّة الشعوب

٤٤٥٨ – ٤٣ – إن ترقّي الإنسانية الكامل لا يمكن أن يتم بدون تضافر الإنسانية عليه.

٤٤٥٩ – ٤٤ – وهذا الواجب يتعلق بأكثرهم نعمةً، بالدرجة الأولى. فالتزاماتهم نابعة من جذور الأخوّة الإنسانية والفائقة الطبيعة؛ وهي على أوجه ثلاثة: حق التماسك، ويقضي على الأمم الغنية بالعون تمدّ به البلدان النامية؛ وحق العدالة الإجتماعية، ويقضي بتقويم العلاقات التجارية المتأوّدة، بين الشعوب القوية والشعوبَ الضعيفة؛ وحق المحبة الشاملة، ويقضي ببنيان عالم أكثر إنسانية للناس قاطبة، فيه يعطي الجميع ويأخذون، ولا يكون تقدّم البغض عقبة دون ترقي الآخرين. ان المعضلة خطيرة لأن مستقبل المدنية العالمية مرتبط بها.

٤٤٦٠ – ٤٧ – فالحرب على البؤس، على كونها ملحة وضرورية، لا تفي بالمرام. وإنما الأمر أمر بنيان عالم يتيسّر فيه لكل إنسان، على غير اعتداد بالعرق والدين والقومية، أن يحيا حياة إنسانية كاملة، طليقةً من العبوديات التي تأتيها من الناس، ومن طبيعة لا تنفك السيادة عليها ناقصة؛ عالم لا تكون فيه الحرية كلمة جوفاء، ويستطيع فيه لعازر البائس أن يجالس الغني على المائدة الواحدة.

حق التماسك

٤٤٦١ – ٤٨ – إن حق التماسك بين الأفراد هو هو نفسه بين الشعوب أيضاً: «فالأمم الراقية عليها الواجب الملحاح بمساعدة الأمم النامية». فهذا التعليم المجمعي يجب أن يوضع موضع العمل. لأنه إذا كان من الطبيعي أن يكون السكّان أول المستفدين مما حباهم الله من رزق، وما جنت أيديهم من ثمار، فإنه ما من شعب يجوز له، بذلك، أن يدّعي حق الاستئثار بثرواته لنفسه دون سواه.

العلاقات الاقتصادية

٤٤٦٢ – ٥٦ – إن الجهود التي تُبذل في مساعدة البلدان النامية، ماليًا وتقنيًا، لا تعدو، وإن عظيمة، أن تكون وهمًا خادعًا، إذا ما امتنعت نتائجها جزئيًا بفعل لعبة العلاقات التجارية بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة. فإن هذه الأخيرة تتزعزع ثقتها إذا استشعرت أن ما يأتيها بيد تذهب به اليد الأخرى.

تخطّي الليبرالية

٤٤٦٣ – ٥٨ – وهذا يعني أن قاعدة التبادل الحر لن تستطيع، وحدها، أن تسوس العلاقات الدولية. فلا جرم أن فوائدها راهنة إذا لم يكن الأطراف على اوضاع بالغة التفاوت في مجال الطاقة الاقتصادية: إنها حافز التقدم، ونتائجها ذات شأن. من أجل ذلك ترى فيها البلدان المتطوّرة صناعيًا قانونًا للعدالة. ولكن الأمر ليس كذلك عندما تكون الأوضاع على تفاوت كبير بين بلد وبلد: فإن الأسعار التي تتكوّن «بحريّة» في الأسواق قد تؤدي إلى نتائج أثيمة. ولا بدّ من الاعتراف بأن ذلك هو المبدأ الأساسي الذي يعتمده مذهب الليبرالية قاعدة في التبادلات التجارية التي نحن بصددها ههنا.

عدالة العقود بين الشعوب

٤٤٦٤ – ٥٩ – وإنه لصحيح على الدوام تعليم ليون الثالث عشر في «الشؤون الحديثة»: أن رضى الأطراف إذا كانوا على وضع شديد التفاوت، لا يكفي لضمان عدالة العقد؛ وان قاعدة الرضى الحرّ تظل مرتبطة بمستلزمات الحق الطبيعي.

٤٤٦٥ – ٦١ – فبدلا من إلغاء سوق المنافسة ينبغي الاحتفاظ بها في حدود تجعلها عادلة وأدبية، وإذن انسانية. ففي التجارة بين اقتصاد متطور واقتصاد متخلّف تتباين الأوضاع تباينًا كبيرًا، وتتفاوت الحريّات الحقيقية تفاوتًا واسعًا. لذلك يقضي العدلُ الاجتماعي، على التجارة الدولية، لكي تكون انسانية وأدبية، بأن تقيم بين الأطراف ولو بعض التعادل في الفُرَص.

القومية والعنصرية

٤٤٦٦ – ٦٢ – وهناك عقبات أُخرى أيضاً تقوم عقبة في طريق تكوين عالم أوفرَ عدلاً وأفضلَ بنيانًا في تماسك جامع: نريد الكلام على القومية والعنصرية...

٤٤٦٧ – ٦٣ – والعنصرية ليست مقصورة على الأمم الفتية حيث تستتر أحيانًا، تحت ستار المخاصمات العشائرية والحزبية السياسية، مع ما بها من مساءات للعدالة، وخطر على السلاح المدني. وغالبًا ما استحكمت، إبّان عهد الإستعمار، بين

المستعمرين وأهل البلاد، فحالت دون خصب التفاهم المتبادل، وأثارت الكثير من الحزازات نتيجة الغبن والمظالم الراهنة. وإنها لا تنفك عقبةً في طريق التعاون بين أمم غير محظيّة، وخميرَ تفرقةٍ وتباغض في صُلب الدول بالذات، عندما، على غير اعتداد فيها بحقوق الشخص البشري التي لا يمكن سلخها، يوجد فيها أفراد وجماعات مكرَهين، بسبب عرقهم أو لونهم، على الخضوع ظلمًا لنظام تمييزي.

أمل مركّز بعالم أفضل

٤٤٦٨ – ٧٦ – محاربة البؤس ومكافحة الظلم إنما هما الترقية، مع تحسّن الحال، لتقدم الجميع إنسانيًا وروحيًا، وإذن لخير الإنسانية العام. فالسلام لا يقوم على غياب الحرب فإنه لا يكون إذ ذاك إلا ثمرة التوازن بين القوى، وهو على الدوام قيد الزوال. ولكنه يُبنى يومًا بعد يوم بنشدان النظام الذي أراده الله، ومن مقوّماته عدالة بين الناس أكمل...

٤٤٦٩ – ٧٩ – ولعل بعضهم يرى أن هذه الآمال ضرب من الأوهام. فقد تكون واقعيتهم قد أخطأت، وأنهم لم يدركوا أغوار دينامية عالم يريد الحياة في كنف الأخوّة، ويقترب، على جهالاته وأخطائه وخطاياه نفسها، وعلى انتكاساته في أحضان البربرية، ومتاهاته المديدة خارج صراط الخلاص، يقترب شيئًا فشيئًا، حتى على غير وعي منه، إلى خالقه. إن هذه الطريق، نحو انسانية أكثر، تستلزم جهدًا وتضحية: والعذاب نفسه، نتقبّله بروح المحبة لاخوتنا، هو عامل تقدم للأسرة البشرية بأجمعها. ويعرف المسيحيون أن الاتحاد بذبيحة المخلص يساهم في بنيان جسد المسيح بملئه: أي شعب الله مجتمعًا.

٤٤٧٠ – ٤٤٧٩ – الرسالة العامة "Humanae vitae"، ٢٥ تموز ١٩٦٨

الحب الزوجي

٤٤٧٠ – ٩ – ... في هذا الضوء تظهر بوضوح علامات الحب الزوجي ومقتضياته المميِّزة، التي من الخطورة الكبرى معرفتها بدقة.

إنه قبل كل شيء حبّ بشري تمامًا، أي حسّي وروحيّ معًا. فليس هو إذن مجرّد دافع غريزي أو عاطفي، ولكنه أيضاً وخصوصاً فعل إرادة حرّ، مُعَدّ للاستمرار والنموّ في أفراح الحياة اليومية وآلامها، بحيث يصير الزوجان قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة ويبلغان معًا اكتمالها الإنساني.

٤٤٧١ – إنه حُبّ كُلّي، أي شكل خاص جدًّا من الصداقة الشخصية، به يتقاسم الزوجان بسخاء كل شيء، دون تحفظات لا لزوم لها وحسابات أنانية. فالذي يحب قرينه حقًا لا يحبّه لما يناله منه، ولكن لنفسه، ويسعد بإغنائه بعطية الذات.

٤٤٧٢ – وهو أيضاً حبّ أمين لا إشراك فيه، حتى الموت. وهكذا يراه الرجل والمرأة عندما يلتزمان بحريّة ووعي كامل وثاق الزواج. وقد تكون هذه الأمانة أحياناً صعبة، ولكنها دائمًا ممكنة ودائمًا نبيلة تستحق التقدير، وهذا ما لا يستطيع أحد إنكاره. ومَثَل عدد غفير من الأزواج، على مدى العصور، يبرهن لا على ملاءمتها فقط لطبيعة الزواج، ولكن أيضاً على أنها ينبوع سعادة عميقة ودائمة.

٤٤٧٣ – وهو أخيرًا حبّ خصيب، لا يستنزفه التواصل الزوجي، ولكنه مُعَدّ للاستمرار بإيجاد حيوات جديدة: «إن الزواج والحبّ الزوجي هما بطبيعتها مُعدّان لإنجاب النسل وللتربية. والأبناء هم بلا ريب أسمى عطايا الزواج، وبهم أعظم الخير لوالديهم أنفسهم».

٤٤٧٤ – إن الحبّ الزوجي يقتضي الأزواج إذن أن يعرفوا جيّدًا رسالتهم في الأبوّة المسؤولة التي يُلحّ اليوم بحق في شأنها، والتي يجب أن تكون لذلك مُدرَكة إدراكًا صحيحًا...

الفعل الزوجي

٤٤٧٥ – ١١ – إن هذه الأفعال، التي بها يتحد الزوجان اتحادًا حميمًا وعفيفًا، والتي بها تُنقل الحياة البشرية، هي، كما يذكر المجمع: «نزيهة ولا شائبة فيها». ولا تكفّ عن أن تكون مشروعة إذا عُرف من قبل أنها ستكون غير خصيبة، لأسباب لا تتصل بإرادة الأزواج، فهي مُعَدّة للتعبير عن اتحاد الأزواج وتعزيزه.

وفي الواقع يشهد الاختبار أنه لا يحصل عن كل لقاء زوجي إنجاب حياة جديدة. والله حدّد بفطنته قوانين وأزمنة طبيعية للخصب تضع بذاتها مسافة بين الولادات.

ولكن الكنيسة تعلّم ضرورة بقاء كل فعل زوجي مشرَعًا بذاته على نقل الحياة، مذكّرة الناس بحفظ ما تفرضه الشريعة الطبيعية التي تفسّرها بعقيدتها الثابتة.

ما يحلّ من الوسائل لتنظيم النسل

٤٤٧٦ – ١٤ – علينا أن نعلن مرّة أخرى، وفق هذه المبادئ الأساسية للمفهوم الإنساني والمسيحي للزواج، أنه يجب أن يُقصى على الإطلاق، كوسيلة جائزة لتنظيم النسل، القطع المباشر لمجرى الإنجاب الذي شُرِع فيه، وخصوصاً الإجهاض المقصود والحاصل مباشرة، وإن كان ذلك لأسباب علاجية. ويجب كذلك، وفق ما أعلنته السلطة التعليمية في الكنيسة مرارًا، إقصاء التعقيم المباشر، الدائم أو الموقّت، للرجل كما للمرأة. ويجب كذلك إقصاء كل عمل يقصِد، قبل الفعل الزوجي، أو في مجراه، أو في تعاقب نتائجه، كغاية أو وسيلة، جعل الإنجاب مستحيلاً.

٤٤٧٧ – ١٦ – ... إذا كان هناك إذن، لجعل مسافة بين الولادات، أسباب جدّية تتصل بأحوال الأزواج الطبيعية أو النفسيّة، أو بالظروف الخارجية، فالكنيسة تعلّم أنه يحلّ عندئذ الاعتداد بالأوقات الطبيعية الملازمة لوظائف الإنجاب، لممارسة الزواج في الأوقات غير الخصيبة فقط، وتنظيم الولادات هكذا دون الخروج على المبادئ الأخلاقية التي عرضناها.

٤٤٧٨ – إن الكنيسة لا تناقض نفسها عندما ترى حلالاً اللجوء إلى الأوقات غير الخصيبة، بينما تدين دائمًا كعمل غير جائز استعمال وسائل تضاد مباشرة الإخصاب، وإن أوحت بها أسباب يمكن أن تظهر كأنها نزيهة وجدّية. وفي الواقع هناك اختلاف كبير جدًّا بين الحالتين: في الحالة الأولى يستعمل الأزواج شرعيًا إمكانية منحتها لهم الطبيعة، وفي الأخرى، يحولون هم دون تتابع السياق الطبيعي للإنجاب.

٤٤٧٩ – حتى وإن لم يكن بالإمكان إنكار أن الأزواج في الحالتين، باتفاق متبادل لا ريب فيه، يريدون منع النسل لأسباب مقبولة، والتيقّن من أنه لن يولد لهم ولد، فلا بدّ مع ذلك من القول أيضاً إنهم في الحالة الأولى فقط يعرفون أن يمتنعوا عن ممارسة الزواج في الأوقات الخصيبة، عندما لا يكون الإنجاب مرغوبًا فيه لأسباب صوابية، وأن يمارسوه في الأوقات غير الخصيبة لإظهار الودّ والمحافظة على الأمانة المتبادلة. وعندما يفعلون ذلك فإنهم يبرهنون عن حبّ مستقيم حقيقي وتام.

٤٤٨٠ – ٤٤٩٦ – وثائق الجمعية العامة الثانية لأساقفة أميركا اللاّتينيـيّة في ميدلّين (كولومبيا)، ٦ أيلول ١٩٦٨

١ – العدل

٤٤٨٠ – إن لكنيسة أميركا اللاتينية رسالة إلى كل الناس الذين هم، في هذه القارّة، «عطاش وجياع إلى العدل» فالله ذاته الذي يخلق الإنسان على صورته ومثاله، يخلق «الأرض وكل ما فيها لخدمة جميع البشر وجميع الشعوب، بحيث تتدفق الخيور المخلوقة على الجميع بأعدل السُبل»، ويمنحه القدرة على تحويل العالم وإكماله بالتضامن.

وهذا الإله ذاته، عند تمام الأزمنة، أرسل ابنه الوحيد، الذي تأنس ليأتي ويحرّر جميع البشر من كل العبوديات التي كانوا فيها أسرى الخطيئة، والجهل، والجوع، والشقاء، والطغيان، وبكلمة واحدة، من الظلم والبغض المتأصلين في الأنانية البشرية.

٤٤٨١ – لذلك، نحتاج نحن البشر جميعًا، في سبيل تحريرنا، إلى تحوُّل عميق، حتى يأتي إلينا «ملكوت العدل والمحبة والسلام». إن أصل كل احتقار للإنسان، وكل ظلم، يجب البحث عنه في اختلال التوازن الداخلي للحرية البشرية، التي ستحتاج دومًا في التاريخ، إلى جهد في الإكمال مستمرّ.

لا تقوم أصالة الرسالة المسيحية مباشرة على تأكيد ضرورة تغيير هيكليات، ولكن على الإلحاح في تحوُّل الإنسان الذي يقتضي من بعد هذا التغيير. لن تكون لنا قارّة

جديدة من دون هيكليات جديدة ومتجدّدة. وقبل كل شيء، لن تكون قارّة جديدة من دون أناس جدد يعرفون، في ضوء الإنجيل أن يكونوا في الحقيقة أحرارًا ومسؤولين...

٤٤٨٢ – ١٥ – إن السعي المسيحي إلى العدل يقتضيه تعليم الكتاب المقدس. نحن البشر كلّنا وكلاء وضيعون على الخيور. وفي السعي إلى الخلاص علينا تجنب الثنائية التي تفصل المهمات الزمنية عن القداسة.

إننا، على ما يكتنفنا من نقائص، أصحاب رجاء. إننا نؤمن أن محبتنا للمسيح وللإخوة ستكون لا القوة العظمى التي تخلّص من الظلم والطغيان فحسب، بل الموحية بالعدالة الاجتماعية، كمفهوم للحياة وحافز لنموّ كامل لشعوبنا...

٤٤٨٣ – ١٦ – فإزاء ضرورة التغيير الإجمالي في هيكليّات أميركا اللاّتينية نرى أن شرط هذا التغيير الإصلاحُ السياسي.

إن ممارسة السلطة السياسية وقراراتها هدفها الوحيد هو الخير العام. وفي اميركا اللاتينية تبدو هذه الممارسة وهذه القرارات مرارًا كأنها تساند أنظمة تنتهك الخير العام، أو تعزّز فئات ذات حظوة. فعلى السلطة أن توفر، على وجه فعّال ودائم، من خلال قواعد قانونية، حقوق المواطنين وحريّتهم التي لا يمكن التصرّف بها، والعمل الحرّ للهيكليات الوسيطة.

٤٤٨٤ – إن رسالة السلطة العمومية هي في تعزيز وتقوية إيجاد آليات المشاركة والتمثيل الشرعي للشعب أو، إذا دعت الضرورة، في إيجاد أشكال جديدة. ونودّ الإصرار على ضرورة تنشيط وتقوية التنظيم البلدي والقروي، لتكون نقطة انطلاق إلى حياة في المحافظات والولايات والمناطق والوطن.

فغياب الوعي السياسي في بلادنا يجعل عمل الكنيسة التربوي لا غنى عنه. وغايته أن يَعُدّ المسيحيون مشاركتهم في الحياة السياسية كواجب ضميري وكممارسة للحريّة في معناها الأشرف والأفعل، في سبيل حياة الجماعة.

٢ – السلام

٤٤٨٥ – ١ – إذا كان «الترقي هو الاسم الجديد للسلام». فالتخلف في أميركا اللاّتينيّة، مع الخواص المميزة لمختلف البلدان، هو وضع غير عادل، ومصدر لتوترات تناقض السلام...

توترات بين الطبقات واستعمار داخلي:

٢ – أشكال تهميش متنوعة...

٣ – انتفاء مفرط للمساواة بين الطبقات الاجتماعية.

٤ – الحرمانات المتنامية.

٥ – أشكال الضغط من قبل فئات وقطاعات مسيطرة...

٦ – سلطان يمارسه، دون وجه حق، بعض القطاعات المسيطرة...

٧ – نمو وعي فئات مظلومة...

٨ – توترات دولية واستعمارية جديدة خارجية.

٩ – مظهر اقتصادي...

أ – اختلال التوازن في التجارة الدولية.

ب – هروب رؤوس الأموال الاقتصادية والبشرية.

ج – الهروب من الضرائب وتهريب الأرباح العامة وأرباح الحصص.

د – الافتراض المتصاعد...

هـ – الاحتكارات الدولية وتسلط المال الدولي...

١٠ – مظهر سياسي...

١١ – توترات بين بلدان أميركا اللاتينية.

١٢ – قومية متأججة.

١٣ – تسلح.

٤٤٨٦ – ١٤ – إن هذه الحالة التي جئنا على وصفها هي نفي للسلام كما يفهمه التقليد المسيحي. فالمفهوم المسيحي للسلام يتميز بخواص ثلاث:

أ – السلام هو عمل العدل قبل كل شيء. إنه يفترض ويقتضي إقامة نظام عادل، يستطيع فيه الناس تحقيق ذواتهم كبشر، وتحفظ فيه كرامتهم، ويلبي مبتغاهم المشروع، ويعترف بحقهم في بلوغ الحقيقة، وتصان حريتهم الشخصية. نظام لا يكون فيه الناس أشياء بل صانعي تاريخهم، فالسلام في أميركا اللاتينية ليس إذن مجرد غياب العنف وسفك الدماء. فالتسلط الذي تمارسه جماعات السلطة يمكن أن يوحي بحفظ السلام والنظام، بينما هو في الحقيقة «بذار دائم لا مفر منه للثورات والحروب».

والسلام غير ممكن إلا بإيجاد نظام جديد «ينطوي على عدالة أكمل بين الناس». وبهذا المعنى يكون نمو الإنسان الكامل. والعبور من أحوال أقل إنسانية إلى أحوال أكثر إنسانية هو اسم السلام الجديد.

٤٤٨٧ – ب – والسلام ثانيًا مهمّة مستمرّة. فالجماعة البشرية تتحقق في الزمن وهي خاضعة لحركة تنطوي دومًا على تغييرات في الهيكليات، وتحولات في المواقف، وتوبة في القلوب.

إن سكينة النظام وفق تحديد أغسطينوس للسلام، ليست إذن لا الجمود، ولا التماثل، وليست أيضاً أمرًا يحرز كله دفعة واحدة. إنها نتيجة جهد دائم للتلاؤم مع الأحوال الجديدة، ومقتضيات وتحديات تاريخ يتغير. إن السلام الجامد والظاهر قد يحصل باستعمال القوة، أما السلام الحقيقي فيفترض الكفاح، والمقدرة على الإبداع، والاكتساب الدائم.

السلام لا يوجد بل يبنى، والمسيحي هو صانع سلام. وهذه المهمة، في الحالة التي وصفناها، لها خاصة مميزة في قارتنا. لذلك على شعب الله في اميركا اللاتينية، أن يواجه، على مثال المسيح، بجرأة وشجاعة، الأنانية والظلم الفردي والجماعي.

٤٤٨٨ – ج – والسلام أخيرًا هو ثمرة المحبة، والتعبير عن أخوة حقيقية بين الناس: أخوة أتى بها المسيح ملك السلام، مصالحًا جميع الناس مع الآب. والتضامن البشري لا يمكن أن يتم حقًا إلا في المسيح، الذي يعطي السلام الذي لا يستطيع العالم إعطاءه. المحبة هي روح العدل وعلى المسيحي الذي يعمل في سبيل العدالة الاجتماعية أن ينمي السلام والمحبة في قلبه.

السلام مع الله هو الأساس الاخير للسلام الداخلي والسلام الاجتماعي. وبالتالي فحيث لا يوجد هذا السلام الاجتماعي، وحيث تلفى الفروقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية غير العادلة، هناك نبذ لعطية سلام الرب، ونبذ للرب نفسه.

٤٤٨٩ – ١٥ – ... «إن العنف ليس مسيحيًا ولا إنجيليًا». المسيحي مسالم ولا يستحيي من ذلك. وليس هو مجرد داع للسلام إذ إنه قادر على الكفاح. ولكنه يفضل السلام على الحرب. وهو يعلم «أن تحولات فجائية أو عنيفة في الهيكلية ستكون خادعة، وغير مجدية بحد ذاتها. وأنها لن تكون، يقينا، ملائمة لكرامة الشعب التي تقتضي أن تتم التحولات الضرورية من الداخل، أي بوعي صحيح، وتهيئة مناسبة، وتلك المشاركة الفعلية من قبل الجميع، والتي يحول دون قيامها حاليًا الجهل وظروف الحياة الأدنى من المستوى البشري أحيانًا.

٥ – الشبيبة

٤٤٩٠ – ١٠ – ... ترى الكنيسة في الشبيبة التجدد الدائم للحياة البشرية، وتكتشف فيها علامة لها: «فالكنيسة هي شباب العالم الحقيقي».

٤٤٩١ – ١١ – فهي ترى في الشبيبة بدء الحياة المتجدد واستمرارها، أو أيضاً شكلاً من أشكال الانتصار على الموت. وذلك له معنى ليس هو بيولوجيا فقط بل هو أيضاً اجتماعي وثقافي ونفسي وروحي.

فالشبيبة مدعوة في مواجهة الثقافات التي تبدي علامات الشيخوخة والهرم، إلى إعادة الحياة، والحفاظ على «الثقة بالحياة»، وصون «قدرتها على الابتهاج بما يبدأ». مهمتها ان تجدد بوجه دائم إدخال «معنى الحياة». وتجديد الثقافات والروح يعني الإتيان بمعان جديدة للوجود والحفاظ عليها حية. فالشبيبة بالتالي مدعوة إلى أن تكون بمثابة «جعل الحياة آنية من جديد».

٤٤٩٢ – ١٢ – تكتشف الكنيسة أيضاً في الشبيبة بهذا المفهوم علامة لها. علامة إيمانها بما أن الإيمان هو التفسير المَعاديّ للوجود، ومعناه الفصحي، ولذلك هو «الجدة التي يحويها الإنجيل. فالإيمان الذي يعلن معنى الأشياء الجديد هو تجديد البشرية

وإعادة شبابها. ومن هذا المنظور تدعو الكنيسة الشبان «أن يلقوا بأنفسهم في أضواء الإيمان» وأن يحملوا الإيمان هكذا في العالم حتى يتغلبوا على قوى الموت الروحية، أي «فلسفات الأنانية، والقنوط، والعدم» تلك الفلسفات التي تزرع في الثقافة أشكالاً قديمة هرمة.

الشبيبة رمزٌ للكنيسة المدعوّة إلى تجدّد ذاتي دائم، أي إلى تجدّد شباب مستمر.

١٤ – فقر الكنيسة

٤٤٩٣ – ١ – لا يستطيع أساقفة أميركا اللاّتينيّة أن يكونوا غير مبالين إزاء المظالم الاجتماعية الرهيبة القائمة في أميركا اللاتينية، والتي تُبقي معظم شعوبنا في فقر مؤلم، يداني في حالات كثيرة، عوزًا غير إنساني...

٤٤٩٤ – علينا التمييز بين:

أ – الفقر كفقدان لأموال هذا العالم، وهو بهذا المفهوم شرّ، وقد ندّد به الأنبياء كأمر مخالف لمشيئة الرب، وهو في معظم الحالات ثمرة الظلم وخطيئة البشر.

ب – الفقر الروحي وهو موضوع فقراء يهوه. والفقر الروحي هو موقف الانفتاح تجاه الله، واستعداد من يرجو كل شيء من الرب. وهو، على تقديره لخيور هذا العالم، لا يتعلّق بها، ويعترف بسموّ خيور الملكوت.

ج – الفقر كالتزام يأخذ به الإنسان على عاتقه، بإرادته وبمحبة، أحوال المحتاجين في هذا العالم ليشهد على الشر الذي تمثله، وللتحرّر الروحي من الخيور، مقتديًا بمثل الرب الذي ارتضى لنفسه جميع عواقب حالة البشر الخاطئة، والذي «وهو الغني قد افتقر» ليخلّصنا.

٤٤٩٥ – ٥ – في هذا السياق، الكنيسة الفقيرة:

– تندّد بالفقدان الظالم لخيور هذا العالم وبالخطيئة التي تسبّبه.

– تعلّم وتحيا الفقر الروحي كموقف طفولَة إنجيلية وانفتاح على الرب.

– تلتزم هي نفسها الفقر المادي. وفقر الكنيسة هو فعلاً أمر ثابت في تاريخ الخلاص.

٤٤٩٦ – ٨ – لذلك نريد أن تبشر كنيسة أميركا اللاتينية الفقراء بالإنجيل، وتتضامن معهم، شاهدة لقيمة خيور الملكوت، وخادمة وضيعة لجميع الناس في شعوبنا. وعلى رعاتها أعضاء الشعب الآخرين أن يجعلوا حياتهم وأقوالهم، وموقفهم وفعلهم، ملائمة لمقتضيات الإنجيل ولاحتياجات الناس في أميركا اللاتينية.

٤٥٠٠ – ٤٥١٢ – الرسالة الرسولية "Octogesima adveniens"، إلى الكردينال موريس روا، ١٤ أيار ١٩٧١

٤٥٠٠ – من العسير علينا، إزاء حالات في مثل هذا التنوع، أن نقول كلمة واحدة، يعرض بها حل يلائم كل الأماكن، وليس هذا مطمحنا ولا رسالتنا. فللجماعات المسيحية نفسها أن تحلل تحليلاً واقعيًا حالة بلدها الخاص، وأن تضيئها بنور كلام الإنجيل الثابت، وتستخرج مبادئ للتفكير، وقواعد للحكم، وتوجيهات للعمل في نطاق عقيدة الكنيسة الاجتماعية: هذه العقيدة التي اوضحت على مدى التاريخ، وخصوصاً في هذا العصر الصناعي، منذ الزمن التاريخي لصدور رسالة لاون الثالث عشر «في حالة العمال»، التي نفتخر اليوم ونسر بذكراها السنوية...

٤٥٠١ – ٢٢ – ففي حال يواصل التقدم العلمي والتقني تغيير مشهد الإنسان، وطرائقه في المعرفة، والعمل، والاستهلاك والعلاقات، يبدو الإنسان في هذا السياق الجديد، كأنه مدفوع برغبة مزدوجة، تشتد بمقدار نمو اطلاعه وتربيته، أي الرغبة في المساواة، والرغبة في المشاركة، وهما وجهان لكرامة الإنسان وحريته.

٤٥٠٢ – ٢٤ – والرغبة المزدوجة في المساواة والمشاركة التي ذكرناها، تسعى إلى تعزيز نمط من المجتمع الديمقراطي. وتَعرض نماذج متنوعة، بعضها أصبح في حيّز التطبيق. ولكن ليس هناك أي واحد يرضي تمامًا، بحيث إن باب البحث في هذا الموضوع لا يزال مشرعًا بين التيارات الإيديولوجية والبراغماتية. ولكن تلك هي مهمّة المسيحيين أن يشاركوا في هذا البحث كما هي الحال أيضاً بالنسبة لتنظيم المجتمع السياسي وحياته...

٤٥٠٣ – ٢٥ – إن العمل السياسي – وهل من حاجة إلى ملاحظة أن الأمر يتعلّق أولاً بعمل وليس بإيديولوجية؟ – يجب أن يكون مستندًا إلى مشروع للمجتمع متناسق

في وسائله الحسّية وفي ما يستوحيه، يتغذّى من مفهوم متكامل لدعوة الإنسان ولمختلف الأشكال التي تتخذها هذه الدعوة في المجتمع. فليس للدولة، ولا حتى للأحزاب السياسية التي ينحصر همّها في ذاتها، أن تسعى لفرض إيديولوجية بوسائل تُفضي إلى التسلط على العقول، وهو أسوأ الكل. فللتجّمعات الثقافية والدينية وحدها - مع الحفاظ على حريّة أعضائها - أن تنمّي، بنزاهة وبطرائقها الخاصة، في الجسم الاجتماعي، تلك القناعات الأكيدة والمحدّدة في شأن الطبيعة، وأصل الإنسان والمجتمع وغايتها.

٤٥٠٤ - ٢٩ - ولكن إذا استطاع العلماء قول مثل هذا الكلام اليوم عن تقهقر الإيديولوجيا، فمن الممكن، ربّما، أن يفسح ذلك في المجال، للانفتاح على السموّ المتعالي والثابت للديانة المسيحية، ولكن من الممكن في الوقت عينه أن تنزلق العقول، بحركة أشد، نحو شكل جديد، من أشكال المذهب الوضعي: نفكّر بالتقنية التي لها من الانتشار الواسع ما يجعلها تبدو كأنها الشكل الأساسي للعمل الإنساني، والشكل السائد للحياة، حتى كنوع من اللغة دون أن يُطرح مع ذلك حقًا السؤال عن معناها.

٤٥٠٥ - ٣١ - تجتذب اليوم المسيحيين الإيديولوجيات الاشتراكية، بأشكالها المتنوّعة، التي نشأت على مدى الزمن. وهم يسعون إلى أن يجدوا فيها اهتمامات ومواضيع يحملونها في ذواتهم بحكم كونهم مسيحيين. وهم يرون أنهم يوجَّهون نحو هذا السبيل التاريخي، ويبغون أن يساهموا فيه. ولكن هذا السبيل التاريخي يتخذ أشكالاً مختلفة، بالاسم الواحد، بحسب القارّات والثقافات، حتى وإن كانت هذه الحركة وما زالت، تستوحي، في حالات كثيرة، أيديولوجيات تتنافى والإيمان.

لذلك لا بدّ من تمييز واضح وإمعان نظر، إذ يميل مرارًا كثيرة مسيحيون تستهويهم الاشتراكية إلى تصوّرها، بالجملة وبوجه عام، كأنها حقيقة كاملة من كل الجوانب، وينتج من ذلك أن الاشتراكية تصبح إرادة العدل والتضامن والمساواة. وعلاوة على ذلك إنهم يأبون الاعتراف بما مارسته من تضييق بالعنف الحركات الاشتراكية التاريخية والتي ما زالت مرتبطة بشدة بالإيديولوجيات التي صدرت

عنها. وبين المستويات المتنوّعة للتعبير عن الاشتراكية – ومنها ابتغاء سخيّ لمجتمع أكثر عدالة وسعي إليه، وحركات تاريخية لها تنظيم وغاية سياسيان، وإيديولوجية تزعم إعطاء رؤية مجملة ومستقلّة للإنسان – لا بدّ من التمييز الذي يتيح الخيار السليم وفق الظروف. ولكن يجب أن لا يؤدي هذا التمييز إلى النظر إلى مستويات التعابير هذه كأنها منفصلة ومستقلّة تمامًا. ولا بدّ من التبصّر في إيجاد الصلة الحسّية التي، تقوم بينها، وفق كل حالة، وهذا التبصّر يؤدي بالمسيحيين إلى رؤية المدى الذي يحلّ لهم بلوغه في التزام هذه المؤسسات والمشاركة فيها مع الحفاظ على القيم التي تتضمن الازدهار للإنسان بكامله، ولا سيّما الحريّة، والمسؤولية والانفتاح على الروح.

٤٥٠٧ – ٣٣ – يرى غيرهم أن الماركسية تبقى في جوهرها ممارسة ناشطة لصراع الطبقات. وبما أن لهم خبرة، هي دومًا حاضرة وتزداد باطراد، في شأن علاقات التسلط والاستغلال الظالم للناس، فهم يعتقدون أن الماركسية ليست سوى صراع، أحيانًا دون مشروع آخر، ولكنه صراع يجب مواصلته بل إثارته على الدوام. ويرى غيرهم أنها أولاً الممارسة الجماعية للسلطة السياسية والاقتصادية، بإدارة حزب واحد، يؤكد أنه وحده يعبر عن خير الجميع ويضمنه، وينتزع من الأفراد ومن الجماعات الأخرى كل إمكانية للمبادرة وللخيار. ويرى غيرهم، على مستوى ثالث، أن الماركسية، أكانت في السلطة أم لم تكن، ترجع إلى إيديولوجية اشتراكية أساسها المادية التاريخية ونفي كل ما يتعالى على الطبيعة. وفي مكان آخر تبدو ختامًا ملطفة وجذابة أكثر حتى للروح العصرية، كأنها نشاط علمي، وطريقة شديدة الدقة لفحص الحقيقة الاجتماعية والسياسية، ورباط عقلي، اختبر في التاريخ بين المعرفة النظرية والممارسة العملية للتغيير الثوري. هذا النمط من التحليل وإن كان يُفوّق بعض مظاهر الحقيقة على غيرها، ويفسرها في ضوء الإيديولوجية، فهو يمنح البعض، إضافة إلى وسيلة العمل، يقينًا سابقًا للفعل، مع ادعاء التفهم، بأسلوب علمي، لدوافع تطور المجتمع.

٤٥٠٨ – ٣٤ – إذا كان بالإمكان التمييز، في الماركسية كما تعاش واقعيًا، هذه المظاهر المتنوعة، وما تطرحه من أسئلة على المسيحي للتفكير والعمل، فمن الوهم والخطر

الوصول إلى نسيان الرباط الحميم الذي يجمعها في الأساس، وقبول عناصر التحليل الماركسي دون الاعتراف بعلاقتها بالإيديولوجية، والدخول في ممارسة صراع الطبقات، وتفسيره الماركسي، وإهمال رؤية نمط المجتمع الكلي والعنيف الذي يؤدي إليه هذا المسار.

٤٥٠٩ - ٣٥ - ومن جهة أخرى نشهد تجددًا للإيديولوجيات الليبرالية. وهذا التيار يترسخ إما باسم الفاعلية الاقتصادية، وإما بالدفاع عن الفرد ومقاومة مآتي المنظمات التي تزداد طغيانًا باطراد، أو التوجهات الكلية للسلطات السياسية. أجل، لا بد من المحافظة على المبادرة الشخصية وتنميتها. ولكن المسيحيين الذين يشرعون في هذا الطريق ألا يميلون هم أيضاً إلى جعل الليبرالية مثالية فتضحي عندئذ إعلانًا لمصلحة الحرية؟ إنهم يريدون نموذجًا جديدًا أكثر ملاءمة للأحوال الراهنة، وينسون بسهولة أن الليبرالية الفلسفية هي، في أصلها ذاته، تأكيد خاطئ لاستقلالية الفرد، ونشاطه، ودوافعه، وممارسة حريته. ومؤدى القول أن الإيديولوجية الليبرالية تقتضي هي أيضاً منهم التمييز المتبصر.

٤٥١٠ - ٣٧ - وفي كل حال، إن مواطن ضعف الإيديولوجيات ترى اليوم من خلال الأنظمة الواقعية التي تسعى إلى أن تتحقق فيها. إن الاشتراكية البيروقراطية، والرأسمالية التقنوقراطية، والديمقراطية السلطوية تظهر صعوبة حل المشكلة الإنسانية الكبيرة في العيش المشترك في العدالة والمساواة. فكيف تستطيع الإفلات من المادية، والأنانية، والضغوط التي لا بد أن تلازمها؟...

٤٥١١ - ٣٨ - وفي العالم الذي يسوده التحول العلمي والتقني الذي قد يؤدي به إلى وضعية جديدة، يتصاعد شك آخر أهم: فبعد أن أكب الإنسان على إخضاع الطبيعة عقليًا، ها هو يجد نفسه سجينًا في عقلانيته: فقد أصبح هو أيضاً موضوع علم... وهذا الاقتصار العلمي يسفر عن ادعاء خطير. فتفضيل التحليل والبحث يؤدي إلى تشويه الإنسان، وبلوغ العجز عن إدراكه في كليته اعتمادًا على مظاهر مسار علمي.

٤٥١٢ - ٤٠ - ... أجل لن يستطيع أي علم من العلوم أن يدرك، في اختصاصه سوى مظهر جزئي ولكن حقيقي من الإنسان. ولكن يفوته إدراك الكل وما يعنيه.

ومع ذلك تضطلع العلوم البشرية، ضمن هذه الحدود، بوظيفة إيجابية تعترف بها لها الكنيسة بكل رضى. بل تستطيع أن توسع في المجال لتطلعات الحرية البشرية أكثر مما تشف عنه الاشتراطات المدركة. وقد تستطيع أيضاً مساعدة الأخلاق الاجتماعية المسيحية، التي سترى بلا ريب مجالها يضيق عندما تقضي الحال بعرض نماذج اجتماعية، بينما تقوى وظيفتها في النقد والتسامي، بإظهار نسبية التصرفات والقيم التي كان مجتمع ما يعرضها كأنها نهائية وملازمة للطبيعة البشرية...

٤٥٢٠ - ٤٥٢٢ - إعلان مجمع عقيدة الإيمان "Mysterium Filii Dei"، ٢١ شباط ١٩٧٢

أضاليل حديثة في شأن المسيح والثالوث

٤٥٢٠ - ٣ - أضاليل حديثة في شأن الإيمان بابن الله المتأنس. - إنها مناقضة بوضوح لهذا الإيمان، تلك الآراء القائلة بأنه ليس من الوحي ومن المعروف أن ابن الله يقوم، منذ الأبد، في سر الله، متميزًا من الآب والروح القدس. وكذلك الآراء القائلة بضرورة إفراغ مفهوم أقنوم يسوع المسيح الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور بحسب الطبيعة الإلهية، ومن العذراء مريم، في الزمن، بحسب الطبيعة البشرية. وأخيرًا ذلك القول بأن ناسوت المسيح موجود لا كأن أقنوم ابن الله الأزلي قد اتخذه، ولكن في ذاته كشخص بشري، وبالتالي يقوم سر يسوع المسيح على كون أن الله الذي يظهر ذاته يكون حاضرًا بأسمى طريقة في شخص يسوع البشري.

٤٥٢٢ - ٥ - أضاليل حديثة في شأن الثالوث الأقدس ولاسيّما الروح القدس. - إنه مناقض للإيمان ذلك الرأي القائل بأن الوحي لا يجعلنا على يقين في شأن ازلية الثالوث، وخصوصاً وجود الروح القدس الأزلي كأقنوم متميز، في الله، من الآب والابن. أجل إن سر الثالوث الأقدس قد أوحي لنا به في تدبير الخلاص، خصوصاً في المسيح الذي أرسل إلى العالم من قبل الآب، والذي يرسل، مع الآب، إلى شعب الله، الروح المعطي الحياة. ولكن أعطي أيضاً بهذا الوحي للمؤمنين بعض المعرفة لحياة الله الداخلية، التي فيها «الآب الوالد، والابن

المولود، والروح القدس المنبثق» هم «من ذات الجوهر ومتشابهون في المساواة، ومتساوون في القدرة، ومتساوون في الأزلية».

٤٥٣٠ – ٤٥٤١ – بيان مجمع عقيدة الإيمان "Mysterium ecclesiae"، ٢٤ حزيران ١٩٧٣

١ – كنيسة المسيح الوحيدة

٤٥٣٠ – ... «لا بد للكاثوليكيين من أن يعترفوا بارتياح بالقيم المسيحية حقًا التي توجد عند إخواننا المنفصلين، ويقدروا هذه القيم النابعة من التراث المشترك» وأن يعنوا بإعادة وحدة المسيحيين بجهد مشترك في التطهر والتجدد، حتى تتم مشيئة المسيح، ولا يعود انقسام المسيحيين حائلاً دون إعلان الإنجيل في العالم.

ومع ذلك، فعلى الكاثوليكيين أنفسهم أن يعترفوا أنهم بعطية من الرحمة الإلهية، ينتمون إلى هذه الكنيسة التي أسسها المسيح، والتي يقودها خلفاء بطرس والرسل الآخرين، الذين تبقى عندهم كاملة وحية، المؤسسة والعقيدة الأصليتان للجماعة الرسولية، تراثًا دائمًا من الحقيقة والقداسة لهذه الكنيسة عينها.

لذلك لا يجوز للمؤمنين أن يتصوروا أن الكنيسة ليست سوى مجموعة – منقسمة، أجل، لكنها واحدة بوجه ما – من الكنائس والمجموعات الكنسيّة. ولا يحق لهم الاعتقاد بأن كنيسة المسيح اليوم غير موجودة حقًا في أي مكان، بحيث يجب أن نحسبها فقط كغاية تسعى إليها جميع الكنائس والجماعات.

٢ – عصمة الكنيسة

٤٥٣١ – ... إن الله نفسه المعصوم المطلق، قد أراد بفضله إعطاء شعبه الجديد، الذي هو الكنيسة، مشاركة ما في عصمته، لا تمتد إلا إلى مسائل الإيمان والأخلاق، وتكون موجودة عندما هذا الشعب كله يوقن بلا ريب فصلاً من العقيدة يتصل بتلك الحقائق. وهي تابعة دومًا للعناية الحكيمة، ولمسحة نعمة الروح القدس الذي يقود الكنيسة إلى الحقيقة كلها حتى مجيء ربها المجيد...

٤٥٣٢ – ... وفي الحقيقة يساهم المؤمنون، المشاركون بطريقتهم الخاصة في خدمة المسيح النبوية، وبوجوه متنوعة في نمو فهم الإيمان في الكنيسة. فكما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني: «إن جماعة المؤمنين تزداد فهمًا لما تسلمته من أحداث وأقوال إما بالإمعان في تفحصها ودرسها كلما تأملوا فيها في قلوبهم [لو ٢: ١٩ و ٥١] وإما بإدراك داخلي عميق للأمور الروحية التي يخبرونها، وإما باستخلاص أنوار جديدة بشأنها من كرازة أولئك الذين حصلوا، مع الولاية الروحية، على هبة خاصة في قول الحق»...

٤٥٣٣ – ولكن بتأسيس إلهي... للرعاة وحدهم، خلفاء بطرس والرسل، أن يعلموا المؤمنين تعليمًا أصيلاً، أي بالسلطة التي يشاركون فيها المسيح بطرق متنوعة. ولا يستطيع المؤمنون الاكتفاء بالاستماع إليهم كخبراء في مادة العقيدة الكاثوليكية، بل عليهم، عندما يعلمون باسم المسيح، أن يطيعوهم ويخضعوا لهم على مقدار السلطة التي لهم، والتي ينوون استعمالها...

٣ – عصمة سلطة الكنيسة التعليمية

٤٥٣٤ – لقد أراد المسيح أن تُزوَّد السلطة التعليمية للرعاة الذين وكل إليهم مهمة تعليم الإنجيل لكل شعبه، ولكل الأسرة البشرية، بموهبة مناسبة من العصمة في أمر الدين والأخلاق. وبما أن هذه لا تصدر عن وحي جديد يتمتع به خليفة بطرس وجماعة الأساقفة، فهو لا يعفي من العناية باستعمال الوسائل المناسبة لتفحص كنز الوحي الإلهي في الأسفار المقدسة، حيث تعلم بكل صفائها الحقيقة التي شاء الله أن توضع بالكتابة لأجل خلاصنا، وفي التقليد الحي الآتي من الرسل.

ولكن الرعاة عندما يقومون بمهمتهم، يستفيدون من مساعدة الروح القدس، التي تبلغ أوجها عندما يعلمون شعب الله، بحيث يعرضون بقوة مواعيد المسيح لبطرس وللرسل الآخرين، عقيدة معصومة حتمًا من الضلال.

٤٥٣٥ – هكذا يجري الأمر عندما يتفق الأساقفة المنتشرون في العالم، والمعلمون في شركة مع خليفة بطرس، ان مسألة من العقيدة يجب أن تعد نهائية. ويتبين ذلك أكثر ايضاً إما عندما يحدد الأساقفة بعمل جماعي – أي في المجامع المسكونية –

مع رئيسهم المنظور، عقيدة يجب التمسك بها، وإما عندما يتكلم الحبر الروماني «من على المنبر»، أي عندما يحدد، وهو يقوم بمهمته كراع ومعلم لجميع المسيحيين، بقوة سلطانه الرسولي الأعظم، أن عقيدة في الإيمان أو الأخلاق يجب على الكنيسة جمعاء أن تتمسك بها».

٤٥٣٦ – بحسب العقيدة الكاثوليكية تمتد عصمة السلطة التعليمية في الكنيسة لا إلى وديعة الإيمان فقط بل أيضاً إلى ما لا يمكن وديعة الإيمان هذه بدونه أن تعرض وتحفظ حقًا. أما امتداد هذه العصمة إلى وديعة الإيمان نفسها، فهو حقيقة تمسكت بها الكنيسة، يقينًا منذ إنشائها، أنها أوحيت إليها في وعود المسيح.

واعتمادًا على هذه الحقيقة حدد المجمع الفاتيكاني الأول كعقيدة إيمانية كاثوليكية أنه «يجب الاعتقاد بإيمان إلهي وكاثوليكي، بجميع ما حواه كلام الله، المكتوب أو المنقول بالتقليد، والذي تعرضه الكنيسة، للاعتقاد به كموحى من الله، إما بحكم احتفالي، وإما بسلطانها العادي والعام». فمواضيع الإيمان الكاثوليكي هذه – الذي أطلق عليها اسم عقائد – هي حتمًا، وكانت دومًا، قاعدة عامة للإيمان والعلم اللاهوتي.

٤ – هبة العصمة للكنيسة يجب أن لا تحد

٤٥٣٧ – فممّا قيل عن امتداد وشروط عصمة شعب الله وسلطان الكنيسة التعليمي ينتج أنه لا يجوز للمؤمنين على الإطلاق أن يعترفوا، كما يفعل البعض، أن في الكنيسة استمرارية أساسية في الحق فقط، قد تتلاءم مع اضاليل منتشرة في مقولات تعلم السلطة الكنسية أنها ملزمة إلزامًا نهائيًا، أو في موافقة شعب الله بلا تردد، في موضوع إيماني وأخلاقي.

٤٥٣٨ – ... هناك نظام وشبه تراتبية بين عقائد الكنيسة نظرًا إلى تنوع ما بينها وبين الإيمان من صلة. وهذه التراتبية تعني استناد بعض العقائد إلى أخرى أساسية تلقي الضوء عليها. ولكن بما أن العقائد كلها موحى بها فلا بد من الإيمان بها إيمانًا إلهيًا واحدًا.

٥ – يجب أن لا يشوه مفهوم عصمة الكنيسة

٤.٥٣٩.-في شأن... الوضع التاريخي يجب أن نلاحظ أولاً أن المعنى الذي تنطوي عليه منطوقات الإيمان يرتبط، بقسم منه، بالمؤدى المعنوي للغة المستعملة في زمن ما وفي ظروف معينة.

وعلاوة على ذلك، قد يحدث أحيانًا أن يعبر أولاً عن حقيقة عقائدية تعبيرًا ناقصاً، ولكن صحيحًا، وأن ينظر إليها في ما بعد، في نطاق إيمان أو معرفة إنسانية أوسع، فيعبر عنها تعبيرًا أتم وأكمل.

ثم إن الكنيسة تريد بمنطوقاتها الجديدة تثبيت وتوضيح ما هو موجود بطريقة أو باخرى في الكتاب المقدس، أو في التعابير التقليدية السابقة، ولكنها في الوقت عينه تعنى أيضاً بالتفكير في حل بعض المسائل أو إقصاء بعض الأضاليل. فمن الضروري الاعتداد بذلك كله لفهم تلك المنطوقات.

أخيرًا، لا شك أن الحقائق التي تبغي الكنيسة أن تعلمها حقًا بصيغها العقائدية تتميز من التصورات المتغيرة الخاصة بزمن محدد، ومن الممكن التعبير عنها بغيرها.

ويبقى من الممكن أن يحدث أحيانًا تقديم هذه الحقائق، حتى على لسان السلطة التعليمية، بألفاظ تحمل آثار تلك التصورات...

٤٥٤٠ – أما معنى الصيغ اللاهوتية ذاته، فإنه يبقى دائمًا صحيحًا وثابتًا في الكنيسة بذاته، حتى عندما يزاد وضوحًا ويدرك بوجه أكمل.

فعلى المؤمنين إذن تجنب فكرة أن الصيغ العقائدية (أو بعض مقولاتها) لا تستطيع أن تعني الحقيقة بطريقة محددة، ولكن فقط مقاربات متغيرة لها، تشوهها أو تحرفها لوجه ما. وأن تلك الصيغ من بعد لا تعني الحقيقة إلا بطريقة غير محددة، كأمر يجب دومًا البحث عنه بالمقاربات التي ذكرناها. والذين يعتدون بهذا المفهوم لا ينجون من النسبية في العقائد، ويشوهون مفهوم العصمة في الكنيسة، الذي مرده إلى الحقيقة التي يجب تعليمها والإيمان بها بطريقة معينة...

٦ – الكنيسة مشاركة المسيح في كهنوته

٤٥٤١ – ... لقد علم المجمع الفاتيكاني الثاني، متلائمًا مع التقليد المقدس وبضع وثائق من السلطة التعليمية، ما يأتي في شأن السلطان الخاص بخدمة الكهنوت: «إذا كان باستطاعة أي إنسان أن يعمد المؤمنين، فمن شأن الكاهن وحده أن ينجز بنيان الجسد بالذبيحة الافخارستية» و: «إن الرب نفسه، وقد أراد أن يجعل من المسيحيين جسدًا واحدًا ليست فيه «لجميع الأعضاء الوظيفة عينها» [رو ١٢ : ٤] أقام فيهم خدامًا يُقلَّدون بالكهنوت، السلطان المقدس على تقديم الذبيحة ومغفرة الخطايا».

كذلك الجمعية الثانية العامة لسينودس الأساقفة، أكدت بحق أن الكاهن وحده يستطيع أن يعمل بشخص المسيح، ليرئس وليمة الذبيحة، ويتم ما يشترك فيه شعب الله في تقدمة المسيح».

بإهمال المسائل المتعلقة بخدام الأسرار المختلفة هنا، يثبت، بشهادة التقليد المقدس والسلطة التعليمية، أن المؤمنين الذين لم ينالوا الرسامة الكهنوتية وتجرأوا على اتخاذ مهمة إتمام الافخارستيا يقومون بعمل لا غير جائز فحسب بل أيضاً غير صحيح. ومن الواضح أن من واجب الرعاة منع مثل هذه التجاوزات، حيثما دخلت.

٤٥٥٠ – ٤٥٥٢ – بيان مجمع عقيدة الإيمان في شأن الإجهاض “Quaestio de abortu procurato”، ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٤

الإجهاض

٤٥٥٠ – ١ – لقد صارت مشكلة إحداث الإجهاض وتحريره في الشرع موضوع مناقشات حادة في كل مكان على وجه التقريب. ولكان هذا الجدل أقل خطورة لو لم يتناول الحياة البشرية، تلك القيمة الأولية التي لا بد من الحفاظ عليها وتعزيزها. وكل واحد يدرك ذلك، وإن سعى الكثيرون إلى إيجاد أسباب تجعل الإجهاض نفسه يخدم هذه الغاية، خلافًا لما هو جلي. فلا يسع الإنسان إلا أن يعجب من

رؤية تنامي الاعتراض المفتوح على عقوبة الموت، وعلى كل شكل من أشكال الحرب، والمطالبة في الوقت عينه بحرية الإجهاض، الكاملة أو المستندة إلى دلالات تزداد اتساعًا.

والكنيسة لها من الوعي الشديد لخصائص دعوتها في الدفاع عن الإنسان ومقاومة كل ما يمكن أن يقضي عليه أو يذله، ما يجعلها تأبى الصمت عن مثل هذا الموضوع: بما أن ابن الله قد صار إنسانًا، فليس من إنسان إلا وهو أخوه في الإنسانية، ومدعو إلى أن يصير مسيحيًا، ينال منه الخلاص.

٤٥٥١ – ١٠ – للقواعد الأخلاقية في شأن الحقوق والواجبات المتبادلة بين الشخص والمجتمع، أن تنير الضمائر، وللقانون أن يوضح بدقة وينظم العطاءات. وهناك على وجه التحديد حقوق ليس للمجتمع أن ينيلها لأنها موجودة قبله، بل مهمته أن يحافظ عليها ويعززها. تلك هي التي يسمونها اليوم «حقوق الإنسان»، في معظمها، والتي يفخر عصرنا بأنه صاغها.

٤٥٥٢ – ١١ – وأول حق للشخص الإنساني هو الحق في الحياة. وله خيور أخرى، بعضها أغلى ثمنًا، ولكن هذا الحق أساسي، وشرط لوجود كل الحقوق الأخرى. لذلك يجب الحفاظ عليه أكثر من الكل. وليس للمجتمع ولا للسلطة العامة، مهما كان شكلها، أن تعترف بهذا الحق لبعض الناس وتنزعه من الآخرين. وكل تمييز مثل هذا هو جائر، سواء أعلى العنصر استند، أم على الجنس، أم على اللون، أم على الدين. وهذا الحق لا يصدر عن اعتراف الآخرين به، بل هو يسبقه فيقتضي إذن الاعتراف به، ومن الجور، بمعناه الدقيق، رفضه.

٤٥٦٠ – ٤٥٦١ – جواب مجمع عقيدة الإيمان إلى مؤتمر أساقفة أميركا الشمالية "Haec Sacra Congregatio"، ١٣ آذار ١٩٧٥

التعقيم

٤٥٦٠ – ١ – كل تعقيم يكون له، بذاته أو بطبيعته ووضعه الخاص، مفعول واحد مباشر أن يجعل القدرة على الإنجاب عاجزة عن الولادة، يجب أن يعد تعقيمًا

مباشرًا، كما هو مفهوم في تصريحات سلطة التعليم الحبرية، خصوصاً بيوس الثاني عشر.

لذلك، هو يبقى، وفق عقيدة الكنيسة، ممنوعًا تمامًا، بالرغم من كل نية ذاتية مستقيمة عند الفاعلين، لشفاء أو استباق علة طبيعية أو نفسية يتوقع أو يخشى إمكان حدوثها من جراء الحَمْل.

وتعقيم القدرة على الإنجاب ذاتها ممنوعة أيضاً بشدة أكثر من تعقيم أفعال معينة، إذ إنها تستتبع بالنسبة إلى الشخص حالة تكون دومًا لا رجوع عنها.

كذلك لا يمكن الاستناد إلى إيعاز من السلطة العامة، التي تريد تعقيمًا مباشرًا بحجة مقتضى الخير العام، إذ يكون ذلك إيذاء لكرامة الشخص وحرمته. ولا يمكن الاستناد أيضاً، في هذه الحالة، إلى مبدإ الكلية الذي تُسوِّغ فيه جراحات الأعضاء بالخير الأسمى للشخص، فالتعقيم المقصود لذاته لا يهدف إلى ما يتوخى من خير كامل للشخص البشري على وجه صحيح «بالحفاظ على نظام الأشياء والخيور». إنه يضر بخيره الأخلاقي، الذي هو الأسمى، إذ يحرم عن قصد النشاط الجنسي المرتقب والمختار بحرية من عنصر جوهري. لذلك يبين البند العشرون من قانون الأخلاق الذي نشره المؤتمر سنة ١٩٧١، تبيانًا أمينًا العقيدة الواجب التمسك به، والواجب الإلزام بحفظها.

٤٥٦١ — ٢ – إن المجمع، وهو يثبت هذه العقيدة التقليدية في الكنيسة، لا يجهل أن هناك مخالفة في شأنها من قبل لاهوتيين عديدين. ولكنه يرفض أن يُضفي على هذا الواقع بحد ذاته، معنى عقائديًا، بحيث يكون «مكانًا لاهوتيًا» يستطيع المؤمنون الاستناد إليه، مهملين تعليم السلطة الصحيح، لاتباع آراء لاهوتيين يبتعدون عنه.

٤٥٧٠ – ٤٥٧٩ – التحريض الرسولي "Evangelii nuntiandi"، ٨ كانون الأوّل ١٩٧٥

رسالة يسوع

٤٥٧٠ — ٦ – إن الشهادة التي يعطيها المسيح الرب لنفسه، والتي التقطها القديس لوقا في إنجيله – «لا بد لي من إعلان البشارة بملكوت الله» – لها بلا ريب مؤدى كبير،

إذ إنها تحدد بكلمة كل رسالة يسوع: «لذلك أرسلت». وتأخذ هذه الكلمات كل معناها إذا ما قرنت بآيات سابقة طبق فيها المسيح على ذاته كلام النبي أشعيا: «روح الرب علي، لأنه مسحني لأبشر المساكين».

فإعلان البشارة البهجة، من مدينة إلى مدينة، خصوصاً لمن هم الأفقر، والأكثر تقبلاً لها مرارًا عديدة، بإتمام الوعود والعهد الذي قطعه الله، تلك هي الرسالة التي يعلن يسوع أن الآب بعثه لأجلها. وكل وجوه خدمته – التأنس ذاته، والمعجزات، والتعليم، ودعوة التلاميذ، واستمرار حضوره بين أخصائه – تدخل في نطاق هذا النشاط لإعلان الإنجيل...

٤٥٧١ – ٩ – وكنواة لهذه البشارة ومركز، يعلن المسيح الخلاص، تلك العطية العظيمة من لدن الله، والتي هي التحرير من كل ما يطغى على الإنسان، بل التي هي خصوصاً التحرير من الخطيئة ومن الخبيث، في فرح معرفة الله، ومعرفته لنا، ورؤيته، والاستراحة فيه بثقة. وهذا كله يبدأ في حياة المسيح، ويكتسب نهائيًا بموته وقيامته، ولكن لا بد من العبور به بصبر، وسط تقلبات التاريخ، ليتحقق تمامًا في يوم مجيء المسيح النهائي، الذي لا يعلم أحد متى يأتي، إلا الآب.

٤٥٧٢ – ١٠ – هذا الملكوت وهذا الخلاص – وهي كلمات مفاتيح لفهم تبشير المسيح – يستطيع كل إنسان أن ينالها كنعمة رحمة، ومع ذلك على كل واحد، في الوقت عينه، أن يحرزهما بالقوة – والمغتصبون يأخذونها عنوة، يقول الرب – وبالتعب والعذاب، وحياة بحسب الإنجيل، وبالزهد والصليب، وبروح التطوبيات الإنجيلية. ولكن قبل كل شيء، يستطيع كل واحد أن يحررها بتجدد داخلي كامل يسميه الإنجيل التوبة، أي تحول الإنسان بكامله، وتغير عميق في النظر وفي القلب.

التبشير بالإنجيل مهمة الكنيسة الخاصة

٤٥٧٣ – ١٤ – ... تعلم الكنيسة جيدًا [أن عليها نقل الإنجيل] لأنها تعي وعيًا شديدًا أن كلام المخلص: «لا بد لي أن أبشر بملكوت الله» ينطبق تمامًا عليها بحق. وتضيف مع القديس بولس: «إن التبشير بالإنجيل ليس لي موضوع فخر، إن ذلك ضرورة موضوعة علي والويل لي إن لم أبشر».

فالتبشير بالإنجيل هو نعمة الكنيسة ودعوتها الخاصة والتعبير عن أعمق ماهيتها. الكنيسة موجودة لأجل البشارة، أي لأجل الكرازة وتعليم كلام الله، لكي تصل بها عطية النعمة إلينا، لكي يصالح المؤمنون مع الرب، وأخيرًا لكي تجعل ذبيحة المسيح حاضرة للجميع، بالاحتفال بالقداس الذي هو تذكار موته وقيامته المجيدة.

التبشير والثقافة

٤٥٧٤ – ١٨ – إن التبشير بالنسبة إلى الكنيسة، هو في الحقيقة شيء واحد مع نقل البشارة إلى جميع الأوساط البشرية، حتى إذا ما عرضتها بالقوة التي لها، تجعل البشرية جديدة: «ها إني أجعل كل شيء جديدًا»...

٤٥٧٥ – ١٩ – ... والأمر، بالنسبة إلى الكنيسة، ليس فقط في إعلان الإنجيل في أقطار تتسع دومًا، أو لجماهير بشرية تزداد دومًا عددًا، ولكن أيضاً في أن تبلغ بل تقلب بقوة الإنجيل ذاتها، مقاييس الحكم، والقيم المسيرة، ونقاط الاهتمام، وخطوط الفكر، ومصادر الوحي، وأنماط حياة البشرية المضادة لكلام الله وقصده الخلاصي.

٤٥٧٦ – ٢٠ – ... ينبغي تبشير الثقافات، وثقافات الإنسان أيضاً، لا خارجيًا كما لو أضيف إليها زينة أو صبغة سطحية، ولكن داخليًا من مركز الحياة حتى جذور الحياة، وفق المعنى الغني والواسع الذي لهذه الألفاظ في الدستور «الفرح والرجاء»، على أن يكون الانطلاق دومًا من الشخص البشري ذاته والرجوع دومًا إلى علاقات الأشخاص بعضهم ببعض وعلاقاتهم بالله.

٤٥٧٧ – أجل إن الإنجيل والتبشير لا يتطابقان وأي ثقافة، لأنها مستقلان عن كل الثقافات. ومع ذلك، فملكوت الله الذي يعلنه الإنجيل يحياه واقعيًا أناس مرتبطون بثقافة، وبناء ملكوت الله لا يستطيع إغفال اقتراض عناصر من الثقافة ومن الثقافات البشرية. حتى وإن كان الإنجيل والتبشير لا يستخصان، بالمعنى الصحيح، أي حضارة، غير أنها ليسا مما لا يتلاءم وأيا منها، وبالعكس، إنها قادران على إشباعها كلها دون أن يستعبدهما أي منها.

٤٥٧٨ – إن القطعية بين الإنجيل والثقافة هي بلا ريب مأساة في عصرنا، كما كانت في عصور أخرى. لذلك، يجب بذل كل الجهود في سبيل تبشير كريم للثقافة البشرية، أو بكلام أصح، للثقافات ذاتها. فلا بد من تجديد لها بالبشارة. إلا أن هذا التلاقي لن يتم إذا لم تعلن البشارة.

الكرازة بالإنجيل والبشارة

٤٥٧٩ – فبين الكرازة بالإنجيل والرقي البشري، من تقدم وتحرير، هناك صلات وثيقة: صلات من نظام إنساني لأن الإنسان المبشر ليس كائنًا مجردًا، وإنما هو شخص خاضع للمسائل الاجتماعية والاقتصادية. وصلات من نظام لاهوتي، إذ لا يمكن فصل مخطط الخلق عن مخطط الفداء، الذي يتناول هو الحالات الواقعية جدًا من ظلم تجب محاربته وعدالة تجب إقامتها. وصلات أيضاً من ذلك النظام الإنجيلي بامتياز الذي هو نظام المحبة. إذ كيف يمكن إعلان الوصية الجديدة من غير تعزيز ترقي الإنسان الحقيقي والصحيح في العدل وفي السلام.
لقد أبدينا نحن أنفسنا إصرارًا على إبراز ذلك، مذكرين بأنه من المحال قبول أن العمل الإنجيل «يمكنه أو من واجبه إهمال المسائل الخطيرة، المطروحة اليوم بقوة، في شأن العدل، والتحرير، والتقدم، والسلام في العالم. فإذا جرى ذلك، يكون فيه جهل للعقيدة الإنجيلية عن محبة القريب المعذب أو المحتاج».

٤٥٨٠ – ٤٥٨٤ – إعلان مجمع عقيدة الإيمان عن بعض مسائل الأخلاق الجنسية "Persona humana"، ٢٩ كانون الأول ١٩٧٥

الكرامة البشرية والشريعة الإلهية

٤٥٨٠ – ٣ – يزداد يقين الناس في عصرنا بأن كرامة الإنسان ودعوته تقتضيان أن يكتشفوا، في ضوء عقلهم، القيم والقوى المحفورة في طبيعتهم، وأن ينموها دون انقطاع، ويحققوها في حياتهم في سبيل تقدم يكبر باطراد. ولكن الإنسان لا يستطيع في مجال الأخلاق أن يمضي وفق تحكم إرادته الشخصية: «فالإنسان

يكتشف في أعماق ضميره ناموسًا لم يصدر عنه، ولكنه ملزم بطاعته،... لأن الإنسان يحمل هذا الناموس محفورًا في قلبه، وكرامته في أن يخضع له، وبموجبه سوف يدان».

وعلاوة على ذلك، أعلمنا الله، نحن المسيحيين، بوحيه قصده الخلاصي، وأقام لنا المسيح المخلص والمقدس، بعقيدته ومثله، كقاعدة عظمى وثابتة للحياة، هو الذي قال: «أنا نور العالم، من تبعني لا يمشي في الظلام».

فما من تعزيز حقيقي لكرامة الإنسان إلا في احترام نظام الطبيعة الأساسي. أجل، لقد تبدل في تاريخ البشرية وسيتبدل أيضاً الكثير من أحوال الحياة البشرية الحسية واحتياجاتها. ولكن لا بد من أن يضبط كل تطور في الأخلاق وكل نوع من الحياة في الحدود التي تفرضها المبادئ الثابتة القائمة على العناصر المكونة والعلاقات الأساسية لكل شخص بشري، تلك العناصر والعلاقات التي تسمو على التقلبات التاريخية.

وهذه المبادئ الأساسية التي يستطيع العقل البشري إدراكها، تتضمنها «الشريعة الإلهية الأزلية والموضوعية والشاملة، التي يعمل بها الله، في تصميم حكمته ومحبته، على تدبير شؤون العالم كله، ومسالك الأسرة البشرية تنظيمًا وإدارة وحكمًا. وقد اشرك الله الإنسان في شريعته هذه بحيث أصبح هذا الإنسان، بتدبير لطيف من العناية الإلهية، قادرًا على ان يتعرف الحقيقة الثابتة أكثر فأكثر».

تعليم الكنيسة والشريعة الطبيعية

٤٥٨١ – ٤ – فمن الخطأ إذن، أن يزعم اليوم كثيرون، أنه من المتعذّر، في سبيل قيام قاعدة للأفعال الخاصة، إيجاد قاعدة مطلقة وثابتة في الطبيعة البشرية أو الشريعة الموحى بها، غير تلك التي تعبّر عنها الشريعة العامّة للمحبة واحترام كرامة الإنسان. وبرهانهم على هذا الكلام قولهم: ما اعتدنا تسميته بقواعد الشريعة الطبيعية، أو وصايا الكتاب المقدس، يجب أن نعتدّه بالحري شكلاً من ثقافة إنسانية خاصة، كما تجلت في وقت ما من التاريخ.

وفي الحقيقة، إن الوحي الإلهي، وحكمة العقل الطبيعي في نظامه الخاص،

بإبرازهما المقتضيات الصحيحة للطبيعة البشرية، يُبديان حتمًا بذلك عينه، وجود شرائع ثابتة، محفورة في العناصر المكوِّنة للطبيعة البشرية، تستبين أنها هي هي في كل الكائنات العاقلة.

وزيادة على ذلك، أسّس المسيح كنيسته «كعمود الحق وقاعدته». وهي بعون الروح القدس، تحفظ بلا انقطاع وتنقل بلا ضلال حقائق النظام الأخلاقي وتفسّر في أصالة لا الشريعة الإلهية الموحى بها فحسب، «ولكن أيضاً مبادئ النظام الأخلاقي النابعة من الطبيعة الإنسانية»، والتي لها صلة بترقي الإنسان الكامل وتقديسه. وانطلاقًا من ذلك، تمسّكت الكنيسة دومًا، على مدى تاريخها، بأن بعض فرائض الشريعة الطبيعية لها قيمة مطلقة وثابتة، ورأت في تجاوزها مخالفة لعقيدة الإنجيل وروحه.

٤٥٨٢ – ٧ – ... كثيرون اليوم يطالبون بالحق في الاتحاد الجنسي قبل الزواج، على الأقل حيثما النيّة الثابتة في الزواج، والوداد الزوجي القائم بوجه ما في قلب الاثنين، يطلبان هذا الإتمام الذي يَعدّانه ملائمًا للطبيعة. وهذا على الخصوص، عندما تمنع أحوال خارجية الاحتفال بالزواج، أو عندما يُعدّ هذا الاتحاد الحميم ضروريًا للحفاظ على الحبّ.

إن رأيًا كهذا يخالف العقيدة المسيحية، التي بموجبها يتم الفعل الجنسي في نطاق الزواج. فمهما كان قصد من يباشرون هذه العلائق السابقة لأوانها ثابتًا، يبقى أنها لا تمكّن من التزام العلاقة الشخصية المتبادلة بين رجل وامرأة في صدق وأمانة، وخصوصاً حمايتها من النزوات والأهواء.

العمل الرعائي واللواطيون

٤٥٨٣ – ٨ – ... لقد توصّل البعض، في أيامنا، خلافًا لتعليم السلطة الثابت، ولحسّ الشعب المسيحي الأخلاقي، واعتمادًا على ملاحظات نفسانية، إلى التساهل في الحكم، بل إلى العذر على العلاقات اللواطية لبعض الأشخاص عذرًا كاملاً...

... إن هذه العلاقات اللواطية بحسب النظام الأخلاقي الموضوعي، افعال تعوزها قاعدتها الأساسية والضرورية. لقد دانتها الأسفار المقدسة على أنها فساد، وأبرزتها

كأنها العاقبة الفاجعة لازدراء الله. إلا أن حكم الكتاب المقدس هذا لا يجيز استنتاج أن كل من يتألمون من هذا الانحراف مسؤولون عنه بأنفسهم، ولكنه يشهد أن أفعال اللواط هي بذاتها مخالفة للنظام، وأنه ليس بالإمكان قبولها بأي حال من الأحوال.

العمل الرعائي والاستمناء

٤٥٨٤ – ٩ – توضع اليوم مرارًا كثيرة موضع الشك أو تنفى صريحًا العقيدة الكاثوليكية التقليدية التي ترى في الاستمناء إخلالاً خطيرًا بالنظام الأخلاقي. ويقال إن علم النفس وعلم الاجتماع يثبتان أنه، خصوصاً عند الشبان، ظاهرة طبيعية لتطور الجنس. ولا يكون هناك خطيئة حقيقية وثقيلة إلا بمقدار ما يستسلم الشخص عن عمد للذّة المنفردة وينغلق على ذاته، لأن العقل عندئذ يكون على تعارض جذريّ مع المشاركة في الحب بين أشخاص مختلفين في الجنس، يزعم بعضهم أنها الغاية الرئيسة لاستعمال القدرة الجنسية.

إلا أن هذا الرأي يخالف العقيدة والممارسة الرعائية للكنيسة الكاثوليكية. ومهما يكن الأمر، بالنسبة إلى قيمة بعض الحجج البيولوجية أو الفلسفية التي استعملها بعض اللاهوتيين أحيانًا، فقد أكدت السلطة الكنسية في الواقع بتقليد ثابت وبلا تردد، وكذلك الحس الأخلاقي عند المؤمنين، أن الاستمناء هو فعل يخل بالنظام، بذاته، وبوجه خطير.

٤٥٩٠ – ٤٦٠٦ – إعلان مجمع عقيدة الإيمان "Inter insigniores"، شأن قبول النساء في الكهنوت، ١٥ تشرين الأوّل ١٩٧٦

١ – التقليد الذي اتُبع دائمًا في الكنيسة

٤٥٩٠ – لم تفكر الكنيسة الكاثوليكية قط أنه بإمكانها منح رسامة كهنوتية أو أسقفية صحيحة للنساء... وكان للتقليد الكنسي في هذا الشأن من الثبات في مجرى التاريخ ما لم تشعر معه السلطة التعليمية أبدًا بضرورة إعلان مبدإ لم يهاجمه أحد،

أو بالدفاع عن شريعة نافذة دون اعتراض، ولكن في كل مرّة أتيح لهذا التقليد أن يتبدّى، كان يشهد لإرادة الكنيسة أن تنسجم والنموذج الذي خلفه الرب لها.

٤٥٩١ – وهذا التقليد عينه حفظته بدقة الكنائس الشرقية التي من اللافت إجماعها على هذا الموضوع، ولاسيّما أنها تقبل راضية الاختلاف في أنظمتها الخاصة، وهي تأبى في أيامنا أيضاً أن تكون لها أي مشاركة في تلك المطالبات الرامية إلى منح النساء الرسامة الكهنوتية.

٢ – موقف المسيح

٤٥٩٢ – لم يدع يسوع المسيح أية امرأة بين الرسل. وفعله هذا لم يكن مجاراة منه للأعراف في زمانه، إذ إن موقفه من النساء كان مختلفًا جدًا عما كان في محيطه، وكان ينأى بقصد وبجرأة عن عادتهم...

٤٥٩٣ – إلا أن ذلك كله، وهذا ما يجب الاعتراف به، ليس من البداهة بحيث يكون بديهيًا مباشرة لكل واحد. وما الأمر بعجيب إذ إن المسائل التي يثيرها كلام الله أيضاً هي دومًا شديدة العمق حتى يتسنى لها أجوبة واضحة. إذ لا يكفي، لإدراك المعنى القصي لرسالة يسوع كما للكتاب المقدس نفسه، الاستناد إلى تفسير تاريخي محض للنصوص. ولكن في هذه القضية يجب الاعتراف بأن هناك شبه حزمة مترابطة من الوقائع المتقاربة، والتي تثير العجب أكثر أيضاً من أن يسوع لم يوكل المهمة الرسولية لنساء...

٣ – موقف الرسل

٤٥٩٤ – لقد جارت الجماعة الرسولية بأمانة موقف يسوع هذا من النساء. ومع أنه كان لمريم العذراء مكانة سامية في الفريق الصغير الذي كان يجتمع في العلية بعد صعود الرب [ر. أع ١ : ١٤]، فلم تختر هي في جماعة الرسل الاثني عشر عندما جرى الاقتراع الذي كانت نتيجته تعيين ماتيا. فقد عرض تلميذان لم تذكر الأناجيل حتى اسمها.

٤٥٩٥ – ولكن في يوم العنصرة امتلأوا كلهم من الروح القدس، رجالاً ونساء [ر. أع ٢ : ١؛ ١ : ١٤] وحده «بطرس مع الأحد عشر رفع صوته» لإعلان إتمام النبؤات عن المسيح [أع ٢ : ١٤].

٤ – القيمة الثابتة لموقف المسيح والرسل

٤٥٩٦ – ... حتى وإن كان موقف المسيح والرسل قد عده التقليد كله كقاعدة ثابتة، على مدى الأجيال إلى أيامنا، فهناك مسألة تثار، مع ذلك، لمعرفة هل تستطيع الكنيسة أن تسلك غير هذا السلوك اليوم. هناك من يجيبون بالإيجاب مستندين إلى حجج عديدة ينبغي تفحصها.

٤٥٩٧ – يؤكدون خصوصاً أن يسوع والرسل سلكوا هذا المسلك لأنهم كانوا مضطرين إلى مجاراة أخلاق الزمان والأمكنة، وأنه لم يكن هناك أي سبب آخر لعدم منح الخدمة (الكهنوتية) للنساء، حتى ولا لأمه، سوى أن أحوال ذلك الزمان كانت تحول دون سلوك مغاير. ولكن ما من أحد برهن، وفي الواقع لا يمكن البرهان، على أن هذا النهج أوجبته أسباب اجتماعية أو خصائص ثقافية فقط. وفي الواقع، عندما تفحصنا آنفًا الأناجيل، رأينا بالعكس أن يسوع نأى كثيرًا عن آراء معاصريه بإلغائه التمييزات التي كانت تفصل الرجال عن النساء. فلا يمكن إذن تأييد القول بأن يسوع انقاد لأسباب اقتضتها الظروف، في عدم إدخاله النساء في فريق الرسل. وبحجة أقوى ما كان الرسل أرغموا على اتباع ذلك النهج عند اليونانيين إذ لم يكن هؤلاء يعرفون هذه التمييزات.

٥ – الخدمة الكهنوتية في ضوء سر المسيح

٤٥٩٨ – ... بعد أن ذكرنا هذه القاعدة الكنسية وأساسها، فمن المفيد والمناسب أن نلقي الضوء على هذه القاعدة بإظهار ما يجد التفكير اللاهوتي فيها من ملاءمة: اي إن كون الرجال وحدهم يدعون إلى قبول الرسامة الكهنوتية أمر مرتبط ارتباطاً وثيقًا بطبيعة السر الأصلية وبعلاقته النوعية بسر المسيح. وليس القصد الاتيان بحجة بينة بل توضيح للعقيدة بالمقايسة الإيمانية.

٤٥٩٩ – إن تعليم الكنيسة الثابت، الذي جدده وحدده بدقة المجمع الفاتيكاني الثاني، وذكر به سينودس الأساقفة سنة ١٩٧١، وكرره أخيرًا هذا المجمع المقدس لعقيدة الإيمان في تصريحه الصادر في ٢٤ حزيران ١٩٧٣، هو أن الأسقف أو الكاهن، في ممارسة خدمته الخاصة، لا يعمل باسمه، ولكنه يمثل المسيح الذي يعمل به: «إن الكاهن يعمل حقًا باسم المسيح» كما كتب من قبل القديس كبريانوس في القرن الثالث. وإمكانية تمثيل المسيح نفسه هي ما يؤكد بولس أنها خاصة المهمة الرسولية [ر. ٢ كو ٥: ٢٠؛ غلا ٤: ١٤].

وتمثيل المسيح هذا يبلغ أقصى مدلولاته، ونمطاً خاصاً جدًا، عندما يحتفل بالجماعة الافخارستية، مصدر الكنيسة ومركزها، ووليمة الذبيحة التي بها يتحد شعب الله بذبيحة المسيح: فالكاهن الذي له السلطان لإتمامها لا يعمل فقط بالقوة التي نالها من المسيح، بل بتمثيل شخص المسيح، الذي يقوم مقامه، بحيث يكون صورته عينها عندما ينطق بكلمات التقديس.

٤٦٠٠ – للكهنوت المسيحي إذن خاصة أسرارية. فالكاهن علامة، فاعليتها الفائقة الطبيعة تحصل، أجل من الرسامة التي نالها، ولكنها علامة يجب أن ترى، وأن يعرف المؤمنون بسهولة مدلوها. فكل التدبير الأسراري مؤسس على علامات حسية لها قدرة على الدلالة تتلاءم والنفس البشرية. يقول القديس توما: «إن علامات الأسرار تمثل بقوة مشابهة طبيعية».

فهذه المشابهة الطبيعية مطلوبة للأشخاص كما للأشياء. فعندما يجب أن تمثل أسراريًا الطريقة التي انتهجها المسيح في الافخارستيا، لن يكون هناك تلك المشابهة الطبيعية الواجبة الوجود بين المسيح وخادمه إذا لم يكن الرجل من يقوم مقامه: وإلا لن ترى بسهولة في الخادم صورة المسيح، إذ إن المسيح نفسه كان حقًا ويبقى رجلاً.

٤٦٠١ – إن المسيح هو بلا ريب بكر الجنس البشري بأجمعه، الرجال كما النساء. لقد أعاد الوحدة التي حطمتها الخطيئة، بحيث لم يبق يهودي أو يوناني، عبد أو حر، رجل أو امرأة. فالجميع هم واحد في المسيح يسوع [ر. غلا ٣: ٢٨]. إلا أن

الكلمة المتجسد رجل بحسب الجنس. هذا هو حقًا أمر واقع، ولكنه أمر لا يمكن فصله عن تدبير الخلاص، وان كان لا يتضمن تفوق الرجل على المرأة: إنه متلائم مع مجمل القصد الإلهي، كما أوحى به الله، والذي مركزه هو سر العهد...

٤٦٠٢ – فإذا كان هناك استعداد لقبول هذه الأفكار تفهم بطريقة أفضل الأسباب الجيدة التي دعت الكنيسة إلى أن تعمل هكذا. وأخيرًا، فلتكن هذه المناظرات التي قامت في أيامنا لمعرفة هل يمكن النساء نيل الرسامة أو لا، حافزًا للمسيحيين على التعمق في سر الكنيسة، وتفحص طبيعة ومدلول الأسقفية والكهنوت باعتناء أكبر، وعلى الاعتراف بالمكانة الخاصة والسامية للكاهن في جماعة المعمدين التي هو عضو فيها، والتي مع ذلك، يتميز منها، لأن الكاهن، في الأفعال التي تقتضي سمة الرسامة، هو – مع كل الفاعلية الخاصة بالأسرار – صورة وعلامة للمسيح نفسه الذي يدعو، ويحل، ويتمم ذبيحة العهد.

٦ – الخدمة الكهنوتية في سر الكنيسة

٤٦٠٣ – لهذا السبب لا نرى كيف يمكن أن يعرض دخول النساء في الكهنوت، بحجة تلك المساواة في الحقوق المعترف بها للأشخاص البشرية، والصالحة أيضاً للمسيحيين. وكأساس لذلك يعتمد أحيانًا على الفقرة التي ذكرت أنفا من الرسالة إلى الغلاطيين [٣: ٢٨]، حيث جاء أنه لا تمييز في المسيح بين الرجل والمرأة. ولكن هذه الفقرة لا تتناول الخدم الكنسية، ويقال فيها فقط أن الجميع مدعوون بالتساوي إلى ان يصيروا أبناء الله بالتبني.

ومن جهة أخرى، يكون الضلال كبيرًا، بالنسبة إلى طبيعة الخدمة الكهنوتية ذاتها، إذا عدت بين حقوق الرجال، إذ إن المعمودية لا تمنح أحدًا الحق في الحصول على خدمة الكنيسة. فالكهنوت لا يمنح لأجل شرف الشخص ومنفعته، ولكن لكي يخدم الله والكنيسة. بل بالأكثر إنه تلبية لدعوة خاصة ومجانية تمامًا: «لستم أنتم قد اخترتموني، بل أنا اخترتكم، وأقمتكم [يو ١٥: ١٦؛ ر. عب ٥: ٤].

٤٦٠٤ – بما أن الكهنوت هو خدمة خاصة موكولة إلى عناية الكنيسة وحفظها، فالسلطة الكنسية واعترافها بأصالتها هي من الضرورة للدعوة إليها بحيث أصبحت جزءًا مكونًا لهذه الدعوة، لأن المسيح قد أختار «الذين أرادهم» [يو ٣:١٣]. ويقابل ذلك دعوة عامة لجميع المعمدين إلى ممارسة الكهنوت الملكي بتقدمة حياتهم لله، وبالشهادة المعطاة لمجده.

٤٦٠٥ – إن النساء اللواتي يعترفن بتوقهن إلى الخدمة الكهنوتية يستوحين بلا ريب الرغبة في خدمة المسيح والكنيسة. ولا عجب أيضاً في أنهن، حين يعين ما لحق بهن من تفرقة في المدينة، يبلغ بهن الأمر حد الرغبة في الخدمة الكهنوتية نفسها لهن. ولكن يجب أن لا ننسى أن النظام الكهنوتي ليس جزءًا من حقوق الشخص البشري ولكنه يعود إلى تدبير الله والكنيسة.

٤٦٠٦ – يبقى علينا أن نتعمق، بين تأكيدات المسيحية الكبرى، في تلك المساواة الأصيلة بين المعمدين، والتي ليست تماثلاً، لأن الكنيسة جسد متنوع بتنوع أعضائه، تعطى فيه لكل عضو وظيفته. وهذه الوظائف يجب أن تتمايز لا أن تختلط، وهي لا تؤدي إلى تفوق البعض الآخر، ولا تفسح في المجال للحسد.

يوحنا بولس الثاني: من ١٦ تشرين الأول ١٩٧٨

٤٦١٠ – ٤٦٣٥ – وثيقة الجمعية العمومية لأساقفة أميركا اللاّتينية في بويبلا (المكسيك) "La evangelización"، ١٣ شباط ١٩٧٩

الحقيقة الكاملة في شأن يسوع المسيح

٤٦١٠ – ١٧٤ – ... بين الجهود المبذولة لتقديم المسيح كرب لتاريخنا وموح للتغيير الاجتماعي الحقيقي، والمساعي لحصره في نطاق ضمير الفرد، نرى من الضروري إيضاح ما يأتي:

٤٦١١ – ١٧٥ – انه من واجبنا الإعلان بوضوح، دون ترك مجال للشكوك والالتباسات، عن سرّ التجسّد: أي لاهوت يسوع المسيح كما تعترف به الكنيسة، وحقيقة وقوّة بُعده الإنساني والتاريخي.

١٧٦ – علينا أن نقدِّم يسوع الناصري مشاركًا في حياة وآمال ومضايق شعبه، وأن نظهر أنه المسيح الذي تؤمن به الكنيسة وتعلنه وتحتفي به.

١٧٧ – أن نقدِّم يسوع الناصري، واعيًا لرسالته بالتبشير بالملكوت وتحقيقه، وبتأسيس كنيسته التي أساسها المنظور بطرس. يسوع المسيح الحي، الحاضر، الفاعل في كنيسته وفي التاريخ.

٤٦١٢ – ١٧٨ – لا نستطيع تشويه شخص يسوع المسيح، وجعله منحازًا أو مُنظِّرًا، بتحويله إلى سياسي أو زعيم، أو ثائر أو مجرد نبي، أو أيضاً بقصره على مجال ما هو شخصي بحت، هو ربّ التاريخ...

٤٦١٣ – ١٩٢ – ... بحقّ وطاعة كاملين لأبيه، وهما التعبير البشري عن حالته الأزلية كابن، سلك سبيله في بذل الذات والتجرّد، معرضاً عن تجربة السلطان السياسي، وكل لجوء إلى العنف إنه يجمع حوله بعض الناس من فئات اجتماعية وسياسية متنوّعة من أهل عصره. وعلى كونهم مدهوشين وأحيانًا غير أمناء، تحركهم المحبة والسلطان المشعّان منه، وجُعلوا أساساً لكنيسته. اجتذبهم الآب فساروا على طريق اتباع يسوع. طريق ليس هو لتأكيد الذات بغطرسة المعرفة أو السلطان البشري، ولا للكراهية والعنف، بل هو لعطاء الذات المتجرّد والمستعدّ لتضحية الحب: حبّ يشمل جميع الناس، حبّ يُحظي الصغار، والضعفاء، والفقراء. حبّ يجمع الكل ويدخلهم في أخوّة قادرة على اشراع السبيل لتاريخ جديد.

٤٦١٤ – ١٩٣ – وهكذا يتطلب يسوع بنمط متميّز، خاص، ليس له شبيه، أن يكون اتباعُه جذريًا، يشمل الإنسان بكامله وكل الناس، ويضمّ العالم والكون بأجمعها. وهذه الجذرية تجعل من الاهتداء مسارًا لا ينتهي أبدًا، على الصعيد الشخصي كما على الصعيد الاجتماعي. فإذا صحّ أن ملكوت الله يمرّ عبر ما يُحقق في التاريخ، فهو لا يُستنفذ فيه ولا يتوحّد معه.

٤٦١٥ – ١٩٤ – ويسوع أسلم ذاته بحريّة إلى الموت على الصليب غاية سبيل وجوده متمّمًا ما انتدبه الآب له. والذي جلب حريّة ملكوت الله وفرحه شاء أن يكون الضحيّة المحدِّدة للجور وللشر في العالم. واتخذ المصلوب ألم الخليقة مقدّمًا ذاته ذبيحة عن الجميع، هو الكاهن الأعظم الذي يستطيع المشاركة في أوهاننا والضحية الفصحية التي تفتدينا من خطايانا، والابن الطائع الذي يجسّد إزاء عدالة أبيه المخلّصة، الصراخ نحو تحرير جميع الناس وافتدائهم.

٤٦١٦ – ١٩٥ – لذلك يقيم الآب ابنه من بين الأموات. ويرفعه في المجد إلى يمينه. ويغمره بقوة روحه المحيية ويجعله رأساً لجسده الذي هو الكنيسة. ويقيمه ربا للعالم وللتاريخ. وقيامته هي علامة وعربون القيامة التي نحن جميعًا مدعوون إليها، والتحول النهائي للكون. وبه وفيه شاء الآب أن يعيد خلق ما خلق.

خدمة التبشير

٤٦١٧ – ٢٧٠ – إن شعب الله، بما أنه سر الخلاص الشامل، هو بكليته في خدمة المشاركة بين البشر والله، والمشاركة بين أبناء الجنس البشري كله. لذلك فالكنيسة هي شعب من الخدام. وطريقتها الخاصة في الخدمة هي التبشير. وهذه خدمة تستطيع وحدها أن تؤديها. هي تحدد هويتها وخصوصية ما تؤديه. وخدمة التبشير الكنسيّة هذه تتوجه إلى جميع الناس، بلا تمييز ولكن عليها أن تعكس دومًا إيثار يسوع الخاص للأشد فقرًا وللمعذبين.

٤٦١٨ – ٢٧١ – والجميع – الرؤساء والعلمانيون والرهبان – في شعب الله، هم خدام الإنجيل، كل واحد بحسب مهمته وموهبته الخاصة. والكنيسة كخادمة للإنجيل تخدم الله والبشر معًا، ولكن لتقود هؤلاء إلى ملكوت الرب: وهو الوحيد الذي أعلنت أنها خادمته، في الوقت عينه مع العذراء مريم، والذي تخضع له كل خدمتها البشرية...

٤٦١٩ – ٢٨١ – والتحقيق التاريخي لخدمة التبشير هذه سيبدو دومًا عسيرًا ومأسويًا، لأن الخطيئة، وهي قوة قطيعة، ستكون دومًا عقبة أمام النمو في المحبة والمشاركة، انطلاقًا من قلب البشر كما انطلاقًا من الهيكليات المتنوعة التي أوجدوها، والتي

وسمتها خطيئة أصحابها بسمتها الهدامة. وبهذا المعنى، تقتضي حالة الفقر، والتفرقة، والجور، والفساد، التي ينزف جرحها في قارتنا، شعب الله، وكل مسيحي، بطولة أصيلة في التزامه التبشير، حتى يستطيع التغلب على العقبات، والكنيسة تعرف حدودها وصغارها في مجابهة مثل هذا التحدي ولكنها تشعر بأن الروح يحميها ومريم تحميها.وشفاعتها القديرة تمكنها من التغلب على «هيكليات الخطيئة» في الحالة الشخصية والاجتماعية، وتحرز لها «التحرر الحقيقي» الآتي من المسيح يسوع...

٤٦٢٠ – لا بد من أن يلج التبشير عمق قلب البشر والشعوب. لذلك تقصد حركيته الاهتداء الشخصي والتحول الاجتماعي. ولا بد أن يمتد التبشير إلى كل الشعوب. ولذلك تقصد حركيته الجنس البشري بأسره. والوجهان هما آنيان للتبشير في أميركا اللاتينية اليوم وغدًا.

التبشير والديانة الشعبية

٤٦٢١ – نفهم بديانة الشعب، والمظاهر الشعبية للديانة، أو التقوى الشعبية، مجموع المعتقدات العميقة التي تحمل اسم الله، والمواقف الأساسية التي تتأتى من تلك المعتقدات، والمظاهر التي تتبدى بها. والأمر يتعلق بالشكل أو بالوجود الثقافي الذي تتخذه الديانة لدى شعب معين. وديانة الشعب اللاتيني الأميركي، في شكلها الثقافي الأكثر خصوصية، هي تعبير عن الإيمان الكاثوليكي. إنها كاثوليكية شعبية.

٤٦٢٢ – ٤٤٥ – إن إيمان الكنيسة، مع نقائصه، ورغم ثقل الخطيئة الحاضرة دومًا، قد طبع نفس أميركا اللاتينية بطابعه الخاص، مكونًا هويتها التاريخية الأساسية وصائرًا الرحم الثقافية للقارة التي منها ولدت الشعوب الجديدة.

٤٤٦ – إن الإنجيل المتجسد في شعوبنا يجمعها في خصوصية تاريخية ثقافية نسميها أميركا اللاتينية. وهذه الهوية تتبدى بطريقة مشرقة النور في وجه مريم جوادالوبي الخلاسي، القائم في بدء التبشير.

٤٤٧ – وديانة الشعب هذه يعيشها خصوصاً «الفقراء والصغار»، ولكنها تشمل كل المجالات الاجتماعية. وهي أحيانًا واحدة من الروابط التي تجمع الناس في أممنا

التي تقسمها السياسة كثيرًا. ولكن لا بد من أن نلاحظ أن الوحدة تتضمن تنوعات عديدة بحسب الفئات الاجتماعية، والعنصرية بل حتى الأجيال.

٤٦٢٣ – ٤٤٨ – إن الديانة الشعبية هي، في نواتها، مجموعة قيم تجيب بحكمة مسيحية عن تساؤلات الوجود الكبرى. وللحكمة الكاثوليكية الشعبية مقدرة على التأليف الحياتي. وهكذا تجمع بطريقة إبداعية الإلهي والإنساني، المسيح ومريم، الروح والجسد، المشاركة والمؤسسة، الشخص والجماعة، الإيمان والوطن، الذكاء والعاطفة. وهذه الحكمة هي نزعة إنسانية مسيحية تؤكد بطريقة جذرية، كرامة كل شخص كابن الله، وتقيم أخوة حقيقية تعلم ملاقاة الطبيعة وفهم العمل، وتوفر أسباب فرح وتفكه حتى وسط حياة قاسية جدًا.

٤٦٢٤ – ٤٥٠ – فالديانة الشعبية ليست فقط موضوع التبشير: فبمقدار ما تحتوي كلام الله الذي تجسد فيها، هي أيضاً شكل فعال به يبشر الشعب نفسه باستمرار...

٤٦٢٥ – ٤٥٣ – وبسبب تغافل العاملين الرعائيين، وعوامل أخرى معقدة، تبدي الديانة الشعبية أحيانًا علامات تلف وتشوه: فتظهر حينئذ بدائل فاسدة وتلفيقات تعيد إلى الوراء. وعلاوة على ذلك تتراكم فوقها في بعض الأماكن تهديدات خطيرة وغريبة تظهر في إلهاب المخيلة بتصورات الأهوال...

٤٥٧ – وديانة الشعب، كالكنيسة جمعاء، لا بد لها من تبشير يتجدد باستمرار.

التبشير والتحرير

٤٦٢٦ – ٤٨٠ – يتبدى في مدلين مسار فاعل للتحرير الكامل كان له صدى إيجابي في Evangelii nuntiandi وعند يوحنا بولس الثاني في رسالته إلى هذا المؤتمر. إنه إعلان يحرض الكنيسة، ويتصل بعمق التبشير الهادف إلى تحقيق أصيل للإنسان.

٤٨١ – إلا أن هناك مفاهيم وأساليب عمل مختلفة للتحرير. وهي، وإن احتوت ملامح مشتركة، إلا أن هناك مفاهيم يعسر تساوقها بطريقة مناسبة. ولذلك فمن الأفضل أن تعطى مقاييس من قبل السلطة التعليمية، تؤدي إلى التميز الضروري في شأن المفهوم الأصلي للتحرير المسيحي.

٤٦٢٧ – ٤٨٢ – يظهر عنصران متكاملان غير منفصلين: التحرر من كل عبوديات الخطيئة الشخصية والاجتماعية، ومن كل ما يمزق الإنسان والمجتمع، وينبع من الأنانية، في سر الإثم. والتحرير لأجل نمو الكيان التدريجي في سبيل الاتحاد بالله وبالناس، الذي يبلغ أوجه في الاتحاد الكامل في السماء حيث الله هو الكل في الكل، وحيث لا تبقى دموع...

٤٦٢٨ – ٤٨٥ – فإذا لم نستطع إذن التحرر من الخطيئة وكل إغواءاتها، ومن عبادة الأصنام، وإذا لم نساعد في التحقيق الفعلي للتحرير الذي اكتسبه المسيح على الصليب، فنحن ننتقص التحرير بما لا يعوض. وننتقصه أيضاً إذا نسينا محور التحرير الإنجيلي القائم على تحويل الإنسان إلى فاعل في سبيل نموه الفردي والجماعي. وكذلك ننتقصه إذا نسينا التبعية والاستعباد اللذين يضران بالحقوق الأساسية التي لا توليها الحكومات أو المؤسسات، مهما عظم شأنها، بل الله الخالق والآب نفسه.

٤٨٦ – والمقصود تحرير يعرف استعمال الوسائل الإنجيلية مع فاعليتها الخاصة، والذي لا يلجأ إلى أي نوع من أنواع العنف، ولا إلى جدلية صراع الطبقات، بل يستند إلى طاقة وقوة وفعل المسيحيين، الذين يحركهم الروح، فيبادرون إلى تلبية صراخ الملايين والملايين من الأخوة.

العنف الذي تسوغه الدواعي السياسية

٤٦٢٩ – ٥٣١ – نريد أن نتكلم بوضوح إزاء حقيقة العنف الذي يستدعي الأسف في أميركا اللاتينية، فالتعذيب الجسدي والنفسي، والاحتجاز، واضطهاد المنشقين السياسيين أو المشبوهين، والإقصاء عن الحياة السياسية لأسباب عقائدية، كلها أمور مدينة دومًا. وعندما ترتكب السلطة القائمة على الحفاظ على الخير العام هذه الجرائم، فهي تجلب العار على من يقترفها، دون التفات إلى ما يساق من أسباب.

٤٦٣٠ – ٥٣٢ – وبالإصرار ذاته تنبذ الكنيسة ما يقوم به الإرهابيون والمحاربون في العصابات من عنف قاس لا يضبطه ضابط، عندما يفلت من عقاله. ولا يمكن

بأي وجه تسويغ الجريمة كسبيل للتحرير. فالعنف يولد حتمًا أشكالاً جديدة من الجور والعبودية، هي عادة أخطر من التي يزعم التحرر منها. ولكنها خصوصاً تعد على الحياة المتعلقة بالخالق وحده. وعلينا أن نلفت أيضاً إلى أن الإيديولوجية، عندما تلجأ إلى العنف، فهي تعترف، بذلك عينه، بقصورها وضعفها.

٤٦٣١ - ٥٣٣ - مسؤوليتنا، نحن المسيحيين، تعزيز الوسائل غير العنيفة، بكل الأساليب، لإعادة العدالة في العلاقات الاجتماعية السياسية والاقتصادية، وفق تعليم المجمع الصالح للحياة الوطنية كما للحياة الدولية.

إيثار الفقراء

٤٦٣٢ - ١١٥٣ - الاختيار التفضيلي للفقراء غايته التبشير بالمسيح الذي ينير لهم كرامتهم، ويساعدهم في سعيهم إلى التحرر من كل مضايقهم، ويقودهم إلى الاتحاد بالآب وبأخوتهم، عن طريق اختبار الفقر. «لقد جاء يسوع ليشاركنا في حالتنا البشرية، بعذاباتها، وصعوباتها، وموتها. وقبل تغيير الوجود اليومي، عرف أن يخاطب قلب الفقراء، ويحررهم من الخطيئة، وفتح العيون على أفق من النور، وغمرهم بالفرح والأمل. ويعمل يسوع المسيح اليوم ذلك عينه. فهو حاضر في كنائسكم، في أسركم، وفي قلوبكم».

٤٦٣٣ - ١١٥٤ - وهذا الاختيار الذي يقتضيه ما في حالة الاختلالات الاقتصادية في اميركا اللاتينية من معثرة يجب أن يؤدي إلى إقامة تعايش إنساني كريم وأخوي، وإلى بناء مجتمع عادل وحر.

١١٥٥ - ولن يكون هذا التغيير الضروري في الهيكليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الجائرة، حقيقيًّا وكاملاً، إذا لم يرافقه تغيير في الذهنية شخصي وجماعي، في شأن مثل أعلى لحياة إنسانية كريمة وسعيدة، تهيئ من جهتها لتغير في الحياة.

٤٦٣٤ - ١١٥٦ - إن الفقر الذي يقتضيه الإنجيل كتضامن مع الفقراء، وكنبذ للحالة التي يعيش فيها معظم سكان القارة، يحفظ الفقير من الفردية في حياته، ومن

غواية المثل العليا الكاذبة لمجتمع الاستهلاك. كذلك، إن شهادة كنيسة فقيرة بإمكانها تبشير الأغنياء الذي علقت قلوبهم بالثروات، بتغييرهم وتحريرهم من هذه العبودية ومن أنانيتهم.

إيثار الشباب

٤٦٣٥ – ١١٨٦ – إن الكنيسة تثق بالشباب، إنهم رجاؤها. والكنيسة ترى في شباب أميركا اللاتينية طاقة حقيقية لحاضر ومستقبل تبشيرها. والكنيسة تقوم باختيار تفضيلي للشباب حتى تجعل الجسم الاجتماعي، والجسم الكنسي على الأخص، متحفزًا حقًا، بالتواصل مع رسالتها التبشرية في القارة.

٤٦٤٠ – ٤٦٤٥ – الرسالة العامّة "Redemptor hominis"، ٤ آذار ١٩٧٩

البعد البشريّ لسرّ الفداء

٤٦٤٠ – ١٠. لا يستطيع الانسان أن يعيش دون محبّة ويبقى لغزًا لا يُفهم في عين نفسه، ولا معنى لحياته، إن لم تتوفّر له المحبّة، ان لم يجدها، ويختبرها بنفسه ويشارك فيها مشاركة حميمة. ولهذا السبب أظهر المسيح الفادي تمامًا، على ما أشرنا إليه، الإنسان للإنسان عينه، وهذا هو البُعد البشري لسرّ الفداء – إذا صحّ التعبير – وهذه هي ميزته.

وفي هذا البعد يكتشف الإنسان مجدّدًا وشيئًا فشيئًا ما للإنسانية من عظمة وكرامة وقدر خاصّ. وفي سرّ الفداء «يُكوّن» الإنسان من جديد ويُخلق نوعًا ما خلقًا جديدًا. أجل انه يُخلق خلقًا جديدًا «لا يهودي ولا يوناني ولا عبد ولا حرّ ولا ذكر ولا أنثى. جميعكم واحد في المسيح يسوع» (غلا٣: ٢٨).

٤٦٤١ – انّ الإنسان الذي يتوق إلى معرفة أغوار نفسه، لا وفقًا لمقاييس عابرة ناقصة وفي غالب الأحيان خارجية وحتى ظاهرية، أو وفقًا لقواعد حياته فقط، عليه أن يلوذ بالمسيح حاملاً إليه قلقه وشكّه، ضعفه وخبثه، حياته وموته. عليه أن يدخل

فيه بكليّته تقريبًا وبكلّ ما هو. عليه أن «يمتلك» ويتّخذ لذاته حقيقة التجسّد والفداء بكاملها، لكي يعود فيجد نفسه.

فإذا أتمّ الإنسان هذا التحرّك الحميم في نفسه أثمر لا ثمر العبادة لله وحسب، بل ثمر الاعجاب بنفسه أيضاً. فأيّ قدر عظيم هو قدر الإنسان في عين الخالق إذا كان «استحقّ مثل هذا الفادي» وإذا كان «الله قد جاد بابنه الوحيد» لكيلا «يهلك الانسان بل ينال الحياة الأبدية» (ر. يو ٣: ١٦)؟

٤٦٤٢ – وفي الواقع انّ هذا الاعجاب الكبير بقدر الانسان وكرامته يسمّى الانجيل: النبأ المفرح، ويدعى أيضاً المسيحية. وعن هذا الاعجاب بالذات تنشأ وظيفة الكنيسة في هذا العالم ولربما وعلى الأخصّ في عالم اليوم. وهذا الأعجاب هو في آن معًا إقناع ويقين – وهذا هو في جذوره الأساسيّة يقين الإيمان الذي يحيي كل وجه من وجوه النزعة البشرية الحقّ ولكن بطريقة خفيّة مستترة – هذا الإعجاب يرتبط أوثق الارتباط بالمسيح...

الإنسان طريق كنيسة الأوّل

٤٦٤٣ – ١٣. ... وطريق الكنيسة الأساسي هو يسوع المسيح وهو طريقنا إلى «الآب» (ر يو ١٤: ١ – ٤) والطريق إلى أيّ انسان. وفي هذا الطريق الذي يؤدّي من المسيح إلى الانسان، في هذا الطريق الذي ينضمّ فيه المسيح إلى كلّ من الناس، ما من أحد يمكنه أن يوقف الكنيسة. هذا ما يقتضيه خير الانسان الزمني وخيره الأبدي، ومن أجل المسيح وسرّه الذي تتوقف عليه حياة الكنيسة لا يمكن صدّ الكنيسة عن كلّ ما يعود على الانسان بالخير ولا يمكنها هي أن تتغاضى عمّا يصيبه من ضرر...

٤٦٤٤ – ١٤. ... ان الإنسان في كامل حقيقة وجوده أي في شخصه وحياته الجماعية والاجتماعية، أعني في نطاق عائلته ومجتمعه ومختلف ظروفه وفي نطاق أمته أو شعبه (ولربما في نطاق ما يشدّه من رباط خاص بعائلته وبقبيلته) وفي نطاق الجنس البشري بأجمعه، هذا الإنسان هو بمثابة الطريق الأوّل الذي يجب على الكنيسة أن تسلكه لدى قيامها برسالتها. انه طريق الكنيسة الرئيسي الأوّل الذي شقّه السيّد المسيح، انّه الطريق الذي يمرّ دائمًا بسرّ التجسّد والفداء...

٤٦٤٥ – ولما كان الإنسان إذن هو طريق الكنيسة وطريق حياتها وخبرتها اليومية، طريق جهادها وعملها، فمن الواجب أن تتجدّد كنيسة عصرنا دائمًا وتقف على الحالة التي يعيش فيها الإنسان أي ان تطّلع على طاقاته التي تظهر وفقًا لما تتخذ دائمًا من اتجاه جديد، وكذلك يجب على الكنيسة أن تتنبّه لما يهدّد الإنسان من أخطار وأن تعرف أيضاً كلّ ما يمنع «حياة الإنسان» من أن تصبح يومًا فيومًا «أكثر انسانية»، بحيث تتفق ومقوّمات الحياة وكرامة الإنسان الحقّ وعلى الجملة عليها أن تعرف كلّ ما يعرقل هذا السير.

٤٦٥٠ – ٤٦٥٩ – رسالة من مجمع عقيدة الإيمان إلى جميع الأساقفة "Recentiores episcoporum synodi"، ١٧ أيّار ١٩٧٩

مسائل في شأن المعاد

٤٦٥٠ – يريد هنا هذا المجمع المقدس المسؤول عن تعزيز وصون عقيدة الإيمان، أن يذكر بتعليم الكنيسة باسم المسيح، خصوصاً في شأن ما سيجري بين موت المسيحي والقيامة العامة.

٤٦٥١ – ١ – تؤمن الكنيسة بقيامة الأموات.

٤٦٥٢ – ٢ – وتعني الكنيسة بهذه القيامة الإنسان بكامله. وما هي للمختارين سوى امتداد قيامة المسيح عينها إلى البشر.

٤٦٥٣ – ٣ – تؤكد الكنيسة بقاء وقيام عنصر روحي، بعد الموت، يتمتع بالوعي والإرادة، بحيث إن «الأنا البشرية» تبقى قائمة، ولكن من غير تكملة جسدها، في الزمن المتوسط. وتستعمل الكنيسة لتسمية هذا العنصر كلمة «نفس» التي خصه بها الكتاب المقدس والتقليد. وهي لا تجهل أن هذه اللفظة لها في الكتاب أكثر من معنى. ومع ذلك ترى أنه ليس هناك أي سبب جدي لنبذها، بل ترى أنه لا غنى على الإطلاق عن وسيلة كلامية لمساندة إيمان المسيحيين.

٤٦٥٤ – ٤ – تقصي الكنيسة كل وجه من وجوه الفكر والتعبير يؤدي إلى الحماقة

واللامعنى في صلاتها، وطقوسها الجنائزية، وتكريم الأموات، التي تكون في جوهرها أمكنة لاهوتية.

٤٦٥٥ – ٥ – تنتظر الكنيسة، وفق الكتاب المقدس «تجلي ربنا يسوع المسيح في المجد» ولكنها تراه متميزًا ومتأخرًا بالنسبة إلى حالة الإنسان حالاً بعد الموت.

٤٦٥٦ – ٦ – تقصي الكنيسة، في تعليمها عن مصير الإنسان بعد الموت، كل شرح ينزع من صعود العذراء ما له من فرادة، أي إن التمجيد الجسدي للعذراء هو استباق للتمجيد المعد لكل مختار.

٤٦٥٧ – ٧ – تعتقد الكنيسة، أمانة منها للعهد الجديد والتقليد، بسعادة الصديقين الذين سيكونون يومًا مع المسيح. وتعتقد بأن عقوبة دائمة تنتظر الخاطئ الذي سيحرم من مشاهدة الله، وبانعكاس تلك العقوبة على «كيان» الخاطئ كله. وتعتقد أخيرًا، بالنسبة إلى المختارين، بتطهير قد يحدث قبل مشاهدة الله، مغاير تمامًا لعقوبة المقضي عليهم. وهذا ما تعنيه الكنيسة عندما تتكلم على جهنم وعلى المطهر.

٤٦٥٨ – في شأن مصير الإنسان بعد الموت، لا بد، على الخصوص، من تجنب خطر التصورات الخيالية التي لا تقوم على أساس، لأن الإفراط فيها له نصيب كبير في الصعوبات التي غالبًا ما يلاقيها الإيمان المسيحي. والصور التي وردت في الكتاب المقدس تستحق مع ذلك الاحترام. ويجب بلوغ ما لها من معنى عميق، مع تجنب خطر المبالغة في تخفيفها، وذلك يعدل مرارًا إفراغ الحقائق التي تدل عليها من جوهرها.

٤٦٥٩ – لا يوفر لنا الكتاب المقدس ولا اللاهوتيون أنوارًا كافية لتصور صحيح لما وراء الموت. ولا بد للمسيحيين من التمسك بشدة بأمرين جوهريين: عليهم أن يؤمنوا، من جهة، بالاستمرارية الأساسية القائمة، بقوة الروح القدس، بين الحياة الحاضرة في المسيح والحياة الآتية، إذ إن المحبة هي شريعة ملكوت الله، ومقدار محبتنا على الأرض يكون مقدار مشاركتنا في المجد السماوي. ومن جهة أخرى، على المسيحيين أن يميزوا جيدًا الخلاف العميق القائم بين ماهية الحياة الحاضرة وماهية

الآتية، إذ يبدل نظام الإيمان بنظام النور التام. نكون مع المسيح و«نعاين الله». إنها لوعد وسر لم يمرا بسمع، وبها يقوم جوهر رجائنا. وإذا لم تستطع المخيلة بلوغ ذلك، فالقلب يمضي إليه من تلقاء ذاته وإلى النهاية.

٤٦٦٠ – ٤٦٦٦ – إعلان مجمع عقيدة الإيمان "Jura et bona"، ٥ أيار ١٩٨٠

الموت الرحيم

٤٦٦٠ – نعني بالموت الرحيم عملاً أو تمنعًا عن عمل يسببان الموت بذاتها أو بقصدهما، توصلا إلى إلغاء كل ألم. فهو إذن قائم على مستوى النيات والطرق المستعملة.

٤٦٦١ – فلا بد من أن نقول ذلك مرة أخرى وبحزم: لا شيء ولا أحد يستطيع أن يبيح إماتة كائن بشري بريء، جنين أو ولد أو بالغ، أو شيخ، أو مريض لا يرجى برؤه أو محتضر. ولا أحد يستطيع أن يطلب هذا الفعل القاتل لنفسه أو لآخر موكول إلى مسؤوليته، ولا أن يرضى به صراحة أو ضمنًا. وليس من سلطة تستطيع أن تفرضه شرعًا ولا أن تجيزه. فهنا تجاوز لشريعة إلهية، وإساءة إلى كرامة الشخص البشري، وإجرام إلى الحياة، وتعد على البشرية.

٤٦٦٢ – قد يحدث لبعضهم، بسبب الآم طويلة لا تطاق، أو لعلل عاطفية، أو لحجج أخرى، أن يرى من حقه المشروع أن يطلب الموت أو أن يميت آخر. في مثل هذه الحالات، حتى إذا كان من الممكن أن تخف المسؤولية بل أن تعدم، خطأ حكم الضمير – وإن كان ذلك عن نية حسنة – لا يغير طبيعة الفعل القاتل الذي يبقى بحد ذاته غير مقبول.

إن التماسات ذوي المرضى بمرض ثقيل جدًا الطالبين أحيانًا الموت يجب أن لا تفهم كأنها التعبير عن إرادة حقيقية للموت الرحيم. فهي دائمًا، على وجه التقريب، طلبات للعون والمحبة ناجمة عن الضيق.

إن ما يحتاجه المريض، وهو أبعد من العلاج الطبي، الحب، والدفء البشري والفائق الطبيعة، الذي يستطيع جميع الأقارب، بل يجب عليهم، أن يقدموه له، من والدين وأبناء، وأطباء ومعالجين.

٤٦٦٣ – ... وإن لم يكن هناك أدوية تفي بالمرام، يجوز اللجوء بموافقة المريض، إلى الوسائل التي تقدمها التقنية الطبية الأكثر تطورًا، وإن كانت لا تزال في المرحلة الاختبارية ولا تخلو من بعض الخطر...

٤٦٦٤ – ويجوز أيضاً وقف استعمال هذه الوسائل عندما تخيب نتائجها الآمال. ولكن، لاتخاذ مثل هذا القرار، يجب الاعتداد بالرغبة المعقولة للمريض وأسرته، ورأي الأطباء ذوي الاختصاص...

٤٦٦٥ – ويجوز دومًا الاكتفاء بالوسائل العادية التي يقدمها الطب. وليس هناك من واجب يفرض على أحد باللجوء إلى تقنية هي قيد الاستعمال ولكنها لا تزال خطرة وباهظة الثمن. ورفضها ليس بمثابة انتحار، بل هنا بالحري مجرد قبول للوضع البشري...

٤٦٦٦ – ... وحين يكون الموت وشيكًا لا مهرب منه، يحل ضميريًا اتخاذ قرار بالتخلي عن علاجات لا تنيل سوى مهلة وقتية وشاقة، دون إيقاف العلاجات العادية الواجبة للمريض، مع ذلك، في مثل هذه الحالة.

٤٦٧٠ – ٤٦٧٤ – تعليم مجمع عقيدة الإيمان "Pastoralis actio"، ٢٠ تشرين الأوّل ١٩٨٠

معمودية الأولاد الصغار

٤٦٧٠ – ١٢ – ... لقد فهمت الكنيسة دومًا كلام يسوع لنيقودمس بهذا المعنى: «أن الأولاد الصغار يجب أن لا يحرموا من المعمودية». فهذا الكلام له من الصيغة العامة والمطلقة ما جعل الآباء يحفظونه كأساس لضرورة المعمودية، والسلطة التعليمية تطبقه صراحة على معمودية الأولاد الصغار: فهذا السر هو، لهم أيضاً، المدخل إلى شعب الله، وباب الخلاص الشخصي.

٤٦٧١ – ١٣ – وهكذا أظهرت الكنيسة بعقيدتها وممارستها أنها لا تعرف وسيلة أخرى غير المعمودية لتؤمن للأولاد الصغار الدخول في السعادة الأبدية...

٤٦٧٢ – ١٤ – وكون الأولاد الصغار لا يزالون عاجزين عن إعلان إيمانهم بأنفسهم لا يمنع الكنيسة من منحهم هذا السر، إذ إنهم يعمدون، في الحقيقة، في إيمانها هي...

٤٦٧٣ – ٢١ – ينبغي أولاً التذكير بأنه يجب النظر إلى معمودية الأولاد الصغار كرسالة خطيرة. وما تطرحه من أسئلة على الرعاة لا يمكن حله إلا بانتباه وأمانة لعقيدة الكنيسة وفعلها المستمر.

٤٦٧٤ – وعمليًا يجب أن تستوحي معمودية الأولاد الصغار مبدأين ثانيهما خاضع للأول:

١ – أن المعمودية الضرورية للخلاص هي علامة وأداة محبة الله السابقة، التي تنجي من الخطيئة الأصلية وتمنح المشاركة في الحياة الإلهية. وعطية هذه الخيور للأولاد، بحد ذاتها، لا يمكن أن تؤجل.

٢ – أنه لا بد من ضمانات لنمو هذه العطية بتربية حقيقية على الإيمان والحياة المسيحية، بحيث يبلغ السر كمال «حقيقته». ويوفر الوالدان أو أقارب الأسرة عادة هذه الضمانات، وإن كان من الممكن أن يقوم مقامها، في الجماعة المسيحية، بدائل متنوعة. ولكن إذا لم تكن تلك الضمانات جدية، فقد يستدعي الأمر تأجيل السر، بل يجب حتى رفضه إذا تأكد أنها يقينا باطلة.

٤٦٨٠ – ٤٦٨٥ – الرسالة العامة "Dives in misericordia"، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٠

جوهر الرحمة

٤٦٨٠ – فصل ٤، ٦. ... لا يقوم ما للرحمة من فاعلية أكيدة، صحيحة على توجيه الأبصار، ولو حادّة نافذة، رفيقة، إلى شر أدبي أو طبيعي أو جسدي، لأن الرحمة تتجلّى بطبيعتها الأصلية الخاصة، عندما تقدّر وتشجّع وتستخرج الخير مما على الأرض وفي الإنسان من جميع أنواع الشرور. وهي إذا فُهمت على هذا الوجه، جسّدت ما لرسالة المسيح المسيحانية من محتوى أساسي ولعملها من قوة وفعالية.

وهكذا فهم تلاميذ المسيح واتباعه الرحمة ومارسوها. وما انفكّت الرحمة يومًا عن التجلي في قلوبهم وأعمالهم وكأنها برهان صادق على محبة خلاّقة تأبى أن «يغلبها الشر» ولكنها «تغلب الشر بالخير» (ر رو ١٢ : ٢١).

ولهذا لا مندوحة لنا عن اكتشاف وجه الرحمة الصحيح اكتشافًا جديدًا مستمرًا، لأن الرحمة، رغم جميع مختلف الاحكام المسبقة، لا غنى لعصرنا عنها.

وسر الفصح هو المسيح في قمة الكشف عن سرّ الله الذي لا يدرك. ويتمّ إذ ذاك، على اكمل وجه ما قيل في العلّية: «من رآني رأى الآب»، لأن المسيح الذي لم يشفق عليه الآب من أجل الإنسان والذي لم يحظ في غمرة ما قاسى من آلام مبرّحة على الصليب، برحمة البشر، أظهر في قيامته ملء هذه المحبة التي يكنّها له الآب، ومن خلاله، لجميع الناس: «وما كان إله أموات بل إله أحياء» (مر ١٢ : ٢٧).

المحبة أقوى من الموت

٤٦٨١ – ٧. ... وأبانَ السيد المسيح بقيامته إله المحبة الرحيمة، لأنه ارتضى الصليب طريقًا إلى القيامة. ولذا عندما نذكر صليب المسيح وآلامه وموته يتركّز إيماننا ورجاؤنا على القائم من الأموات: على المسيح الذي «في ذلك اليوم الذي هو أول أيام الأسبوع... وقف بينهم» في العليّة، حيث كان التلاميذ... ونفخ وقال لهم: «اقبلوا الروح القدس. من غفرتم له خطاياهم غفرت لهم، ومن امسكتموها عليهم أُمسكت» (يو ٢٠ : ٢٢ – ٢٣).

٤٦٨٢ – وهوذا ابن الله قد أحسّ أحساساً عميقًا، لدى قيامته، بما ظهر له من رحمة أي بمحبة الآب التي هي أقوى من الموت. وهوذا أيضاً المسيح عينه، ابن الله الذي، عندما انتهت رسالته المسيحانية وحتى بعد انتهائها، أظهر ذاته ينبوعًا للرحمة التي لا تنضب وللمحبة عينها التي – على ما يدل عليه فيما بعد تاريخ الخلاص في الكنيسة – لا بد من ان تبق أقوى من الخطيئة. فالمسيح الفصحي هو تجسيد أخير مستمرّ للرحمة وعلامتها الحية: التاريخية الخلاصية والاخروية أيضاً. وبهذه الروح تضع طقوس الزمن الفصحي المقدسة على شفاهنا ما يقول المزمور: «بمراحم الرب ارنّم إلى الأبد» (مز ٨٩ (٨٨) : ٢).

العدالة لا تكفي

٤٦٨٣ – ١٢. من السهل ان نتحقّق ان معنى العدالة قد استيقظ في مجتمعنا الحالي، على أوسع مدى. وهذا شعور يشدّد، ولا شك، على كل ما يضادّ العدالة في العلاقات التي تقوم، سواء أكان بين الناس والجماعات و«الطبقات»، أم بين الأمم والبلدان والأنظمة السياسية، وحتى، على ما يقال، بين جميع «العوالم». وهذه النزعة الاصيلة المتعدّدة الاشكال التي يضع ضمير الناس اليوم العدالة في أساسها، تشهد على ما للنزعات والصراعات التي تجتاح العالم من طابع أدبي.

٤٦٨٤ – وتشاطر الكنيسة أناس اليوم رغبتهم العميقة الحارّة في حياة عادلة من جميع الوجوه، وما انفكّت تبسط ما يجب له التقدير من مختلف مظاهر العدالة وفقًا لما تقتضيه حياة الناس والمجتمعات.

وكان هذا، في ذلك الزمن، شكلاً من أشكال تشويه العدالة. وهو مثل لا تزال تحتذيه أشكال عدالة اليوم. وواضح انه، استنادًا إلى هذه العدالة الموهومة (التاريخية مثلاً أو «الطبقية») يُقضى أحيانًا على الإنسان ويُقتل ويُسلب حريته.

... وعلّم الاختبار، ماضيًا وحاضرًا، ان العدالة وحدها لا تكفي، ان لم ينفسح المجال لفضيلة أخرى هي المحبة لتكيّف الحياة البشرية على اختلاف وجوهها.

شهادة الكنيسة

٤٦٨٥ – فصل ٧. هذا المشهد الذي يقدّمه لنا عصرنا والذي لا يمكنه الا ان يثير في نفوسنا القلق العميق، يذكّرنا بالكلمات التي رنّ بها نشيد مريم، منذ ان تجسّد ابن الله، والتي تشيد بالرحمة «من جيل إلى جيل». وعلى كنيسة هذا العصر، فيما تحتفظ في قلبها بما في هذه الكلمات الموحاة من السماء من بلاغة، وتطبّقها على ما أحرزت العائلة البشرية الكبرى من اختبارات وقاست من الام، ان تعي وعيًا أعمق وأدقّ ضرورة الشهادة لله في كل ما تقدم عليه من أعمال، جريًا على تقليد العهدين القديم والجديد، وتأثّرا، على الأخص، بمثل يسوع المسيح ورسله. وعلى الكنيسة ان تشهد لرحمة الله التي ظهرت في المسيح من خلال ما قام به من أعمال بوصفه المسيح، وعليها أيضاً ان تجاهر بهذه الرحمة اولاً، وتعلنها حقيقة إيمان خلاصية لاغنى عنها

للحياة التي تأتلف والإيمان، وعليها من ثم ان تعمل على ادخالها وتجسيدها، إذا صح التعبير، في حياة أبنائها، وعلى قدر المستطاع، في حياة جميع الناس ذوي الارادة الصالحة. ومن حق الكنيسة وواجبها أخيرًا، إذ تعترف بالرحمة وتبقى امينة لها على الدوام، ان تستمطرها، أي ان تسأل الله هذه الرحمة في كل حالة يحدث فيها شرّ طبيعي وأدبي، وكلّما هدّد جو الحياة لدى أناس اليوم بالاكفهرار.

٤٦٩٠ – ٤٦٩٩ – الرسالة العامة "Laborem exercens" ١٤ أيلول ١٩٨١

العمل في خدمة الإنسان

٤٦٩٠ – ٦. ... إن «انجيل العمل» يضع الأساس الذي إليه يستند من يحكم في أهمية العمل وقدره، فلا يُحلّها في نوعية العمل الذي ينجز، بل في الشخص الذي ينجزه. فالعمل يستمدُّ كرامته لا من طابعه الموضوعي بل من طابعه الشخصي. فانطلاقًا من هذا المفهوم يبطل الأساس الذي عليه بنى الأقدمون تمييز الناس فئات، وفقًا للعمل الذي يمارسون. لكن هذا لا يعني أننا لا يمكننا ولا يجب علينا تقدير العمل البشري وإعلاء شأنه بحدّ ذاته، ومن وجهته الموضوعيّة. إنمَا يلزمنا القول بإن قيمة العمل الأساسية الأولى هي الإنسان نفسه الذي يمارسه. ومن ثم نخلص إلى نتيجة ذات طابع أدبي ولها أهميّة كبرى، وهي أنه وإن يكن الإنسان مولودًا ومدعوًا لمَمارسة العمل «فالعمل هو قبل كل شيء في خدمة الإنسان لا الإنسان في خدمة العمل» الأمر الذي يدعونا إلى إعلاء قدر الوجه الشخصي للعمل فوق الوجه الموضوعي. وانطلاقًا من هذا المفهوم وهذا الاعتبار وعلى افتراض أن مختلف الأعمال التي يمارسها الإنسان هي على درجة متفاوتة من القدر والأهميّة الموضوعية، نود أن نعلن أمام الجميع أن لكل عمل من الكرامة ما للشخص الذي يعمله.

الرأسماليّة

٤٦٩١ – ٧. ... من المعروف أن للرأسماليّة كنظام، معنًى تاريخًا محددًا كنظام اقتصادي اجتماعي يعارض الاشتراكيّة والشيوعيّة. لكن إذا أعملنا البصيرة في تحليل الواقع

الاقتصادي، وبالأخص جهاز الإنتاج فيه – والعمل احد أجهزته – نتبين ولا بدّ أن الرأسماليّة القديمة تكرر الوقوع في الخطأ ذاته كلما اعتبرت الإنسان أداة للإنتاج، إسوة بسائر وسائل الإنتاج المادية، غير آخذة بعين الاعتبار كرامته كسيد عمله ومبدعه، ومن ثم كغاية حركة الإنتاج كلها.

العمل أحد الخيور

٤٦٩٢ – ٩. ... هذا ما ينبغي لكل من شاء أن يحدد معنى العمل الأدبي، أن يأخذه بعين الاعتبار. العمل خير للإنسان بل خير لإنسانيته لأنه بالعمل لا يحوّل الطبيعة طبقًا لحاجاته فحسب، بل يحقق ذاته كإنسان، بل يصير نوعًا ما «إنسانًا أكثر».

أسبقية العمل

٤٦٩٣ – ١٢. إذا نظرنا إلى واقع عصرنا هذا الذي يبدو وكأنه يعاني في تركيبه صراعات عدة هي من صنع الإنسان والذي تمثل فيه الوسائل التقنيّة، ثمرة العمل البشري، دورًا رئيسيًا (ولا بدّ من التنويه هنا أيضاً بما يثيره من الخوف توقع كارثة عالميّة من جرّاء حرب نووية ممكنة تحمل معها من القدرة على التدمير ما لا يتصوره عقل)، لا بدّ من التذكير بالمبدإ الذي تعلمه الكنيسة دائمًا: مبدإ أسبقية العمل على رأس المال. وهو مبدأ يتناول مباشرة طريقة الإنتاج الذي يشكل فيه العمل دائمًا السبب الرئيسيّ، فيمَا يظل رأس المال الذي يشمل مجمل وسائل الإنتاج، مجرد أداة أو السبب الآلي فقط. هذا المبدأ هو حقيقة راهنة نابعة من خبرة الأجيال...

٤٦٩٤ – يجب إعلان وأعلاء أسبقية الإنسان في عملية الإنتاج، أسبقية الإنسان على الأشياء. كل ما تعنيه كلمة «رأس المال» بالمعنى الحصري، إنمَا هو مجموعة أشياء ليس إلاّ؛ الإنسان وحده هو سيد العمل، وهو بقطع النظر عن نوع العمل، شخص حيّ والنتائج التي تترتب على هذه الحقيقة خطيرة وحاسمة.

٤٦٩٥ – ١٣. على ضوء هذه الحقيقة يبدو بداهة أنه لا يمكن فصل «رأس المال» عن العمل، ولا يمكن بأي وجه معارضة رأس المال بالعمل ولا العمل برأس المال، وبالأحرى، كمَا سنبيِّن فيمَا بعد، لا يجوز اثارة جمَاعات الناس الذين تشير إليهم

هذه الكلمات، بعضهم ضد البعض الآخر. وحده يكون عادلاً، أي متوافقًا مع جوهر القضية، وعادلاً أي صالحًا بذاته وموافقًا مع جوهر القضية، وعادلاً أي صالحًا بذاته وموافقًا للشريعة الأدبيّة، نظام العمل الذي يجتثّ المناقضة القائمة بين العمل ورأس المال من جذورها بغية تركيز بنيته على المبدأ المعلن أعلاه، الذي يولي العمل أسبقية أساسيّة ثابتة، ويحفظ للعمل طابعه البشري الشخصي، ويجعل منه الشريك الفاعل حقًا في عملية الإنتاج أيًا كان نوع هذا العمل.

ليس التناقض بين العمل ورأس المال متأتيًا من الأصول التي بموجبها تجري عملية الإنتاج، ولا تلك التي يقوم عليها النظام الاقتصادي بنوع عام. إنها تظهر بالعكس تداخلاً وترابطاً متينًا بين العمل وما تعودنا أن نسميه «رأس المال». فالإنسان أيا كان العمل الذي يمارسه، وبالوسائل البدائيّة كان أم بأكثرها تطورًا، يفهم ولا بد أنه يفيد، لتأمين عمله، من موردين: ممّا توفره الطبيعة من وسائل للجميع، ومما صنعه آخرون قبله انطلاقًا مما بين أيديهم، خاصة بتطويرهم التقنية، أي بإعدادهم وتطويرهم المستمر لمجموعة من الآلات الصالحة للعمل. الإنسان إذن بقيامه بعمله «يدخل على عمل الآخرين». إننا بدون صعوبة واعتمادًا على عقلنا، مثلنا على إيماننا الذي يستمد النور من كلمة الله، نعتنق هذه الرؤيا للعمل في إطاراته وطرق ممَارسته. وهي رؤيا متناسقة كل التناسق لاهوتيًا وناسوتيًا.

هذا المبدأ الذي كانت الكنيسة ولا تزال تذكر به وتعلمه يختلف أصلاً عن المنهج الإشتراكي كما أعلنه أتباع الماركسية وقد تحقق في بعض بلدان العالم خلال العقود التي عقبت رسالة البابا لاوون الثالث عشر. ويخالف هذا المبدأ أيضاً النهج الرأسمالي الذي تنهجه الليبراليّة والأنظمة السياسية المتحدِّرة منها. ويتركز الخلاف في حقّ المِلكيّة.

حق الملكية

٤٦٩٦ – العرف المسيحي لم يعتبر قط هذا الحق مطلقًا لا يمس. بل يأخذه دائمًا بمعنى أوسع في إطار حق الجميع العام في الإفادة من خيرات الخليقة كلها. وهذا يعني أن حق الملكية الخاصة يخضع للمصلحة العامة ولحق الجميع في خيرات الأرض.

٤٦٩٧ – هذا ولم يكن مفهوم الملك في تعليم الكنيسة يومًا، ليثير نزاعًا اجتماعيًا في قضية العمل. فالملكية كما سبق فأشرنا تكتسب بالعمل ولصالح العمل. وهذا يعني بنوع خاص ملكية وسائل الإنتاج. أما إذا أخذت هذه الوسائل على حدة كمجموعة من الممتلكات الخاصة بغية استخدامها كرأس مال لمجابهة العمل، بل لاستغلاله، ففي ذلك ما ينافي طبيعة هذه الوسائل ووجه استملاكها، إذ لا يمكن إستملاكها ضد العمل، أو استملاكها لمجرد الاستملاك، لأن مبرر استملاكها الوحيد – استملاكًا خاصاً كان، أو عموميًا، أو على الطريقة الاشتراكية – هو استخدامها في سبيل العمل. وباستخدامها في سبيل العمل يصبح من الممكن ولا بدّ، تحقيق المبدإ الأول في النظام الذي يعتبر خيور الأرض كلها للجميع، وللجميع الحق في الإفادة منها. إذن وانطلاقًا من وجهة النظر هذه في العمل البشري وحق الجميع في الخيور المعدّة للبشر يجب أن لا يستبعد، مع مراعاة الظروف الملائمة، ضم وسائل الإنتاج هذه في ملكية مشتركة.

٤٦٩٨ – فإذا كان لا بدّ من إعادة النظر دائمًا في «الرأسماليّة المتصلبة» بغية إصلاحها بما يتفق وحقوق الإنسان بمعناها الأوسع وبارتباطها بعمل الإنسان ذاته، وجب كذلك التأكيد على أن مثل هذه الإصلاحات العديدة والمرغوب فيها كثيرًا لا يمكن إنجازها بأن تُلغي، بقرار مسبق، ملكية وسائل الإنتاج الخاصة. إذ لا بد من الإشارة إلى أن مجرد انتزاع ملكية وسائل الإنتاج الخاصة تلك (أي رأس المال) من أصحابها، لا يكفي بحد ذاته لكي يتم انتقالها كما يجب إلى ملكية العموم: إنها تخرج من ملكية فريق من الناس الخاصة لتصير ملك مجتمعٍ منظم، فتخضع مباشرة لإدارة ورقابة قبضة من أُناس آخرين، لا يملكونها أصلاً، ولكنهم يملكون السلطة في المجتمع، ويستعملون هذه السلطة للتحكّم بالاقتصاد على مستوى البلاد كلها أو جزء منها.

٤٦٩٩ – قد يؤدي هذا الفريق من القادة والمسؤولين مهمتهم على وجه يراعي أسبقية العمل، وقد يسيئون اداء تلك المهمة إذا هم ادّعوا بالوقت نفسه احتكار السلطة في إدارة الوسائل المستخدمة للإنتاج، ولا يرعوون من الإساءة إلى حقوق الإنسان الأساسيّة. وهكذا يتضح أن مجرد انتقال وسائل الإنتاج إلى ملكية الدولة وعلى

الطريقة الاشتراكية لا يعني مطلقًا أنها انتقلت إلى ملكية العموم. ولا يجوز الكلام عن انتقال الملكية هذا إلى العموم إلا إذا ردَّت إلى المجتمع شخصيته، أي إذا كان لكل أحد من عمله الخاص، أن يعتبر نفسه ملاّكًا مشاركًا بكامل الحقوق في ورشة العمل الواسعة حيث يشتغل مع غيره.

٤٧٠٠ – ٤٧١٦ – الإرشاد الرسولي "Familiaris consortio"، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨١

دعوة الإنسان إلى المحبة

٤٧٠٠ – ١١ – ... يقرّ الوحي المسيحي طريقتين خاصتين بتحقيق دعوة الشخص البشري، بكليّته، إلى الحبّ، وهما الزواج والبتولية، وكلاهما يجهر بطريقة خاصة، بحقيقة الإنسان السامية، حقيقة كونه «مخلوقًا على صورة الله».

٤٧٠١ – وليس، بالتالي، الجنس الذي يتبادل الرجل والمرأة بواسطته هبة الذات، بأعمال خاصّة بالازواج ومقصورة عليهم، شأنًا بيولوجيًّا خاصًّا، لكنّه يتناول أعماق كيان الشخص البشري، بما انّه شخص بشري؛ ولا يتحقق بصورة إنسانية فعلاً الاّ إذا كان جزءًا لا يتجزّأ من الحبّ الذي يلتزم به التزامًا تامًّا الرجل والمرأة أحدهما تجاه الآخر حتى الموت. وتكون هبة الذات الجسدية كذبًا إن لم تكن علامة وثمرة لهبة الذات الشخصية الكاملة التي يكون معها الشخص البشري، بما فيه بعده الزمني، حاضرًا: وإذا تحفّظ الشخص من أيّ شأن أو احتفظ لنفسه بامكانيّة اتّخاذ قرار مغاير في المستقبل، فلا يكون قد وهب ذاته هبة كاملة.

٤٧٠٢ – وهذه الهبة الكلّية التي يقتضيها الحبّ الزواجي تتجاوب أيضاً ومقتضيات الأخصاب المسؤول. ولما كان هذا الاخصاب موجّهًا نحو إيلاد كائن بشريّ، فهو يفوق بطبعه النظام البيولوجي البحت ويشمل مجموعة قيم شخصية لا بدّ لها، لكي تنمو بانسجام، من مساهمة الوالدين مساهمة مستمرة موحدة.

٤٧٠٣ – و«المكان» الوحيد الذي يمكن أن تتمّ فيه هبة الذات هذه بكامل حقيقتها، انما هو الزواج، أي هو عهد الحبّ الزواجي أو الخيار الواعي الحرّ الذي يرتضي

الرجل والمرأة بموجبه ما اراده الله لهما من اشتراك حميم في العيش والحبّ، والذي لا يتجلّى معناه الحقيقي إلاّ في هذا الضوء. وليست مؤسسة الزواج تدخّلاً في غير محلّه من قبل المجتمع أو السلطة، ولا فرضاً آتيًا من الخارج لصيغة، بل بالأحرى مقتضى داخلي يفرضه عهد الحبّ الزواجي الذي يثبت علنًا ما يتميّز به من وحدة وفرادة بحيث انه يحيا في امانة تامّة لقصد الله الخالق. وما كانت هذه الامانة لتقيّد حرية الشخص، بل على العكس، إنّها تجعله في منأى عن كل تأثّرات شخصية ومزاجية وتشركه في الحكمة الخلاّقة.

الزوجان شاهدان للخلاص

٤٧٠٤ - ١٣ - ... في الواقع يندرج الرجل والمرأة نهائيًّا بالعماد في العهد الجديد الأبدي، عهد المسيح الزواجي مع الكنيسة. وبسبب هذا الاندراج الثابت رُفعت شركة الحياة والحبّ الزوجي الحميمة التي أسّسها الخالق، وأُدمجت في محبة المسيح الزواجية التي تُثبتها وتُغنيها قوّته، قوّة الفداء.

٤٧٠٥ - ويشدّ الزوجين أحدهما إلى الآخر، بقوّة وسم سر زواجهما، رباطٌ غير قابل للانفصام. واستخصاص أحدهما الآخر انما هو، بفضل العلامة الاسرارية، خير تمثيل لعلاقة المسيح بالكنيسة.

٤٧٠٦ - فالأزواج إذن، بالنسبة إلى الكنيسة، تذكيرٌ مستمرٌّ بما حدث على الصليب. انهم شهود أحدهم للآخر وللاولاد على الخلاص الذي يجعلهما السرّ شريكين فيه. فالزواج، ككلّ سرّ، استذكارٌ لحدث الخلاص وتنفيذ ونبوءة. «فالسرّ كاستذكار يوليهم النعمة ويوجب عليهم ذكر عظائم الله والشهادة لها أمام أبنائهم، وكتنفيذ، يوليهم النعمة ويوجب عليهم وضع أحدهم تجاه الآخر وتجاه أولادهما، حاضرًا، ما تقتضيها المحبة التي تسامح وتفتدي، وكنبؤة، يوليهم النعمة ويوجب عليهم ان يعيشوا رجاء لقائهم المسيح، مستقبلاً، وأن يشهدوا له».

الكنيسة المحامية عن الحياة

٤٧٠٧ - ... ولما كان حب الازواج مشاركة فريدة في سر الحياة ومحبة الله عينه، فان الكنيسة تعرف ان قد اسندت إليها وظيفة خاصة تقوم على المحافظة على كرامة الزواج السامية ورعايتها، وعلى القيام بواجب خطير هو واجب نقل الحياة البشرية.

٤٧٠٨ – ولهذا، وجريا على تقليد الجماعة الكنسية الحيّ على مرّ التاريخ، نقل إلى عصرنا المجمع الفاتيكاني الثاني الأخير والتعليم الذي اعلنه سلفنا بولس السادس على الأخص في رسالته العامة: «الحياة البشرية»، خبرًا نبويًا حقًا يثبت مجدّدًا ويعرض بوضوح ما تعلّم الكنيسة من عقيدة وتتمشّى عليه من قاعدة – وهما عقيدة وقاعدة قديمتان، جديدتان أبدًا – بشأن الزواج ونقل الحياة.

٤٧٠٩ – ولهذا أعلن آباء المجمع، في اجتماعهم الأخير، ما حرفيته: «ان هذا المجمع المقدس الملتئم في وحدة الإيمان مع خليفة بطرس يتمسّك تمسّكًا شديدًا بما ورد في المجمع الفاتيكاني الثاني (راجع فرح وأمل، عدد ٥٠) وبعده بما ورد في الرسالة العامة: «الحياة البشرية»، وعلى الأخص، بما يتعلّق بالحب الزوجي الذي يجب أن يكون انسانيًا تمامًا ومقصورًا على ذاته ومنفتحًا على حياة جديدة (الحياة البشرية، عدد ١١ وراجع ٩ و١٢)».

٤٧١٠ – ٣٠ – ... والكنيسة مدعوّة للإعراب مجدّدًا للجميع، – انطلاقًا من اعتقاد لها راسخ ثابت – عن ارادتها في دفع الحياة البشرية إلى الأمام بكل ما لديها من قوة وصيانتها من كل ما ينصب لها من اشراك أيًا تكن الحالة التي توجد فيها مرحلة التطوّر التي بلغتها.

٤٧١١ – ولهذا ترذل الكنيسة، رذلها لامتهان خطير للكرامة الانسانية والعدالة، جميع النشاطات التي تقوم بها الحكومات وغيرها من السلطات العامة للحدّ من حريّة الازواج في ما يتعلّق بالقرار الذي يتخذونه بشأن البنين. ولهذا يجب رفض كل عنف تلجأ إليه أمثال هذه الحكومات لمنع الحبل ونبذ ما يسمّى بالتعقيم والاجهاض المفتعل، بمنتهى الشدة. ويجب أيضاً تقبيح ما يقيّد، في العلاقات العامة بين الأمم، المساعدات الاقتصادية الممنوحة للشعوب بنيّة منع الحمل والتشجيع على التعقيم والاجهاض المفتعل، كما يقبّح ظلم كبير.

شرعة حقوق العائلة

٤٧١٢ – ٤٦ – ... تدافع الكنيسة علنًا وبقوة عن حقوق العائلة في وجه المجتمع والدولة وما يرتكبانه من تجاوزات لا تطاق. وقد ذكّر على الأخص آباء المجمع في ما ذكّروا به، بحقوق العائلة التالية:

– حق الوجود والتطور، أعني حق كل إنسان، ولا سيّما الفقراء في تأسيس عائلة واعالتها بالوسائل المناسبة.

– حق ممارسة وظيفتها في نقل الحياة وتربية البنين.

– حق الحياة الزوجية والعائلية الحميمة.

– الحق في ثبات الوثاق الزوجي والمؤسسة الزواجية.

– حق تربية البنين وفقًا للتقاليد الخاصة والقيم الدينية والثقافية، باعتماد الأدوات والوسائل والمؤسسات اللازمة.

– حق التمتع بالأمن الطبيعي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي وعلى الأخص للفقراء والمرضى.

– الحق في مسكن يتلاءم وحياة عائلية لائقة.

– حق التعبير والتمثيل أمام السلطات العامة، الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية وأمام السلطات الخاضعة لها، سواء أكان ذلك مباشرة أم بواسطة اتحادات.

– حق انشاء اتحادات مع عائلات ومؤسسات أخرى بغية قيام العائلة بوظيفتها على أنسب وجه وأفضله.

– حق حماية القاصرين، بواسطة مؤسسات وتشريعات مؤاتية، من العقاقير المضرّة، والخلاعة، والكحول، الخ.

– حق التسلية السليمة التي ترعى في الوقت عينه قيم العائلة.

– حق العجزة في حياة لائقة وميتة لائقة.

– حق الهجرة كعائلة بحثا عن حياة أفضل.

٤٧١٣ – ... ان سرّ الزواج، الذي يستعيد نعمة العماد المبرّرة، ويستكملها، هو ينبوع خاص واداة فريدة لتقديس الازواج والعائلة المسيحية. وبفضل سرّ موت السيد المسيح وقيامته الذي يُدخل الزواج فيه الناس مجدّدًا، يتطهّر الحب الزوجي ويتقدّس. «لقد تنازل الرب فطهّر هذا الحب من شوائبه وكمّله ورفعه بجود خاص من نعمته ومحبته».

٤٧١٤ – ... والدعوة الشاملة إلى القداسة تتوجّه إلى الأزواج كما تتوجّه إلى الوالدين المسيحيين: فهي يحدّدها بالنسبة إليهم الاحتفال بالسرّ وتنتقل عمليًا إلى الشؤون الخاصة بالحياة الزوجية والعائلية. ومن هنا تولد النعمة والحاجة إلى روحانية زواجية وعائلية حقيقية وعميقة تستوحي مواضيع الخلق، والعهد، والصليب، والقيامة، والعلامة السرّية التي توقّف عليها الجميع مرارًا عديدة.

٤٧١٥ – فالزواج المسيحي كسائر الأسرار التي «جعلت لتقديس الناس، وبنيان جسد المسيح، وأخيرًا لعبادة الله»، هو عمل طقسي بحد ذاته يمجّد الله في المسيح يسوع وفي الكنيسة: ولدى الاحتفال به، يعترف الأزواج المسيحيون، بنفس طيّبة، لله بما أفاض عليهم من هبة فائقة يتمكنون معها من أن يعيشوا مجددًا في حياتهم الزوجية والعائلية من محبة الله لجميع الناس، ومحبة الرب يسوع للكنيسة، عروسته.

٤٧١٦ – وكما ان هذا السرّ يفـيـض على الأزواج هبة ويلزمهم بواجب ليختبروا في حياتهم اليومية التقديس الذي اقتبلوه، فهو يجري أيضاً عليهم نعمة ويلزمهم بواجب أدبي يحوّلون معه حياتهم «إلى قرابين حيّة» دائمة. وكذلك تنطبق على الأزواج والوالدين المسيحيين، خاصة في الشؤون الدنيوية والزمنية التي يتميّزون بها، كلمات المجمع: «وعلى هذا المنوال يقدّم العلمانيون لله العالم عينه مقدّمين له في كل مكان عبادة سجود».

٤٧٢٠ – ٤٧٢٣ – تعليم مجمع عقيدة الإيمان "Sacerdotium ministeriale"، ٦ آب ١٩٨٣

خادم الافخارستيا

٤٧٢٠ – ١ – إن من يؤيدون هذه الآراء الجديدة يقولون إن كل جماعة مسيحية، بفعل اجتماعها باسم المسيح، وباستفادتها بالتالي من حضوره غير المنقسم [ر مت ١٨: ٢٠] لها كل السلطات التي شاء الرب أن يمنحها للكنيسة.

وهم يرون، علاوة على ذلك، أن الكنيسة رسوليه، بمعنى أن جميع الذين طهروا بالمعمودية وأصبحوا أعضاء في جسدها وشركاء بالمهمة الكهنوتية والنبوية والملكية

التي للمسيح، يجب أن يعدوا حقيقة كذلك خلفاء الرسل. وبما أن الكنيسة جمعاء قد سبق تصويرها في الرسل، فينتج من ذلك أن كلمات تأسيس الافخارستيا نفسها، الموجّهة إليهم، هي موجّهة إلى الجميع.

٤٧٢١ — ٢ — ويستتبع ذلك أيضاً أن خدمة الأساقفة والكهنة، وإن كانت ضرورية لنظام كنسي جيّد لا تختلف عن كهنوت المؤمنين العام، من حيث المشاركة في كهنوت المسيح، بمعناه الدقيق، ولكن فقط من حيث الممارسة.

وما يسمّى بمهمّة «قيادة» الجماعة — التي تتضمّن المهمّة المزدوجة للوعظ بكلمة الله وترؤس الافخارستيا — لا يكون سوى مجرّد توكيل يُمنح لحسن سير الجماعة نفسها. ولكن يجب أن لا «يُقدّس». والدعوة إلى هذه الخدمة لا تضيف أهلية «كهنوتية» جديدة بالمعنى الدقيق — ولهذا السبب يُتجنَّب في أغلب الأحيان استعمال كلمة «الكهنوت» عينها — ولا تَسِم بسِمة تُقيم وجوديًا في حالة الخادم، بل يعبّر فقط، إزاء الجماعة، عن أن الأهلية الأولى التي منحها سرّ المعمودية تصبح فعليّة.

٤٧٢٢ — ٣ — وبقوّة رسولية الجماعات المحلية المتنوّعة، التي لا يكون حضور المسيح فيها أقلّ منه في الهيكلية الأسقفية، تستطيع كل جماعة، مهما كانت صغيرة، إذا حُرمت مدّة طويلة من هذا العنصر المكوِّن الذي هو الافخارستيا، أن «تستعيد تملّك» سلطانها الأصلي، ويكون لها الحق في تعيين رئيسها ومنعشها الخاص، وأن تمنحه كل الصلاحيات الضرورية لقيادة الجماعة نفسها، وبضمنها الترؤس وتقديس الافخارستيا. أو يقولون أيضاً، إن الله نفسه، في مثل هذه الأحوال، لا يمتنع عن منح السلطان الذي يوليه عادة بالرسامة الكهنوتية، حتى بدون السرّ.

ويقود أيضاً إلى هذه النتيجة كون الاحتفال بالافخارستيا يُفهم مرارًا كأنه مجرد فعل تضطلع به الجماعة المحلية الملتئمة لتقيم تذكارًا لعشاء الرب الأخير بكسر الخبز. فيكون ذلك إذن وليمة اخوية، تتلاقى فيها الجماعة وتعبّر عن ذاتها، أكثر مما هو تجديد سرّي لذبيحة المسيح التي يمتدّ مفعولها إلى جميع الناس، الحاضرين والغائبين، الاحياء والأموات...

٤٧٢٣ — إن هذه الآراء كلها، وإن عُرضت في أشكال كثيرة التنوّع والاختلافات

التفصيلية، تتلاقى في نتيجة واحدة: أن سلطان تحقيق سرّ الافخارستيا ليس مرتبطاً حتمًا بالرسامة السرّية.

وبديهي أن مثل هذه النتيجة لا يمكن على الإطلاق أن تتّفق والإيمان المنقول إلينا، إذ يُنبذ هكذا لا السلطان الممنوح للكهنة فقط، ولكن أيضاً يُساء إلى الهيكلية الرسولية كلها في الكنيسة، ويُقلب تدبير الخلاص الأسراري.

٤٧٣٠ – ٤٧٤١ – تعليم مجمع عقيدة الإيمان "Libertatis nuntius"، ٦ آب ١٩٨٤

– التحليل الماركسي

٤٧٣٠ – ١ – لقد قاد نفاد الصبر وإرادة الفاعلية بعض المسيحيين، الذين يئسوا من كل طريقة أخرى، إلى الالتفات إلى ما يسمّونه «التحليل الماركسي».

٤٧٣١ – ٢ – واستدلالهم هو الآتي: أن الحالة التي لا تطاق والمتفجرّة تستدعي عملاً فاعلاً لا يمكن تأجيله. ومثل هذا العمل الفاعل يفترض تحليلاً علميًا للأسباب المتعلّقة بهيكلية الفقر. وقد أوجدت الماركسية أدوات لمثل هذا التحليل. فيكفي أن نطبّقها على حالة العالم الثالث وخصوصاً على حالة أميركا اللاتينية.

٤٧٣٢ – ٨ – ... لا أحد ينفي أن الفكر الماركسي، منذ نشأته، ولكن بطريقة أكثر بروزًا في السنوات الأخيرة، قد تنوع فنشأت عنه تيارات عدة يختلف بعضها كثيرًا عن بعضها الآخر، ولكن بمقدار ما تبقى هذه التيارات ماركسية فهي تستمر على تعلقها ببعض المواضيع الأساسية التي لا تتلاءم والمفهوم المسيحي للإنسان وللمجتمع.

٤٧٣٣ – لذلك ليست بعض الصيغ حيادية، ولكنها تحتفظ بالدلالة التي كانت لها في العقيدة الماركسية الأصلية. تلك هي الحال بالنسبة إلى «صراع الطبقات». فهذا التعبير يبقى مشبعًا بالتفسير الذي أعطاه له ماركس ولا يمكن بالتالي أن يعد معادلاً في المؤدى التجريبي، للتعبير «نزاع اجتماعي حاد».

فالذين يستعملون مثل هذه الصيغ، بالتالي، وهم يزعمون أنهم لا يحتفظون إلا

ببعض عناصر التحليل الماركسي الذي يرذلونه في كليته، إنما يديمون في أذهان قرائهم التباسا على الأقل خطيرًا.

٤٧٣٤ – ٩ – نذكر بأن الإلحاد وإنكار الشخص البشري، وحريته وحقوقه، هما في لب المفهوم الماركسي. فهو إذن يحوي أضاليل تهدد بطريقة مباشرة حقائق الإيمان في شأن المصير الأبدي للبشر. وعلاوة على ذلك، إن ابتغاء إدخال «تحليل» في اللاهوت، معاييره مرتبطة بذلك المفهوم الإلحادي، يؤدي إلى الانحصار ضمن مفارقات هدامة، وزيادة على ذلك يؤدي تجاهل طبيعة الشخص الروحية إلى إخضاع هذا الاخير تمامًا للمجموعة، وهكذا إلى إنكار مبادئ حياة اجتماعية وسياسية تتلاءم والكرامة الإنسانية.

٩ – صراع الطبقات

٤٧٣٥ – ٦ – ... لا بد أن يستتبع هذا المفهوم تسييسًا جذريًا لما يقوله الإيمان، وللأحكام اللاهوتية، فلا يعود الأمر متعلقًا فقط باسترعاء الانتباه إلى نتائج الانعكاسات السياسية للحقائق الإيمانية، التي تحترم أولاً في قيمتها المتعالية. بل يخضع كل تأكيد إيماني أو لاهوتي لمعيار سياسي، هو عينه مرتبط بنظرية الطبقات التي هي محرك التاريخ.

٤٧٣٦ – ٧ – وبالتالي يقدم الدخول في صراع الطبقات كأنه من مقتضيات المحبة ذاتها، وتتهم، كموقف متخاذل ومخالف لمحبة الفقراء، إرادة محبة كل إنسان منذ الآن، مهما كان انتماؤه الطبقي، والمضي إلى ملاقاته بطرق الحوار والإقناع من غير عنف. وإذا قيل إنه يجب أن لا يكون موضوع حقد، يقال أيضاً إنه بانتمائه الموضوعي إلى عالم الأغنياء، هو أولاً عدو في طبقة عدوّة تجب محاربته. وبالتالي، فشمول محبة القريب والأخوة يصبح مبدأ للآخرة، لا قيمة له إلا «بالنسبة إلى الإنسان الجديد» الذي سيخرج من الثورة الظافرة.

٤٧٣٧ – ٨ – أما الكنيسة، فهناك ميل إلى أن لا ترى سوى كحقيقة داخلية في التاريخ، تخضع هي أيضاً للشرائع المفترض أن تحكم المصير التاريخي في كمونه. وهذا الاقتصار يفرغ خاصة الكنيسة، عطية نعمة الله وسر إيمان. وكذلك ينكر أن

يكون هناك معنى باق لمشاركة مسيحيين من طبقات متعارضة في المائدة الافخارستية عينها...

٤٧٣٨ - ١٠ - ولكن «أنماط لاهوت التحرير» التي لها الفضل في إعادة إبراز قيمة النصوص الكبرى عند الأنبياء وفي الإنجيل، في شأن الدفاع عن الفقراء، قد خلطت خلطاً هدامًا بين فقير الكتاب المقدس وكادحي ماركس. وبذلك أفسد المعنى المسيحي للفقير، وتحولت المعركة في سبيل حقوق الفقراء إلى معركة بين الطبقات في المنظور الإيديولوجي لصراع الطبقات. وكنيسة الفقراء تعني عندئذ كنيسة طبقة، وعت ضرورات الصراع الثوري كمرحلة نحو التحرير، وتحتفل بهذا التحرير في ليتورجيتها.

٤٧٣٩ - ١١ - يجب إبداء ملاحظة مشابهة في شأن التعبير كنيسة الشعب. من الوجهة الرعائية يمكن أن يفهم بذلك من يتوجه إليهم الإنجيل أولاً، من تخصهم الكنيسة أولاً بمحبتها الرعائية بسبب حالتهم. ويمكن أيضاً الكلام على الكنيسة «كشعب الله» أي كشعب العهد الجديد الذي أقيم في المسيح.

٤٧٤٠ - ١٢ - ولكن «أنماط لاهوت التحرير» التي نتكلم عليها، تفهم بكنيسة الشعب كنيسة طبقة، كنيسة شعب مظلوم يجب «توعيته» في سبيل صراع التحرير المنظم. حتى ليصير الشعب بهذا المفهوم للبعض موضوع إيمان.

٤٧٤١ - ١٣ - وانطلاقًا من مثل هذا المفهوم لكنيسة الشعب، يُنمّى انتقاد لهيكليات الكنيسة نفسها، ولا يكون ذلك مجرد إصلاح أخوي لرعاة الكنيسة الذين لا يعكس سلوكهم روح الخدمة الإنجيلية، ويتمسك بعلاقات للسلطة مضى عليها الزمان وصارت معثرة للفقراء، بل يكون اتهامًا للهيكلية الأسرارية والتراتبية في الكنيسة، كما أرادها الرب نفسه. ويتهم مَن هم في السلطة الإدارية والتعليمية في الكنيسة بأنهم يمثلون موضوعيًا الطبقة المتسلطة التي يجب محاربتها. وهذا الموقف يعني لاهوتيًا أن الشعب هو مصدر الخدم، وأنه يستطيع اتخاذ من يختار من الخدام بحسب احتياجات رسالته الثورية التاريخية.

٤٧٥٠ – ٤٧٧٦ – تعليم مجمع عقيدة الإيمان "Libertatis conscientia"، ٢٢ آذار ١٩٨٦

التوق إلى التحرر

٤٧٥٠ – إن وعي الحرية وكرامة الإنسان مقروناً بتأكيد حقوق الشخص والشعوب، التي لا يمكن التخلي عنها، هو من الخصائص الكبرى لعصرنا. والحرية تقتضي شروطاً اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية تجعل ممارستها الكاملة ممكنة. والرؤية الشديدة للعقبات التي تمنعها من العمل، وتسيء إلى الكرامة البشرية، هي في أصل التوق القوي إلى التحرر الذي يعمر عالمنا.

٤٧٥١ – إن كنيسة المسيح تجعل ذلك التوق توقها، ممارسة ما عندها من تمييز في ضوء الإنجيل الذي هو بطبيعته ذاتها رسالة حرية وتحرر. إن هذا التوق يتخذ أحياناً، على الصعيدين النظري والعملي، تعابير لا تتلاءم دوماً وحقيقة الإنسان كما تظهر في ضوء خلقه وفدائه.

لذلك رأى مجمع عقيدة الإيمان من الضروري أن تسترعي الانتباه إلى «انحرافات أو أخطار الانحراف، الهدامة للإيمان وللحياة المسيحية». وهذه التنبيهات لم يتجاوزها الزمن بل هي تبدو دائمًا في أوانها وسديدة.

الحرية الحقيقية

٤٧٥٢ – ٣٠ – يجري تاريخ الإنسان على أساس الطبيعة التي نالها من الله، في التتميم الحر للغايات التي توجهه وتحمله إليها ميول هذه الطبيعة ونعمة الله.

ولكن بما أن حرية الإنسان محدودة ومعرضة للخطإ، فبالإمكان أن تنساق رغبته إلى خير ظاهر: وهو باختياره خيرًا كاذبًا لا يلبي دعوة حريته. إن الإنسان، بإرادته الحرة، له التصرف في ذاته: فيستطيع أن يقوم بذلك على وجه إيجابي أو سلبي.

٤٧٥٣ – عندما يطيع الإنسان الشريعة الإلهية المحفورة في ضميره، والتي نالها كحافز من الروح القدس، يمارس السيطرة الحقيقية على ذاته، ويحقق هكذا دعوته الملكية

أن يكون ابنًا لله. «بخدمة الله يملك». إن الحرية الأصيلة هي «خدمة البر» بينما العكس باختيار العصيان والشر، هو «عبودية للخطيئة».

٤٧٥٤ – ٣١ – انطلاقًا من هذا المفهوم للحرية يظهر بدقة مؤدى مفهوم التحرر الزمني: إنه مجموع المسارات التي ترمي إلى إيجاد وضمان الشروط المطلوبة لممارسة حرية إنسانية أصيلة. فليس التحرر إذن هو الذي يوجد بذاته حرية الإنسان. والحس المشترك يثبته الحس المسيحي يدرك أن الحرية، وإن أخضعت للمؤثرات، ليست، بسبب ذلك، مدمرة تمامًا. فهناك أناس يعانون من ضغوط رهيبة استطاعوا أن يظهروا حريتهم ويسيروا على طريق تحررهم. إن مسارًا منتهيًا للتحرير يستطيع فقط إيجاد ظروف أفضل لممارسة فعلية للحرية. فالتحرر الذي لا يحسب حسابًا للحرية الشخصية لمن يحاربون لأجله مقضي عليه من قبل بالإخفاق.

الإنجيل والعدالة

٤٧٥٥ – ٦٣ – إن رسالة الكنيسة الخاصة، تبعًا لرسالة المسيح، هي رسالة تبشير وخلاص، إنها تستمد اندفاعها من المحبة الإلهية. والتبشير هو إعلان الخلاص، عطية الله. وبكلام الله والأسرار يحرر الإنسان قبل كل شيء من جور سلطان الخطيئة، وسلطان الشرير، ويدخل في شراكة حب مع الله.

والكنيسة، تبعًا لربها «الذي جاء إلى العالم ليخلص الخطأة» [١ تي ١ :١٥] تريد خلاص جميع البشر.

٤٧٥٦ – وفي هذه الرسالة، تعلم الكنيسة السبيل الذي على الإنسان أن يتبعه في هذا العالم ليدخل في ملكوت الله فعقيدتها تمتد إذن إلى كل النظام الأخلاقي ولا سيّما العدالة التي يجب أن تنظم العلاقات البشرية. وهذا أيضاً جزء من التبشير بالإنجيل.

٤٧٥٧ – ولكن المحبة التي تدفع الكنيسة إلى أن توصل إلى الجميع مشاركة النعمة في الحياة الإلهية، تجعلها أيضاً، بنشاط أعضائها الفعال، تبحث عن خير الناس الزمني الحقيقي، وتسد حاجاتهم، وتعنى بثقافتهم، وتعزز تحريرًا كاملاً من كل ما

يعيق نمو الأشخاص. إن الكنيسة تبغي خير الإنسان في كل أبعاده، أولاً كعضو في مدينة الله، ثم كعضو في مدينة البشر.

٤٧٥٨ – ٦٤ – فعندما تبدي الكنيسة رأيها في تعزيز العدالة في المجتمعات البشرية، أو تحمل مؤمنيها العلمانيين على العمل في سبيل ذلك وفق دعوتهم الخاصة، فهي لا تخرج من نطاق دعوتها. ولكنها مع ذلك معنية بان لا تستغرق الاهتمامات بالنظام الزمني رسالتها ورسالة العلمانيين، أو أن تقتصر عليها.

لذلك فهي تعنى عناية كبيرة بأن تحافظ بوضوح وثبات على الوحدة والتمايز بين التبشير والترقي الإنساني في آن واحد: الوحدة لأنها تسعى إلى خير الإنسان بكامله، والتمايز لأن هاتين المهمتين تدخلان، بوجهين مختلفين، في رسالتها.

٤٧٥٩ – ٦٥ – فالكنيسة إذن، وهي تتابع غايتها الخاصة، تلقي ضوء الإنجيل على الحقائق الأرضية، بحيث يشفى الشخص البشري مما يشقيه ويسمو في كرامته. وبذلك يتعزز ويتقوى تآلف المجتمع وفق العدالة والسلام. كذلك الكنيسة هي وفية لرسالتها عندما تندد بالانحرافات، والعبوديات، والضغوط التي يكون الناس ضحيتها. وعندما تعارض محاولات إعطاء شكل للمجتمع يغيب عنه الله، إما بمعارضة واعية وإما بإهمال أثيم. وأخيرًا عندما تمارس حكمها في شأن الحركات السياسية التي تؤكد محاربتها للفقر والجور، ولكنها تختلط بنظريات وطرائق عمل تخالف الإنجيل وليست لمصلحة الإنسان نفسه.

أجل، إن الأخلاق الإنجيلية، مع قوى النعمة، تؤتي الإنسان أبعادًا جديدة ومقتضيات جديدة. ولكنها تأتي لتكمل وترفع بعدًا معنويًا موجودًا من قبل في الطبيعة البشري، وتعنى به الكنيسة، عالمة أن ذلك ميراث مشترك لجميع الناس بكونهم كذلك.

إيثار الفقراء

٤٧٦٠ – ٦٨ – ... عندما تحب الكنيسة الفقراء فهي أخيرًا تشهد لكرامة الإنسان. وهي تؤكد بوضوح أن قيمته بذاته هي اكبر منها بما له. وهي تشهد أن هذه الكرامة لا يمكن تدميرها، مهما كانت حالة الفقر، والازدراء، والنبذ، والعجز التي يحدر إليها الكائن البشري.

إنها بادية التضامن مع الذين لا يحسب لهم حساب في مجتمع يرذلهم روحيًا بل أحيانًا طبيعيًا. وبالعكس، تدخلهم في الأخوة البشرية وفي شركة أبناء الله.

وتميل الكنيسة خصوصاً بمحبة الأم إلى الأولاد الذين، بسبب الخبث البشري، لن يبصروا النور أبدًا، كذلك إلى المعمرين المتروكين في وحدة وإهمال.

٤٧٦١ – إن إيثار الفقراء ليس هو فقط بعيدًا جدًا عن الدلالة على التخصيص أو التعصب بل هو يظهر شمول كيان الكنيسة ورسالتها، وهذا التفضيل لا يقصي أحدًا.

وهذا هو السبب في أن الكنيسة لا تستطيع أن تعبر عنه بتعابير اجتماعية وإيديولوجية تحصره وتجعل من هذا الإيثار اختيارًا متحزبًا ذا طبيعة تنازعيه.

مبادئ عقيدة الكنيسة الاجتماعية

٤٧٦٢ – ٧٢ – إن تعليم الكنيسة الاجتماعي نشأ من تلاقي الرسالة الإنجيلية ومقتضياتها التي تختصرها الوصية العظمى بمحبة الله والقريب، والعدالة، مع مشاكل ناتجة من حياة المجتمع. فتكون شبه عقيدة، بالاعتماد على ما توفره الحكمة والعلوم البشرية، تتناول الوجه الأخلاقي لهذه الحياة، وتحسب حسابًا للوجوه التقنية في المشاكل، ولكن دائمًا كي تحكم عليها من الناحية الأخلاقية.

٤٧٦٣ – إن هذا التعليم الموجه في الأساس نحو العمل ينمو بحسب ظروف التاريخ المتغيرة. لذلك فهو يحتوي أيضاً، مع مبادئ صالحة على الدوام أحكامًا غير ثابتة. إنه لا يؤلف مذهبًا مغلقًا، بل يبقى دومًا مشرعًا على المسائل الجديدة التي لا تنفك تظهر، وهو يتطلب مساهمة كل المواهب والخبرات والكفاءات.

٤٧٦٤ – فالكنيسة الخبيرة بالشأن البشري تقدم بعقيدتها الاجتماعية مجموعة من مبادئ تفكير، ومعايير حكم، وأيضاً من توجيهات عملية، حتى تتم التغيرات العميقة التي تتطلبها أوضاع الفقر والجور، وذلك بطريقة تخدم خير الناس الحقيقي.

٤٧٦٥ – ٧٣ – تقود وصية المحبة العظمى إلى معرفة كرامة كل إنسان، مخلوق على صورة الله، معرفة كاملة. وفي ضوء صورة الله، تظهر الحرية، الامتياز الجوهري

للشخص البشري، في كل سموها، أن الأشخاص هم الفاعلون والمسؤولون في حياة المجتمع.

٤٧٦٦ - يرتبط بالأساس الذي هو كرامة الإنسان، ارتباطاً وثيقًا مبدأ «التضامن» ومبدأ «التراتب». فبحسب المبدأ الأول على الإنسان أن يساهم مع نظرائه في الخير العام للمجتمع، على كل المستويات. وبذلك تعارض عقيدة الكنيسة كل أشكال «الفردية» الاجتماعية السياسية.

وبحسب المبدأ الثاني على الدولة وكل مجتمع أن لا يحلا أبدًا محل مبادرة ومسؤولية الأشخاص والجماعات الوسيطة، في المجال الذي يستطيعون العمل فيه، وأن لا يدمروا المساحة الضرورية لحريتهم. بذلك تعارض عقيدة الكنيسة كل أشكال «الجماعية».

٤٧٦٧ - ٧٤ - هذان المبدآن هما أساس المعايير للحكم على الأوضاع، والهيكليات، والمذاهب الاجتماعية. وهكذا لا تتردد الكنيسة في التنديد بالأحوال المعيشية التي تسيء إلى كرامة الإنسان وحريته.

٤٧٦٨ - وهذه المعايير تمكن أيضاً من الحكم في قيمة الهيكليات. وهذه هي مجموع المؤسسات والممارسات التي يلقاها الناس موجودة من قبل أو يوجدونها، في المجالين الوطني والدولي، والتي توجه أو تنظم الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وهذه الهيكليات، الضرورية بحد ذاتها، غالبًا ما تميل إلى الجمود واتخاذ قوالب صلبة من آليات هي نسبيًا مستقلة عن إدارة البشر، فتشل أو تفسد النمو الاجتماعي وتولد الظلم. ومع ذلك فهي دومًا مرتبطة بمسؤولية الإنسان الذي يستطيع تغييرها، لا «بحتمية» تاريخية مزعومة.

٤٧٦٩ - إن المؤسسات والشرائع، عندما تكون متلائمة والشريعة الطبيعية، ومعدة للخير العام، هي ضمان وتعزيز لحرية الأشخاص. لا يجوز الحكم على كل ما في الشريعة من مظاهر الإكراه ولا على استقرار دولة الحق الجديرة بهذا الاسم. فيمكن إذن الكلام على هيكليات موسومة بالخطيئة، ولكن لا يمكن الحكم على الهيكليات بحد ذاتها.

٤٧٧٠ – ومعايير الحكم تعنى أيضاً بالمذاهب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. فعقيدة الكنيسة الاجتماعية لا تعرض أي مذهب خاص، ولكنها، في ضوء مبادئها الأساسية، تمكن من إدراك مقدار ملاءمة أو مخالفة المذاهب الموجودة لمقتضيات الكرامة الإنسانية...

٤٧٧١ – ٧٦ – يجب أن تستوحي قواعد العمل وحوافزه المبادئ الأساسية ومعايير الحكم. فبما أن الخير العام للمجتمع البشري هو في خدمة الأشخاص، فلا بد لوسائل العمل أن تكون ملائمة لكرامة الإنسان، وأن تعزز تربية الحرية.

هذا معيار أكيد للحكم وللعمل: ليس هناك من تحرير حقيقي إذا لم تحترم منذ البدء حقوق الحرية.

٤٧٧٢ – يجب أن ننكر اللجوء المنهجي إلى العنف كوسيلة ضرورية للتحرير، على انه وهم هدام، يفتح الطريق لعبوديات جديدة. ويجب الحكم بالشدة نفسها على العنف الذي يمارسه أصحاب الأملاك على الفقراء، والممارسة السياسية الكيفية ضد المواطنين، وكل أشكال العنف المعتمد كمذهب للحكم. وفي هذه المجالات، لا بد لنا أن نعرف استخلاص العبر من الاختبارات المأسوية التي لا يجهلها أيضاً تاريخ عصرنا. وكذلك لا يمكن قبول التخاذل الأثيم لدى السلطات العامة في الديموقراطيات، حيث لا تزال الحالة الاجتماعية لعدد كبير من الرجال والنساء بعيدة عن التلاؤم مع ما تقتضيه الحقوق الفردية والاجتماعية المضمونة في الدستور.

٤٧٧٣ – ٧٧ – وعندما تشجع الكنيسة إيجاد وعمل تجمعات، كالنقابات، التي تكافح في سبيل صون حقوق ومصالح العمال الشرعية، والعدالة الاجتماعية. فهي بذلك، لا تقبل النظرية التي ترى في صراع الطبقات القوة الهيكلية للحياة الاجتماعية، فالعمل الذي تؤيده ليس مصارعة طبقة لأخرى للحصول على إلغاء الخصم. وهو لا يصدر عن الخضوع الزائغ لقانون تاريخي مزعوم، إنما هو كفاح شريف وعاقل في سبيل العدالة والتضامن الاجتماعيين. إن المسيح يفضل دومًا طريق الحوار والتشاور.

لقد أعطى المسيح وصية محبة الأعداء. فالتحرر، بحسب روح الإنجيل لا يتلاءم إذن وبغض الآخر، كفرد أو جماعة، وبضمنه بغض العدو.

٤٧٧٤ - ٧٨ - إن حالات من الظلم الخطير تقتضي بشجاعة القيام بإصلاحات عميقة وإلغاء امتيازات لا مسوغ لها. ولكن الذين يعيبون طريق الإصلاحات لمصلحة «أسطورة الثورة» لا يُغذّون فقط وَهْم أن إلغاء حالة جائرة يكفي بذاته لإيجاد مجتمع أكثر إنسانية، بل يساعدون على قيام أنظمة «كلية».

إن مكافحة المظالم لا معنى لها إذا لم تكن في سبيل قيام نظام اجتماعي وسياسي جديد يتلاءم ومقتضيات العدالة. ولا بد من أن تسم هذه كل مراحل قيامه، لأن الوسائل المستعملة يجب أن تكون هي أيضاً أخلاقية...

دور العلمانيين

٤٧٧٥ - ٨٠ - ليس لرعاة الكنيسة أن يتدخلوا مباشرة في البناء السياسي للحياة الاجتماعية وفي تنظيمها. هذه المهمة جزء من دعوة العلمانيين العاملين بمبادرتهم الشخصية مع مواطنيهم وعليهم أن يضطلعوا بها، واعين أن غاية الكنيسة نشر ملكوت المسيح حتى يخلص جميع البشر، ويُعَدّ بهم العالم للمسيح فعلاً...

٤٧٧٦ - ٨١ - للمسيحيين اليوم أن يوصلوا عملاً ليس له مثيل في الأزمنة الماضية إلى نهايته: إنه تحقيق «حضارة المحبة» تلك التي تلخص كل التراث الأخلاقي الثقافي الإنجيلي.

وهذه المهمة تستدعي التفكير الدائم والمعمق في ما يكون علاقة وصية المحبة العظمى بالنظام الاجتماعي من كل جوانبه.

والغاية المباشرة لهذا التفكير المعمق إنشاء وإطلاق منهاج عمل جريء في سبيل التحرر الاجتماعي الاقتصادي لملايين الرجال والنساء الذين هم في حالة من الضيق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لا تطاق.

ولكن لا بد من أن يبدأ هذا العمل بجهد كبير في التربية: التربية على حضارة العمل، والتربية على التضامن، وولوج الجميع إلى الثقافة.

٤٧٨٠ – ٤٧٨١ – الرسالة العامة "Dominum vivificantem"، ١٨ أيّار ١٩٨٦

الروح القدس، التعبير الشخصيّ عن الحبّ الإلهي

٤٧٨٠ – ١٠ – الله في سرّ حياته العميق هو محبّة (١ يو ٤ : ٨ و١٦)، محبة جوهرية يشترك فيها الأقانيم الإلهية الثلاثة. والروح القدس هو الأقنوم – المحبّة لأنه روح الآب والابن. ولذلك وبما أنه المحبّة – العطيّة غير المخلوقة. فهو «يفحص أعماق الله» [١ كور ٢ : ١٠]. ويصحّ القول بأن حياة الله الواحد المثلّث تصير في العمق بالروح القدس عطاءً، تبادلَ حبّ بين الأقانيم الإلهيّة، وأنّ الله بالروح القدس «كائن» على طريقة العطاء. والروح القدس هو التعبير الشخصيّ عن هذا العطاء، هذا الكيان الحبّ، هو الشخص – المحبة، هو الشخص – العطاء: مفهوم الشخص في الله حقيقة لا تُدرك أبعادُها ولا يُسبر غور أعماقها، وانما بالوحي وحده نعرفها.

٤٧٨١ – هذا وإن الروح القدس. المساوي للآب والابن في الجوهر الإلهي، هو محبة وعطاء (غير مخلوق)، منه كما من مَعينٍ حيّ، تصدر كل عطية تُمنح للخلائق (عطية مخلوقة): عطية الوجود الممنوحة لكل الأشياء في عمل الخلق، عطيّة النعمة المسبوغة على البشر في عمل الخلاص. وفي هذا كتب بولس الرسول يقول: «محبّة الله قد أُفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطي لنا» [رو ٥ : ٥].

٤٧٩٠ – ٤٨٠٧ – تعليم مجمع عقيدة الإيمان "Donum vitae"، شأن احترام الحياة البشرية الناشئة، وكرامة الإنجاب، ٢٢ شباط ١٩٨٧

مقدمة

١ – البحث الطبي البيولوجيّ وتعليم الكنيسة

٤٧٩٠ – ... لا تتدخل السلطة التعليمية الكنسية في مجال العلوم الاختبارية اعتمادًا على كفاءة خاصة. ولكنها بعد اطلاعها على معطيات البحث والتقنية، تريد أن تبدي، بقوة رسالتها الإنجيلية وواجبها الرسولي، العقيدة التي تلائم كرامة الشخص

ودعوته الكاملة، عارضة معايير الحكم الأخلاقي في مجال تطبيقات البحث العلمي والتقنية، وعلى الخصوص ما هو من شأن الحياة البشرية وبداياتها. وهذه المعايير هي احترام وصون وتعزيز الإنسان، وحقه «الأولي والأساسي» في الحياة، وكرامته كشخص يتمتع بنفس روحية، ومسؤولية أخلاقية، مدعو إلى الاتحاد السعيد بالله...

٤ – المعايير الأساسية للحكم الأخلاقي

٤٧٩١ – إن القيم المتعلقة بتقنيات الإنجاب الإنساني الاصطناعي تعود إلى اثنين: حياة الكائن البشري المدعو إلى الوجود، وخصوصية نقلها في الزواج. فيجب إذن أن يصاغ الحكم الأخلاقي في طرائق الإنجاب الاصطناعي بالرجوع إلى هاتين القيمتين.

من الأكيد أن الحياة الطبيعية التي تبدأ بها المغامرة البشرية في العالم لا تستنفذ بذاتها كل قيمة الشخص، ولا تمثل الخير الأسمى للإنسان المدعو إلى الأبدية. ومع ذلك، فهي تكون بوجه ما، قيمته «الأساسية» إذ إن جميع قيم الشخص الأخرى، إنما ترتكز وتنمو على الحياة الطبيعية. وحرمة الحق في الحياة للكائن البشري البريء «منذ الحبل به حتى الموت» هي علامة الحرمة ذاتها التي للشخص الذي وهبه الله الحياة ومن مقتضاها.

وبالنسبة إلى الأشكال الأخرى لنقل الحياة في الكون، هناك خصوصية لنقل الحياة البشرية، تتفرع من خصوصية الشخص البشري ذاتها. «لقد أوكلت الطبيعة الحياة البشرية إلى فعل شخصي واع، ولأنه كذلك فهو خاضع لشرائع الله الجزيلة القداسة، ولا بد من الاعتراف بهذه الشرائع المصونة والثابتة والحفاظ عليها. ولذلك لا يمكن استعمال وسائل أو اتباع طرائق يمكن أن تكون جائزة في نقل حياة النباتات والحيوانات».

لقد جعل التقدم التقني اليوم ممكنًا الإنجاب من دون علاقة جنسية، بتلاقي خلايا الزرع المستخرجة قبلاً من الرجل والمرأة في آنية. ولكن ما هو ممكن تقنيًا ليس هو بذلك مقبولاً أخلاقيًا...

٥ – تعليم السلطة

٤٧٩٢ – ... لا بد من احترام حياة كل كائن بشري منذ ساعة الحبل به، لأن الإنسان هو على الأرض خليقة الله الوحيدة «التي أرادها الله لذاتها»، والنفس الروحية لكل إنسان «قد خلقها الله مباشرة». وكل كيانه يحمل صورة الخالق. إن حياة الإنسان مقدسة، لأنها منذ الأصل تتضمن «فعل الله الخالق»، وتبقى على الدوام ذات علاقة خاصة بالخالق، غايتها الوحيدة. فالله وحده رب الحياة منذ بدايتها إلى نهايتها. وليس لأي إنسان، في اي ظرف، أن يطالب لنفسه بحق التدمير المباشر لأي كائن بشري بريء.

والإنجاب البشري يتطلب مساهمة مسؤولة من الأزواج مع محبة الله الخصبة. ولا بد أن تتحقق عطية الحياة البشرية في الزواج بأعمال يقوم بها الأزواج هي من نوع خاص وممنوعة على الغير، وفق الشرائع المكتوبة في أشخاصهم وفي اتحادهم...

أ – احترام الأجنة البشرية

١ – ما هو الاحترام الواجب للجنين البشري، اعتمادًا على طبيعته وهويته؟

٤٧٩٣ – يجب أن يحترم الكائن البشري – كشخص – منذ ساعة وجوده الأولى...

لذلك فإن ثمرة الإنجاب البشري تقتضي، منذ ساعة وجودها الأولى، أي منذ تكون النطفة، الاحترام غير المقيد بشروط، الواجب أخلاقيًا للكائن البشري في كليته الجسدية والروحية. ولا بد من احترام الكائن البشري ومعاملته كشخص منذ الحبل به. وبالتالي فيجب، منذ تلك الساعة، أن يعترف له بحقوق الشخص، ومنها، أولاً الحق المصون الذي لكل كائن بشري بريء، في الحياة...

٢ – هل يجوز أخلاقيًا التشخيص الطبي السابق للولادة

٧٤٩٤ – إذا ما احترم التشخيص السابق للولادة حياة أو سلامة الجنين البشري، وكان للحفاظ عليه أو لشفائه الفردي، فالجواب إيجابي...

... يجب بالتالي أن يقضى على... كل توجيه أو منهاج يصدر عن السلطات المدنية

الصحية، أو عن مؤسسات علمية، يعزز بوجه ما الارتباط بين التشخيص السابق للولادة والإجهاض، أو يحمل النساء الحوامل على الخضوع لتشخيص سابق للولادة، هو من خطة غايتها إلغاء الأجنة التي قد أصيبت بالمرض أو التي تحمل تشوهات أو عللاً وراثية.

٣ – هل يجوز إجراء معالجات طبية للجنين البشري؟

٤٧٩٥ – كما هي الحال بالنسبة إلى جل معالجة طبية تجرى لمرضى، لا بد من أن تعد معالجات الجنين البشري جائزة، إن احترمت حياة الجنين وسلامته، ولم تعرضه لما هو غير متناسب من الأخطار، وكانت ترمي إلى شفائه، وتحسين أحواله الصحية أو لبقائه حيًا بمفرده...

٤ – كيفية إصدار حكم أخلاقي في شأن ما يجري من بحث واختبار على الجنين البشري

٤٧٩٦ – يجب على البحث الطبي الامتناع عن إجراء معالجات على الأجنة الحية ما لم يكن هناك يقين معنوي بأن ذلك لا يسبب أذى لحياة أو سلامة الولد الذي سيولد ولأمه، على أن يكون الوالدان قد أبديًا رضاء بمعالجة الجنين مرتكزًا على الحرية والمعرفة.

و إذا كانت [الأجنة] لا تزال حية، قابلة أو غير قابلة للحياة، يجب احترامها مثل جميع الأشخاص البشرية إن الاختبارات التي تجرى على الأجنة والتي ليست مباشرة للمعالجة الصحية هي غير جائزة...

إن جثث الأجنة البشرية الجهيضة عن قصد أو غير قصد يجب أن تحترم كجثث الكائنات البشرية الأخرى.

٥ – كيفية إصدار حكم أخلاقي على استعمال الأجنة الناتجة من الإخصاب «في آنية» لغايات البحث

٤٧٩٧ – إن الأجنة البشرية التي يحصل عليها في آنية هي كائنات بشرية وصاحبة حقوق. ويجب احترام كرامتها وحقها في الحياة منذ أول ساعة وجودها. وليس من

الأخلاق في شيء إنتاج أجنة بشرية معدة لتستثمر بمثابة «مادة حية» يمكن التصرف بها...

٦ – ما هو الحكم الذي يجب إصداره في شأن أساليب التلاعب الأخرى بالأجنة، المتصلة «بتقنيات الإنجاب البشري»

٤٧٩٨ – تستطيع تقنيات الإخصاب في آنية أن تجعل في حيز الإمكان أشكالاً أخرى من التلاعب البيولوجي أو الوراثي بالأجنة البشرية، من مثل: محاولات أو مشاريع إخصاب بين نطف بشرية وحيوانية، أو حمل أجنة بشرية في أرحام حيوانية؛ فرضية أو مشروع استحداث أرحام اصطناعية للجنين البشري. إن هذه الأساليب تخالف كرامة الكائن البشري الذي للجنين، وتسيء، في الوقت عينه، إلى حق كل شخص، في أن يحبل به ويولد في الزواج ومن الزواج. كذلك المحاولات أو الفرضيات الساعية إلى الحصول على كائن بشري من غير أي ارتباط بالجنس «بالانشطار التوأمي»، والاستنساخ، والإنجاب لجنس واحد، يجب أن ينظر إليها كمخالفات للأخلاق، لأنها تعارض كرامة الإنجاب البشري كما الاتحاد الزوجي.

إن تجميد الأجنة بالجليد، وإن حصل لضمان حفظ الجنين على قيد الحياة "Cryoconservation" هو إساءة إلى الاحترام الواجب للكائنات البشرية، لأنه يعرضها لأخطار جسيمة من موت أو إيذاء لسلامتها الطبيعية. وهو، يحرمها، على الأقل لمدة من الزمن، من قبول الأم وحملها لها، ويجعلها في حالة قد تجلب عليها إساءات وتلاعبات لاحقة.

هناك بعض محاولات إجراء معالجات على الإرث الصبغي أو الوراثي ليست صحية، بل تسعى إلى إنتاج كائنات بشرية منتقاة وفق الجنس أو صفات أخرى حددت من قبل. إن هذه التلاعبات تخالف الكرامة الشخصية للكائن البشري، وسلامته، وهويته. وبالتالي لا يمكن قطعًا تسويغها بإمكان حصول نتائج نافعة للإنسانية القادمة.

لا بد من احترام كل شخص لذاته: على ذلك تقوم كرامة كل كائن بشري وحقه، منذ بدايته.

ب - تدخلات في شأن الإنجاب البشري

١ - لماذا يجب أن يتم الإنجاب البشري في الزواج؟

٤٧٩٩ - يجب أن يستقبل كل كائن بشري كعطية وبركة من الله. على أن الإنجاب المسؤول حقًا عن الولد المزمع أن يولد يجب أن يكون، من الناحية الأخلاقية، ثمرة الزواج...

تتضمن أمانة الزوجين، في وحدة الزواج، الاحترام المتبادل لحقهما بأن يصير أبًا وأمًا الواحد بالآخر فقط. والولد له الحق بأن يحبل به ويحمل، ويأتي إلى العالم ويربى في الزواج. فبالرجوع المؤكد والمعترف به إلى أهل يستطيع أن يكتشف هويته، وينضج نشأته البشرية الخاصة.

٢ - هل يتلاءم الإخصاب الاصطناعي بوساطة الغير وكرامة الزوجين وحقيقة الزواج

٤٨٠٠ - ... إن الإخصاب الاصطناعي بوساطة الغير هو مخالف بوضوح لوحدة الزواج، ولكرامة الزوجين، وللدعوة الخاصة بالوالدين، وحق الولد بأن يحبل به ويأتي إلى العالم في الزواج وبالزواج...

٣ - هل تجوز الأمومة «بالإبدال» من الناحية الأخلاقية؟

٤٨٠١ - كلا، للأسباب عينها التي تؤدي إلى رفض الإخصاب الاصطناعي بوساطة الغير: فهي مخالفة لوحدة الزواج ولكرامة إنجاب الشخص البشري...

٤ - ما هي الصلة المطلوبة أخلاقيًا بين الإنجاب والفعل الزوجي

٤٨٠٢ - إن الإخصاب الاصطناعي من الزوجين، الذي يسعى إلى إنجاب ليس ثمرة فعل نوعي للاتحاد الزوجي يفصل موضوعيًا فصلاً مشابها بين خيور الزواج ومعانيه.

لذلك يكون الإخصاب مقصودًا بطريقة شرعية عندما يكون غاية «فعل زوجي

أهل بذاته للإنجاب، المعد له الزواج بطبيعته، والذي به يصير الزوجان جسدًا واحدًا». إلا أن الإنجاب يفقد أخلاقيًا كماله عندما لا يكون كثمرة للفعل الزوجي، أي الفعل النوعي لاتحاد الزوجين...

٥ – الإخصاب من الزوج في «آنية» هل هو جائز أخلاقيًا؟

٤٨٠٣ – ... إن الحبل في آنية هو نتيجة الفعل التقني الذي يؤدي إلى الإخصاب. فلا هو حاصل فعلاً، ولا مبتغى إيجابيًا كتعبير عن فعل نوعي للاتحاد الزوجي وكثمرة له، ففي آنية الإخصاب الزوجي، وإن نظر إليه ضمن العلاقات الزوجية الفعلية، تكون ولادة الشخص الإنساني محرومة موضوعيًا من كمالها الخاص، أي أن تكون نتيجة وثمر فعل زوجي، يستطيع الزوجان فيه أن يصيرا «معاوني الله لمنح عطية الحياة إلى شخص جديد آخر».

أجل إن آنية الإخصاب الزوجي ليس فيها كل السلبية الأخلاقية الموجودة في الإنجاب الخارج عن الزواج. فالأسرة والزواج لا يزالان يكونان إطار ولادة وتربية الأولاد. ولكن، انسجامًا مع العقيدة التقليدية في شأن خيور الزواج وكرامة الشخص، يبقى حكم الكنيسة الأخلاقي مناوئًا للإخصاب الزوجي في آنية. إنها بحد ذاته لا تجوز، وهي مناقضة لكرامة الإنجاب والاتحاد الزوجي، حتى عندما تتخذ كل الوسائل لتجنب موت الجنين البشري...

٦ – كيفية تقييم الزرع المصطنع من الزوج تقييمًا أخلاقيًا

٤٨٠٤ – إن الزرع الاصطناعي من الزوج داخل الزواج لا يمكن قبوله، إلا عندما لا تقوم الوسيلة التقنية مقام الفعل الزوجي، بل تبدو تسهيلاً ومساعدة لكي يبلغ هذا غايته الطبيعية...

٧ – ما هو المعيار الذي يجب اعتماده في شأن تدخل الطبيب في الإنجاب البشري

٤٨٠٥ – ... على الطب الذي يرى أنه معد لخير الشخص الكامل، أن يحترم قيم الجنس ذات النوعية الإنسانية. فالطبيب هو في خدمة الأشخاص والإنجاب البشري، وليس له سلطان على التصرف بها والتقرير في شأنها. وتكون المعالجة

الطبية محترمة كرامة الأشخاص عندما تهدف إلى مساعدة الفعل الزوجي، إما لتيسير إتمامه، وإما لتمكينه من بلوغ غايته، بعدما يكون قد تم بوجه طبيعي.

٨ - الألم المتأتي من العقم الزوجي

٤٨٠٦ - إن ألم الأزواج الذين لا يستطيعون إنجاب أولاد، أو يخشون أن يلدوا ابنًا معاقًا، هو ألم يجب أن يفهمه الجميع ويتبصروا فيه كما ينبغي...

الحق، بالمعنى الحقيقي والدقيق، في الولد مخالف لكرامته وطبيعته. فالولد ليس واجبًا ولا يمكن أن يعد كشيء يمتلك. إنه بالحري العطية - «العظمى» - والأكثر مجانية للزواج، والشهادة الحية للعطاء المتبادل بين أهله، وبذلك فللولد الحق - كما ذكرنا - أن يكون ثمرة فعل نوعي لحب والديه الزوجي، والحق أيضاً في أن يحترم كشخص منذ ساعة الحبل به...

ج - الأخلاق والقانون المدني

القيم والواجبات التي على التشريع المدني أن يحترمها في هذا المجال

٤٨٠٧ - إن الحق المصون في الحياة لكل فرد بشري بريء، وحقوق الأسرة والمؤسسة الزواجية، تكون قيمًا أساسية، لأنها تتصل بالحال الطبيعية والدعوة الكاملة للشخص البشري. وفي الوقت عينه، هي عناصر مكونة للمجتمع المدني ولتشريعه.

لهذا السبب تستدعي الإمكانات التقنية الجديدة التي أشرعت في مجال الطب الحياتي، تدخل السلطات العامة والمشترع، إذ إن اللجوء دون رقابة إلى هذه التقنيات بإمكانه الإيصال إلى عواقب غير مرتقبة وخطيرة بالنسبة إلى المجتمع المدني. ولا تكفي العودة إلى الضمير الفردي وإلى تقيد الباحثين الذاتي لاحترام الحقوق الشخصية والنظام العام...

فمن واجب السلطة العامة أن تعمل بطريقة تجعل القانون المدني منظمًا وفق القواعد الأساسية للشريعة الأخلاقية، في شأن كل ما يتعلق بحقوق الإنسان والمؤسسة العائلية. وعلى رجال السياسة، بما لهم من تأثير في الرأي العام، أن يعملوا على

الحصول، في هذه القضايا الأساسية على التوافق الأرحب الممكن في المجتمع، وعلى دعمه حيث هناك خطر إضعاف له وإنقاص منه...

وفي أيامنا، يولي التشريع المدني في بلدان كثيرة،. وفي نظر الكثيرين، شرعية غير صحيحة، لبعض الممارسات. ويبدو عاجزًا عن ضمان أخلاقية تتلاءم والمقتضيات الطبيعية للشخص البشري، و«الشرائع غير المكتوبة» التي حفرها الخالق في قلب الإنسان. ويجب أن يعمل جميع الناس ذوي الإرادة الصالحة، خصوصاً في أوساطهم المهنية، كما في ممارستهم لحقوقهم المدنية، على ان تصلح القوانين المدنية غير المقبولة من الناحية الأخلاقية، وتغير الممارسات غير الجائزة. وعلاوة على ذلك لا بد من أن يثار «اعتراض الضمير» تجاه مثل هذه القوانين وأن يُعترف به.

وما هو أكثر من ذلك، فقد بدأت تنطرح بحدة على الضمير الأخلاقي للكثيرين، وخصوصاً على ضمير الاختصاصين في علوم الطب الحياتي، ضرورة مقاومة سلبية لتشريع ممارسات مخالفة لحياة الإنسان ولكرامته.

٤٨١٠ – ٤٨١٩ – الرسالة العامة "Sollicitudo rei socialis"، ٣٠ كانون الأوّل ١٩٨٧

٤٨١٠ – ٢٧. ان النظرة التي تدعونا الرسالة العامة إلى القائها على العالم المعاصر تجعلنا نلاحظ أولاً ان النمو لا يسير في توجّه مستقيم، شبه آلي، ولا محدود من ذاته، وكأن البشرية ملزمة، ضمن شروط معيّنة، أن تخطو سريعًا نحو شبه كمال لا حدود له.

مثل هذا التصور يرتبط بمفهوم «للتقدم» مستوحى من اعتبارات تميز فلسفة «الانوار» أكثر من ارتباطه بمفهوم النمو في معناه الاقتصادي الاجتماعي الصرف. ويبدو أن هذا التصور يخضع اليوم جديًا للنقد، وبخاصة في اثر الخبرة المأساوية التي خلّفتها الحربان العالميتان، والهدم المخطط والمنفذ جزئيًا على جماعات برمّتها، والخطر النووي الضاغط. لقد حلّ محلّ التفاؤل الآلي الساذج قلق مبرر على مصير الانسانية.

٤٨١١ – ٢٨. ولكن، في الوقت نفسه، تأزّم المفهوم «الاقتصادي» أو «الاقتصاداني» المرتبط بلفظة النمو. والواقع اننا نفهم اليوم، بطريقة أفضل، ان تكديس الخيرات

والخدمات في حدّ ذاته، حتى ولو كان لمصلحة السواد الأعظم من البشر، لا يكفي لتحقيق السعادة الإنسانية. ويبقى ان المكاسب الواقعية، المتعددة التي توفّرها لنا، في هذه الحقب الأخيرة، العلوم والتقنيات، ومن بينها المعلوماتية، هي أيضاً لا تؤدّي إلى التحرّر من كل أشكال العبودية. لا بل ان خبرة السنين الأخيرة تبرهن عكس ذلك، وهو ان مجموعة الموارد والامكانات الموضوعة في تصرف الانسان قد تنقلب عليه بسهولة وترهقه إذا لم يحركها قصد خلقي وتوجّه نحو الخير الحقيقي للجنس البشري.

وهناك في الحقبة الأقرب إلينا، ملاحظة مذهلة يجب ان نستخلص منها عبرًا هامة: فإلى جانب اشكال من التخلّف وويلاته لا يمكن التغاضي عنها، نجد أنفسنا تجاه ضرب من النمو المتطرّف لا يمكن القبول به أيضاً، لأنه كالتخلّف يناقض الخير والسعادة الحقيقية. والواقع ان هذا النمو المتطرف القائم على توفّر جميع أنواع الخيور المادية لبعض طبقات المجتمع، بطريقة مفرطة، يجعل بسهولة من الناس عبيدًا لغريزة «التملّك»! والمتعة الفورية، لا هدف لهم سوى تكديس الأشياء أو السعي المستمر للاستعاضة عمّا يملكون بأشياء أخرى أكثر تطوّرًا. وهذا ما يعرف بحضارة «الاستهلاك» وما تستتبعه من «نفايات» و«مهملات» كثيرة. فالأشياء التي نملكها والتي يحلّ محلّها أشياء أخرى أكثر تطوّرًا، نلقيها خارجًا، من غير أن نأخذ بعين الاعتبار ما يمكن ان يكون لها من قيمة مستمرة اما في ذاتها واما بالنظر إلى انسان آخر أشدّ فاقة.

٤٨١٢ — ٢٩. النمو الذي لا يقتصر على الناحية الاقتصادية، يقاس ويتوجّه بموجب هذا الواقع وهذه الدعوة للإنسان في مفهومه الجامع، أي بموجب مقياس باطن يميّزه. من الواضح ان الإنسان بحاجة إلى الخيور المخلوقة، وإلى منتجات الصناعة المغتنية دومًا بالتقدم العلمي والتقني. هذه الخيور المادية المتوفرة دائمًا بطريقة متجددة تلبّي، ولا شك، حاجات الناس، ولكنها تفتح آفاقًا جديدة. بيد ان خطر التمادي في الاستهلاك وظهور حاجات زائفة يجب ألاّ يحولا دون الأخذ بعين التقدير ودون استعمال الخيور المستحدثة والموارد الجديدة الموضوعة في تصرّفنا. لا بل يجب علينا ان نتوسم فيها عطية الله وتلبية لدعوة الإنسان لتتحقق في المسيح تحققًا كاملاً.

ولكن لكي نتمكن من الاستمرار في النمو الحقيقي ينبغي الا يغيب عن بالنا هذا النموذج القائم في الطبيعة التي يتميّز بها الإنسان وقد خلقه الله على صورته ومثاله (تك ١ : ٢٦). طبيعة جسدية وروحية معًا، يرمز إليها، في رواية الخلق الثانية، عنصر التراب الذي به جبل الله جسد الإنسان، ونسمة الحياة التي نفخها الله في أنفه (تك ٢ : ٧).

ومن ثم، فالإنسان له بعض القربى بسائر الخلائق: انه مدعو إلى استعمالها والعناية بها. ولقد أقيم في الجنة – على حد ما ورد أيضاً في رواية سفر التكوين (٢ : ١٥). يفلحها ويحرسها، ويبقى مهيمنًا على جميع الخلائق الأخرى، وقد أخضعها الله لسلطانه (تك ١ : ٢٥ – ٢٦). ولكن الإنسان يجب ان يبقى، في الوقت نفسه، خاضعًا لارادة الله الذي رسم له حدودًا في استعمال الأشياء والتسلط عليها (تك ٢ : ١٦ – ١٧)، واعدًا إياه، إلى ذلك، بالخلود (تك ٢ : ٩ حك ٢ : ٢٣) وهكذا فالإنسان الذي هو صورة الله، له معه تعالى أيضاً صلة قربى حقيقية.

من منطلق هذا التعليم نرى ان النمو لا يمكن ان يقوم على استعمال الأشياء المخلوقة ومنتجات الصناعة الانسانية والسيطرة عليها وامتلاكها من دون قيد بل على اخضاع التملك والتسلط والاستعمال لما ينعم به الانسان من شبهٍ إلهي ولدعوته إلى الخلود...

فمفهوم النمو، في نظر الكتاب المقدس، ليس هو بالمفهوم «العلماني» أو «الدنيوي» البحت، انه يبدو أيضاً، مع الاحتفاظ بطابعه الاجتماعي – الاقتصادي، شبه تعبير حديث لبعد جوهري من الأبعاد التي تتميّز بها دعوة الإنسان.

والواقع ان الإنسان لم يخلق، إذا جاز التعبير، جامدًا ثابتًا. فالصورة الأولى التي نجدها له في الكتاب المقدس، يبدو فيها، بطريقة جلية، خليقة وصورة محددة، في حقيقتها الصميمة، بما يكونها من مقوّمات الأصل والقربى.

٤٨١٣ – ٣٠. من المنطق إذن ان نستنتج، إذا كنّا من المؤمنين بكلام الرب، ان «النمو» اليوم يجب ان يعتبر لحظة من التاريخ الذي بدأ مع الخلق ولا يزال مهددًا بسبب التمرّد على ارادة الخالق، وخصوصاً بسبب الانسياق لاغراءات الصنمية. ولكنه

يبقى منسجمًا مع بواكيره، فالذي يود الصدوف عن هذه المهمّة الشاقة والشيّقة، مهمّة تحسين قدر كل الإنسان وكل الناس، بحجة العبء الثقيل الذي يفترضه الصراع، أو الجهد المتواصل لتخطّي الذات، أو بحجة الوقوع في خبرة الاخفاق والعودة إلى نقطة المنطلق، مثل هذا لا يستجيب لارادة الله الخلاّق.

٤٨١٤ – ٣١. في هذا المخطط الإلهي الذي يـبدأ أزليًّا في المسيح «صورة» الآب الكاملة، وفيه يبلغ ذروته، هو «البكر من بين الأموات» (كولو ١ : ١٥ –١٨)، يتسجّل تاريخنا وما يتّسم به من جهدنا الفردي والجماعي لرفع مستوى الوضع البشري وتخطّي العقبات المستجدّة دائمًا في طريقنا، فنؤهّل بذلك للاشتراك في الكمال الحالّ في الرب والذي يجود به على جسده، أي «الكنيسة» (كولو ١ : ١٨؛ أف ١ : ٢٢ – ٢٣)، بينما الخطيئة التي لا تنفكّ تراودنا وتهدّد انجازاتنا الانسانية، تُقهَر وتُفتدَى «بالمصالحة» التي أجراها المسيح (كولو ١ : ٢٠).

وهنا تنفسح الآفاق، ونكتشف ثانية حلم «الرقيّ اللامحدود» وقد تبدل جذريًا من خلال النظرة الجديدة التي يولّدها الإيمان المسيحي، وهو يؤكّد لنا ان مثل هذا الرقي لا يصبح ممكنًا إلا لأن الله الآب قد قرر منذ البدء ان يجعل الإنسان شريك مجده في يسوع المسيح الناهض من الموت، «والذي فيه نجد الفداء بدمه والصفح عن الزلات» (أفسس ١ : ٧) وبه أراد ان يقهر الخطيئة ويطوّعها لخيرنا الأعظم الذي يفوق، بما لا يقاس، كل ما يستطيع الرقي ان يحقّقه.

٤٨١٥ – ٣٣. ان المسيحـي الذي تعلّم ان يتوسم في الإنسان صورة الله المدعوة إلى المشاركة في الحقيقة والخير اللذين هما ذات الله، لا يفهم الالتزام بشؤون النمو وتحقيقه بمعزل عمّا تفرضه كرامة هذه «الصورة» الفريدة من اعتبار وحرمة. وبتعبير آخر، يجب ان يرتكز النمو الصحيح على محبة الله ومحبة القريب، ويسهم في تيسير العلاقات بين الأفراد والمجتمع : تلك هي «حضارة المحبة» التي تكلّم عنها كثيرًا البابا بولس السادس.

٤٨١٦ – ٣٤. ولا يسوغ أيضاً في مناقبية النمو ان يُصرَفَ النظرُ عن الحرمة التي يجب ان نحوّط بها الخلائق التي تكوّن الطبيعة المنظورة والتي كان الاغريق يسمّونها

«الكوزموس» اشارة بالضبط، إلى النظام الذي تتميّز به. هذه الأشياء تستوجب هي أيضاً الاحترام...

٤٨١٧ – ٣٨. ... بالنسبة إلى المسيحيين، كما بالنسبة إلى كل الذين يعترفون بالمعنى اللاهوتي الدقيق لكلمة «خطيئة»، تغيير السلوك أو الذهنية أو طريقة الوجود يسمّى «توبة»، بحسب التعبير الكتابي (راجع مر ١:١٥، لو ١٣:٣ – ٥، أش ٣٠:١٥).

على طريق التوبة المبتغاة، التي تحمل على تخطي الموانع الخلقية في وجه النمو، بامكاننا الآن ان نرى في الوعي المتنامي للترابط القائم بين البشر والشعوب قيمةً إيمابية وخلقية. فأن يتأثر رجال ونساء، في مختلف انحاء المعمور، وكأن الأمر يتعلّق بهم شخصيًا، بالمظالم وانتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكب في بلدان نائية لن يطأوها، ولا شك، أبدًا، هذه ايضاً علامة أخرى لواقع أمسى ناشبًا في الضمير، وله، من ثم، صفة أخلاقية.

ما نعنيه، قبل كل شيء، هو واقع الترابط، نحسُّه كنظام ضروري للعلاقات في العالم المعاصر، مع مركّباته الاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية، وقد ارتقى إلى مرتبة المقولات الخلقية. عندما يتم الاعتراف بهذا الترابط فالجواب المناسب، كموقف خلقي واجتماعي «وكفضيلة»، هو التضامن. هذا التضامن ليس إذن شعورًا بتعاطف مبهم أو بتحنّن سطحي ازاء الشرور التي يعاني منها أشخاص عديدون، قريبون أو بعيدون. بل إنه العزم الثابت والمثابر على العمل من أجل الصالح العام، أي من أجل صالح الكل وكل فردٍ لأننا جميعنا مسؤولون حقًا عن الجميع.

٤٨١٨ – ٣٩. ان ممارسة التضامن داخل كل مجتمع تستقيم تمامًا عندما يتبادل أعضاؤه الاعتراف بعضهم ببعض كأشخاص. الذين لهم وزن أكبر ويتمتعون بقدر أوفر من الخيور والخدمات العامة يجب عليهم أن يعتبروا أنفسهم مسؤولين عن الاضاعف، من جهتهم، وفي خط التضامن عينه، أن يتخلّوا عن كل موقف سلبيّ بحت أو مدمّرٍ للبنية الاجتماعية، وأن يسعوا مع المدافعة عن حقوقهم المشروعة، لما فيه خير الجميع. وأمّا الفئات الوسط فيجب ألاّ تركّز على مصالحها الخاصة تركيزًا أنانيًا، بل ان تحترم مصالح الآخرين...

هذه الضوابط عينها تطبّق، عن طريق المماثلة، على العلاقات الدولية. فالترابط يجب أن يتحول إلى تضامن يرتكز على المبدأ القائل بان خيرات الخليقة هي للجميع : وما تنتجه الصناعة البشرية بتحويل المواد الأولية وبما يوفّره العمل يجب أن يكون أيضاً لصالح الجميع...

وعلى هذا فان التضامن الذي نطرحه هو طريق السلام وطريق النمو في آن واحد. لأن سلام العالم لا يُعقل إذا لم يقرّ المسؤولون بأن الترابط يستلزم بذاته تخطي سياسة الكتل والاقلاع عن أي شكل من الامبريالية الاقتصادية، أو العسكرية أو السياسية، والتحوّل من التحاذر إلى التعاون. والتعاون إنما هو العمل المميّز للتضامن بين الأفراد والشعوب.

٤٨١٩ – ٤٠. التضامن هو بدون ريب فضيلة مسيحية. في ضوء الإيمان، يسعى التضامن إلى ان يتخطى ذاته، ويتخذ صفات المجانية المطلقة والصفح والمصالحة...

٤٨٢٠ – ٤٨٢٣ – الإرادة الرسولية "Ecclesia Dei"، ٢ تموز ١٩٨٨

٤٨٢٠ – لقد علمت الكنيسة بألم كبير الرسامة الأسقفية غير الشرعية التي منحها، في ٣٠ حزيران الأخير، المطران مارسيل لوفيفر، مبطلاً كلما بذله الكرسي الرسولي من جهود في هذه السنوات الأخيرة، لترسيخ الشركة الكاملة مع جماعة الأخوة الكهنوتية للقديس بيوس العاشر، التي أسسها المطران لوفيفر ذاته. هذه الجهود كلها، ولاسيّما تلك التي كانت في الأشهر الأخيرة ناشطة بنوع خاص، لم تجد نفعًا، بينما أبدى الكرسي الرسولي من الصبر والرفق ما بلغ حد الإمكان...

٤٨٢١ – ٣ – وهذا العمل كان بحد ذاته، عصيانًا للحبر الأعظم، في مادة ثقيلة جدًا وذات أهمية كبرى بالنسبة إلى وحدة الكنيسة، إذ تتعلق برسامة أساقفة تدوم بها أسراريًا الخلافة الرسولية. لذلك فإن مثل هذا العصيان، الذي هو بحد ذاته رفض حقيقي لأولية أسقف روما، يكون فعل انشقاق...

٤٨٢٢ – ٤ – يوجد في أصل فعل الانشقاق هذا، مفهوم للتقليد ناقص ومتناقض.

ناقص لأنه لا يحسب حسابًا كافيًا لسمة الحياة في التقليد، الذي، كما علم المجمع الفاتيكاني الثاني بوضوح «يتواصل في الكنيسة بمعونة الروح القدس».

... ولكنه خصوصاً مفهوم للتقليد يعارض السلطة التعليمية الشاملة في الكنيسة، فهي لأسقف روما ولمجموع الأساقفة، وفي ذلك تناقض. إذ لا يستطيع أحد أن يبقى أمينًا للتقليد ويقطع الصلة الكنسية بمن أوكل إليه المسيح، في شخص الرسول بطرس، خدمة الوحدة في كنيسته.

٤٨٢٣ – ٥ – إزاء حالة كهذه ظاهرة لعيون الجميع، علي أن استرعي انتباه جميع المؤمنين الكاثوليكيين إلى بعض الأمور التي يوضحها هذا الظرف الحزين.

أ – إن النتيجة التي بلغت إليها الحركة التي قام بها المطران لوفيفر تستطيع بل عليها أن تكون فرصة لجميع الكاثوليكيين للتفكير الصادق في أمانتهم للتقليد الكنسي، خصوصاً للمجامع المسكونية، منذ نيقية إلى الفاتيكاني الثاني. وعلى الجميع أن يستمدوا من هذا التفكير يقينًا متجددًا وفعليًا بضرورة التعمق أيضاً في تلك الأمانة، رافضين جميع التأويلات الخاطئة، والتطبيقات الكيفية المسرفة في مجال العقيدة والليترجيا والنظام...

ب – وأريد، علاوة على ذلك، أن استرعي انتباه اللاهوتيين والخبراء الآخرين في العلوم الكنسية كي يشعروا بأن الظروف الحاضرة تسائلهم. فتعاليم المجمع الفاتيكاني فيها من الرحابة والعمق ما يستدعي جهدًا متجدّدًا في التعمّق يمكّن من إيضاح الاتصال بين المجمع والتقليد، وعلى الأخص، في أمور عقائدية ما زالت غير مفهومة جيدًا في بعض أجزاء الكنيسة، ولعلّ ذلك بسبب جدتها.

ج – ... وعلى الجميع أن يعلموا أن الانتماء الصريح إلى الانشقاق هو إهانة خطيرة لله ويقتضي الحرم المنصوص عنه في الحق القانوني.

٤٨٣٠ – ٤٨٤١ – الرسالة الرسولية في كرامة المرأة “Mulieris dignitatem”، ١٥ آب ١٩٨٨

شخص – اتحاد – عطاء

٤٨٣٠ – ٧ – ... إنّ الإنسان – رجلاً وامرأة – هو الكائن الوحيد، بين مخلوقات العالم المنظور «الذي أراده الله الخالق لذاته». فهو إذن شخص. وكَوْنُ الإنسان شخصاً

يعني أنه يرمي إلى تحقيق ذاته (أي إلى أن يجد ذاته، على حدّ قول المجمع)، هذه الذات التي لا يمكن أن تكتمل إلاّ من خلال التضحية بالنفس مجّانًا. والرَّبْطُ بين الشخص وتحقيق ذاته من خلال هذه التضحية، نجد له نموذجًا في الله نفسه، بوصفه ثالوثًا، أي شركة بين الأقانيم. فالقول بأن الإنسان خُلق على صورة الله ومثاله يعني أيضاً أنه مدعوٌّ لأن يحيا لغيره وأن يكون هو نفسُه عطيَّة.

انه سيسود عليكِ

٤٨٣١ — ١٠ — إن النصّ الوارد في سفر التكوين يحدّد عواقبَ خطيئة الإنسان، كما يُبْرِزُ اختلال التوازن في العلاقات الأصلية بين الرجل والمراة، تلك العلاقات التي كانت تليق بكرامة كلٍ منها، بِوَصْفِهِ شخصاً بشريًا. إن الكائن البشريّ، رجلاً كان أو امرأة، هو شخص. وهذا يعني أنه، على الأرض، «الخليقة الوحيدة التي أبدَعَها الله لذاتها»، وهي الوحيدة على الإطلاق التي لا يمكنها «أن تحقّق ذاتها إلاّ إذا بذلت نفسها بدون مقابل». من هنا تنشأ علاقة «الشركة» التي تتجلَّى من خلالها «وحدة الاثنين» والكرامة الشخصية للرجل والمرأة. وعليه، فإننا حين نقرأ في الكتاب الكلام الموجّه إلى المرأة: «إلى بَعْلِكِ تنقاد أشواقُكِ، وهو يسودُ عليكِ»، [تك ٣:١٦] نجد فيه تَصَدُّعًا في «وحدة الاثنين» وتحدّيًا لهذه الوحدة التي تتّفق وكرامة صورةِ الله ومثالِه، في كلّ منها. إلاّ أنّ هذا التحدّي يبدو أكثر خطورة بالنسبة إلى المرأة. إنّ عنصر التَسَلُّط قد تسرَّب فعلاً إلى كيانٍ يجبُ أن يقوم على العطاء المجّاني، وأن يبلغَ حدّ العيش في سبيل الآخر: «سيسود عليكِ». إنّ هذا التسلُّط يعني الإخلالَ بالمساواة الأساسيّة التي يتمتع بها الرجل والمراة في «وحدة الاثنين» وعدم إستقرارها. وهذا يكون على حساب المرأة أولاً، فيما المساواة النابعة من كرامة الاثنين، بِصِفَتِها شخصين، تستطيع وحدها أن تطبع علاقاتها المتبادلة بطابع الشركة الحقيقيّة بين الأشخاص. وإذا كان انتهاكُ هذه المساواة، التي هي، في ذات الوقت، هِبَةٌ من الله الخالق وحقٌّ ممنوحٌ منه، ينطوي على مضمونٍ يُسيءُ إلى المرأة، فإنه، بذات الفعل، ينتقص من كرامة الرجل الحقيقيّة.

٤٨٣٢ – لا يجوز للمرأة – تحت ستار التحرُّر من تَسَلُّط الرجلِ – أن تسْعى إلى انتحال ميزات الرجولة، على حساب ما تَتَفَرَّدُ به من ميزات الأُنوثة. وإنه لِمَن المؤكَّد أن المرأة، إن فعلت هذا، لن تزداد نُمُوًّا، بل ستتعرَّض، على عكس ذلك، لتشويه بل ولفُقدان ما تمتاز به من ثروة أساسيّة.

بُعدانِ لدعوة المرأة

٤٨٣٣ – ١٧ – ... علينا أن نتأمّل الآن في البُتوليّة والأمومة، وهما البُعْدَان الخاصّان اللذان تتحقَّق عَبْرَهُما شخصيَّة المرأة. إنَّ مضمونَهما وقيمتَهما يبلغان مِلْئَهُما على ضوء الإنجيل، في مريم، والبتولية والأمومة تَواجَدَتا معًا فيها، لا تستبعدُ إحداهما الأخرى ولا تفرض عليها حدودًا. بل انَّ أمّ الله، على عكس ذلك، تساعد شخصيًا جميعَنا – ولاسيّما النساء – على أن نكتشف كيف أنَّ هذين البُعْدَين وهذين الطريقين، اللذين تُحقّق المرأة، كشخصٍ، دعوتها عَبْرَهُما، يوضح كلٌّ منهما الآخر ويكمّله.

الأمومة

٤٨٣٤ – ١٨ – ... انّ هذا الوعيَ لحقيقة الشخص يمهّد كذلك السبيل لِتَفَهُّم كاملٍ لأمومة المرأة. إنَّ الأمومة هي ثمرة المعاشرة الزوجيّة بين رجل وامراة.

إنَّ تبادُلَ الأشخاص هِبَةَ الذات عن طريق الزواج، يُمَهّدُ لِهِبَةِ حياةٍ جديدة، وكائن بَشَريٍّ جديد، هو أيضاً شخصٌ كأبَوَيه. والأمومة، منذ نشأتها تنطوي على انفتاحٍ خاصٍّ على هذا الشخص الجديد: وهنا بالضَبْطِ يَكْمُنُ دور المرأة. وبهذا الانفتَاح، كَمَا بالحَمْل والولادة «تُحقِّقُ المرأة ذاتَها، عن طريق هِبَة ذاتها بلا مُقابِل».

ومع هذا، وبالرغم مِن أَنَّ كليهما معًا أَبَوَان لطفلهما، فإنَّ لأُمومة المرأة دورًا خاصّاً في إطار دَوْرِهِما المشترك كأَبَوَيْن، بل انه الدور الأوفر تَطَلُّبًا. وإن كان مِن شأنِ الرجلِ والمرأة معًا أن يكونا أَبَوَيْن، إلاّ أنَّ المراة تُسهم في هذا الشأن أكثر بكثير، لاسيّما في الحقْبة السابِقة للولادة. وهي التي تدفع مباشرة تكاليف هذا الإيلاد المشترك، الذي تَسْتهلك فيه، بكل معنى الكلمة، طاقات جسدِها ونفسِها. ومِن

واجب الرجُل أن يَعِيَ تمامًا أنّه مَدينٌ، بصفةٍ خاصّة، للمرأة، في نطاق مُهمَّتِهما المشتركة كأَبَوَيْن.

الأمومة وعلاقتها بالعهد

٤٨٣٥ – ١٩ – ... إنَّ النموذج المثالي للمرأة، في الكتاب، يبلغ ذروته في أُمومةِ أُمّ الله. وما وَرَدَ في البشارة الأولى: «سَأَجْعَلُ عداوة بينكِ وبين المرأة» يتأكّد هنا من جديد. فإنَّ الله قد افتَتَحَ عهدًا جديدًا مع البشريّة في شخص مريم، وعَبْرَ قبولها الأُمومة: «لِيكُنْ لي بحسبِ قولك».

البتولية في سبيل ملكوت الله

٤٨٣٦ – ٢٠ – ... وعليه، فإنَّ التبتُّل في سبيل ملكوت السماوات ليس ثمرةَ اختيار حرّ من قِبَلِ الإنسان فَحسْب، بل هو أيضاً ثمرة نعمةٍ خاصّة، يَهَبُها الله لشخصٍ مُعَيَّن، يدعوه لأن يعيش في البتولية. فإذا كان التَبَتُّلُ دليلاً خاصاً على مجيء ملكوت الله، فإنه يساعد، في ذات الوقت، على تكريس جميع قِوى النفس والجسد، في الحياة الزمنيّة، للملكوت الأُخْرَوِيّ دون غيره.

وقد تجلّى هذا الوعي الجديد، أوّلَ ما تجلّى، في مريم. وذلك عندما سألت الملاك: «أنّى يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟» (لوقا ١ : ٣٤). ولقد كانت مُصَمِّمَةً على الحفاظ على بتوليتها، «وإن كانت مخطوبةً لِرَجل اسمه يوسف» (لوقا ١ : ٢٧). أمّا أمومتها فقد تحقّقت بِفِعْلِ «قوّة العليّ» وحدها، وهي ثمرة حلول الروح القدس عليها (لوقا ١ : ٣٥) وبالتالي، فإنَّ هذه الأمومة الإلهية قد لَبَّتْ، بطريقةٍ لم تكن في الحُسْبان، التوَقّعات البشرية للمرأة في إسرائيل. وقد تحقَّقت فجأةً في مريم كَعَطِيَّةٍ من الله نفسِهِ...

إنّ مفهوم البتولية، المبني على الإنجيل، قد تَطَوَّر كذلك وتعمّق، من حيث هو دعوةٌ للمرأة، تتأكّد عَبْرَها كرامتها، على مثال عذراء الناصرة. ويطرح الإنجيل المثال الأعلى لتكريس الشخص، أعني تكريسَه لله وحده، بناءً على المَشُورات الإنجيليّة، لاسيّما المتعلّقة منها بالعفّة والفقر والطاعة. وقد تجسّدت تمامًا في يسوع المسيح نفسِهِ. فَمَن رغب في اتّباعِهِ إلى النهاية، يطبّق حياته باختياره على مشوراته

التي تختلف عن الوصايا، وترشد المسيحـي إلى طريق الالتزام بالطابع المطلق للإنجيل. وقد سلك هذه الطريق، منذ بَدْءِ المسيحية، رجال ونساء على السواء، لأنَّ المثالَ الإنجيليّ الأعلى يعني الكائن البشريَّ بأجمعه، دون تمييز بين الجنسين. وفي إطار هذا المضمون الأوسع، يجدر بنا أن ننظر إلى البتوليّة أيضاً كوسيلة تُحَقّقُ عَبْرَها المرأةُ تَفَتُّحَ شخصيّتها الأنثويّة.

الأمومة الروحية

٤٨٣٧ – ٢١ – أن البتولية، بمعناها الإنجيلي، تقتضي التخلّي عن الزواج، وبالتالي عن الأمومة الطبيعيّة. إلاَّ أنَّ التخلّي عن هذا النوع من الأمومة، الذي قد يُحمّل قلبَ المرأة تضحيةً كبرى، يُفْسِحُ في المجال لاختيار نوعٍ آخر من الأُمومة، وهو الأمومة «بالروح» (رومانيين ٨: ٤).

٤٨٣٨ – ٢٢ – ... والواقع الذي تُرشدنا إليه التوراة، هُو أننا لا نستطيع تفسير نصوص الكتب المقدَّسة، في ما يتعلّق بالإنسان، أي في ما هو «بَشَريّ» دون الاستعانة بما هو «أُنثويّ». وهذا ما نجدُهُ، بطريق القياس، في تدبير الله الخلاصي: فإذا شئنا أن نفهم هذا التدبير فهمًا كاملاً، في ما يتعلّق بكامل تاريخ الإنسان، لا يجوز لنا أن نُسْقِطَ من منظور إيماننا، سرَّ المراة، بتولاً وأمًّا وعروسًا معًا.

٤٨٣٩ – ٢٤ – ... ومع هذا إن مَسْلكيَّة الفداء تتضمَّن تحدِّيًا صريحًا وحاسمًا. وكلُّ المحاولات التي ترمي إلى تبرير «خضوع» المرأة للرجل، في حالة الزواج، يجب أن تَصُبَّ في إطار الخضوع المتبادَل بينهما، في «تقوى المسيح».

الإفخارستيّا

٤٨٤٠ – ٢٦ – إنّ دعوة الاثني عشر رسولاً يمكننا فهمُها من خلال المضمون الواسع «للسرّ الكبير»، الذي يقوم على العلاقة الزوجيّة بين المسيح والكنيسة. لقد تصرّفَ السيد المسيح بحرّيّة تامة ومطلَقة، حين قَصَرَ دعوته على الرجال ليكونوا رُسُلاً. إنّهم إلى جوار المسيح في العشاء السرّي، وَلَهُمْ وحدهم أُعطيَت الوصيَّة، التي تُؤَمّنُ استمرار سرّ الإفخارستيّا: «إصنعوا هذا لِذِكرى» [لو ٢٢: ١٩، و١ كور ١١: ٢٤]. وفي مساء يوم القيامة، نالوا الروح القدس وسلطة الحلّ من الخطايا.

إننا في صميم السرّ الفصحي، الذي يكشف تمامًا عن حُبّ الله الزوجيّ. فالمسيح عريس الكنيسة بِوَصْفِهِ فادي العالم، والإفخارستيّا هي سرّ فدائِنا. إنّها سرّ العريس والعروس، وهي تَسْتَحْضِرُ وتجدّد سرّيًّا العملَ الفِدائي للمسيح، مؤسِّسِ الكنيسة التي هي جَسَدُهُ. والمسيح متَّحِدٌ بهذا الجسد اتحادَ العريس بالعروس...

وإذا كان المسيح، عند تأسيس سرّ الإفخارستيّا، قد رَبَطَ بهذا الوضوح بينه وبين خدمة الرسل الكهنوتيّة، فمن الجائز الاعتقاد بأنه أراد بهذه الطريقة إظهارَ العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة، بين ما هو «أنثويّ» وما هو «ذَكَرِيّ»، تلك العلاقة التي أرادها الله، سواءٌ في سرّ الخَلْق أو في سرّ الفداء. ففي الإفخارستيّا يتجلّى سرّيًّا، وقبل كلّ شيء، عملُ المسيح – العريس الفدائي تجاه الكنيسة – العروس. ويُصبح هذا واضحًا، ولا لَبْسَ فيه، عندما يقوم الرجلُ نفسُه بخدمة سرّ الإفخارستيا، حيث يعملُ الكاهن «في شخص المسيح».

هبة العروس

٤٨٤١ – ٢٧ – ... وإذ أكّدَ المجمع الفاتيكاني الثاني التعليمَ التقليدي الثابت، فإنّه ذكرّنا بأن المرأة، مريم الناصرة، هي، بالضبط، في سُلّم القداسة، «رمزُ» الكنيسة. إنّها تسبقنا جميعًا على دَرْب القداسة. ففي شخصها تبلغ الكنيسة الكمال، الذي يقيها «من كلّ شائبةٍ وتَغَضُّن» (أفسس ٥ :٢٧). وانطلاقًا منهذا المفهوم، يمكن القول إنَّ الكنيسة «مَرْيَميَّة» كما أنها «رسوليّة» و«بُطرسيّة».

٤٨٥٠ – ٤٨٥٨ – إرشاد رسولي بعد المجمع "Christifideles laici"، ٣٠ كانون الأوّل ١٩٨٨

دعوة ورسالة العلمانيين في الكنيسة والعالم

٤٨٥٠ – ٢ –... إنّ آباء المجمع تمكّنوا، وهم يصوّبون النظر إلى فترة ما بعد المجمع الفاتيكاني، من ان يتحققوا كيف استمر الروح في تجديد الكنيسة، مستحدثًا فيها طاقات قداسةٍ جديدة، بمساهمة الكثيرين من المؤمنين العلمانيّين. وممّا يشهد لذلك نمط التعاون المستجدّ بين الكهنة والرهبان والمؤمنين العلمانيّين، بالمشاركة الفاعلة في

الليتورجيّا، وفي التبشير بكلمة الله، والتعليم الديني، والخدمات الكثيرة، والمهمّات الموكولة إلى المؤمنين العلمانيّين، والتي أجادوا القيام بها، فيما انتشرت بقوّةٍ تجمُّعاتٌ وجمعيّات وحركات روحيَّة ملتزمة، فضلاً عن مشاركة للنساء، أوسع وأفْعَل، في حياة الكنيسة وتنمية المجتمع.

ولم يَفُت مجمع الأساقفة، في ذات الوقت، التنويه بما اعترض مسيرة المومنين العلمانيّين، في الفترة التابعة للمجمع الفاتيكاني الثاني، من صعوبات وأخطار. ويمكننا التذكير، في الواقع، بتجربتين لم يستطيعوا دائمًا تلافيهما: أُولاهما أنَّ تكريس ذواتهم للخدمات والمهمّات الكنسيّة بغيرة متّقدة، حملَ بعضهم على التخلّي الفعلي عن المسؤوليات الخاصَّة بهم، على الصعيد المِهَني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي، فيما عرّضَتْهم التجربة الأخرى، على نقيض ذلك، لأن يستبيحوا التفرقة، التي لا مبرّر لها، بين الإيمان والحياة، وبين الخيار الإنجيليّ وممارسة النشاط الفعلي، في مختلف المجالات الزمنيّة والأرضيّة.

٤٨٥١ – ٣ – إن المفهومَ الأساسي لهذا المجمع، وبالتالي ثَمَرَته الأثْمن، والمرغوب فيها أكثر من غيرها، حَمْلُ المومنين العلمانيين على سماع صوت المسيح، الذي يدعوهم للعمل في كرمه، وللمشاركة الحيَّة، الواعية والمسؤولة، في رسالة الكنيسة، في هذه الحقبة الرائعة والخطيرة من التاريخ، المشرفة على الألف الثالث الوشيك.

إنّ أوضاعًا جديدة بَرَزَت في الكنيسة والعالم، وفي الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي، تفرض اليوم على المؤمنين العلمانيين، بِصِفة خاصّة جدًا، الاضطلاع بدورهم. وإذا كان إهمال هذا الدور غير مقبول في الماضي، فإنه اليوم يستوجب اللوم، أكثر منه في أيّ زمنٍ مضى. ولا يجوز لأيٍّ كان أن يبقى مكتوف اليدين...

٤٨٥٢ – ١٤ – ... يشارك المؤمنون العلمانيّون في الخدمة الكهنوتيّة، التي قدَّم يسوع ذاتَهُ من خِلالها على الصليب، ويواصل هذه التقدمة من خلال الاحتفال بسرّ الإفخارستيّا، الذي يُقامُ لمجد الله الآب ولخلاص البشريّة. والمعمَّدون، بِصِفَتِهم أعضاء في جسد المسيح، يتَّحدون به وبذبيحتِهِ بِتَقدمة ذواتهم وأعمالهم (رو ١٢: ١ و٢). ويُعْلن المجمع، بشأن المؤمنين العِلمانيّين، أنَّ «كلّ أعمالهم وصلواتهم

ونشاطاتهم الرسولية، وحياتهم الزوجيّة والعائليّة، وأشغالهم اليوميّة، وخلودهم إلى راحة النفس والجسد، إذا مارسوها بروح الله، أصبحت قرابين روحيَّة، مستحبَّة لدى الله بيسوع المسيح [١ بط ٢ : ٥]. وهذا ينطبق على مشقّات الحياة ذاتها، إذا احتملناها بصبر. وهذه القرابين تنضمُّ إلى تقدمة جسد الربّ عند الاحتفال بالإفخارستيّا، لِتُرْفَعَ إلى الآب بكلّ تقوى. وهكذا يكرّس المؤمنون العلمانيّون لله العالَم ذاته، مقدِّمين في كلّ مكان، بقداسة حياتهم، شعائر عبادةٍ لله».

أمّا المشاركة في الخدمة النَبَويَّة للمسيح «الذي يُعلن ملكوت الآب» بشهادة حياته وفعالية كلمته فإنّها تؤهّل المؤمنين العلمانيّين وتجنّدهم لقبول الإنجيل، بالإيمان والتبشير به بالكلمة والأعمال، دون التردُّد في التنديد بالشرّ بجرأة. وإذ يتّحد المؤمنون العلمانيّون بالمسيح «النبيّ العظيم» (لو ٧ : ١٦) ويشهدون بالروح لقيامته، يُصبحون مشاركين للكنيسة – «التي لا تخطئ في الإيمان» – في وَعْيها للإيمان الفائق الطبيعة؛ ومشاركين بذات القَدْر في نعمة الكلمة، (أعمال ٢ : ١٧ و١٨ ورؤيا ١٩ : ١٠) فضلاً عن أنهم مدعوّون لتجسيد جِدَّة الإنجيل وفعاليته تجسيدًا يتألّق في حياتهم اليوميّة، العائليّة والاجتماعيّة، وللتعبير بِحِلْم وجرأة، في وسط مشقّات الزمن الحاضر، عن رجائهم في المجد «حتى من خلال بُنيات الحياة الزمنيّة».

ثمّ إنّ المؤمنين العلمانيّين يشاركون، بانتمائهم إلى المسيح، ربّ الكَون ومَلِكِهِ، في وظيفته الملوكيّة. وهو يدعوهم لخدمة ملكوت الله، ولنشره عبر التاريخ. إنّهم يعيشون الملوكيَّة المسيحيّة، أولاً عن طريق الصراع الروحي، الذي يمارسونه، لتدمير سلطان الخطيئة فيهم (روما ٦ : ١٢) ثمّ من خلال تكريس ذواتهم ليخدموا، في المحبة والعدالة، يسوعَ نفسَه، الحاضر في جميع إخوته، لا سيّما أصْغَرهم (مت ٢٥ : ٤٠).

٤٨٥٣ – ١٥ – ... بفضل كرامة العماد المشترَكَة هذه، يُصبح المؤمن العلمانيّ مشاركًا، في مسؤوليّة الرسالة الكنسيّة، لجميع خُدَّام الهيكل، الحاصلين على الرُّتَب الكهنوتية، وللرهبان والراهبات.

وإنّه لَمِنَ المؤكَّد أن كلّ اعضاء الكنيسة يشاركون في بُعْدها العلمانيّ ولكنّ هذا يتمّ

بطرقٍ مختلفة. ولمشاركة المؤمنين العلمانيّين، بنوع خاص، أسلوبها في العمل والخدمة «الخاصّ بها والمميّز لها» كما يقول المجمع الفاتيكانيّ الثاني. وهذا الأسلوب هو الذي يُطْلَق عليه اسم «الطابع العلمانيّ».

٤٨٥٤ – ١٧ – ... ثم إنَّ الدعوة إلى القداسة مرتبطة، في ذات الوقت، ارتباطًا وثيقًا بالرسالة والمسؤوليّة، اللتين أؤتُمِنَ عليهما المؤمنون العلمانيّون في الكنيسة والعالم. وإنّ القداسة المُعاشَة، فضلاً عن كونها ثمرة مشاركتهم للكنيسة في حياة القداسة، تُمثّل كذلك، في ذاتها إسهامًا أوّليًّا وأساسيًّا في بناء الكنيسة، بِصِفَتِها «شركة القدّيسين».

٤٨٥٥ – ٢٠ – إنَّ الشركة الكنسية هي شركة... تتميَّز فعلاً بكونها، في ذات الوقت، متنوّعة ومتكاملة، بِتَنَوُّع وتكامُلِ ما في الكنيسة من دعواتٍ وأوضاعِ حياة وخدمات ومواهب ومسؤوليّات. وبفضل هذا التنوُّع وهذا التكامُل، يصبح كلٌّ من المؤمنين العلمانيّين، على علاقةٍ بالجسد كلّه، ويُسْهم بنصيبه في خدمة هذا الجسد.

٤٨٥٦ – ٢١ – ... الكنيسة يُديرها فعلاً ويُرشدها الروح القدس، الذي يوزّع مختلف المواهب الإيراركيّة والكارسماتيّة على المعمَّدين جميعًا، داعيًا إيّاهم للعمل والمشاركة، كُلاًّ بطريقته الخاصّة.

٤٨٥٧ – ٢٢ – إنّنا نجد في الكنيسة أولاً الخدمات الكهنوتيّة، أي الناشئة عن سرّ الكهنوت... ويُنعم المسيح الناهض من القبر على الكهنة بموهبة الروح القدس، عن طريق سرّ الكهنوت، مُؤَمِّنًا بذلك خلافة الرسل التي لا تنقطع، كما يُخوّلهم السلطة والصلاحيّات المقدَّسة، ليواصلوا خدمة الكنيسة، عاملين «باسم المسيح – الرأس شخصيًّا» وليجمعوا شعب الله، في الروح القدس، بواسطة الإنجيل والأسرار.

والخَدَمات الكهنوتيّة نعمة كبرى، تُؤَمِّن الحفاظَ على حياة الكنيسة كلّها ومواصلةَ رسالتها، قبلَ أن تكون نعمة مخصَّصَة بإنسانٍ معيَّن. وهذه الخدمات الكهنوتيّة تحقّق مشاركةً في كهنوت المسيح، وتُظهرها. وهذه المشاركة تختلف في طبيعتها،

وليس فقط في دَرَجَتها، عن تلك التي يُنشئها سِرَّا العماد والتثبيت، بالنسبة لجميع المؤمنين. وكهنوت الخدمة، من جهةٍ أخرى، وبحسب تعليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني، موقوفٌ أساساً لخدمة كهنوت جميع المؤمنين الملوكيّ، ومُعَدٌّ له.

٤٨٥٨ – ٢٣ – إنّ رسالة الكنيسة الخلاصيّة في العالم، لا تتحقَّق فقط بواسطة الخُدّام الذين نالوا سرّ الكهنوت، بل بواسطة جميع المؤمنين العلمانيّين أيضاً. وهؤلاء، بِصِفَتِهِم معمَّدين ومدعوّين للاضطلاع برسالة نوعيّة، يشاركون المسيح، كلٌّ بحسب طاقته، في خدمته الكهنوتيّة والنبويّة والملوكيّة.

وعليه، يتوجَّب على الرعاة أن يسلّموا بحقّ المؤمنين العلمانيّين في ممارسة الخدمات والوظائف والمهمّات الموكولة إليهم، وأن يشجّعوهم على القيام بها، لأنّها مستمدَّة من سِرَّي العماد والتثبيت، فضلاً عن سرّ الزواج، الذي ناله الكثيرون منهم.

وبالإضافة إلى هذا، يجوز للرعاة، عندما تقتضي ذلك الضرورة أو منفعة الكنيسة، ومع مراعاة القوانين التي ينصُّ عليها الحقّ العام، أن يَكِلوا إلى المؤمنين العلمانيّين بعض الوظائف والمهمّات التي، وإن كانت مَنوطَةً بخدمتهم الخاصّة كرعاة، لا تشترط سِمَة الكهنوت. إلاّ أنّه يحسن التنبيه إلى أنّ ممارسة هذه أو تلك من الوظائف لا تجعل من المؤمن العلمانيّ راعيًا، لأنّ حقّ الرعاية لا يعتمد على الممارسة في ذاتها بل على السيامة الكهنوتيّة.

لقد قدَّم مجمع الأساقفة الأخير رؤيةً شاملة وهامّة للوضع الكنسيّ، فيما يتعلّق بالخدمات والوظائف والمهمّات التي يمكن أن تُسْنَدَ إلى المعمَّدين. فأبدى الآباء تقديرهم الحارّ لمشاركة المؤمنين العلمانيّين، رجالاً ونساءً، بِقِسْطٍ وافر، في حقل الرسالة وفي حياة الكنيسة، بحيث يضعون مواهبهم وطاقاتهم في خدمة التبشير، وفي تقديس الشؤون الزمنيّة، وبعث الروح المسيحيّة فيها. كما أبدى الآباء، في ذات الوقت، إعجابَهم بتفاني العلمانيّين المستمرّ في نطاق الجماعات الكنسيّة، وباستعدادهم السخيّ لِسَدِّ نقص، في الظروف الحرجة، ولتلبية حاجات الكنيسة الدائمة.

وعلى أَثَر التجديد الليتروجيّ، الذي أَحدثه المجمع الفاتيكانيّ الثاني، تَنَامَى وعيُ

المؤمنين العلمانيّين للدور الذي يعود إليهم، سواء عن طريق المشاركة في الحفلات الليتورجيّة، أو عن طريق التحضير لها. فأبْدَوا استعدادهم السخيّ للاضطلاع بهذا الدور. إن الاحتفال بالطقوس الكنسيّة هو بالفعل عمل جماعيّ مقدَّس، لا يقتصر على رجال الدين وحدهم. وعليه، فمن الطبيعيّ أن يقوم المؤمنون العلمانيّون بالخدمات الطقسيّة، التي ليست من اختصاص الإكليريكيّين المرتسمين. وبعد أن تحقَّقت مشاركة المؤمنين العلمانيّين الفعليّة في النشاط الليتورجيّ، قُبِلَت عفويًّا مشاركتُهم في التبشير بكلمة الله وفي المهمّات الراعويّة.

إلاَّ أنَّ الانتقادات لم تَغِب عن مجمع الأساقفة هذا، إلى جانب الآراء الإيجابيّة التي تَخلَّلَته. وقد تناولت هذه الانتقادات استعمال كلمة «خدمة» (Ministère) بدون تمييز، كما تناولَت الالتباس والمعادلة بين الكهنوت العامّ وكهنوت الخدمة، وعدم تطبيق القوانين والقواعد الكنسيّة الواجب مراعاتها، والتأويل الكيفيّ لمعنى الإنابة، والنزعة إلى تحويل المؤمنين العلمانيّين إلى إكليريكيّين، وخطر إحداث بُنْيَة كنسيّة فعليّة للخدمة في موازاة الخدمة المؤسَّسة على سرّ الكهنوت.

ولِتَلافي هذه الأخطار، كما يجب، ركَّز آباء المجمع على ضرورة تَوَخّي الوضوح في التعبير، وتحديد اصطلاحات لغويّة دقيقة، عند الحاجة، للتعبير، من جهةٍ، عن وحدة رسالة الكنيسة، التي يشارك فيها جميع المعمَّدين، ومن جهة أخرى، عن الخدمة الراعويّة المبنيَّة على سرّ الكهنوت، والتي تختلف اختلافًا جوهريًّا عن سائر الخدمات والوظائف والمهمّات الكنسيّة، المبنيَّة على سرَّي العماد والتثبيت.

٤٨٦٠ – ٤٨٦٢ – مجمع الإيمان "Orationis forma"، ١٥ تشرين الأول ١٩٨٩

٢ – الصلاة المسيحية بحسب نور الوحي

٤٨٦٠ – ٧ – ... إذا كان من الواجب أن تدخل صلاة المسيحي في حركة الله الثالوثية، فلا بدّ من أن يتحدّد أيضاً مضمونها الأساسي بوجهتي هذه الحركة: في الروح القدس يأتي الابن إلى العالم ليصالحه مع الآب بأفعاله وآلامه. ومن جهة

أخرى، في الحركة عينها والروح عينه، يعود الابن المتجسد إلى الآب متمّمًا مشيئته بالآلام والقيامة [...]. لقد أعطيت صلاة يسوع إلى الكنيسة «أما أنتم فصلّوا هكذا» (مت ٦ : ٩) ولهذا السبب، فالصلاة المسيحية، وإن ارتفعت في الوحدة، هي في الحقيقة دائمًا موجودة في «شركة القديسين» تلك، التي فيها ومعها تتمّ الصلاة، في الشكل العام والليترجي أو في الشكل الخاص...

٣ – أنماط خاطئة من الصلاة

٩ – إذا كان من غير الممكن الحكم في كمال الصلاة المسيحية على قاعدة سمو المعرفة الغنوصية، فذلك من غير الممكن بأولى حجة بالرجوع إلى اختبار الإلهيات، على الطريقة الميسّالينية. [...].

وقد عارضهم الآباء وأصروا على أن اتحاد النفس المصلية بالله تتم في السرّ، خصوصاً بالأسرار الكنسية. ويمكن أن تتحقّق حتى في اختبارات الغَمّ والحزن العميق. خلافًا لرأي المسّاليين ليست هذه الاختبارات بالضرورة دليلاً على أن الروح قد تخلّى عن النفس. ويمكن أن تكون، بالعكس، كما اعترف بذلك دومًا بوضوح المعلمون الروحيّون، مشاركة أصيلة في حالة التخلّي على الصليب التي قاساها ربنا، وهو يبقى دومًا المثال والوسيط في الصلاة.

٤ – السبيل المسيحي للاتحاد بالله

٤٨٦٢ – ١٤ – للتقرب من سرّ الاتحاد بالله هذا، الذي كان يسميه الآباء اليونانيون تأليهًا للإنسان، وللإدراك الدقيق لأنماط تحقّقه، يجب الاعتداد قبل كل شيء بأن الابن، منذ الأزل، هو «آخَر» بالنسبة إلى الآب، ومع ذلك، في الروح القدس هو «من ذات الجوهر». وبالتالي إن وجود «آخر» ليس شرًا بل هو بالحري أعظم الخيور. فهناك «آخَر» في الله ذاته، الذي هو طبيعة واحدة في ثلاثة اقانيم، وهناك «آخَر» بين الله والخليقة، اللذين هما بالطبيعة مختلفان.

٤٨٧٠ – ٤٨٨٥ – تعليم مجمع عقيدة الإيمان "Donum veritatis"، ٢٤ أيار ١٩٩٠

٢ –دعوة اللاهوتي

٤٨٧٠ – ٦ – بين الدعوات التي ينشئها الروح في الكنيسة تتميز دعوة اللاهوتي، الذي تقوم مهمته، بنوع خاص، على أن يكتسب، بالاتحاد مع السلطة التعليمية، إدراكًا يزداد عمقًا على الدوام لكلام الله، الذي يتضمنه الكتاب المقدس الموحى به والمنقول بتقليد الكنيسة الحي [...]. والعلم اللاهوتي الذي يبحث عن فهم الإيمان تلبية لصوت الحقيقة التي تنادي، يساعد شعب الله، وفق الوصية الرسولية (ر. ١ بط ٣: ١٥) على أن يؤدي حجة عن رجائه لمن يسألونه.

٤٨٧١ – ٩ – لقد تكون اللاهوت تدريجيًا، في غضون الأجيال، كمعرفة علمية حقيقية. فمن الضروري إذن أن يتنبه اللاهوتي إلى المطالب الابستيمولوجية لمادته، ومقتضيات الصرامة النقدية، أي المراقبة العقلية لكل مرحلة من مراحل مساره. ولكن ما يقتضيه النقد يجب أن لا يتماثل والروح النقدية، التي تصدر بالحري عن علل عاطفية أو عن أحكام سابقة. على اللاهوتي أن يميز في ذاته أصل وعلل موقفه النقدي، وأن يفسح في المجال للإيمان أن ينقي نظره. تقتضي ممارسة اللاهوت جهدًا روحيًا من الاستقامة والتقدس...

٤٨٧٢ – ١١ – [...] وبالتالي «فالخدمة النزيهة جدًا لجماعة المؤمنين» التي هي اللاهوت «تتضمن جوهريًا نقاشًا موضوعيًا، حوارًا أخويًا، انفتاحًا واستعدادًا لتغيير الآراء الشخصية».

٤٨٧٣ – ١٢ – فحرية البحث، التي تتمسك بها جماعة العلماء بحق، على أنها واحدة من أثمن خيورها، تعني الاستعداد لتقبل الحقيقة، كما تتبين في نهاية بحث لم يدخل فيه أي عنصر غريب عما تقتضيه الطريقة الموافقة للموضوع المدروس.

وفي اللاهوت تقوم حرية البحث هذه ضمن معرفة عقلية موضوعها يعطيه الوحي، وتنقله وتفسره الكنيسة، تحت سلطان السلطة التعليمية، ويقبله الإيمان. وإغفال هذه المعطيات، التي لها قيمة مبدأ، يكون كالتوقف عن العمل في

اللاهوت. ولتوضيح أنماط هذه العلاقة بالسلطة التعليمية، ينبغي الآن التفكير في مهمة هذه السلطة في الكنيسة.

٣ – سلطة الرعاة التعليمية

٤٨٧٤ – ١٦ – إن واجب المحافظة بقدسية على وديعة الوحي الإلهي وعرضها بأمانة يقتضي، بطبيعته، أن تستطيع السلطة التعليمية أن تعرض «بطريقة نهائية» مفاهيم مرتبطة بحقائق الإيمان، وإن لم تكن من مضمونها، بحيث تكون الصفة النهائية لهذه الأقوال متأتية، في آخر الأمر، من الوحي ذاته.

٤ – السلطة التعليمية واللاهوت

٤٨٧٥ – ٢١ – إن السلطة التعليمية الحية في الكنيسة، واللاهوت، وإن كان لهما مواهب ومهمات مختلفة، فغايتها النهائية واحدة: حفظ شعب الله في الحقيقة التي تحرر، وجعله هكذا «النور للأمم». وهذه الخدمة للجماعة الكنسية تقيم علاقات متبادلة بين اللاهوتي والسلطة التعليمية...

٤٨٧٦ – ٢٢ – يتحقق التعاون بين اللاهوتي والسلطة التعليمية، بطريقة خاصة، عندما ينال اللاهوتي الرسالة القانونية أو التفويض للتعليم. فيصبح عندئذ، بمعنى ما، مشاركة في عمل السلطة التعليمية الذي يصله به رباط قانوني.

٤٨٧٧ – ٢٣ – عندما تنطق السلطة التعليمية الكنسية بعصمة، للإعلان رسميًا أن عقيدة هي من مضمون الإيمان، التأكيد المطلوب هو تأييد الإيمان اللاهوتي. وهذا التأييد يمتد إلى تعليم السلطة العادية والعامة، عندما يعرض للإيمان عقيدة إيمانية بكونها من الوحي الإلهي.

وعندما تعرض هذه السلطة «بطريقة نهائية» حقائق تتعلق بالإيمان والأخلاق، هي ذات صلة وثيقة وحميمة بالوحي، وإن لم تكن من وحي إلهي، فيجب قبولها والتمسك بها بحزم.

عندما تعلم السلطة عقيدة حتى دون أن تقصد القيام بفعل «نهائي»، لتساعد على

إدراك أعمق للوحي، أو لما يوضح مضمونه، أو أيضاً لتذكر بتلاؤم عقيدة وحقائق الإيمان، أو أخيرًا لتحذر من مفاهيم لا تنسجم وتلك الحقائق، فتصديق الإرادة بتقوى مطلوب...

٤٨٧٨ – ٢٤ – أخيرًا، تستطيع السلطة التعليمية، لأجل القيام بأفضل خدمة ممكنة لشعب الله، وعلى الخصوص لتحذره من الآراء الخطرة الممكن أن تؤدي إلى الضلال، أن تتدخل في مسائل هي موضوع نقاش وفيها، بجانب مبادئ ثابتة، عناصر تخمينية وجائزة. إن إرادة الإذعان الصادق لتعليم السلطة هذا، في مسألة إيمانية قابلة للإصلاح، يجب أن تكون القاعدة. ولكن قد يحدث أن يتساءل لاهوتي، حسب كل حالة، عن شكل أو حتى مضمون التدخل. وهذا يقوده قبل كل شيء إلى أن يتحقق بعناية ما هي السلطة التي لهذا التدخل، كما تستنتج من طبيعة الوثائق، ومن الإلحاح على عرض عقيدة، ومن أسلوب التعبير ذاته.

٤٨٧٩ – ٢٧ – حتى إذا لم تبد عقيدة الإيمان للاهوتي ذات صلة، فعليه أن لا يعرض آراءه، أو فرضياته المخالفة كأنها نتائج لا جدال فيها، وهذا التحفظ يقتضيه احترام الحقيقة وكذلك احترام شعب الله.

٤٨٨٠ – ٢٨ – يجد ما سبق تطبيقًا خاصاً في حالة اللاهوتي الذي قد يلاقي صعوبة جديدة، لأسباب يراها قوية، في قبول تعليم السلطة القابل الإصلاح...

٤٨٨١ – ٣٠ – إذا استمرت الصعوبات، رغم جهود صادقة، فمن واجب اللاهوتي أن يطلع السلطات التعليمية على المشاكل التي يثيرها التعليم في ذاته، أو في ما يعرض من مسوغات له، أو أيضاً في الطريقة التي يعرض فيها. ويقوم بذلك بروح إنجيلية، ورغبة عميقة في حل العقد فيمكن اعتراضاته عندئذ المساهمة في تقدم حقيقي، بحث السلطة التعليمية على عرض تعليم الكنيسة بطريقة أكثر عمقًا وأفضل حجة...

٤٨٨٢ – ٣٢ – [...] المراد هنا الكلام خصوصاً على ذلك الموقف العلني المعارض للسلطة الكنسية، والمسمى أيضاً «المخالفة في الرأي»، والذي ينبغي تمييزه جيدًا من حالة الصعوبة الشخصية التي تكلمنا عليها آنفًا...

٤٨٨٣ – ٣٣ – ويمكن هذه المخالفة في الرأي أن تبدو بمظاهر متنوعة. وهي تهدف، في حدها الأقصى، إلى تغيير الكنيسة وفق نمط من النزاع يستوحي ما يجري في المجتمع المدني.

٤٨٨٤ – ٣٤ – ومسوغ المخالفة في الرأي يرتكز عمومًا على حجج مختلفة، اثنتان منها أرسخ في الأساس: الأولى تأويلية فلا تكون وثائق السلطة التعليمية ليست سوى انعكاس مذهب لاهوتي قابل للجدل. والثانية تعتمد التعددية اللاهوتية التي تصل أحيانًا إلى النسبية المسيئة إلى سلامة الإيمان. فتكون تدخلات السلطة صادرة عن مذهب لاهوتي من بين مذاهب اخرى، بينما لا سبيل لأي مذهب لاهوتي خاص إن يدعي السيطرة الشاملة. وهكذا، يولد نوع من «سلطة تعليمية موازية» من اللاهوتيين، تعارض السلطة الأصيلة وتنافسها...

٤٨٨٥ – ٣٥ – ... إن الطلب من رأي الأكثرية ما ينبغي التفكير به وعمله، واللجوء، في مقاومة السلطة التعليمية، إلى ضغوط يمارسها الرأي العام، والاعتداد «بإجماع» اللاهوتيين، والزعم أن اللاهوتي هو الناطق النبوي باسم «قاعدة» أو جماعة مستقلة، تصير هكذا المصدر الوحيد للحقيقة. ذلك كله يدل على ضياع خطير لمعنى الحقيقة ولمعنى الكنيسة.

٤٨٩٠ – ٤٨٩٦ – الرسالة العامة "Redemptoris missio"، ٧ كانون الأول ١٩٩٠

مدخل

٤٨٩٠ – ٢ – ان لهذه الوثيقة هدفًا ذا طابع داخلي: تجديد الإيمان والحياة المسيحية. فالرسالة، بالواقع، تجدّد الكنيسة، وتقوّي الإيمان والهوية المسيحية، وتعطي مزيدًا من الحماس والدوافع الجديدة. يتقوّى الإيمان عندما نعطيه. فتبشير الشعوب بالإنجيل يجد الهامًا ودعمًا في الالتزام بالرسالة الشاملة.

١ – يسوع المسيح المخلص الوحيد

٤٨٩١ – ١٠ – ان شمولية الخلاص لا تعني انه لا يمنح الاّ للذين يؤمنون بالمسيح إيمانًا صريحًا والذين دخلوا في الكنيسة. إذا كان الخلاص مقدّرًا للجميع، فعليه ان

يكون مقدّمًا فعليًا للجميع. انما من البيّن، اليوم كما في الأمس، ان العديد من البشر لا يملكون امكانية معرفة وحي الإنجيل أو تقبّله، ولا حتى دخول الكنيسة. انهم يعيشون في حالات اجتماعية وثقافية لا تسمح لهم بذلك، وقد تربّوا في تقاليد دينية أخرى: بالنسبة إليهم، خلاص المسيح يمكن ادراكه بفضل نعمة لها صلة سريّة بالكنيسة، ولكنها لا تدخلهم فيها شكليًا، بل تنيرهم بطريقة ملائمة لحالتهم الروحية، لأطارهم الحياتي.

٤٨٩٢ – ١١ ... علينا قبل كلّ شيء مع احترام القناعات الدينية والحساسيات كلّها، ان نعلن ببساطة إيماننا بالمسيح مخلّص الإنسان الوحيد، الإيمان الذي قبلناه كهبة من العلاء لا نستحقها. ومع بولس نقول: «اني لا أستحي بالبشارة، فهي قدرة الله لخلاص كل مؤمن» (رو ١: ١٦).

٤ – المجالات الواسعة للرسالة إلى الأمم

٤٨٩٣ – ٣٣. إن التباين في النشاط، في صميم رسالة الكنيسة الفريدة، لا ينبع من طبيعة الرسالة نفسها، بل من الأوضاع المختلفة التي تمارس فيها. فبالنظر إلى عالم اليوم من ناحية التبشير، نستطيع التمييز بين ثلاثة أوضاع: قبل كلّ شيء، الوضع الذي نوجّه إليه نشاط الكنيسة الارسالي: وضع الشعوب والجماعات البشرية، الأطر الاجتماعية – الثقافية حيث لا يعرف المسيح وإنجيله، أو حيث لا يوجد جماعات مسيحية ناضجة بما فيه الكفاية لتتمكّن من تجسيد الإيمان في محيطها واعلانه على تجمّعات أخرى. تلك هي، بحصر المعنى، الرسالة إلى الأمم.

هنالك أيضاً جماعات مسيحية لها بنيات كنسية قوية ومتلائمة، لها حرارة الإيمان والحياة، تؤدي للإنجيل شهادة مشعّة في محيطها، وتعي واجب الرسالة الشاملة. فيها يمارس نشاط الكنيسة الراعوي.

هنالك أخيرًا وضع وسط، خاصة في البلدان ذات التقليد المسيحيّ العريق، لكن أحيانًا أيضاً في الكنائس الأكثر حداثة، حيث تفقد مجموعات من المعمّدين بكاملها معنى الإيمان الحيّ، أو يُفضي بهم الأمر الى عدم اعتبار ذواتهم أعضاء في الكنيسة، بعيشهم حياة بعيدة عن المسيح وإنجيله. في هذه الحالة، لا بدّ من «بشارة جديدة» أو «اعادة تبشير».

٥ – سُبُل الرسالة

٤٨٩٤ – ٥٢. ان الكنيسة بممارسة نشاطها الرسولي بين الشعوب، تدخل في اتصال مع مختلفة الثقافات، وتجد نفسها داخلة في عملية الاندماج الثقافي.

انها فريضة طَبعت كلّ مسارها طوال التاريخ وتظهر اليوم دقيقة وملحّة بشكل خاص.

بالاندماج الثقافي، تجسّد الكنيسة الإنجيل في مختلف الثقافات، وفي الوقت نفسه، تُدخل الشعوب مع ثقافاتها في جماعتها الخاصة. وتنقل إليها قيمها، آخذة الجيد من ثقافاتها مجدّدة إياه من الداخل. وبواسطة الاندماج الثقافي، تصبح الكنيسة، من ناحيتها، آية مفهومة أكثر ممّا هي عليه وأداة أكثر ملاءمة لرسالتها.

٤٨٩٥ – ٥٥. ان الحوار بين الديانات يشكّل جزءًا من رسالة الكنيسة التبشيرية. فهو، باعتباره طريقة ووسيلة لمعرفة واغناء متبادلين، لا يتعارض مع الرسالة إلى الأمم. انه، بالعكس، مرتبط بها، بنوع خاص، وهو تعبير عنها. لأن هذه الرسالة موجهة إلى اناس لا يعرفون المسيح ولا إنجيله. وهم، في اكثريتهم الساحقة، ينتمون إلى ديانات أخرى. ان الله يدعو إليه كل الشعوب، وفي المسيح، يريد ان يشركهم في ملء وحيه ومحبته. ولا يفوته أبدًا اظهار حضوره بطرق كثيرة، ليس للأفراد فقط، بل للشعوب أيضاً، من خلال غناهم الروحي الذي تعبّر عنه الديانات تعبيرًا أساسيًا وجوهريًا، مع أنها تحتوي «ثغرات وشوائب وأخطاء». لقد أبرز المجمع وتعاليم السلطة اللاّحقة باسهاب كلّ ذلك مؤكدة دائمًا بثبات على ان الخلاص يأتي من المسيح وان الحوار لا يعفي من التبشير بالإنجيل.

٧ – الله يعد للإنجيل ربيعًا جديدًا

٤٨٩٦ – ٨٦. نحن على أبواب الألف الثالث للفداء. والله يعد للمسيحية ربيعًا عظيمًا نرى تباشيره منذ الآن. سواء في العالم اللامسيحيّ أو في عالم المسيحية العريقة، تميل الشعوب إلى التقرب تدريجيًا من المثل والقيم الإنجيلية. والكنيسة تعمل على تعزيز هذا الميل. ويظهر اليوم بين هذه الشعوب توافق جديد على هذه القيم ومنها: رفض العنف والحرب، واحترام الشخص البشري وحقوقه، والتعطش للحرية

والعدالة والأخوة، والميل إلىالتغلّب على العنصريات والنزعات القومية، وتأكيد كرامة المرأة واعلاء شأنها.

الرجاء المسيحي يدعمنا لكي نلتزم كليًا بالتبشير الجديد بالإنجيل والرسالة الشاملة، ويدفعنا إلى الصلاة كما علّمناها يسوع: ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك في الأرض كما في السماء» (مت ٦ : ١٠).

٤٩٠٠ – ٤٩١٤ – الرسالة العامة "Centesimus annus"، ١ أيار ١٩٩١

الملكية الخاصة وإرصاد الخيور للجميع

٤٩٠٠ – ٣٢ – ... إن كان العنصر الإنتاجي الحاسم، في ما مضى، هو الأرض، وفي ما بعد الرأسمال، أي مجموع الآلات ووسائل الانتاج، فالعنصر الحاسم اليوم، وكل يوم أكثر، هو الإنسان نفسه، أي ما لديه من أهبة للمعرفة تظهر في الاطلاع العلمي والقدرة على التنظيم في إطار التضامن والوقوف على حاجات الآخرين وتلبيتها.

٤٩٠١ – ٣٣ – ولكننا لا نستطيع أن نغفل التنبيه على المحاذير والمشكلات المرتبطة بهذا النمط من التطوّر. ثمة أناس كثيرون، بل معظم الناس، ولا شك، لا يملكون اليوم وسائل للدخول، بطريقة فاعلة وخليقةٍ بالإنسان، ضمن مؤسسة صناعيّة يكون فيها للعمل مكانةٌ مرموقة حقًا. فهم عاجزون عن إحراز المعارف الأساسيّة التي تمكّنهم من ترجمة إبداعهم وتطوير طاقاتهم، وعن الدخول في شبكة التعارف والتواصل التي تدرُّ عليهم تقدير الآخرين لكفاءاتهم والاستفادة منها. وخلاصة القول أنهم، على افتراض نجاتهم من الاستغلال، لن ينجوا من خطر التهميش الذريع، فيتوالى النموّ الاقتصادي فوق رؤوسهم، نوعًا ما، هذا إذا لم يصل إلى حدّ من المجال الضامر الذي تندرج فيه اقتصادياتهم التليدة ويؤمّن لهم رزق يومهم.

٤٩٠٢ – ٣٤ – يبدو أن السوق الحرّة، داخل كل بلد كما في العلاقات الدوليّة، هي الوسيلة الأضمن لتوزيع الثروات وسدّ الحاجات بوجه فعّال، ولكنّ ذلك لا يصح إلاّ في الحاجات الخاضعة «للمتاجرة» إذا توفّرت لها قدرة الشراء، وفي السِلع

«الخاضعة للبيع»، إذا تأمّن لها الثمن العادل. إلاّ أن هناك حاجاتٍ بشريّة كثيرة، لا قبلَ للسوق بتلبيتها. وإنه لمن أثقل واجبات العدل والحق، ألاّ تظلّ ثمة حاجات بشريتة أساسيّة ملجومة، وألاّ يهلك الذين يعانون من هذه الفاقات. ولا بدّ أيضاً لذوي الفاقة هؤلاء من أن يحظوا بما يمكّنهم من تحصيل المعارف، والدخول في شبكة العلاقات المتبادلة وإنماء مؤهلاتهم لتعزيز طاقاتهم وثرواتهم الشخصيّة. فقبل الاهتمام بضرورة المبادلات المتوازنة، وما يجب أن يسودها من وجوه العدل، هناك مقتضًى للإنسان من حيث هو إنسان يتمتّع بكرامة سامية. هذا المقتضى يفترض، في آن واحد، القدرة على الاستمرار في الحياة، والمساهمة الفاعلة في الخير البشري العام...

٤٩٠٣ – ٣٥ – ... مثل هذا المجتمع لا يتنافى والسوق الحرّة، بل يقتضي أن تظلّ هذه السوق خاضعة للقوى الاجتماعيّة وللدولة خضوعًا مناسبًا يكفل سدّ الحاجات الأساسيّة للمجتمع بأسره...

إن الجهود البنّاءة المبذولة في هذا المضمار، تنوء اليوم بمعضلة الدَّيْن الخارجي الذي تعاني منه البلاد الفقيرة والذي لا يزال، حتى اليوم، في معظمه، دون حلّ. المبدأ القائل بوجوب تسديد الديون، مبدأ صحيح، دون شك. ولكن لا يجوز أن نطالب بتسديد دين، إذا نجم عن ذلك، في الواقع، فرض خيارات سياسيّة من شأنها أن تدفع شعوبًا برمّتها إلى الجوع واليأس. ولا يسوغ، بالتالي، أن ندَّعي المطالبة بوفاء ديون معقودة، إذا اقتضى ذلك ثمن تضحيات باهظة. في هذه الأحوال، لا بدّ من أن نجد طرقًا أخرى – وهذا ما يجري اليوم جزئيًا – للتخفيف من الدين أو لتأجيله، أو حتى لطيّه نهائيًا، فيأتي ذلك على انسجام مع حقّ الشعوب في البقاء والتقدّم.

٤٩٠٤ – ٣٦ – ... إن التطلع إلى حياة أرضى وأثرى مطلبٌ مشروع في ذاته، ولكن لا بدّ من أن نلفت النظر إلى المسؤوليات الجديدة والأخطار المرتبطة بهذه المرحلة من التاريخ. ففي الطريقة التي تنشأ فيها الحاجات الجديدة ويتمُّ تحديدها، تتدخل دائمًا نظرةٌ إلى الإنسان وإلى منفعته الحقّة، قد تكون على كثير أو قليل من الصِحّة. فمن

خلال الخيارات التي تتناول الانتاج والاستهلاك، تتجلّى ثقافة مُعَيّنة وتصوّر شامل للحياة. من هنا تبرز ظاهرة الاستهلاك. فعندما تتحدّد حاجات جديدة ووسائل جديدة لتلبيتها، لا بدَّ من أن نستوحي صورة للإنسان كاملة تراعي جميع مقوّمات كيانه وتخضع النواحي الطبيعيّة والغريزيّة للأبعاد الباطنة والروحيّة. وأمّا إذا رجعنا توًّا إلى غرائزه، وصرفنا النظر، بطريقة أو باخرى، عمّا يميّز كيانه الشخصي من وعي وحرّية، فقد يجرُّ ذلك إلى عاداتٍ في الاستهلاك وأنماط حياة محرّمة في ذاتها أو مؤذية للصحة الجسديّة لتلبية الحاجات البشريّة، والحاجات الجديدة الطارئة التي تحول دون بلوغ الشخصيّة طور نضجها. فثمّة إذن ضرورة مُلِحَّة لعمل تربوي وثقافي واسع النطاق يؤهل المستهلكين لأن يستعملوا قدرتهم على الاختيار استعمالاً واعيًا، والمنتجين لأن يعوا مسؤولياتهم وعيًا ثاقبًا، ولا سيّما أصحاب الإعلام والاتصال الاجتماعي، والممسكين بزمام السلطات المدنيّة ليتدخلّوا عند اقتضاء الأمر...

ليس من العيب أن نرغب في حياة أفضل، وإنما العيب في نمط حياة يُحسب أفضل إذا ابتغى الإنسان القنية وأهمل القيمة، وإذا رام الاستزادة، لا ليُنمي كيانه بل لينفق الوجود في سبيل التنعمّ للتنعّم. لا بدّ إذن من أن ندأب في صوغ نمط حياة يتوخّى الحق والجمال والصلاح والتعاون مع الغير في سبيل نموّ شامل.

٤٩٠٥ – ٣٧ – إلى جانب مشكلة الاستهلاك، تبرز مشكلة البيئة المرتبطة بها ارتباطاً وثيقًا، باعثةً ذات القلق في النفس. فالإنسان الذي تسيطر عليه رغبة التملك والتمتع، وتطغى عليه رغبة التكوّن والتطوّر، يستهلك، بطريقة متطرّفة وفوضويّة، ثروات الأرض، بل حياته ذاتها. فالإتلاف الغبيّ للبيئة الطبيعيّة هو نتيجة خطإٍ أنتروبولوجي منتشر في عصرنا، ويا للأسف! وذلك بأن الإنسان، عندما يكتشف ما لديه من قدرة على تحويل العالم، بل على خلقه نوعًا ما، بعمله، يغرب عن باله أن ذلك لا يتحقق إلاّ انطلاقًا من الهبة الأولى والأصلية التي جاد بها الله علينا. يخيّل إليه أنه يستطيع أن يتصرّف بالأرض على هواه، فيسخّرها لإرادته بلا حساب، وكأن الله لم يحدّد لها صورة وهدفًا سابقين يستطيع الإنسان أن يطوّرهما لا أن يتنكّر لهما. وعوض أن يضطلع الانسان بدوره معاونًا لله في عمل الخلق، نراه

يغتصب محلّه تعالى. فيفضي بذلك إلى تفجير ثورة الطبيعة، وقد أمست خاضعة لتحكّمه لا لحكمه.

٤٩٠٦ — ٣٨ – علاوة على ما يجري من إتلاف غبيّ للبيئة الطبيعيّة، لا بدّ من الإشارة هنا إلى إتلاف البيئة البشريّة وهو خطر أدهى لا يعيره الناس ما يستحق من التنبّه. ففيما نرى الناس يهتمّون اليوم بحقٍ – وإن باتوا بعيدين عن الوفاء بالغرض المطلوب – بالمحافظة على المواطن الطبيعيّة لمختلف الأنواع الحيوانيّة المهدّدة بالزوال، وذلك بسبب ما يؤديه كل صنفٍ منها من مساهمة خاصّة في إقامة التوزان العامّ في الأرض، نراهم يلتزمون قليلاً جدًا التقيّد بالشروط الأدبيّة لصيانة «البيئة البشرية» صيانة صحيحة.

٤٩٠٧ — ٤٠ – ... فكما كان على الدولة، في عهد الرأسماليّة الغابرة، أن تحمي الحقوق الأساسيّة للعمل، عليها الآن أيضاً، مع قيام الرأسماليّة الجديدة، وبالتعاون مع المجتمع، أن تحمي الاملاك العامّة التي تكوّن، إلى جانب مقوّمات أخرى، الإطار الذي يستطيع فيه كل إنسان أن يحقّق، بطريقة مشروعة، أهدافه الشخصيّة.

وإننا لنقع على حدّ آخر من حدود السوق: ثمة حاجات عامّة ونوعيّة، لا يمكن تلبيتها بالركون إلى آلية السوق. ثمة لوازم بشريّة هامّة تعصى على منطق السوق. ثمة خيور لا يمكن بل لا يجوز، بسبب طبيعتها، أن تخضع للبيع والشراء. آليّة السوق لها، ولا شك، فوائد متينة. فهي تساعد في استثمار الثروات، وتعزّز تبادل المنتجات، وتحرص خصوصاً على احترام إرادة الفرد وخياراته في التعامل مع أشخاص آخرين. إلاّ أنّها تعرّض لخطر «صنميّة» السوق التي تتجاهل وجود خيور أخرى تأبى، من طبيعتها، أن تكون مجرّد سلع.

٤٩٠٨ — ٤١ – ... في المجتمع الغربي، تمّ التغلّب على الاستغلال، أقلّه في الشكل الذي حلّله ووضعه كارل ماركس. بيد أن حالة «التغريب» لم يتم التغلب عليها في مختلف أشكال الاستغلال، ما دام الناس يستغنمون بعضهم بعضاً ويمعنون في إشباع حاجاتهم الخاصة والثانوية اشباعًا مترفًا، فيصمّون الاذان عن حاجاتهم الأساسية الحقة التي يجب ان تحتم أيضاً طرق الاستجابة للمتطلبات الأخرى. لا

يستطيع الإنسان أن يكون حرًّا ما دام يحصر همّه في القنية والمتعة، إلى حدّ العجز عن السيطرة على غرائزه وأهوائه وتوحيدها ولجمها بطاعة الحق. الطاعة لحقيقة الله والإنسان هي الشرط الأول للحريّة، وهي التي تمكّن الإنسان من تنسيق حاجاته ورغباته وطرق تلبيتها في تراتبيّة صحيحة، فتصبح الملكيّة طريقًا إلى النموّ.

٤٩٠٩ - ٤٢ - وبالعودة الآن إلى ما بدأنا به، هل يمكننا القول بأن الرأسمالية، بعد فشل الشيوعية، هي النظام الاجتماعي الراجح، وأنها القطب الذي يجذب إليه جهود البلدان الساعية إلى ترميم اقتصادها ومجتمعها؟ هل هي النموذج الذي يجب أن نطرحه على بلدان العالم الثالث في التماسها طريق النموّ الصحيح لاقتصادها ومجتمعها المدني؟

الجواب معقّد، بلا ريب. فإذا عنينا «بالرأسماليّة» نهجًا اقتصاديًا يعترف بالدور الأساسي والإيجابي للمؤسسة والسوق والملكيّة الخاصة وما تفترضه من تحمل مسؤولية وسائل الانتاج، وللإبداعيّة الانسانيّة الحرّة في النطاق الاقتصادي، فالجواب إيجابيّ بلا مراء، وإن كان من الأصحّ التكلم عن «الاقتصاد المؤسّسي» أو عن «اقتصاد السوق» أو، ببساطة عن «الاقتصاد الحرّ». ولكن إذا عنينا بالرأسمالية نظامًا حيث الحريّة في المجال الاقتصادي لا تسيّجها قرائن قانونية تجعلها في خدمة الحريّة البشريّة الكاملة، وتعتبرها مقوّمًا خاصاً من مقوّمات هذه الحريّة المتمحورة حول الأخلاق والدين، فالجواب إذن سلبيّ واضح...

الدولة والثقافة

٤٩١٠ - ٤٦ - الكنيسة تقدّر النظام الديمقراطي نهجًا يكفل للمواطنين المشاركة في الخيارات السياسيّة، ويضمن للمواطنين القدرة على انتخاب ساستهم ومراقبتهم أو استبدالهم بطريقة سلميّة إذا استُنسب الأمر. ولكن الكنيسة لا تستطيع أن توافق على قيام زمرٍ صغيرة حاكمة تغتصب السلطة من الدولة لحساب مصالحها الخاصة أو لمآرب إيديولوجية.

لا يمكن أن تقوم ديمقراطية صحيحة إلاّ ضمن دولة شرعيّة وعلى أساس تصوّر سليم للشخص البشريّ، ويقتضي ذلك توفّر شروط ضروريّة لترقية الأشخاص

بالتربية والتنشئة على هدف مثاليّ حقّ، كما يستلزم ازدهار «شخصيّة» المجتمع، بخلق بُنى «تمكّن من المشاركة والتضامن في المسؤولية» ونجد اليوم نزعة إلى القول بأن اللاإداريّة والنسبيّة الريبيّة هما الفلسفة والعقيدة الأساسيّة الرائجتان في الأنظمة الديمقراطيّة، وأن الذين يوقنون معرفة الحقيقة ويتمسّكون بها تمسّكًا متينًا، ليسوا أهلاً للثقة، في نظر الديمقراطيّة، لا لشيء إلاّ لأنهم يأبون للحقيقة أن تحدّدها الأكثريّة أو أن تتبدّل وفقًا لمختلف التوازنات السياسيّة. في هذا السياق، لا بدّ من ملاحظة: إذا لم توجَد ثمة أي حقيقة قصوى ترشد العمل السياسي وتوجّهه، يغدو من السهل على السلطة أن تستغلّ الأفكار والمعتقدات لمصلحتها. ديمقراطية بلا قيم تستحيل بسهولة إلى توتالية سافرة أو ماكرة، على حدّ ما يتبيّن من مجرى التاريخ.

ولا يخفى على الكنيسة الخطر الناجم عن التعصب أو عن الأصوليّة عند قوم يتوهمون أنفسهم قادرين، باسم إيديولوجية علميّة أو دينية مزعومة، أن يفرضوا على الآخرين تصوّرهم للحق والخير. الحقيقة المسيحيّة ليست من هذا القبيل. ولأن الإيمان المسيحيّ ليس ضربًا من ضروب الإيديولوجيّة فهو لا يسعى البتّة إلى أن يحصر في قالبٍ جامد الواقع الاجتماعي والسياسيّ المتقلّب، بل يرضى بأن تتحقق حياة الإنسان في التاريخ بطرق متنوّعة وناقصة. ولكنّ الكنيسة تُصِرُّ على التنويه دائمًا بكرامة الشخص السامية وتتبنّى احترام الحريّة قاعدةً لعملها.

ولكنّ الحريّة لا تبلغ شأوها إلاّ باحتضانها الحقيقة. في عالم بلا حقيقة، لا تقوم للحريّة قائمة، ويمسي الإنسان عرضةً لسطو الأهواء، ورهنًا لظروف ظاهرة أو خفيّة. المسيحيّ يعيش الحريّة (يو ٨: ٣١ – ٣٢)، ويجنّد لها ذاته، وانطلاقًا من طبيعة دعوته الرساليّة، يعرض على الناس، بلا مللٍ، الحقيقة التي اكتشفها. وفي الحوار مع الغير، يظلُّ متنبهًا لكل شذرة حقيقة يلقاها لدى الأفراد والشعوب، في خبرة حياتهم وثقافتهم، من غير أن يُقلع عن المجاهرة بكل ما تلقّنه من إيمانه وسليم تفكيره.

٤٩١١ – ٤٧ – بعد انهيار التوتاليّة الشيوعيّة وأنظمة توتالية أخرى كثيرة، وما يسمّونه بأنظمة «الأمن الدولي» نشهد الآن، مع ما هنالك من منازعات، فوز النموذج الديمقراطي في العالم، يواكبه اهتمام كبير وعناية متيقظة بحقوق الإنسان. ولكن لكي نسير في هذا الاتجاه، لا بدّ للشعوب الآخذة بتجديد دساتيرها من أن تقيم

الديمقراطية على أساس صحيح ومتين مبنيّ على الاعتراف الصريح بهذه الحقوق. من أهم هذه الحقوق، لا بدّ من التذكير بالحق في الحياة، ومن ضمنه حق النموّ في أحشاء الأمّ بعد الحبل. ثم حق العيش في أسرة مترابطة وفي مناخ أدبيّ مؤاتٍ لنموّ الشخصيّة؛ والحق في إنماء الذهن والحريّة بممارسة البحث ومعرفة الحقيقة؛ وحق المشاركة في العمل على تثمير خيور الأرض واتخاذها بابًا لرزق الفرد وعياله؛ والحق في تأسيس أسرةٍ بطريقة حرّة مع إنجاب بنين وتربيتهم وممارسة الجنس بطريقة مسؤولة. هذه الحقوق تنبع وتتلخّص، نوعًا ما، في الحريّة الدينيّة بمعنى أنها حق الإنسان في أن يعيش ضمن حقيقة إيمانه ووفقًا لكرامته الشخصيّة السامية.

٤٩١٢ – ٤٨ – ... لقد لوحظ، حديثًا، توسّع خطير في دائرة هذه التدخّلات أدّى، نوعًا ما، إلى قيام دولة بطابع جديد، هي «دولة الرخاء». هذه التطوّرات تمّت، في بعض البلدان، تلبيةً، بطريقة أفضل، لحاجات كثيرة، ومداوةً لأشكال من الفقر والحرمان لا تليق بالإنسان. ولكنّ هناك تجاوزات وتطرفات كثيرة، وبخاصّة في غضون هذه السنين الأخيرة، أثارت اعتراضات قاسية على «دولة الرخاء» وقد دُعِيَت «دولة النجدة». «دولة النجدة» هذه، علاّتها وشوائبها ناجمة عن تصوّر منحرف لواجبات الدولة. في هذا الإطار، ينبغي ان يُحترَمَ أيضاً مبدأ «التدارك»: فإنه لا يسوغ لمجتمع أرقى أن يتدخل في الشؤون الداخليّة لمجتمع أدنى، وتجريده من صلاحياته، بل عليه أن يدعمه، عند الاقتضاء، ويساعده في التنسيق بين نشاطه ونشاط العناصر الأخرى التي يتألف منها المجتمع، تحقيقًا للخير العام.

٤٩١٣ – ٤٩ – ... لكي نتخطّى الذهنية الفرديّة الشائعة في أيامنا، لا بدّ من التزام واقعيّ بالتضامن والمحبة، يبدأ ضمن الأسرة بالتعاضد بين الزوجين، ثم بتكافل الأجيال بعضها لبعض، فتبرز الأسرة جماعةً مبنيّة على العمل والتضامن. ولكن قد يتفق للأسرة أحيانًا، إذا أزمعت الوفاء لدعوتها وفاءً تامًّا، ألاّ تجد لدى الدولة ما تحتاجه من دعم ضروري وإمدادات كافية. من الملحّ إذن أن تعمد الدولة ليس فقط إلى تعزيز شؤون الأسرة بل إلى تنمية الشؤون الاجتماعيّة الهادفة إلى دعم الأسرة نفسها أوّلاً، فتوفّر لها الإمدادات المناسبة وأساليب النجدة الفعّالة، سواء على صعيد تربية الأولاد أم على صعيد العناية بالمسنّين، فلا يضطرُّ هؤلاء إلى الانفصال عن نواتهم العيليّة بل تتوثّق الوشائج بين الأجيال.

في ما عدا الأسرة، هناك فئات اجتماعية وسيطة تقوم بمهامّ أوّليّة، وتفعّل شبكات تضامن نوعيّة. هذه الفئات نجد لها من النضج ما يميّز الجماعات الإنسانيّة الحقّة، ويمكّنها من التغلغل في النسيج المجتمعي، فتحرزه من الوقوع في اللاشخصيّة واللاإسمية الجماهيريّة وهما من الآفات المؤسفة الشائعة في مجتمعنا المعاصر. فالشخص لا يعيش، والمجتمع لا تترعرع «شخصيّتُهُ» إلا ضمن شبكة من العلائق المتعدّدة. ولكن الواقع أن الفرد نراه اليوم، في كثير من الأحوال، مضغوطاً بين قطبين: الدولة والسوق، فيبدو أحيانًا أنه لا يعيش إلاّ ليكون منتجًا أو مستهلكًا أو مأمور دولة؛ ويغيب عن الذهن أن العيش المشترك ليست الدولة غايته ولا السوق، بل يتمتّع في ذاته بقيمة فريدة، على الدولة وعلى السوق أن يتجنّدا لخدمتها. فالإنسان هو، قبل أي شيء آخر، كائن يبحث عن الحق ويسعى إلى أن يعيش بمقتضاه، ويتمعّنه في حوارٍ دائم تلتزم به الأجيال السابقة واللاحقة.

٤٩١٤ – ٥٢ – ... قد عَمَدْتُ أنا نفسي بمناسبة الحرب التي نُكب بها الخليج حديثًا إلى تكرار النداء: «لن تكون حرب من بعد!» لا، لن تكون حرب من بعد، تدمّر حياة الأبرياء وتلقِّن فنّ القتل، وتزلزل أيضاً حياة السفّاحين، وتخلّف وراءها ذيولاً من الأحقاد والضغائن تصعّب الحلّ العادل للمعضلات التي تسبّبت في اندلاعها. فكما حان الوقت أخيرًا، داخل البلاد، لتحلَّ سلطة القانون محل الاثّارات والاقتصاصات الفرديّة، لا بدّ أيضاً من أن يتحقق مثل هذا التقدّم في الأسرة الدولية. ولا يمكن أن ننسى، من جهة أخرى، أن للحرب إجمالاً جذورًا وأسبابًا حقيقيّة وخطيرة: منها المظالم الواقعة على الناس، والتطلعات المشروعة المسدودة في وجوههم، والبؤس واستغلال الجماهير البشريّة اليائسة من كل أملٍ واقعي بتحسين أوضاعهم الحياتية بالوسائل السلمية.

٤٩٢٠ – ٤٩٢٤ – وثيقة مجمع عقيدة الإيمان "Communionis notio"، ٢٨ أيّار ١٩٩٢

١ – الكنيسة سر اتحاد

٤٩٢٠ – ٣ – ... حتى يمكن استخدام مفهوم «الاتحاد» الذي هو غير متواطئ، كمفتاح لتفسير يتعلق بما هو كنسي، يجب أن يفهم داخل التعليم الكتابي والتقليد

الأبوي، وفيها يتضمن الاتحاد دومًا بعدين: عموديًا (اتحاد بالله) وأفقيًا (اتحاد بالبشر). فمن الضروري إذن، لتكوين نظرة مسيحية إلى الاتحاد، الاعتراف به قبل كل شيء كعطية من الله، وثمرة لمبادرة إلهية تمت في السر الفصحي. فالعلاقة الجديدة بين الإنسان والله، التي أنشئت في المسيح، ومنحت في الأسرار، تمتد أيضاً بعلاقة جديدة بين الناس...

٢ – الكنيسة الجامعة والكنائس الخاصة

٤٩٢١ – ٨ – لذلك، فالكنيسة الجامعة هي جسد الكنائس. وبالتالي يمكن أيضاً تطبيق مفهوم الاتحاد، بطريقة قياسية، على الاتحاد بين الكنائس الخاصة، وفهم الكنيسة الجامعة هكذا كأنها كنائس. ولكن تعرض أحيانًا فكرة «اتحاد الكنائس الخاصة» بطريقة تضعف مفهوم وحدة الكنيسة في بعدها المنظور وكمؤسسة. ويصل الأمر إلى حد القول إن كل كنيسة خاصة هي موضوع كامل في ذاته، وإن الكنيسة الجامعة هي نتيجة الاعتراف المتبادل بين الكنائس المحلية. هذا الانحياز إلى جهة واحدة في المعنى الكنسي، الذي يضعف لا مفهوم الكنيسة الجامعة وحده، بل أيضاً مفهوم الكنيسة الخاصة، يظهر إدراكًا غير كاف لمفهوم الاتحاد.

٤٩٢٢ – ٩ – ... لهذا السبب «لا يمكن فهم الكنيسة الجامعة لا كمجموعة الكنائس الخاصة، ولا كاتحاد كنائس خاصة». ليست هي نتيجة الاتحاد، ولكنها، في سر جوهرها، حقيقة سابقة وجوديًا وزمنيًا لكل كنيسة خاصة بمفردها. فالكنيسة السر، الكنيسة الواحدة والوحيدة تسبق الخلق وجوديًا بحسب الآباء، وتلد الكنائس الخاصة كبنات لها. وهي تعبر عن ذاتها بها، إنها أم لا نتيجة للكنائس الخاصة.

لقد أظهرت جامعيتها منذ البدء وولدت الكنائس المحلية المتنوعة، كتحقيقات خاصة لكنيسة يسوع المسيح الواحدة والوحيدة. وهذه الكنائس المولودة في الكنيسة ومنها، لها صفتها الكنسية منها وفيها. وبالتالي فصيغة المجمع الفاتيكاني الثاني: «الكنيسة في الكنائس وبها» لا يمكن فصلها من الصيغة الأخرى «الكنائس في الكنيسة وانطلاقًا منها».

اتحاد الكنائس، الافخارستيا والأسقفية

٤٩٢٣ - ١١ - ... إن إعادة اكتشاف نظرة كنسية افخارستية لها قيمتها التي لا تنكر، كان لها أحيانًا تعبير أبرز من وجهة واحدة مبدأ الكنيسة المحلية. وقيل إنه حيث يحتفل بالافخارستيا يحضر سر الكنيسة بكليته، بحيث يجب النظر إلى كل مبدإ آخر للوحدة وللجامعية كأنه غير جوهري. وتسعى مفاهيم أخرى، بتأثير نظرات لاهوتية متنوعة، إلى البلوغ بهذه الرؤية الخاصة بالكنيسة إلى حدها الأقصى أيضاً، فتقول إنه لذات الشيء الاجتماع باسم يسوع (ر. مت ١٨ : ٢٠) وخلق الكنيسة... فوحدانية الرب الافخارستي وعدم تجزئته يتضمنان وحدانية الجسد السري الذي هو الكنيسة الواحدة غير القابلة للتجزئة.

٤٩٢٤ - ١٣ - إن الأسقف هو المبدأ والأساس المنظور لوحدة الكنيسة الخاصة الموكلة إلى خدمته الرعائية. ولكن لكي تكون كل كنيسة خاصة كنيسة تمامًا، أي حضورًا خاصاً للكنيسة الجامعة مع كل عناصرها الجوهرية، ومكونة بالتالي على صورة الكنيسة الجامعة، يجب أن تكون حاضرة فيها، كعنصر خاص، السلطة العظمى للكنيسة، أي الهيئة الأسقفية «مع الحبر الروماني رئيسها، وليس أبدًا بمعزل عن هذا الرئيس» إن أولية أسقف روما والهيئة الأسقفية هما عنصران خاصان بالكنيسة الجامعة: «وليسا متفرعين من خصوصية الكنائس».

وإن كانا في داخل كل كنيسة خاصة...

القسم الرابع

يسوع المسيح المبشّر الحيّ في الكنيسة

٤٩٣٠ – ٤٩٤٢ – الوثيقة النهائية لمؤتمر أساقفة أميركا اللاتينيّة في سان دومينغو "Convocados por"، من ١٢ إلى ١٨ تشرين الأوّل ١٩٩٢

١ – التبشير الجديد

٤٩٣٠ – ٢٦ – غاية التبشير الجديد تنشئة أناس وجماعات ناضجين في الإيمان، وتلبية الحالة الجديدة التي نعيشها، والتي سببتها التحولات الاجتماعية والثقافية العصرية. ويجب الاعتداد بالتمدن، والفقر، والإقصاء. وظرفنا موسوم بالمادية، وثقافة الموت، واجتياح البدع، وبكل أنواع المقولات الدينية من مصادر متنوعة.

٤٩٣١ – ٣٠ – ... يجب أن ينثقف التبشير الجديد أكثر في طريقة وجود وحياة ثقافاتنا، آخذا بالحسبان خصائص الثقافات المختلفة، ولا سيّما التي للسكان الأصليين والأفريقيين الأميركيين (أصبح من الملحّ تعلم الكلام بحسب ذهنية وثقافة المستمعين، بالاتفاق مع أشكال التواصل والوسائل التي يستعملونها). وهكذا يكون التبشير الجديد في استمرارية مع خط تجسد الكلمة. ويقتضي التبشير الجديد تحول الكنيسة الرعائي، وعلى هذا التحول أن يكون متلائمًا والمجمع، إنه ينال كل شيء وينال الجميع: في ضمير وعمل شخصي وجماعي، في علاقات المساواة والسلطة، في هيكليات ونشاطات تجعل الكنيسة حاضرة كعلامة فاعلة وسر خلاص شامل، مع مزيد من الوضوح دائمًا...

٢ – تعزيز الإنسان

٤٩٣٢ – ١٧٨ – التبشير يعني فعل ما فعله يسوع المسيح عندما شرح، في المجمع، أنه أتى لكي «يبشر» الفقراء (ر. لو ٤ :١٨ – ١٩) هو «الغني قد افتقر من أجل أن نستغني بفقره» (٢ كو ٨ : ٩). إنه يهيب بنا إلى إبداء شهادة أصيلة لفقر إنجيلي في طريقة عيشنا وفي هيكلياتنا الكنسية، كما فعل هو. هذا هو الأساس الذي يلزمنا بإيثار إنجيلي وتفضيلي للفقراء، إيثار راسخ لا رجوع عنه، ولكنه غير مقتصر ولا يميل إلى الإقصاء.

٣ – الثقافة المسيحية

٤٩٣٣ – ٢٢٩ – ... إن هذا التبشير للثقافة، حتى في مركزها النشيط، يترجم في الجهد الانثقافي الذي سماه يوحنا بولس الثاني «مركز التبشير الجديد» ووسيلته وهدفه. إن القيم الثقافية الأصيلة المميزة والمتخذة في الإيمان، هي ضرورية لتجسيد الرسالة الإنجيلية وتفكير الكنيسة وممارستها في تلك الثقافة عينها.

٤٩٣٤ – ٢٣٠ – ... يجب أن ينثقف الإنجيل في ضوء أسرار الخلاص الثلاثة الكبرى: الميلاد الذي يظهر طريق التجسد ويحث المبشِّر على أن يشرك المبشَّر في حياته. الفصح الذي يقود، عبر الألم إلى التطهر من الخطايا حتى تفتدى. والعنصرة التي تنيل الجميع، بقوة الروح، أن يسمعوا في لغتهم الخاصة عظائم الله. انثقاف الإنجيل مسار يفترض الاعتراف بالقيم الإنجيلية التي حفظت سالمة بدرجات متفاوتة في ثقافتنا الراهنة، والاعتراف أيضاً بالقيم الجديدة المتطابقة مع رسالة المسيح. وبالانثقاف يقاد المجتمع إلى اكتشاف الخاصة المسيحية لهذه القيم، وتثمينها وحفظها كما هي. وبه أيضاً يسعى إلى إعادة تجسيد القيم الإنجيلية الغائبة عن تلك الثقافة، إما لأن الظلمة غشيتها، وإما لأنها انتهت إلى الاضمحلال...

٤٩٣٥ – ٢٤٣ – ... يكون دومًا هدف التبشير المنثقف الخلاص والتحرير الكامل لشعب أو لفئة إنسانية معينة: وهكذا تدعم هذه هويتها الخاصة، وتكون لها ثقة بمستقبلها المتميز، مقاومة سلطان الموت، ومندرجة في منظور تجسد يسوع المسيح

الذي خلص الإنسان انطلاقًا من ضعفه وفقره وصليبه الفادي. إن الكنيسة تدافع عن القيم الثقافية الاصيلة لجميع الشعوب، ولا سيّما من هم بلا دفاع، ومظلومون ومقصون، مقاومة هيكليات الخطيئة الساحقة، التي تظهر في المجتمع العصري.

٤٩٣٦ - ٢٤٤ - تكوّن أميركا اللاتينية والكارايبب قارة متعددة الأجناس ومتعددة الثقافات. وفيها يسير جنبًا إلى جنب، على العموم، سكان أصليون، وأفريقيون أميركانيون، وخلاسيون، ومتحدرون من أوربيين وآسيويين. ولكل جماعة بشرية ثقافتها الخاصة التي توليها هوية اجتماعية، تتلاءم ونظرتها إلى العالم. ولكن الجميع يبحثون عن وحدة انطلاق من هويتهم الكاثوليكية.

٤٩٣٧ - ٢٤٥ - ... لقد عملت الكنيسة، منذ بدء لقائها شعوب هذه البلدان، على مرافقتها في كفاحها لأجل البقاء، بتعليمها طريق المسيح المخلص، انطلاقًا من حالة الظلم التي كانت فيها كشعوب مغلوبة ومحتاجة ومعاملة كعبيد. وفي زمن التبشير الأول، كان هناك بجانب آلام جسيمة، نجاحات كبيرة، وحدس رعائي ذو قيمة كبيرة ما زالت ثماره قائمة حتى اليوم.

٤٩٣٨ - ٣٤٦ - إن الثقافات الأفريقية الأميركية الموجودة في اميركا اللاتينية والكارايبب متسمة بمقاومة مستمرة للعبودية. وهذه الشعوب التي تعد ملايين الأشخاص لها أيضاً في ثقافاتها قيم إنسانية تبين حضور الله الخالق. صحيح أنه في مجرى القرون الأربعة نقل بضعة ملايين من الزنوج الأفريقيين كعبيد، بعد أن انتزعوا بالعنف من أرضهم، وفصلوا عن أسرهم، وبيعوا كبضاعة. لقد كانت عبودية الزنوج ومذابح الهنود أكبر مآثم التوسع الاستعماري الغربي. وبعض المعمدين، يا للأسف، لم يكونوا غريبين عن إقامة العبودية والعنصرية والتمييز.

٤٩٣٩ - ٢٤٨ - ... تقديم إنجيل يسوع مع شهادة موقف متواضع، متفهم، نبوي، وإيلاء قيمة لكلامهم في حوار يتصف بالاحترام، صريح، أخوي، مع بذل جهدنا لمعرفة لغاتهم. - تنمية معرفة نقدية لثقافاتهم حتى يتسنى تقويمها في ضوء الإنجيل - العمل على انثقاف الليترجيا، بتقبل وتثمين رموزهم، وطقوسهم، وتعابيرهم الدينية المتلائمة مع معنى الإيمان الحقيقي، مع التنبه للحفاظ على الرموز

العامة، بالاتفاق مع قانون الكنيسة العام. – مرافقة تفكيرهم اللاهوتي مع احترام صياغات ثقافية تمكنهم من أن يقدموا حجة عن إيمانهم ورجائهم. – معرفة نظراتهم للعالم معرفة أفضل، فهي تجعل من المفهوم الشامل لله والإنسان والعالم وحدة تشرب كل العلاقات الإنسانية والروحية والمتعالية – تعزيز القيم الخاصة بشعوب السكان الأصليين بانثقاف الكنيسة، لتحقيق أكمل للملكوت.

٤٩٤٠ – ٢٩٤ – تريد الكنيسة الواعية مشكلة الإقصاء والعنصرية التي ينوء بها الشعب الزنجي، أن تشاركه بفعل رسالتها التبشيرية، في آلامه، وترافقه في تطلعاته المشروعة إلى حياة أكثر عدالة وكرامة للجميع.

– فالكنيسة في اميركا اللاتينية والكاراييب تريد أن تساند الشعوب الأفريقية الأمريكية في الدفاع عن هويتها في سبيل الاعتراف بقيمتها الخاصة. وتريد أيضاً أن تساعدها في المحافظة على أعرافها وعاداتها المتلائمة والعقيدة المسيحية – كذلك نتعهد بإيلاء قضية الجماعات الأفريقية الأميركية انتباها خاصاً، في المجال الرعائي، بتعزيز إظهار تعابير دينية خاصة بثقافتها.

٤٩٤١ – ٢٥٠ – إنماء ووعي الاختلاط، لا العنصري فقط بل الثقافي، الذي هو خاصة الأغلبية العظمى لكثير من شعوبنا، لأن هذه الحقيقة هي مريبطة ارتباطاً وثيقًا بالانثقاف الإنجيلي.

٤٩٤٢ – ٢٥١ – في سبيل تعزيز إنساني أصيل، ولكي يكون لتلك الشعوب ضمان عيشة تتلاءم وهويتها، ولغتها، والعوائد الموروثة عن آبائها، وقيام علاقات مساواة تامة مع شعوب الأرض الأخرى، تريد الكنيسة أن تساند جهودها لكي تعترف بها، كما هي، القوانين الوطنية والدولية، في ممارسة حقوقها الكاملة في الأرض، وفي مؤسسات وتعابير ثقافية خاصة.

٤٩٥٠ – ٤٩٧٣ – الرسالة العامة "Veritatis splendor"، ٦ آب ١٩٩٣

الفصل الأول: «لا تتشبّهوا بهذا العالم»

تألّق الحقيقة

٤٩٥٠ – ٣٢ – إن بعض التيارات الفكريّة الحديثة تعلي شأن الحريّة إلى حد جعلها قيمة

مطلقة بحد ذاتها، هي مصدر وينبوع كل الصالحات. تسلك هذه المعارج تعاليم فقدت مفهوم المافوقيات أو إنها بالأحرى تنكر الله تمامًا.

ضمائر الأفراد هي، وفق هذه التعاليم، المؤهلة وحدها للقول الفصل في الأخلاق، تحدّد وتقرّر ما هو خير وما هو شر. إلى المبدإ القائل بأن على كل إنسان ان يتبع ضميره، يضاف بغير حقٍ المبدأ القائل بأن ما يصدر عن الضمير الخاص هو القول الفصل في الشأن الأخلاقي. لكن على هذا النحو يستبدل بمبدإ الحقيقة القائمة بذاتها، مبدإ الصدق والأصالة «والاتفاق مع الذات» الأمر الذي يؤدي إلى اعتماد نظرة في الشأن الأخلاقي محض فرديّة.

١) الحريّة والإيمان

٤٩٥١ – ٣٥ – ... تسلك بعض الثقافات المعاصرة طريقًا معاكسًا، إذ تنادي بتعاليم في الأخلاق تنطلق من التناقض بين الحرية والشريعة. تلك هي حال تعاليم تنسب إلى أفراد أو جماعات خاصة صلاحية تحديد ما هو خير وما هو شر: فالحرية البشرية بنظرهم يمكنها ان «تصنع القيم» وتحتل مقامًا أرفع من الحقيقة، كما لو ان الحقيقة كانت وليدة الحرية، التي تدعي لذاتها من الاستقلالية في الحقل الأخلاقي ما يعني تمتعها بالسلطان المطلق.

٤٩٥٢ – ٣٧ – إن بعض علماء اللاهوت الأخلاقي، رغبة منهم في وضع مفهوم الحياة الأخلاقية في إطار مسيحي رفيع، يميزون، خلافًا للتعليم الكاثوليكي، بين نظام أخلاقي من وضع البشر يختص بهذا العالم ونظام الخلاص الذي لا شأن فيه إلاّ لبعض النيات والمواقف تجاه الله والقريب.

٤٩٥٣ – ٤٠ – إن الشريعة الأخلاقية تنبثق من الله وفيه تجد منبعها، ولأن العقل الطبيعي يتحدر من الحكمة الإلهية فهي في آنٍ معًا شريعة الإنسان ذاته. الشريعة الطبيعية، كما قيل، «إنما هي نور العقل افاضه الله فينا، به نعرف ما يجب ان نعمله وما يجب ان نتجنبه. نور وشريعة اعطاهما الله الإنسان في الخلق». إن الاستقلالية الصحيحة التي ينعم بها العقل في سعيه تبيّن أن للإنسان في ذاته

شريعته الخاصة التي يرضى الله عنها. بيد ان استقلالية العقل لا تعني ان العقل هو الذي يخلق القيم والسنن الأخلاقية. أما إذا كانت هذه الاستقلالية تنكر شراكة العقل عمليًا مع حكمة الخالق والمشترع الإلهي، أوكانت تدعي حريّة خلاّقةً لسننٍ أخلاقية لشتى الظروف التاريخية والمجتمعات والثقافات المختلفة، مثل هذه الاستقلالية تناقض تعليم الكنيسة في حقيقة الإنسان.

٤٩٥٤ – ٤٨ – ... والشخص البشري، بما فيه جسده، يتعهد ذاته بذاته، وفي وحدة النفس والجسد هو مسؤول عن أعماله في الحياة الأخلاقية. ويكتشف في جسده بنور العقل وبسند من الفضيلة، الدلائل المشيرة إلى عطاء الذات، والتعبير عنها والاستعداد لها، وفقًا لقصد الخالق الحكيم. ويكتشف العقل، من خلال كرامة الشخص البشري القائمة بذاتها، القيمة من الوجهة الأخلاقية التي تنطوي عليها بعض الأشياء التي ينتفع بها الإنسان ويُحمل من طبعه عليها.

٤٩٥٥ – ٤٩ – إن التعليم الذي ينقض الشركة القائمة بين الفعل الأخلاقي والمعطيات الجسدية، ينقض ما يرسمه الكتاب المقدس والتقليد. مثل هذا التعلم يكرر بشكل جديد أضاليل قديمة، نبذتها الكنيسة دائمًا لأنها تعتبر الشخص البشري مجرد حرية روحية صورية مجردة.

٤٩٥٦ – ٥٠ – ... الكنيسة تخدم الإنسان برفضها اساءة استعمال الطاقات الجسدية استعمالاً يفقدها معناها الإنساني، وترشده إلى طريق الحب الحقيقي التي فيها وحدها يمكن هذا الحب ان يجد الله الحق.

شريعة الطبيعة إذا فهمناها على هذا النحو لا تترك مجالاً للفصل بين الحرية والطبيعة.

٤٩٥٧ – ٥١ – ... بيد أن الشريعة الطبيعية، بما أنها تعبّر عن كرامة الشخص البشري وتركز أهم حقوقه وواجباته على أساس ثابت، فهي شاملة في أحكامها وتلزم الجميع. هذه الشمولية لا تتنكر لفرادة الأشخاص، ولا لميزة طبيعة كل إنسان الفريدة التي لا بديل لها، بل إنها بالعكس تتناول أفعاله في أصولها التي تشهد لشمولية الخير الحق.

٤٩٥٨ – ٥٢ – ... إن وصايا الشريعة الطبيعية الناهية تلزم العموم، ويتقيد بها الأفراد والجماعات دائمًا وفي كل الأحوال. إنها تتناول موانع تنهى عن بعض الأعمال دائمًا وإلى ما شاء الله، دون استثناء، لأن القيام بمثل هذه الأعمال لا يتفق مع الارادة الصالحة عند الإنسان، ولا مع دعوته للحياة مع الله والعيش المشترك مع القريب.

٤٩٥٩ – لقد علّمت الكنيسة دائمًا أنه لا يجوز أبدًا القيام بأعمال تمنعها الوصايا الواردة في العهد القديم والعهد الجديد بصيغة النهي. فيسوع نفسه، كما أشرنا سابقًا، يؤكد على الالتزام بهذه النواهي: «إن شئت ان تدخل الحياة، إحفظ الوصايا... لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهَد بالزور» (مت ١٩: ١٧ – ١٨).

٤٩٦٠ – ٥٣ – إن ما يُعرف به إنسان عصرنا من حسٍّ مرهف في ما يتعلق بالتاريخ والثقافة يدفع البعض إلى الشك بثبوتية الشريعة الطبيعية ذاتها وثانيًا بقيام «قواعد ثابتة للأخلاق» تلزم جميع الناس الكائنين اليوم وسيكونون غدًا مثل الذين كانوا بالامس.

٢) الضمير والحقيقة

٤٩٦١ – ٥٩ – ... إن الضمير يصوغ هكذا الواجب الأخلاقي في ضوء الشريعة الطبيعية: إنه واجبُ فعلِ ما يعرفه الإنسان، بحكم ضميره، خيرًا محدَّدًا له هنا والآن. وصفة الشريعة والواجب الشمولية لا تُبطَل بل بالأحرى يُعترف بها، عندما يحدّد العقل تطبيقاتها في الحياة اليومية. وحكم الضمير يؤكّد «نهائيًّا» انسجام مسلك معيّن مع الشريعة. إنه يضع القاعدة الأكثر مباشرة لأخلاقية فعلٍ إرادي «بتطبيق الشريعة الموضوعية على حالة معيَّنة».

٤٩٦٢ – ٦١ – ... هكذا، في حكم الضمير الذي يسبق القيام بعمل ما، تظهر العلاقة التي تربط الحرية بالحقيقة. ولهذا السبب يعبر الضمير عن ذاته بإصدار «أحكام» ليست مجرد «آراء» اعتباطية بل إنها تنير الحقيقة في الخير. إن درجة نضج هذه الأحكام وبالتالي نضج الإنسان الذي يبرزها ومسؤوليته لا تقاس بتحرر

الضمير من الحقيقة، في سبيل استقلالية مزعومة في اتخاذ القرارات، بل خلافًا لذلك بالسعي الجادّ لاكتشاف الحقيقة وبتسليم الذات لقيادة الضمير في الفعل.

٤٩٦٣ – ٤٦ – ... إن الكنيسة في إعلانها بسلطتها الخاصة حكمها في الشؤون الأخلاقية لا تعطل حرية ضمير المؤمنين، ليس فقط لأن الحرية ليست أبدًا التحرر من الحقيقة إنما هي دائمًا في الحقيقة وحدها بل أيضاً لأن السلطة لا تعرض على الضمير المسيحي حقائق غريبة عنه، بل توضح له حقائق من المفروض أن يكون حاصلاً عليها، يجنيها ثمرة من فعل الإيمان الأول.

٣) الخيار الأساسي ومناهج السلوك المحدّدة

٤٩٦٤ – ٦٥ – ... يؤدي الأمر هكذا إلى التمييز بين الخيار الأساسي والخيارات المتخذة للقيام بأفعال محددة، تمييزًا يرتدي عند الكثيرين من هؤلاء المفكرين طابع الانفصام أي إنهم يعتبرون أن لا معنى للخير والشر إلا على المستوى الرفيع للخيارات الأساسيّة، اما الخيارات التي تتناول شؤون الحياة الخاصة، في علاقة الإنسان مع ذاته أو مع غيره من الناس والأشياء العامة، فتعتبر «صائبة» أو «خاطئة». وهكذا يرتسم انفصام في صميم الفعل البشري بين درجتين في الأخلاقية: هنا نظام خير وشرّ منوط بالإرادة، وهناك أعمال محددة تعتبر صالحة أو نفاقية طبق عملية حسابية تقدر ما يتأتى عنها من خير أو شرّ مادي خارج النطاق الأخلاقي، بحيث إن القيام بفعل ما صادر عن خيار حرّ، أصبح يعتبر مجرد تحرك طبيعي لا تجري عليه الشريعة التي تحكم العمل البشري. فينتج من ذلك ان نسبة الصفة الأخلاقية للإنسان تحفظ للخيارات الأساسية، وتنزع كليًا أو جزئيًا عن اختيار الأفعال والتصرفات الخاصة.

٤٩٦٥ – ٦٧ – هذه الآراء تخالف إذن تعليم الكتاب المقدس الذي يعتبر الخيار الأساسي خيارًا يأخذه الإنسان بملء حريته ويطبقه على الأفعال الخاصة.

الخطيئة المميتة والعرضية

٤٩٦٦ – ٦٩ – إن الآراء في الخيار الأساسي التي سبق الكلام عنها دفعت عددًا من

معلمي اللاهوت إلى ان يطرحوا على بساط البحث التمييز المعروف تقليدًا بين الخطايا المميتة والخطايا العرضية. فهم يذهبون إلى القول بأن مخالفة الشريعة الإلهية التي تؤدي بالإنسان إلى خسارة «النعمة المبررة» – وهلاكه الأبدي إذا مات في حال هذه الخطيئة – لا تتأتى إلاّ من عمل يلتزم فيه الإنسان كله، أي صادر عن الخيار الأساسي.

٤٩٦٧ – ٧٠ – ... وهكذا فإن الفصل بين الخيار الأساسي والخيارات المعتمدة في تصرفات معينة التي هي من طبعها أو بسبب الظروف، سيئة ولا تثير حول مثل هذا الخيار جدلاً، ينطوي على امتهان للتعليم الكاثوليكي في الخطيئة المميتة. «إننا مع تعليم الكنيسة التقليدي كلها نعتبر خطيئة مميتة كل فعل به ينبذ الإنسان، حرًّا واعيًا، الله وشريعته وعهد الحب الذي يعرضه الله عليه مؤثرًا الانطواء على ذاته والتحول نحو ما يعاكس إرادة الله (التحول نحو الخليقة).

٤٩٦٨ – ٧٤ – لكن ممّا يقتبس عمل الإنسان الحرّ الصفة الأخلاقية؟ ما الذي يؤمّن توجيه هذه الأعمال البشريّة إلى الله؟ تُرى نيَّةُ مَنْ يعملها، ام ظروف عمله، وبالأخص نتائجها، ام موضوع العمل ذاته؟

٤٩٦٩ – ٧٥ – بيد أن السعي لتمرير أخلاقية كهذه تستند إلى العقل – وهي تعرف أحيانًا بالأخلاقية المستقلة – هو مشوب بأخطاء في الحلول تتأتى بنوع خاص من غباء في فهم موضوع الفعل الأخلاقي. فإن البعض منهم لا يأخذون كفاية بعين الاعتبار إلتزام الإرادة بخيارات تبدر عنها، هي كشرط به تختبر استقامتها من الوجهة الأخلاقية وسعيها إلى غاية الإنسان الأخيرة. بينما لغيرهم نظرة في الحرية تغفل بعض شروط العمل بها، أي صدق الالتزام بالخير الحق واتخاذ القرار استنادًا إلى الواقع.

٤٩٧٠ – ٧٨ – إن الفعل البشري، يقتبس الطابع الأخلاقي قبل كل شيء وأساسًا من موضوع (objet) الفعل الأخلاق الذي يقصده الإنسان بفعل إرادة حرٍّ واعٍ، كما يتضح من بحث للقديس توما عميق لا يزال صالحًا حتى الآن.

٤٩٧١ – ٧٩ – لا بدّ إذن من نبذ مقولة النظريات الغائيّة (téléologiques) والنسبيّة

(proportionnalistes) التي تعتبر انه لا يمكن اعتبار خيار تصرفات أو أعمال محدّدة شرًّا من الوجهة الأخلاقيّة بالنسبة لنوعها – أي لموضوعها – بقطع النظر عن النيّة التي بها يتم هذا الخيار أو عن مجمل العواقب التي يتوقع ان تتأتى منه على جميع المعنيين به.

إن العنصر الأهم والأساسي للحكم في الفعل البشري من الوجهة الأخلاقية هو الغرض الذي يتحكم في اتجاهه نحو الخير والغاية الأخيرة التي هي الله. هذا الاتجاه يكتشفه العقل في الإنسان، في صميم كيانه، وفي نزعاته الطبيعية وفي دوافعه ومقاصده التي تنطوي دائمًا على بعد روحي: هذه كلها تحويها بالفعل الشريعة الطبيعية. وهي تؤلف مجموعة «الخيور التي من أجل الإنسان» وهي في «خدمة خير الإنسان»، الخير الذي هو الإنسان ذاته وكمال الإنسان.

٤٩٧٢ – ٨٣ – يتبين مما سبق ان قضية أخلاقية الأفعال البشرية، وبخاصة قضية وجود أفعال هي بحد ذاتها شرّ، تطرح نوعًا ما قضية الإنسان ذاتها، قضية حقيقته والنتائج التي تتأتى من ذلك. إن الكنيسة بقولها في تعليمها بوجود شرّ كامن في بعض الأفعال البشرية، إنما تحافظ على أمانتها لحقيقة الإنسان كما هو، وبالتالي تحترمه وترعى كرامته ودعوته. ولذلك كان عليها ان ترفض الآراء المذكورة في ما سبق، المخالفة لهذه الحقيقة.

الفصل الثاني: «لئلا يُبطل صليب المسيح» [١ كو ١:١٧]

٤٩٧٣ – ١١٥ – ... يعرف كل منا قوّة التعليم الذي يشكل أهمّ ما ورد في هذه الرسالة العامة والتي يذكّر بها اليوم خليفة بطرس بسلطانه. كل منا يمكنه أن يتبيّن خطورة هذه القضيّة المُلتَبَسة لا على الأفراد فقط بل على المجتمع بأسره، قضية تأكيد شموليّة وثبوتيّة الوصايا الأخلاقية، ولا سيّما الوصايا التي تنهى دائمًا وبدون استثناء عن الأفعال التي هي شر بحدّ ذاتها.

٤٩٨٠ – ٤٩٨٣ – رسالة رسولية "Ordinatio sacerdotalis"، ٢٢ أيار ١٩٩٤

٤٩٨٠ – ١ – إن الرسامة الكهنوتية التي تنقل بها الوظيفة، التي أوكلها المسيح إلى رسله، لتعليم المؤمنين وتقديسهم وسياستهم، كانت دومًا، في الكنيسة الكاثوليكية منذ البدء، محفوظة حصرًا لرجال. وكنائس الشرق قد حافظت هي أيضاً بأمانة على هذا التقليد...

٤٩٨١ – ٢ – ... وفي الرسالة الرسولية Mulieris dignitatem (كرامة المرأة) كتبت أنا نفسي في هذا الموضوع: «لقد تصرف السيد المسيح بحرية تامة ومطلقة، حين قصر دعوته على الرجال ليكونوا رسلاً. وبهذه الحرية ذاتها أبرز كرامة المرأة ودعوتها من خلال تصرفه، مخالفًا بذلك الأعراف السائدة عندئذ والتقاليد التي أقرها التشريع في زمانه» (رقم ٢٦).

لذلك، اعترفت الكنيسة دومًا، للقبول في خدمة الكهنوت، كقاعدة ثابتة، طريقة عمل ربها في اختيار الاثني عشر رجلاً الذين جعلهم أساسًا لكنيسته (ر رؤ ٢١ : ٤). وهؤلاء لم ينالوا فقط وظيفة يمكن أن يمارسها في ما بعد أي من أعضاء الكنيسة، بل أشركوا بوجه خاص وحميم في رسالة الكلمة المتجسد نفسه (ر مت ١٠ : ١، ٧ – ٨؛ ٢٨ : ١٦ – ٢٠؛ مر ٣ : ١٣ – ١٦؛ ١٦ : ١٤ – ١٥).

كذلك فعل الرسل عندما اختاروا معاونيهم (ر. ١ تي ٣ : ١ – ١٣؛ ٢ تي ١ : ٦؛ تيط ١ : ٥ – ٩) الذين سيخلفونهم في خدمتهم. وهذا الاختيار كان يتضمن أولئك الذين، في زمن الكنيسة، سيتابعون الرسالة الموكلة إلى الرسل، أن يمثّلوا المسيح الرب والفادي.

٤٩٨٢ – ٣ – ومن جهة أخرى، كون مريم العذراء، أم الله وأم الكنيسة، لم تنل لا رسالة الرسل الخاصة، ولا خدمة الكهنوت، يبين بوضوح أن عدم قبول النساء للرسالة الكهنوتية لا يمكن أن يعني أن كرامتهن أدنى، أو أنهن موضوع تفرقة، بل هناك حفاظ بأمانة على تدبير يجب أن ينسب إلى حكمة رب الكون.

إن حضور المرأة ودورها، في حياة الكنيسة ورسالتها، يبقيان ضروريين على الإطلاق ولا بديل لهما... والعهد الجديد، ومجمل تاريخ الكنيسة يظهران بوفرة

حضور نساء في الكنيسة كن تلميذات وشاهدات حقيقيات للمسيح، في أسرهن، وفي مهنهن المدنية، كما في تكرسهن الكامل لخدمة الله والإنجيل...

٤٩٨٣ – ٤ – وعلى كون العقيدة في شأن الرسامة الكهنوتية المحصورة بالرجال، قد حفظها التقليد الثابت والعام في الكنيسة، وتعلمها السلطة في أحدث وثائقها، في أيامنا، فمع ذلك ينظر إليها مع ذلك، من نواح مختلفة، أنها مشرعة للجدل، بل تُنسب قيمة قانونية صرف لموقف الكنيسة الرافض قبول النساء للرسامة الكهنوتية.

لذلك، حتى لا يبقى أي شك في مسألة ذات أهمية كبيرة، تتصل بتكوين الكنيسة الإلهي ذاته أعلن، بقوة رسالتي لتثبيت أخوتي (ر. لو ٢٢ : ٣٢) أن الكنيسة ليس لها، بأي وجه من الوجوه، سلطة منح الرسامة الكهنوتية لنساء، وإن هذا الموقف يجب أن يتمسك به نهائيًا جميع مؤمني الكنيسة.

٤٩٩٠ – ٤٩٩٩ – الرسالة العامة "Evangelium vitae"، ٢٥ آذار ١٩٩٥

الفصل الثالث: لا تقتل. شريعة الله المقدسة

٤٩٩٠ – ٥٧ – ... في مواجهة ما نلحظهُ في النفوس والمجتمع من تضاؤل الشعور بلا شرعية الإجهاز المباشر على كل حياة بشريّة بريئة، ولا سيّما في بدايتها أو نهايتها، وعدم الاكتراث بخطورته المطلقة، عمدت السلطة التعليميّة في الكنيسة إلى تكثيف تدخّلاتها للذود عن الحياة البشرية وما يميّزها من قدسية وحصانة. ولقد انضمّ دومًا إلى السلطة التعليميّة الحبرية المُلحَّة، سلطة الاساقفة وما صدر عنها من وثائق تعليميّة وراعويّة كثيرة وخطيرة، سواء من قبل المجالس الأسقفية أو من قبل أساقفة أفراد، علاوة على الوثيقة البليغة والمقتضبة التي صدرت عن المجمع الڤاتيكاني الثاني.

وعليه فبالسلطة التي سلَّمها المسيح إلى بطرس وخلفائه، وبالشركة مع جميع أساقفة الكنيسة الكاثوليكية، أثبتُ أن كل من يقتل كائنًا بشريًا بريئًا قتلاً مباشرًا ومتعمَّدًا يرتكب خطأً فادحًا. هذه العقيدة المرتكزة على الشريعة غير المكتوبة التي يكتشفها

كل إنسان في قلبه في ضوء العقل (روم ٢ : ١٤ – ١٥) يرسّخها الكتاب المقدّس ويتوارثها التقليد الكنسي وتُمليها السلطة التعليميَّة العاديّة والجامعة.

كل نيَّة تتعمّد الإجهاز على حياة بشريَّة بريئة هي دومًا عمل سيّئ من الناحية الأدبية، ولا يمكن قط تسويغها لا كهدف ولا كوسيلة لهدف جيّد. إنها انتهاك ثقيل للشريعة الأدبيّة، بل هي تمرّد على الله بالذات خالقها وحاميها. وهي تناقض فضيلتَي العدالة والمحبة مناقضة جوهريّة.

٤٩٩١ – ٥٨ – ما بين جميع الجنايات التي يستطيع الإنسان أن يُلحقها بالحياة يتميّز الإجهاض المتعمَّد بملامح تجعله على جانبٍ من الخطورة النكراء. فالمجمع الڤاتيكاني يصفه بأنه «هو وقتل الجنين جريمتان منكرتان».

ولكن الشعور بخطورة الإجهاض أمسى اليوم في وعي الكثيرين على انحسارٍ متزايد. قبول الإجهاض في الذهنيات والسلوك وحتى في الشرع نفسه لهو دليل بليغ لما يعتري الحاسَّة الأدبية من أزمة خطيرة جدًا، وقد أمست في عجز متزايد عن التمييز بين الخير والشرّ، حتى في شأن الحق الأساسي في الحياة. في مواجهة وضع في مثل هذه الخطورة، يمسي في غاية الضرورة أن ننظر إلى الحقيقة كما هي، ونسمّي الأشياء بأسمائها، ولا ننقاد إلى مساومات رخيصة نضلِّل بها ذواتنا.

٤٩٩٢ – ٦٢ – ... ولذا، بالسلطة التي أولاها المسيح بطرس وخلفاءه، وبالشركة مع الأساقفة – الذين جرّموا الإجهاض غير مرّة وأجابوا على الاستفتاء الذي أتينا على ذكره سابقًا، وهم موزّعون في كل انحاء العالم، وأعربوا بالإجماع عن موافقتهم على هذا المعتقد – أُعلِنُ أن الإجهاض المباشر المتوخّى غايةً أو وسيلة، هو دائمًا خلل أدبي باهظ، بصفته قتلاً متعمدًا لكائن بشري بريء. هذه العقيدة ترتكز على الشريعة الطبيعية وعلى كلام الله المكتوب، وقد ورثناها عن طريق التقليد الكنسي وتُعلِّمها السلطة الكنسيّة العاديّة والجامعة.

ليس ثمة ظرف أو غاية أو قانون في العالم بإمكانه أن يسوّغ عملاً لا شرعيًا في ذاته بسبب منافاته لشريعة الله المكتوبة في قلب كل إنسان والتي يميّزها العقل وتعلنها الكنيسة.

٤٩٩٣ – ٦٥ – لا بدَّ أوّلاً من أن نحدّد بوضوح معنى القتل الرحيم قبل أن نحكم عليه حكمًا أدبيًا صحيحًا. فالقتل الرحيم، بمعناه الحصري، هو كل عمل أو كل إهمال يؤدّي إلى الموت، بذاته أو بالنيّة، بهدف إلغاء كل ألم. «فالقتل الرحيم يوزن إذن بميزان النوايا وميزان الوسائل المستعملة».

يجب أن نميّز بين القتل الرحيم وقرار العدول عمّا يسمّى «بالمعالجة العنيدة» أي عن بعض الإجراءات الطبيّة التي لم تعد تناسب وضع المريض الحقيقي، لأنها أمست على غير نسبة مع النتائج المرجوّة، أو لأنها أمست عبئًا باهظاً على المريض وعلى أسرته...

بعد هذه الملاحظات التي أَدلَيْتُ بها بالتوافق مع تعليم أسلافي، وبالشركة مع أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة، أؤكد أن القتل الرحيم هو انتهاك خطير لشريعة الله، بصفته قتلاً متعمَّدًا لشخص بشري، مرفوضاً أدبيًا. هذه العقيدة ترتكز على الشريعة الطبيعية وعلى كلام الله المكتوب، وهي متوارثة في التقليد الكنسي وتُعلّمها السلطة الكنسية العاديّة والشاملة.

٤٩٩٤ – ٦٦ – ... حتى وإن لم يكن السبب هو الرفض الأناني لتحمّل أعباء حياة المريض المتألّم، يجب القول في القتل الرحيم إنه ضرب من الشفقة الزائفة، لا بل إنه «انحراف» مقلق لمعنى الشفقة: ولا غرو «فالرحمة» الحقيقية تقوم على التضامن مع عذاب الغير، ولكنها لا تميت من لا نقوى على تحمل عذابه. ويعظم شر هذه الفعلة بمقدار ما تصدر عمّن يُفترض فيهم – كأفراد الأسرة – أن يُسعِفُوا قريبهم بصبر ومحبة، أو عمّن هم بحكم وظيفتهم – كالأطباء – مُلزمون بمعالجة المريض حتى في الظروف الصعبة التي يشرف فيها على نهاية حياته.

ويمسي اللجوء إلى القتل الرحيم أشد خطورة عندما يمارسه آخرون في حق إنسانٍ لم يطلب منهم ذلك البتّة، ولم يوافق قط عليه. وأمّا ذروة التحكّم والظلم ففي ما يدَّعيه البعض، من أطباء ومشترعين، من سلطة التقرير في من يجب أن يعيش ومن يجب أن يموت.

٤٩٩٥ – ٧٢ – ... إن القوانين التي تسوّغ وتشجّع الإجهاض والقتل الرحيم تناقض لا

منفعة الفرد وحسب بل المنفعة العامة، وتمسي بالتالي مجرّدة من كل شرعية قانونية صحيحة. ولا غرو، فتجاهل حق الإنسان في الحياة، لأنه يفضي، بالتحديد، إلى إلغاء الفرد الذي جُعل المجتمع لخدمته، هو أشد ما يتصدّى تحقيق الخير العام، بطريقة مباشرة لا تعوّض. وينجم عن ذلك أن كل قانون مدني يشرِّع الإجهاض والقتل الرحيم يبطل، بالفعل نفسه، أن يكون قانوناً مدنيًا حقيقيًا ملزمًا إلزامًا أدبيًا.

٤٩٩٦ – ٧٣ – الإجهاض والقتل الرحيم هما إذن من الجرائم التي لا يجوز لأي قانون بشري ان يدَّعي تشريعها. مثل هذه القوانين لا تُلزِم الضمير، لا بل تحمّل المواطنين واجب التصدي لها، بالاعتراض الضميري، وهو واجب خطير ودقيق.

الفصل الرابع: «إليّ صنعتموه» – في سبيل ثقافة جديدة للحياة البشرية

٤٩٩٧ – ٩٥ – ... في الوضع الاجتماعي الراهن، وما يميّزه من تجابه فاجع بين «حضارة الحياة» و«حضارة الموت»، لا بدّ من أن ننمي فينا حاسّة تمييز مرهف، لنتبيّن القيم السليمة والحاجات الحقيقية.

٤٩٩٨ – ومن الملحّ أن نعمَد إلى تجييش الضمائر على الصعيد العام وإلى القيام بمجهود أخلاقي مشترك، لتحريك استراتجية واسعة في خدمة الحياة. ولا بدّ من أن نبني كلنا معًا حضارة جديدة لدعم الحياة: وتقوم جدّتها على كونها مؤهّلة لأن تواجه وتحلّ المشاكل المستحدثة المطروحة اليوم في شأن الحياة البشريّة. وتقوم جدّتها أيضاً على كونها قائمة على عاتق جميع المسيحيين المتجنّدين لها بيقين راسخ وناشط. وتقوم جدتها أخيرًا على كونها قادرة على إيقاظ مباحثة ثقافية جدّية وشجاعة بين الجميع. ملحاحية هذا المنعطف الثقافي ترتكز على الوضع التاريخي الذي نخوضه، ولكنها تنبع خصوصاً من مهمة البشارة نفسها المنوطة بالكنيسة.

٤٩٩٩ – ١٠١ – ... إنجيل الحياة هو لمنفعة المجتمع البشري. فالعمل في خدمة الحياة يساهم في تجديد المجتمع، بتحقيق الصالح العام. فليس من الممكن ان يتحقّق الخير العام بدون الإقرار بحق الإنسان في الحياة والذود عنه، وهو الأساس الذي

عليه ترتكز وبه تتطوّر جميع ما هنالك من حقوق إنسانية أخرى لا يجوز الإطاحة بها. ولا يستطيع مجتمع أن يقوم على اساس متين، إذا اعترف بالكلام بقيم الكرامة والعدالة والسلام، وناقض نفسه مناقضة جذرية، بالرضى أو بالتغاضي عن مختلف اشكال الازدراء بالحياة البشريّة والتعرّض لها وبخاصة الحياة الضعيفة أو المهمّشة. احترام الحياة يستطيع وحده أن يؤمّن مرتكزًا وضمانة لأكثر خيور المجتمع قيمة وضرورة، كالديمقراطية والسلام.

٥٠٠٠ – ٥٠١٢ – الرسالة العامة "Ut unum sint"، ٢٥ أيار ١٩٩٥

مدخل

٥٠٠٠ – ٣ – في المجمع الفاتيكاني الثاني، تعهّدت الكنيسة الكاثوليكيّة بطريقة لا رجوع عنها أن تسلك سبيل السعي إلى الوحدة المسكونيّة، مصغيةً إلى روح الربّ الذي يعلّم بأن نقرأ بكلّ انتباه «علامات الأزمنة».

الفصل الأول: التزام الكنيسة الكاثوليكية المسكوني

٥٠٠١ – ١٤ – ... هذه العناصرُ كلُّها تؤلّف بحدّ ذاتها نداءً إلى الوحدة لكي تجد فيها ملئَها. وهذا لا يعني أنّا نعمل على جمع كلّ الثروات المبعثرة في الجماعات المسيحيّة، كي نبلغ إلى كنيسة يريدها الله في المستقبل. فوفقًا للتقليد العظيم الذي يثبّته آباء الكنيسة في الشرق والغرب، تؤمن الكنيسة الكاثوليكيّة أنه، في حدَث العنصرة، أعلن الله، منذ ذلك الحين، الكنيسة في واقعها الأخيريّ، الذي كان يهيّئه «منذ عهد هابيل البارّ». لقد أُعلنت الكنيسة. لذلك أصبحنا نحن في الأزمنة الأخيرة. وعناصر تلك الكنيسة المعلنة، تتوفّر موحَّدةً في كمالها، في الكنيسة الكاثوليكيّة، وبدون هذا الكمال، في الجماعات الأخرى، حيث بعضُ وجوه السرّ المسيحيّ برزت أحيانًا أكثر إلى النور. وفي الواقع تهدف الحركة المسكونيّة إلى تقدّم الشركة الجزئيّة الموجودة بين المسيحيّين فتبلغ ملءَ الشركة في الحقّ والمحبّة.

٥٠٠٢ – ٣٥ – ... يمكن القول إن القرار المجمعيّ عن الحركة المسكونيّة بأكمله مشبعٌ بروح التوبة. وفي هذه الوثيقة، يرتدي الحوار المسكونيّ طابعًا مميّزًا؛ إنه يتحوّل إلى

«حوار التوبة» وإذن – على حدّ قول البابا بولس السادس – إلى «حوار خلاص» حقيقيّ. لا يمكن الحوار أن يجري وفقَ سعي أفقيّ محض، مقتصرًا على اللقاء وتبادلِ وجهات النظر، أو حتى على المواهب الخاصّة بكلٍّ من الجماعات. إنه يسعى أيضاً وبالأخصّ إلى التحلّي ببُعد عموديّ يوجّهه نحو فادي العالم وسيّد التاريخ الذي هو مصالحتنا.

إن البعد العموديَّ للحوار يكمن في الاعتراف المشترك والمتبادل لوضعنا كرجالٍ ونساءٍ خاطئين. وهذا هو الحوار الذي يفتح، أمام إخوةٍ عائشين في جماعاتٍ لا شركةَ كاملة بينها، الفُسحة الداخليّة حيث يستطيع المسيحُ، ينبوعُ وحدة الكنائس، أن يعمل بفعّاليّة، بمؤازرة قدرة روحه المعزّي...

٥٠٠٣ – ٣٨ – ... وبهذا الشأن، إن الحوار المسكونيّ الذي يحضّ الأطراف المعنيّة على التساؤل والتفاهم والشرح المتبادل يسمح باكتشافات غيرِ منتظرة. أما المناظرات والمجادلات المتعصّبة فقد حوّلت إلى تأكيداتٍ متنافرة ما كان في الواقع نتيجة نظرَين يبحثان عن الحقيقة نفسها، ولكن من وجهتَي نظرٍ مختلفتين. فيجب اليوم إيجاد أسلوب يفهم تلك الحقيقة برمّتها ويسمح بتخطّي قراءاتٍ مجزوءة ويُقصي تفسيراتٍ خاطئة.

الفصل الثالث: هل الطريق لا يزال طويلاً؟

٥٠٠٤ – ٧٩ – منذ الآن يمكن أن نميّز المواضيعَ الواجبَ التعمّق فيها كي نبلغ توافقًا واحدًا في الإيمان:

١) العلاقات بين الكتاب المقدّس، السلطة العليا في موضوع الإيمان، والتقليد المقدّس، التفسير الذي لا يمكن الاستغناءُ عنه لكلام الله؛

٢) الإفخارستيّا، سرّ جسد المسيح ودمه، تقدمة الحمد للآب، وذكرى ذبيحة المسيح وحضوره الحقيقيّ، وفيض الروح القدس المقدّس؛

٣) الرسامة، كسرّ ثلاثيّ الخدمة: الأسقفيّة والكهنوت والشموسيّة؛

٤) السلطة العليا في الكنيسة التي مُنحت للبابا وللأساقفة بالشركة معه، والتي تُعتبر مسؤوليّةً وسلطةً باسم المسيح للتعليم والمحافظة على الإيمان؛

٥) العذراء مريم، أمّ الله وإيقونة الكنيسة، الأمّ الروحيّة التي تضرع من أجل تلاميذ المسيح والبشريّة جمعاء...

٥٠٠٥ – ٨٠ – فيما يُتابَع الحوارُ حول مواضيعَ جديدة، أو يتطوّر على مستوى أعمق، أنيطت بنا مسؤوليّة جديدة علينا تنفيذها، ألا وهي تقبّل النتائج المكتسَبة حتى الآن. فلا يمكنها أن تبقى تأكيداتٍ صادرةً عن لجان ثنائيّة، بل يجب أن تصبح إرثًا مشتركًا. وللبلوغ إلى هذا، ولتقوية روابط الشركة، علينا أن نقوم بفحصٍ للضمير جِدّي، يعني شعب الله بمجمله، وبطرقٍ مختلفة وبالنظر إلى صلاحيّات متعدّدة. في الواقع، غالبًا ما يعني ذلك قضايا تمسّ الإيمان، وتفترض توافقًا شاملاً، بدءًا من الأساقفة حتى المؤمنين العلمانيّين، لحصولهم جميعًا على مسحة الروح القدس. وهو الروح نفسه الذي يعضد السلطة العليا ويثير حاسّة الإيمان.

٥٠٠٦ – ٨٢ – لا شكّ أن جسامةَ الالتزام المسكونيّ تنادي المؤمنين الكاثوليك في العمق، والروحَ يدعوهم إلى فحصٍ للضمير جدّيّ. وعلى الكنيسة الكاثوليكيّة أن تلج في ما يمكن أن يسمّى «حوار الارتداد»، حيث يكمن الأساس الروحانيُّ للحوار المسكونيّ. في هذا الحوار الجاري في حضرة الله، على كلّ واحدٍ أن يبحث عن أخطائه الخاصّة ويقرَّ بخطاياه ويرتمي بين يدي الذي هو الوسيطُ عند الآب، يسوعُ المسيح...

٥٠٠٧ – ٨٤ – بحسب وجهة نظر مركَزة على الله، إنّا لدينا، نحن المسيحيّين «سفرَ شهادة» مشترك، ينطوي أيضاً على شهداءَ من عصرنا، أكثر ممّا يمكن أن نتصوّر. وهذا السفر يُظهر، في العمق، أن الله يصون الشركة لدى المعمَّدين بأقصى ما يتطلّبه الإيمان، تعبّر عنه ذبيحةُ الحياة. وإذا ما كان الإنسان يستطيع أن يُستشهد من أجل الإيمان، فهذا يبرهن أنه بالإمكان البلوغ إلى الهدف عندما الأمرُ يعني مظاهر أخرى للمتطلّبات نفسها.

... إن شركة جماعاتنا غيرَ التامة يضمّها، وإن بطريقة غير مرئيّة، بالتحام متين، ملءُ شركة القدّيسين، أي هؤلاءِ الذين يدخلون في شركةٍ مع المسيح الممجَّد، في نهاية حياةٍ أمينةٍ للنعمة. هؤلاء القديسون يأتون من كلّ الكنائس والجماعات الكنسيّة التي فتحت أمامهم المدخل إلى شركة الخلاص.

٥٠٠٨ – ٨٨ – ما بين الكنائس والجماعات الكنسيّة كلّها، تعي الكنيسة الكاثوليكيّة تمامَ الوعي أنها حافظت على خدمة خليفة الرسول بطرس، أسقف رومة الذي نصّبه الله «كمبدإ وأساسٍ دائمين ومنظورَين للوحدة»، والذي يعضده الروح كي ينعم الآخرون جميعُهم بهذا الخير الجوهريّ. وفقًا للتعبير الجميل الذي تفوّه به البابا غريغوريوس الكبير، فإن خدمتي هي خدمة خادم خدّام الله. إن هذا التحديد هو الحامي الأكبر ضدّ خطر فصل السلطة (وبالأخصّ الأوّلية) عن الخدمة، ممّا يشكل تناقضاً ومفهومَ السلطة حسب الإنجيل: «أنا في وسطكم كالذي يخدم» (لوقا ٢٢ : ٢٧)، قال ربُّنا يسوعُ المسيح، رأسُ الكنيسة.

من جهة أخرى، كما أتيح لي أن أعلن ذلك في خلال اللقاء المهمّ بمجلس الكنائس العالميّ بجنيف، في الثاني عشر من حزيران ١٩٨٤، إن اعتقاد الكنيسة الكاثوليكيّة بأنها حَفظت بأمانة للتقليد الرسولي و إيمان الآباء العلامة المرئيّة وضمان الوحدة في خدمة أسقف رومة، يُشكّل عقبةً لغالبيّة المسيحيّين الآخرين الذين دَمغت ذاكرتَهم بعضُ الذكريات الأليمة. فعمّا نحن مسؤولون أطلب الغفران، كما فعل سلفي بولس السادس.

٥٠٠٩ – ٩٢ – ... إن أسقفَ رومة، وريثَ رسالة بطرسَ في الكنيسة التي أخصبها دمُ زعيمَي الرسل، يمارس خدمته النابعة من مختلف مظاهر رحمة الله، الرحمة التي تردّ القلوب وتمنح قوّة النعمة، حيثما التلميذُ يعرف الطعمَ المرّ لضعفه وشقائه. إن السلطة الخاصّة بهذه الخدمة موضوعة كلُّها في تصرّف تدبير الرحمة الإلهيّة، ويجب على الدوام أن ننظر إليها من وجهة النظر هذه. وسلطانها يُفهم بهذا المعنى.

٥٠١٠ – ٩٤ – إن خدمةَ الوحدة هذه، المتأصّلة في عمل الرحمة الإلهيّة، أوكلت، داخلَ صفّ الأساقفة نفسه، إلى واحدٍ من أولئك الذين أعطاهم الروح، لا أن يمارسوا مهمّة تسلّطٍ على الشعب – كما يفعل رؤساءُ الأمم وعظماؤهم (أنظر متى ٢٠ : ٢٥؛ مرقس ١٠ : ٤٢) – بل أن يقودوا الشعب في مسيرته نحو المراعي الآمنة. وهذه المهمّة يمكن أن تفرض تقدمةَ الحياة ذاتها (أنظر يوحنا ١٠ : ١١ – ١٨).

بعد أن بيّن ان المسيح هو «الراعي الأوحد، الذي بالوحدة معه لا يكون الجميعُ إلاّ واحدًا»، يحرّض القديس أوغسطينوس قائلاً: «ليكن الرعاةُ جميعُهم، إذن، في راعٍ واحد، ليُسمعوا صوت الراعي الواحد؛ ولتصغ إليه النعاج، لتتبع راعيَها، لا هذا ولا ذاك، بل الأوحد. وَليُسمِع الجميعُ فيه، صوتًا واحدًا، لا أصواتًا متنافرة [...]. وهذا الصوت، المتحرّرُ من كل انشقاق والنقيّ من كل هرطقة، لتصغ إليه النعاج».

إن رسالة أسقف رومة، وسط جماعة الرعاة، تقوم في الواقع على «السَّهر»، كخفير، بحيث يُسمع، بفضل الرعاة، في جميع الكنائس الخاصة صوتُ المسيح – الراعي الحقيقيّ. وهكذا تتحقق في كلٍّ من الكنائس الخاصة الموكولة إليهم، الكنيسةُ الواحدة المقدّسة الجامعة الرسوليّة. إن الكنائس جميعَها هي في الشركة الكاملة والمرئيّة لأن الرعاةَ أنفسَهم هم في شركة مع بطرس، وهكذا في وحدة المسيح.

على أسقف رومة أن يؤمّن شركة الكنائس كلّها، بالسلطة والسلطان اللذين بدونهما تكون تلك الوظيفة وهميّة. وبصفته هذه، إنه أوّل خدّام الوحدة. وتمارَسُ الأوّليّة على أصعدة مختلفة تعني السَّهرَ والحذر على نقل الكلمة، وعلى الاحتفال بالأسرار والليترجيّا، وعلى الرسالة، وعلى النظام وعلى الحياة المسيحيّة. ويعود إلى خليفة بطرس أن يذكّر بمتطلّبات خير الكنيسة العام، فيما لو سوّلت لأحدٍ نفسُه إهمالها، خدمةً لمآربه الخاصّة. إن من واجبه ان ينبّه ويحذّر ويعلن أحيانًا عدم موافقة رأيٍ من الآراء الشائعة ووحدةَ الإيمان. وعندما تضطرّه الظروف، يتكلّم باسم جميعُ الرعاة المتّحدين في الشركة معه. ويمكنه أيضاً – في ظروف محدَّدة عرضها المجمع الفاتيكانيُّ الأول – أن يعلن رسميًّا (ex cathedra) أنّ عقيدة ما تخصّ وديعة الإيمان. وهكذا بشهادته للحقيقة، فإنه يخدم الوحدة.

٥٠١١ – ٩٥ – لكن هذا كلّه يجب أن يتمَّ بالشركة. وعندما تؤكّد الكنيسة الكاثوليكيّة أن وظيفة أسقف رومة تلبّي إرادة المسيح، فإنها لا تفصلها عن الرسالة الموكولة إلى جماعة الأساقفة الذين هم أيضاً «نوّابٌ ومنتدبون للمسيح». فأسقف رومة هو من «صفّهم» وهم إخوته في الخدمة.

إن ما يعني وحدة الجماعات المسيحيّة كلِّها يدخل بالطبع في إطار المهمّات التي تعود إلى الأوّليّة. إنه يعرف جيّدًا، بصفته أسقف رومة، ولقد أكّد ذلك في الرسالة الحاضرة، أن رغبة المسيح الحارّة هي الشركة الكاملة والمرئيّة بين الجماعات كلّها، الساكن فيها روحُه بفضل الأمانة لله. إني على يقين أني أحمل، من هذا القبيل، مسؤوليّة خاصّة بالأخص عندما أرى التوقَ المسكونيّ المنبعثَ من غالبيّة الجماعات المسيحيّة، وعندما أسمع النداء الموجَّه إليّ بأن أجد أسلوبًا لممارسة الأوّليّة منفتحًا على الوضع الراهن، ولكن بدون أيّ تخلٍّ عن جوهر رسالتها.

مدة ألف سنة، كان المسيحيّون «متّحدين بالشركة الأخويّة في الإيمان وحياة الأسرار. وإذا نشبت خلافاتٌ في العقيدة أو في النظام كان الكرسيُّ الرومانيّ يستخدم سلطته بموافقة الجميع». كانت الأوّليّة تمارس هكذا من أجل الوحدة. في حديثي إلى البطريرك المسكونيّ، قداسة ديمتريوس الأول، كنتُ أعي، على حدِّ ما قلت، أنه «لأسباب عديدة جدًا، وضدّ إرادة كلٍّ من الطرفين، ما كان من المفروض أن يكون خدمة، اعتلن تحت ضوءٍ مختلفٍ بعض الاختلاف. ولكن، [...] رغبةً منّي في أن أطيع إرادة المسيح، أراني مدعوًّا، كأسقفٍ لرومة، إلى أن أمارس هذه الخدمة. [...] إني أبتهل إلى الروح القدس كي يفيض علينا نوره ويُلهم جميع رعاة كنائسنا ولاهوتيّيها كي نبحث، بالتأكيد معًا، عن الأساليب التي يمكن أن تحقّق فيها هذه الخدمةُ رسالةَ المحبة التي يعترف بها الطرفان».

٥٠١٢ – ٩٦ – إنها لمهمّة جسيمةٌ لا يمكننا رفضها، كما لا يسَعني وحدي أن أبلغ بها حُسن الختام. إن الشركة الحقيقيّة القائمة بيننا جميعًا، وإن كانت على بعض النقص، ألا يمكنها أن تستحثّ المسؤولين الكنسيّين ولاهوتيّيهم ليباشروا معي، حول هذا الموضع، حوارًا أخويًّا ودؤوبًا، يمكنّنا أن نصغي فيه بعضنا إلى بعض متجاوزين المنازعات العقيمة، لا همَّ لنا إلاّ إرادةُ المسيح بشأن كنيسته، مستسلمين لسماع ندائه «ليكونوا بأجمعهم واحدًا... حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتني» (يو ١٧ : ٢١).

٥٠٢٠ – ٥٠٣٠ – الرسالة الرسولية "Ecclesia in Africa"، ١٤ ايلول ١٩٩٥

الفصل الأول: حدث كنسي تاريخي

٥٠٢٠ – ١٤ – أُحرِّض جميع شعب الله في أفريقيا على أن يتقبل تمامًا رسالة الرجاء التي توجهها إليه الجمعية السينودسية. لقد واجه آباء السينودس، دون مواربة، في أثناء نقاشاتهم، وهم واعون تمامًا أنهم يحملون لا ترقبات الكاثوليكيين الأفريقيين فحسب بل جميع الرجال والنساء في القارة، الشرور التي لا تحصى والتي ترهق أفريقيا في أيامنا، وتفحصوا عن كل تعقيدات ومساحات ما على الكنيسة أن تفعله لإحداث التغيير المرغوب فيه. ولكنهم قاموا بذلك متجردين كليًا من أي موقف متشائم أو يائس.

فعلى ما في المشهد العام لكثير من المناطق الأفريقية اليوم من سلبيات، وعلى ما تعانيه دول كثيرة من اختبارات بائسة، على الكنيسة أن تؤكد بقوة إمكان التغلب على الصعاب. عليها أن ترسخ عند الأفريقيين جميعًا رجاء تحرر حقيقي. وثقتها مؤسسة في آخر المطاف على وعي الوعد الإلهي الذي يضمن لنا أن تاريخنا الحاضر لا يبقى مغلقًا على ذاته، بل هو مشرع على ملكوت الله.

٥٠٢١ – إن أول ما يواجه كنيسة أفريقيا من مقتضيات، بحسب آباء السينودس، هو الوصف، بما يمكن من الوضوح، لما هي، ولما يجب أن تفعل تمامًا، حتى تكون رسالتها ملائمة وجديرة بأن تصدق.

الفصل الثالث: التبشير والانثقاف

٥٠٢٢ – ٥٩ – ... يرى السينودس أن الانثقاف أمر أولي وملح في حياة الكنائس الخاصة لتأصيل حقيقي للإنجيل في أفريقيا، «ومقتضى إنجيلي» و«مسير نحو التبشير الكامل»، ومن الرهانان الكبرى بالنسبة إلى الكنيسة في القارة عند إقبال الألفية الثالثة.

٥٠٢٣ – ٦٣ – ... سيقصد التبشير الجديد إذن إلى بناء كنيسة أسرة، مقصية كل تمركز عنصري وكل فئوية مفرطة.

٥٠٢٤ – ٦٥ – «إن موقف الحوار هو نمط وجود المسيحي داخل جماعته كما مع المؤمنين الآخرين، ومع الرجال والنساء ذوي الإرادة الصالحة». ويمارس الحوار أولاً في داخل الكنيسة الأسرة ذاته على كل الصعد «الكاثوليكيون مدعوون، بعد إذ اتحدوا بالمسيح في شهادتهم في أفريقيا، إلى تنمية حوار مسكوني مع جميع الأخوة المعمدين، من المذاهب المسيحية الأخرى، حتى تأتي الوحدة التي صلى لأجلها المسيح. وهكذا فخدمتهم لشعوب القارة تجعل الإنجيل أقرب إلى الاعتقاد في نظر الرجال والنساء الذين يلتمسون الله».

٥٠٢٥ – ٦٦ – «وهذا الجهد في الحوار عليه أن يتسع للمسلمين ذوي الإرادة الصالحة [...]. ولا بد من السهر خصوصاً على أن يحترم الحوار الإسلامي المسيحي، من الجهتين، ممارسة الحرية الدينية مع كل ما تقتضيه، ولا سيّما الإظهار الخارجي والعلني للإيمان.

٥٠٢٦ – ٦٧ – وفي شأن الديانة التقليدية الأفريقية، يستطيع الحوار الهادئ من جهة أن يقي من تأثيرات سلبية تعاني منها طريقة عيش كثير من الكاثوليكيين، ومن جهة أخرى، أن يمكن من تمثل القيم الإيجابية، كالاعتقاد بكائن أعلى، أزلي، خالق، عناية، وقاض عادل، مما يتلاءم ومضمون الإيمان. ويمكن أن تعد هذه القيم كتهيئة إنجيلية...

الفصل الخامس

٥٠٢٧ – ٨٨ – إن التبشير يحتاج إلى فعلة. إذ «كيف يدعونه [الرب] ولم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون به ولم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون به بلا مبشر؟ وكيف يبشرون إن لم يرسلوا» [رو ١٠: ١٤ – ١٥]. إن إعلان الإنجيل لا يمكن أن يتحقق تمامًا إلا بمساهمة جميع المؤمنين، على مستويات الكنيسة الجامعة والمحلية.

ويعود إلى هذه، أي الكنيسة الخاصة، في نطاق مسؤولية الأسقف، تنسيق النشاطات التبشرية، بتجميع المؤمنين، وبتثبيتهم في الإيمان بوساطة الكهنة ومعلمي الديانة، وبمساندتهم في إتمام الرسالات التي لكل منهم.

الفصل السادس: بناء ملكوت الله

٥٠٢٨ – ١١٧ – ... أرى لزامًا علي أن أضم صوتي إلى أصوات أعضاء الجمعية السينودسية، لأبدي الأسف الشديد على حالات العذاب الذي لا يوصف، والذي تسببه النزاعات الكثيرة العلنية والخفية، ولأطلب ممن يتمكنون أن يتجندوا كليًا لإنهاء مثل هذه المآسي. وأدعو كذلك، مع آباء السينودس، إلى القيام بالتزامات حسية تعزز عدالة اجتماعية أكبر في القارة، وممارسة للسلطة أعدل، وتهيئ الوضع هكذا للسلام...

٥٠٢٩ – ١٢١ – من أبرز علامات هذا العصر الوعي المتنامي لكرامة المرأة ودورها المناسب في الكنيسة وفي المجتمع عمومًا. «خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم» [تك ١ :٢٧] لقد ذكرت أنا بنفسي مرارًا بالمساواة الأساسية والتكامل المثري القائم بين الرجل والمرأة... والكنيسة تأسف وتقضي على جميع «العادات والممارسات التي تحرم النساء من حقوقهن ومن الاحترام الواجب لهن»، بمقدار ما هي مستمرة في مجتمعات أفريقية مختلفة.

٥٠٤٠ – ٥٠٤١ – جواب مجمع عقيدة الإيمان، في كانون الأول ١٩٩٥

٥٠٤٠ – سؤال: هل يجب النظر إلى العقيدة القائلة إن الكنيسة ليس لها سلطة منح الرسامة الكهنوتية للنساء، والواردة في الرسالة الرسولية Ordinatio sacerdotalis (الرسامة الكهنوتية) على انها من وديعة الإيمان؟

جواب: بالإيجاب.

٥٠٤١ – إن هذه العقيدة تقتضي تصديقًا نهائيًا لأنها مرتكزة على كلام الله المكتوب، ولأنها حفظت دائمًا وموررست في التقليد الكنسي منذ البدء، وأعلنتها بطريقة العصمة، السلطة التعليمية العادية الشاملة. لذلك فقد عبر الحبر الروماني، في الظروف الراهنة، عن هذه العقيدة ذاتها. ممارسًا خدمته في تثبيت إخوته، بصيغة إعلان رسمي يؤكد بصراحة ما يجب أن يتمسك به جميع المؤمنين دومًا وفي كل مكان، بكونه من وديعة الإيمان.

٦٠٠١ – ٦٠١٤ – الإرشاد الرسولي «رجاء جديد للبنان»، ١٠ أيار ١٩٩٧

الكنيسة سرّ شراكة

٦٠٠١ – ١٩. ... إنّ مفهوم الشراكة هامٌّ لنعيَ الوعيَ الصحيحَ طبيعةَ الكنيسة. فهو يتضمَّن دومًا بعدًا مزدوجًا: عموديًّا (الشراكة مع الله)، وأفقيًّا (الشراكة بين الناس)، وجانبًا مزدوجًا منظورًا (وضع الإنسان الجسدي والاجتماعي)، وغيرَ منظور (اتّحاد بالنعمة مع الله، وفيه، مع جميع الناس).

٦٠٠٢ – ٢٠. ... الكنيسة تظهر، في مجملها كما على صعيد جماعة الرعيّة، «في كثير من التنوُّع الذي يأتيها من تنوُّع مواهب الله ومن تعدُّد الأشخاص الذين يتقبّلونها. في وحدة شعب الله، تتجمَّعُ الشعوبُ والثقافاتُ المختلفة. وهناك بين أعضاء الكنيسة تنوُّعٌ في المواهب والوظائف والأوضاع وأنماط العيش».

٦٠٠٣ – ٢١. ... في هذا الإطار، يمكن الكنائس البطريركيّة الكاثوليكيّة في لبنان أَن تتسم بطابع نبويّ، إذا استطاعت كلٌّ منها أن تنميّ، بالانسجام مع غيرها وفي الأمانة المطلقة لوحدة الكنيسة الجامعة – وحتى بفضل هذه الوحدة – هويّتَها الخاصّة والثروات التي تتميّزُ بها. لا تُطلَب الوحدة في التشابه بل في الحبّ المتبادَل، وفي بذل الذات والثروات، وفي المحبة التي توحّدُ كلَّ الكنائس.

٦٠٠٤ – ٢٥. لنا مع الكنائس الأرثوذكسيّة مواقفُ مشترَكة في نقاطٍ هامّةٍ تتعلّق بالإيمان بسرّ الكنيسة. لقد نَمَا لاهوت الكنائس الشرقيّة على أنواعه ونَمَت روحانيّاتُها على مرّ القرون، بخاصة حول موضوع تأليه الإنسان تأليهًا يبدأ على هذه الأرض.

الحوار مع الكنائس الأرثوذكسيّة

٦٠٠٥ – ٨٦. التوجيه الأوّل المقترَح يقوم على اكتشاف التراث الأنطاكي من جديد والتعمّق فيه. إنّه مشترَك بين عددٍ من الكنائس البطريركيّة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة في الشرق الأوسط. هذه العودة إلى الينابيع تقتضي تجديدًا في التنشئة

والتفكير اللاهوتيّين، وفي الحياة الروحيّة والعمل الرعائيّ، مع أخذ تقليد الكنيسة بعين الاعتبار، ولاسيّما آباء الشرق والغرب الذين عبّروا عن رسالة الإنجيل في ثقافاتهم المتنوّعة. وإنّي أدعو جميع المؤمنين المسيحيّين إلى صلاة حارّة لنتمكّن من تتميم مشيئة الربّ، وإلى المزيد من حياة الإيمان والمحبّة، وإلى مشاركة حقيقيّة بالمواهب، وإلى اكتشافٍ جدّيٍّ لوجهات نظر إخوتهم الروحيّة. من المؤكّد في هذا الخطّ عينه أن مؤسّسات التثقيف اللاهوتي والرعائي تستطيع أن تقدّم مساهمةً كبرى في الحوار المسكونيّ.

في اثناء المناقشات أثارت الجمعيّة السينودسيّة بعمقٍ ثلاث مسائل رعائيّة، تشكّل مصدر صعوبات في العلاقات بين الكنائس البطريركيّة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة، ويجب أن تكون هذه موضوع دراسات جدّيّة بالاتّفاق مع الكرسيّ الرسوليّ. وإنّي أفرح للجهود التي بُذلتْ في الواقع وللإسهامات التي تمّت في مختلف الميادين، والتي يجبُ مواصلتُها والتعمّق فيها، سعيًا إلى تغليب الحقيقة وحوار المحبّة. إن إمكاناتِ رعائيّة تتاح لرعاة الكنيسة الكاثوليكيّة، في إطار احترام التقاليد والمشاعر، مع السهر الدائب على عرض العقيدة الكاثوليكيّة عرضاً صحيحًا. ولا بدّ من اعتمادها، مع الحرص على التقدّم من حيث العلاقة والانسجام مع المباحثات التي يواصلها الكرسيّ الرسولي مع مختلف الكنائس، وتوفير التثقيف الضروريّ للمؤمنين.

الحوار مع الإسلام

٦٠٠٦ — ٨٩. ان حوارًا حقيقيًا بين مؤمني الأديان التوحيديّة الكبرى يرتكز على الاحترام المتبادل، والعمل معًا، على حفظ العدالة الاجتماعيّة والقيم الأخلاقيّة والسلام والحريّة وتنميتها لجميع الناس. وهذه المهمّة المشتركة ملحّة بشكل خاص، للبنانيّين المدعوين بشجاعة إلى مسامحة بعضهم البعض، واخماد خلافاتهم وعداوتهم، وتبديلٍ ذهنياتهم، حتى ينمو التآخي، والتضامن في إعادة بناء مجتمع مُؤهّل باطراد للعيش المشترك.

تتطلّب المشاركةُ في تغيير العالم، قبل كل شيء، توبةَ القلب والنضالَ في سبيل

العدالة في المحبّة والأُخوة. وهذا بالنسبة إلى المسيحيين، أيضاً، بُعدٌ أساس لبشارة الإنجيل، لأنهم سيُعْرَفُون من الأعمال الصالحة التي يعملونها.

وعلى الكنيسة أن تُساهم بلا انقطاع في الدفاع عن كرامة الإنسان «القائم في الموقع المركزي من المجتمع» فيما تعليم الكنيسة «يكشف للإنسان حقيقة ذاته». إلى الكنيسة تتوجّه الشعوب بثقةٍ كبيرةٍ، خاصة في المراحل الخطيرة من تاريخها، لتحصل على النُّصح والأيد والعون...

٦٠٠٧ - ٩٠. عاش المسلمون والمسيحيون في لبنان جنبًا إلى جنب، طَوال قرون مديدة، حينًا في سلمٍ وتعاون، وحينًا في صراعٍ ونزاع. فعليهم أن يجدوا في حوارٍ يراعي مشاعر الأفرادٍ والجماعات المختلفة سبيلاً لا بدّ منه للعيش المشترك، وبناءِ المجتمع.

على اللبنانيّين الاّ ينسَوْا تلك الخبرة الطويلة في العلاقات التي هم مدعوُّون إلى استعادتها، بلا كلال، من أجل مصلحة الأشخاص والأمَّة برمّتها. ولا يُعقل، في نظر أصحاب الإرادات الطيّبة، أن يعيش أبناءُ مُجتمع بشري واحد، على أرضٍ واحدة، ويفضي بهم الأمر إلى عدم الثقة بعضهم ببعض والتخاصم والتنابذ باسم الدين. اني انما أشكر للمندوبين الأخوة، المسلمين والدروز، حضورَهم اجتماعات المجمع، ومشاركتَهم الناشطة في الحوار.

٦٠٠٨ - ٩١. هذا الحوار يجب أن يتواصلَ على عدّة مستويات. أولاً، يتعلّم الأشخاص والعائلات أن يقدّر بعضهم بعضاً، في الحياة اليوميّة وفي العمل وفي الحياة الوطنية العمليّة. إن الخبرات العمليّة في ممارسة التضامن، هي ثروة لجميع الشعب، وخطوة واسعة هامة على طريق مصالحة الأفكار والقلوب، بدونها لا يمكن القيام بعمل مشترك طويل الأمد. إنَّ الحكمةَ الطبيعيّة تقود الافرقاء، إذن، إلى تواصلٍ بشريّ غنيّ، وإلى تعاضد يُمتّن النسيج الاجتماعي.

أما الحوار الدينيّ فلا يمكن إهمالُه. ويجب أن يُساعد كلّ أحد على النظر بتقدير إلى ما في أبحاث إخوانه الروحيّة من عظمة ويميّزها ويعترف بها، أبحاث تقود إلى السّير في طريق المشيئة الإلهيّة، وتفسح في المجال لاعلاء شأن القيم الروحيّة والأخلاقية والاجتماعيّة - الثقافيّة لدى الأفراد وفي الحياة الجماعيّة.

العيش المشترك

٦٠٠٩ – ٩٢. لا بدّ خاصةً من تكثيف التعاون بين المسيحيّين والمسلمين في كلّ المجالات الممكنة، بروح التجرّد، أي من أجل الصالح العام، وليس من أجل مصلحة أشخاص مُعيّنين، أومن أجل مصلحةِ طائفةٍ خاصة، أو أملاً بالحصولِ على مزيد من النفوذ والسلطة في المجتمع. إن اعتبارهم المشترك للحياة الأخلاقيّة، وتوقهم إلى مستقبل أفضل، يجعلانهم مسؤولين معًا عن بناء المجتمع الحاضر، وعالم الغد، وذلك بحفاظهم على القيم الاخلاقيّة، والعدالةِ الاجتماعيّة، والسلام، والحرية، ودفاعهم عن الحياة والعيلة، والعمل على رفع شأنها. ومن شأن هذا العمل المشترك أن يُعيد إلى جميع اللبنانيّين الثقةَ بإخوتهم وبالمستقبل، لأنه يحملهم على الانفتاح على أفضل ما في الحداثة.

ليس الحوار الاسلامي – المسيحي حوارًا بين مثقّفين فقط، فهو يهدف، أولاً، إلى تشجيعِ العيش معًا بين مسيحيّين ومسلمين، في روحٍ من الانفتاح والتعاون لا بدّ منه، ليتمكّن كلّ منهم من الشعور بالرضى باعتماده في حرية الخيارات التي يُمليها عليه ضميره القويم. ومتى تعلّم اللبنانيّون أن يتعارفوا جيدًا ويرضوا رضى كاملاً بالتعدُّديّة، وفّروا لنفوسهم الشروط الضرورية لإقامة الحوار الحقيقي، واحترام الاشخاص والعيال والجماعات الروحيّة. وللمدارس والمؤسّسات التربوية المختلفةِ دور أساسيّ في هذا المضمار. لأن التمرّس في الحياة الجماعية، منذ الصغر، يحمل الأولاد على الانتباه بعضهم إلى بعض، ويدعوهم على أن يعالجوا سلميًّا ما قد يحدث من نزاعات.

التضامن مع العالم العربي

٦٠١٠ – ٩٣. إنّ الكنيسة الكاثوليكيّة منفتحةٌ على الحوار والتعاون مع المسلمين في لبنان. وتريد أن تكون منفتحةً على الحوار والتعاون مع مسلمي سائر البلدان العربيّة، ولبنان جزءٌ لا يتجزّأ منها. وفي الواقع إن مصيرًا واحدًا يربط المسيحيّين والمسلمين في لبنان وسائر بلدان المنطقة. وكل ثقافة خاصة لا تزال تحمل طابع ما رفدتها به عل الصعيد الديني وغير الديني الحضاراتُ المختلفة التي تعاقبت على

أرضهم. ومسيحيّو لبنان وكامل العالم العربيّ، وهم فخورون بتراثهم، يُسهمون اسهامًا ناشطًا في التطوّر الثقافي.

إن المسيحيّين في جميع البلدان، ومن جميع الثقافات كافة، حيث انتشروا، «لا يتمايزون عن سائر الناس، لا في البلد ولا في اللغة ولا في العادات... بل يتكيّفون مع العادات المحليّة في ما يتعلّق بالكساء والغذاء وباقي مقتضيات الحياة... فيما يُظهرون في نمط عيشهم قواعد خارقة ومستغربة حقًا».

بودّي أن أشدّد، بالنسبة إلى مسيحيّ لبنان، على ضرورة المحافظة على علاقاتهم التضامنيّة مع العالم العربي وتوطيدها. وأدعوهم إلى اعتبار انضوائهم إلى الثقافة العربية، التي اسهموا فيها اسهامًا كبيرًا، موقعًا مميّزًا، لكي يُقيموا، هم وسائر مسيحيّي البلدان العربية، حوارًا صادقًا وعميقًا مع المسلمين. ان مسيحيّي الشرق الأوسط ومسلميه، وهم يعيشون في المنطقة ذاتها، وقد عرفوا في تاريخهم أيام عزّ وأيام بؤس، مدعوّون إلى أن يبنوا معًا مستقبل عيش مشترك وتعاون، يهدف إلى تطوير شعوبهم تطويرًا إنسانيًّا وأخلاقيًّا، وعلاوة على ذلك قد يساعد الحوار والتعاون بين مسيحيّي لبنان ومسلميه على تحقيق الخطوة ذاتها في بلدان أخرى.

بناء المجتمع

٦٠١١ – ٩٤. أوّد أن أجدّد دعمي وتشجيعي للشعب اللبنانيّ، في حياته الاجتماعيّة. تستمر خلافات بين سكان البلد. بيد أنها يجب ألاّ تشكّل عقبة في سبيل حياة مشتركة وسلام حقيقيّ، أي سلامٍ يكون أكثر من غيابٍ للنزاع.

واللبنانيون كسائر الشعوب، لأنهم يحبّون أرضهم حبًّا خاصًّا، هم مدعوّون إلى الاهتمام ببلدهم، والمحافظة دونما كلال على الأخوّة، وبناءِ نظامٍ سياسي واجتماعي عادل ومنصفٍ، يحترم الاشخاص وجميع الاتجاهات التي يتألّف منها البلد، ليبنوا معًا بيتهم المشترك. وما من أحد يمكنه أن يتهرّب من المسؤوليّة الأدبيّة والمدنيّة، التي عليه ان يؤدّيها شرعًا وسط شعبه. فضلاً عن ذلك، يترتّب على كل شخصيّة عاملة في الشأن العام، سياسيةً كانت أم دينيّة، و«على كل فريق أن يحسب حسابًا

لحاجات الافرقاء الآخرين ولتطلعاتهم الشرعيّة، بل للخير العام في الأسرة البشرية كلّها». فالعمل في الحياة العامة هو، أولاً، خدمةٌ مسؤولة عن الأخوة، كلِّ الاخوة، بحيث يعملون وبجميع الوسائل، لكي يعمل الجميع بانسجام. إنَّ جميع الذين يرضون تعهد الخدمة العامة في الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، عليهم، من باب الواجب الآمر، أن يحترموا بعض الموجبات الأخلاقيّة، وأن يُخضعوا مصالحهم الخاصّة أو الفئويّة لصالح أمتهم. ومتى عاشوا هكذا كانوا قدوةً لمواطنيهم، وعملوا بكل الوسائل، لتأتي أعمالهم لمصلحة الخير العام.

وهذا يفترض تجاوزَ السلوك الاناني باستمرار، للعيش في تجرّد قد يذهب إلى حدّ انكار الذات، بغية قيادة الشعب بكامله إلى السعادة بحسن ادارة الشأن العام.

٦٠١٢ — ٩٥. ... اني أدعو جميعَ اللبنانيّين إلى ان يرعَوا وينمّوا في ذاتهم، خاصّة في الأجيال الفتيّة، «العزم الثابت والمثابر على العمل من أجل الصالح العام، أي من أجل صالح الكلّ وكلّ فرد، لأننا جميعًا مسؤولون حقًا عن الجميع». وفي الوقت عينه، إنّه لمن المستحسن ان تزداد المشاركة المنصفة في المسؤوليات داخل الأمة، ليتمكنَ الجميعُ من وضع مواهبهم وقُدُراتهم في خدمة إخوتهم، ويعرفوا أنَّ لهم مساهمةً متميّزة يقدّمونها إلى بلدهم، عملاً بمبدأ «الاستنابة» [subsidiarité]، بابداعهم الشخصي وممارستهم ما لهم من روح مبادرة. وكلاهما حق.

ان حياة الأُخوّة والتضامن، داخلَ المجتمع الوطني، تفترض ألاّ يتصوّر أحدٌ أن موقعه الخاصّ يحتمل أن يسوّغ له البحث عن امتيازات له أو لطائفته، بإبعاد الآخرين، وهي تقوم على التأكيد أن لكلِّ أحدٍ شرعًا، دورَه في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والنقابيّة، في الأمانة لتقاليده الروحيّة والثقافيّة، طالما لا يتعارض ذلك والصالح العام ولا يهدّد الحياة الوطنيّة...

السلام والمصالحة

٦٠١٣ — ٩٧. في السنين الماضية، انطبع لبنان بمحنة الحرب. واليوم تقضي هذه الآلام بتطهير حقيقيّ للذاكرات والضمائر. ولذلك ينبغي تعزيزُ «السلام الدائم المبني بكل

صبر وأناة». لأن السلام وحده بإمكانه أن يكون الينبوع الحقيقيّ للإنماء والعدالة.

«السلامَ أستودعكم وسلامي أعطيكم، لا أعطي انا كما يُعطي العالم» (يو ١٤: ٢٧). على المسيحيّين، لأنهم تقبّلوا من المسيح، أميرِ السلام، هذه الهبةَ التي تبدِّلهم في داخلهم، أن يكونوا أولَ شهودٍ للسلام وفي مقدّمة صانعيه. وإنجيل السلام دعوةٌ مستمرَّة إلى الغفران والمصالحة. يمرُّ السلامُ عبرَ الدأب في ممارسة الأُخوّة الانسانيّة، وهي من المقتضيات الأساسيّة، الناجمة عن مشابهتنا المشتركة لله، وتنبع، إذن، من مقتضيات الخلق والفداء. وحيثما تجاهل الناس كل التجاهل ما بينهم من اخوّة ينهار السلام من أساسه. وبناءُ السلام يصبح خدمة للمحبّة. وهي علامة نبويّة لملكوت السماوات.

على تلاميذِ الربّ أن ينقلوا إلى إخوتهم رسالة السلام، التي عبّر عنها يسوع تعبيرًا عميقًا في التطويبات، وقد استطاع ان يسمعها «حشد كبير من الشعب من جميع اليهوديّة وأورشليم وساحل صور وصيدا» (لو ٦: ١٧). وعلى المؤمنين بالمسيح، أيضاً، أن يَنقادوا لإرشاد الروح الذي يكشف الخطيئةَ، الخطيئةِ الشخصيّة وخطيئةِ العالم، ليتوبوا، وينالوا النعمة التي تؤهّلهم لأعداد طرق الربّ. «وبما أن طريق السلام تمرّ، بالنهاية، في الحبّ وتتجه إلى إنشاء حضارة المحبّة، تُصوّب الكنيسةُ أنظارَها إلى ذاك الذي هو حبّ الآب والابن؛ وبرغم تفاقم الأخطار لا تنفكّ ترجو وتلتمس سلامَ الإنسان وتعمل له على الأرض. وتضع ثقتها في ذلك الروح المحب، الذي هو أيضاً روح السلام، وهو لا يزال حاضرًا في عالم البشر، في حيزّ الضمائر والقلوب ليملأ الدنيا كلها محبّةً وسلامًا».

٦٠١٤ – ٩٨. إنني أحث اليوم، إذًا، جميع الكاثوليكيين وأدعو في الوقت عينه سائرَ المسحيّين وأصحابَ الاراداتِ الطيّبة، إلى القيام بأعمال نبويّة، وتقلّدِ سلاح السلام والعدالة. من الأمور الملحّة تطوير وتنمية تربيةَ الضمائر على السلام والمصالحة والوفاق بين جميع عناصر الأمة اللبنانية. ومفهومُ السلام هو، أيضاً، عنصرٌ أساسيّ من عناصر الحوار الأخويّ، في العلاقات المسكونيّة، وبين الأديان. وينبغي ألا يغيب أبدًا عن البال أنَّ القيام بمبادرة سلام قد يجرّد الخصمَ من

سلاحه، وغالبًا ما يحمله، على التجاوب بايجاب واليد الممدودة. لأنَّ السلامَ، الذي هو الخير الأسمى، يميلُ إلى الانتشار. ويَذْكُر لنا التاريخُ الدينيّ أنَّ قِدّيسين كثيرين كانوا ينبوع المصالحة بمواقفهم المسالِمة، المرتكزةِ على الصلاة، وعلى الاقتداء بيسوع المسيح.

فعلى عتبةِ الألف الثالث للمسيحيّة، سينفتح عهدٌ جديد للبلد وللمنطقة، بفضل مبادرات صفح وتعاون، يزداد عمقًا، كلّ يوم، بين جميع عناصر المجتمع الوطني. وهذه هي الشروط الأساسيّة لبناء ولبقاء «لبنان ديمقراطي منفتح على الآخرين، في حوارٍ مع الثقافات والديانات»، يكون قادرًا على تأمين وجود كريم وحرّ لجميع أعضائه. لا سبيل لدولة القانون أن تقوم على القوة لتفرض أحترامها. بل يُعْتَرَف بها بقدر ما يحرص الحكام والشعب بكامله فيها على حقوق الإنسان، ويكونون أهلاً لإقامة علاقات انسانيّة فيما بينهم وأنواعًا من التبادل في جوّ من الثقة والحريّة. يفترضُ السلامُ، من قِبَل الجميع، إرادةً ثابتة على احترام أخوانهم والقيام بخطوات في اتجاههم. وهكذا يتحقّق السلام، أساساً، بصيانة خير الاشخاص والجماعات البشريّة، التي يتألّف منها الوطن، بما يمكن تسميته «**باقتصاد السلام**». وفي هذه المسعى تضطّلع العيلةُ والمدرسة بدور أساسيّ: فهما مكانان، يُدعى الأشخاص فيهما إلى القيام باختبار مميّز في «العيش معًا» على أرضٍ واحدة. «إنّ الذين يعملون على تربية الأجيال الجديدة انطلاقًا من القناعة أنَّ كلَّ إنسانٍ هو أخونا، يضعون الأساس الذي عليه يقوم صرح السلام».

إن التزام السلام من قِبَل الجميع، أصحابِ الإرادة الطيبة، يقود إلى مصالحة نهائيّة بين جميع اللبنانيّين وبين مختلف فئات البلد. والمصالحةُ هي نقطة انطلاق الرجاء لمستقبل جديد للبنان.

لائحة بالأسفار المقدّسة

مع مختصراتها

١) العهد القديم

التكوين = **تك**
الخروج = **خر**
اللاويين (الأحبار) = **لا**
العدد = **عد**
التثنية = **تث**
يشوع = **يش**
القضاة = **قض**
سفرا صموئيل = **١ و٢ صم**
سفرا الملوك = **١ و٢ مل**
حبقوق = **حب**
صفنيا = **صف**
حجّاي = **حج**
زكريّا = **زك**
ملاخي = **ملا**
المزامير = **مز**
أيوب = **أي**
الأمثال = **أم**
راعوت = **را**
أشعيا = **أش**
إرميا = **إر**
حزقيال = **حز**
هوشع = **هو**
يوئيل = **يؤ**
عاموس = **عا**
عوبديا = **عو**
يونان = **يون**
ميخا = **مي**
ناحوم = **نا**

٢) العهد الجديد

متى = **مت**
مرقس = **مر**
لوقا = **لو**
يوحنا = **يو**
أعمال الرسل = **أع**
الرسالة إلى الرومانيين = **روم**
الرسالة إلى الكورنثيّين = **١ و٢ كور**

نشيد الأناشيد = **نش**
الجامعة = **جا**
مراثي إرميا = **مرا**
أستير = **أس**
دانيال = **دا**
عزرا = **عز**
نحميا = **نح**
سفرا الأخبار = **١ و٢ أخ**
يهوديت = **يه**
طوبيا = **طو**
سفرا المكابيّين = **١ و٢ مك**
الحكمة = **حك**
يشوع بن سيراخ = **سي**
باروك = **با**

الرسالة إلى الغلاطيّين = **غل**
الرسالة إلى الأفسسيّين = **أف**
الرسالة إلى الفيليبيّين = **فل**
الرسالة إلى الكولسيّين = **كو**
الرسالة إلى التسالونيكيّين = **١ و٢ تس**
الرسالة إلى تيموزثاوس = **١ و٢ تم**
الرسالة إلى تيطس = **تي**
الرسالة إلى فيلمون = **فلم**
الرسالة إلى العبرانيين = **عب**
رسالة يعقوب = **يع**
رسالتا بطرس = **١ و٢ بط**
رسائل يوحنا = **١ و٢ و٣ يو**
رسالة يهوذا = **يهو**
رؤيا يوحنا = **رؤ**

لائحة أبجديّة بالمختصرات

١ و٢ أخ = سفرا الأخبار الأول والثاني
إر = إرميا (نبوءة)
أس = أستير
أش = أشعيا
أع = أعمال
أف = رسالة القديس بولس إلى الأفسسيّين
أم = سفر الأمثال
أي = سفر أيوب
با = سفر باروك
١ و٢ بط = رسالتا القديس بطرس الأولى والثانية
تث = سفر التثنية
١ و٢ تس = رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى التسالونيكي
تك = سفر التكوين
١ و٢ تم = رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى تيموثاوس
تي = رسالة القديس بولس إلى تيطس
جا = سفر الجامعة
حب = نبوءة حبقوق
حج = نبوءة حجاي
حز = نبوءة حزقيال
حك = سفر الحكمة
عا = نبوءة عاموس
عب = الرسالة إلى العبرانيّين
عد = سفر العدد
عز = سفر عزرا
عو = نبوءة عوبديا
غل = رسالة القديس بولس إلى الغلاطيّين
فل = رسالة القديس بولس إلى الفيليبيّين
فلم = رسالة القديس بولس إلى فيلمون
قض = سفر القضاة
كو = رسالة القديس بولس إلى الكولسيّين
١ و٢ كور = رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى الكورنثيّين
لا = سفر اللاويّين أو الأحبار
لو = إنجيل لوقا
مت = إنجيل متى
مر = إنجيل مرقس
مرا = مراثي إرميا
مز = سفرا المزامير
١ و٢ مك = سفرا المكابيّين الأول والثاني
١ و٢ مل = سفرا الملوك الأول والثاني
ملا = نبوءة ملاخي
مي = نبوءة ميخا
نا = نبوءة ناحوم

الفهرس

صفحة

سلسلة

الفكر المسيحي بين الأمس واليوم

١ – الأب أغناطيوس ديك: **الله حياتنا.**

٢ – المطران كيرلّس سليم بسترس: **اللاهوت المسيحيّ والإنسان المعاصر.**

الجزء ١: الله الخالق – الشرّ والخطيئة الأصليّة – يسوع المسيح.

٣ – **الجزء ٢:** الروح القدس – النعمة – الكنيسة.

٤ – **الجزء ٣:** الأسرار – الحياة الأبديّة.

٥ – القدّيس يوحنّا الدمشقيّ: **المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسيّ**، عرّبه عن النصّ اليونانيّ الأرشمندريت أدريانوس شكّور، ق. ب.

٦ – الإكسرخوس جوزف نصرالله: «**منصور بنُ سرجون**» المعروف **بالقدّيس يوحنا الدمشقيّ: عصره، حياته، مؤلّفاته.** عرّبه بتصرّف عن النص الفرنسيّ الأرشمندريت أنطون هبّي.

٧ – ج. – م. – ر. تيّار: **أسقف رومة.** نقله إلى العربيّة الأب جورج خوّام البولسيّ.

٨ – بول إفدوكيموف: **الروح القدس في التراث الأرثوذكسيّ.** عرّبه عن النصّ الفرنسيّ المطران الياس نجمه، وقدّم له المطران جورج خضر.

٩ – **سفر المحبّة.** نقله إلى العربيّة الأب جورج خوّام البولسيّ.

الجزء ١: الفاتيكان – الفنار (١٩٥٨ – ١٩٧٠).

١٠ – **الجزء ٢:** الفاتيكان – الفنار (١٩٧٠ – ١٩٨٠).

١١ – **خطيب الكنيسة الأعظم، القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم:** حياته وبعضٌ من مواعظه، ترجمها آباء مخلّصيّون. عُني بكتابته وجمعه وتنظيمه الأب الياس كويتر المخلصيّ.

١٢ – **القدّيس باسيليوس الكبير:** حياته. أبحاثٌ عنه. مواعظه. عني بكتابته وجمعه وتنظيمه الأب الياس كويتر المخلصيّ.

١٣ – المطران كيرلّس سليم بسترس: **اللاهوت المسيحيّ والإنسان المعاصر. الجزء ٤:** مريم العذراء أمّ ربّنا يسوع المسيح.

١٤ – المطرانان يوسف ريّا وكيرلّس بسترس: **التجسّد فيض المحبّة.**

١٥ – جوزيف راتسنجر: **مدخل إلى الإيمان المسيحيّ.** عرّبه الدكتور نبيل الخوري.

١٦ – المطران كيرلّس سليم بسترس: **مدخلٌ إلى اللاهوت الأدبيّ. الجزء ١:** مبادئ أساسيّة في الأخلاق المسيحيّة.

١٧ – المطران يوسف ريّا والأب جوزيف معلوف: **لاهوت الإكليل أو الزواج المقدّس.**

١٨ – **المسيحيّة في عقائدها،** عرّبه المطران كيرلّس سليم بسترس.

١٩ – **المسيحيّة في أخلاقيّاتها،** عرّبه المطران كيرلّس سليم بسترس.

٢٠ – **علم الأصول اللاهوتيّة الجزء ١:** عادل تيودور خوري – مشير باسيل عون.

٢١ – **علم الأصول اللاهوتيّة الجزء ٢:** عادل تيودور خوري – مشير باسيل عون (قيد الطبع)

٢٢ – **الأمرُ الأهمّ لكنيسةِ الألف الثالث** – عرّبه المطران كيرلّس سليم بسترس.

٢٣ – **يسوع المسيح** – عرّبه المطران يوحنّا منصور.

٢٤ – **اللاهوت الصوفيّ** – الأب تيودور حلاّق (قيد الطبع).

٢٥ – **مقالات في اللاهوت والحركة المسكونيّة** – المطران كيرلّس سليم بسترس.

٢٦ – **مقالات في الأخلاق والحياة المسيحيّة** – المطران كيرلّس سليم بسترس.

المطبعة البولسيّة
جونيه - لبنان

في بحر التعاليم التي تحتوي عليها شهادة الإيمان، تحتلّ القرارات المتعلّقة بالتعليم مكانًا خاصًّا. فقد تظهر في حياة المؤمن الفرد أو في مسلك الجماعة وفهمها، أو في نطاق الكنيسة الاقليميّة أو الجامعة أحوال شاذّة وعوامل تهدّد الإيمان. هذا يتطلّب حصول حكم واضح في النظرة المعنيّة أو المسلك المعنيّ، هل هما مطابقان للإنجيل أم لا. والتقليد المسيحيّ الكاثوليكيّ يقرّر أنّ الذين يرجع إليهم الحكم في ذلك هم البابا والأساقفة بصفتهم رعاة الكنيسة. وهذه الصلاحيّة تتعلّق بقضايا الإيمان والسلوك.

والقرارات التعليميّة تستند إلى الشهادات الإيمانيّة النابعة من المراجع ذات السلطة، ولها أهمّية كبيرة بالنسبة إلى الفهم الصحيح لمحتوى الإيمان، إذ هي عادةً تعبّر عن بصيرة فَطِنة وأحكام رصينة. ونحن نجد في هذا الكتاب مجموعة من مثل هذه القرارات التعليميّة. ويجدر بالذكر أنّ هذه القرارات لا يجوز اعتبارها مماثلة للتبشير العامّ بالإنجيل، ولا تحتلّ محلّ هذه البشارة، بل هي توضّحها وتكمّلها في بعض النواحي الخاصّة. ولكنّها تبقى مختلفةً بعضها عن بعض في الوزن والسلطة والإلزام.